حقيقة الشرك

تأليف

خالد بن علي المرضي

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله ومن والاه .

وبعد :

فهذا كتاب يبين حقيقة الشرك نعوذ بالله منه ، بينت فيه أحكامه ومسائله وأنواعه ووسائله والشبهات فيه ، والله أسأل أن ينفع به .

محتوى الكتاب :

الباب الأول

تعريف الشرك وحقيقته ومعناه

المسألة الأولى: تعريف الشرك لغة :

الشرك بكسر الشين المعجمة وسكون الراء المهملة.

وهو الضم والخلط والاقتران. وجمعه أشراك .

وهو ضد الفرد والوتر والوحدانية والتفرد والتوحيد .

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة الشرك يدور في اللغة على أصلين :

الأول: الاقتران وعدم الانفراد ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾ طه: ٣٢.

ويطلق هذا الأصل على معاني :

المخالطة والمصاحبة والمشاركة والنصيب والحظ والحصة والتسوية .

الثاني: الامتداد والاستقامة ويطلق على معاني :

الشِرَاك وهو سير النعال والشَرَك وهي شبكة الصيد وحبائل الصياد .

كما يأتي في اللغة على معاني وهي داخلة في الأصلين السابقين منها :

١ - العدل وتسوية الشيء بغيره: ومنه ﴿ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾ أي لا تعدل به وتسويه بغيره، وهذه التسوية والعدول هي حقيقة حال المشركين ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ الأنعام: ١ ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الشعراء: ٩٨.

٢ - الاشتراك في الشيء بين اثنين ومنه قوله ﷺ : (المسلمون شركاء في ثلاثة الماء والكلأ والنار) رواه أحمد وأبو داود.

٣- الحصة والنصيب والحظ ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾ سبأ: ٢٢ وقوله ﷺ : (من أعتق شركاً له في عبد) متفق عليه.

٤- الخلط والضم والمصاحبة والمشاركة ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴾ .

ومنه الاشتراك في الأرض المال والخلطة في الأنعام والبيوت المشروكة .

٥- القسمة بين الأفراد : ومنه حكم عمر ﷺ : " فأشرك بين الإخوة " أي قسم المال بينهم بالتساوي وشركة اللحم وهو توزيعها وقسمتها .

٦- المصاهرة، وفي اللسان:(رغبنا بشرككم) مشاركتكم في النسب والصهر.

٧- الكفر ، قال الجوهري:الشرك الكفر لأنه التغطية فيدخل في عموم الخلط.

فائدة : علاقة معنى الشرك الشرعي بالمعاني اللغوية :

هناك ترابط بين هذه المعاني اللغوية وبين الشرك في الشرع الذي هو عبادة غير الله ﷻ، فالمشرك عدل عن عبادة الله تعالى إلى عبادة غيره، وسوى غير الله ﷻ به تعالى، وقسم عبادته بين الخالق ﷻ والمخلوق، وصاحب بين الرب ﷻ والعبد وضم العبادتين وخلط بينهما، وصرف للمخلوق حصة ونصيباً وحظاً من عبادته .

الثانية: الفرق بين عبارة (عبادة غير الله) وعبارة (الشرك) :

الشرك أعم من عبارة عبادة غير الله، لأن الشرك منه ما هو متعلق بعبادة غير الله وهو ما يسمى بشرك الألوهية والعبادة ومنه ما هو شرك في ذات الرب ﷻ إما بتعطيله عن ربوبيته وصفاته ، أو بتمثيله بخلقه ونسبة النقص له ، أو بتمثيل خلقه به وإعطائهم بعض صفات الله ، أو نسبة شيء من أفعال الربوبية لهم .

عليه فعبارة عبادة غير الله أخص من عبارة الشرك وداخلة فيه دون العكس .

فائدة : الفرق بين الشرك بالله والشرك مع الله :

حرف الباء يفيد الالتصاق ومع يفيد المعية والمصاحبة .

فيكون الشرك بالله متعلق بذات الله وربوبيته وصفاته.

والشرك معه متعلق بالعبد وعبادته وألوهيته وجعل إله معبود مع الله.

الثالثة : تعلقات الشرك وتعدياته .

١ - يتعدى الشرك بنفسه : قال تعالى: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ إبراهيم: ٢٢ ﴿وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: ١٩ ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا﴾ الأعراف: ١٩١ ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ الأنعام: ٢٣ ﴿أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا﴾ الأعراف: ١٧٣.

٢ - يتعدى بالباء :

قال تعالى: ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ الحج: ٣١ ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ النحل: ٥٤ ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ الكهف ١١٠ ﴿تُشْرِكَ بِي﴾ لقمان ١٥ ﴿أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ آل عمران: ١٥١.

ومعناها : الإلصاق أي يلصقون مع الله غيره في خصائصه وحقوقه.وبمعنى الظرفية والمصاحبة والعوض .

٣- يتعدى بمع: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ الإسراء: ٢٢ ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ المؤمنون: ١١٧ ويقال: يشركون مع الله غيره في العبادة. **ومعناها المصاحبة .**

٤ - يتعدى بفي:

﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ﴾ الكهف: ٢٦ ويقال: يشركون في عبادة الله.

وهي بمعنى الظرفية والمصاحبة ومع وبمعنى الباء والإلصاق .

ولا يصح لغة أن يقال أشرك في الله ، وإنما أشرك في عبادة الله.

٥- ويتعدى باللام : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ ﴾ الرعد: ٣٣ ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡ ﴾ الأنعام: ١٠٠. واللام بمعنى الاختصاص والاستحقاق أي جعلوا مستحقا ومختصا بالألوهية مع الله ، وبمعنى مع أي جعلوا مع الله غيره.

٦- وأما معنى : يعبدون من دون الله ، تشركون من دونه ، من دونه آلهة.

فمعنى (من دون): أي متجاوزين الله إلى عبادة غيره، إما بترك عبادة الله بالكلية ، لأنها لا تصلح ولا تصح عبادته مع الشرك ، أو بمعنى عدم الاكتفاء بعبادة الله وحده وطلب ما يقرب إليه وينفع معه .

ولها معنى آخر : وهو الدونيّة أي أن هذه المعبودات دون الله وليست في منزلته تقدس وتعالى.

وعليه فيصح أن يقال لغة:

أشرك مع الله / أشرك بالله / أشرك بعبادة الله/ أشرك في عبادة الله / جعل شريكا لله/ عبد غير الله / عبد من دون الله / عبد مع الله / جعل مع الله شريكا.

وكلها بمعنىً متقارب إن لم يكن معناها واحد.

الرابعة : مصطلحات في باب الشرك :

١- **المعبود** يسمى : الإله والرب والولي والشفيع والمقرب والند والوثن والصنم والتمثال والشريك والشركاء .

٢- **وعبادته** تكون بما يسمى: الاتخاذ والإلحاق والابتغاء والجعل . فالتوجه والقصد والطلب والجعل والابتغاء الاتخاذ والإسلام والإرادة بمعنى العبادة.

وقد جاءت هذه العبارات في اللغة ووردت في الشرع بمعنى صرف العبادة.

٣- والشرك في العبادة عبر عنه بعدة ألفاظ منها :

التنديد – العدول – التسوية – الأمثال – الكفء .

وسيأتي الكلام عن هذه الحقائق الثلاث مفصلا إن شاء الله تعالى .

الخامسة : تعريف الشرك في الاصطلاح الشرعي:

اتفق العلماء على معناه واختلفت عبارتهم في تعريفه ومن تعريفاتهم له:

التعريف الأول: صرف العبادة لغير الله من دعاءٍ وذبحٍ ونذرٍ ورجاءٍ وتوكلٍ.

التعريف الثاني: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله .

وهذا التعريف أشمل من السابق، لأنه يدخل فيه الشرك في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، بينما التعريف الأول مختص بالشرك في الألوهية والعبادة، فلا يدخل فيه الشرك في الربوبية ولا شرك الأسماء والصفات .

التعريف الثالث: تشبيه المخلوق بالخالق ، وتشبيه الخالق بالمخلوق .

قال ابن القيم : حقيقة الشرك هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به .

وهذا التعريف يدخل في عموم الثاني، لأن التشبيه هو بمعنى التسوية، وإثبات ما يختص به الله ويستحقه وحدة لغيره.

والأفضل أن يقال في تعريف الشرك : أنه منازعة الله تعالى في خصائصه .

المنازعة تشمل التمثيل والتعطيل ويدخل فيها معنى التسوية وصرف العبادة.

وخصائصه متعلقة بالربوبية والألوهية .

فيكون الشرك في هذين القسمين الخاصين بالله تعالى، بأحد طريقين :

إما بإنكارها وتعطيل الله منها ، أو بإثباتها ونسبتها لغير الله من المخلوقين .

السادسة : قاعدة في ضبط تعريف الشرك:

خصائص الله تعالى وحقوقه التي يتعلق بها الشرك قسمان :

الأول : أفعاله وأوصافه .

الثاني : ألوهيته وعبوديته.

وعلى هذا فالشرك ينقسم بالرجوع إلى منازعة الله تعالى ما يخصه إلى:

شرك في الربوبية ، وشرك في الألوهية ، وشرك في الأسماء والصفات .

وهذه الثلاث هي خصائص الله ﷻ التي يجب أن يوحد بها ولا يشرك فيها.

ضابط الشرك :

الشرك يضبط بأنه : صرف ما هو حق خاص بالله ﷻ لغير الله.

فالمشرك يقع في تسوية الله بغيره في خصائصه ، وخصائصه ﷻ على قسمين :

القسم الأول : خصائص متعلقة بالربوبية :

وهي المتعلقة بذاته تعالى من أفعاله وصفاته ومرجعها للكمال المطلق الذي تفرد الله به . وأعظم الأمور المتعلقة بالربوبية التي يحصل فيها الشرك :

الأول: الخلق والرزق والقدرة التامة والتدبير والتصرف .

الثاني: العلم الكامل الشامل والغيبي .

الثالث: البعث والحساب .

الرابع: الإرسال .

الخامس:القدر .

القسم الثاني : خصائص متعلقة بالألوهية :

أعظم خصائص الله استحقاقه الألوهية والعبودية، فهو المعبود وحده، واستحق الله العبادة دونما سواه لأجل الكمال الذي تفرد به وحده ﷻ في ربوبيته.

ذلك أن الكامل لابد أن يعبد ولا يعطل عن العبادة، والناقص المتجرد عن الكمال لا يستحق أن يعبد بل هو في حاجة لتكميل نقصه بالالتجاء والعبادة .

السابعة : قواعد الشرك وضوابطه :

١ – كل ما كان فيه تشبيه للمخلوق بالخالق فيما اختص به تعالى ويستحقه وحده،ومن ذلك إثبات فعل من أفعال الربوبية وصفة من صفات الإلهية للمخلوق.

٢ – كل ما كان فيه تشبيه للخالق بالمخلوق .

٣– تعطيل الله عن ربوبيته وعبادته وكماله وحقوقه وخواصه وأفعاله وأوصافه. أو وصفه ﷻ بالنقائص ، أو الطعن في أمره ودينه ورسله وكتبه.

٤ – صرف العبادة لغير الله .

٥ – اتخاذ الوسائط والشفعاء بقصد التقريب إلى الله واعتقاد احتياجه لها .

٦ – التذلل المطلق مع الخضوع والتعظيم والانقياد والقصد والتوجه والتعلق.

٧– كل ما سماه الله تعالى شركا .

٨– الإيمان بالطاغوت وعدم البراءة منه .

٩ – السحر والكهانة والعرافة والتنجيم .

الثامنة: الشرك يدور على أصلين:

١ – التعطيل . تعطيل الله عن كماله ووحدانيته وعبادته .

٢ – التشبيه والتشبه .

الشرك مرده إلى صفتين :١- عبادة غير الله .٢- التشبيه بين الرب وبين الخلق.

التاسعة: ما لا يدخل في الشرك ويجوز إثباته للمخلوق :

ما كان من فعل العبد وداخل تحت قدرته وصفته فإنه يثبت للعبد، وليس نسبته له بشرك، لأنه ليس مما يختص به الله ﷻ . فالمخلوق يدعى ويرجى فيما يقدر عليه ويستعان به ويستعاذ به ويستغاث به فيما هو داخل تحت مقدوره، وكذلك الخوف الطبيعي من المخلوق كالخوف من السلطان الجائر والسبع وإن كان ترك طلب المخلوق مطلقا وخوفه أولى وأكمل، وكذلك شكر المخلوق ومدحه وتعظيم من يستحق التوقير . كل ذلك من التصرف الجائز وليس من الشرك.

تنبيه : تناقض الأشاعرة:

حيث تقول أن إثبات أي تأثيرٍ للأسباب أو حقيقة لفعل العبد وقدرته يعتبر شركاً في الربوبية، وهذا القول سببه مذهبهم الفاسد في القدر وقولهم فيه بالجبر .

ثم هم يتناقضون ويثبتون للأولياء بعد موتهم القدرة ويجوزون دعاءهم من دون الله ولا يجعلون ذلك شركاً ، وهو الشرك الأكبر بعينه، وهذا من تناقضاتهم .

العاشرة: الشرك له إطلاقان ومعنيان :

الأول إطلاق خاص: عبادة غير الله تعالى فيقصد به الشرك في الألوهية .

الثاني إطلاق عام : كل كفر يسمى شركاً وكل كافر يسمى مشركاً .

الحادية عشرة: العلاقة والفرق بين الكفر والشرك :

اختلف أهل العلم في الفرق بين الكفر والشرك، والعلاقة بينهما على أقوال :

القول الأول : أنهما بمعنىً واحد فكل كفر شرك والعكس .

فالشرك الأكبر كفر أكبر والشرك الأصغر كفر أصغر والعكس صحيح فالكفر الأكبر شرك أكبر والأصغر أصغر .

وهذا قول الشافعي والجوهري، وقول من لم يفرق بين الإيمان والإسلام.

القول الثاني : أن الكفر أعم من الشرك .

فالكفر خصالٌ كثيرة منه الشرك ومنه تكذيب الأنبياء وإنكار أمر معلوم من الدين بالضرورة كالمعاد أو الملائكة وجحد الواجب واستحلال المحرم وعدم الحكم بالشريعة والامتناع عنها أو حرب الدين أو الاستهزاء بالله أو بالدين أو بغضه وبغض الرسول ، وغير ذلك من ألوان الكفر وخصاله والتي ليست بشرك .

وبهذا قال العسكري في فروقه وغيره .

والتحقيق في هذا على ما ترجح لدي أن لفظ الكفر والشرك من الألفاظ التي تجتمع في المعنى وتنفرد، فإذا افترقا في اللفظ فإنه يفسر كل واحدٍ منهما بما يفسر به الآخر . أما إذا اجتمعت في اللفظ فإنه يكون لكل واحدٍ منهما معنى يخصه كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ البينة: ٦ فكفار أهل الكتاب ليسوا مشركين من عباد الأوثان إذ كفرهم من جهة تكذيب الرسالة فيصير المقصود بالشرك عبادة غير الله والكفر يكون بحسبه .

ومن هنا يتبين ويتحقق أن الشرك له إطلاقان :

إطلاق خاص : وهو عبادة غير الله وهذا الغالب .

إطلاق عام : وهو نفس معنى الكفر .

تنبيه سيأتي الكلام عن الشرك الأصغر والكفر الأصغر والعلاقة بينهما .

الثانية عشر: وجه كون كل كفر يعتبر شركاً :

١- لأن الكافر معطل لله عن حقه وهذا أحد نوعي الشرك .

٢- كما أنه مهما كان كفره فإنه في حقيقته قد شبه ربه بالمخلوق، الذي يُكفَر بـه ويكذّب خبره ويجحد أمره ويستحل نهيه ويـستهان بمقامـه ولا يعظـم شـأنه فجعل أخبار ربه مكذبة وأوامره مجحـودة ونواهيـه ومحارمـه مـستباحة، فلـم يعظم الله ولم يقدره حق قدره، وهذا التشبيه والتمثيـل بـين الـرب والمخلـوق الذي قام بقلب الكافر هو حقيقة كفره فكان بـذلك مـشركاً مـشبهاً واقـع في شرك التمثيل والتعطيل معاً .

الثالثة عشرة: الشرك ضد التوحيد :

الشرك ضد الوحدانية والإشراك ينافي الإفراد والتوحيد فالـشرك مـن الجمـع والتثنية والتشريك والخلط والضم نقيض التوحيد.

والشرك يكون بأحد طريقين : إما بنفي ما أثبته الله لنفسه، أو بإثبات ما نفاه.

وفي اللغة الشرك من الجمع والتثنية ضد الإفراد وضد التوحيد . ومـن أسـماء الله ﷻالواحد الفرد الأحد ، وهو الله ﷻ، لا ثاني له ، ولا شريك ، ولا مثيل .

التوحيد مصدر وحد، وهو أن تجعل الشيء واحداً، وتوحـد قـصدك. ويعـبر عنه بالإفراد والتجريد والإخلاص . والتوحيد له ركنان هما الإثبـات والنفـي، فـلا يسمى الشيء مفرداً أو إفراداً أو توحيداً إلا إذا قام على ركنين هما الإثبات مع النفي .

الأول النفي والإنكار: وهو الموجود في: (لا إله). الثاني الإثبات في: (إلا الله).

وهذان الركنان ذكرا في قوله تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ البقرة: ٢٥٦ .

فالكفر بالطاغوت هو معنى (لا إله) ، والإيمان بالله هو معنى (إلا الله) .

وهذان هما ركنا التوحيد نفي العبادة وكل ما يختص به الرب ﷻ عن المخلوق، ونفي الإلوهية عما سواه ﷻ والكفر بها وخلع الأنداد والمعبودات والآلهة، والركن الثاني إثبات العبادة وكل ما هو خاص بالله ﷻ لله وحده .

تنبيه: الشرك هو ضد التوحيد: وليس التشبيه ووجه ذلك :

أن التشبيه داخل في الشرك ، والشرك قسمان التعطيل والتشبيه ، بتعطيل الله من ربوبيته وألوهيته، أو إثباتها لغيره، وكلاهما يناقض التوحيد .

فائدة : هل التوحيد والشرك من المتناقضات أو المتضادات :

الضدان لا يجتمعان لكن قد يرتفعان، والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان فلا بد من وجود أحدهما.

وإذا قلنا أن الشرك بمعنى الكفر فهو نقيض التوحيد .

وإذا خصصنا الشرك بعبادة غير الله فهو ضد الشرك وليس نقيضه، لأنه بهذا المعنى قد يتصور ارتفاعهما في حق الكافر فلا يقوم بالعبادة مطلقا لايوحد ولايشرك.

الرابعة عشرة: اجتماع التوحيد والإيمان مع الشرك :

وتوجيه قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦ .

الإيمان والشرك هنا لهما معنيان : والآية فيها تأويلان للسلف :

الأول : الإيمان بالربوبية والشرك في الألوهية .

أن المراد بالإيمان هنا توحيد الربوبية والإيمان بكون الله خالقاً وحده ، والشرك هو الشرك في الألوهية فلا يقبل هذا الإيمان ولا يعتبر به ولا يصح ولا يسمى إيمانا من حيث الإطلاق الشرعي وهو الإيمان المعتبر والمدخل للجنة ، وذلك لعدم وجود التوحيد فيه واقتران الشرك به .

قال ابن عباس : (من إيمانهم إذا سئلوا من خلق السماء والأرض قالوا الله وهم مع ذلك يشركون به ويعبدون غيره ويسجدون للأنداد دونه).

وقال مجاهد : (إيمانهم قولهم الله خالقنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره).

الثاني : الإيمان هنا هو الأصلي والشرك المقصود به الأصغر الذي لا يزيل أصل الإيمان والإسلام .

فيكون المراد بالإيمان في الآية هو الإيمان الشرعي المقبول والمنجي من النار والمقترن بتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ويكون الشرك المقصود به في الآية الشرك الأصغر كالحلف بغير الله وكيسير الرياء وشكر الناس على ما أنعم الله به عليهم وعدم الرضا بالقدر المتعلق بالمصائب ونحو ذلك .

والقاعدة :

الشرك الأصغر لا ينافي أصل التوحيد ولا ينقضه وإنما ينقص كماله الواجب.

أما الشرك الأكبر فلا يجتمع وجوده مع وجود الإيمان الشرعي وأصل التوحيد المنجي من النار .

وقول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٢.

ومعنى ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فيقال فيها مثلما يقال في قوله ﴿ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ :

١ – تعلمون ربوبية الله وتؤمنون بها وتشركون به الأنداد في الألوهية .

٢ – تعلمون استحقاق الله للعبادة ثم تشركون الشرك الأصغر تنديدا.

الخامسة عشرة : يشهد المشرك بالتوحيد في حالات :

١ – يشهد بنوع من التوحيد وهو الربوبية في الجملة.

٢ – قد يوحد المشرك في حال الشدة والخوف ويشرك في الرخاء والأمن.

٣– وقد يأتي بتوحيد في بعض العبادات، فقد تجد شخصا يشرك في جانب ويوحد في جانب، فقد يوحد في جانب الحكم بما أنزل الله فيحكم بالشريعة ولكن يدعو غير الله ﷻ أو يكون العكس .

السادسة عشرة : علاقة الشرك بالمسميات الشرعية :

أولاً: العلاقة بين الشرك والإلحاد :

الكلام في هذا مثل الكلام في الفرق بين الشرك والكفر .

فالشرك له إطلاقان عام وخاص :

فالشرك بالإطلاق العام يدخل فيه الإلحاد .

والشرك بالإطلاق الخاص الذي هو عبادة غير الله، لا يعتبر الملحد والجاحد ومنكر وجود الرب مشركاً، لأن المشرك من عبد الله وعبد غيره ولم يسم مشركا إلا لأنه أشرك مع الله وقسم العبادة بين معبودين وجعلها مشروكة بينهم، بينما الملحد لا يعترف بعبادة الله ولا بوجوده أصلا فلا يصدق عليه اسم الشرك وإنما الكفر .

والإلحاد بمعناه الخاص هو إنكار وجود الله أو عبادته، فيصير الإلحاد يطلق على من ينكر الربوبية من الدهريين والوجوديين والشيوعين .

أما الإلحاد بمعناه العام فإنه يطلق على كل كفر ومن ذلك عبادة غير الله أو تعطيل صفاته أو التشبيه ونحوه فهو أعم من الشرك بمعناه الخاص .

والشرك بمعناه العام مرادف للإلحاد بمعناه العام فكل شرك إلحاد وكل إلحاد شرك كما يقال ذلك في الكفر .

فيكون بهذا المعنى الملحد والجاحد ومنكر وجود الله ومدعي الربوبية والألوهية من أهل الشرك، ويسمى المستكبر عن عبادة الله ومدّعى الربوبية أو الألوهية مشركا لكونه أشرك نفسه مع الله ﷻ وعطل الرب عما يستحقه.

قال ابن تيمية: (كل مستكبر فهو مشرك، وتسمية هذا شركا نظير من امتنع مع استكباره عن إخلاص الدين لله فهو مستكبر عن لا إله إلا الله مشرك، والمستكبر عن الحق يبتلى بالانقياد للباطل فيكون المستكبر مشركا ، ولهذا كان فرعون من أعظم الخلق استكبارا عن عبادة الله وكان مشركا ، وكلما كان الرجل أعظم استكبارا عن عبادة الله كان أعظم إشراكا بالله لأنه كلما استكبر عن عبادة الله ازداد فقره وحاجته إلى المراد المحبوب المقصود فيكون مشركا بما استعبده من ذلك) .الفتاوى ١٠/ ١٩٧ - ٧/ ٦٢٩.

ثانيا : علاقة الشرك بالتشبيه والتمثيل :

الشرك قائم على التشبيه من جهتين :

الأولى: تشبيه الخالق بالمخلوق بجعله محتاجاً لواسطة تشفع عنده مثل ملوك الأرض، وأيضاً تشبيه بالمخلوق بنسبة الولد له ووصفه بالنقائص وغير ذلك .

الثانية: تشبيه المخلوق بالخالق، وهذا هو الغالب، فيشبه المخلوق بالخالق فيعطي صفات الألوهية والربوبية ، فالمخلوق عند المشرك يغيث من دعاه ويعلم الغيب ويدبر الخلق وينفع ويضر ويحلل ويحرم ويشرع ويحكم.

ذكر ابن القيم في الجواب الكافي اشتمال الشرك على التشبيه فهو تشبيه المخلوق بالخالق في خصائص الألوهية والكمال المطلق الذي لا نقص فيه وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها لله وحده من التعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوكل والتوبة والاستغفار وغاية الحب مع غاية الذل .

كل ذلك يجب عقلاً وفطرة وشرعاً لله وحده .

ثالثا : علاقة الشرك بالتعطيل :

التعطيل يقابل التشبيه، والتشبيه يرادف الشرك، والتعطيل يرادف الكفر، فهو عدم عبادة الله وتعطيله عما يستحق.

لكن يوجد في التعطيل شرك وتشبيه من جهة أخرى ، وبيانه :

أن التعطيل فيه تمثيل لله بالمعدوم والناقص والمعطل عن الكمال .

ومن جهة أخرى فالمعطل عطّل حق التوحيد .

فالمعطل مشرك، لأن التعطيل مرده وحقيقته قائم على تمثيل الخالق بالمخلوق في العجز والنقص وعدم الكمال .

كما أن المشرك معطّل لله لأنه عطل الله تعالى عن حقه في التوحيد والعبادة وإثبات الربوبية والكمال له حده .

والشرك نوعان : شرك تعطيل وجحود وإنكار وشرك تمثيل وتنديد .

قال ابن القيم في الجواب الكافي : (شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون إذ قال وما رب العالمين، والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك، لكن لا يستلزم أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق سبحانه وبصفاته ولكن عطل حق التوحيد ، وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل) ص١٥٣ .

وسيأتي الكلام عن شرك التمثيل وشرك التعطيل في أقسام الشرك إن شاء الله.

رابعا: علاقة الشرك بالجحود :

الجحود يكون بإنكار وجود الرب أو ربوبيته أو ألوهيته أو دينه وشرعه وأمره ونهيه أو أخباره أو قدره أو رسله .

والكلام في العلاقة بينهما كالكلام في العلاقة بينه وبين الإلحاد .

علاقته بكفر الاستكبار والإباء والامتناع عن عبادة الله ونقلنا كلام ابن تيمية.

خامسا: علاقة الشرك بالفسق والظلم :

الشرك فسق لأن الفسق خروج عن طاعة الله وهذا المعنى متحقق في المشرك .

كما أن الشرك ظلم لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، والشرك كذلك .

والفسق والظلم ينقسمان إلى أكبر وأصغر .

فالفسق والظلم الأكبران هما الشرك: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان: ١٣.

سادسا : علاقة الشرك بالنواقض :

الشرك أحد نواقض الإسلام وله ارتباط بأكثر النواقض .

فناقض الحكم والهدي والخروج عن الشريعة داخلة في الشرك شرك التـشريع والطاعة والحكم، وناقض موالاة الكفار ومظاهرتهم وعدم تكفيرهم داخل في شرك المحبة والموالاة، وناقض السحر فيه شرك من جهتين عبادة الجن وإدعاء علم الغيب.

فالشرك داخل في سبعة من النواقض العشرة فلم يبق إلا ناقض البغض للدين والاستهزاء والإعراض فهي خارجه عن الشرك بمعناه الخـاص ، داخلـه في الـشرك بمعناه وإطلاقه العام .

سابعا : علاقة الشرك بشروط لا إله إلا الله :

شروط لا إله إلا الله تنافي الشرك :

فالمشرك نقض شرط العلم فجهل .

ونقض شرط المحبة فأبغض التوحيد وأحب معبوداته من دون الله.

والصدق حيث كذب المشرك في نفسه وأكذب ربه وزعم أن الله أراد الشرك.

وشرط اليقين حيث أن المشرك شاك في التوحيد مشكّك في ربه .

وشرط القبول حيث رد التوحيد ولم يقبله .

والانقياد حيث امتنع عن الإذعان والتسليم لربه فأشرك وعبد غيره وانقاد له.

وشرط الإخلاص حين أشرك ولم يخلص في عبادته لله .

وهذا الشرط والسابق ظاهر الزوال والإبطال في الشرك أكثر من غيره .

فتبين بذلك أن الشرك هادم للشروط السبعة جميعها.

ثامنا: علاقة الشرك بالكفر بالطاغوت :

الشرك حقيقته كفر بالله وإيمان بالطاغوت، فالتوحيد والإيمان والعروة الوثقى والإخلاص تقوم حقيقتها على ركنين: الإيمان بالله وعبادته والكفر بعبادة كل معبود سواه، وكل معبود من الخلق فهو طاغوت إن كان راضيا بعبادته، وعبادته طغيان يجب التبرؤ منه والكفر به .

تاسعا :علاقة الشرك بأنواع الكفر :

الكفر له خمسة أنواع وهذه الأنواع في الحقيقة هي صفات لحال الكفر .

فالكفر إما أن يكون إعراضاً أو عناداً واستكباراً وإباءً وامتناعاً أو شكاً أو نفاقاً أو تكذيباً ورداً وجحوداً أو ردةً عن الدين .

والشرك يكون بأحد هذه الأنواع فقد يكون صفته وسببه الإعراض أو العناد والإباء أو الشك أو التكذيب والجحود أو النفاق ويكون أصليا أو ردة عن الدين .

عاشرا : علاقة الشرك بالإسلام والإيمان والتوحيد والشهادتين :

الشرك ضد التوحيد والشهادتين فلا يجتمعان وسيأتي بيانه .

والشرك ينقض الإسلام والتسليم والانقياد .

والشرك ينقض الإيمان فيصير صاحبه كافراً .

السابعة عشرة : تعلقات التوحيد والشرك :

١ - يتعلق التوحيد والشرك بالله .فيقال توحيد الله والشرك بالله .

٢ - ويتعلقان بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات .

فيقال توحيد الألوهية وشرك الألوهية ومثله الربوبية .

٣- ويتعلقان بالعبادة . فيقال توحيد العبادة لله والشرك في العبادة .

٤ – ويتعلقان بالإسلام . فيقال توحيد الإسلام لله .

وجاء الأمر بالتوحيد في الإسلام في قوله: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ﴾ .

٥ – ويتعلقان بالدين . فيقال توحيد الدين ﴿ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ والشرك في الدين.

٦ – ويتعلقان بالشريعة ويأتي الشرك في التشريع ﴿ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾.

٧– ويتعلقان بالرسول . فيقال توحيد الرسول بالمتابعة وشرك المتابعة.

٨– ويتعلقان بالإيمان . فيقال توحيد الإيمان بالله. ﴿ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾.

٩– ويتعلق التوحيد والشرك بالانقياد والطاعة .

ويتعلق التوحيد والشرك بالحكم والمحبة والدعاء والخلق والأمر والتدبير وبقية أفعال وأفراد الألوهية والربوبية والصفات .

الثامنة عشرة: توحيد الإيمان والدين والشرك فيها والإيمان بها :

دخول التوحيد والشرك في الدين :

أخبرنا الله ﷻ أن الدين له وحده وأمرنا بتوحيد الدين لله وأن نجعله خالصا له فلا ندين لغيره ولا نمتثل ونلتزم بأي دين غير دين الإسلام :

قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ الزمر: ٣ ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة: ٥ ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ الزمر: ١٤ ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ .

وأمر ﷻ بالقتال حتى يكون الدين كله لله ولا يكون فيه شركا : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ الأنفال: ٣٩ والفتنة هنا الشرك .

قال الطبري: ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ : (حتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله) .

وأنكر ﷻ على من جعل لله شريكا يشرع الأحكام ويسن الدين ويحلل ويحرم: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١ ﴿ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ الأنعام: ١٣٧ ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ النساء: ٦٠.

وذكر ﷻ الأديان الكفرية الشركية في قوله ﴿ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم ﴾ آل عمران: ٢.

فائدة: الدين يضاف إلى الله وإلى العبد : والدليل قوله ﷻ فيهما :

﴿ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ النساء: ١٤٦. ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ آل عمران: ٨٣ .

قال ابن تيمية:(الدين مصدر والمصدر يضاف للفاعل والمفعول،يقال دان فلان فلانا إذا عبده وأطاعه، كما يقال دانه إذا أذله، فالعبد يدين لله أي يعبده ويطيعه، فإذا أضيف للعبد فلأنه العابد المطيع، وإذا أضيف إلى الله فلأنه المعبود المطاع). ١٥/١٥٨.

المسألة التاسعة عشرة: توحيد الإيمان والشرك فيه والإيمان بالتوحيد وبالشرك:

لا بد من الإيمان بتوحيد الله ، وأن يكون الإيمان بذاته قائماً بالتوحيد ، فلا يشرك في إيمانه ، فكما أن التوحيد يكون بالإيمان ، فكذلك العكس الإيمان يكون بالتوحيد ، وهذا هو الإيمان بالتوحيد والتوحيد بالإيمان .

فكما يجب الإيمان بالتوحيد لابد من التوحيد في الإيمان .

ودليل دخول التوحيد في الإيمان وأن الإيمان يكون بالتوحيد :

﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ ﴾ ﴿ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾.

ودليل حصول الإيمان بالشرك: ﴿ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا ﴾ ﴿ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ وهو الكفر والشرك .

وهذه الآيات تثبت الحالتين :

الشرك في الإيمان والإيمان بالشرك . والكفر بالإيمان والإيمان بالكفر.

والتوحيد في الإيمان والإيمان بالتوحيد.

فالإيمان يدخله التوحيد والشرك كالعبادة .

والإيمان يكون مشروعا ويكون ممنوعا كما أن الكفر يكون ممنوعا ومشروعا.

فالإيمان المشروع هو الإيمان بالله وحده وبرسوله وبما أمر وباليوم الآخر.

والإيمان الممنوع هو الإيمان بالكفر والشرك والإيمان بالطاغوت والإيمان بالمعبودات الباطلة: ﴿ يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا ﴾ ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ ﴿ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾.

والكفر الممنوع يتعلق بالله ورسوله ودينه:

الكفر بالله وبرسوله: ﴿ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ ﴿ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ .

والكفر بالإيمان وبالتوحيد: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ ﴿ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ﴾.

والكفر المشروع يتعلق بالشرك وبالطاغوت :

﴿ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ ﴿ يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾ .

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴾ ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ . دلالة على إثبات الإيمان بالتوحيد والكفر بالشرك .

وقوله ﷻ: ﴿ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡۖ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْ ﴾ ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾.

تدل هذه الآيات على عكس الأولى إثبات الإيمان بالشرك والكفر بالتوحيد .

فائدة : الإيمان والدين يتعلق بالله وهو ما أمر به ويتعلق بالعبد فيكون منه المشروع وهو ما كان عن الله وباطل مذموم وهو ما كان من العبد وخالف به الحق :

﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ ﴿ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ ﴾ .

فالإيمان الصحيح ما كان عن الله وكان بالله وحده وكان مستصحباً العمل.

والقاعدة أن الشرك يتعلق بالله ﷻ وبما يخصه من : ربوبية الله وألوهيته وعبادته وطاعته وحكمه وشريعته ودينه وقدره ورسالاته والإيمان به والإسلام له .

العشرون : فائدة لغوية:

هل يصح أن يقال الشرك في التوحيد والشرك في توحيد الربوبية والشرك في توحيد الألوهية، أو يقال الشرك في الألوهية والشرك في الربوبية ؟ .

العبارة الصحيحة : أن يقال الشرك في الألوهية والشرك في الربوبية، ولا يقال الشرك في التوحيد والشرك في توحيد الربوبية والشرك في توحيد الألوهية .

وعلة ذلك : أن التوحيد يقابل الشرك ولا يجتمعان، فالتوحيد لا يتعلق به الشرك وإنما يتعلق بالعبادة والألوهية والربوبية، أما من وحّد وأتى بالتوحيد فلا يقال أشرك في توحيده وإنما أشرك في عبادته .

الحادية والعشرون : أسماء الشرك والألفاظ التي تطلق عليه :

التنديد – العدول – التسوية – الأمثال – الكفؤ .

أولاً : التنديد:

هو بمعنى الشرك والند هو الشريك والمثيل ومنه: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ البقرة:٢٢ أي شركاء تعبدونهم من دون الله وتجعلونهم أنداد لله تعبد وتساوونها به ﷻ.

أقوال المفسرين من السلف في معنى الند :

قال ابن عباس الأنداد: الأشباه والند الشبيه .

وقال ابن مسعود: الأكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله .

وقال مجاهد الأنداد: العدلاء .

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: الأنداد الآلهة والشفعاء.

وقال الطبري الند: العدل والمثل .

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: (أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده) وفي رواية (أجعلتني لله عدلا؟ قل ما شاء الله وحده) رواه أحمد .

فائدة : التفريق بين الشرك والند في حديث أبي بكر عند أبي يعلى :

الشرك : أعطاني الله وفلان .

الند : لولا فلان لقتلني فلان .

وإن كان ظاهرهما واحداً ، إلا أن بينهما فرقاً لطيفاً :

وهو أن الشرك ذكر الرب ومعه غيره مشروكا معه لولا الله وفلان، أما الند فيذكر المخلوق وحده دون الله لكن في فعل ليس من مقدوره لولا فلان لكان كذا.

فائدة قوله : (كفر أو أشرك) دليل على عدم التفريق بينهما ، وتقدم.

(عدلا) و(ندا) بمعنى واحد وتقدم .

ثانياً : التسوية:

يسمى الشرك تسويةً، لأن المشرك سوّى بين الخالق والمخلوق يقول تعالى حاكيا كلام المشركين: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الشعراء:٩٧ -٩٨.

والتسوية هنا حصلت بعبادة الأوثان، ولم يسووا بين الرب وبين هذه الآلهة الباطلة من كل وجه أو في الربوبية والخلق كما يزعم مشركوا زماننا من عباد القبور والأولياء وإنما كانت التسوية في دعائهم ومحبتهم مع الله ﷻ.

ثالثاً : العدول :

يسمى الشرك عدولاً، لأن فاعله عدَل عن الرب ﷻ وترك عبادته إلى عبادة غيره وعدل بينهما أي ساوى بينهما واتخذ المشرك إلها يعبده غير ربه ﷻ قال تعالى : ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ النمل ٦٠ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ الأنعام: ١.

وقد جاء التعبير بالعدل تارة وبالشرك تارة وبالند تارة :عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: (أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده) وفي رواية (أجعلتني لله عدلا؟ قل ما شاء الله وحده) رواه أحمد .

وقد جاء التعبير بالعدل تارة وبالشرك تارة مما يدل على أن العدول عن عبادة الله هو بمعنى الشرك، كما جاء في سورة النمل:

آية الشرك: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

آية العدول: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ .

وللعدول معنيان :

الأول: العدول عن الشيء أي تركه : ترك عبادة الله إلى عباده غيره .

يعدل عن ربه أي يترك عبادته ويميل إلى عبادة غيره.

الثاني: العدول بالشيء وهو التسوية : تسوية غير الله بالله .

فيعدل بربه أي يساوي المخلوق به .

والأول هو شرك التعطيل والثاني هو شرك التمثيل .

رابعاً : الأمثال:

وذلك بجعل معبودات مع الله تكون مثله تعالى عن ذلك قال سبحانه : ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٧٤ أي تمثلوه بخلقه وتمثلوا خلقه به.

وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الشورى: ١١ .

خامساً : الكفؤ :

من عبد غير الله فقد جعل معبوده كفؤاً لله، والله ﷻ أنكر أن يكون له مثيل وشبيه وكفؤ ، قال سبحانه : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ الإخلاص: ٤ .

سادساً : الإلحاد :

الشرك أحد درجات الإلحاد كما أن الإلحاد داخل في الشرك وبينهما ترابط والله توعد الملحدين بقوله ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٠ .

والإلحاد أنواع كثيرة كلها داخلة في الشرك على التحقيق كما سيأتي.

الثانية والعشرون : التوجه والقصد والإرادة والطلب والجعل والاتخاذ بمعنى العبادة :

جاءت اطلاقات في لغة العرب ووردت في الشرع بمعنى الشرك وصرف العبادة لغير الله منها :

التوجه والقصد والطلب والجعل والابتغاء والاتخاذ والإلحاق والإسلام والإرادة وأيضاً التنديد، العدول، التسوية، الأمثال، الكفؤ :

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ﴾ الأنعام: ٧٩ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ الروم: ٤٣ ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ البقرة: ٢٧٢ ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ البقرة: ١١٢ ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ الروم: ٣٨ ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الأنعام: ٥٢ ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ ق: ٢٦ ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ الإسراء ٢٢ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ البقرة: ٢٢ ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ النحل: ٥١ ﴿اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ الزمر: ٤٣ ﴿اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ الزمر: ٣ ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ التوبة: ٣١.

فائدة : هذه صفات في العابد وفعل له ، وليست من أفعال المعبود .

فالعابد هو المتخِذ والمبتغي والجاعل والمعبود هو المتَخَذ والمبتغى والمجعول .

فائدة : عبارة الإلحاق والاتخاذ والجعل والابتغاء تؤكد أن هذه المعبودات الباطلة ليست متصفة بالإلهية في ذاتها وإنما بجعل المشركين وإلحاقهم ، فالإله الحق مستحق للعبادة بالذات لما اتصف به من صفات الربوبية وليس بجعل جاعل .

مصطلح الاتخاذ :

اتخاذ الله معبودا وحده،واتخاذ شركاء والشفعاء والوسائط والآلهة والأرباب.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً﴾ ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾ ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾ ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾ ﴿اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا

﴿ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي ﴾ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا ﴾ ﴿ تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾.

مصطلح الجعل : جعل الآلهة إله واحد وجعل إلهاً مع الله .

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ ﴿ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾

مصطلح الإلحاق: ﴿ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ﴾

مصطلح الابتغاء : ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا ﴾ ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا ﴾.

وقفة مع الآيات :

﴿ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ سبأ: ٢٧

قل للمشركين أروني خلق ورزق وربوبية معبوداتكم وإجابتهم لدعائكم وأفعالهم التي استحقوا لأجلها أن يعبدوا وتصرف لهم العبادة وتجعلوهم أندادا لله .

ألحقتم : أي ألحقتم المعبودات بالله .

والحق أن الأمر ليس كما زعموا ، فليس لله شريك في العبادة.

وقد أمرهم الله في آية الرعد ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ أن يسموا معبوداتهم بأسمائها التي يعرف بها حقيقتها وأنها جمادات لا تنفع وأنها مؤنثة .

الثالثة والعشرون : أسماء المعبودات وأنواعها وصورها :

الرب :

يطلق ويراد به الإله المعبود ويطلق ويراد به الخالق . ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٩٢ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾ البقرة: ٢١.

كما يطلق على المعبودات الباطلة أربابا﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا ﴾ ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ يوسف: ٣٩.

الإله : ومعناه المعبود:

﴿ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ الزخرف: ٤٥﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ الأعراف: ٥٩.

كما يطلق على المعبودات الباطلة آلهة ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي ﴾.

المعبود والمدعو: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ غافر: ٦٦.

الشفعاء : تطلق عل المعبودات المخلوقة الباطلة :

﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ ﴾ الأنعام: ٩٤﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ ﴾ الأعراف: ٥٣﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ﴾ الزمر: ٤٣﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ الروم: ١٣.

الشريك والشركاء: تطلق عل المعبودات الباطلة التي تعبد مع الله:

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ الرعد: ٣٣﴿ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ﴾ سبأ: ٢٧﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ ﴾ القلم: ٤١﴿ فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الأنعام ١٣٦﴿ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ الكهف: ٥٢.

الوسائط المقربة : ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ﴾ الأحقاف: ٢٨.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣.

الأصنام: أكثر ما تطلق على المعبودات الجامدة وهي غالباً رموز لبشر صالحين . ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ الأنعام: ٧٤﴿ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾ الأعراف: ١٣٨﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ إبراهيم: ٣٥﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ الشعراء: ٧١.

تنبيه: حقيقة الصنم :

قال ابن القيم : (وضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب، فجعلوا الصنم على شكله وصورته ليكون نائبا منابه، وقائما مقامه وإلا فمن المعلوم أن عاقلا لا ينحت خشبة أو حجرا بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده) إغاثة اللهفان ٢/ ٢٢٠ .

وقال الرازي في تفسيره (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) : (أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر يكونون شفعاء لهم عند الله تعالى، ونظيره في هذه الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله) .

الأوثان: وكل معبود يسمى وثنا .

قال النبي ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) . رواه مالك وأحمد.

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا ﴾ العنكبوت: ١٧﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ ﴾ العنكبوت: ٢٥ ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ الحج: ٣٠ .

الفرق بين الوثن والصنم : قال الطبري في تفسيره أنهما بمعنىً واحد .

وذكر الكلبي في كتاب الأصنام في التفريق بينها سبعة أقوال كلها ضعيفة .

وأصحها: الصنم: ما له صورة ، والوثن: ما ليس له صورة كالقبور والشجر.

التماثيل : تطلق على الصور المجسمة ومنها الأنصاب وهي الأحجار التي يعكف عليها المشركون، وتطلق على الصور غير المجسمة .

﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ الأنبياء: ٥٢ .

قال النبي ﷺ : (لا تدعْ تمثالاً إلا سويته) رواه مسلم.

مسألة : من الآلهة المعبودة الباطلة :

١- الأشجار والأحجار.

٢- الأنبياء والأولياء من الأحياء والأموات .

٣- الجن .

٤- الملائكة .

٥- الشيطان ونشأت فرقة معاصرة تصرح بعبادته.

٦- العلماء والأحبار والرهبان في التشريع والطاعة.

٧- الملوك والرؤساء.

٨- القبور والصور.

٩- الحيوانات كالبقر في الهندوس وعند السامريين .

١٠- الكواكب .

١١- الشمس والقمر.

١٢- النار عند المجوس .

١٥- عبادة الهوى والمال.

١٧- الفروج يقول عباده في الهند أنت المعبود منك خرجنا وإليك نعود .

فائدة : حقيقة اللات :

سميت بذلك إما اشتقاقا من اسم الإله والعزى من العزيز .

أو سميت اللاتّ بالتشديد لأنها صفة من لت السويق .

قال ابن عباس: اللات كان رجلا يلت السويق فلما مات عكفوا على قبره. رواه البخاري .

وذكر الفاكهي عن ابن عباس: أن اللات لما مات قال عمرو بن لحي: إنه لم يمت ولكنه دخل الصخرة فعبدوها وبنو عليها بيتا وصنما .

وعبدت الصخرة التي على قبره وعظمت تبعا لا قصدا فالعبادة أرادوا بها صاحب القبر الرجل الصالح، والصخرة والتمثال والصنم رمز له . فتأمل فعل المشركين مع هذا الوثن وقارن بينه وبين ما يفعله مشركوا زماننا من بناء القباب على قبور الصالحين والعكوف عندها ودعائها وجعلها ملاذا عند الشدائد .

الرابعة والعشرون : مصطلح الشركاء:

مسألة :معنى شركاء **ولماذا سمي المعبود شريكا**: لأن العبد وضع مع الله شريكا له يعبد مثله ويرجى ويدعى فيشركه مع الله في خصائص الله .

فائدة: تطلق الشركاء وتضاف للعابد والمعبود :

أمثلة إضافة الشركاء لله : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ ﴿ أَيۡنَ شُرَكَآءِىَ ﴾.

أمثلة إضافة الشركاء للعابدين المشركين : ﴿ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم ﴾ ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ ﴾ ﴿ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾.

مسألة: وجه اختلاف الضمائر (شركاء شركائي شركائكم شركائهم شركائنا).

أولاً : معنى ﴿ شُرَكَآئِكُم ﴾ ، **ولِـمَ قال شركائكم في مواضع؟**:

١- لأنها شركاء العابد المشرك في الشفاعة ، فهي تشفع معه وتشفعه ، فهي شركاء في طلب الشفاعة عند الله والتقريب عنده .

٢- لأنها شركاء المشرك في الخلق والعبودية، وجميعهم حاجتهم إلى لله الخالق .

ثانياً : معنى ﴿ شُرَكَآءِيَ ﴾ ، أضاف الله تعالى الشُّرَكَاءَ إِلَى نفسه لعدة أوجه :

١- حكاية لإضافتهم، والإضافة تكون بأدنى ملابسة .

٢- ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم .

٣- شُرَكَائِي فِي زَعْمِكُمْ واعتقادكم أيها المشركون. وذلك أنَّ المشركين كانوا يعبدون الأصنام على أنَّهم شركاء الله في العبادة وشفعاءهم عنده تقربهم إليه.

ويقول لهم: ﴿ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ﴾ الذين زعمتم في الدنيا أنهم شركائي فما لهم لا ينقذونكم من العذاب. وقال ابن عباس {كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ} : تخالفون فيهم. وقيل معناه: تحاربون وتعادون المؤمنين في شأنهم.

الخامسة والعشرون : الشيطان هو الإله الحقيقي للمشركين:

من عبد غير الله ﷻ ودعاه سواء دعا ملكا أو نبيا أو وليا صالحا أو كوكبا أو شجرا أو حجرا أو نارا أو نجما أو الشمس والقمر أو غير ذلك، فقد عبد الشيطان على الحقيقة ووقعت له وصارت إليه، لأن هذا الشرك من أمر الشيطان ووسوسته فمن أطاعه فقد عبده وإن ادعى أنه يعبد الملك، ولذلك تنكر الملائكة هذه الدعوة حين تسأل عن المشركين هل عبدوكم فينكرون ويتبرؤون،: يقول الله تعالى عنهم:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ سبأ: ٤٠ – ٤١ .

﴿ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ يعني آمنوا بالجن وبعبادتهم للجن، فالإيمان هنا بمعنى العبادة فآمنوا أي صرفوا العبادة للجن فصاروا عباداً لهم

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ ﴾ الفرقان: ١٧ – ١٩.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ يعني المعبود والعابد الآلهة الباطلة والمتعبدين العباد الظلمة الذين صرفوا العبادة لغير الله ﴿ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ ، آمنوا بالجن يعني عبدوا الجن، فالإيمان هنا بمعنى العبادة فآمنوا أي صرفوا العبادة للجن فصاروا عباداً لهم قال تعالى : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ النساء: ١١٧ – ١١٨.

فالقاعدة أن من عبد ودعا غير الله فقد عبد الشيطان من جهتين :

الأولى: أنه أطاع أمره حين أمره بالعبادة والشرك فصار عابداً له حين أطاعه ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١.

الجهة الثانية : أنه المشرك يظن أنه يعبد الملك أو الكوكب أو النجم أو الشجر أو الشمس ويسجد لهم ونحو ذلك ويخاطبهم وهو في الحقيقة يخاطب الجن والجن يخاطبونه، ولذلك من عبد الشمس وسجد لها فهو في الحقيقة سجد للشيطان وفي

الحديث : (أن الشمس تغرب بين قرني الشيطان) فيتمثل للغروب حتى يسجد لـه، فمن سجد للشمس فهو في الحقيقة وقع سجوده للشيطان ، والشمس بريئة من هـذا الشرك وتتبرأ يوم القيامة من هؤلاء المشركين وكذا الملائكة ويقولون بل كانوا بـالجن مؤمنين يعبدونهم ويصرفون الدعاء لهم ونحن براء من هذا الشرك .

السادسة والعشرون: درجات الشرك ومـخالفات التوحيد :

١ – إنكار وجود الله سبحانه بالكلية كما هو مـذهب الـشيوعية والدهرية وفرعون منكر وجود الله ومدعي الربوبية.

٢ – إنكار ربوبية الله ﷻ مع الإيمان بوجود هومن غـير إنكـار وجـوده وهـذا مذهب الفلاسفة الذين يقولون الله علة المعلـول لا يـصدر عنـه شيء ولا يفعـل ولا يخلق ولا يتصف بفعل أو صفة وإنما الخلق كله قديم حدث بحدوث الله فهـو وجـد بالعلة الأولى والعقل والفلك الأول .

٣– الإيمان بربوبية الله لكن من دون توحيده ﷻ فيها، وهؤلاء لا يوحدون الله في الربوبية وإن كانوا يثبتونها له، فيقولون الله خالق رازق مدبر مالك، ولكن يوجـد غيره من المخلوقين ممن له صـفة الربوبيـة فيخلـق ويـدبر، وهـذا مـذهب المجـوس القائلين للعالم خالقان وكذا القدرية الذين يقولون العبد يخلق فعلـه وكـذا الـصوفية الغلاة القائلين أن الأولياء يعلمون الغيـب ويتـصرفون في الخلـق ويـدبرون الكـون ويملكون الجنة والنار وكذا النصارى أصحاب التثليث وكـذا حـال النمـرود الـذي ادعى الربوبية لنفسه وجعل من نفسه ندا لله يخلق ويحيي ويميت مع الله.

٤- من يؤمن بتوحيد الربوبية لله ولكن يقع في الشرك في بعض أفرادها كالشرك في التشريع والحكم أو يحصل منه ما يقدح فيها أو ينقص كمالها، ومن ذلك الشرك الأصغر في الربوبية بتعليق التمائم والرقى والتبرك الممنوع بل كل من عصى الله من أهل التوحيد فقد قدح في كمال الربوبية ولم يعظم الله ولم يقدره حق قدره كذلك من يعطل الله من صفات كماله أو يمثله أو يقع في الشرك في الألوهية .

٥- من يثبت توحيد الربوبية لله ﷻ ويؤمن به لكن ينكر الألوهية فلا يعبده فيعرض عن الطاعة ويمتنع عن العمل، أو يقول الله لا يعبد وليس في حاجة للعبادة ولا فائدة من عبادته والله لم يأمر بها وهذا قول طوائف من الفلاسفة والملاحدة .

٦- من يثبت الألوهية لله ولكن لا يوحد الله فيها فيشرك غيره مع الله وهذا دين معظم المشركين الذين يعبدون الله ويعبدون معه آلهة أخرى .

٧- من يؤمن بتوحيد الألوهية ويثبته لله وحده لكن يقع فيما يقدح في كماله أو يخالف في بعض أفراده ومن هؤلاء أصحاب الشرك الأصغر .

السابعة والعشرون : لماذا كان الشرك أعظم الذنوب :

لأن الشرك حقيقته تمثيل الرب الكريم بالمخلوق الحقير، وكذلك تمثيل المخلوق الذليل بالله العزيز القهار، وجعلهما بمنزلة واحدة، فأي كفر وذنب بعد هذا الكفر، وبيان ذلك من وجهين :

أولاً : أن المشرك يسلب الرب ﷻ صفاته العلى من علم وإحاطة وإدراك ورحمة وكرم وقدرة، وينسب ضدها له سبحانه من الجهل والعجز والبخل تعالى الله

عن ذلك، لأن حقيقة الشرك يستلزم أن الله لا يرحم إلا بالوسائط والشفعاء ولا يعلم بأحوال عباده إلا بهؤلاء الشركاء ولا يقدر إلا بهم.

ثانياً : ثم بعد وقوع المشرك في تنقيص الله وسوء ظنه به وعدم تقديره، وتشبيه الرب بملوك الأرض أهل الجهل والعجز والحقارة والذلة والمسكنة فلا يقدرون على شيء ولا يحيطون بشيء علماً.

فانظر كيف يقع المشرك في ضد ذلك ويعكس الآية، فيعظم المخلوق ويرفعه عن درجته ومكانته اللائقة به والتي تناسب نقصه وضعفه وجهله وعجزه وذلته وفقره وقلة رحمته، ويرفعه إلى درجة الإله الخالق والرب العظيم القادر ويجعله بمنزلة لا تليق بأحد سوى ملك الملوك وعلام الغيوب القاهر العزيز.

فهل هناك ذنبٌ أعظم من تسوية رب الأرباب بالمخلوق من تراب وتنقيص الله ﷻ العزيز العليم وتعظيم المخلوق الفقير الذليل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وأي تنقيص للرب ﷻ وسوء ظن به وعدم تقديره وتعظيمه بعد هذا كله.

وللإمام ابن القيم كلام نفيس حول هذه المسألة نسوقه بطوله يقول رحمه الله:

(إن الله ﷻ أرسل رسله وأنزل كتبه وخلق السموات والأرض ليعرف ويعبد ويوحد ويكون الدين كله لله والطاعة كلها لله وحده والدعوة له كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ وقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ الطلاق: ١٢ وقال: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ المائدة: ٩٧

فأخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر وتشريع الشرائع والدين أن يعرف بأسمائه وصفاته ويعبد وحده لا يشرك به، وأن يقوم الناس بالقسط وهو العدل ومن أعظم القسط التوحيد وهو رأس العدل وأعدل العدل وقوامه، والشرك ظلم عظيم وأظلم الظلم، فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له وما كان أشد موافقة لهذا المقصود فهو أوجب الواجبات وأفرض الطاعات . فتأمل هذا الأصل حق التأمل واعتبر تفاصيله تعرف به حكمة أحكم الحاكمين وأعلم العالمين فيما فرضه على عباده وحرمه عليهم، وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصي .

فالشرك لما كان منافيا لهذا المقصود كان من أكبر الكبائر على الإطلاق وحرم الله الجنة على كل مشرك وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد، وأن يتخذوهم عبيدا لهم لما تركوا القيام بعبوديته، وأبى الله سبحانه أن يقبل من مشرك عملا أو يقبل فيه شفاعة أو يستجيب له في الآخرة دعوة أو يقيل له عثرة فإن المشرك أجهل الجاهلين بالله حيث جعل له من خلقه ندا وذلك غاية الجهل به وغاية الظلم منه وإن كان المشرك لم يظلم ربه وإنما ظلم نفسه . وقعت مسألة وهي :

أن المشرك إنما كان قصده تعظيم جناب الرب تبارك وتعالى وأنه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك، فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية وإنما قصد تعظيمه، وقال إنما أعبد الوسائط لتقربني إليه وتدلني وتدخلني عليه، فهو المقصود وهذه وسائل وشفعاء . فلم كان هذا القدر

موجبا لسخطه وغضبه تبارك وتعالى ومخلدا في النار وموجبا لسفك دماء أصحابه واستباحة حريمهم وأموالهم ؟

وهل يجوز أن يشرع الله سبحانه لعباده التقرب إليه بالوسائط والشفعاء، فيكون تحريم ذلك إنما استفيد من الشرع، أم أن ذلك قبيح في العقول والفطر ويمتنع أن تأتي به شريعة ويقره دين وعقل ؟

فتأمل هذا السؤال واجمع قلبك وذهنك على جوابه ولا تستهونه فإن به يحصل الفرق بين المشركين والموحدين والعالمين بالله والجاهلين به وأهل الجنة وأهل النار .

ثم بدأ رحمه الله في الجواب وذكر أقسام الشرك وأنواعه ثم قال :

حقيقة الشرك هو تشبيه بالخالق والتشبيه للمخلوق به هذا هو التشبيه في الحقيقة، لا إثبات صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله، فعكس الأمر من نكس الله قلبه وعميت عين بصيرته وأركسه بكسبه فجعل التوحيد تشبيها تعظيما وطاعة، فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، فإن من خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده، ومن علق ذلك بالمخلوق فقد شبهه بالخالق، وجعل من لا يملك لنفسه فضلا عن غيره ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا شبيها لمن له الأمر كله وأزمة الأمور كلها بيده ومرجعها إليه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع . فمن أقبح التشبيه تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات .

ومن خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده، من التعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوبة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب، كل ذلك عقلا وشرعا وفطرة لا يكون إلا لله وحده، ويمنع أن يكون لغيره . فمن جعل شيئا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثيل ولا ند له وذلك أقبح التشبيه وأبطله، ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة .

ومن خصائص الإلهية العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونها : غاية الحب مع غاية الذل، فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه في خالص حقه، وهذا قبحه مستقر في كل العقول والفطر ولكن الشياطين غيرت فطر أكثر الخلق وأفسدتها واجتالتهم عنها .

إذا عرف هذا فمن خصائص الإلهية السجود فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به . ومنها التوكل والتوبة . هذا في جانب التشبيه .

أما جانب التشبه به : فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء وتعليق القلب به خوفا ورجاء والتجاء واستعانة، فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وألوهيته وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان ويذله غاية الذل ويجعله تحت أقدام خلقه . وفي الصحيح قال ﷺ : (يقول الله ﷻ العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبته) . وإذا كان المصور الذي يصنع

الصورة بيده من أشد الناس عذابا يوم القيامة لتشبهه بالله تعالى في مجرد الصنعة، فما الظن بالتشبه بالله في الربوبية والإلهية ؟!

وكذلك من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي إلا لله وحده كملك الأملاك وحاكم الحكام .

إذا تبين هذا فهاهنا أصل عظيم يكشف سر المسألة وهو أن أعظم الذنوب عند الله إساءة الظن به فإن المسيء به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس وظن به ما يناقض أسماءه وصفاته ولهذا توعد الله الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم كما قال تعالى : ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ الفتح: ٦ ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ فصلت: ٢٣ ﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الصافات: ٨٥ – ٨٧ ، أي فما ظنكم أن يجازيكم به إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وما ظننتم به حتى عبدتم غيره وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى أحوجكم ذلك إلى عبودية غيره ؟ فلو ظننتم به ما هو أهله من أنه بكل شيء عليم وهو على كل شيء قدير وأنه غني عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير إليه وأنه قائم بالقسط على خلقه وأنه المنفرد بتدبير خلقه لا يشركه فيه غيره والعالم بتفاصيل الأمور فلا يخفى عليه خافية من خلقه والكافي لهم وحده فلا يحتاج إلى معين والرحمن بذاته فلا يحتاج في رحمته إلى من يستعطفه، وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء فإنهم يحتاجون إلى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم ويعينهم على قضاء حوائجهم وإلى من يسترحمهم ويستعطفهم

بالشفاعة فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورة لحاجتهم وضعفهم وعجزهم وقصور علمهم، فأما القادر على كل شيء الغني بذاته عن كل شيء العالم بكل شيء الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه تنقص بحق ربوبيته وإلهيته وتوحيده وظن به ظن السوء وقبح ذلك مستقر في العقول السليمة فوق كل قبح .

ويوضح هذا أن العابد معظم لمعبوده متأله له خاضع ذليل له، والرب تعالى وحده هو الذي يستحق كمال التعظيم والإجلال والتأله والخضوع والذل وهذا خالص حقه، فمن أقبح الظلم أن يعطى حقه لغيره أو يشرك بينه وبينه فيه، ولا سيما وأن هذا الشريك عبده ومملوكه، وإذا كنتم أيها البشر تأنفون أن يشارككم مملوككم في أرزاقكم وأملاككم فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا منفرد به وهو الإلهية التي لا تنبغي لغيري ولا تصلح لسواي ؟

فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري ولا عظمني حق تعظيمي ولا أفردني بما أنا منفرد به وحدي دون خلقي . فما قدر الله حق قدره من عبد معه غيره كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحج: ٧٣ - ٧٤ ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الزمر: ٦٧ . فما قدر من هذا شأنه وعظمته حق قدره من أشرك معه في

عبادته من ليس له شي من ذلك ألبته بل هو أعجـز شيء وأضـعفه فـما قـدر القـوي العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل.

وكذلك ما قدر الله حق قدره من قال إنه لم يرسل إلى خلقـه رسـولا ولا أنـزل كتابا وترك خلقه سدى وأهملهم وخلقهم عبثا، وما قدره مـن نفـى أسـمائه وصـفاته وحرفها، وما قدره من قال أنه يعاقب العبد على ما لا يفعله ويجوز أن يعاقب المطيـع وأنه يجبر العبد على فعله، ولم يقدره من جعل له صاحبة وولدا، وما قدره من قال أنه لا ينصر دينه وأوليائه ويرفع أعداء رسوله وأتباعه، وماقدره مـن زعـم أنـه لا يحيـي الموتى ولا يبعث من في القبور، ولم يقدره حق قدره من هان عليه أمره فعصاه ونهيـه فارتكبه وحقه فضيعه وذكره فأهمله واستخف بنظره إليه ومراقبته له واطلاعه عليـه يعظم نظر المخلوق ويستحي مـن النـاس ولا يـستحي مـن الله ويخـشى النـاس ولا يخشى الله وإذا بذل ماله بذل له مالا يستحي أن يهبه لمخلوق .

فهذه إشارة لطيفة إلى السر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله تعـالى وأنه لا يغفره بغير التوبة وأنه يوجب الخلود في العذاب وأن تحريمه لـيس لمجـرد أن الله نهى عنه وإنما العقل والفطرة تستقبحه وتنكـره فـالله تعـالى خلـق الخلـق وأنـزل الكتاب وأمر وشرع لتكون العبادة والطاعة له وحده والشرك والكـبر ينافيـان ذلـك ولذلك حرم الله علـيهما الجنـة) انتهـى كلامـه رحمـه الله وهـو مـن الحجـة والبيـان والبرهان كما ترى نسأل الله أن يرزقنا رضوانه ويميتنا على التوحيد ويجنبنـا وبنينـا أن نعبد الأصنام . الجواب الكافي ١٥٠-١٦٩ .

الثامنة والعشرون : لماذا استحق الله تعالى العبادة دونما سواه ؟:

أوجه استحقاق الله للعبادة ووجوب توحيده بها:

الأول: لكمال صفاته وجلاله تقدس ربنا، فالله ﷻ يعبد لكماله من جميع الوجوه، ومن هذا الكمال أنه متصرف قادر خالق عالم بكل شيء، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ﴾ الزخرف: ٨١ أي أنه لو كان للرحمن ولد كما زعم المشركون لصحت عبادة هذا الولد، لأنه لو كان لله تعالى ولد لكسب صفات والده من صفات الكمال، فاستحق العبادة، ولما كان هذا مستحيل، فالولد منتفي عن الله انتفت العبادة عن غير لله وكذلك ليس لله شريك في العبادة لعدم وجود الكمال في غيره ، عليه فلا يمكن أن يعبد إلا الكامل والكامل لابد أن يعبد، ولا كامل مطلقاً إلا الله فيجب أن تكون العبادة له وحده ﷻ.

الثاني: لجماله ﷻ فله الجمال المطلق من جميع الوجوه، والذي لا يتصف بالجمال المطلق لا يمكن أن يعبد .

الثالث : لإنعامه ﷻ على خلقه وتفضله على عباده ولعظيم نعمته على خلقه فكل خير منه سبحانه ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴾ النحل: ٥٣ ، فهو المنعم وحده ولهذا استحق مع إنعامه المحبة والعبادة ويدعى ويجأر إليه وحده ، فمن أنعم عليك أحببته، وأي نعمة أعظم من نعمة الذي هداك وأوجدك وفطرك وعافاك وأعطاك كل ما سألت .

الرابع : لأنه ﷻ النافع الضار وحده ، فهو القادر أن ينفع ويضر والمتفرد وحده بذلك فيعبد لكمال علمه وقدرته فهو القادر على كل شيء والنفع والضر بيده

لا يصل العجز إليه بوجه من الوجوه، وغيره لا يمكن أن ينفع أو يضر ، إلا بـأمر الله وقدرته تعالى قال ﷺ : " واعلم أن الأمـة لـو اجتمعـت عـلى أن ينفعـوك بـشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ".

قال تعالى مبينا هذا الأصل أن النفع والضر بيده وحده وأن المعبودات لا تملكه : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡ ﴾ الفرقان: ٥٥ ﴿ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴾ الأنبياء: ٦٦ ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ الأنعام: ٧١ ﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ﴾ الحج: ١٢ ﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴾ الشعراء: ٧٣ ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ الإسراء:٥٦ ﴿ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴾ طه: ٨٩ ﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴾ الشعراء: ٧٢ - ٧٣ ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ ﴾ يس: ٧٤ - ٧٥.

ولنقف مع بعض الآيات الشاهدة بالتوحيـد واسـتحقاقه ﷻ العبـادة وحـده وبطلان عبادة ما سواه فهل في شيء من هذه الآلهة والمعبودات الباطلة مـن يـرزقكم وينجيكم من كل شيء ويكشف الضر ويعصمكم ويكلؤكم ويمنعكم من الله، ومـن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ومع هذا كله فالمشركون الذين بعثـت فيهم الرسل مقرون بهذا الأصل، كما أخبر تعالى أن هذه الآلهة لا تملك لأنفسها نفعا ولا ضرا فكيف تملكه لغيرها وكيف يعبـد شركـاء مـع الله هـل تخلـق كـما يخلـق الله فحصلت الشبهة لعبادها.

قــال تعــالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ سبأ: ٢٤ ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ يونس: ٣١ ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ الأنعام: ٦٣ ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ الأحزاب: ١٧ ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ الأنبياء: ٤٢ - ٤٣ ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ المؤمنون: ٨٦ - ٨٩ ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ الرعد: ١٦ .

الخامس : ولكمال غناه ﷻ وفقر كل مخلوق إليه فلا غنى لأحد عنه فهو الغني الحميد والصمد الكريم المجيد .

السادس : لكمال رحمته بخلقه ولطفه بهم ولعلمه بما يحتاجونه وما ينفعهم، ولا يمكن أن توجد هذه الصفة ولا ما سبقها من الصفات في أي مخلوق ولا في أي معبود سوى الله ﷻ. ألا تراه سبحانه استنكر على من اتخذ الشفعاء عنده والوسائط المقربة إليه بأنه يرحم ويقدر ويعلم بدونها وأن لازم اتخاذها أنه تعالى لا يعلم إلا بها وأن هذه الآلهة المعبودة والشفعاء تنبئه بما لا يعلم في أرضه وسمائه فقال : ﴿

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يونس: ١٨ وأخبر سبحانه أن هذه الصفات الناقصة في الحقيقة موجودة في هذه المعبودات والشفعاء البطلة ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ الزمر: ٤٣ ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ يس: ٢٣ ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ يونس: ١٠٦ - ١٠٧ .

لذلك كله استحق ربنا أن يحب ويجل ويعظم ويرجى ويهاب ويخاف منه ومن كانت هذه صفاته وهذا حاله وجب أن يدعى وحده ويُلتجأ إليه ويتوكل عليه دون غيره سبحانه. واستحق الله تعالى العبادة دونها سواه والإفراد بالألوهية والتوحيد ، لأمور لا توجد في غيره ﷻ ومن لم تكن فيه هذه الصفات فإنه لايستحق أن يعبد .

التاسعة والعشرون : أدلة أن المعبود لابد أن يكون خالقا :

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فاطر: ٤٠ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ الأحقاف: ٤ ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ الفرقان: ٣ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ الزمر: ٣٨ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ الحج: ٧٣ ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ الرعد: ١٦ ﴿

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ الأنعام: ١٠٢ ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ فاطر: ٣ ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ غافر: ٦٢ ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ الطور: ٣٥ ﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ الواقعة: ٥٩ ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ الصافات: ١٢.

قال ابن القيم :(فإن الإله الحق لابد أن يكون خالقا فاعلا يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر) مختصر الصواعق ٧٢ .

الثلاثون : حاجة العبد للعبادة :

كما أن الله ﷻ يستحق العبادة لأجل الكمال الذي تفرد به، لأن الكامل لابد أن يعبد ولا يعطل عن العبادة، فإن الناقص المتجرد عن الكمال لا يستحق أن يعبد بل هو في حاجة للعبادة لتكميل نقصه عند غيره ، ويكون بحثه بالالتجاء والطلب والإرادة وهذه هي العبادة، وكل من خلقه الله ﷻ فهو عبد لله بالمعنى العام ولو كان مشركاً أو صنماً أو يدعى من غير الله فهو محتاج إلى الله ﷻ ومضطر لعبادته .

فالألوهية التي هي العبودية تتعلق بالعبد فلا بد للمخلوق من ألوهية وعبودية لغيره فهي صفة من صفاته التي لا تنفك عنه وفعلاً من أفعاله إذا قام بها وتأله وتعبد، والمخلوق فطر على العبودية لله، وهذا مقتضى الفطرة والأصل، أو يعبد غيره ويعدل عن عبادة ربه ويشرك وهذا الظلم العظيم الذي لا يغفره الله .

فلا بد للمخلوق من عبادة إما لله وإما لغيره وهل سمي جميع الخلق عبيد الله إلا لذلك، وهذا إبليس أول من ترك عبادة الله والانقياد لأمره فعبد غيره وأطاع هواه وشهوته وصيره الله خادما لفسقة بني عدوه آدم.

ولذلك كانت العبودية على قسمين :

عبودية عامة : يشترك فيها كل من خلقه الله ﷻ .

عبودية خاصة : بالمؤمنين الذين عبدوا الله ووحدوه ولم يشركوا به.

الحادية والثلاثون: أسباب العبادة الشركية التي نفاها الله ﷻ :

قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون عباد الأوثان الملك والشراكة والمظاهرة والمعاونة والشفاعة ، وقد بينها الله تعالى في آية سبأ في قوله: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ﴾.

فالمشرك إما أن يظن أن هناك مالكاً غير الله سبحانه وأنه يوجد من يملك شيئاً خارجاً عن ملك الله .

أو يظن أن الله إنما تتم قدرته بقدرة الشريك ، فالكون بينه وبين غيره شراكة فيكون مالكا مع الله.

أو يظن أن الله ﷻ يحتاج لمن يدبر أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو معين.

وإما أن يظن أنه لا يعلم حتى يعلمه الواسطة، ولا يرحم حتى يسترحمه الشافع والواسطة وكذا لا يسمع ولا يكفي وحده .

أو يظن أن لأحد حق عليه فيقسم عليه بحق ذلك المخلوق ويتوسل إليه به.

وكل هذه الأمور فيها تنقّص للربوبية وهضم لحقها . ولو لم يكن فيه إلا نقص محبة الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه من قلب المشرك بسبب قسمة ذلك بينه سبحانه وبين من أشرك به فيضعف أو يضمحل ذلك التعظيم والمحبة .

فالشرك ملزوم تنقيص الرب سبحانه والتنقيص سمة كل مشرك.

قال ابن القيم في المدارج: (وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع ، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع إما مالكاً لما يريده عابدة منه ، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك ، فإن لم يكن شريكاً للمالك كان معيناً له وظهيراً فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده، فنفي سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً متنقلاً من الأعلى إلى الأدنى، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً وتجريداً للتوحيد وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ولكن أكثر الناس لا يشعر) . انتهى كلامه رحمه الله .

وقد جعل بعض أهل العلم هذه الأسباب أنواعاً للشرك .

١ – شرك الاستقلال والاحتياز بأن يملك ملكاً استقلالياً يجوز به .

٢ – شرك الشياعة والمشاركة والقسمة، بأن يكون له نصيب يشارك الله فيه .

٣ – شرك التدبير والظهير .

٤ – شرك الشفاعة ، لأن الشفاعة لم يثبتها الله إلا بشروط هي إذنه ورضاه .

٥ – شرك الأسباب .

الثانية والثلاثون : تمتع المشرك بشركه :

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ ﴾ الأنعام: ١٢٨

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ إبراهيم: ٣٠

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ الزمر: ٨

﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم ﴾ التوبة: ٦٩

﴿ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ النحل: ٥٥.

الثالثة والثلاثون: انقطاع الأسباب والمودة والصلة بين العابد ومعبوده، وتحول الود لبغض والولاء لبراء وعداء:

قال تعالى: ﴿ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴾ البقرة: ١٦٦.

﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴾ فاطر: ١٤.

﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا ﴾ العنكبوت: ٢٥.

﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾ الأنعام: ٩.

الرابعة والثلاثون: موقف الصوفية والقبورية والمرجئة من الشرك:

أخطأت القبورية والصوفية والمرجئة والمتكلمة في حقيقة الشرك من جانبين:

أولاً: جانب التوحيد:

ذهبت فيه الصوفية بجميع طوائفها ، والقبورية – عباد القبور – وجميع الفرق الكلامية من الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة وغيرهم إلى أن التوحيد هو توحيد الربوبية، وفسروا توحيد الألوهية بأنه القدرة على الاختراع ، لأن الإله عندهم اسم فاعل بمعنى خالق قادر، مشتق من الآلة أي القادر على الاختراع ومنه سميت الآلات بذلك، وقالوا لا إله إلا الله أي لا خالق إلا الله، ولذلك ليس عندهم شرك في العبادة فعبادة غير الله وطلب الشفاعة من الصالحين والاستغاثة بالأموات والأولياء عندهم ليست شركاً إنما توسلا .

وهذا الذي ذكروه خالفوا فيه دين الله تعالى وما بعثت به جميع الرسل القائلة لقومها ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ ، بل وإن وما قالوه خالفوا فيه حتى العقل واللغة، وذلك أن العرب أهل اللغة والمعرفة كانوا يعلمون أن معنى لا إله إلا الله نفي العبادة عما سوى الله ﷻ ، ولم يكونوا يقصدون أن معنى لا إله إلا الله نفي الخالقية والمالكية والرازقية والتدبير عن غير الله تعالى ، فلقد كان أبو جهل وأبو لهب وجميع الكفار والمشركين مقرين بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر ، وإنما لم يسلموا للرسول ﷺ أن يتركوا عبادة غير الله من دعاء ونذر وخوف ومحبة ورجاء، واستنكروا ترك الاستغاثة بالصالحين وطلب الشفاعة منهم، كعيسى ﷺ والملائكة واللات الذي كان رجل صالح يتصدق على الناس ويطعم الحجاج ونحوهم، وقالوا كيف تجعل الآلهة التي ندعوها ونستغيث بها ونتوسط بها وتقربنا إلى الله وتشفع لنا عنده إلهاً واحداً، فندعوا الله وحده، والدليل على إقرارهم بربوبية الله وأنه النافع الضار وحده قوله وتعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لقمان: ٢٥ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ الزمر: ٣٨ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الزخرف: ٩ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ الزخرف: ٨٧ .

والدليل على أن عبادتهم كانت فقط في طلب الشفاعة من الأولياء والصالحين ودعائهم وهذا القدر يجعلها آلهة لهم ومعبودات مع الله قوله ﷻ عنهم: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣ .

فهذا الجانب الذي عطله المتكلمون والصوفية والقبورية وهو جانب التوحيد بل وبدعوا من يفرق بين الألوهية والربوبية، حتى قال الدجوي عالم الأزهر : إن هذا من بدع ابن تيمية وفي الحقيقة أن تقسيم التوحيد إلى توحيد ألوهية وربوبية وأسماء وصفات هو مستقرأ من النصوص ومأخوذ من الأدلة، هذا هو الجانب الأول .

ثانياً : جانب الإيمان :

خالف المتكلمون والصوفية في باب الإيمان، لأن هؤلاء الصوفية والمتكلمة معظمهم من المرجئة، والمرجئة في باب الإيمان هم الذين يخرجون الأعمال الظاهرة والباطنة من الإيمان، وأن الإيمان مجرد التصديق أو المعرفة أو قول لا إله إلا الله فقط مع التصديق المجرد عن عمل القلب، كما أن الكفر فقط كفر القلب وليس للجوارح كفر مستقل بذاته، فعندهم أي شرك يحصل ظاهراً ليس بكفر إذا لم يقارن ذلك الكفر كفر القلب والباطن .

فمثلاً : الحكم بغير ما أنزل الله يشترطون فيه الاستحلال .

ودعاء غير الله ﷻ يشترطون أن يعتقد الكفر بقلبه ويستحل وأن يعتقد في هذا الذي يدعوه من دون الله بعض خصائص الربوبية .أما مجرد دعائه ظاهراً فليس بشرك عندهم .

على ذلك فعبادة غير الله بالذبح للمخلوقين والاستغاثة بالأموات ودعائهم ليس من الشرك في دين هؤلاء المشركين المعاصرين لأنه افتقد شرطين عندهم :

الشرط الأول : أنه خارج عن توحيد الربوبية .

الشرط الثاني : أنه خارج عن الأعمال الباطنة .

والرد عليهم بأن يقال : بأنه يلزمهم أن مشركي العرب وكفار مكة وغيرهم كانوا على الدين وعلى الإسلام لأنهم مقرون بالربوبية وكانوا مصدقين بمحمد ﷺ ويعلمون أنه على الحق، وأنهم لا يكذبونه ولكن يجحدون .

واعلم أنه إذا اجتمع هذين الجانبين، مخالفتهم في التوحيد بإنكار توحيد الألوهية والعبادة، ومخالفتهم في الإيمان بإنكار كفر الظاهر، حصل منهم تدنيس للدين وإذلال لأهله وانتشار للكفر شعروا بذلك أم لا ، لأن كل كفر ظاهر يرونه لا يكفرون صاحبه ولا يقيمون حد الردة عليه، لأنه لم يستحل ومن جهة أخرى أن الكفر في الربوبية فقط، يسبب تجويزاً له وتأييداً لأهله.

خلاصة موقف الصوفية والمتكلمين من توحيد الألوهية لرب العالمين :

أنهم أنكروه وأخرجوه من الإيمان، لأن الألوهية عمل والعمل عندهم خارج عن الإيمان وليس من الإيمان .

إضافة على أنهم فسروا الألوهية بالربوبية .

تنبيه : عقدت فصلاً موسعاً في كتاب نقض عقائد الأشاعرة عن موقف الصوفية والمتكلمين والأشاعرة من توحيد العبادة والشرك فيه .

الخامسة والثلاثون : تلازم الشرك مع تعطيل الصفات والإرجاء والجبر .

فهذه الأبواب الثلاثة سببت ظهور الشرك.

السادسة والثلاثون: وجوب تعلم الشرك ومسائله ومعانيه وأوصافه وأسبابه :

يجب على كل مسلم أن يعرف التوحيد الذي أمرنا الله به، ويعرف الشرك الذي ينقضه ويسعى حثيثا في تعلم كل ذلك، وهذا حصن للمؤمن إذا تعلم هذا الأمر فيجتنبه ألا ترى أن بعض الصحابة ﷺ حين جهل حقيقة الشرك والتوحيد وكانوا حديثي عهد بكفر طلبوا التعلق بالأنواط فأنكر عليهم الرسول ﷺ لعدم معرفتهم بالشرك كما ينبغي، وعدي بن حاتم جهل أن طاعة المشرعين والتحاكم لمن يحكم بغير ما أنزل الله عبادة شركية كفرية .

وينبغي للمسلم أن يسأل عن الشر لمعرفته ثم اجتنابه .

هذا وقد كثر في المعاصرين الجهل بحقيقة الشرك، لمّا لم يفهموا ما هو الشرك الذي حرمه الله تعالى والذي لا يغفره، وكثرت عندهم الشبه حول الشرك وحقيقته والسبب في عدم مغفرة الله تعالى لصاحبه.

ومما يؤكد وجوب العلم بحقيقة الشرك وشدة خطورته:

١- سرعة رجوعه .

٢- خفاؤه .

٣- تنوع الوسائل الداعية له والذرائع المفضية إليه.

٤- كثرة صوره .

قال ابن مسعود ﷺ : (الشرك بضع وسبعين بابا) أخرجه البزار .

السابعة والثلاثون: تغيير الأسماء لا يغير الحقائق والمسمى والحكم :

هذه القاعدة نقصد بها مشركي زماننا الذين يقعون في الشرك الصريح ويسمونه بغير اسمه ، فيدعون غير الله ﷻ ويستشفعون بالمخلوقين ويدعونهم أو يتحاكمون إليهم ولا يسمون هذا شركاً .

فيسمون دعاء الأموات والاستغاثة بالآلهة الباطلة توسلاً أو ندبة أو نداءاً ويسمون الإله المعبود المدعو سيداً وولياً فهذه الأسماء الباطلة لا تغير الحقائق .

وطائفة من مشركي عصرنا تسمي شرك التشريع والتحليل والتحريم والحكم بغير ما أنزل الله نظاماً أو تنظيماً إدارياً ونحو ذلك .

ويتحاكمون للطاغوت ويشرعون ويحللون ويحرمون ويسمون ذلك انتخابا وتصويتا ونحو ذلك .

وكل ذلك لا يغير الحقيقة التي وضع الحكم لأجلها فتسمى هذه المعبودات آلهة ويسمى الفعل شركاً ويكفر صاحبه .

قال ابن تيمية : (ولهذا كان من أتباع المتكلمين من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها كما يدعو الله تعالى ويصوم لها وينسك لها ويتقرب إليها، ثم

يقول إن هذا ليس بشرك، وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي، أما إذا جعلتها سببا وواسطة لم أكن مشركا) درء التعارض ١/ ٢٢٧ .

قال ابن القيم : (ومن أنواع الشرك سجود المريد للشيخ فإنه شرك من الساجد والمسجود له، والعجيب أنهم يقولون ليس هذا بسجود وإنما هو وضع الرأس قدام الشيخ احتراما وتواضعا) المدارج ١/ ٣٤٤ .

فصل : حقيقة التوحيد والربوبية والألوهية والعبادة

لضبط حقيقة الشرك لا بد من معرفة ضده وهو كلمة التوحيد :

المسألة الأولى: تعريف التوحيد في اللغة : التوحيد مصدر وحّد يوحد توحيداً.

ومعناه الإفراد والتمييز والاختصاص وما لا ثاني له ولا مثيل .

ومن الألفاظ المرادفة للتوحيد : **الإخلاص والتجريد والإفراد** .

والتوحيد في اللغة لا يطلق إلا على ما يقوم على الحصر (النفي والإثبات) ، فلا يسمى الشيء إفراداً أو توحيداً إلا إذا قام على ركنين هما الإثبات مع النفي .

م (٢) : التوحيد على وزن تفعيل وهي صيغة تستعمل للنسبة لا للجعل :

أي نسبة الوحدانية واستحقاق العبادة والربوبية لله الواحد الأحد ، وتجعل المعبود واحدا فلا تجعل نداً مع الله وتنسب الشريك له . بمعنى أنك تجعل العبادة لله وحده لا أنك جعلت الله مستحقا للتوحيد لأن الله الذي جعل لنفسه ذلك فهذا من لوازم ذاته .ومثله التصديق والتكذيب فهو نسبة الصدق والكذب للمتكلم ممن سمعه ، لا أنك جعلت المتكلم صادقا أو كاذبا فالمتكلم الذي يجعل نفسه كذلك.

م (٣) : نسبة التوحيد تكون بالاعتقاد والعمل ، وذلك بجعل المعبود واحداً اعتقاداً وعملاً، وضده الشرك يكون بالاعتقاد والعمل وذلك بإشراك آلهة مع الله.

م (٤) : التوحيد والشرك صفة العبد وفعله:

التوحيد صفة للعبد وهي نسبة الوحدانية وجعلها لله وحده ، والشرك ضد ذلك بجعل شريكاً مع الله ونسبة استحقاق العبادة لأكثر من واحد ، أما صفة الله فهي الوحدانية ، والتوحيد ليس صفة لله وإنما صفة للعبد وفعل له.

فائدة : الجعل أثبتته النصوص للعبد : والجعل يتعلق بالتوحيد والشرك :

جعل التوحيد: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ .والجعل الشركي: (يجعل لله نداً) البخاري .

م (٥) : تعريف التوحيد الاصطلاحي :

التوحيد شرعا : هو إفراد الله ﷻ بكل ما يستحقه وما يخصه .

والذي يستحقه ﷻ ويجب أن يوحد فيه ، وحقه الذي يختص به ثلاثة أمور :

الأول: العبادة من التعظيم والمحبة والذل له والخضوع والطاعة والالتجاء.

الثاني: الربوبية والأفعال الخاصة به كالخلق والرزق والتدبير والإماتة.

الثالث: إثبات صفات الكمال لله والذي تفرد به، وتنزيهه عن النقص .

م (٦) : أساس التوحيد :

التوحيد العلمي (الربوبية) : أساسه قائم على إثبات الكمال لله .

التوحيد العملي (الألوهية) : أساسه قائم على تعظيم الله والذل له وحبه والخوف منه والتوجه لله وتجريد القصد والطلب والتعلق لله وتطويع الجوارح لله.

م (٧) : تفسير النبي ﷺ لشهادة التوحيد :

قال الرسول ﷺ في أركان الإسلام في الصحيحين: (بُني الإسلام على خمس :

ثم عبر ﷺ بعدة عبارات دالة على التوحيد كلها مترادفة وبمعنى واحد :

الأولى : (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ...).

الثانية : (على أن يوحد الله). كما في رواية.

الثالثة : (على أن يُعبد الله ويكفر بما دونه) . كما في رواية.

الرابعة : (إيمان بالله ورسوله) . كما في رواية.

ففسر ﷺ هنا وفي حديث معاذ وجبريل وغيرها التوحيد بالشهادتين وعبادة الله وحده وترك الشرك والكفر بالطاغوت وبالإخلاص وبالإيمان وبالإسلام.

وقد سمى الله التوحيد والعبادة إيماناً وإسلاماً ، كما فسر الإسلام والإيمان بالتوحيد والشهادتين والإخلاص وعبادة الله وترك الشرك والكفر بالطاغوت.

ففسر الإسلام بالإيمان وبالتوحيد ، وفسر الإيمان بالإسلام وبالتوحيد .

م (٨) : **المصطلحات المفسرة والمرادفة للتوحيد .**

الشهادتان ، الإيمان ، الإسلام ، العبادة ، الكفر بالطاغوت ، الإخلاص .

م (٩): **ورود التوحيد في النصوص :**

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾البقرة ١٦٣ ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾.

ومن أسماء الله تعالى : الواحد ، الفرد ، الأحد.

ومعناه :أنه هو وحده ﷻ إله واحد لا ثاني له ، ولا شريك، ولا مثيل .

وجاء التصريح بلفظ التوحيد في السنة من ذلك:

قول الرسول ﷺ لعمرو ﵁ : (أما أبوك فلو كان أقر **بالتوحيد** فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك) رواه أحمد وصححه الألباني .

وحديث جابر﵁ في مسلم: (فأهل **بالتوحيد** لبيك اللهم لبيك).

وعند أبي داود من حديثه:قرأ فيهما **بالتوحيد** وبـ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾.

فسورة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تسمى سورة الإخلاص وسورة التوحيد .

م (١٠) : **الفرق بين الربوبية وتوحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الألوهية :**

الربوبية والألوهية صفات لله، والتوحيد والشرك فيها صفات للعبد .

والفرق بين العبادة وتوحيد العبادة : أن العبادة هي القربة والطاعة وفعل العبادة. والتوحيد أن لا تصرف هذه القربة والعبادة لغير الله ﷻ.

م (١١): **فائدة لغوية**: لا يصح أن يقال الشرك في التوحيد والشرك في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، والصحيح قولنا الشرك في الألوهية والشرك في الربوبية .

وعلة ذلك : أن التوحيد يقابل الشرك ولا يجتمعان، فالتوحيد لا يتعلق به الشرك وإنما يتعلق بالعبادة والألوهية والربوبية، أما من وحد وأتى بالتوحيد فلا يقال أشرك في توحيده وإنما أشرك في عبادته ، لكن يصح أن يقال الكفر بالتوحيد .

م (١٢) : **فضل التوحيد ومكانته وأهميته وثمراته** :

التوحيد أعظم ما أمر الله به، ولا يدخل الإسلام إلا به ولا يعصم الدم والمال إلا هو ولا يدخل أحد الجنة وينجو من النار إلا بتحقيقه ولا تقبل العبادات إلا به.

م (١٣): **وجوب تعلم مسائل التوحيد وحقيقة الشرك وأسبابه** :

يجب على كل مسلم أن يعرف التوحيد الذي أمرنا الله به، ويعرف الشرك الذي ينقضه ويسعى حثيثا في تعلم كل ذلك، وهذا حصن للمؤمن فإذا علم بالشرك اجتنبه، ألا ترى أن بعض الصحابة ﭫ حين جهلوا حقيقة الشرك وكانوا حديثي عهد بكفر طلبوا التعلق بالأنواط ومثلهم عدي في شرك الطاعة وذلك لعدم معرفتهم بحقيقة الشرك، فأنكر عليهم ﷺ، ولذا ينبغي للمسلم معرفة الشر ليتقيه.

هذا وقد كثر في المعاصرين الجهل بحقيقة الشرك، فلم يفهموا ما هو الشرك الذي حرمه الله تعالى والذي لا يغفره، وكثرت عندهم الشبهات في الشرك وحقيقته

والسبب في عدم مغفرة الله تعالى لصاحبه ، فظنوا أن دعاء الأموات واتخاذ الوسائط وطلب الشفاعة ليس بشرك،وظن آخرون أن الحكم بالقوانين والتشريع ليس شركا.

م (١٤): أركان التوحيد :

التوحيد قائم على ركنين النفي والإثبات : وهما ركنا شهادة أن لا إله إلا الله .

الركن الأول : النفي والإنكار: وهو الموجود في (لا إله) .

وهو نفي استحقاق العبادة عن كل ما سوى الله ﷻ والكفر بعبادة من دونه، والخلوص من الشرك والبراءة منه ومن أهله، وخلع الأنداد والمعبودات والآلهة ، وأيضا نفي الربوبية والكمال والتعظيم عن كل مخلوق .

الركن الثاني الإثبات : وهو الموجود في : إلا الله .

إثبات العبادة والدين والألوهية والربوبية والكمال لله وحده دونما سواه.

وليعلم أن ذلك مشتق من أصل اللغة فالتوحيد في أصل اللغة لا يطلق إلا على مصطلح يقوم على النفي والإثبات ومثله الإفراد والوتر وأسلوب الحصر .

فالتوحيد له ركنان هما الإثبات والنفي، فلا يسمى الشيء مفرداً أو إفراداً أو توحيداً أو تجريدا أو إخلاصا إلا إذا قام على ركنين هما الإثبات مع النفي .

م (١٥): أركان التوحيد من حيث محله وآلته:

الركن الأول : قول القلب وذلك بمعرفة الله ﷻ وتصديقه .

الركن الثاني : عمل القلب وذلك يتحقق بالإقرار بوحدانية الله ﷻ وإفراده بجميع أنواع العبادات القلبية كمحبته ومهابته والذل له والخضوع له وتعظيمه .

الركن الثالث : قول اللسان ويكون بالنطق بالتوحيد وذكر الله وسؤاله .

الركن الرابع : عمل الجوارح، ويتحقق بالقيام له ﷻ بالتوحيد بالبدن .

م (١٦) : أقسام التوحيد :

ينقسم التوحيد إلى أقسام باعتبارات ، ومثله الشرك الذي هو ضد التوحيد :

التقسيم الأول : ينقسم باعتبار آلاته وأركانه إلى عملي واعتقادي وقولي .

١ - التوحيد القولي اللساني :

قول لاإله إلا الله ودعاء الله وتسبيحه والحلف به والإقرار بتوحيد الربوبية له.

٢- التوحيد الاعتقادي الباطني القلبي : (قولي وعملي)

الاعتقادي القولي المتعلق بقول القلب : التصديق والمعرفة بالله واليقين بالله .

الاعتقادي العملي المتعلق بعمل القلب: كالمحبة والخوف والتوكل والتعظيم.

٣- التوحيد العملي الظاهر المتعلق بالجوارح: كالقيام والسجود والذبح .

ويلاحظ أن هذا التقسيم راجع لأفعال العباد .

التقسيم الثاني: أقسامه باعتبار نوعه وجنسه :

١ - توحيد الألوهية ٢- توحيد الربوبية ٣- توحيد الأسماء والصفات .

والبعض يسمي الثاني والثالث بالتوحيد العلمي الخبري أو المعرفة والإثبات .

ويقصد بالعلمي الخبري المتعلق بالعلم والخبر وبالمعرفة معرفة الرب ﷻ وبالإثبات إثبات أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله .

والبعض يضيف على الأنواع الثلاثة توحيد المتابعة وتوحيد الحاكمية.

وفصلنا القول في ذلك في كتابنا حقيقة عقيدة التوحيد .

التقسيم الثالث : أقسامه باعتبار من يقوم به ويتعلق به .

توحيد متعلق بالله وهو الخاص بصفاته تعالى وأفعاله ووحدانيته القائمة به .

توحيد متعلق بأفعال المخلوق وهو أن يعبد الله وحده .

فلا يقوم في قلبه وجوارحه تعظيم وذل وخضوع لغير مولاه المنعم عليه وربه المتفضل عليه والمحسن إليه والقادر على نفعه وضره والقائم على مصالحه .

التقسيم الرابع : وينقسم باعتبار من يتصف به :

١ – توحيد المرسِل:وهو الله ﷻ ، وتوحيده يكون في ألوهيته وذلك بعبادته وحده، وفي ربوبيته وأفعاله وأسمائه وصفاته،وهذا مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله.

٢– توحيد المرسَل: وهو الرسول ﷺ : ويسمى توحيد المتابعة .

وذلك بإتباع الرسول ﷺ وطاعته وتحكيمه وتقديم أمره وتصديقه ومحبته، وهذا مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله .

التقسيم الخامس: ينقسم باعتبار أهميته إلى توحيد كمال وتوحيد أصل .

م (١٧) : وجه انحصار التوحيد في ثلاثة أنواع : أن ما يختص به الله وحده ويعتبر حقاً له لا يشاركه أحد فيه وصفة لازمة له ، لا يخرج عن ثلاثة أمور :

الأول : تفرده بالربوبية فلا رب للعالمين إلا هو ولا خالق ولا مالك ولا مدبر ولا رازق غيره ﷻ وهذا أحد الأمور التي استحق أن يوحد سبحانه فيها .

الثاني : تفرده بالألوهية وكونه وحده المستحق للعبادة دونما سواه، فلا يشاركه أحد في هذا الحق، ، لأن استحقاق العبادة لا تكون إلا لمن له الكمال .

الثالث : تفرده بصفات الحسن والكمال والجمال والجلال، فله وحده الأسماء الحسنى الدالة على الصفات العليا لايشاركه أحد وغيره، مخلوق ضعيف فقير محتاج.

م (١٨) : تقسيم التوحيد أمر استقرائي دلت عليه النصوص:

كما قررنا أن لفظ التوحيد مصطلح شرعي ، فكـذلك أقـسامه هـي الأخـرى شرعية سلفية ليست بدعية خلفية كما يقول المبتدعة، وليست من مخترعات ابن تيمية كما يزعمون بل وردت هذه الأقسام عند السلف في القرون المفضلة وسيأتي كلامهم.

أولاً : دل على أصل هذا التقسيم القرآن والسنة .

ومن الآيات الجامعة لأنواع التوحيد والدالة على التقسيم :

الأولى: سورة الفاتحة فيها تقرير لأقسام التوحيد قال تعالى:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

الثانية:قوله في سورة الناس:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾.

الثالثة: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ مريم .

الجملة الأولى: دلّت على توحيد الربوبية وهي التي وردت في:قولـه تعـالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

الجملة الثانية: دلّت على توحيد الألوهية والعبادة وهي الواردة في قوله تعالى:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾.

الجملة الثالثة دلّت على توحيد الأسماء والصفات وهي الواردة في قوله تعالى:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾.

ثانياً: ورود تقسيم التوحيد في كلام السلف وأهل العلم:

كما أنه قد ورد لغة تقسيم التوحيد على لسان السلف وكلامهم ومن ذلك .

قال أبو حنيفة في الفقه الأبسط : (والله يدعى من أعلى لا من أسفل لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء) .

وروى ابن مندة في كتابة التوحيد عن القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة قوله :(إنما دل الله ﷻ خلقه بخلقه ليعرفوا أن لهم رباً يعبدوه ويطيعوه ويوحدوه).

قال أبو جعفر الطحاوي (ت:٣١١) في عقيدته :(نقول في توحيد الله : إن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره) .

قال ابن بطه (ت:٣٩٧) في الإبانة:(الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده ثلاثة أشياء: أن يعتقد ربانيته، أن يعتقد وحدانيته، أن يعتقده موصوفاً بالصفات).

قال ابن حبان بالروضة:(الحمد لله المنفرد بوحدانية الألوهية المتعزز بعظمة الربوبية)

قال ابن كثير عند آية ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم ﴾ : (احتج على المشركين باعترافهم بوحدانية ربوبيته على وحدانية ألوهيته) .

وقال المقريزي الشافعي في كتابه التوحيد : (ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون بل اقروا به ..وإنما أنكروا توحيد الألوهية).

وقال ابن أبي العز شارح الطحاوية : (التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع: أحدها: الصفات، الثاني: توحيد الربوبية، الثالث: توحيد الألوهية وهو استحقاقه أن يعبد).

وقال الصنعاني في تطهير الاعتقاد : (الحمد لله الذي لا يقبل توحيد الربوبية من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد).

فهذه بعض النقولات والنصوص الصريحة في أنواع التوحيد الثلاثة الـصفات والربوبية والألوهية ، من علماء الأمة من القـرون المفـضلة ومـن بعـدهم مـن جميـع المذاهب وفي هذا رد على من شكك في تقسيمنا للتوحيد وزعم ابتداعنا له .

م (١٩): **التوحيد أصل وكمال** :

مطلق التوحيد أصله. المصحح للإيمان والإسلام: وهذا المعتبر بدخول الجنـة والمنجي من النار والفاصل بين المسلم والكافر وهو مقتضى الشهادتين والإيمان بالله.

كمال التوحيد المطلق : وهذا يتفاضل الناس فيه وتاركه يعتبر موحداً لا كـافراً وهو على درجات منه الواجب الذي يعاقب مخالِفُه مع بقاء الإسلام ومنه المستحب.

م (٢٠) : **قوادح التوحيد ونواقضه** :

القسم الأول: ماينقض التوحيد من أصلة ويزيله بالكلية، وهو الشرك الأكبر.

الثاني: ماينقصه ويقدح في كماله لكن لا يبطله وهو الشرك الأصغر والمعاصي.

والقاعدة:أن الشرك الأكبر لايجتمع وجوده مع وجود الإيمان وأصل التوحيد.

أما الأصغر فلا ينافي أصل التوحيد ولا ينقضه وإنما ينقص كماله الواجب .

م (٢١) : **ما يضاد التوحيد** : الشرك ينقض التوحيد، ويكون بأحد طريقين :

إما بنفي ما أثبته الله تعالى لنفسه ، أو بإثبات ما نفاه الله. وسيأتي بحث الشرك.

م (٢٢) : **تعلقات التوحيد والشرك** :

١ – يتعلق التوحيد بالله ، فيقال توحيد الله والشرك بالله .

٢ – ويتعلق بالالوهية والربوبية والأسماء والصفات .

فيقال توحيد الألوهية وشرك الألوهية ومثله الربوبية .

٣- ويتعلق بالعبادة ، فيقال توحيد العبادة لله والشرك في العبادة .

٤- ويتعلق بالإسلام ، فيقال توحيد الإسلام لله .

وجاء الأمر بالتوحيد في الإسلام في قوله: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ﴾ .

٥- ويتعلق بالدين ، فيقال توحيد الدين لله ﴿ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ .

٦- ويتعلق بالشريعة ويأتي الشرك في التشريع ﴿ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾.

٧- ويتعلق بالرسول . فيقال توحيد الرسول بالمتابعة كما سيأتي في فصله.

٨- ويتعلق بالإيمان . فيقال توحيد الإيمان بالله.﴿ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾.

٩- ويتعلق التوحيد والشرك بالانقياد والطاعة .

ويتعلق التوحيد بالحكم والمحبة والدعاء والخلق والأمر والتدبير وبقية أفعال وأفراد الألوهية والربوبية والصفات .

م (٢٣) : الحنيف هو من أتى بالتوحيد و ترك الشرك عن قصدٍ وعلم:

مجرد ترك الشرك من غير قصد وتعمد تركه لا يكفي بمفرده في الدخول في الإسلام، فلا بد من ترك الشرك قصدا ومن الكفر به والبراءة منه ومعاداة أهله.

قال ابن كثير في تفسير ﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ : (الحنيف هو المائل عن الشرك قصدا ، أي تاركاً له عن بصيرة) . وقال(المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد) .(ومقبل على الحق بكليته لا يصده عنه صاد ولا يرده راد) .

فمن ترك الشرك وفاقاً وعادة من غير قصد فهذا لا يصدق عليه أنه اتبع ملة إبراهيم الذي صرح بالكفر بالطاغوت وصدع بتكفير أهله عالما عامدا .

م (٢٤) : لا تنفع لا إله إلا الله إلا العالم بمعناها العامل بمقتضاها :

قال الشيخ سليمان في التيسير شرح التوحيد : (ولا ريب أنه لو قالها أحد من المشركين ونطق بشهادة أن لا إله إلاَّ الله محمداً رسول الله، ولم يعرف معنى الإله ولا معنى الرسول ، وصلى وصام وحج ولا يدري ما ذاك إلاَّ أنه رأى الناس يفعلونه فتابعهم ولم يفعل شيئاً من الشرك ، فإنه لا يشك أحد في عدم إسلامه).

وقال أيضا فيه: (أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها، فإن ذلك غير نافع بالإجماع . فتباً لمن كان أبو جهل وغيره أعلم منه بلا إله إلاَّ الله) .

م (٢٥) : لا يقوم التوحيد إلا بالكفر بالطاغوت :

الكفر بالطاغوت أحد ركني لا إله إلا الله ، وقد دلت عليه كلمة التوحيد.

ووجه ذلك أن التوحيد له ركنان :

الأول : عبادة الله . الثاني : الكفر بالطاغوت والبراءة منه .

وسيأتي الكلام عن الكفر بالطاغوت في شرح الناقض الثالث.

م (٢٦) : التوحيد هو حقيقة لا إله إلا الله :

شهادة أن لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد وهي نفس قولنا التوحيد .

لأن لا إله إلا الله دلت على التوحيد لكونها قائمة على الحصر، الذي هو النفي والإثبات وهذا هو التوحيد، فلا يسمى الأمر توحيداً إلا إذا كان فيه أسلوب الحصر النفي والإثبات، نفي الألوهية والعبادة عن كل من سوى الله ﷻ ، وإثباتها لله وحده لا شريك له وحصرها عليه .

هذا وقد دلت كلمة التوحيد لا إله إلا الله على توحيد الألوهية بالمطابقة وعلى توحيد الربوبية والصفات بالتضمن والملازمة .

م (٢٧): الأصل التوحيد والشرك طارئ في الخليقة :

خلق الله ﷻ الخلق على عبادته وطاعته وتوحيده فكان الناس أمة واحدة على التوحيد قبل أن يختلفوا ويدخلهم الشرك ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ يونس: ١٩ ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ البقرة: ٢١٣ .

وفي الحديث القدسي قال الله ﷻ : (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا) رواه مسلم.

م (٢٨) : تعريف المخالفين للتوحيد:

الفرق الضالة تفسر التوحيد بما تعتقد من باطل :

التوحيد عند الاتحادية والحلولية وأهل الوحدة:أن يكون الله عين كل موجود.

التوحيد عند المعطلة الجهمية بفرقها من معتزلة وأشاعرة: إنكار صفات الله.

والتوحيد عند القدرية : إنكار قدر الله وخلق أفعال العباد .

والتوحيد عند الجبرية : إنكار أن يكون للمخلوق تأثير وللأسباب حقيقة.

التوحيد عند المرجئة : مجرد ما في القلب من اعتقاد الربوبية في الله .

التوحيد عند الصوفية والقبورية والرافضة : هو اعتقاد أن الله هو الخالق. والشرك في اعتقاد أن يكون المخلوق خالق له التأثير والاستقلال من دون الله.

هذا تعريف التوحيد وحقيقته عند المبتدعة، فالشرك عندهم توحيد والتوحيد شرك وقد بينا ذلك في شرح النواقض ، كما زعموا أن النبي ﷺ لم يفسر التوحيد.

تنبيه : مما أجمعت عليه الطوائف الصد عن التوحيد وحرب أهله ومعاداتهم .

م (٢٩) : اجتماع التوحيد والإيمان مع الشرك :

توجيه قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦ .

الإيمان والشرك هنا لهما معنيان ، والآية فيها تأويلان للسلف :

الأول : المراد بالإيمان هنا توحيد الربوبية والإيمان بكون الله خالقا ، والشرك هو الشرك في الألوهية فلا يقبل هذا الإيمان ولا يعتبر به ولا يصح ولا يسمى إيمانا من حيث الإطلاق الشرعي، وذلك لعدم وجود التوحيد فيه واقتران الشرك به .

قال ابن عباس : (من إيمانهم إذا سئلوا من خلق السماء والأرض قالوا الله وهم مع ذلك يشركون به ويعبدون غيره ويسجدون للأنداد دونه).

وقال مجاهد : (إيمانهم قولهم الله خالقنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره).

الثاني : الإيمان هنا هو الأصلي والشرك المقصود به الأصغر ، فيكون المراد بالإيمان في الآية هو الإيمان الشرعي المقبول والمقترن بتوحيد الربوبية والألوهية، ويكون الشرك المقصود به في الآية الشرك الأصغر كالحلف بغير الله وكيسير الرياء وإسناد النعم لغير الله وشكر الناس على ما أنعم الله به عليهم.

م (٣٠) : يشهد المشرك بالتوحيد في حالات :

١- يشهد بنوع من التوحيد وهو الربوبية في الجملة.

٢- قد يوحد المشرك في حال الشدة والخوف ويشرك في الرخاء والأمن.

٣- التوحيد في بعض العبادات، فقد تجد شخصا يشرك في جانب ويوحد في جانب ، فيوحد في الحكم ولكن يدعو غير الله ﷻ أو يكون العكس .

مبحث : تـوحـيـد الربوبية

المسألة الأولى: تعريف الربوبية :

الربوبية: أصلها مأخوذ من اسم الرب .

وهي مشتقة من الفعل رَبَّ يرب ، والياء والتاء في الربوبية للنسبة .

والمراد بالربوبية: الاتصاف بصفات الخلق والملـك والتـدبير، وأفعـال الـرب التي لا تنبغي لغير الله ﷻ. ولا تصلح لمربوب مخلوق مملوك مدبَر .

م (٢) : معنى توحيد الربوبية:

إثبات الربوبية لله وحده الخالق . ونفي الربوبية وأفعالها عن الخلق .

فيعتقد الموحد بالربوبية أنه لا خالق ولا رازق ولا مدبر ولا مالك غير الله .

م (٣) : معنى توحيد الأسماء والصفات :

إثبات أسماء الله وصفاته لله التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله .

ونفي ما نفاه الله عن نفسه . وعدم إثبات شيء من صفات الكمال للخلق .

م (٤) : معنى الرب :

قال الأزهري في تهذيبه: قال ابن الأنباري : الرب يطلق على ثلاثة معاني :

(١ - المالك . ٢- السيد المطاع . ٣- المصلح).

وعلى ما تقدم فالربوبية لا تخرج عن ثلاثة معاني : (**الملك، الأمر، التدبير**) :

الأول : المالك .

الثاني : الآمر المشرع الحاكم والسيد المطاع سان الدين والمحلل والمحرم.

الثالث : المدبّر الخالق المصلح المربّـي الراعي القائم على غيره والمتصرف فيه .

م (٥) : أسماء توحيد الربوبية :

١ – توحيد أفعال الرب . لأن الربوبية حقيقتها أفعال الله وصفاته .

٢ – التوحيد الاعتقادي لأن محله الاعتقاد في مقابل العملي الذي هو الألوهية.

٣– التوحيد العلمي القائم على العلم بالله وأفعاله وصفاته .

٤ – توحيد المعرفة والإثبات لأنه متعلق بمعرفة الله وإثبات الكمال في صفاته .

٥ – التوحيد الخبري : القائم على الخبر والسمع .

٦ – توحيد الوسيلة أي الوسيلة إلى توحيد الألوهية الذي هو توحيد الغاية.

م (٦) : أفعال الربوبية والأمثلة لها :

الخلق ، التدبير والتصرف في الأمر، الملك ، النفع والضر ، الإحياء والإماتة ، البعث والحساب ، علم الغيب ، التصوير والإبراء ، الرزق والنصر والإنعام والإغناء والمعافاة والإطعام وإنزال المطر، القضاء والقدر والهداية والإضلال ، الأمر والنهي والحكم والتشريع وسن الدين والتحليل والتحريم

وغير ذلك من أفعال الله ﷻ التي لا يحصيها ولا يعلمها إلا هو، والتي مردها لصفة التدبير التي ترجع فيها معظم أفعال الرب ﷻ .

م (٧) : ما تتضمنه الربوبية والأمور الداخلة في وجوب توحيد الربوبية:

أولاً : وجود الله ﷻ وكمال حياته وقيوميته .

ثانيا: أفعاله من الخلق والتدبير أو الإعداد والإمداد والإعدام وملكه لهم .

ثالثاً : أسماؤه وصفاته وكماله وجلاله وجماله وتفرده بالكمال وحده .

رابعاً : قضاؤه وقدره ، ويرجع هو ومراتبه الأربع في الربوبية.

فقضاء الله وقدره هو فعل الله فهو حكم الله وتقـديره وإرادتـه وخلقـه وهـذه أفعال راجعة للربوبية القائمة بالله ﷻ ، كـما أن مراتـب القـدر الأربـع والتـي هـي : (العلم ، الكتابة ، المشيئة ، الخلق) هي صفات الله وأفعاله الراجعة للربوبية .

خامساً : شرعه وأمره وحكمه .

يدخل الحكم بما أنزل الله وامتثال أمره والعمل بـشرعه في الإيـمان بالربوبيـة، وهذا الأمر لا يخفى، لأن الحكم والأمر وتشريع الدين وسـن الـشرائع مـن أخـص صفات الله، وجعل الله ﷻ الأمر له وحده وتفرد بالحكم، وجعل من ينازعه في هـذه الصفة كافراً مكذباً بربوبية الله مشركاً فيها ، وقد دلت عليه نصوص كثيرة جداً.

فقال سبحانه : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ فلا يأمر ولا يشرع ولا يحكم إلا من يخلق وكان رباً معبودا ، وأخبر تعالى أن الحكم له وحده لا يشترك معـه أحـد فيه ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ ، بل وأخـبر الله ﷻ أن مـن عمـل بحكـم غيره فقد عبده وصيره إلهاً ورباً لـه ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا ﴾ آل عمران٦٤ ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ، فانظر كيـف سـمى الله تعـالى الحاكم والمشرّع ومن يسن الدين والقوانين المحللة والمحرمـة ربـا ولـيس مجـرد إلهـا وذلك لأنه نازع الله في أعظم خصائصه وادعى بصنيعه هذا الربوبية وجعل نفسه ربا من دون الله يجب أن يطاع ويتحاكم له، وقد فسر الرسول ﷺ لعدي بن حـاتم كيـف اتخذوهم أربابا وذلك بطاعتهم في التشريع والتحليل والتحريم .

سادساً : إرساله الرسل من الملائكة والأنبياء وإنزال الكتب .

من ربوبية الله وأفعاله المقدسة: إرساله الرسل من الملائكة ومن الناس ليعلقوا الخلق بربهم ويبصرونهم بمراد خالقهم، فإرسال الرسول وبعثة الأنبياء من أفعال الله ومن مقتضيات ربوبيته ولوازم حكمته، وهذا أمر دل عليه العقل والفطرة والشرع .

وذم الله ﷻ من أنكر بعثة الرسل وأخبر أن ذلك في الحقيقة قدح في ربوبيته كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ ﴾ الأنعام: ٩١.

سابعاً : الإماتة والبعث والحساب :

وإماتته لخلقه ثم بعثه لهم وإحياؤهم بعد إماتتهم والنشور وحسابهم وإثابتهم وإدخالهم الجنة وعقابهم بالنار. من أعظم أفعال الربوبية المتفرد بها لجلاله وعظمته .

ومعرفة الكفار بالله لم تنفعهم، وصار إنكارهم البعث والرسالة كفرا وتكذيبا استحقوا به النار، لأن تكذيبهم بالبعث والرسل كفر وطعن في الربوبية .

هذه أركان الربوبية السبعة والتي لا يصح إيمان العبد إلا بإيمانه الحق بها.

ثامناً : الألوهية صفة من صفات الربوبية .

وبيان ذلك أن الألوهية معناها استحقاق العبادة، فأحقية العبادة من لوازم الربوبية وصفاتها، فالرب لابد أن يعبد والألوهية لا تنبغي إلا للرب الخالق القادر .

م (٨): آثار الإيمان بتوحيد الربوبية ولوازمه:

الإيمان بتوحيد الربوبية حقاً والرضا به يحمل صاحبه على الكمال في عبادة الله وحده وتوحيده في الألوهية وطاعته وتقدير الله حق قدره وتعظيمه والفرار من معاصيه والخوف من سخطه وعقابه، واللجوء إليه والانكسار بين يديه والافتقار له،

والإيمان الحق بالقضاء والقدر، وموالاة أولياء الله ومعـاداة أعـداء الله، والحكـم بـما أنزل الله والتحاكم لشرعه ومتابعة رسوله ﷺ .

م (٩) : **توحيد الربوبية لا يدخل وحده في الإسلام وليس الغاية :**

توحيد الربوبية على علو مكانته وعظـيم قـدره وكونـه حـق ولا ينجـو العبـد بدونه ولا يصح إيمانه إذا انتفى، إلا أنه مع ذلك من أتى بـه وحـده لا يكفـي ليعتـبر مسلما، وليس هو الغاية التـي بعثـت بهـا الرسـل، إذ الغايـة هـي عبـادة الله وحـده وتوحيده ﷻ في الألوهية والعبادة، أما الإيمان بتوحيد الربوبية فـإن المـشركين كـانوا مقرين بأصله ومع ذلك لم ينفعهم هذا الإيمان لما وقعوا في شرك العبادة والألوهية .

م (١٠) : **أنواع الربوبية :**

١- الربوبية العامة لجميع الخلق :

وهي المتضمنة لخلقهم ورزقهم وهدايتهم ، وهي ربوبية القدر والقهر.

٢- الربوبية الخاصة بالمؤمنين :

وهي توفيق الله لهم وإعانتهم على طاعته. وهي ربوبية الشرع والدين والأمر.

م (١١) : **محل الإيمان بالربوبية ونوع آلته:**

الإيمان بالربوبية كله من قبيل الاعتقادي وليس منه عملي ، بخلاف الألوهية .

أما الشرك في الربوبية فمنه الاعتقادي ومنـه العمـلي المتعلـق بـالجوارح مثـل التشريع والحكم بغير ما أنزل الله والتصوير وتعليق الحلقة والتمائم والتشاؤم وسـب الدهر والريح والجزع والتسخط على القدر .

م (١٢) : أنواع المخالفات والقوادح والشرك في الربوبية:

١ – إنكار وجود الرب ﷻ. وقد حصل من الشواذ كالفلاسفة الملاحدة .

٢ – إنكار ربوبية الله وكونه خالقا رازقا وذلك بتعطيله عن أفعاله .

٣– إثبات ربوبية الله من غير توحيد. فيعترف بربوبية الله ولكن يقع في الشرك في أفرادها فيثبت الربوبية للمخلوقين، كما عند غلاة الصوفية الذين يثبتون للأولياء والرسل علم الغيب والنفع والضر والقدرة على كل شيء.

٤ – القدح في بعض أفعال الله مثل سب الدهر أو الريح أو التشاؤم أو تنقص خلق الله أو الاعتراض على قدر الله والجزع به وعدم الرضا بالقضاء والقدر .

٥ – ترك الحكم بشرع الله وأمره وحكمه والتشريع والتحليل والتحريم .

٦ – تشبيه الله تعالى بخلقه ونسبة النقائص له ﷻ، مثل نسبة الولد إليه .

٧– عدم تعظيم الله وتقديره حق قدره.

٨– السحر والتنجيم وادعاء علم الغيب فيها .

٩ – إنكار القدرية خلق أفعال العباد وإنكار الجبرية الأسباب .

١٠ – إنكار صفات الله وتعطيلها وإنكار معناها بالتحريف والتفويض والتأويل كما هو مذهب الجهمية أو بتمثيلها بصفات الخلق .

١١ – من يكون شركه في الربوبية من جهة اللزوم فمن أشرك في الألوهية فقد استلزم شركه فيها الشرك في الربوبية والقدح في ربوبية الله .

م (١٣) : مرد نقض توحيد الربوبية إلى ثلاثة أنواع :

الأول : إنكار ربوبية الله وتعطيل الرب منها ومن أفعاله وهذا شرك التعطيل .

الثاني : إثبات الربوبية الخاصة بالله لغيره وعدم توحيده بالربوبية وتمثيل المخلوق بالخالق في الربوبية ، وهذا شرك التمثيل .

الثالث : القدح في أفعال الرب كسب الريح والدهر أو التسخط على القدر .

م (١٤) :هل يوجد شرك عملي وأصغر في الربوبية ؟

نعم ومن أمثلة ذلك :

١- تعليق التمائم .

٢- سب الدهر وسب الريح .

٣- الجزع والتسخط على القدر .

٤- قول: ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت .

٥- التطير والتشاؤم.

٦- نسبة المطر للكواكب والنوء والنجوم والفصول كالربيع نسبة سبب.

٧- التبرك المبتدع بآثار الصالحين .

٨- التصوير .

٩- الحكم بغير ما أنزل الله في القضية الواحدة، والتحاكم شرك في الألوهية.

١٠- شرك الأسباب ، والقاعدة: أن من جعل ما ليس بسببٍ سبباً وتعلق به ما لم يعتقد فيه التأثير فقد وقع في شرك الأسباب .

كل هذه شركيات عملية متعلقة بالربوبية وهي من الشرك الأصغر .

م (١٥) : التشاؤم والتطير والتبرك وتعليق التمائم : من قبيل شرك الأسباب .

أولاً : هي شرك في الربوبية : ويكون على درجتين حسب معتقد صاحبها :

١ – فإن اعتقد فيها مجرد السببية في حصول الحوادث وردها فهو شرك أصغر .

٢ – وإن اعتقد فيها التأثير بذاتها أو أن الله ﷻ جعل فيها التأثير والقدرة على الدفع والنفع فهذا شرك أكبر.

ثانياً : وتكون شركاً في الألوهية :

ذلك إن خاف هذه الأمور ورجاها وتعلق بها وأحبها فقد أشرك في الألوهية.

م (١٦) : هل وجد من أقر بتوحيد الألوهية ومع ذلك وقع في شرك الربوبية :

نعم ويوجد ذلك في طوائف :

١ – القدرية : القائلون أن العبد يخلق فعله وليس الله بخالق للكفر والشر .

٢ – أصحاب التمائم :ممن يلبسها ويعتقد فيها أنها سبب لدفع العين وهذا شرك في الربوبية وإن كان أصغر وإن اعتقد فيها التأثير بنفسها فهو شرك أكبر .

٣– المتبركون التبرك الممنوع بالآثار المبتدعة، والمعتقدون البركة والنفع فيها .

٤ – القادح في أفعال الرب كسب الريح والدهر ، والتسخط على القدر .

٥ – من أثبت أفعال الرب ﷻ للمخلوق سواءً من باب السبب أو التأثير.

م (١٧) : إقرار المشركين بتوحيد الربوبية في الجملة.

كان المشركون العرب وغيرهم مقرين بربوبية الله وأنه الخالق الرازق المدبر المالك وهذا لا خلاف فيه، وإنما الكلام في توحيدهم بالربوبية هل حصل لهم تحقيقه.

والتحقيق في ذلك: أنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية في الأصل والجملة والأساس يدل لذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ الزخرف: ٨٧.

فكان إقرارهم بالله وبربوبيته أمر ثابت بل وحتى ألوهيته أقروا بها لكن خالفوا في توحيد الله بالألوهية فهم لا يقرون به ولا يوحدون الله في العبادة فكانوا يعبدون الله ويعبدون غيره ويريدون أن يعبدوا الله وحده وإنما يريدون الشرك كما في قولهم ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ﴾ الأعراف: ٧٠ ﴿ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾.

لكن هذا التوحيد منهم لم يكن كاملا ولا صحيحاً، فإيمانهم مختلط بالشرك كما أخبر عنهم تعالى في قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦.

أما عدم صحته: فلأن من لازم التوحيد في الربوبية التوحيد في الألوهية، فمن أشرك في الألوهية فليس إلا لغلط في الربوبية وقدح فيها، وإلا لو كان حقاً مؤمناً بربه الكريم لما أشرك في عبادته وما اغتر بعبادة الآلهة الباطلة.

وأما عدم كماله فلوجود شرك في بعض أفراد الربوبية :

ومن ذلك قول المشركين ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ هود: ٥٤ ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ﴾ يس: ٧٤ وتلبيتهم: (لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) وثبت أنهم كانوا يستغفرون بعدها.

فحصل منهم الشرك بنسبة شيء من التصرف والنفع والضر بعض الأحيان لآلهتهم وأنها تعتري أعداءها بسوء وطلبوا منها النصر وأثبتوا للآلهة نوع ملك .

وهذا القدر هو من الشرك في الربوبية، فهم وإن كانوا قد أقـروا و اعترفـوا أن الربوبية الحقة المطلقة لله وحده لكن اعتقدوا أنه يوجد لغيره بعض خصائصها.

ومن الأدلة الدالة على إقرار المشركين بتوحيد الربوبية لله:

قول الله ﷻ عن المشركين وإقرارهم بتوحيد الربوبية لله :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾لقمان: ٢٥.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ المؤمنون: ٣٨ .

وأخبر عنهم اعترافهم أن الله يستحق أن يعبد لكن نازعوا في توحيده بالعبادة:

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ ﴾ الأعراف: ٧٠ .

وأخبر عن اعترافهم بالشرك: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ الأنعام: ١٤٨ .

كما أخبر عن إيمانهم به ﷻ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾يوسف١٠٦.

إقرارهم أن المدبر النافع الـضار هـو الله وإخلاصـهم حـال الـشدة: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾الأنعام٦٣.

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ العنكبوت: ٦٥.

ومن الأدلة على اعتراف مشركي العرب بتفرد الرب بالنفع والضر :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾.

﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾.

﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾.

لكن إقـرارهم بتوحيـد الربوبيـة لا يعنـي عـدم وجـود بعـض المخالفـات في توحيدهم بالربوبية والقوادح في تفاصيله منها :

١ – اعتقاد بعضهم شيئاً من النفع والضر في الآلهة ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖ﴾ هود: ٥٤.

٢– إنكار الرسالة والإرسال وهو من ربوبية الله .

٣– إنكار البعث وهو من أفعال الربوبية .

٤ – التحليل والتحريم والتشريع والحكم بغير ما أنزل الله .

٥ – عدم التزامهم بلازم الربوبية الذي هو توحيد الألوهية وعبادة الله وحده .

٦ – اعتقادهم أن السحرة والكهان والمنجمين يعلمون الغيب.

٧– تشبيه الله ﷻ بخلقه وتنقصه مثل نسبة الولد إليه أو النوم والتعب.

٨– وقوعهم في سب الله عدوا بغير علم .

٩ – التشاؤم والتطير ولبس الحلقة والتمائم والرقى واعتقاد تأثيرها ونفعها والاستقسام بالأزلام والتبرك بالأشجار والأحجار والاستمطار بالنوء .

قال ابن تيمية : (توحيد الربوبية وهذا لم ينازع في أصله أحد من بني آدم وإنما نازعوا في تفاصيله).

وقال في الدرء:(كثير من الطوائف قصر فيه مع إثباته لأصله).

مبحث : تـوحـيـد الألـوهـيـة

المسألة الأولى : اشتقاق الألوهية :

الألوهية والإلهية أصلها منتزع من الإله، وهي مشتقة من الفعل أَلَه بمعنى عبد، والياء والتاء في الألوهية هي للنسبة أي نسبة الإلهية والعبادة لمستحقها .

والمراد بتوحيد الألوهية : هو إفراد الله بالعبادة المتعلقة بأفعال العباد.

وتقدم تعريف التوحيد .

المسألة (٢) : معنى الإله وصيغته واشتقاقه:

إله على وزن فِعَال بمعنى مفعول فهو إله بمعنى مألوه وهو المعبود .

وصيغة فعال التي بمعنى مفعول في اللغة لها أمثلة كثيرة منها :

كتاب بمعنى مكتوب وإمام بمعنى مأموم وفراش بمعنى مفروش.

والإله كذلك معناه المعبود ووجه ذلك : أن الإله معبود متأله وليس هو الفاعل العابد، فالإله ليس هو الذي يقوم بالعبادة ويفعلها ويصرفها وإنما تصرف له وتفعل له فهو معبود مألوه والمخلوق هو الآله العابد فاعل للعبادة .

فالإله مشتق من فعل أَلَهَ بفتح اللام على وزن فَعَلَ كفتح، يأله إلاهة وتألها وألوهية ، وهو بمعنى عبد يعبد عبادة وتعبداً. وتأله تعبد وألوهية عبودية وأَلَـهَ عَبَـدَ ويأْله يعبد وإلاهة عبادة، والمتأله المتعبد والآلِه هو العابد والمألوه المعبود.

ويدل لهذا المعنى : شعر رؤبة بن العجاج :

(لله در الغانيات المدهي سبحن واسترجعن من تألهي) أي من تعبدي .

وقراءة ابن عباس:(ويذرك وإلاهتك) أي يترك عبادتك وكان فرعون يُعبد .

وكل معبود يسمى إلـهاً سواء عُبِد بحق وعدل وهو الله وحده لا شريـك لـه، أو عُبِد بظلم وهذا كل معبود سوى الله إذ عبادته تعتبر باطلة وظالمة ، وقد سـمى الله المعبودات الباطلة آلـهة كالهوى والأصنام.

قال ابن عباس رضي الله عنه : (**الله : ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين**) الطبري.

قال الطبري: فالإله هو المعبود وهو الله سبحانه، وهو على وزن فِعَـال بمعنـى مفعول مثل كتاب بمعنى مكتوب .

م (٣) : الألوهية والعبادة بمعنى واحـد وهـي مـن المترادفـات : وأَلَـهَ وعَبَـدَ لفظان مترادفان، ففعل العبادة هو نفسه فعل الألوهية اللذان هما التعبد والتأله .

فحقيقة الألوهية كل عبادة أمر الله بها ويثيب فاعلها .

م (٤) : الإله اسم جنس لكل ما يعبد :

قال الزمخشري في الكشاف : (الإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم على المعبود بحق) .

وقد سمى الله عز وجل المعبودات آلهة وكل ما عبد إله في آيات كثيرة .

م (٥) : أسماء توحيد الألوهية :

١ – توحيد الألوهية والإلهية.

٢– توحيد العبادة: والألوهية هي العبودية التي أمر الله بها ولا تنبغي إلا له.

٣– توحيد العباد : لكونه متعلق بأفعال العباد المخلوقين وتعبدهم .

٤– توحيد الإرادة والقصد والنية والطلب: لأنه متعلق بإرادة العبد وتوجهه.

٥- التوحيد الطلبي القصدي : لأنه قائم على طلب العبد وقصده ربه.

٦- توحيد العمل والفعل أو التوحيد العملي الفعلي: لأنه متعلق بأعمال العبد.

٧- توحيد الشرع والأمر والنهي : لكونه متعلقاً بأمر الله للعباد وتشريعه.

٨- توحيد الغاية: الغاية التي من أجله خلقنا ويقابل توحيد الوسيلة الربوبية.

م (٦) : الأقوال في اشتقاق اسم الإله :

١- الإله مشتق من (**وِلَاه**) وألَه ووله لجأ والتجأ واعتمد عليه وتضرع إليه .

٢- أنه مشتق من (**وَلاه**) من ولِه ألِه ولاه وتولها و الوله التولع والاشتياق.

٣- الإله مشتق من(**أَلِـهّتُ**) إلى كذا إذا سكنت إليه ، فالقلوب تسكن إليه

٤- أنه مشتق من (**لاه**) يلوه ، إذا احتجب واستتر .

٥- أنه مشتق من (**لاه**) يليه إذا ارتفع.

٦- أنه مشتق من (**وله**) ألِه وهو التحير.

وهذه المعاني بعضها صحيح وداخل في عموم العبادة ، إلا أنها قاصرة في الدلالة على المعنى .

٧- أنه مشتق من (**أَلَهَ**) آله أي قادر على الاختراع ومنه سميت الآلات بذلك، وجعل أصحاب هذا القول الإله بمعنى الفاعل لا المفعول وفسروا الألوهية بالقدرة والخلق والاختراع والربوبية، فالإله هو القادر وهو الرب، وهذا قول مبتدع لا تدل عليه النصوص ولا جاءت به اللغة وهذا القول والفهم أوقعهم في الشرك .

وهذا معنى الألوهية عند المتكلمين والصوفية القبورية . والعبادة عندهم لا تسمى عبادة إلا مع اعتقاد النفع والضر في المعبود وإعطائه بعض صفات الربوبية.

قال ابن تيمية: (الإله هو المألوه أي المستحق أن يؤله أي يعبد ولايستحق أن يؤله ويعبد إلا الله، وقد غلط طائفة من أهل الكلام فظنوا أن الإله بمعنى الفاعل وجعلوا الألهية هي القدرة على الاختراع والربوبية) الفتاوى ١٣/ ٢٠٣ و٣/ ١٠١.

أيضا لا يعتبرون الدعاء من العبادة فالعبادة عندهم فقط السجود والصلاة .

م (٧) : أنواع الألهة :

١- الإله الحق وهو الله ﷻ فهو المعبود وحده بحق .

وهذا حقيقة معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله : أي لا معبود بحق إلا الله فالنفي واقع على العبادة الحقة وعلى المعبود بحق وعلى الإله المستحق للعبادة، والإثبات بهذه الصفة لا يكون الا لله وحده المستحق للعبادة وليس نفي وجود المعبود ، فالآلهة غير الله موجودة وكثيرة ومثبتة غير منفية لكن المنفي استحقاقها العبادة، إذ أن عبادتها باطلة ولا تستحق أن تعبد .

٢- الآلهة الباطلة الظالمة وهي كل ما عبد من دون الله، ومن هذه المعبودات الموجودة الباطلة: الملائكة والأنبياء والأولياء والأموات والملوك والعلماء والجن والشمس والقمر والنجوم والنار والأصنام والأوثان والأشجار والصور والهوى والدنيا. وقد سمى الله كل ما يعبد إلهاً.﴿ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ ﴿ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾.

واتصفت الآلهة بالبطلان لأن عبادتها وقعت بدون حق، ومعنى (بدون حق) أي أنها لا تستحق العبادة ولا تنبغي لها، فلا يعبد إلا من يخلق وينفع ويضر وحده .

وكونها آلهة (ظالمة باطلة) لأنها ما اتصفت عبادتها بالعدل كما هو الحال في عبادة ربنا ﷻ الذي تمت كلمته صدقاً وعدلاً وقامت بتوحيده السموات والأرض .

م (٨) : الألوهية صفة من صفات الربوبية :

الألوهية هي صفة من صفات الله ﷻ وحق من حقوقه، فاستحقاق العبادة لله هي من مفردات الربوبية وخصائصها . وبيان ذلك أن الألوهية معناها استحقاق العبادة، ومعلوم أنه لا يستحق أحد العبادة غير الرب الخالق، فأحقية العبادة هي من لوازم الربوبية وصفاتها ومعانيها، فالرب لابد أن يعبد ويطلب ويرجى لكونه القادر على كل شيء، والعكس بالعكس العبادة والألوهية لا تنبغي إلا لمن قدر على النفع والضر والخلق ولا توجد هذه الصفة في أحد غير الله تعالى .

م (٩) : الألوهية صفة للرب وللعبد:

أولاً : الألوهية المتعلقة بالرب : ويقصد بها استحقاق العبادة.

وهي صفة مشتقة من الإله وذلك بكون الله ﷻ مستحق للعبادة وهو المعبود .

ثانياً : ألوهية العبد : وتطلق على فعل العبادة ويقصد بها الفعل نفسه :

فتتعلق الألوهية التي هي العبودية بالعبد من حيث كونه عابدا، فلا بد للمخلوق من ألوهية وعبودية لغيره فهي صفة من صفاته التي لا تنفك عنه .

م (١٠) : قاعدة : تحقيق توحيد الألوهية يحصل بأمرين :

الأول: عبادة الله وحده بما شرع لنا رسوله .

الثاني: البراءة من عبادة غيره والكفر بالطاغوت .

ولا يكفي أحدهما عن الآخر ، ومن تركهما أو أحدهما فهو كافر .

م (١١) : أركان الألوهية وآلاتها :

تتكون الألوهية من أربعة أركان تقوم عليها ولا تتم وتصح إلا بها.

الركن الأول : قول القلب وذلك بمعرفة الله ﷻ وتصديقه .

الركن الثاني : عمل القلب وذلك يتحقق بـالإقرار بوحدانيـة الله ﷻ وإفـراده بجميع أنواع العبادة ومحبته ورجائه والخوف منه والخضوع له وتعظيمه والرضا به.

الركن الثالث : قول اللسان ويكون بالنطق بالتوحيد (الشهادتين) وذكـره ﷻ وبالثناء عليه وحمده وشكره ودعائه والاستعانة به وسؤاله وطلبه وحده لاشريك له.

الرابع : عمل الجوارح، ويتحقق بالقيام لله والصلاة والسجود والذبح .

فتوحيد الألوهية منه الاعتقادي ومنه القولي ومنه العملي الفعلي .

م (١٢): لا يستقيم توحيد الألوهية إلا بإثبات الصفات لله ﷻ :

من اختل توحيـده في الـصفات وأخـل بنـسبة الكـمال لله وقـع في الـشرك في الألوهية لزاماً ، ولا يتم توحيد الألوهية إلا بتوحيد الأسـماء والـصفات وإثباتهـا لله على الحقيقة كـما جـاء في النـصوص وعـدم تعطيلهـا . ومـن وقـع في شرك الأسـماء والصفات لا بد له من حصول الخلل في الألوهية، وهذه القاعدة منضبطة لا تنخرم.

م (١٣) : دخول الولاء والبراء في الألوهية :

لا يتم توحيد الألوهية إلا بالولاء لأهلها ومعاداة الكافرين بها المشركين ، ومما يدخل في مسمى العبادة الحب والبغض، والموالاة والمعاداة كما دلت آية إبراهيم عليه السلام ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ .

م (١٤) : دخول الحكم في توحيد الألوهية :

جعل الله الحكم بما أنزل والتحاكم إلى أمره وشرعه وحكمه عبادة يحبها الله ويأمر بها ويجب أن يوحده العبد فيها فلا يحكم إلا بحكم الله ولا يتحاكم إلا إليه، فكل ذلك يدخل في مسمى العبادة. قال تعالى : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ الكهف: ٢٦ .

م (١٥) : حاجة الناس إلى توحيد الألوهية :

كما أن العباد في حاجة إلى ربوبية الله فهم في حاجة إلى ألوهيته وعبوديته والتعلق به، ومن لم يفهم هذا الأصل لم يفهم إياك نعبد وإياك نستعين فالأولى نعبد مردها للألوهية ونستعين مردها للربوبية، فنحن في حاجة إلى ربوبية الله وإلى ألوهيته، فالخلق مضطرون مفتقرون إلى اللجوء إلى ربوبية خالقهم وعبادة إلههم .

م (١٦) : أهمية توحيد الألوهية :

هو الغاية التي من أجلها خلق الخلق ولأجلها أرسلت الرسل وقامت السموات والأرض ويدل لهذا الأصل العظيم قوله ﷻ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦ ، فلأجل توحيد الألوهية خلق الله الإنس والجن والملائكة، ولأجله بعثت الرسل وأنزلت الكتب، وهو دعوة جميع الرسل قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ النحل: ٣٦.

ولأجل التوحيد شرع الجهاد وجردت السيوف وأريقت الدماء وقام الرسل بذلك ولا يعتبر المرء مسلما إلا به ولا يدخل الجنة إلا بتحقيقه .

وبالتوحيد قامت السموات والأرض فهو العدل وما يخالفه هو الظلم قال سبحانه ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ الأنعام: ١١٥ . وبلا إله إلا الله التي هي التوحيد قام الخلق وكل شيء .

وقد دل على توحيد الألوهية الفطرة والعقل قبل نزول الشرع، وقد وهم وأخطأ من ظن أن الفطرة دالة على توحيد الربوبية فقط دون الألوهية .

وصلاح البشر بل جميع الخلق بتوحيد الألوهية فلا غنى لهم عنه فكما أن الناس محتاجون لربوبية الله فهم أشد حاجة إلى عبادته وألوهيته .

قال ابن تيمية : (التوحيد جماع كل خير والشرك جماع كل شر) .

ولا يمكن أن يجتمع شمل الأمة إلا بالتوحيد والجهاد عليه .

توحيد الألوهية أول واجب على العبد وآخر واجب لا يدخل أحد الإسلام إلا به ولا يدخل الجنة وينجو من النار إلا بتحقيقه وهو الذي يعصم الدم أو يهدره.

وأجمع العلماء أن أول ما يدعى إليه الكافر كلمة التوحيد وبها يدخل في الدين.

م (١٧) : أكثر المشركين وقع شركهم في توحيد الألوهية .

معظم المشركين الذين أرسلت لهم الرسل كان دينهم الشرك في الألوهية باتخاذ الوسائط والشفعاء التي يزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم عنده وهذه حقيقة الألوهية التي يفعلونها والآلهة التي سماها الله ﷻ آلهة ليست لهؤلاء المشركين إلا مجرد شافعة يدعونها ويطلبون منها أن تقربهم إلى الله وتشفع لهم وتستغفر لهم وتستنصر لهم وتطلب الرزق لهم، لا أنهم اعتقدوا أنها تخلق وترزق وتملك وتنفع وتضر بذاتها فقد كانوا مقرين بتوحيد الربوبية كما قدمنا عنهم ، وأن حقيقة شركهم

كان في طلب الشفاعة من الأولياء : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ الزمر: ٣ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ يونس: ١٨، وهذه الوسائط والشفعاء كانت في الغالب من الأولياء، فعيسى وأمه وود وسواع ويغوث واللات كانوا رجالا صالحين اتخذهم المشركون شفعاء لهم عند الله وآلهة يعبدونهم بدعائهم من دون الله.

بل كان المشركون معترفين بألوهية الله وكانوا يعبدونه ويدعونه ويصلون له ويحجون لكن النزاع كان معهم في إفراده ﷻ بالألوهية وأن يوحدوه في العبادة ويعبدوه وحده كما قال ﷻ عنهم ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ﴾ الأعراف: ٧٠، فهذه الآية أثبتت أنهم كانوا يعبدون الله ﷻ لكن لم يكونوا يريدون أن يعبدوا الله وحده وإنما يعبدونه ويعبدون معه آلهة أخرى بل فوق هذا كانوا يخلصون له العبادة والدعاء وقت الشدة ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ العنكبوت: ٦٥، ومع ذلك لم تنفعهم هذه العقيدة ولا أدخلهم الله بها في الإسلام .

وفي هذا رد على المتكلمين والقبورية الذين ظنوا أن الاعتراف بتوحيد الربوبية يدخل في الإسلام وأن الشرك هو في الربوبية فقط .

مبحث : العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية

المسألة الأولى: الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية :

١- أن الربوبية متعلقة بأفعال الرب ﷻ كالخلق والإحياء فهي فعله وصفته .

والألوهية متعلقة بأفعال المخلوق كالخوف والسجود فهي فعل العبد وصفته.

٢- أن توحيد الألوهية متضمن للربوبية .

وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية وليس متضمنا له.

٣- أن توحيد الربوبية متعلق بالاعتقاد والقول .

وتوحيد الألوهية متعلق بالعمل عمل القلب والجوارح مع الاعتقاد.

٤- أن الربوبية توحيدها معرفة وإثبات .

والألوهية توحيدها إرادة وطلب وقصد .

٥- أن الربوبية متعلقة بالأمور الكونية القدرية كالخلق والتدبير .

والألوهية متعلقة بالشرع والأمر والنهي والمحبة والرضا .

٦- أن الربوبية مشتقة من اسم الرب وهو السيد المربي المتصرف .

والألوهية مشتقة من اسم الإله وهو المعبود .

٧- أن توحيد الربوبية متضمن الإيمان بأن الله رب كل شيء وخالقه .

وتوحيد الألوهية متضمن الإيمان بعبادة الله وحده لا شريك له ونبذ ما سواه .

٨- أن توحيد الربوبية أقر به المشركون غالباً .

وأما توحيد الألوهية فوقعوا في الشرك فيه وأنكروا توحيد الله به .

٩- أن الربوبية دليل على الألوهية والألوهية مدلول للربوبية .

١٠- أن توحيد الربوبية لا يدخل من آمن به فقط في الإسلام .

والإيمان بتوحيد الألوهية يدخل الإسلام لأنه يتضمن غالبا توحيد الربوبية.

١١- أن الألوهية والربوبية من الألفاظ التي إذا اجتمعت في اللفظ افترقت في المعنى وإذا افترقت اجتمعت .

المسألة (٢) : الرد على من زعم أن الألوهية والربوبية متحدة المعنى :

١- أن لفظ الإله غير لفظ الرب، حيث يختلفان في اللفظ والمعنى بإجماع أهل اللغة وأهل التفسير والشرع.

٢- أن الله جمع بين الاسمين (الرب والإله) في كتابه في سورة الفلق وآية مريم وغيرها وعطف بينهما والعطف يقتضي المغايرة .

٣- لو صحت دعواهم أن الألوهية والربوبية معناهما واحد، لكان من قال لا رب إلا الله داخل بذلك في الإسلام ومعلوم أنه لا يدخل الإسلام إلا بلا إله إلا الله.

٤- أن كفار الأمم التي بعثت فيها الرسل كانوا يعلمون أن الرب الخالق هو الله وحده بل ويستحق أن يعبد لكن نازعوا في أنه وحده المستحق للعبادة .

المسألة (٣) : الألوهية والربوبية من الألفاظ المتداخلة عند الاقتران:

أي أنهما إذا اجتمعا في اللفظ واقترنا في جملة واحدة افترقا في المعنى وفسر كل واحد بأشهر معانيه وما يخصه، فالألوهية بالعبادة والربوبية بالخلق والملك والتدبير .

وإذا افترقا في اللفظ اتحدا في المعنى وفسر كل لفظ بالآخر.

فهي مثل الإسلام والإيمان والفقير والمسكين .

قال ابن تيمية: (وإن كانت الإلهية تتضمن الربوبية والربوبية تستلزم الألوهية فإن أحدهما يتضمن الآخر عند الانفراد ولا يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران) . الفتاوى ١٠/ ٢٨٣.

أولاً : اجتماع الألوهية والربوبية والإله والرب :

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ الناس: ١-٣ .

وقوله: ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الرعد: ٣٠، فجمع ﷻ بين لفظ الرب الدال على الربوبية والخلق والتدبير ولفظ الإله الدال على الألوهية واستحقاق العبادة مما يدل على افتراقهما في المعنى وإن لكل لفظ معنى يخصه .

ثانياً : ذكر الرب والربوبية ودخول الألوهية فيه :

قال ﷻ: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ أي معبودكم .

ثالثاً : ذكر الألوهية ودخول الربوبية فيه :

قوله: ﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥ فالآية دالة على الألوهية ويدخل فيها الربوبية فمعنى الآية لا معبود بحق إلا أنا ولا خالق قادر مدبر مالك إلا أنا .

م (٤) : أوجه دخول توحيد الربوبية في توحيد الألوهية :

١ – أن الألوهية تستلزم الربوبية، فالمعبود يلزم أن يكون رباً كاملاً مالكاً مدبراً بيده النفع والضر وإليه يرجع الأمر وله صفات الكمال والجلال .

والمستحق للعبادة من له هذه الصفات والتي مردها للربوبية.

٢ – أن الإيمان بربوبية الله وتوحيده بها من العبادة والألوهية التي تقربنا إليه، فإثبات الربوبية لله وحده عبادة من العبادات، وهذه من مقتضيات الألوهية.

٣- أن الله تعالى يحب أن يوصف بالكمال وأن يوحد في الربوبية، فالله ﷻ أمر بذلك ورضيه وأحبه وهذه المعاني كلها من الألوهية والعبادة القائمة بالعبد.

٤- أن الله ﷻ جعل الدخول في الدين بقول كلمة لا إله إلا الله، فلو لم تكن هذه الكلمة دالة على توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية معا، لأتى بعبارة أخرى.

٥- أن اسم (الله) دال على الألوهية بالمطابقة وعلى أسمائه وصفاته وربوبيته جميعاً بالتضمن والملازمة .

٦- أن من وحد الله في الألوهية والعبادة فلابد أن يكون موحداً لله في ربوبيته ومؤمناً بذلك وهذا يدل عليه العقل أن الألوهية متضمنة للربوبية .

م (٥) : أوجه دخول توحيد الألوهية في توحيد الربوبية :

١- أن الربوبية تستلزم الألوهية، فالرب لابد أن يكون إلهاً، ومن كان كاملاً مالكاً للنفع والضر والتدبير والخلق فلابد أن يُعبد، ويستحق العبادة .

٢- أن توحيد الألوهية معناه استحقاق العبادة لله ﷻ، ومعلوم أن هذه الصفة التي هي استحقاق من صفات الكمال المتعلقة بالربوبية.

٣- أن من صفات الله ﷻ الملازمة للربوبية الحب والرضا ، ومما يحبه الله ويرضاه أن يوحد في الألوهية .

٤- أن الألوهية من مقتضيات الفطرة والربوبية ، فلا يصل العبد المربوب المخلوق لربه وخالقه إلا بالعبادة والألوهية ولا يصلح العبد إلا بذلك، وكما أن العبد محتاج للربوبية من الله فهو محتاج حاجة أولوية للألوهية.

م (٦) : تلازم الربوبية والألوهية :

قال محمد بن عبد الوهاب: (لا يغلط في الإلهية إلا من لم يعط الربوبية حقها) .

قال الألوسي العراقي في تفسيره : (ولا أرى أحداً ممن – يدعو غير الله – إلا وهو يعتقد أن المدعو الحي الغائب أو الميت المغيب يعلم الغيب أو يسمع النداء ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير ودفع الأذى وإلا لما دعاه).

قال الحكمي في المعارج : (وبقية المشركين يقرون بالربوبية باطناً وظاهراً كما صرح بذلك القرآن مع أن الشرك في الربوبية لازم لهم من جهة إشراكهم في الإلهية، إذ أنواع التوحيد متلازمة لا ينفك نوع منها عن الآخر وهكذا أضدادها، فمن ضاد نوعاً من أنواع التوحيد بشيء من الشرك فقد أشرك في الباقي، مثال ذلك في هذا الزمان عباد القبور إذا قال أحدهم للمقبور أغثني ونحو ذلك يناديه من بعيد فدعاؤه إياه عبادة صرفها لمخلوق وهذا شرك في الألوهية، وسؤاله إياه تلك الحاجة من جلب خير أو دفع ضر أو رد غائب و شفاء مريض ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله معتقداً أنه قادر على ذلك فهذا شرك في الربوبية) .

مبحث : العبادة

المسألة الأولى : تعريف العبادة في اللغة :

العبادة مشتقة من عبد يعبد عبادة وعبودية وتعبد ومتعبد ومستعبد .

ومعناها : الذل والخضوع والطاعة والاستسلام والانقياد والإذعان والتدين.

فالعبادة هي الطاعة والذل والخضوع على وجه التعظيم .

العبادة قد ترادف لفظ الطاعة والإسلام والألوهية والدين والشريعة .

م (٢) : **تطلق العبادة على** : ١- أمر الله ودينه . ٢- فعل العبد لذلك الأمر.

م (٣) : **معنى العبادة في الشرع : عُرِّفت بعدة تعاريف ، أضبطها ثلاثة:**

الأول: كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

الثاني: فعل ما أمر الله به امتثالاً وترك ما نهى عنه على وجه الطاعة والامتثال .

الثالث: كمال الذل والخضوع مع كمال المحبة. كما عرفه ابن القيم في النونية:

وعبادة الرحمن غاية حبه * مع ذل عابده هما قطبان

ليس العبادة غير توحيد المحبـــة مع خضوع القلب والأركان

م (٤) : **قيام العبادة والألوهية على ثلاثة أمور :**

١ - تعظيم الله ﷻ وإجلاله والمهابة منه وخوفه. ٢- غاية المحبة لله ﷻ.

٣- غاية الذل لله ﷻ والخضوع له ومهابته والانكسار له واللجوء إليه .

م (٥): **كل العبادات مبناها على الذل والتعظيم** : أي عبادة لو تأملتها لوجدتها تقوم على الذل والخضوع، ووجد الغاية منها إخضاع العبد لربه والتذلل والانكسار له والتجائه إليه وتعظيمه.فما خلقنا إلا لنعبده ونذل له ونعظمه، ونتقرب إليه.

م (٦): **أسماء المعبود بحق أو باطل** : الرب ، الإله ، المعبود ، المدعو ، الشفعاء الشريك ، الشركاء ، الوسائط المقربة ، الأصنام ، الأوثان ، التماثيل.

م (٧) : من عبد غير الله ﷻ ودعاه، فقد عبد الشيطان على الحقيقة، لأن هذا الشرك من أمر الشيطان فمن أطاعه فقد عبده كما قال تعالى ﴿وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴾ النساء: ١١٨ ﴿بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾.

م (٨) : جاءت اطلاقات في لغة العرب ووردت في الشرع بمعنى صرف العبادة منها : التوجه والقصد والطلب والجعل والابتغاء والاتخاذ والإرادة .

م (٩) : **أنواع العبودية :**

١ – العبودية العامة: ويشترك فيها كل الخلق المؤمن والكافر، وهذه عبودية الربوبية، يدل لها قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾ مريم:٩٣.

٢– العبودية الخاصة : وهي المتعلقة بالمؤمنين وهي عبادة الألوهية ويدل لها قوله تعالى ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾ الفرقان: ٦٣.

فالعبودية بنوعيها مثل الربوبية العامة والخاصة والإسلام العام والخاص .

م (١٠) : **أقسام العبادات :**

منها القلبية والقولية والعملية. ومنها الفعلية والتركية. ومنها البدنية والمالية.

ومنها المشروعة وهي الموافقة لأمر الرسول ﷺ وهديه .

ومنها المبتدعة وهي التي لم يأمر الله ﷻ بها أو جاء الأمر بخلافها .

ومنها الشركية : هي التي يعبد بها غير الله ﷻ.

م (١١) : شروط صحة العبادة :

١ - الإخلاص لله ﷻ والتوحيد وهذا مقتضى شـهادة أن لا إلـه إلا الله ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة: ٥. ولا تقبل العبادة إلا بالتوحيد.

٢ - المتابعة لرسوله ﷺ وهذا مقتضى شهادة أن محمداً رسـول الله ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ الحشر: ٧.

ودليل الشرطين: ﴿ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ الكهف: ١١٠ .

م (١٢) : قيام العبادة والألوهية على ثلاثة أصول :

١ - عبادة الله وحده ، ويتحقق بعدم الكفر.

٢ - عبادته بما شرعه لنا رسوله و بمتابعة رسوله ، ويتحقق بعدم البدعة.

٣- الكفر بعبادة ما سواه ، ويتحقق هذا الأصل بعدم الشرك والبراءة منه.

م (١٣) : أطراف العبادة :

لا تتم العبادة إلا بقيام المحبة والخوف والرجاء، وقد أثنى الله ﷻ على من جمع بينها، قال تعالى: ﴿ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗا ﴾ الأنبياء ٩٠ ﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا ﴾ الأعراف ٥٦ ﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ الإسراء ٥٧ ﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ الزمر: ٩.

م (١٤) : علاقة العبادة بالمسميات الشرعية :

أولا: الفرق بين الطاعة والعبادة :

١ - أن العبادة لا تكون إلا لله أما الطاعة فتكون لله ولغيره مثل طاعـة الـزوج والوالدين وأولي الأمر . فالطاعة تصرف للمخلوق أما العبـادة فـلا تـصرف إلا لله . فيقال طاعة الله وطاعة الوالدين ولا يقال عبادتهم. **فالله تفرد بالعبادة دون الطاعة .**

قال ابن تيمية : (باب الطاعة والتصديق ينقسم إلى مشروع في حق البشر وغير مشروع، وأما العبادة والتأله فلا حق فيها للبشر بحال) الفتاوى ١/ ٩٨.

٢- كل طاعة لله هي عبادة لا العكس لأن الطاعة هي تنفيذ أمر وموافقته وامتثاله، والعبادة أعم فقد يكون سببها فعل مأمور به وامتثال أمر وقد تكون مجردة.

قال ابن تيمية في شرح العمدة في كتاب الصيام : (الطاعة موافقة الأمر وهذا يكون بما هو في الأصل عبادة كالصلاة وما كان في الأصل غير عبادة وإنما يصير عبادة بالنية كالمباحات الأكل والنوم بخلاف العبادة فإنها التذلل للإله كذلك فما لم يؤمر به من العبادات وإنما رغب فيه هو عبادة وإن لم يكن طاعة) .

٣- العبادة لابد أن يقارنها الذل والخضوع والمحبة والمعرفة بخلاف الطاعة.

قال ابن تيمية: (الطاعة هي الفعل الواقع على حسب ما أراده صاحب الأمر، أما العبادة فهي المتضمنة لغاية الذل والخضوع مع غاية الحب فمن خضع لشخص مع بغضه له لم يكن عابدا له وكذا إذا أحبه ولم يخضع له). الفتاوى ١٠/ ١٥٣.

٤- العبادة يلزم منها طاعة من يعبد . قال سليمان في التيسير: (تفسير العبادة بالطاعة من التفسير باللازم، فإن لازم العبادة أن يكون العابد مطيعا لمن عبده بها).

٥- الشرك يكون في الطاعة وفي العبادة ، وشرك العبادة أشمل وكله شرك أكبر. أما طاعة المخلوق في معصية الله فمنها طاعة معصية ومنها طاعة شركية كفرية.

ثانيا : علاقة العبادة بالإسلام :

لما قلنا : إن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة .

كان الإسلام هو بمعنى الانقياد وهو بذلك يدخل في عموم العبادة،فلا يوجد شيء من الإسلام إلا وهو داخل فيها كما أن العبادة الشرعية داخلة في الإسلام .

قال ابن كثير في التفسير: (وعبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور وذلك هو حقيقة دين الإسلام لأن معنى الإسلام الاستسلام لله تعالى المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع).

رابعا: علاقة العبادة بالتوحيد:

التوحيد صفة وحال للعبادة فالعبادة إذا لم تصرف إلا لله فهي كما يقال التوحيد والإخلاص يدخل في العبادة وأفضل العبادات . فالعبادة أعم من التوحيد فكل من وحد الله فقد عبده وليس كل من عبد الله موحدا فقد يعبد الله ويعبد غيره .

سادسا: علاقة العبادة بالدين :

الدين أصله من الانقياد والذل وما يتدين به المرء ويلتزم به ، فهو قريب من معنى الإسلام ويدخل في عموم العبادة كما قاله ابن تيمية في العبودية.

وقد يكون الدين على غير وجه التعبد فيقال مثلاً الدمقراطية دين الغرب فهو بمعنى المنهج والطريقة وليس من باب التعبد .

والدين كالعبادة منه الحق وهو دين الإسلام والباطل كدين المشركين .

م (١٥) : تارك العبادة والألوهية كافر :

العبادة منها ما تركه كفر كالصلاة والتوحيد ومنها ما تركه محرم كالواجبات ومنها ما تركه لا يعاقب عليه كالمستحبات .

ومن ترك العبادة بالكلية فهو كـافر: قـال تعـالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠ . وداخرين أي صاغرين، وكان الجـزاء هنا من جنس العمل، حين استكبر ولم يذل ويخضع لله عاقبه بالإذلال. وتارك العبادة وقع في كفر الإعراض، وكفر الإباء والامتناع، وافتقد صاحبه شرط الانقياد .

وخالف في هذا الأصل المرجئة فجعلوا تارك الأعمال مؤمنا مسلما .

م (١٦) : حاجة الإنسان للعبادة وكونه مفطوراً على التعبد والتدين:

عبادة الله فوق كل ضرورة ولابد للمخلوق من العبادة ومن لم يعبـد الله عبـد غيره لا محالة . وحاجة الخلق لعبادة الله أعظم من حاجتهم لربوبية ربهم لهم .

م (١٧) : شمولية العبادة وجهل الناس بحقيقتها :

كـما أن النـسك والـشعائر التعبديـة لله وحـده، فكـذلك الحيـاة الاجتماعيـة والاقتصادية والسياسية وغيرها بل وحتـى الممات يجـب أن يكـون لله ، إلا أنـه مـع تضليل العلمانية المنافقة والصوفية والمرجئة أدى إلى تشويه الدين وانحسار مفاهيمـه الشرعية، ومنها العبادة، حيث حـصروها في أداء المناسـك والـشعائر التعبديـة التـي ساحتها المساجد. وأخرجوا التشريع والحكم والطاعة والتحاكم والولاء والبراء .

أما عند المتكلمين والصوفية القبورية: فلا يسمون العبادة عبادة إلا مع اعتقاد النفع والضر في المعبود واعتقاد الربوبية فيه أو إعطائه بعض صفات الربوبية .

أيضا لا يعتبرون الدعاء والاستغاثة من العبادة فالعبادة في السجود والصلاة.

م (١٨) : لماذا استحق الله تعالى العبادة دونما سواه ؟

الأول: لكماله المطلق من جميع الوجوه بلا نقص، ومن هذا الكمال أنه متصرف قادر خالق عالم بكل شيء، وكماله في قدرته وغناه وعلمه وقيامه على كل شيء، وجماله الكريم وإنعامه على خلقه ورحمته بهم ومحبته لأوليائه. وهذا يستوجب أمرين:

أن الكامل يستحق أن يعبد وتجب له العبادة ، وأن المعبود لابد أن يكون كاملاً وإلا فعبادته باطلة لا فائدة منها .

الثاني: لجماله ﷻ فله الجمال المطلق من جميع الوجوه.

الثالث: لإنعامه ﷻ على خلقه وتفضله على عباده ولعظيم نعمته على خلقه فكل خير منه ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ النحل: ٥٣ ، فهو المنعم وحده ولهذا استحق المحبة والعبادة وأن يدعى ويلجأ إليه وحده.

الرابع: لأنه ﷻ النافع الضار وحده ، فهو القادر أن ينفع ويضر والمتفرد وحده بذلك . قال تعالى مبينا هذا الأصل أن النفع والضر بيده وحده وأن المعبودات لا تملكه : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ الفرقان: ٥٥.

الخامس: لكمال غناه ﷻ وفقر كل مخلوق إليه فلا غنى لأحد عنه فهو الغني الحميد والصمد الكريم المجيد .

السادس: لكمال رحمته بخلقه ولعلمه بما يحتاجونه وما ينفعهم، قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يونس: ١٨ .

السابع : استحق ربنا ﷻ أن يُعبد لأنه وحده الخالق وغيره لا يخلق فمن يخلق يجب أن يُعبد ومن لا يخلق لا يستحق أن يُعبد .

ولا يمكن أن توجد هذه الصفات في أي مخلوق.

م(١٩) قاعدة:الكامل يستحق العبادة وتجب له، والمعبود لابد أن يكون كاملاً:

الأول : أن الكامل يستحق أن يعبد وتجب له العبادة. ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ الزخرف: ٨١ أي أنه لو كان للرحمن ولد كما زعم المشركون لصحت عبادة هذا الولد، لأنه لو كان لله تعالى ولد لكسب صفات والده من صفات الكمال، فاستحق العبادة، ولمّا كان هذا مستحيلا، فالولد منتفٍ عن الله ، انتفت العبادة عن غير لله .

الثاني : أن المعبود لابد أن يكون كاملاً وإلا فعبادته باطلة لا فائدة منها بل فيها الضرر كما أخبر تعالى في سورة الحج في قوله: ﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ وهذا حق دل عليه العقل والشرع أن من يُدعى ويُسأل لا بد أن تكون له القدرة على إجابة من دعاه ورجاه ويملك نفعه ودفع الضر عنه وإلا كانت دعوته وعبادته خسارة ، ولا يصح أن يكون لله شريك في العبادة لعدم وجود الكمال فيه .

فالنتيجة أنه لا كامل غير الله ﷻ وبالتالي فلا يستحق العبادة أحد سواه، لأنه لا يمكن أن يعبد إلا الكامل والكامل لابد أن يعبد، ولا كامل مطلقاً إلا الله فيجب أن تكون العبادة له وحده ، وقد قرر سبحانه في كتابه هذا الأصل وأفحم به أهل الشرك في آيات كثيرة، فلا يستوي الكامل والضعيف ومن يخلق ومن لا يخلق .

م(٢٠):من يخلق لابد أن يُعبد ومن لا يخلق لا يحق أن يُعبد والله الخالق وحده:

ومن أدلة أن المعبود لابد أن يكون خالقا ، قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ الأحقاف: ٤ ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ الفرقان: ٣ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ الزمر: ٣٨ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ﴾ الحج: ٧٣ ﴿ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ الرعد: ١٦ ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ الأنعام: ١٠٢. ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ ﴿ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾.

قال ابن القيم :(فإن الإله الحق لابد أن يكون خالقا فاعلا يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر) مختصر الصواعق ٧٢ ، وتقدم كلام ابن كثير .

م (٢١) : أسباب العبادة الشركية التي نفاها الله ﷻ :

قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون عباد الأوثان (الملك والشراكة والمظاهرة والمعاونة والشفاعة) ، وقد بينها الله تعالى في آية سبأ في قوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾.

م (٢٢) : طرق عبادة المخلوق وطلب شفاعته :

الطريق الأول: طريق العوام:وهم من يطلب من معبوده أن يشفع له عند الله .

الثاني : طريق الفلاسفة: ممن يعتقد أن المعبود يحصل النفع منه بمجرد القرب منه ببركة الفيض من الإله، بحسب يقين عابدها وتعلقه كالشعاع المنعكس في المرآة.

م (٢٣) : مفاسد عبادة غير الله :

١ – أن فيها التجاءً وتوجهاً وافتقارا لغير الله .

٢ – أن فيها إهانة العبد لنفسه حين يترك عبادة الله إلى عبادة مخلوق مثله.

٣– تضييع لمعنى العبودية لله التي هي أشرف صفات العبد وأعلى مقاماته .

٤ – أن فيه هضماً لحق الربوبية وإبطالاً لمقتضياتها وترك تعظيم الرب وتقديره .

٥ – نسبة الألوهية للمخلوق ووصفه بالربوبية والكمال واستحقاق للعبادة .

٦ – تنقص جناب الربوبية وذلك بترك عبادته لأن غيره أنفع وأقدر وأجوب.

٧– أن فيها شكاية الرب الرحيم على المخلوق .

٨– أن فيه إساءة الظن بالله وعدم تقديره.

٩ – أن فيه تشبيه الخالق بالمخلوق وذلك باعتقاد أنه محتاج لواسطة تشفع عنده، كما أن فيه تشبيه المخلوق بالخالق وذلك بإعطائه صفات الألوهية وأنه يدعى.

١٠ – أن دعاء وعبادة غير الله من الشرك المخرج عن الإسلام والكفر البواح .

١١ – تفويت الخير من الله والثواب وإجابة المطلوب .

١٢ – خسران رضا الله تعالى والجنة وإيجاب سخطه والنار.

١٣ – أن من دَعا غير الله فقد عظم وخضع وذل وانكسر وافتقر لمخلوق مثله.

١٤ – من دعا غير الله فإنه لم يعط الله حقه في اسمه الرحيم والعليم والقدير .

١٥ – أن اعتقاد أن الشرك أمر الله به غاية في الافتراء والكذب على الله ﷻ .

١٦ – أن في دعاء الأولياء والصالحين وطلب الشفاعة منهم عدوان عليهم .

١٧ – بطلان وفساد وضياع عبادتهم ودعائهم وتشفعهم.

م (٢٤) : العبادات مبناها على التوقيف لا الابتداع :

البدعة هي ما أحدثه الناس مما لا أصل له في الشريعة .

وفي البدع طعن في الله ورسوله ودينه حيث يلزم منه أن الدين والشريعة ليست بكاملة ولم يشرع الله ما يصلح لهم والله ﷻ يقول:﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾.

وقال ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) رواه البخاري .

وقال ابن مسعود ﷺ: (الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة) .

وليس في الإسلام بدعة حسنة.

ومن أمثلة البدع: الاحتفال بالمولد النبوي والعيد الوطني وصلاة الرغائب والصلاة والصدقة عند القبور والبناء عليها وزخرفة المساجد وغير ذلك .

م (٢٥): أقسام العبادات :

القسم الأول : العبادات القولية :

١ – الدعاء والتوسل والاستغاثة وطلب الشفاعة. وهذا عند كل المشركين .

٢ – المدح والشكر والثناء والحمد والتمجيد والتعظيم والذكر والتسبيح .

القسم الثاني : العبادات البدنية التقرب بالأعمال والتنسك بالجوارح:

الصلاة والقيام والركوع والسجود والاعتكاف والمجاورة والحج والطواف والذبح والنذر والصيام والتقبيل والتمسح والتبرك وتجريد اللباس وحلق الشعر.

القسم الثالث : العبادات القلبية : الإخلاص والنية والإرادة ، والمحبة ، والخوف، والرجاء ، والتوكل ، والتوبة والإنابة واللجوء، والخضوع والتعظيم .

مبحث : شهادة أن لا إلــه إلا الله

المسألة الأولى : حقيقة الشهادة ومراتبها :

الشهادة لا تعتبر شهادة إلا إذا اشتملت على أربع مراتب .

الأولى : علم الشاهد بها ومعرفته لها واعتقاد صحة ما شهد به وثبوتها عنده .

الثانية : تكلم الشاهد بذلك ونطقه بها .

الثالثة : أن يعلّم الشاهد غيره ما شهد به ويخبره به ويبينه له .

الرابعة : أن يلتزم بمضمونها ويلزم غيره بما شهد به ويأمره بها ويحكم بها.

فشهادة الله ﷻ لنفسه بالوحدانية تضمنت هذه المراتب الأربعة علمه بذلك سبحانه وتعالى وتكلمه به وإعلامه وإخباره وبيانه لخلقه وأمرهم وإلزامهم به .

وكذا شهادة المسلم بالتوحيد لا بد أن تقوم على هذه المراتب الأربع كما هو مقرر عند أهل السنة واللغة . ذكره ابن القيم وابن أبي العز.

المسألة (٢) : دخول الشهادتين في الإسلام والإيمان :

تدخل لا إله إلا الله في ركن الإيمان بالله القائم على الجانب الاعتقادي الباطن.

وتدخل في الإسلام القائم على الجانب العملي الظاهر والعمل بالتوحيد.

م (٣) : معنى كلمة لا إله إلا الله :

معناها لا معبود بحق إلا الله، هذا معنى هذه الكلمة ودلالتها، ومضمونها، لا معبود بحق إلا الله وأن كل معبود غير الله ﷻ فهو معبود باطل وعبادته شرك وكفر، لأن الإله معناه المعبود والألوهية هي العبادة ونفى الله أن يكون هناك معبوداً يستحق العبادة غيره تعالى وأن الآلهة والمعبودات التي يعبدها المشركون كلها باطلة فاسدة .

م (٤): الأصل في تفسيرنا كلمة التوحيد بأحقية العبادة ومصدر قولنا (بحق):

أولاً : أنواع الألهة :

١ – الإله الحق وهو الله ﷻ فهو المعبود وحده بحق .

وهذا حقيقة معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله : أي لا معبود بحق إلا الله فالنفي واقع على العبادة الحقّة وعلى المعبود بحق وعلى الإله المستحق للعبادة، والإثبات بهذه الصفة لا يكون إلا لله وحده المستحق للعبادة وليس النفي نفي وجود المعبودات، فالآلهة غير الله موجودة وكثيرة ومثبتة غير منفية، لكن المنفي استحقاقها للعبادة، إذ أن عبادتها باطلة فلا تستحق أن تعبد ، مما يستوجب نفيها مع الكفر بها.

٢ – الآلهة الباطلة الظالمة وهي كل ما عبد من دون الله ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾.

ثانياً : وجه الاتصاف بالحق والباطل .

اتصفت الآلهة بالبطلان لأن عبادتها وقعت بدون حق، ومعنى (بدون حق) أي أنها لا تستحق العبادة ولا تنبغي لها، فلا يعبد إلا من يخلق وينفع ويضر وحده .

وكونها آلهة (ظالمة باطلة) لأنها ما اتصفت عبادتها بالعدل كما هو الحال في عبادة ربنا ﷻ الذي تمت كلمته صدقاً وعدلاً وقامت بتوحيده السموات والأرض .

ثالثاً : من أين جاءت تسمية الآلهة بالحق والباطل ؟

الأدلة على التسمية بالحق والباطل وبيان ورودها في الشرع :

قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ لقمان: ٣٠ .

وقال: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم ﴾ الرعد: ١٤ .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ لقمان: ٣٠ ﴿ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ الحج: ٦٢.

م (٥) : **أركان لا إله إلا الله :** لها ركنان : النفي والإثبات :

الركن الأول : النفي في [لا إله] : نفي الألوهية والعبادة (الكفر بالطاغوت):

المقصود به نفي كل إله ومعبود عبد في هذه الدنيا، فلا تنبغي العبادات لأي إله اتخذه الناس معبودا لهم إلا لله تعالى وحده ، والنفي في (لا إله) ليس متعلقاً بالوجود والماهية والكونية وإنما النفي متعلق بالأحقية والاستحقاق، أي أن الله تعالى لا ينفي وجود آلهة تعبد وإنما ينفي وجود آلهة تستحق العبادة.

الركن الثاني : الإثبات [إلا الله] إثبات الألوهية لله (الإيمان بالله وحده):

المقصود بهذا الركن إثبات الألوهية والعبادة بجميع صورها وأفرادها وأركانها لله وحده المعبود بحق لا شريك له، والقيام بواجبه سبحانه من عبادته وحكمه، والانقياد لأمره، ومحبته وولايته وعدم الاستكبار والاستنكاف عن عبادته.

م (٦) : **ورد في النصوص التعبير عن النفي (لا إله) والإثبات (إلا الله) في كلمة التوحيد بعدة صيغ تحمل نفس المعنى، والأمران بمجموعهما يمثلان التوحيد:**

١- لا إله / إلا الله . ٢- تعبد الله / ولا تشرك به شيئا .

٣- الإخلاص لله وحده وعبادته / لا يشرك به شيئا .

٤- يؤمن بالله/ يكفر بالطاغوت ٥- لا إله إلا الله/ وكفر بما يعبد من دون الله.

٦- يوحدوا الله .٧- عبادة الله .٨- إيمان بالله .٩- يخلصوا لله .

١٠- شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .١١- إيمان بالله ورسوله.

١٢- الولاء والبراء : وهو ما جاء في آية إبراهيم التي أوردها المؤلف .

م (٧) : **شهادة أن لا إله إلا الله ينقضها أمران :**

الأول: ترك عبادة الله أو نفي جنس منها عن الله أو نفي استحقاقها لله.

الثاني: إثبات استحقاق أي نوع من أنواع العبادة لأي مخلوق .

فالأول هو الكافر والثاني هو المشرك ، وكل قول أو اعتقاد أو تصرف وعمل يتضمن أحد هذين الأمرين يدخل صاحبه في الردة .

م (٨) : لا تنفع لا إله إلا الله إلا العالم بمعناها العامل بمقتضاها .

ولا بد في قبول كلمة التوحيد من ترك الشرك قصدا . وتقدم الكلام .

م (٩) : مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله :

قولها باللسان والعمل بمقتضاها والالتزام بما دلت عليه من عبادة الله وحده وطاعته والإذعان لأمره والانقياد لشرعه والتسليم لرسوله والكفر بعبادة كل ما سواه وترك كل العبادات المبتدعة وعدم صرف شيء من العبادات لغير الله والبراءة من المشركين والكفار ومعبوداتهم وكفرهم .

فائدة : شهادة التوحيد أعظم شهادة في الوجود وقد شهد بها الرب ﷻ .

م (١٠) : متى تنفع كلمة لا إله إلا الله صاحبها :

لا تنفع هذه الكلمة العظيمة صاحبها وقائلها إلا إذا قالها بلسانه واعتقد معناها بقلبه وعمل بمقتضاها بجوارحه، ولا يكون ذلك إلا إذا أتى بثلاثة أمور :

الأول : العمل بأركانها : الإيمان بالله والكفر بالطاغوت وترك الشرك قصدا.

الثاني : الإتيان بشروطها السبعة، وستأتي .

الثالث : عدم الإخلال بها ولا الإتيان بناقض من نواقضها . وهي :

الشرك – اتخاذ الوسائط والشفعاء – بغض الله أو رسوله أو دينه أو شيء مما جاء به – الاستهزاء بشيء من الدين – الحكم بغير ما أنزل الله باعتقاد أن هدي غير الرسول أفضل من هديه وحكمه والعمل بغير الشريعة – من ظن أنه يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ– السحر – مظاهرة الكفار على المسلمين – عدم تكفير المشركين أو الشك في كفرهم – الإعراض عن الدين وعدم تعلّمه والعمل به .

وهذه القاعدة تخص المسلم، أما الكافر فيدخل الإسلام بمجرد قولها فإذا قالها طولب بشروطها وأركانها وأن لا ينقضها فإن التزم وإلا اعتبر كافراً.

م (١١) : كلمة التوحيد قول واعتقاد وعمل :

لما كانت لا إله إلا الله من التوحيد والتوحيد من الإيمان، والإيمان قول وعمل، كانت لا إله إلا الله تقوم على ثلاثة أركان .

الأول : قولها باللسان والنطق بها .

الثاني : اعتقاد معناها بالقلب بتصديقها ومحبتها وقبولها واليقين بها .

الثالث : العمل بها والالتزام بمقتضاها وأركانها وعدم ارتكاب ما ينقضها.

م (١٢) : شروط كلمة التوحيد : (لا إله إلا الله) :

أحدها : العلم المنافي للجهل .

الثاني : اليقين المنافي للشك .

الثالث : الصدق المنافي للكذب والنفاق.

الرابع : الإخلاص المنافي للشرك .

الخامس : المحبة المنافية للبغض .

السادس : القبول المنافي للرد .

السابع : الانقياد المنافي للترك والإعراض والتولي العملي .

وقد بينت المسائل المتعلقة بهذه الشروط في كتاب مستقل .

م (١٣) : هل لفظ الجلالة (الله) مشتق أو جامد:

القول الأول : أن اسم الجلالة (الله) مشتقاً من الإله المعبود .

قاله سيبويه والخليل والكسائي ونصره ابن القيم ، وهذا ما يفهم من كلام ابن عباس رضي الله عنه قال :" **الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين** " رواه عنه الطبري.

الثاني : أن اسم الجلالة (الله) علم على الذات فهو لفظ جامد وليس مشتق .

م (١٤) : دلالات لا إله إلا الله على الدين :

تدل كلمة التوحيد على التوحيد مطابقة .

وتدل على الإيمان بالله والربوبية والصفات والولاء والبراء تضمناً .

وتدل على بقية أركان الإيمان الخمسة وأركان الإسلام الأربعة الباقية ملازمة.

والمقصود أن لا إله إلا الله تدل على الدين كله بأحد الدلالات الثلاث .

م (١٥) : قيام كلمة لا إله إلا الله وأفعال الألوهية على ثلاثة مقامات :

الأول : النسك والتعبد :

ويقوم هذا القسم على أغلب العبادات الباطنة من المحبة والخوف والرجاء والتوكل وغيرها والظاهرة من الدعاء والصلاة والصيام والسجود والقيام والركوع والطواف والذبح والحج والنذر والصدقة والجهاد والحمد والذكر ويدل لهذا الأصل

أدلة منها : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ ﴾ الأنعام: ١٦٢ ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ١٨.

الثاني : الحكم والشرع والدين والطاعة :

ويقوم هذا المقام على الحكم بما أنزل الله ﷻ والتحاكم إلى شرعه ورفض ما سواه وطاعة الله ورسوله، وهذا المقام يدخل فيه شهادة أن محمدا رسول الله والتوحيد في متابعته والتسليم لحكمه، ومما يدل على وجوب التوحيد في الحكم والأمر والتشريع والطاعة والتحاكم: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ النساء: ٦٠ ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤.

الثالث : الولاية :

ويقوم هذا المقام على الولاء والبراء في الله بموالاة الله ورسوله ودينه وأوليائه ومعاداة أعدائه والبراءة منهم ومن دينهم ومعبوداتهم،ومما يدل على وجوب التوحيد في الولاء: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ المائدة: ٥٥ ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ الأنعام: ١٤.

فصل : القبورية (شرك القبور)

المسألة الأولى : تعريف القبورية :

القبورية نسبة للقبر، وهذا مصطلح يطلق على عبادة القبور والغلو فيها وتعظيمها وجعلها أوثاناً تعبد من دون الله وصرف العبادة لها.

والقبورية كما أنها تطلق على الأفعال الشركية ، كذلك تطلق على أصحاب هذه الأفعال ، مثل ما يقال في اللغة الطهور فعل الطهارة والماء المتطهر به .

والقبوري : يطلق على من اتصف بهذه الصفة (القبورية).

وذلك إذا وقع في الشرك بالقبور وعبدها من دون الله ﷻ.

غلاة القبورية : هم من يشرك في الربوبية ويعتقد أن للقبور القدرة الكاملة والتدبير.

الثانية : أسماء أصحاب هذا الدين والمذهب :

عبّاد القبور – القبورية – القبوريون – المقابرية – مشركو القبور .

الثالثة : القبورية دين : القبورية دين المشركين بالقبر العابدين له، الذين اتخذوه إلهاً ومعبوداً ووثناً يصرف له كل العبادات من دون الله تعالى، وكل عبادة عُبِد الله بها فقد عبد بها القبوريون القبر.

فائدة : القبورية داخلة في الوثنية :

ودليل ذلك قوله ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) مالك وأحمد.

الرابعة : المقارنة بين دين الله وتوحيده ﷻ وبين دين القبورية :

القبورية دين يضاد دين الله ﷻ ويضاد الملة الحنيفية الإبراهيمية القائمة على توحيد الله بالربوبية والألوهية وينقض الشريعة والسنة المحمدية ، فالقبورية دين قئم على الشرك ويضاد التوحيد وينقضه من أصله من جميع الوجوه .

الخامسة : الفرق بين القبورية وعبادة غير الله والشرك:

عبادة غير الله تكون على أوجه متنوعة ولمعبودات مختلفة كلها داخل في الشرك الذي منه القبورية والوثنية ، فعبادة غير الله تشمل عبادة القبور والأوثان والأصنام وعبادة النيران والثيران والكواكب والشمس والقمر والأموات من غير الذهاب لقبورهم، كما تشمل الحكم بغير ما أنزل الله والتحاكم إلى الحكام الطواغيت.

وقد جعل البعض كل عبادة من دون الله قبورية فجعل عبادة الصالحين عن طريق الأصنام قبورية، مع أنها ليست عبادة لذات القبر، بل وجعلوا عبادة قوم موسى للعجل من القبورية، وعندي أن هذا فيه نظر والصحيح ما ذكرته من كون القبورية نوع من أنواع الشرك ووجه من أوجه عبادة غير الله تعالى والله أعلم .

كما أن القبورية منها المتعلق بالألوهية والعبادة أي عبادة القبور من دون الله، ومنها ما هو متعلق بإثبات الربوبية لها.

فالقبورية متعلقة بالشرك في الألوهية ، ومتعلقة بالشرك في الربوبية .

والشرك كما ذكرنا أعم من قولنا عبادة غير الله :

لأن الشرك منه ما هو متعلق بعبادة غير الله وهو ما يسمى بشرك الألوهية والعبادة، ومنه ما هو شرك في ذات الرب ﷻ إما بتعطيله عن ربوبيته وصفاته أو

بتمثيله بخلقه ونسبة النقص له أو بتمثيل خلقه به وإعطائهم بعض صفات الله أو نسبة شيء من أفعال الربوبية لهم .

عليه فعبارة عبادة غير الله أخص من عبارة الشرك وداخلة فيه دون العكس.

والقبورية نوع من أنواع الشرك، وبينها وبين شرك العبادة عموم وخصوص.

السادسة: القبورية نصف الشرك : يمكن تقسيم الشرك إلى قسمين :

الأول : شرك الأموات والقبور :

وذلك بالشرك فيها من ناحية الألوهية بعبادتها ودعائها والاستغاثة بها .

وكذا إشراكها في الربوبية وذلك بإعطائها صفات وخصائص الرب كالقدرة المطلقة على النفع والضر والتصرف في الكون وتدبير الخلق وعلم الغيب .

الثاني : شرك الأحياء والقصور والدستور :

وذلك بطاعة العلماء والأمراء والطواغيت في تحليل الحرام وتحريم الحلال وتقديم أمرهم على أمر الله والتحاكم إلى من يحكم بغير ما أنزل الله ويسن القوانين ويشرع الدين الذي لم يأذن به الله .

وهذا الشرك حاصل في الألوهية بالطاعة والتحاكم لغير الله .

وفي الربوبية بتشريع الدين والتحليل والتحريم والحكم بغير ما أنزل الله .

يعد شرك الدعاء وعبادة الموتى نصف الشرك من جهتين:

١ – نصف الشرك من جهة كونه مقابلا لشرك التشريع والحكم والدستور .

٢ – نصف الشرك من جهة كونه مقابلا لشرك الفلاسفة وعباد الكواكب.

قال ابن تيمية : (الشرك في بني آدم أكثره على أصلين :

أولها : تعظيم قبور الصالحين وتصوير تماثيلهم للتبرك بها ، وهذا أول الأسباب التي بها ابتدع الآدميون وهو شرك قوم نوح .والثاني: عبادة الكوكب) .

الرد على المنطقيين ٢٨٥ ، قاعدة التوسل والفتاوى ١٧/ ٤٦٠ .

السابعة : طرق ومراتب وأوجه عبادة البشر:

١ - عبادة الأحياء بدعائهم وتعظيمهم وإثبات الربوبية والألوهية لهم أو التحاكم إليهم وطاعتهم .

٢ - عبادة الأموات ودعاؤهم من دون الذهاب لقبورهم والوقوف عندها ولا جعل الأوثان والتماثيل لهم، وإنما تكون عبادتهم باستحضارهم في القلب كمن يعبد الرسول ﷺ وعيسى عليه السلام والحسين.

٣- عبادة الأموات بعد وضع الأصنام والتماثيل لهم وتصويرهم، من دون الذهاب لقبورهم.

٤ - عبادة الأموات عند القبور وهذا بدعة في هذه الأمة أول من فعلها الرافضة لعنهم الله في آخر القرن الرابع الهجري في عهد الدولة البويهية والفاطمية والقرامطة ولم يسبقهم أحد إليها، ثم انتشرت في هذه الأمة المحمدية في الصوفية خاصة، وتسموا بعد ذلك بعباد القبور أو القبورية .

الثامنة : دعاء الأموات أصل شرك العالم :

مخاطبة الأموات وسؤال حوائجهم هو أصل شرك العالم وعند الأمم جميعاً، وزادت هذه الأمة بعبادة الأموات عند قبورهم .

قال ابن القيم في المدارج: « طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة وهـي أصـل شرك العالم وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد ، وهؤلاء أعداء الرسل والتوحيد ».

قال ابن كثير في تاريخه: (أصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصـحابها وقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطمسها وعدم المغالاة في البشر) ١٠/ ٢٦٢ .

قال ابن القيم : (وضع الصنم إنما كان في الأصل عـلى شـكل معبـود غائـب، فجعلوا الصنم على شكله وهيأته وصورته ليكون نائبا منابه، وقائما مقامه وإلا فمـن المعلوم أن عاقلا لا ينحت خشبة أو حجرا بيده ثم يعتقد أنه إلهه) الإغاثة ٢/ ٢٢٠ .

قال ابن تيمية :(أصل الشرك في بني آدم كان مـن الـشرك بالبـشر الـصالحين المعظمين، فإنهم لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم عبـدوهم، فهـذا أول شرك كان في بني آدم وكان في قوم نوح) المجموع ٦/ ٢٥٥ .

التاسعة : القبورية واقعة لشيئين:

عبّاد القبور يصرفون عبادتهم لمعبودين اثنين :

١- القبر ذاته ، بترابه وحجارته، وكم من قبر يعبد وليس فيه إلا كـافر ملحـد وربما حيوان، بل وعرفت قبور عبدت ولـيس فيهـا ميـت أصـلا ، ومـن ذلـك قـبر الحسين في ثلاثة بلدان كل منهم يدعي أن هذا القبر المعبود هو قبر الحسين.

٢- المقبور فيه ، وهو المقصود بالمخاطبة والمناجاة والدعاء .

العاشرة : أن عبادة صاحب القبر عند قبره يعتبر عبادة للقبرويصير القبر وثناً :

ودليل ذلك قول الرسول ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) مالك وأحمد.

الحادية عشرة : يطلق على عابد صاحب القبر أنه عابد للقبر :

ووجه: أن الميت لا يسمع من يدعوه ولا يبصره ولا يقدر على إجابة الـداعي، فهو في الحقيقة بمنزلة الجماد والتراب والأرض فالذي يعبد صاحب القبر عند القـبر ويخاطبه في الحقيقة هو يخاطب التراب والأرض ولا يخاطب صاحبه لأن صـاحبه لا يعلم به ولا يراه ولا يسمعه كما أخبر ﷻ ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ فاطر: ٢٢ .

الثانية عشرة: دعاء القبر يجعله وثناً ومعبوداً وإلهاً :

القبر الذي يُعبد ويُدعى صاحبه ويُطاف به يصير القبر بـذلك وثنـاً، والـدليل على أنه يسمى وثناً قول النبي ﷺ:(اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) رواه مالك وأحمد.

فأي قبر يُدْعى صاحبه ويطافُ به ويذبح له فإن هذا القبر يسمى وثناً ولو كان قبر ولي أو نبي .

الثالثة عشرة : حماية الله تعالى لقبر الرسول ﷺ فلا يعبد قبره:

لا شك في أن الرسول ﷺ يُعْبَد من دون الله، وذلك حـين يـدعى مـن دون الله ويشرك به ويعتقد أنه ينفع ويضر ويملك كل شيء، ولكن نفس قبره لم يعبد، لأنـه لا يمكن الوصول إليه وقد أحيط بجدار وضعه عمر بـن عبـدالعزيز حـين جـدد بنـاء المسجد وأدخل الحجرات فيه، وكان قبل ذلك في الحجرة كي لا يبرز للنـاس، وهـذا حفظ من الله تعالى له فلا يستطيع أحد عبادة القبر، ومن ادعى أنـه يطـوف بقـبره أو يسجد له فنقول له أنت كمن يطوف بالمسجد أو يسجد للمسجد أو جهـة المدينـة أو الجزيرة العربية هل يعد هذا طائف بالقبر وساجد له ؟ هذا لا يعد طائفـاً بـالقبر ولا ساجدا له عند جميع العقلاء، فمنع الله كل مشرك به من الوصول إلى قبر رسـوله فـلا

يصل إليه من يريد أن يعبده وبذلك انتفت عبادة قبره واستجاب ربه دعاءه حين قال ﷺ : (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) رواه مالك وأحمد ، فتأمل ذلك .

الرابعة عشرة : القبورية شركهم في الألوهية والربوبية :

الأول : من يقع منهم في شرك الألوهية :

وذلك بصرف العبادة للقبور من دعاء وذبح وسجود للميت والقبور.

الثاني : من يقع من عباد القبور في شرك الربوبية :

وذلك بنسبة التصرف في الخلق والرزق وتدبير الأمور وملك النفع والضر وعلم الغيب لغير الله من الأموات، وأن الأموات من الأولياء المقبورين يفعلون كل ما يفعله الله بدون استثناء وأن الله وكلهم بكل شيء وأذن لهم في كل أمر، وكثير من القبورية وقعوا في هذه الدرجة ويسمى أصحاب هذا القسم بغلاة القبورية .

حتى قال كفارهم : (لا يدق مسمار إلا بعد أن يأذن صاحب القبر البدوي) .

الخامسة عشرة: القبورية متعلقة بشرك التعطيل وشرك في التمثيل :

أما كونها من شرك تعطيل: فلأن فيها تعطيل الله من عبادته ومعاملته وكماله وتوحيده ووصفه بأنه لايرحم إلا بهؤلاء، ولايعلم ولا يقدر إلابتوصيل الوسائط المقربة عنده لمطلوبات داعيها وعابديها ، كما أخبر تعالى عنهم في سورة يونس .

وأما كونها داخلة في شرك تمثيل :

فلأن فيها تمثيل الخالق بالمخلوق، الذي يحتاج لواسطة، فلا يقدر ولايعلم ولا يرحم إلا بالواسطة، والمشفوع عنده يرجوها ويخاف من رد شفاعتها فلا إذن له فيها.

وتمثيل الميت بالرب المعبود ﷻ وأن هذا المخلوق يستحق أن يعبد ويدعى .

السادسة عشرة : درجات مخالفات وبدع القبورية : بدع القبور على قسمين :

الأولى : الكفرية المخرجة من حظيرة الإسلام ،كالذبح لها والطواف بها ودعائها والسجود لها .

الثانية : البدعية المحرمة وما هي شرك أصغر وبدعة غير مكفرة ، لكنها وسيلة للكفر الأكبر ، كالبناء على القبور ووضع القباب والأنوار عليها.

السابعة عشرة: العبادات التي يصرفها المشركون للقبور :

١ – الدعاء ، دعاء القبر وصاحبه من دون الله وهذا أعظم العبادات وأكثرها .

٢ – السجود للقبر والركوع له والقيام له والصلاة له .

٣– إرادته وقصده والتوجه إليه والخشوع عنده والخضوع والتذلل له .

٤ – الاستغاثة بها وسؤالها والتوجه لها والافتقار والمسكنة والإخبات .

٥ – الذبح للقبر.

٦ – النذر للقبر والتصدق له .

٧– الخوف من القبر وصاحبه والرهبة منه وخشيته.

٨– رجاء القبر والرغبة إليه.

٩ – التوكل على القبر .

١٠ – محبة القبر والمحبة فيه والبغض فيه والموالاة والمعاداة لأجله .

١١ – التوبة إليه .

١٢ – تعظيمه وإجلاله وعدم رفع الصوت عنده .

١٣ – ذكره وحمده وشكره وتسبيحه وتهليله .

حتى قال بعض القبورية: لا يحصل شيء إلا بإذن صاحب هذا القبر ولا يستحق العبادة غيره وعبادته عبادة لله، وقول أحدهم مخاطباً صاحب القبر وقد مات ابنه : أما الله فرأيت ما فعل ولم يبق لي إلا أنت فأنا في حسبك.

فلازم قولهم لا إله إلا هذا الميت ، ولا يستحق العبادة أحد سواه.

١٤- الحج للقبر وجعله منسكاً وسموه بحج المشاهد مضاهاة لحج المشاعر.

١٥- الطواف به .

١٦- الاعتكاف عنده ومجاورته والإقامة عنده .

١٧- التبرك بالقبر والتمسح به وتقبيله وتمريغ الوجه بترابه والأخذ منه.

١٨- حلق الرأس والتقصير عنده .

١٩- لبس نوع من الملابس مثل لباس الإحرام عند زيارة القبر.

٢٠- الطهارة عند زيارة القبور .

٢١- جعل أرض القبور كالحرم لا يصاد فيها ولا يقطع شجر حولها .

٢٢- الإقسام بها والاقتراع عندها والاستقسام بها وعندها .

٢٣- إخراج الصدقات وتوزيعها عندها .

٢٤- البناء على القبور ووضع القباب عليها ورفعها.

٢٥- تزيينها وتعطيرها وتبخيرها .

٢٦- وضع الأنوار والسرج والكهرباء عليها.

٢٧- تلبيسها وكسوتها وإسبال الستر عليها .

٢٨- بناء المساجد عليها .

٢٩- التبرك بالصلاة عندها.

٣٠- قصد دعاء الله عندها .

٣١- مداومة زيارتها وجعلها عيداً مكانياً وزمانياً.

٣٢- الحلف بها .

٣٣- اعتقاد أنها تعلم الغيب وتسمع وتبصر كل شيء .

٣٤- اعتقاد أنها تنفع وتضر وتملك النفع والضر والخير والشر.

٣٥- اعتقاد أنها تدبر الأرض والسماء وتتصرف في الخلق .

٣٦- اعتقاد أن الرب منحهم خزائن رحمته ومقاليد حكمه وأمره ونهيه.

والقاعدة : أن كل شرك وقع في الأرض فالقبوريون فعلوه مع القبور .

وأن كل عبادة أمر الله تعالى أن يعُبد بها فقد عبد بها القبوريون القبر.

الثامنة عشرة: مراتب البدعة عند القبور :

١ - دعاء الأموات وهذا شرك وكفر .

٢ - أن يتوسل بهم وهذا بدعة .

٣- أن يظن أن الدعاء عند قبورهم مستجاب ، وهذا أيضا بدعة.

التاسعة عشرة: درجات ومراحل تشريع وقوع الشرك وتسويغه :

١ - ما زال الشيطان يوحي إلى الجهال ويلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين وأن الدعاء عندها مستجاب .

٢ - ثم ينقلهم الشيطان من هذه المرتبة إلى الدعاء بهم والتوسل والإقسام بهم.

٣- ثم ينقلهم إلى دعائهم وعبادتهم وسؤالهم الشفاعة .

وجعل القبور وثناً يعلق عليه القناديل والستور ويذبح عندها .

٤ – ثم ينقلهم إلى دعاء الناس إلى عبادتهم واتخاذه عيداً ومنسكاً .

٥ – ثم ينقلهم إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب ومنزلتهم .

العشرون: نشأة عبادة الأموات :

عبادة الأموات هو أول شرك وقع على الأرض، في زمن نوح حين عبد قومه وداً وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا ودعوهم من دون الله وجعلوا التماثيل والأصنام لكل واحد منهم فعبدوا تلك الأصنام التي يعتقدون أنها صور أولئك الصالحين .

وفي كل الأمم حصلت عبادة الأموات حتى عند اليهود والنصارى، بل واتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وهم أول من أحدث هذه البدعة ولم تفعل قبلهم فكانوا يبنون المسجد على قبور الصالحين ويصلون في تلك المساجد ويتبركون بها فاتبعتهم هذه الأمة وفعلوا مثل ما فعل هؤلاء مع تحذير الرسول لهم ونهيه عن اتباعهم(لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) متفق عليه.

إلا أن أولئك كانوا يبنون على القبور مساجد ولا يدعون القبور وهؤلاء غلوا في الشرك وعبدوا تلك القبور فزادوا في الكفر . ولم يثبت والله أعلم أن من سبق عبدوا القبور مثل هذه الأمة .

الحادية والعشرون:عبادة القبور بدعة رافضية لم تحصل إلا في هذه الأمة:

لم يكن فيمن سبق من يعبد القبور بل كانوا يعبدون الأحجار والأشجار والأصنام والأوثان وهي عبارة عن صور ورموز غالباً لرجال صالحين قد ماتوا مثل أصنام قوم نوح وأصنام العرب كاللات وغيرها ولم يكن أحد منهم يذهب للقبر

ذاته ويسجد له ويدعوه ويذبح له كما يفعل مشركوا هذه الأمة عباد القبور، بل كانوا إذا مات فيهم العبد الصالح صوروا له صورة وجعلوا له تمثالا فيتذكرونه ويعبدون الله إذا رأوه فإذا مضت عليهم أزمنة وأجيال عبدوا الصنم الذي هو صورة للميت.

كذلك أهل الكتاب كانوا يبنون المساجد على القبور ليتبركوا بها ويدعوا الله عندها ويعتقدون أن الصلاة عند القبر أفضل وأقرب لله وأعظم للأجر، ولم يبنوا المساجد على القبور ليعبدوا القبور ذاتها من دون الله كما يفعله مشركوا هذه الأمة. وبهذا يتبين أن القبورية ملة معاصرة ووليدة في هذه الأمة لم تحصل في أمة من قبل.

تنبيه : الفرق بين عبادة الأموات التي وقعت فيها الأمم وبين عبادة القبور :

لا يعارض قولنا ببدعية عبادة القبور وكونه من بدع الرافضة مع ما ذكرنا من عبادة الصالحين في قوم نوح واللات وهو رجل صالح وغيرهم ولا عبادة النصارى لعيسى واليهود لعزير، وذلك لأن المشركين السابقين عبدوا نفس الأموات، إما في تخيلاتهم بدون الذهاب لقبورهم أو بجعل تماثيل تمثلهم وأصنام تصورهم فيعبدوا تلك الأصنام والتماثيل، لكن لم يحصل منهم أنهم ذهبوا للقبر ذاته ليعبدوه كما يفعله القبورية من الرافضة والصوفية في هذه الأمة والله أعلم .

الثانية والعشرون: طوائف القبورية :

الأولى : الرافضة وبعض الزيدية . الثانية : الصوفية .

ولا يوجد قبورية عند المسلمين إلا في هاتين الطائفتين، كما أنه لا يوجد رافضي ولا صوفي إلا وهو قبوري يدعو غير الله ويستغيث بالأولياء والأموات .

قال ابن تيمية في الفتاوى ١ / ٦٧ : (والغلو في الأمة وقع في طائفتين :

طائفة من ضلال الشيعة الذين يعتقدون في الأنبياء وأهل البيت الألوهية .

وطائفة من جهال المتصوفة يعتقدون نحو ذلك في الأنبياء والصالحين).

الثالثة والعشرون: نشأة القبورية في أمة محمد ﷺ :

الذي أحدث بدعة عبادة القبور هم الرافضة عليهم لعائن الله، وهم الذين أدخلوا الشرك في هذه الأمة بعد مضي القرون الثلاثة المفضلة بعد قيام دولتهم، دولة القرامطة في البحرين واليمن والعبيدية الباطنية في المغرب ومصر والبويهية في إيران والعراق وبقية الدول الرافضية، وبعد قيامهم نشروا ما سموه بالمشاهد التي هي القبور وبنوا القباب عليها ودعوا المسلمين لعبادتها، ونشروا ذلك وبعد سقوطهم قامت على إثرهم دول تأثرت بهم فأتت بالصوفية القبورية والعياذ بالله .

قال ابن تيمية : (وكان ظهور المشاهد وانتشارها وتعظيمها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة وكثر فيهم الزنادقة وفشت كلمة البدع وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة) الفتاوى ٢٧/ ٤٦٥ .

وقال (كما أن بني بويه الرافضة ظهر في دولتهم بناء المشهد على قبر علي رضي الله عنه المزعوم بناحية النجف ولا يزال يعبد ويدعى ويطاف به) رأس الحسين ١٦٨ .

ومن أعظم الدول المتأخرة التي نشرت القبورية وتأثرت بالرافضة الدولة العثمانية ودولة المماليك قبلها وهم الذين بنوا القبة على قبر الرسول ﷺ سنة٦٧٨ .

الرابعة والعشرون: المقارنة بين سنة الرسولﷺ وحال القبورية مع القبور :

المقارنة بين دين الله وتوحيده وسنة الرسول ﷺ وهديه في القبور وما أمر به وشرعه وهدي أصحابه وعمل أهل التوحيد من أئمة هذه الأمة من السلف والخلف

في المساجد والقبور وبين ما عليه عباد القبور وبيان سنتهم وحقيقة ديـانتهم ، وبيـان أن هدي القبوريـة وسـنتهم وطـريقتهم ينـاقض ويـضاد هـدي النبـي ﷺ وأتباعـه، فالقبوريون وقعوا في كل ما نهى الله ورسوله عنه وتركوا كل ما أمروا به وخالفوا كل ذلك فشتان بين المنهجين والطريقتين . وإليك ملخصه :

١ – فالرسول ﷺ نهى عن الصلاة إلى القبور وهؤلاء يصلون عندها .

٢ – ونهي عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيت الله ، ويعظمون المشاهد الشركية ويهجرون المساجد والشعائر الدينية.

٣– ونهى عن إيقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل.

٤ – ونهى أن تتخذ عيداً وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك ويجتمعون عنـدها أياماً كاجتماعهم للعيد .

٥ – ونهي عن تجصيصها وأن يبنـى عليهـا وهـؤلاء يبنونهـا بـالآجر والجـص والأحجار بل ويلبسونها الحرير حتى يضاهون بها الكعبة .

٦ – ونهى أن يزاد عليها غير ترابها وهؤلاء يزيدون التراب والأحجار.

٧– وأمر بتسويتها وهؤلاء يرفعونها ويبنون عليها القباب والبيوت والمباني.

٨– ونهى عن الكتابة عليها وهؤلاء يكتبون عليها الأسـماء والرقـاع والـدعاء وينحتون الألواح ويكتبون عليها.

فانظر إلى هذا التباين بين ما أمر الله وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه.

فهدي القبورية قائم على عبادة القبور بكل عبادة أمر الله بصرفها له ، منها:

١ – تعظيم القبور وتفضيلها على المساجد وإهانة المساجد وتعطيلها وهجرها.

٢- النذر لها.

٣- الاعتكاف والعكوف عند القبور والخضوع والخشوع والبكاء عندها

٤- تعليق الستور واتخاذ السدنة لها .

٥- البناء على القبور وتجصيصها .

٦- وضع السرج والطيب عليها .

٧- فعل الصدقة عندها وإجراء الأوقاف عليها .

٨- الذبح لهم .

٩- زيارتها لأجل الصلاة عندها .

١٠- الطواف بها وتقبيلها وتعفير الوجه عليها .

١١- دعاء أصحابها من دون الله والاستغاثة بهم وسؤالهم .

١٢- حجها وقصدها وتسميته أعمالهم مناسك حج المشاهد .

١٣- حلق رؤوسهم عندها .

الخامسة والعشرون : حال عباد القبور ومنهجهم وسنتهم :

قال ابن القيم : (فلو رأيت هؤلاء المتخذين للقبور عيدا وقد نزلوا عن الدواب إذا رأوها من مكان بعيد فوضعوا لها الجباه وقبلوا الأرض وكشفوا الرؤوس وارتفعت أصواتهم بالضجيج وتباكوا حتى يسمع لهم النشيج ورأوا أنهم أربوا في الربح على الحجيج فاستغاثوا بمن لا يبديء ولا يعيد ونادوا ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين وتراهم حول القبر ركعا سجدا يبتغون فضلا من الميت ورضوانا، وقد ملؤوا أكفهم خيبة وخسران، فلغير الله

بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات، ويطلب من الميت من الحاجات ويسأل من تفريج الكربات، ثم انثنوا حول القبر طائفين تشبيها لهم بالبيت الحرام، ثم أخذوا بالتقبيل والاستلام كما يفعل للحجر الأسود، ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود والتي لم تعفر بين يدي الله في السجود، ثم كملوا مناسك حج القبر والتقصير والحلق وقربوا لذلك الوثن القرابين وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين، فلو رأيتهم يهنئ بعضهم بعضا وإذا رجعوا سألهم المخلفون أن يبيعوه ثوب حجة القبر، ولم نستقص جميع بدعهم إذ هي فوق الخيال ولا تخطر ببال وهذا كان مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح ومن بعدهم ...) إغاثة اللهفان ١/ ٢٢٠ .

السادسة والعشرون : منهج السلف مع القبور والرد على شبهة القبورية :

لم يكن السلف يلتفتون للقبور ولا يظهرونها أو يعتنون بها، وأعظم دليل على ذلك : الجهل بمواقع قبور الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم في أنحاء الأرض وهذا يدلنا على مخالفة منهج القبورية لدين المسلمين من الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين والأئمة والقرون المفضلة، فهؤلاء على منهج المجوس والفرس الرافضة الزنادقة .

ومما يزيد الأمر برهاناً قبر دانيال زمن الفاروق عمر لما وجدوه في أرض تستر حين فتحوها أخفوا القبر حتى لا يتعلق الناس به ويدعونه ويتبركون به ويستغيثون به كما يفعله القبورية في زماننا، والخبر ذكره الطبري في تاريخه وابن كثير وغيرهم .

كذلك مما يزيد الأمر بيانا وظهوراً منهج الصحابة مع قبر الرسول ﷺ فلم يكونوا يزورونه إلا ما ثبت من فعل ابن عمر أنه يسلم عليه فقط وعلى صاحبه ولا

يقف للدعاء ولم يثبت لا عنه ولا عن غيره مع كثرة ما نزل بهم، أنهم وقفوا عند قبره أو دعوه أو استغاثوا به وسألوه ورجوه، بل ولا حتى ذهبوا لقبره ووقفوا عنده أو سألوا الله عنده فضلا عن أن يكونوا سألوه واستغاثوا به، مما يدل على انقطاع عمله ﷺ وانتقاله من الحياة إلى الموت ومن ذلك قول أبي بكر ﷺ (من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات) رواه البخاري ، وأن حياته البرزخية في قبره لا ترفع عنه حكم الموت والانقطاع عن هذه الحياة الدنيا المعهودة، وتلك الحياة لا يعلم حقيقتها وكيفيتها إلا الله وتختلف عن هذه الحياة .

وأما ما ورد من بعض الخصائص والاستثناءات كسماعه من يسلم عليه ويرد عليه السلام وأنه يبلغ السلام فهو لا يعلم ذلك من تلقاء نفسه، وكذلك عرض أعمال أمته عليه واستغفاره لهم، فالأعمال تعرض عليه لا أنه يعلمها من نفسه، وهذا دليل على انقطاعه عن الحياة وأن استغفاره لا دليل فيه على جواز دعائه وطلب المغفرة منه، وإنما تطلب من الله مثل شفاعته يوم القيامة تطلب من الله، وأن من دعاه من دون الله وسأله فهو مثل من يسأل ويعبد اللات وعيسى ومثل الذين سألوا ودا وسواعا ويغوث وبقية الآلهة والأصنام التي ما عبدوها إلا لتقربهم إلى الله زلفى ولتشفع لهم .كما في صريح الآيتين ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ وغيرها. والمشركون زمن الرسل كانوا يعلمون أن الأصنام لا تملك النفع والضر ولا تخلق ولا ترزق فهم يعلمون أن ذلك لا يقدر عليه إلا الله ﴿ وَلَئِن

سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ الزمر: ٣٨ وقررهم الله ذلك: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ النمل: ٦٢ وغير ذلك .

فلا حجة ولا برهان ولا مستمسك مع القبورية في فعلهم الشرك، ولا شك ولا ريب في كونهم كفاراً خارجين من ملة الإسلام، ولو ادعوا الإسلام وانتسبوا إليه وصلوا وصاموا أو انتسبوا للعلم والعلماء، فهم كفار مشركون بدعائهم الأموات من دون الله وطلب الشفاعة من الرسول ﷺ بعد موته ، ولا يجوز أن يعذروا بالجهل، فتأمل تفلح واسأل الله الهداية والثبات .

السابعة والعشرون : طرق عبادة القبور وطلب شفاعتها :

الطريق الأول: طريق العوام، وهم من يطلب من القبر وصاحب القبر أن يشفع له عند الله ويقربه عنده ويتوسط له ويتقبل منه حسناته ، وهذا حال معظم المشركين من عباد القبور وغيرهم .

الطريق الثاني : طريق الفلاسفة، ممن يعتقد أن القبر والصنم يحصل النفع منه والشفاعة بمجرد التقرب إليه والقرب منه، فالولي والقبر تنزل فيه بركة الله والفيض من الإله، والأرواح تفيض على من زارها لطلب الشفاعة والإغاثة والنفع منها وذلك بحسب يقين وتعلق الزائر وفنائه في المزور واستعداد نفسه لتقبل ذلك الفيض وهي بدورها تتلقى من الإله الأعظم وأن ذلك مثل الشعاع الذي ينعكس في المرآة من نور الشمس إذا وقع على جسم صقيل كالمرآة والماء ونحوه .

وسيأتي بيان ذلك عند الكلام عن مبحث الوسائط .

الثامنة والعشرون : زيارة القبور قسمان :

الأولى زيارة شرعية ، وهي التي يكون المقصود منها :

١- الاتعاظ والاعتبار وتذكر الآخرة وحصول الأجر بذلك .

٢- الدعاء للميت .

الثانية: زيارة بدعية شركية، وهي الزيارة لأجل الصلاة عند القبور والطواف بها والدعاء عندها والتبرك بها ودعائها والاستغاثة والتوسل بها .

التاسعة والعشرون : الفرق بين زيارة الموحدين للقبور وزيارة المشركين :

قال ابن القيم: (فصل في الفرق بين زيارة الموحدين للقبور وزيارة المشركين :

زيارة الموحدين فمقصودها ثلاثة أشياء :

تذكر الآخرة والاعتبار والاتعاظ والإحسان إلى الميت بالدعاء له وإحسان الزائر إلى نفسه بإتباع السنة .

والزيارة الشركية فأصلها مأخوذ عن عبّاد الأصنام .

قالوا الميت المعظّم الذي لروحه قرب ومنزلة ومزية عند الله، لا تزال تأتيه الألطاف من الله تعالى وتفيض على روحه الخيرات فإذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح المزار، قالوا فتمام الزيارة على هذا الوجه أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه وقصده للميت، وبهذا السر عبدت الكواكب واتخذت الأصنام المجسدة لها، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعيادا وتعليق الستور عليها وإسراجها وبناء المساجد عليها، وهذا الذي نهى الرسولﷺ عنه وحذر منه وأراد إبعاد أمته عنه، وهذه هي الشفاعة الشركية التي بعثت الرسل بالنهي عنها

وتكفير فاعلها، والقران مملوء بالرد على أهلها وإبطال مذهبهم كقوله: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ﴾ الزمر: ٤٣) إغاثة اللهفان ٢٤٦.

الثلاثون: مفاسد اتخاذ القبور أعياداً ومفاسد فعلهم :

١- أن ذلك أعظم وسيلة لحصول الشرك والوقوع فيه وعبادة القبور .

٢- مشابهة اليهود والنصارى في اتخاذ المساجد عليها .

٣- مشابهة عباد الأصنام .

٤- الدخول في لعنة الله ورسوله باتخاذ المساجد عليها والسرج .

٥- محادة الله ومناقضة شرعه.ومخالفة أمر الرسول وهديه .

٦- إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون عندها.

٧- عمارة المشاهد وخراب المساجد.

٨- تعظيم ما لم يأمر الله بتعظيمه حتى يحصل الإفتتان بذلك ، ومن هذا الباب الصلاة عندها والتبرك بها وبترابها وتقبيلها واستلامها . والبناء عليها وتجصيصها وإسراجها ورفعها بالقباب والسفر إليها.

٩- إماتة السنة وإحياء البدع .

١٠- أن الذي فعلوه نقيض المقصود من زيارة القبور من تذكر الآخرة والدعاء للمزور لا أن يطلب المزور ويدعى ويرجى ويشرك مع الله في العبادة .

١١- الشرك الأكبر الذي يفعل عندها الذي منه :

١- دعاؤها من دون الله والاستغاثة بها وطلب الواسطة الشفاعة منها.

٢- العكوف عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها .

٣- النذر لها.

٤- الحج لها والطواف بها والحلق والتقصير عندها والذبح لها .

٥- اعتقادهم أن كشف البلاء والنصر ونزول الغيث يكون بها .

وغير ذلك من السنن الشركية الكفرية والمفاسد، وكل أفعال هؤلاء القبورية المشركة والصوفية الرجسة النجسة مفاسد.

من كلام الإمام ابن القيم من كتابه إغاثة اللهفان ونوصي بالرجوع إليه .

الحادية والثلاثون: وسائل الشرك :

الذرائع التي سدها الشارع والتي تفضي إلى الشرك قسمان :

الأولى : عامة كالتصوير والغلو في الألفاظ .

الثانية : خاصة بالقبور .

قال ابن القيم : (غالب شرك الأمم كان من جهة الصور والقبور) .

زاد المعاد ٤/ ٤٥٨ ، وإغاثة اللهفان ١/ ١٤٥ .

قال ابن تيمية:(الشرك في بني آدم أكثره على أصلين:

أولها : تعظيم قبور الصالحين وتصوير تماثيلهم للتبرك بها ، وهذا أول الأسباب التي بها ابتدع الآدميون وهو شرك قوم نوح .

والثاني: عبادة الكوكب) الرد على المنطقيين ٢٨٥.

الثانية والثلاثون : العلة من النهي عن تعظيم القبور واتخاذها مساجد :

قال ابن تيمية: (وهذه العلة تعظيم القبور وابتداء النهي عن زيارتها والبناء عليها والصلاة عندها التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ القبور مساجد ، هي التي

أوقعت كثيراً من الناس إما في الشرك الأكبر (كدعاء الأموات والذبح لهم ونحوه) أو فيما دونه من الشرك، فإن الشرك بقبر الرجل أكثر من الشرك بالشجر والحجر ولهذا تجد عباد القبور يعبدون القبور ويتضرعون عندها ويخضعون بها لايفعلون مثله في بيوت الله لله). اقتضاء الصراط المستقيم ٦٧٤ ونقله ابن القيم في الإغاثة ٢٠٣.

وقفه : في حديث الرسول ﷺ : (إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك) رواه مسلم عن جندب.

قلت : بأبي هو وأمي كيف لو رأى عباد القبور ومتخذيها مساجد فيصلون عندها بل ويطوفون بها ويعكفون عليها وينذرون لها ويذبحون لها ومع هذا يزعمون أن هذا دين الله تعالى وشرع محمد ﷺ وأمره ومن تعظيمه ومن لم يفعل فعلهم فليس بسنته مهتدي ولا لدينه مقتفي ولا له ولأوليائه محب فيا لله ما أشد الغربة .

فائدة : تعظيم القبورية للقبور أشد من تعظيم المساجد وحبهم لها أشد من حبهم لله وخوفهم منها أشد من خوف الله.

الثالثة والثلاثون : أسباب ضلال القبورية المشركة :

١- جهلهم بحقيقة التوحيد وما ينقضه وينقصه من الشرك والبدع .

٢- وضع طواغيتهم أحاديث مكذوبة عن الرسول ﷺ في عبادة القبور .

كالحديث المكذوب :(إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور) .

وحديث: (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه) .

٣- اختراعهم حكايات سامجة كاذبة عن أهل تلك القبور ومنامات أمثال أن فلانا استغاث بالقبر في شدة فخلصه وأغاثه . وأكثرها من تزيين الشيطان وتلبيسه .

فائدة : كثرة عباد القبور والمشركين من أمة محمد مما جعلهم يستدلون بـالكثرة على صحة فعلهم وشرعيته وأنهم السواد الأعظم والأمة لا تجمع على ضلالة .

والجواب : أن الكثرة ليست صفة مدح بل ذمها الله في مواضع كثيرة منها :

﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ يوسف: ١٠٣ ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِى ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الأنعام: ٢٥ ﴿ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ ﴾ التوبة: ١١٦ ﴿ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ البقرة: ٢٤٩ وغير ذلك من المواضع .

الرابعة والثلاثون : سبب عبادة القبور :

اعتقاد أن أصحاب القبور من الأولياء، وغلوهم في الصالحين، وأنهم أقرب لله من الأحياء وأفضل، وأنهم يشفعون عنده ويقربون إليه ويستجيب الله لهم ويقبل واسطتهم وشفاعتهم وأنهم يسمعون كل شيء ويقدرون على كل شيء ويملكون جلب النفع ودفع الضر، والله أعطاهم كل ذلك كرامة لهم .

وشبهتهم هذه هي عين شبهة المشركين في جميع الأمم كما قال الله تعالى عنهم :

١ - ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣ .

٢ - ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ .

الخامسة والثلاثون : أدلة القبورية المشركة في تجويز شركهم :

١ - المعجزات والكرامات .

٢ - رؤيا المنامات.

٣- الحكايات والقصص والروايات الساذجة.

٤ – القياس وقد قيل ما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس.

السادسة والثلاثون : تناقضات وإلزامات القبورية :

١ – اعتراف القبورية أن سؤال الموتى الحاجات وهم لا يقدرون على أن يفعلوا ذلك ولا أن يفعلوا شيئاً حقيقة وإنما يريدون منهم الشفاعة والوسيلة والواسطة .

وأن العبارات الموهمة تحمل على المجاز لأن من يفعلها مسلم موحد .

٢ – أن زعمكم أن الأنبياء أحياء باطل لأن الملائكة والجن أحياء ويكفر من يدعوهم وأيضاً فالحياة لهؤلاء الأنبياء برزخية وليست كحياتنا ثم لا تجوز ولا تستلزم دعاءهم وسؤالهم .

٣– أن دعاء الأموات لم ينقل عن الرسول ﷺ ولم يؤثر فعله عن أحد من الصحابة ﷺ ولا عن أحد من السلف مع نزول الشدائد بهم .

٤ – موافقة القبورية للمسلمين أن من اعتقد ظاهر كلامه في دعاء الأموات واعتقد أن لهم تأثيراً وفعلاً وأثراً مؤثراً حقيقياً كافر بالإجماع ، ثم بعد ذلك نفوا حصول هذه العقيدة ودافعوا عن القبورية، ودعواهم هذه قائمة على الاستيقان بأنه لا أحد من هؤلاء القبورية يعتقد فيمن يدعوه، فإذا بطل هذا الزعم وذلك الاستيقان وقام الدليل على خلافة سقط هذا الدفاع، ونحن إذا سألنا هؤلاء المدافعين عن القبورية ما دليلكم على أنهم لا يشركون في الربوبية ويعتقدون للأموات التأثير والاستقلال؟ قالوا: إنهم مسلمون والمسلم لا يعتقد ذلك ولو قاله فنحن نؤول كلامه ونحمله على المجاز، فبذلك أغلقوا باب الردة ولا يوجد كفر على مذهبهم هذا حتى لو أنكر المسلم وجود الله لقلنا أنت لست بكافر لأن كلامك يحمل

على المجاز، ومع هذا كله فقبورية هذه الأزمان يعتقدون التأثير والنفع والضر وعلم الغيب والتدبير والتصرف والملك والخلق ويسمون الأولياء أهل التصريف والمدد والأقطاب، ثم لو دعوهم مع اعتقاد أنهم لا ينفعون لكان هذا جنوناً وفقدانا للعقل ونقصا فيه، ثم أخيراً أين تورع علماء القبورية من عدم تكفير فاعل الشرك إلى تكفير الدعاة للتوحيد (لأنه لا يعظم الرسول والأولياء) وتكفير من يثبت علو الله واستوائه لأنه مجسم، فهلا أجروا عليهم قاعدتهم هذه وطردوا كلامهم في المجاز .

٥- إذا كان مقصود القبورية من دعاء الأموات وجود الجاه لهم وقربهم من الله فهلا دعوا الأحياء من أهل الصلاح وطلبوا منهم الدعاء لهم كما فعل الصحابة مع الرسول ﷺ أوليس الحي أقدر من الميت والميت عاجز قد انقطع عمله فلا يملك لنفسه شيئاً فضلاً عن غيره؟

السابعة والثلاثون :سماع الميت كلام الحي وسلامه :

ما ورد من سماع الميت للحي خاص بأمور ورد النص بها وهي :

١- بلوغه الدعاء له والصدقة وانتفاعه به .

٢- سماعه لقرع النعال عند الانتهاء من دفنه ومغادرة القبر .

٣- سماعه سلام الزائر له ولا يسمع غير السلام من كلامه .

ولم يثبت أن أحدا سمع الكلام والدعاء والمخاطبة إلا أصحاب قليب بدر حين خاطبهم الرسول ﷺ وهذا من معجزاته وخاصة به ﷺ وخاصة بأصحاب القليب من قتلى بدر المشركين في تلك الساعة وليست عامة لكل ميت في زمانه أنه كان يعلم بكلام الرسول وأنه يسمع كلامه ودعاءه والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿

﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ فاطر: ٢٢ واستنكار عمر لفعله يدل على أن تلك الحالة خاصة ومستثناه والحمد لله رب العالمين الذي يسمع من يشاء ويهدي إليه من يريد .

وكل هذا لا دليل فيه على جواز دعاء الميت وطلب الشفاعة منه، وإنما تطلب من الله ويدعى وحده

الثامنة والثلاثون : مخالفة القبورية للفطرة والعقل :

حصل انتكاس في فطرة ودين القبورية المشركة ووقعت مناقضة منهم للشرع والعقل من عدة جهات:

الأول : أنهم طلبوا الشفاعة التي لا تنال إلا بالتوحيد وأرادوا حصولها بما هو أعظم سببا لمنعها وحرمانها وما يمنعها وهو الشرك ، والشفاعة سببها التوحيد .

قال الرسول ﷺ :(أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه) رواه البخاري .

فلا تحصل وتتحقق إلا به والشرك يبطلها والمشركون أرادوا حصولها بما يناقض التوحيد من الشرك فأشركوا لتحصل لهم الشفاعة وطلبوا الشفاعة بالشرك .

الثاني : أنهم دعوا وعبدوا من هو محتاج ومن يدعو الله ويحتاج إلى أن يدعى له لا أن يدعى ويرجى له لا أن يرجى ويخاف منه لا أن يخاف ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ الإسراء: ٥٧، ورجوا نفع من انقطع عمله لنفسه فضلاً عن غيره وطلبوا الشفاعة ممن هو في حاجة إليها، ودعوا الأموات بدل أن يدعو لهم .

الثالث: أن زيارة القبور والموتى لنفع الأموات والدعاء لهم واتعاظ الزائر فعكس القبورية المشركون هذا المعنى والحكمة من زيارتهم فزاروهم ليدعونهم من دون الله، وأرادوا الانتفاع منهم لا نفعهم .

فالميت إذا مات انقطع عمله كما نص الحديث ودل العقل والفطرة، ولهذا استحبت زيارته للدعاء له ونفعه، فبدل القبوريون قولاً غير الذي قيل لهم، فزاروا القبور ليدعوها لا ليدعوا لأصحابها ولينتفع الزائر لا المزار، ثم زاد جهلهم وانتكاس فطرتهم باعتقاد أن الميت لا ينقطع عمله، بل والزعم أنه في حال أنفع وأكمل وأقدر وأقرب من حال حياته، فالرجل الصالح عندهم وقت حياته لا يلتفتون إليه بل ويهينونه فإذا مات عكفوا على قبره وسألوه ودعوه وطلبوا منه أن يدعوا لهم ويشفع لهم .

الباب الثاني : أدلة تحريم الشرك وكفر فاعله

المسألة الأولى: الأدلة العامة :

أولا: الدليل من القرآن على تحريم الشرك وكفر فاعله :

وقد تنوعت أساليب القرآن في إبطال الشرك بالحجج العقلية .

١ – قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ النساء: ٤٨

وهذا من أصرح الأدلة على أن الشرك أعظم ذنب ومن شناعته أن الله لا يغفره .

٢ – قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ النساء: ٣٦ .

٣– قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ الزمر: ٦٥.

٤ – قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ الأنعام: ٨٨.

٥ – قال تعالى: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ المائدة: ٧٢ .

٦ – قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ التوبة: ٣١ .

٧– وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥ .

٨– قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦.

٩- وقال تعالى عن قول نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم عليهم السلام لأقوامهم : ﴿ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾.

١٠- قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ المائدة: ٧٢.

١١- قال تعالى : ﴿ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان: ١٣.

١٢- قال تعالى: ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ الحج: ٣١.

١٣- قال: ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يونس: ١٠٥.

١٤- قال: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا ﴾ الحج: ٢٦.

١٥- قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ الكهف: ١١٠.

١٦- قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ التوبة: ١١٣.

١٧- قال تعالى : ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ التوبة: ٥ .

١٨- قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾ التوبة: ٢٨.

١٩- قال: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ الأنعام ١٥١.

٢٠- قال تعالى : ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ التوبة: ١ .

٢١- قال تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٢.

٢٢- قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ الذاريات: ٥١.

ثانياً : الدليل من السنة على تحريم الشرك وكفر فاعله :

١ – قال النبي ﷺ : (من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار " رواه البخاري .

٢– قال النبي ﷺ : (اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله).

٣– قال النبي ﷺ : (أكبر الكبائر الإشراك بالله). رواه البخاري .

٤ – عن أبي بكر رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما قال: (الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل) قال قلنا يارسول الله وهل الشرك إلا ما عبد من دون الله أو دعي مع الله ؟ قال: (ثكلتك أمك ياصديق الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل إلا أخبرك بقول يذهب صغاره وكباره – صغيره وكبيره–) قلت بلى يا رسول الله قال: (تقول كل يوم ثلاث مرات : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلم، والشرك أن تقول أعطاني الله وفلان، والند أن يقول الإنسان لولا فلان قتلني فلان) رواه أبو يعلى .

وفي الحديث فوائد :

أن الشرك منه أكبر وأصغر بهذا الحديث وغيره .

أن ضابط الشرك وأساسه عبادة غير الله ودعاء غيره .

خفاء الشرك وخطورته .

أن للشرك كفارة .

أنه فرّق بين الشرك والند مع أن ظاهرهما واحد، إلا أن بينهما فرقاً لطيفاً ، وهو أن الشرك يذكر الرب ومعه غيره مشروكاً معه، أما الند فيذكر المخلوق وحده دون الله في فعل ليس من مقدوره .

المسألة الثانية: أساليب القرآن في إبطال الشرك بالحجج العقلية :

١- تنزيه الله نفسه عن الصاحبة والولد .

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ المؤمنون: ٩١.

٢- تنزيه الله عن الشريك والولي والنصير والظهير والمالك المشارك معه والشفيع ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ الإسراء: ١١١ ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ سبأ: ٢٢.

٣- إبطال ألوهية غير الله :

فأبطل ألوهية الملائكة والجن والأنبياء وعيسى والصالحين والأوثان وكل معبود سواه ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًاۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ الزخرف: ١٥ ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ الأنعام: ٢٢ ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الأنعام: ١٠٠ ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سبأ: ٤٠-٤٢ ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ النساء: ١٧٢ ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ آل عمران: ٧٩.

٤ – بيان عجز ما يعبد من دون الله تعالى :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ يونس: ١٨ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ النحل: ٧٣ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٤ ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ فاطر: ١٣ – ١٤ ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الأحقاف: ٥ – ٦ ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ الأنبياء: ٤٣ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ الزمر: ٣٨ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ النحل: ٢٠ – ٢١ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الروم: ٤٠ ﴿ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ﴾ النحل: ٢٧ ﴿ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾ الرعد: ١٦.

٥ – تفرد الله بصفات الكمال والنفع والضر :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ البقرة: ٢٥٥ ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ مريم: ٦٥ ﴿ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ سبأ: ٢٧ ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ النمل: ٦٢ ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل: ١٧ .

٦- الاستدلال بالآيات الكونية وبالربوبية وأنه تعالى خالق كل شيء :

﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ العنكبوت: ٦١ ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ الزخرف: ٨٧ ﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾ النمل: ٦٠ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٦١ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ الحج: ٦١ – ٦٢.

٧- الاستدلال على توحيده وإبطال الشرك بنعمه المتوالية :

﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٥٤ ﴾ النحل: ٥١ – ٥٤ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ

ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ البقرة: ٢١ - ٢٢ .

٨- تسفيه المشركين وبيان حقيقة معبوداتهم :

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٦٦ - ٦٧ ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ الرعد: ١٤ ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ يونس: ٣٤ ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤١ .

٩- ضرب الأمثال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ الحج: ٧٣ ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ الروم: ٢٨ ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٧٥ ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ الزمر: ٢٩ .

١٠- الاستدلال بانتكاس الفطرة والنكران والكفران :

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ الزمر: ٨ .

١١- الاستدلال بحال المشركين وسوء عاقبتهم :

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ الأعراف: ٣٧ ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ النحل: ٨٦ .

١٢- أن معبودات المشركين وآلهتهم هي عابدة لله تخافه وترجوه .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ الإسراء: ٥٧.

١٣- تبرؤ الآلهة من عابديها وكفرها بهم :

﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ فاطر: ١٤.

ومن الطرق أيضاً التي جاء بها القرآن لرد الشرك :

١- إلزام المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية وأنه وحده المتفرد بالخلق والملك والتدبير والنفع والضر.

٢- دليل الإخلاص حال الخوف .

٣- تفرد الله بالكمال والخلق والتدبير والملك .

٤- مطالبة المشركين بالدليل على فعلهم وحجة لشركهم .

٥- تبيين حال الآلهة المعبودة وظهور عجز المعبودات ونفي القدرة عنها وتجريدها من الربوبية .

٦- إثبات العجز لكل الآلهة الباطلة والنقص لها ومن ذلك :

- نفي الخلق عنهم .

- نفي الملك عنهم والشراكة مع الله وأنهم لا يملكون شيئا .

- نفي الشفاعة عن المعبودات وبيان أن الشفاعة ملك لله وحده .

- نفي السمع والكلام والحركة عن آلهتهم من أصنام والأولياء الأموات.

- إخباره عن حاجتها لغيرها وللطعام .

- بيان أنها ميتة غير حية . وبيان أفولها وغيابها .

- أنها لا تنصر نفسها ولا تدافع عن عابديها ولا تحمي أحدا.

- نفي الرزق وأنها لا تسطيع أن ترزق أحدا . نفي قدرتها على النصرة.

- نفي النفع ودفع الضر. نفي الهداية .و إخباره أنها ترد النار .

٧- تمثيل الآلهة بالعبيد :

٨- وقوع العداوة بين العابد ومعبوده في الآخرة وانقطاع أسباب المودة بينهما.

٩- أمره تعالى بعبادة الله حده وترك عبادة غيره والكفر بالشرك .

١٠- بيانه لمفاسد الشرك وخطره وأضراره وقبحه وضلال أصحابه .

١١- حكمه ﷻ بتكفير المشرك وتوعده بالنار والعقوبة والهلاك .

١٢- أنه إذا كان تسمية هذه المعبودات الباطلة بأسماء الرب الحق باطلا فإعطاؤها المسمى أشد بطلانا وهذا من باب الإلزام، ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ الرعد: ٣٣ أي بالحي القيوم الخالق المميت. ابن تيمية فتاوى ١٥/ ١٩٦ .

١٣- دليل ضرب الأمثال لبيان عجز الآلهة الباطلة كالعبد والشجرة الطيبة والخبيثة والخلق وسلب الذباب وضعف المعبودات واحتياجها وخوفها الله .

مسألة: **الأدلة الخاصة على توحد الله بالغيب والنفع والضر:**

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ النمل: ٦٥ ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ٢٦ ﴿ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ يونس: ٢٠ ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ فاطر: ٣٨ ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ هود: ١٢٣ ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ الأنعام: ٥٩

﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٨ ﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ الطلاق: ١ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾ الأعراف: ١٨٧ ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ التوبة: ١٠١ ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ الأحقاف: ٩ ﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ الأنعام: ٥٠.

وما أخبر به ﷻ عن الرسل: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ المائدة ١٠٩ ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ النمل ٢٢ ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ الحجر: ٦٢ ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ الكهف: ٦٨ ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ المائدة: ١١٦ . وأخبر عن الملائكة والجن: ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ البقرة: ٣٢ ﴿ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ سبأ: ١٤.

تنبيه: سنذكر في ناقض شرك الدعاء الأدلة على نفي صحة عبادة النبي ﷺ والاستغاثة به وأنه ﷺ لا يعلم الغيب وأنه لا يملك نفعا ولا ضرا.

مسألة: الأدلة على إقرار المشركين بتوحيد الربوبية لله واعترافهم بالله:

قال الله ﷻ حاكياً منهج المشركين وإقرارهم بتوحيد الربوبية لله وكونه خالقهم ورازقهم وأنه عزيز حكيم في مواضع منها قوله ﷻ:

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ المؤمنون: ٨٤ – ٨٩.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ العنكبوت: ٦١ – ٦٣.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾لقمان: ٢٥﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾الزمر: ٣٨﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾الزخرف: ٩﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾الزخرف: ٨٧.

والآيات التي فيها إيمانهم بالله مع إنكارهم أن تكون الرسالة من البشر:

قال ﷻ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ الأنعام: ٩١.

﴿ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ يس١٥

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ المؤمنون: ٣٨

﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ المؤمنون ٢٤.

الآيات التي تحكي اعتراف المشركين بالشرك وأنهم كانوا مقرين بعبادة الله مخالفين في توحيده وإفراده وأنه كانت لهم صلاة وحج وعبادات كثيرة لله.

﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ الأنعام: ١٤٨ ﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾ الزخرف ٢٠ ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ الأعراف: ٢٨ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ﴾ النحل: ٣٥.

الآيات التي تثبت أن كفار الأمم التي بعثت فيها الرسل كانوا يعلمون أن الرب الخالق هو الله وحده بل ويستحق أن يعبد لكن نازعوا في توحيده بالعبادة:

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ ﴾ الأعراف: ٧٠ ﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ الأعراف: ٧٥ ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ ﴾ النمل: ٤٩ ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ المؤمنون: ٢٤ ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ ﴾ ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

كما أخبر عن إيمانهم به ﷻ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾يوسف١٠٦.

كذلك تلبيتهم: (لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) .

إقرارهم أن المالك المدبر النافع الضار هو الله وحده كما أخبر ﷻ: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾الأنعام٦٣.

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ يونس: ٣١.

ما ذكره ﷻ وهو يبين بسؤال الحجة والتقرير هذا الأصل أن النفع والضر بيده وحده وأن شركاءهم المعبودة لا تملكه ولا تكشف الضر ولا تستطيع نصركم:

﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ الأنبياء: ٦٦ ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ الشعراء: ٧٣ ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾ البقرة: ٢١ ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ الأنعام: ١٠٢ ﴿ وَٱلَّذِينَ

تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ‌إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡ ﴾ فاطر: ١٣ - ١٤﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾.

وغيرها من الآيات التي يسأل فيها المشركون سؤال تقرير وإنكار الشرك وتقريرهم على أنه النافع وحد، والآيات التي فيها ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم ﴾. والآيات التي فيها أسئلة تقريرية واستنكارية مثل: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ في سورة النمل وغيرها.

الآيات التي فيها أن الكفار يعبدون الله ويدعونه ولكن يدعون معه غيره:

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴾ الأنعام: ٤١﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ العنكبوت: ٦٥ ﴿ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ يوسف: ٣٩ ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣ ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا ﴾ ص: ٥ ﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ ﴾ الأنفال: ٣٢ ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ الزمر٤٥﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ .

ففي هذه الآيات دلالة صريحة على أن المشركين مقرون بأن الله هو المالك للنفع والضر وبيده الخير والشر وأن الآلهة إنما تشفع عند الله وتقرب فقط، وأن عبادتهم لها كانت في مجرد طلب الشفاعة منها ودعائها مع الله أو من دونه.

﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ الزمر: ٣٦.

قوله ﷺ لحصين كم تعبد؟ قال سبعا في الأرض وواحد في السماء ، فقال ﷺ : (فإذا أصابك الضر من تدعو) ، قال: الذي في السماء . رواه الترمذي وابن خزيمة .

مسألة : دليل العقل على قبح الشرك وكفر فاعله ومخالفته للفطرة :

دل العقل دلالة يعلمها كل عقل سوي وتوافقه الفطرة على وجوب عبادة الله وحده وتحريم الشرك فالعقل يوجب أن يكون المعبود مالكا للنفع والضر وانه لاشك في الله فاطر السموات والأرض، ثم هل يوجد بالعقل خالق مع الله ينفع معه ويضر ويغني ويفقر ويرزق ويحيي ويميت ، إن أغبى الحمقى وأحمق الأغبياء والتي وصلت دناءة عقولهم إلى أن يعبدوا الحجر الأصم والعجل الحيوان المأكول وصنم من التمر الذي إذا جاعوا أكلوه ليعلموا أن الذي يملك النفع والضر هو الله ﷻ وحده وأعظم دلالة على ذلك خطاب الله تعالى للكفار بأن جميع الآلهة والمعبودات التي صرفوا لها عبادتهم هم يعتقدون أنها لا تنفع وإنما تشفع .

كما أن العقل السليم من آفات الانتكاس ليستقبح غاية الاستقباح ويأنف أن يترك عبادة من خلقه ورباه بالنعم والأرزاق وينصرف لعبادة مخلوق مثله يفنى ويزول ويغيب ويجهل ويخاف وهو مفتقر لغيره لا يملك شيئا .

فأي فطرة لا ترد ذلك وتنفر منه وأي عقل لا يستقبح ذلك ويحتقره إلا عقل أعمى تغلف بالصمم والبكم وقلب لا يعي ولا يفهم صاحبه أدنى من الأنعام وأضل.

قال ابن القيم : (قال تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ ولم يقل إلهكم، والرب هو السيد المالك والمنعم والمربي والمصلح، والله تعالى هو الرب بهذه الاعتبارات كلها – كما يقر بذلك المشركون – فلا شيء أوجب في العقول والفطر من عبادة من هذا شأنه وحده لا شريك له) . بدائع التفسير ١/ ٢٨٨.

وقال : (قال تعالى حاكيا عن صاحب يس أنه قال لقومه محتجا عليهم بما تقره بـه فطـرهم وعقـولهم ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ ، فتأمـل هـذا الخطاب كيف تجد تحته أشرف معنى وأجله، وهـو أن كونـه سـبحانه فـاطرا لعبـاده يقتضي عبادتهم له وأن من كان مفطورا مخلوقا فحقيق أن يعبد فاطره وخالقه ولاسيما إذا كان مرده إليه ومبدؤه منه ومصيره إليه وهذا يوجب عليه التفرغ لعبادته ثم احتج عليهم بما تقر به عقولهم وفطرهم مـن قـبح عبـادة غـيره وأنـه أقـبح شيء في العقـل وأنكره) بدائع التفسير ٣/ ٤٧٨.

وقال: (وهذا يدل على أنه من الممتنع المستحيل عقلا أن يشرع الله عبادة غـيره أبدا وأنه لو كان معه معبود سواه لفسدت السموات والأرض فقبح عبـادة غـير الله قد استقر في الفطر والعقول وإن لم يرد بالنهي عنه شرع بل العقل يدل على أنـه أقـبح القبيح على الإطلاق ومن المحال أن يشرعه الله) مفتاح دار السعادة ١/ ٣٢٨.

وقال: (فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه تنقص بحق الرب وإلهيته وتوحيـده وظن به ظن السوء وهذا يستحيل أن يشرعه لعبادة ويمتنع في العقول والفطر جوازه وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبيح) الجواب الكافي ٣٣٢.

فائدة : دلل الله ﷻ على المشركين في كتابه بقبح الشرك بدلالات عقلية متنوعة مخاطبا في ذلك كله عقولهم :

من ذلك دليل الخلق والملك وأنه الخالق وحده وأن ما من نعمه إلا وهـي منـه سبحانه وغيره مما يعبده المشركون لا يخلقون ولا يرزقون ولا ينزلون مطـرا ولا مـن

السماء رزقا ولا يدبرون ولا يهدون ولا يجيبون مضطرا ولا يكشفون كربا، ولا تفعل هذه المعبودات الباطلة الزائفة من ذلك من شيء .

كما استدل عليهم بحقيقة كل معبود غيره من الأصنام والأموات والصالحين وغير ذلك من المعبودات أنها ناقصة ضعيفة لا تملك لأنفسها شيئا فضلا عن أن تملكه لغيرها ممن يعبدها ويدعوها ويطلبها ويسألها، وأنها لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر، وأنها عاجزة وضرها أقرب من نفعها لا تدفع ضر سينزل ولا تكشفه بعد حصوله ووقوعه وأنها غافلة عمن يعبدها لاتسمع ولاتجيب ولا تستجيب ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٩٤ .

وأن الشفاعة ملك له لا تطلب من غيره لأنه سبحانه ليس بينه وبين خلقه من يرد دعوتهم فلا تصل إليه أو أنه يجهل بما يحتاجونه منه تعالى ولا أنه لا يقدر على نفعهم إلا بوسائط ومعينين ومظاهرين وشركاء كما هو حال عبيده من ملوك الدنيا تعالى الله عما يقوله المشركون والحمد لله رب العالمين القائل ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ سبأ.

الباب الثالث
تاريخ الشرك

المسألة الأولى : الأصل في الخلق التوحيد والشرك طارئ :

خلق الله الخلق على توحيده وفطرهم على عبادته والإيمان التام به، ثم حصل العصيان من الجن بسفك الدماء والإفساد في الأرض، ثم حصل كفر الإباء من إبليس وعصيان أمر الله تعالى بعدم السجود لآدم، ثم بأمر الناس بالشرك، وأول عصيان حصل من آدم الأكل من الشجرة والوقوع في النهي، ثم أذنب ابنه قابيل بقتل أخيه هابيل وحسده وهو أول ذنب حصل على الأرض من البشر .

إلا أن الشرك لم يحصل إلا بعد عشرة قرون وأجيال من ذرية آدم وذلك في قوم نوح . فأول شرك حصل على هذه الأرض كان من قوم نوح بعد أن لبث الناس على التوحيد بعد آدم عشرة قرون ومضى من ذريته عشرة أجيال ثم بعدها فعلوا الشرك .

يدل لذلك ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام) رواه الحاكم والطبري.

ومما يدل على أن الأصل في الناس التوحيد:

١ - قوله تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ البقرة: ٢١٣.

٢- قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ يونس: ١٩.

٣- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة: ٣٠.

٤- قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾ الأعراف: ١٧٢ .

٥- قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم: ٣٠.

٦- قال الله ﷻ : " إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا " حديث قدسي رواه مسلم .

٧- قال الرسول ﷺ : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " رواه البخاري .

الثانية: ضلال من زعم أن الأصل في المخلوق الشرك والتوحيد هو الطارئ :

وقد قال أصحاب هذا المبدأ الإلحادي الفاسد أن العقيدة تطورت والدين نما ونشأ وتكون مع التاريخ والحضارة وأهل هذا القول من الفلاسفة الدهريين ومنكري ربوبية الله وأنه الخالق وله الأمر وحده . وقد قال بأقوال هؤلاء الملاحدة بعض الجهال من كتاب المسلمين ، كعباس محمود العقاد في كتابه (الله جل جلاله) والخطيب في كتابه (قضية الألوهية) وصاحب كتاب (التوحيد في تطوره التاريخي) .

ومما يبطل قولهم : أن الله أول ما خلق آدم كلمه وعلمه أسماء كل شيء وكان نبياً مكلماً .

الثالثة: أول من وقع في الشرك من المخلوقين إبليس لعنه الله :

وذلك حين دعا لعبادة نفسه واستكبر عن لا إله إلا الله وطاعة ربه حين أمره الله بالسجود لآدم فأبى، وإلا فقبل ذلك كان هو والجن من أهل التوحيد وكانت ذنوبهم في سفك الدماء والإفساد دون الشرك والله أعلم .

أما في بني آدم فأول من وقع في الشرك قوم نوح كما سيأتي .

فائدة: ما ذكره الكلبي في كتاب الأصنام من كون الشرك أول وقوعه في أبناء قابيل لا يصح ومخالف لما ذكرناه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

المسألة الرابعة : بطلان نسبة الشرك إلى آدم وحواء :

ذهب بعض أهل العلم من المفسرين إلى أن آدم وحواء عليهم السلام وقعوا في الشرك مستدلين بقول الله تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٩ – ١٩٠.

وقالوا : إن المقصود بها آدم وحواء واستدلوا لذلك بحديث سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : " لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبدالحارث فإنه يعيش فسمته عبدالحارث فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره " رواه أحمد والحاكم بسند معلول .

ثم إنهم فسروا الشرك هنا بأنه كان في التسمية لا في العبادة .

والجواب عن هذا القول وما استدلوا له :

١ – أن الصحيح أن آدم وحواء لم يقعوا في الشرك ، وأن الـذي وقـع فيـه هـم الذرية وبنو آدم وليس آدم .

٢ – أن الشرك لم يقع في البشر إلا بعد مضي عشرة قرون على الذريـة وانقـضاء عشرة أجيال من بني آدم .

٣ – أن مصدر هذا القول والتفسير من أهل الكتاب .

٤ – أن أول أولاد آدم قابيل وهابيل ولم يثبت أنه مات لهم أحد إلا مـا حـصل من قتل قابيل لهابيل .

٥ – أما الحديث فهو ضعيف فيـه عمـر بـن إبـراهيم البـصري وهـو لا يحـتج بحديثه ثم أنه روي موقوفا على سمرة .

٦ – ثم لو افترضنا صحتها فهي في الشرك الأصغر في شرك التسمية والألفاظ، ويؤخذ منها الحذر من الشرك لسرعة حصوله وإمكانية وقوعه .

المسألة الخامسة : بداية حصول الشرك في بني آدم وتاريخه :

١ – أول شرك حصل على هذه الأرض كان من قوم نوح بعد أن لبـث النـاس على التوحيد بعد آدم عشرة قرون ومضى من ذريته عـشرة أجيـال ثـم بعـدها فعلـوا الشرك .

يدل لذلك ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كان بـين آدم ونـوح عشرة قرون كلهم على الإسلام " رواه الحاكم .

قال ابن تيمية :(والشرك في بني آدم أكثره عن أصلين :

أولها : تعظيم قبور الصالحين وتصوير تماثيلهم للتبرك بها وهذا أول الأسباب التي بها ابتدع الآدميون وهو شرك قوم نوح .

والسبب الثاني : عبادة الكواكب وهو شرك قوم إبراهيم) الفتاوى ١٧/ ٤٦٠ الرد على المنطقيين ٢٨٥.

سبب حصول الشرك : التصوير والغلو في الصالحين :

بيان ذلك : " أن وداً وسواعا ويغوث ويعوق ونسراً كانوا رجالاً صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وانتسخ العلم عبدت " رواه البخاري .

وقال ابن جرير رحمه الله في تفسير الآية : " كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم " .

فهذا يدلنا على كيفية حصول الشرك ومراحله .

أولاً : موت خمسة رجال صالحين .

ثانياً : قام الناس بتصويرهم ليتذكروهم ويعبدوا الله إذا رأوهم .

ثالثاً : بعد أن هلك الجيل المصور وجاء الجيل الذين بعده سوّل لهم الشيطان أن آباءهم الذين كانوا قبلهم كانوا يعبدون هذه الصور والتماثيل والنصب فعبدوها

فأرسل إليهم نوح عليه السلام يدعوهم ولبث ألف سنة إلا خمسين، فما آمن معـه إلا قليل فأهلك الله الكفار بالطوفان وأبقى الله المؤمنين الموحدين .

٢- أول من نقض التوحيد وفعل الشرك بعد هلاك قوم نوح بالطوفـان، عـاد قوم هود بالأحقاف خلفاء قـوم نـوح في الأرض ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ الأعراف: ٦٩ ، وكانوا مقرين بالربوبية وشركهم في الألوهيـة وكانـت أسـماء معبوداتهم صدا وصمود والهباء، وإن كان بعض أهل العلم فهم من قـولهم : ﴿ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ فصلت: ١٥ أنه كان عندهم نوع شرك في الربوبية، وقد دعاهم هـود إلى عبادة الله مما يدل على اعترافهم بالربوبية ومما يـدل عـلى اعـترافهم بتوحيـد الربوبيـة قولهم ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ ﴾ الأعراف: ٧٠ فهم لا ينازعون في ربوبية الله وفي ألوهيته وأنه يستحق أن يعبد وإنما كان خلافهم في كون الله هو وحده الذي يعبد ولا يعبد غيره فأنكروا توحيده بالألوهية. فلما كذبوا وعاندوا أهلكهم الله بالريح .

ثم بقي الناس على التوحيد حتى وقع قوم ثمود في الشرك بعد عاد وكان شرك قوم عاد أول شرك بعد الطوفان.

٣- ثم أول شرك بعد هلاك عاد وقع كان في ثمود قوم صالح بـالحجر وكـان شركهم في الألوهية دون الربوبية وقال لهم نبيهم صـالح ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ الأعراف: ٧٣ هـود: ٦١ ، وهـذا يـدل عـلى إقـرارهم بالربوبية وابتدعوا التطير. فأرسل الله لهم صالح فكذبوا فأهلكهم الله بالصيحة كـان قوم عاد وثمود من العرب البائدة في الجزيرة .

٤- ثم بعد هلاك ثمود وبقاء الناس على التوحيد مدة جاءت قرون كثيرة وأقوام من العرب وغيرهم ورجع الشرك ووقع فيه جميع أقوام الأرض وكانت هناك أقوام ورسل لم يقصصهم الله علينا وأخبر أنها قرون طويلة بين صالح وإبراهيم، حتى جاء إبراهيم الخليل عليه السلام وبعث في قومه بالعراق ، ولم يكن على وجه الأرض مؤمن موحد غيره فكان أهل الأرض في زمانه كلهم على الشرك وأُرسل إلى السومريين والكلدانيين ، وكان شركهم في عبادة الكواكب واعتقاد الربوبية فيها، فشركهم من جنس شرك الفلاسفة حيث كانوا صابئة وهم أول من أشرك في الربوبية والله أعلم ، كما حصل لإبراهيم جدال مع ملك العراق النمرود في إدعائه الربوبية ولم يذكر أن الله أهلك قوم إبراهيم ولم يؤمن له إلا زوجته سارة ولوط ابن أخيه، فهاجر لمصر ثم للشام .

٥- بعث لوط في قوم سدوم في الأردن، وكانوا مع شركهم أهل لواط وذهب ابن تيمية أنهم كانوا موحدين وأن كفرهم من جهة الامتناع عن الشريعة وعدم الانقياد للدين واستحلال الحرام والجحود قال : (وقوم لوط ذكر عنهم استحلال الفاحشة ولم يذكروا بالتوحيد بخلاف سائر الأمم وهذا يدل على أنهم ليسوا بمشركين) النبوات ٥٧ وله فيهم قول ثاني، إلا أن الأظهر أنهم كانوا أيضا مشركين، ومكذبين بالرسالة، ويدل لذلك أن الأرض كانت كلها على الشرك .

انظر البداية والنهاية .

٦- لما أنزل إبراهيم ابنه إسماعيل مكة وبنا البيت ودعا جرهم للتوحيد آمنوا وطردوا العمالقة وكانوا على الشرك من حول مكة، وبقي التوحيد في العرب وفي

الجزيرة العربية أزمنة طويلة حتى غير دين إبراهيم والملة الحنيفية عمرو بن لحي الخزاعي وجاء بالأصنام من الشام إلى مكة فعبدت وأطاعوه وهو أول من سيب السوائب وشرع وحكم بغير ما أنزل الله، ورجع الشرك في العرب والجزيرة العربية مرة أخرى قال الرسول ﷺ : " رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبته في النار وكان أول من سيب السوائب " رواه البخاري، وعند أحمد " وغيّر دين إبراهيم " وعنده : " إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان " .

بقي الناس على الشرك في الجزيرة العربية حتى بعث الرسول صلى الله عليه وسلم فرجع العرب للتوحيد وأسلموا وتركوا الشرك .

كما حصل الشرك في قوم سبأ باليمن وعبدوا الشمس وسجدوا لها ثم دعاهم سليمان للتوحيد وأسلموا على يديه وآمنوا .

أيضاً وقع الشرك وتكذيب الرسل في سبأ فسلط الله عليهم سيل العرم ومزقهم الله في الأرض.

٧- أُرسل يوسف في أهل مصر وكانوا مشركين في الألوهية وقيل كانوا عباد بقر، وكانوا مشركين في الحكم والتشريع، ولذلك نص عليه لما كان لهم الملك والحكم ودعاهم للتوحيد فقال: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يوسف.

٨- أرسل الله شعيب في قومه أهل مدْيَن وهم أصحاب الأيكة، فدعاهم للتوحيد وعبادة الله وحدة ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ

إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ الأعراف: ٨٥ ، هود: ٨٤ ، وكانوا مع شركهم وعبادة شجرة الأيك يطففون المكيال ويقطعون الطريق ويفسدون بالحرابة، فخلطوا الشرك بكفر الامتناع عن الشرع وعدم الالتزام بأمر الله ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ﴾ هود: ٨٧ .فكفروا به فأهلكهم الله بالصيحة وكثير ما يأتي ذكرهم بعد ذكر قوم لوط لكونهم أقرب الأقوام منهم زمناً .

ثم بعد ذلك حصل الشرك في أقوام ذكر الله لنا منها .

٩- أصحاب الرس والبئر : واختلف كثيراً فيهم وفي ديارهم فقيل أنهم اسم لثمود وقيل لقوم شعيب وقيل هم قوم ياسين وقيل قوم قتلوا نبيهم بالبئر وقيل قوم بالشام وقيل باليمامة وقيل بأذربيجان وقيل أنهم أصحاب الأخدود بنجران وقيل أنهم أصحاب حنظلة بن صفوان باليمن وأهلكوا بالجوع والعطش ، وكان شركهم في الألوهية ولم يذكر عنهم تفاصيل .

١٠- قوم يونس ابن متّى بنينوى بالعراق : وكان قومه يعبدون الأصنام فلما كذبوه خرج غاضباً فالتقمه الحوت فخاف قومه العذاب فآمنوا فوقاهم الله العذاب ورد الله إليهم يونس فيما قيل . وقد قيل أنهم من نسل بنيامين بن يعقوب وقيل غيره.

١١- قوم إلياس (إلياسين) وكانوا بالشام ببعلبك وكانوا يعبدون صنماً يقال له بعل وقيل أنه تمثال امرأة، فكذبوا نبيهم إلياس قال تعالى عنهم : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ الصافات: ١٢٣ - ١٢٧ ، ومن سياق الآيات يتبين أنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية مخالفين في الألوهية فكانت الأسئلة إنكارية وتقريرية .

وإلياس ليس إدريس كما قيل لأن إدريس قبل نوح وكان الناس على التوحيد، والصحيح والله أعلم أنه من ذرية هارون من بني إسرائيل، وأنه ابن عم اليسع.

١٢- أصحاب القرية قوم ياسين : بعث لهم ثلاثة أنبياء فكذبوا فأخذوا بالصيحة وكانوا يعبدون الأصنام وكانوا أهل أنطاكية بالشام فيما قيل .

١٣- قوم تبع الحمْيَري باليمن كذبوا الرسل.

١٤- قوم سبأ كانوا يعبدون الشمس وآمنوا على يد سليمان عليه السلام عام ٩٥٠ قبل ميلاد عيسى عليه السلام.

١٥- الأزد ملوك سبأ بمأرب وقد وقعوا في الشرك وتكذيب الرسل قال وهب بن منبه بعث الله لهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وكفروا نعمة الله فسلط الله عليهم سيل العرم وانهيار سد مأرب فمزقهم الله في الأرض وذلك قبل الميلاد فكان منهم خزاعة قوم عمر بن لحي الخزاعي الذين ملكوا مكة وانتزعوا أمر البيت والحرم من جرهم وأدخلوا الشرك فيها، ومنهم الأوس والخزرج بالمدينة وكانوا يعبدون صنم يقال له نائلة، ومنهم دوس بالسراة وكانوا يعبدون صنم ذي الخلصة .

والله أعلم بزمانهم هل كانوا قبل سليمان وقبل موسى أم بعدهم ، وقد ذكرت القرائن الدالة على الاحتمالين في كتاب التاريخ .

١٦- أقوام موسى التي دعاهم للتوحيد :

١- الفراعنة قوم فرعون بمصر وكان يدعي الربوبية فكان يقول: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ النازعات: ٢٤ ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴾ الشعراء: ٢٩ ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل

لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ القصص: ٣٨ ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ الأعراف: ١٢٧ وعلى قراءة (إلاهتك) أي عبادتك، وقيل أنه كان يعبد أصناما كما دل عليه قول ويذرك وآلهتك .

وكان إنكار فرعون للربوبية فوق الشرك أي أنه لم يكن يشرك مع الله في الربوبية ويعترف لله بالربوبية ولكن لا يوحده فيها بل كان ينكر الربوبية ووجود الله من الأصل ومع ذلك كان إنكاره وجحوده في الظاهر دون الباطن حيث كان موقن مقر بالله تعالى يدل لذلك قوله عز وجل : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ النمل: ١٤ وقول موسى له : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ الإسراء: ١٠٢ ، ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ الأعراف: ١٣٤.

وقوله حين أدركه الغرق ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ يونس: ٩٠.

٢- السامريون عباد البقر كانوا مشركين في الألوهية دون الربوبية وقد مر بهم موسى حين خرج من مصر وطلبوا من موسى أن يجعل لهم آلهة لمّا رأوا السامريين، ثم دعا السامري بني إسرائيل لعبادة العجل لما خرج موسى لميقات ربه فعبدوه وأشركوا ثم تابوا منه .

٣- بنو إسرائيل : وهؤلاء لم يكونوا عباد أوثان بل كانوا أهل توحيد في الأصل حتى حصل الشرك منهم في جوانب .

والأنبياء الذين قص الله لنا خبرهم كأيوب وإسحاق ذو الكفل وداود وسليمان وزكريا ويحيى فكانوا يرسلون لأهل التوحيد ولذلك هم ليسوا برسل .

فائدة: انقسم أهل الكتاب اليهود والنصارى قبل بعثة الرسول ﷺ إلى قسمين:

١- أهل توحيد مسلمين موحدين .

٢- مشركون .

وهم اليهود الذين قالوا إن عزيرا ابن الله، والذين عبدوا العجل وقالوا اجعل لنا إلها ، والنصارى القائلين بالتثليث وأن المسيح ابن الله أو أنه هو الله أو ثالث ثلاثة وعبدوه واستغاثوا به واتخذوه إلها من دون الله .

شرك النصارى : قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ المائدة: ٧٢ ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ المائدة: ٧٣ ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ﴾ التوبة: ٣٠ ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ المائدة: ١١٦.

وأول من أدخل الشرك في دين النصارى بولس اليهودي وكان قسطنطين بعده هو الذي أدخل النصرانية في الروم وألزمهم بالتثليث الشركي، وكانت الروم قبل ذلك على الشرك مثل الإغريق والفرس.

وافترقت بنو إسرائيل في عيسى ثلاث فرق : منهم كفر به وأراد قتله وهم اليهود ، ومنهم من غلا فيه وعبده من دون الله وهم أهل التثليث، ومنهم من آمن به ووحد الله وهم أهل التوحيد أمثال النجاشي وغيره .

وكان لهم لون من الشرك في الحكم والتشريع والطاعة بتحليل الحرام وتحريم الحلال : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة: ٣١ .

كذلك كان عندهم شرك في الصفات ، وتعطيلهم الله عن كماله ، وتمثيلهم له بخلقه، كقولهم: إن الله فقير، ويده مغلولة، وأنه لما خلق العالم تعب واستراح، وإن له صاحبة وولدا ،وإنه حل في عيسى واتحد معه بجسد واحد، وأيضاً تحريفهم التوراة ، وقتلهم الأنبياء ، لعنهم الله.

المسألة السادسة : وقوع الشرك في أمة محمد ﷺ :

أول من أظهر الشرك وفعله في أمة محمد هم الرافضة لعنهم الله وذلك بعد مضي القرون الثلاثة المفضلة وقد أظهروا الشرك وأمروا به ودعوا إليه حين أقاموا دولة القرامطة في البحرين واليمن ودولة البويهيين في إيران والعراق ودولة العبيديين في المغرب ومصر فحكموا المسلمين في زمن متقارب ونشروا الشرك وغلوا في القبور وبنوا عليها القباب وسموها المشاهد والله المستعان.

ثم تأثر بهم الكثير وسار على طريقهم الصوفية والمتكلمون حتى عم الشرك .

قال ابن تيمية :(وكان ظهور المشاهد وانتشارها وتعظيمها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة وكثر فيهم الزنادقة وفشت كلمة البدع وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر) الفتاوى ٢٧/ ٤٦٥ .

وقال (كما أن بني بويه الذين كانوا على عقيدة الرافضة ظهر في دولتهم بناء المشهد على قبر علي ﷺ المزعوم بناحية النجف ولا يزال يعبد ويدعى ويطاف به) رأس الحسين ١٦٨ .

وقد قيض الله علماء ينكرون عليهم من أمثال ابن عقيل وابن وضاح والطحاوي والطرطوشي وأبو شامه والشاطبي وابن عبد البر والقصاب الكرجي والعمراني وابن تيمية وابن القيم وابن عبدالهادي وابن كثير والذهبي وابن رجب وابن أبي العز الحنفي والمقريزي وابن الوزير والبركوي والحلبي الحنفي والصنعاني والشوكاني ، وهكذا العلماء في كتب الفقه في جميع المذاهب يذكرون في كتب الفقه في باب الردة والمرتد الشرك وكفر فاعله حتى قام الإمام محمد بن عبدالوهاب بدعوته فجدد الله به الدين وأحيا به السنة وأطفأ به الشرك والبدعة، إلا أنه بقي للشرك أهله الذين ينافحون فيه ويدافعون عنه ويقاتلون في سبيله ويكتبون الرسائل والمؤلفات الداعية للكفر والشرك فلم تسكن شوكتهم ولم تستأصل شأفتهم، فوجودهم لا يزال في كل زمان ومكان مما يوجب على أهل العلم مجابهتهم وفضحهم وتتبع شبهاتهم ودعوة العامة للتوحيد والتحذير من الشرك الذي من وقع فيه فليس من عداد المسلمين وماله دار إلا جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً أليماً .

السابعة : بعض الصور القديمة للشرك في الأمة :

ظهرت بعض صنوف الشرك في الصفات والربوبية قبل الشرك في العبادة ومن ذلك ما فعلته :

١ – غلاة الرافضة أتباع عبدالله بن سبأ حين ألهوا علياً فحرقهم .

٢ – القدرية الأولى أنكروا القدر وعلم الله بالأمور في آخر عصر الصحابة.

٣– الجهمية حين عطلوا الله عن صفاته وأسمائه .

٤ – القبورية من الصوفية والرافضة عباد القبور .

٥ – المشرعون والحاكمون بغير ما أنزل الله .

الثامنة : أدلة رجوع الشرك في أمة محمد ﷺ:

١ – حديث ثوبان وفيه أن الرسول ﷺ قال : " ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان " رواه مسلم.

٢ – وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً : " لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة " .

وقد وقع ذلك وأزيل هذا الصنم عام ١٢٣٠هـ .

٣– وعند مسلم من حديث عائشة مرفوعاً : " لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى " . وقيل أن القبر الذي كان ينسب لابن عباس في الطائف أنه قبر اللات وكان أهل الطائف قبل الدعوة السلفية يعبدونه ويسألونه حوائجهم ويطوفون به وعليه يتوكلون .

٤- وفي الصحيحين عن أبي سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ".

فما وجد شرك وحصل كفر في الأمم السابقة إلا وسيحصل في هذه الأمة وسيقع لا محالة .

التاسعة : إبطال شبهة من يقول الشرك لن يرجع في هذه الأمة ولن يقع في جزيرة العرب ويستدل بحديث :" يئس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب " .

سنأتي عليه في كتابنا كشف الشبهات، وملخص الرد أن الشيطان لا يعلم الغيب ويأسه من رجوع الشرك لما رأى الدين ظاهرا والتوحيد قائماً فظن أنه لن يرجع مرة أخرى ، والذي أخبرنا بيأسه هو الذي أخبرنا برجوع الشرك وهو النبي عليه الصلاة والسلام .

المسألة العاشرة : كل شرك وقعت فيه الأمم السابقة وقع في هذه الأمة :

كل شرك وقع فيه الأولون منذ أن خلق الله الخلق ستقع فيه هذه الأمة لعموم حديث : " لتتبعن سنن من كان قبلكم " متفق عليه.

فالشرك الذي حصل في عصر نوح عليه السلام وبعده في قوم عاد وثمود وقوم إبراهيم عباد الكواكب وقوم شعيب وقوم لوط وأصحاب الرس وقوم تبع واليهود والنصارى ومشركي العرب وغيرهم من الأمم، كل ما وقع فيه هؤلاء من شرك وضلال فإنه وقع مثله في هذه الأمة أو سيقع لا محالة ودليل ذلك قوله ﷺ: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) متفق عليه، يعني حتى لو دخلوا المكان الذي فيه ضرر عليكم لدخلتموه.

ويذكر البعض فائدة من الحديث وهي أن في جحر الضب لا يخلو من آفات وعقارب ، وشبه الرسول ﷺ مشابهتهم حتى فيما يضر بدخول جحر الضب، والمعنى أنه لو دخلوا محلا للآفة والظلام والخطورة لا تبعتموهم، وقد رأينا مصداق ما أخبر به النبي ﷺ من هذه الأمة ، فقد وقع التشبه بالكفار والعمل بعملهم وتتبع سننهم والتشبه بهم وتتبع طرقهم في الشرك ، ومشابهتهم في المظهر العام والشكل الخارجي والهيئة والملبس، وفي الأعياد وإحيائها، ولذلك كثرت الأعياد القومية والوطنية وإحياء الذكرى والاستقلال والميلاد وهذه من عند النصارى وكذلك النيروز والمهرجانات التي جاءت من عند المجوس ، ونحو ذلك من البدع التي وقع فيها المسلمون وقد يكون التشبه بهم في عباداتهم من غير أن يشعر المتشبه الأبله أنها من العبادة كما هو الحال مثلاً في السلام والتحية كالتحايا العسكرية وذكر رقم ثلاثة فرضاً في بعض التدريبات الرياضية والكشافية والعسكرية والتي تشير إلى عقيدة التثليث ومن ذلك الوقوف تعظيماً للشعارات القومية والوطنية والأعلام، ويقع الناس في هذا الشرك وهم لا يشعرون جهلا وتشبها، وللشيخ حمود التويجري كلام نفيس حول هذه البدع والمنكرات المحدثة المستوردة في كتابه الإيضاح والتبيين.

وهذا كله فضلا عن عبادة غير الله عز وجل الواضحة الصريحة، فكما أن أقواما قالوا أن عيسى ابن الله ففي هذه الأمة من قال أن علياً ابن الله، ومن ادّعى النبوة في الأمم السابقة فقد وجد في هذه الأمة من ادعاها، ومن أنكر وجود الخالق عز وجل من السابقين فإنه وجد في هذه الأمة من فلاسفة الإسلام والشيوعية وغيرهم من أنكر وجود الله سبحانه، ومن سب الله ورسله في الأمم السابقة فإنه

وجد في هذه الأمة من يفعل مثل ذلك، ومن عبد الأوثان والصالحين والقبور في الأمم السابقة فكذلك وجد في هذه الأمة من يفعل ذلك، ومن استباح الحرام وحرم الحلال وشرع من الدين ما لم يأذن به الله وحكم بغير ما أنزل الله في الأمم السابقة فإنه وجد في هذه الأمة من يفعله، ومن عظم وأطاع واتخذ المخلوق ربا من دون الله من السابقين فكذلك وجد في هذه الأمة من يفعله، وهكذا كل مخالفة وقعت في الأمم السابقة وكل كفر وشرك حصل منهم فإنه وقع مثله إذا لم يكن أعظم منه في هذه الأمة أو أنه سيقع ولا محالة .

المسألة الحادية عشرة : أهمية دراسة أحوال المشركين السابقين :

ذكر العلماء رحمهم الله مناهج المشركين وأحوالهم لكي يحذر من كفرهم ويخالف طريقهم، فهذا ابن تيمية رحمه الله كتب اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، وهذا محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كتب مسائل الجاهلية التي خالف الرسول ﷺ فيها أهل الجاهلية، وهذا أيضا منهج كثير من أهل التاريخ حيث كانوا يكتبون عن طريق المشركين كما هي طريقة الطبري وابن كثير والألوسي في بلوغ الأرب، وهذا يوقف العاقل على معرفة حقيقة الشرك وكيفية وقوعه وكيف راج ووجه مشابهة المشركين المعاصرين في زماننا بالمشركين الأولين .

فائدة : أقسام فترات الشرك :

الفترة الأولى: الشرك في الأمم السابقة: ابتداء بالمشركين في قوم نوح وانتهاء بالمشركين في عهد عيسى عليهم السلام قبل بعثة الرسول ﷺ.

الفترة الثانية : فترة المشركين العرب الذين بعث فيهم الرسول ﷺ .

الفترة الثالثة : الشرك في أمة محمد ﷺ ورجوعه في المسلمين كما أخبر ﷺ .

وله مراحل :

الأولى : زمن خروج الفرق الضالة الجهمية والقدرية والفلاسفة والزنادقة .

الثانية : بعد ظهور الرافضة والصوفية المتبعين للمجوس والنصارى في تعظيم القبور والأموات وعبادتهم والاستغاثة بهم .

الثالثة : يمكن أن يقال أنها فترة ما كان في زمن الشيخ محمد مؤلف النواقض والرسائل التي في التوحيد .

الرابعة : فترتنا المعاصرة هذه التي انتشر فيها الشرك في الحكم بالقوانين وموالاة المشركين ، إضافة للشرك في عبادة القبور.

ووجه جعلنا زماننا هذا مرحلة رابعة وتفريقنا بينها وبين التي كانت في زمن الشيخ محمد لوجهين:

الأول : لوجود الشرك في التشريع والتحليل والتحريم وتحكيم غير ما أنزل الله وتنحية الشريعة وانتشار هذا الشرك وحدوثه في زماننا ، وكذا ظهور موالاة الكفار ومظاهرتهم وحرب الدين وأهله بصور لم تكن من قبل .

الثاني : أن هذا الشرك والكفر حصل بتأييد كثير ممن ينتسب للدين والعلم بل وممن يدعي أنه على منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب وطريقته وهذا سر تخصيصنا .

وهنا نكتة لطيفة :

كل مرحلة تكفّر المرحلة التي تسبقها وتنكر أن تكون على منهاجها :

فقد كان كفار العرب ومنهم قريش يدعون أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام وأنهم من أبنائه، وأن ما يفعلونه مع معبوداتهم لا يعدو أن يكون بدعة حسنة، ولا يخالف دين الله ولا ينقض ملة إبراهيم وطريقته، وأنهم ليسوا كحال مشركي الأمم السالفة المكذبة لرسلها ، بينما هم واقعون في مخالفة ملة إبراهيم ناقضون لها .

والمشركون المنتسبون للإسلام من هذه الأمة ، هم يظنون أنهم على دين الله وملة إبراهيم وشريعة محمد ﷺ ، وأنهم ليسوا على منهج كفار العرب الذين بعث فيهم محمد ﷺ ، مع أن أولئك مثل هؤلاء في الطريقة والدعوى .

والمشركون في زماننا من الذين يدعون انتسابهم للشيخ محمد رحمه الله وأنهم على طريقته في محاربة الشرك، وأنهم ليسوا على منهج القبورية والصوفية والرافضة والجهمية والمرجئة الذين حاربوا إمام الدعوة وصدوا الناس عن دعوته، مع أن أولئك مثل هؤلاء في الطريقة والدعوى، وهم في الحقيقة وقعوا في الإرجاء بل والشرك والردة ، بل هم من أعظم دعاة الشرك والمنافحين عنه والمدافعين عن طواغيته وأعظم الصادين عما يناقضه ويعارضه، فلم يفقهوا دعوة الإمام محمد وقبلها دين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم أو أنهم علموها وتعمدوا محاربتها .

وقد جمعت بفضل الله الصور المعاصرة والأمثلة الحادثة في زماننا في الشرك والنواقض في رسالة مستقلة تبصيرا للناس وتحذيرا لهم من الوقوع فيها أو الاغترار بشبهات المخالفين والمغرر بهم .

فتأمل هداك الله هذا الباب العظيم واحذر من الوقوع في حبائل الشرك والكفر والنفاق ودخول دار الشرك والردة من أوسع مصاريعها وأبوابها .

المسألة الثانية عشرة : شرك المتأخرين أشد وأعظم من شرك الأولين :

وذلك لأمور منها :

١ – أن المشركين الأولين كانوا يدعون الله عز وجل مخلصين له الدين ويوحدونه وذلك في حال الخوف فيلتجئون إلى الله وفي حال الرخاء يدعون غير الله عز وجل فقال الله تعالى عنهم : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ العنكبوت: ٦٥ ، أما المتأخرون فإنهم لا تشتد دعوتهم لغير الله إلا في حالة الخوف فهؤلاء لا يستغيثون بغير الله ولا تأتي عندهم التضرعات والاستغاثات والنذور ونحوها إلا إذا جاءت الشدائد.

وكما نجد أن بعض الحكام والعامة يلتجئون إلى الغرب والشرق في وقت الشدائد ولا يلتجئون إلى الله عز وجل ليس مجرد وقت الرخاء ؟ وإنما في وقت الشدائد رأينا ذلك جلياً في حرب العراق الكويت ، حتى قال بعض المشركين إذا جاءنا بوش فناموا في الحوش ، كما لجؤوا إلى أمريكا والتمسوا رضاها وتتبعوا أفعالها وسننها وذلك في حملتها على ما أسمته بالإرهاب، وهذا من أشنع أنواع الشرك الذي وقع فيه هؤلاء المتأخرون!

٢ – أن الأولين يدعون أقواماً صالحين ، فاللات رجل صالح وود وسواع رجال صالحون، وأما المتأخرون فيدعون صالحين وغيرهم ، أمثال ابن عربي الكافر، والبدوي رجل رافضي خبيث كما حقق صاحب كتاب (السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة).

٣- أن مشركي زماننا وقعوا في الشرك في الربوبية مع الشرك في الألوهية فزعموا أن الأولياء يخلقون ويرزقون ويملكون ويدبرون ويتصرفون ويعلمون الغيب أما الأولون فكانوا مقرين بتوحيد الربوبية كما أخبر الله عنهم بقوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ الزخرف: ٨٧.

٤- وأيضاً من تعظيم شرك المتأخرين على شرك الأولين انتشار التشريع بصفة لم تكن عند الأولين ، وهذا أيضاً من شناعة شرك المتأخرين أنه بعث لهم خير الرسل وأنزل لهم خير الكتب وفيهم دعاة الخير ومع ذلك وقعوا في الشرك، وهذا دليل على أنهم أخبث وأشد شركاً .

٥- أن مشركي العرب كانوا يعلمون معنى لا إله إلا الله والمتأخرون لا يعلمون معناها .

٦- أن الأولين لا ينكرون علو الله ولا صفاته وفي المتأخرين كثير ممن ينكر صفات الرب وعلوه .

٧- وجود من ينكر الله تعالى من مشركي زماننا .

٨- وجد في مشركي زماننا من يعبد الشيطان .

٩- من المشركين المتأخرين يقول أن كل شيء هو الله وأنه حل في كل مكان .

١٠- وجد منهم من يمثل الله بخلقه والخلق بالله سبحانه .

مثال على غلو المتأخرين ووقوعهم في الشرك الأكبر في الألوهية والربوبية :

قصيدة البردة للبوصيري (يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك) التي يتغنى بها الصوفية في المولد النبوي.

بيان بالكفر الذي تضمنته هذه القصيدة الكفرية :

١- زعم هذا المشرك أنه ليس له ملاذ عند حلول الحوادث إلا النبي ﷺ .

٢- أنه ناداه ودعاه بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه.

٣- طلب الشفاعة من الرسول ﷺ كما كان يطلبها المشركون من آلهتهم ولم يطلبها من الله الذي لا يملكها غيره . كما أخبر أن لن يضيق جاه الرسول الله ﷺ به.

٤- زعم أن له عند الله ورسوله ذمة ، لكون اسمه محمد .

٥- صرح هذا المشرك بشركه في زعمه أنه إن لم يكن الرسول ﷺ في المعاد آخذاً بيده فسيهلك وهذا ليس مجرد طلب الشفاعة وإنما اعتقد أن الرسول ﷺ ينقذ بنفسه.

٦- اعتقاده أن ما في اللوح المحفوظ من الغيب قد علمه الرسول ﷺ .

٧- زعم أن الدنيا والآخرة ما خلقت إلا بجود الرسول ﷺ .

إذا أردت أن تطلع على المزيد من كلام هؤلاء أو تتعرف على دعاة الشرك من المنتسبين لأهل العلم أو من له كتاب فيه الدعاية للشرك أو ترويج وسائله أو من كان فيه بعض بدع القبورية أو تأثر بهم فهنا أذكرهم لك. وليسوا على درجة واحدة وسأذكر لك من هؤلاء معرضاً عن العامة .

وغير ذلك كثير مما صدر من هذا الكافر المشرك الزنديق من الشرك الأكبر وإثبات خصائص الربوبية والألوهية مما ليست إلا لله سبحانه وتعالى للنبي ﷺ والعياذ بالله .

المسألة الثالثة عشرة : دعاة الشرك من المنتسبين للإسلام من هذه الأمة :

البويهيون الرافضة والقرامطة فهم أول من نشر الشرك .

ومن أقدم أئمة الصوفية القبورية:مكي بن طالب ، القشيري ٤٦٥هـ ، الغزالي ٥٠٥هـ ، الكلاعي ٦٣٤هـ ، الصرصري ٦٥٦هـ ، القوني ٦٧٢هـ ، أبو نعمان .

ومن أئمة القبورية المشركة في القرن الثامن:

المنبجي ٧١٩هـ ، القشاشي ٧٣٠هـ ، وابن الحاج صاحب المدخل ٧٣٧هـ ، والإخنائي ٧٥٠هـ ، وتقي الدين السبكي ٧٥٦هـ صاحب شفاء السقام وابنه السبكي الأصولي، واليافعي صاحب روض الرياحين ٧٦٨هـ ، وابن بطوطة ٧٧٩هـ ، والتفتازاني ٧٩٢هـ ، والبكري.

وفي القرن التاسع :

أبو حفص المصري ٨٠٤هـ ، والجيلي صاحب كتاب الإنسان الكامل ٨٠٥هـ ، والجرجاني ٨١٨هـ ، والحسيني ٨٢٩هـ ،و الأبي ٨٢٨هـ ، والبرعي ٨٣٠هـ ، والمقري ٨٤٧هـ ، ومحمد سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات ٨٧٠هـ ، والسنوسي ٨٩٥هـ، وأبو العباس السرجي ٨٩٣هـ ، زروق ٨٩٩هـ ، وعبد الرحمن الجامي ٨٩٨هـ .

ومن القرن العاشر:

السيوطي ٩١١هـ له تنوير الحلل وحياة الأنبياء ، وللسيوطي كلام صريح في تجويز الشرك منثور في كتابه الحاوي في الفتاوى ، كالاستغاثة بالأموات ووجود الأبدال الذين يتصرفون في الكون وغير ذلك من الكلام الذي نجزم فيه بكفر

السيوطي وردته والعياذ بالله ، فهو من أئمة الشرك وليس من أئمة الإسلام، ولا يجوز أن يترحم عليه وعلى أمثاله من المشركين .

ومنهم القسطلاني ٩٢٣هـ صاحب إرشاد الساري شرح البخاري له المواهب اللدنية، ولهذا المشرك كلام أقر فيه الشرك الأكبر ودعا إليه، والبوصيري ٩٦٤هـ صاحب البردة، وابن حجر الهيثمي ٩٧٤هـ ، والشعراني صاحب طبقات الصوفية.

ومن القرن الحادي عشر:

عبد الرؤوف المناوي ١٠٣١هـ صاحب فيض القدير، وأحمد السرهندي ١٠٣٤هـ مؤسس الطريقة المجددية، وابن عاشر الأشعري صاحب المرشد المعين النظم المشهور ١٠٤٠هـ، وأبو المواهب ١٠٣٧هـ، وعبد الحق الدهلوي ١٠٥٢هـ، وشهاب الدين الخفاجي صاحب الحاشية على تفسير البيضاوي ١٠٦٩هـ، وابن شاه جهان الجرجاني ١٠٧٠هـ، وأحمد المصري الحموي صاحب نفشان القرب الشركي ١٠٩٨ هـ، ومحمد معصوم السرهندي ١٠٩٩هـ .

ومن القرن الثاني عشر:

محمد أمين المجي ١١١١هـ ، والزرقاني ١١٢٢هـ شارح الموطأ له شرح مواهب القسطلاني، وإسماعيل البروسوي ١١٣٧هـ، وعبد الغني النابلسي ١١٤٣هـ، والسلجماني المغربي ١١٥٥هـ، والقباني ١١٥٧هـ، وابن عفالق ١١٦٤هـ، وابن عدوان ١١٧٩هـ، وسليمان بن سحيم قاضي الرياض ١١٨١هـ في عصر إمام الدعوة ابن عيسى المويس ١١٧٥هـ، والصائغ ١١٨٣هـ، والعتيقي ١١٨٩هـ، ومحمد سليمان الكردي ١١٩٤هـ، وعبد الله بن عبد اللطيف الأحسائي.

ومن القرن الثالث عشر:

الزبيدي صاحب شرح إحياء علوم الدين وتاج العروس ١٢٠٥هـ، والمحجوب الميرغني ١٢٠٧هـ، وابن فيروز ١٢١٦هـ، وعمر القاسم محجوب التونسي ١٢٢٢هـ، وأحمد جمال الدين التونسي، والكوكباني ١٢٢٤هـ، وابن عجيبة الفاسي ١٢٢٤ هـ، ومحمد عبد المجيد كيران ١٢٢٥هـ، وضيف الله الجعلي الفضلي ١٢٢٤ هـ، وابن داود الزبيري ١٢٢٥ هـ، والقاضي ثناء الله البابي صاحب الرد على الوهابية ١٢٢٧هـ ، وعلوي الحداد ١٢٣٢هـ، ومحمد الأمير شارح الجوهرة ١٢٣٢هـ، والصاوي صاحب الحاشية على تفسير الجلالين ١٢٤١هـ ، خالد بن أحمد ١٢٤٢هـ، ابن سلوم ١٢٤٦هـ، أبو الفداء إسماعيل التميمي ١٢٤٨هـ، ابن عابدين صاحب حاشية رد المختار مفتي الحنفية ١٢٥٢هـ، وبلفقيه العلوي الحضرمي ١٢٦٦هـ، ومحسن الحسني ١٢٦٦هـ، ويف أحمد البرايوني ١١٧٤هـ، وعثمان بن سند الوائلي ١٢٥٠هـ ، وأحمد بن سعيد السرهندي النقشبندي ١٢٧٧ هـ، وحسن الشطي ١٢٧٤ هـ، والخاني ١٢٧٩ هـ، وعثمان بن منصور النجدي ١٢٨٢ هـ ، الردين، مؤسس الديوبندية ، داوود بن جرجيس العراقي ١٢٩٩ هـ صاحب كتاب صلح الإخوان ومن أهل التلبس والعداء على أهل التوحيد وقد رد عليه كثيرون.

ومن القرن الرابع عشر:

محمد الهمداني ١٣٠٣ هـ ، وأحمد زيني دحلان مفتي الشافعية في مكة وإمام القبورية له كتاب الدرر السنية وقد رد عليه السنهوسي بكتابة صيانة الإنسان، بخش ١٣٠٩ هـ ، والكمشخانوي ١٣١١هـ، وحلواني مدني ١٣١٦ هـ، امتداد إله

الهندي المكي الديوبندي صاحب كتـاب الـشمائل الإمدادية ١٣١٧هــ، وإبـراهيم السمنودي ١٣٢٦هـ، ومحمد أمين الكردي الأربلي ١٣٣٢هـ، وحيد الزمان الحيدر ابادي ١٣٣٨هـ، ومختار أحمد باشـا المؤيـد ١٣٤٠هــ، وأحمـد رضـا خـان الأفغـاني البريلوي ١٣٤٠هـ إمام ومؤسس طائفة البريلوية من أكبر طوائف المشركين في هذا العصر وأشدها غلوا، وخوجه محمد حسن المجددي ١٣٤٦هـ، وخليل بـن أحمـد السهارنفوري ١٣٤٦هـ، صاحب كتاب بذل المجهود شرح سنن أبي داوود من كتبه الشركية المهند على المفند، ويوسف الدجوي الأزهري ١٣٦٥هـ له مقالات شركيـة ومحاربة للتوحيد ، ويوسف النبهاني الأشعري الحنفي في كتابه غايـة الأمـاني في الـرد على النبهاني، وجميل صدقي أفندي الزهاوي ١٣٥٤هــ، ومحمـد أنـور الكـشميري ١٣٥٢هـ، من أهل الحديث لكنه قبوري ، محمـد عطـا الكـسم ١٣٥٧هــ، ومحمـد بخيت المطيعي الأزهري الأصولي ١٣٥٢هـ، وديدار علي ١٣٥٤هــ، وأشرف عـلي التهانوي ، وحكيم الأمة الديوبندي ١٣٦٢ هـ له أمداد المشتاق والأرواح الثلاثـة ، ونعيم الدين البريلوي ١٣٧٦هـ، ومصطفى أبو سيف الحمامـي ١٣٦٨هــ، وشـبير العثماني محدث وفيه قبورية صاحب كتاب فتح الملهم عـلى مـسلم ١٣٦٩هــ، محمـد زاهد الكوثري الماتريدي ١٣٧٠هـ أشد أهل عصره عداء للتوحيـد وأهلـه وتـاريخ هذا المشرك الهالك لا يخفى، وسلامة القضاعي الهنـدي ١٣٧٦هــ، وحـسين أحمـد المدني ١٣٧٧هـ صاحب الشهاب الثاقب وهو من أعظم الكتـب الداعيـة للـشرك، ومناظر أحسن الكيلاني ١٣٧٥هـ، ومحمد مظهـر الله الفـاروقي ١٣٨٦هــ، وأحمـد خيري الحنفي ١٣٨٧هـ، والغورغوشـتوي ١٣٨٨هــ، وأحمـد يارخـان البريلـوي

القبوري ١٣٩١هـ، وكفاية الله بن أمان الله، وحمد الله الداجوي، وأرشد القادري، ومحمد الصديقي البركاتي، وعبد الله الغماري وأخوه، وعزيز الحسن السجاعي، وياسين السنهوتي، ومحمد عبد الحكيم شرف، ومحمد عبد الحامد القادري البريوني، ومختار باشا العظمي، وأبو الفيض المنوفي، وسعيد الرحمن الشراهي، ومالك داوود المالي، وموسى محمد علي عبد النبي الكوكب، وعبد الغفور الأفغاني البشاوري، وعبد الغيور، ومحمد شفيع الأوكاروي، ومحمد على الغروي، ومحمد الحامد صاحب ردود وأباطيل، والنوري الديرشوي، ومحمود حسن الجنجهوري، وأبو الخير نور الله دين الباكستاني، وعبد الرؤوف العراقي، وحسين حلمي، محمد عبد الرحمن الفاروقي، والسلهتلي، صاحب زاده الدمشقي، وصبغة الله المجددي، وأحمد سعي الكاظمي، وظاهر شاه المدني، وعبد الحكم شرف، وكاظم على رسى، ومحمد بهاء الحق الهندي، وعبد القادر الاسكندراني، ومحمد توفيق سوقية، ومحمد أحمد نو، ومحمد الطاهر يوسف صاحب رسالة قوة الدفاع، وحسنين مخلوف الأزهري، وعبد الحليم محمود شيخ الأزهر، ومحمد متولي الشعرواي المفسر، ومنصور عربي، ومحمد مصطفى ، وإبراهيم الرواوي، وحلمي أيشق صاحب مكتبة الحقيقة في تركيا وموزع الكتب الشركية.

ثم اعلم أن دعاة القبورية لم ينتهوا إلى هذا الحد ففي أيامنا هذه ومع انتشار العلم وقيام الحجة ومع تسلط الأعداء علينا مما يجعل المفترض رجوعهم إلى الحق وترك الشرك وعبادة القبور ونبذ الافتراق إلا أن الواقع غير ذلك فكل يوم يبرز لهؤلاء القبورية إمام يدعو للشرك ومن هؤلاء المعاصرين والذي بلينا بهم :

فمن رؤوس القبورية المشرك محمد علوي مالكي المكي الأشعري والمعتبر من أكبر دعاة الشرك في هذا العصر وقد ألف في الشرك كتباً أشهرها مفاهيم يجب أن تصحح والذخائر المحمدية وقد هلك في ١٤٢٥هـ وله أتباع ينشرون كتبه من الصوفية الهالكة أمثال عبد الكريم مراد القروني ألف كتاب التحذير من الاغترار، ويوسف هاشم الرفاعي صاحب كتاب الرد المحكم وانتصروا للمالكي.

المشرك علوي السقاف الأشعري أحد كبار دعاة الشرك وله كتاب الإغاثة .

أيضاً من رؤوس القبورية عبد الله الحبشي المشرك الضال الأشعري صاحب كتاب الدليل القويم وصريح البيان والمقالات السنية وله دعوة في لبنان .

المجهول صاحب كتاب براءة الأشعريين والمنسوب لأبي حامد مرزوق.

كذلك من رؤوس الضلال مفتي مصر القبوري المشرك علي جمعة .

والمشرك الهالك مفتي سوريا رمضان البوطي .

وعلي الجفري وحاتم الشريف، وغيرهم كثير لا كثرهم الله .

فهؤلاء جملة من دعاة الشرك والقبورية ممن كتب في تأييد الشرك والدعوة إليه أو تحسين وسائله، وهم في ازدياد وما ذكر منهم إلا القليل ولم أذكر إلا من له تأليف وكتاب له رواج في الدعوة للقبورية والله المستعان.

وقد أكثرت من ذكر وتتبع المتأخرين خاصة منهم لمخالطتهم كثيراً من الناس ووجود مؤلفاتهم وقيام دعوتهم بين العامة، فحرصت على ذكرهم ليتم الحذر منهم ومن كتبهم والاستغناء عما فيه فائدة منها بتأليف غيرهم إن أمكن.

مسألة : إبطال ما نسب للصنعاني من كون الشرك من الكفر العملي كما وجد في بعض النسخ لكتاب تطهير الاعتقاد زيادة لا تصح ولا تليق بل وتناقض ما سبق تقريره وهي زيادة مكذوبة، ومن المعلوم عند أهل العلم أن الإمام الصنعاني قد أتهم بأنه رجع عن مذهبه، إلا أن الحق الذي لا مرية فيه أن ما نسب للصنعاني لا يصح عنه ألبته وما قيل فيه وعنه كله مكذوب عليه للتشكيك في دعوة التوحيد والنيل من أئمتها وقد أنبرى للدفاع عن الإمام الصنعاني كثير من العلماء ومن بينهم الشيخ سليمان بن سحمان في كتابة تبرئة الإمامين .

الباب الرابع

التحذير من الشرك وخطورته وآثاره وأسباب وقوعه

المبحث الأول : أسباب وقوع الشرك وبقائه :

أولاً : الأسباب العامة الرئيسة :

١ – الجهل بحقيقة الدين وما أمر الله به وما نهى عنه، والجهل بمعنى العبادة والتوحيد والشرك وما هو التوحيد الذي يرضاه الله والعبادة التي هي حق خالص له وحده لا شريك له، والتي من نازعه فيها وعبد غيره فإنه يصير بذلك كافراً مشركاً وخارجاً من الإسلام إلى الكفر قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ الزمر: ٦٤ ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٣٨.

ومن أعظم المصائب أن كثيراً من العباد والعلماء لا يعرفون معنى لا إله إلا الله ولم يفهموا التوحيد ولا شرك الأولين ولا لم أرسلت به الرسل .

٢– سوء الظن بالله عز وجل وعدم تقديره سبحانه ولا معرفة صفاته العلية، فالمشرك يقيس ربه الغني بالمخلوق الضعيف الذي يحتاج لواسطة تقرب إليه وتشفع عنده وذلك لجهله وعجزه وعدم رحمته فتطلب الواسطة عنده، ليعلم بوزرائه وأعوانه وشركائه ويرحم بهم ويقدر بهم، فأين ذلك من الله سبحانه العالم بكل شيء والذي لا يغيب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو مع خلقه أينما كانوا ، وهو يعلم السر وأخفى ، وهو القادر على كل شيء والمالك وحده للنفع والضر وغيره لا يضر ولا ينفع ، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ،

وهو الراحم بخلقه المتكفل بأرزاقهم الغني الحميد الصمد الذي يـصمد الخلـق إليـه ويسألونه حوائجهم وهم الفقراء إليه والله وحده هو الغني الحميد .

وصدق الله تعالى حين وصف حال المشركين في سوء ظنهم بالله بقوله تعالى:

﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ الفتح: ٦ ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ فصلت: ٢٣ ﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الصافات: ٨٥ – ٨٧

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ ص: ٢٧

﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ آل عمران: ١٥٤

وقال تعالى: ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ الحج ٧٤ ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ نوح: ١٣ .

هذا هو الشرك وهذا حال صاحبه أساء ظنه بربـه وعـدم تقـديره حـق قـدره وتشبيهه بخلقه فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

٣- الغلو في الصالحين وفي المخلوقات فترفـع عـن مرتبتهـا ومنزلتهـا ويـشبه المخلوق بالرب تبارك وتعالى ويعطى صفات الألوهية والربوبية ويطلب منـه جلـب النفع ودفع الضر وكشف الكرب ويتبرك به ويلجأ إليه ويتوكل عليه ويعظـم ويحـب ويرجى ويخضع له عابدوه ويذلون له .

ولذلك كان أول شرك وقع في هذه الأرض شرك قوم نوح ، وكان سببه الغلو في الصالحين وطلب الشفاعة منهم والتقرب بهم إلى الله .

ثانياً: الأسباب الفرعية الخاصة :

وهي داخلة في جملة الأسباب الثلاثة السابقة فمنها:

١- اتباع الهوى والشهوات واستمتاع المشرك بشركه واستمتاع الجن بالأنس والعكس، وتقديم مصالح الدنيا وحظوظ النفس .

٢- الكبر والعناد والإباء والاستكبار .

٣- التقليد وتحكيم العادات واتباع المألوف وعدم النظر في الدليل .

٤- انتشار البدع ورواسب الأديان الكافرة والوثنية .

٥- عدم التدبر والاعتبار والنظر في الحجج العقلية والنقلية والفطرية.

٦- انتشار وسائل الشرك مع عدم إنكارها وإزالتها .

٧- مشابهة اليهود والنصارى والمجوس وتناقل وتلاقح الثقافات الكافرة وحوار الحضارات الملحدة.

٨- قياس المخلوق بالخالق والخالق بالمخلوق .

٩- وجود الطغاة من الحكام وعلماء السوء المشركين الداعين للشرك والمزينين له عند العامة ، فتجد كثيراً من العلماء يقع في الشرك مع العوام ويحسنه ويدعو الناس إليه ويحارب من ينكره ويتهمه بالضلال وأنه من الخوارج ولا يعظم الرسول ولا يحب الأولياء ويصنف الكتب الداعية للشرك ودعاء الأموات وموالاة المشركين ومحاربة الموحدين ، ومنهم من يهون موضوع الشرك ويعتذر كثيرا لأصحابه وينكر على من يكفرهم، ويهتم بالأمور الفرعية ولا يبين مسائل التوحيد .

ومنهم من يقرر طريقة المرجئة ويسير على منهجهم وأصولهم ويزعم أن الإسلام مجرد نطق الشهادتين ولا يمكن أن يكفر أهله .

١٠- وجود الرافضة والصوفية دعاة الشرك وأرباب دين القبورية .

١١- تمسك الإنسان بما يعتقد فيه النفع والضر والنحس والسعد .

١٢- قلة الإنكار وعدم بيان الدين والتوحيد من العلماء والدعاة والتقصير في ذلك، وترك تكفير المشركين وقتالهم، بحجة أنهم مسلمون أو جهال وإيراد الشبهة الإبليسية أن التوحيد معروف والدين عرفناه والشرك لا يوجد من يفعله .

١٣- الروايات الكاذبة والأحاديث والأخبار المختلقة الموضوعة المكذوبة والمنامات الفاسدة والحكايات الكاسدة، التي هي من وضع القبورية بوحي إبليس .

١٤- وسوسة الشيطان لعباد الأوثان وكلامه ومخاطبته لعباد الأوثان على أنها هي المتحدثة، كذلك الأحوال الإبليسية والخوارق الشيطانية والسحر الذي تلاعب الشيطان وأولياءه به على المشركين .

١٥- رعاية الآثار وتعظيمها.

١٦- الجهل باللغة العربية والمراد بالإله والرب والعبادة وعدم التفريق بينها.

١٧- عدم امتثال أمر الشارع بسد الذرائع المفضية للشرك .

١٨- تعظيم القبور والبناء عليها وإسراجها والصلاة عندها والتبرك بها .

١٩- الجبر والإرجاء من أسباب حصول الشرك وانتشاره بل وتسويغه للناس، وقد بينت علاقة هذين الأصلين الفاسدين بالشرك ومناقضة التوحيد في كتابي التوحيد .

المبحث الثاني : أضرار الشرك وأخطاره ومفاسده :

١- أن الله تعالى لا يغفره : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ النساء: ٤٨.

٢- أنه يحبط جميع الأعمال : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ الزمر: ٦٥.

٣- أن المشرك محرم عليه الجنة ومأواه النار خالداً فيها : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ المائدة: ٧٢ .

٤- أن الشرك مسبب لضيق العيش والوحشة وضيق الصدر : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ طه: ١٢٤ .

٥- ذهاب الرزق والبركة التي سببها التوحيد: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ هود: ٥٢.

٦- التفرق والاختلاف والعداء فالتوحيد يجمع الناس على الألفة والمحبة ربهم واحد ومعبودهم واحد ومطاعهم ومتبوعهم واحد وطريقهم واحد فلا تنازع ولا عداء وهذا بخلاف الشرك .

٧- استباحة المال والدم :﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ التوبة: ٥، وقال النبي ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) متفق عليه.

٨- أن فاعله يكفر بمجرد فعله ولا يعذر بجهله وتأويله، وهذا بخلاف غيره.

٩- الشرك فيه انتكاس للفطرة.

١٠- فيه هوان وإذلال لفاعله حيث ترك عبادة الله فعبد المخلوق الضعيف .

١١- الشرك مورد للأوهام والوساوس والمخاوف وذهاب الأمن ، فالمشرك متعلق بكل شيء ليدفع ضره وينفعه .

١٢- الشرك سبب لهلاك الشعوب وذهاب خيراتها وتسليط الأعداء عليها .

١٣- شدة خفائه ، قال النبي ﷺ :(الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا) رواه أبو يعلى وسند ضعيف.

١٤- سرعة رجوعه للناس إليه ولذلك استعاذ منه إبراهيم في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ إبراهيم: ٣٥.

١٥- فيه ضياع التوحيد ودين الله وأمره .

١٦- فيه شكوى الله الرحيم الودود على خلقه وهذا حال من يدعو غير الله.

١٧- الشرك قائم على سوء الظن بالله واعتقاد أنه لا يرحم ولا يعلم ولا يفعل إلا بمحرك له واسطة عنده .

١٨- فيه تعطيل الله تعالى عن كماله المقدس .

١٩- فيه تشبيه الخالق بالمخلوق وأنه محتاج لواسطة تشفع عنده وكذا تشبيه المخلوق بالخالق عز وجل .

٢٠- أنه الظلم العظيم ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان: ١٣.

٢١- ذهاب خير الدنيا والآخرة فدعوة غير الله وعبادته باطلة وهي هباء لا نفع فيها بل الضرر كله منها .

٢٢- كذلك كثرة الشبهات حوله من الدعاة إليه ومن وحي إبليس وتلبسيه .

مسألة: عبادة غير الله عز وجل أشد من إنكار الرسالة :

وعلّة ذلك أن إنكار الرسالة أو سب الرسول ﷺ فيه اعتداء على حق الرسول.

أما من دعا غير الله تعالى وعبده فقد اعتدى على حق الله عز وجل، وحق الله تعالى أعظم من حق الرسول .

وإن كان حق الرسول داخل في حق الله ﷻ لكن لا يصل إلى درجة الشرك .

فمن سب الرسول ﷺ فقد أساء للرسول ولمرسله ولكن لا يصل إلى درجة الشرك فالشرك أعظم ذنبا والعبادة أعظم حقوق الله لذلك القدح فيها أشد وأنكى .

مسألة : قبح الشرك مما تعلمه العقول الصحيحة والفطر السليمة :

الشرك حقيقته يقوم على سوء الظن بالله، وأنه لا يعلم أو لا يسمع إلا بإعلام غيره وطلبه منه، وهذا فيه نفي لعلم الله وسمعه وقدرته، أو أنه يسمع ويرى ولكن يحتاج إلى من يسترحمه ويستعطفه عليهم، وفي هذا إساءة ظن وطعن في الرب وفي صفاته، وسوء الظن من أعظم الذنوب وهي سمة لكل مشرك ، كما تقدم.

فمن اتخذ واسطة وشفيع عند الله من ولي أو نبي فقد ظن بربه أقبح الظن، وجعله مثل ملوك الدنيا المحتاجين إلى الوسائط وذلك لعجزهم وضعفهم وقصور علمهم عن إدراك حوائج المضطرين فأما من هو عالم بكل شيء ولا يشغله سمع عن سمع وسبقت رحمته غضبه وكتب على نفسه الرحمة فما تصنع الوسائط عنده.

مسألة : خوف الأنبياء من الوقوع في الشرك :

فهذا الخليل عليه السلام إمام الموحدين دعا الله بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ إبراهيم: ٣٥.

وهذا رسول الله ﷺ كان يتعوذ من الشرك ويأمر به كما في قوله ﷺ : " اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك "رواه أحمد .

مسألة : المشرك إنما قصد تعظيم جناب الله تعالى :

حيث يظن أن الله تعالى لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك، فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية فعبد هذه الوسائط والشفعاء التي زعم أنها تقربة إلى الله .فوقع في نقيض قصده وفعل أعظم ما يسخط ربه ويغضبه وما فيه استهانة به وسوء ظن به فاستحق أن يخلد به في ناره وأوجب بفعله هذا سفك دمه واستباحة ماله. وتقدم .

مسألة: الشرك يحبط العمل حتى ولو عمل صالحاً .

الله لا يقبل عمل المفسدين ، ولما كان الشرك ضد التوحيد ، والله عز وجل لا يقبل إلا العبادة المجردة له والألوهية الكاملة له فمن أله الله وعبده ولكن لم يترك عبادة غيره ولم يكفر بعبادة غيره فلا يسمى موحداً ويبطل عمله في غيره من الأعمال فمن شروط قبول العبادة والعمل الصالح:

١ - أن يعبد الله عز وجل وحده . ٢ - أن يكفر بعبادة كل من سوى الله.

مسألة : كفارة الشرك الأصغر:

لما قال الرسول ﷺ أيها الناس اتقوا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل قالوا وكيف نتقيه يارسول الله قال قولوا : (اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه) رواه أحمد وفي سنده ضعف.

الباب الخامس : وسائل الشرك وذرائعه وأبوابه

المسألة الأولى : معنى الذرائع والوسائل:

الوسائل هي بمعنى الذرائع .

والذريعة ما كان طريقا وسببا يتوصل بها لحصول غاية.

ومن معانيها : ما كان مباحا في أصله لكن يفضي لأمر محرم.

أيضاً : ما كان طريقا إلى المقاصد من المصالح والمفاسد .

فائدة : باب الذرائع ضد رعاية المصالح .

فائدة : علاقتها بالأسباب . باب الأسباب يدخل في باب ذرائع الشرك .

م (٢): منهج الشارع مع الوسائل والغايات والمقاصد :

الشارع إذا حرم شيئاً حرم الطرق الموصلة إليه والوسائل المفضية إليه .

ومن هذا الباب كان من مقاصد الشريعة وأبواب الدين سد الذرائع ، فالأفعال إذا كانت مباحة لكن قد تفضي إلى محذور وجب سدها ودفعها وإغلاقها .

م (٣) : معنى: (لايستجرينكم الشيطان) أبو داود، (لا يستهوينكم) النسائي.

هذه خطواته التي يتدرج بها ويتبعها المفتون أخبرنا الله عنها وحذرنا منها بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ ، وهي من الذرائع والوسائل والطرق والأبواب المفضية للشرك والموقعة في حمى التوحيد وجنابه ، والشارع صان كل ذلك وحماه وحفظه وحسم كل ما يخالف ذلك وسده وأغلقه.

م (٤) : الفرق بين الحماية للتوحيد وسد طرق الشرك :

أن سد الطرق والوسائل من الحماية .

م (٥) : **فتح الذرائع** :

كترك النبي ﷺ قتل المنافقين ، وتحريق أموال الكفار وإتلافها ، والسفر للكفار، وإقامتهم عندنا للمصلحة ، وكفعل الكفر مكرها.

م (٦) : **علاقة وسائل الشرك بالشرك الأصغر** :

١ – أغلب وسائل الشرك إذا لم يكن جميعها فيها نوع شرك حتى التقليد والتصوير والتعظيم والكبر والتوسل .

٢– لكن يوجد وسائل للشرك الأكبر وليست من باب الشرك الأصغر ، مثل: الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها والصلاة في المقبرة من غير قصد التبرك .

٣– ولا يوجد شرك أصغر إلا وهو وسيلة من وسائل الشرك الأكبر .

م (٧) : **أقسام الوسائل**:

١ – مقصودة بذاتها ، كمن تشبه بالكفار قصدا وتقصد الصلاة في المقبرة.

٢ – ألا يقصد فاعلها موافقة المحرم ، كمن لبس مثل لبس الكفار وشابههم من غير أن يقصد ، أو صلى في المقبرة وفاقا لا تعمدا .

م (٨) : **أبواب الوسائل**:

١ – وسائل متعلقة بالألوهية ، كالصلاة عند القبور والبناء عليها.

٢ – وسائل متعلقة بالربوبية والصفات ، كالإقسام على الله والاستشفاع به.

٣– وسائل متعلقة بالولاء والبراء، كالتشبه بالكفار وهو من ذرائع الكفر.

٤ – وسائل متعلقة بالقدر ، كالصبر وكعدم قول (لو) اعتراضا على القدر.

ووسائل تتعلق ببقية أبواب العقيدة والإيمان والغيبيات والأسماء والأحكام.

م (٩) : مقاصد التوحيد التي جاء الشرع بالوسائل لحمايتها :

١ – تحقيق العبودية لله وإخلاص العبادة لله والبعد عن الشرك .

٢ – تعظيم الرب ﷻ والبعد عما ينافي تعظيمه ، واحترام جناب الربوبية.

٣– إثبات الكمال لله ﷻ، وعدم تعطيله عن كماله.

٤ – عدم القدح في أفعال الله وسبها، ونفي النقص عنه وتبرئته من العيب .

٥ – تنزيه الله عن التمثيل مع خلقه فلا يعطى صفات الخلق ولا الخلق صفاته.

٦ – عدم الغلو في الخلق وإعطائهم صفات الخالق وربوبيته والتأثير .

٧– إثبات صفات الله لهم ، نسبة الحوادث للخلق والتأثير لهم.

٨– الرضا عن الله وعما جاء عنه وعن أقداره وعدم التسخط على أقداره .

٩ – التأدب مع الله في الألفاظ والبعد عن الألفاظ الموهمة .

١٠ – حفظ وسائل حماية التوحيد، وسد ذرائع الشرك وطرقه.

١١ – البعد عن مشابهة المشركين.

م (١٠) : هل يوجد وسائل قلبية اعتقادية :

في الغالب أن وسائل القلب لا تستقل بل يتبعها قول أو فعل .

م (١١):**القاعدة:**أن كل الوسائل متعلقة بالقلب وقد تفضي للعقيدة الفاسدة.

م (١٢) : حكم ما لو لم توجد عقيدة القلب في فعل الذريعة:

الحكم يبقى على أصله بالتحريم وسد الذريعة كحسم مادة التشبه.

م (١٣) : **بعض الوسائل تكون قولية وعملية** . كالتسخط والتشاؤم .

م (١٤) : أسباب وقوع الشرك وبقائه :

١ – الجهل بحقيقة الدين وما أمر الله به وما نهى عنه، والجهل بمعنى العبادة والتوحيد والشرك وما هو التوحيد الذي يرضاه الله والعبادة التي هي حق خالص له وحده لا شريك له، والتي من نازعه فيها وعبد غيره فإنه يصير بذلك كافراً مشركاً.

٢ – سوء الظن بالله ﷻ وعدم تقديره سبحانه ولا معرفة صفاته العلية، فالمشرك يقيس ربه الغني بالمخلوق الضعيف الذي يحتاج لواسطة تقرب إليه وتشفع عنده وذلك لجهله وعجزه وعدم رحمته فتطلب الواسطة عنده، بالله سبحانه العالم بكل شيء والقادر على كل شيء والمالك وحده للنفع والضر وغيره.

٣– الغلو في الصالحين فترفع عن مرتبتها ومنزلتها ويشبه المخلوق بالرب تبارك وتعالى ويعطى صفات الألوهية والربوبية.

م (١٥) : الجامع في تحريم وسائل الشرك :

١ – أن تقوم على تعلق القلب بغير الله واللجوء والتوجه إلى غيره .

٢– أنها ذرائع وأسباب ودواعي ووسائل لحصول الشرك ووقوعه .

٣– أن فيها تعظيم المخلوق والغلو فيه .

٤– أن فيها تنقص الرب ﷻ والقدح في أفعاله.

م (١٦) : ألفاظ فيها تجرؤ على الرب وعدم تعظيمه ونقص لكمال التوحيد:

١ – السلام على الله ﷻ .

٢– التألي على الله ﷻ .

٣– الاستشفاع بالله ، بأن تجعل الله ﷻ واسطة لك عند خلقه .

٤ – الاستثناء في الدعاء : كقول: اللهم اغفر لي إن شئت .

٥ – الإقسام على الله ﷻ والتدخّل في أفعاله .

٦ – لا يقول : عبدي وأمتي .

٧ – رد من سأل بالله ﷻ.

٨ – لا يسأل بوجه الله ﷻ إلا الجنة .

٩ – قول : (لو) وقول: (لولا).

١٠ – الظن السيئ بالله تعالى .

١٢ – الوفاء بذمة الله ﷻ وعدم إخفارها .

١٣ – دعاء الله ﷻ ببعض الألفاظ السيئة كقول : الله يظلم فلان أو الله يـؤذي فلان أو يخون الله من يخوننا أو الله يخدمني في فلان ، فهذه كلها تنبئ عـن سـوء أدب مع الله عز وجل ومما يجب أن ينزه ربنا عنه، فالله لا يظلم ولا يخون سبحانه .

١٠ – قول: (لولا الله وفلان) ، وقول: (ما شاء الله وشاء فلان) .

١١ – سب أفعال الله تعالى.

فهذه الأمور داخلة في تعظيم الله وتوحيده وتتعلق بالشرك الأصـغر ووسـائل الشرك .

م (١٧) : من حماية الشرع جناب التوحيد وسد وسائل الشرك :

١ – بيانه لأضرار الشرك وخطره ومفاسده .

٢ – خوف الأنبياء من الوقوع في الشرك :

فهذا الخليل عليه السلام إمام الموحدين دعا الله بقولـه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ إبراهيم: ٣٥.

٣- سد ذرائع الشرك .

وإذا كان الله ورسوله حرموا هـذه الوسـائل حتـى لا تفـضي للـشرك وحمايـة جناب التوحيد ، فمن المستحيل شرعاً وفطرة وعقلا أن يأتي في هذه الشريعة المطهرة الكاملة إباحة دعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم في الملمات والمهمات.

٤ – إزالة آثار الشرك وبقايا الأصنام :

ومن ذلك أمر الرسول ﷺ للصحابة ﷺ بهـدم الـلات والعـزى وذي الخلـصة وغيرها ، وهدم يوم فتح مكة ثلاثمائة وستين صنماً كانت على الكعبة وحولها .

م (١٨) : **فائدة** : تتنوع وسائل الشرك لنوعين :

وسائل متعلقة بالقبور وخاصة بالأموات ووسائل عامة .

م (١٩) : **قاعدة :**

وجوب تغيير الألفاظ الموهمة التي قد تكون وسيلة وذريعة للشرك.

م (٢٠) : **عدد وسائل الشرك :**

الذرائع التي سدها الشرع حسب استقراء النصوص وصلت إلى خمسين ذريعة شركية ووسيلة .

م (٢١) : أنواع الذرائع الشركية: وعددها خمسون ذريعة بعد الاستقراء:

أولاً : وسائل قولية لفظية:

١- الاطراء والمدح .

٢- التسوية اللفظية.

٣- التوسل .

٤- الاستسقاء بالأنواء .

٥- إسناد الحوادث لغير الله ونسبة الحوادث للدهر. وقول (لولا) .

٦- الحلف بغير الله .

٧- التشبه بالمشركين.

٨- نسبة النعم لغير الله وشكر الخلق عليها .

٩- ترك الدعاء والشكر.

١٠- الاستشفاع بالله .

١١- الإقسام على الله ، والتألي عليه.

١٢- كثرة الحلف وامتهانه.

١٣- السلام على الله .

١٤- تعليق الدعاء بالمشيئة كقول اللهم اغفر لي إن شئت .

١٥- اخفار ذمة الله ونكث عهده.

١٦- التسخّط على القدر بالقول والعمل وقول (لو).

١٧- انتقاص الرب ﷻ وانتقاص صفاته وأفعاله .

١٨- سب أفعال الله كالدهر والريح .

١٩- تشبيه الرب بخلقه والخلق بربهم، جحد الأسماء والصفات وتعطيلها، احترامها، والتسمي بقاضي القضاة .

٢٠- التعبيد لغير الله وشرك التسمية .

٢١- الألقاب المعظمة للمخلوق أو فيها مشابهة لما يختص به الرب.

ثانياً : وسائل عملية بدنية :

١- الغلو والتعظيم في : الأحياء والأموات والقبور والمواضع والآثار.

٢- تقصد مواضع بالعبادة أو أماكن الشرك التي يعبد فيها غيره .

٣- البناء على القبور واتخاذها مساجد وإنارتها والصلاة فيها .

٤- التصوير .

٥- التقليد .

٦- التبرك .

٧- التمائم .

٨- التشاؤم .

٩- الذهاب للسحرة .

١٠- ترك الواجب خشية الناس .

١١- القيام للمخلوق .

١٢- رعاية الآثار وتعظيمها .

١٣- الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها .

ثالثاً : وسائل قلبية اعتقادية :

١- الأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله.

٢- التبرك.

٣- التشاؤم .

٤- الغلو في الخلق.

٥- الجزع وعدم الصبر ، تسخط على أقدار الله وأفعاله وربوبيته .

٧- الرياء وإرادة الدنيا.

٨- سوء الظن بالله .

٩- اعتقاد استحقاق النعم ، وأن للمخلوق حقاً على ربه.

١٠ الكبر والفخر والعجب والطعن في الناس وأنسابهم.

١١- تقدير الله وتعظيمه .

١٢- الاعتماد على الأسباب بالكلية.

١٣- الخوف من المخلوق والتوكل عليه وترجيّه.

١٤- عبادة الدنيا والتعلق بها .

١٥- الاستغناء عن الله .

وكل هذه الأبواب تدخل في الشرك الأصغر كما تعتبر من حماية النبي ﷺ التوحيد وسد طرق الشرك.

مباحث متعلقة بوسائل الشرك

الفصل الأول : الإخلاص وشرك الإرادة والنية والقصد والابتغاء

الثاني : الرياء .

الثالث : كفر النعم وشرك المدح والشكر والثناء.

الرابع : التوسل.

الخامس : الصبر على الأقدار والرضا بها وعدم الجزع منها والاحتجاج به .

الفصل السادس : الحكم بغير ما أنزل الله الذي يعد من الشرك الأصغر .

وسيأتي الكلام عنها .

الفصل السابع : الغلو

م (١) : تعريف الغلو :

مشتق من الفعل غلا ، وهو مجاوزة الحد .

ومن الألفاظ المقاربة له :

التنطع والإطراء والتشدد والتطرف .

م (٢) : أقسام الغلو وآلاته :

١- غلو قلبي: مثل التعظيم والإفراط في الخوف من المخلوق أو محبته.

٢- غلو قولي لفظي : مثل المبالغة في المدح .

٣- غلو عملي : مثل القيام للقاعد ورمي الجمار بحجارة كبيرة.

٤- غلو اعتقادي منهجي: كغلو الخوارج والمرجئة والقدرية والمعطلة .

م (٣) : أنواع المغلو فيهم وصور الغلو وأمثلته :

البشر: ومنهم الرسل والصالحين والملوك والأموات . الملائكة . الجن .

الجمادات من الآثار والمشاهد والبقاع والأمكنة ، ، والأوثان . والأسباب .

القبور بتعظيمها والبناء عليها وإسراجها وتنويرها وكسوتها.

م (٥) : حكم الغلو ودرجاته :

غلو كفري مخرج من الدين كغلو النصارى في عيسى وغلو الرافضة في آل البيت وغلو الصوفية في النبي ﷺ والأولياء وصرف العبادة لهم .

غلو معصية ويدخل في الشرك الأصغر ويعتبر وسيلة للشرك ، كالغلو في المدح والقيام للخلق.

م (٦) : الأدلة على تحريم الغلو:

١ – قال تعالى :﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾ النساء: ١٧١ .

٢ – قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾ نوح: ٢٣:

(هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا،ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت) رواه البخاري.

٣– قال ابن القيم: (قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم) إغاثة اللهفان ١/ ٢٠٣.

٤ – عن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله) متفق عليه.

٥ – عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : (إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو) رواه أحمد وغيره.

٦ – عن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: (هلك المتنطعون) قالها ثلاثا . رواه مسلم.

وهناك أدلة أخرى في باب الغلو منها :

١ – قال تعالى :﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾ ص: ٨٦.

٢- قال تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ الحج: ٧٨.

٣- قال النبي ﷺ : (عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل حتى تملوا) متفق عليه.

٤- قال النبي ﷺ : (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة) رواه البخاري.

٥- عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا) رواه البخاري .

٦- عن أنس مرفوعاً : (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) متفق عليه .

٧- أنكر النبي ﷺ على من ترك النكاح والفطر والأكل والنوم تنسكا .

كما نهى النبي ﷺ عن الغلو في أحد من الخلق :

٨- فقال ﷺ : (إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب) رواه مسلم عن المقداد.

٩- لما أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ قال: (ويلك قطعت عنق صاحبك) متفق عليه.

م (٧) : علاقة الغلو بالشرك ونقض التوحيد:

الغلو من أعظم أسباب الوقوع في الشرك وترك التوحيد .

والغلو متعلق بأبواب كثيرة مثل: (الغلو في الصالحين تعضيم المواضع والقبور التصوير والتمائم والتبرك) والجامع فيها تعظيم غير الله .

تنبيه : أعظم أسباب الغلو : الجهل بحقيقة الدين .

م (٨) :التطرف هو أطراف الغلو بين الإثبات والنفي والإفراط والتفريط :

١ - فأطراف الغلو في الرسل يكون بين من يكذب بهم أو يسخر من سننهم أو يبغض ما جاءوا به ويحارب دينهم ، وبين من يرفعهم لدرجة الربوبية والإلهية كصرف العبادة لهم أو أنهم يتصرفون في الكون أو أنهم أبناء الله .

٢ - الغلو في صفات الله بين المعطلة الجهمية والممثلة بين تكييفها وتمثيلها بصفات الخلق ، وبين إنكارها وجحدها وتعطيلها وتأويلها.

٣- الغلو في القدر إثباتا ونفيا ، بين القدرية والجبرية.

٤ - الغلو في الصحابة وآل البيت بين الروافض والنواصب ، وبين من يعبدهم ومن يطعن فيهم ويسبهم.

٥ - الغلو في التكفير والأسماء والأحكام والإيمان بين الخوارج والمرجئة، بين التكفير بالمعاصي وبلازم القول والتسلسل وشعوب المسلمين ، وبين ترك تكفير من كفره الله من المشركين والمرتدين أو قصر الكفر بالاعتقاد والاستحلال .

٦- الغلو في الأسباب بين إثبات استقلالها بإيجاد المسبب وتأثيرها والاعتماد عليها ، وبين إنكارها والإعراض عن الأخذ بها.

٧- الغلو في العلماء بين تقليدهم ونسبة العصمة لهم وعدم رد خطئهم ، وبين من يقدح فيهم ولا يقدرهم ويعرف لهم حقهم.

٨- الغلو بين الخوف والرجاء وبين الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله.

٩- الغلو في الولاء والبراء بين من يوالي الكفار وبين من يظلمهم أو يحرم التعامل معهم.

م (٩) : أسباب النهي عن الغلو ومفاسده:

١ – لأنه من أسباب الشرك وذرائعه وطرقه وليس هو السبب الوحيد.

٢ – الغلو مناقض لوسطية الإسلام وسماحته ويسره .

فائدة: الغلو سبب لترك الدين مع أن مقصود صاحبه التمسك بالدين وحبه:

فالغلو في النبي ﷺ مثلا قد يؤدي إلى عبادته من دون الله فيترك الغالي الإسلام وينقض توحيده ويقع في الشرك .

م (١٠) : تنبيه : من آثار الغلو التقليد والتبعية المطلقة وتقديم أقوال الرجال على النصوص وتعظيم الأشخاص وطاعة المخلوق في معصية الخالق:

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ الزخرف: ٢٣.

قال ابن عباس ﷺ : (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال الله ورسوله وتقولون قال أبو بكر وعمر) رواه أحمد .

قال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

م (١١) : مناقضة القبورية لما جاء من الشرع في أبواب الغلو والقبور :

العجيب من علماء المشركين قراءتهم الأحاديث الناهية عن الغلو والبناء على القبور وسبب شرك قوم نوح ومع ذلك اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات،

وزين لهم الشيطان أن البناء على القبور والعكوف عليها من محبة الصالحين وأن الدعاء عندها أرجى في الإجابة من الدعاء في المسجد الحرام.

م (١٢) : **فائدة** : أول شرك حدث في الأرض كان سببه شبهة الصالحين والغلو فيهم وفي تعظيم قبورهم، أول من أظهر الشرك وفعله في أمة محمد هم الرافضة لعنهم الله وسبب وقوعهم في الشرك الغلو في الصالحين وتعظيم قبورهم .

م (١٣) : **سبب حصول الشرك : الغلو في الصالحين والتصوير : وبيان ذلك :**

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ نوح: ٢٣ قال: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت) رواه البخاري.

وقال ابن جرير رحمه الله في تفسير الآية : (كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم) .

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

فهذا يدلنا على كيفية حصول الشرك ومراحله .

أولاً : موت خمسة رجال صالحين .

ثانياً : قام الناس بتصويرهم ليتذكروهم ويعبدوا الله إذا رأوهم .

ثالثاً : بعد أن هلك الجيل المصور وجاء الجيل الذين بعده سوّل لهم الشيطان أن آباءهم الذين كانوا قبلهم كانوا يعبدون هذه الصور والتماثيل والنصب فعبدوها فأرسل إليهم نوح عليه السلام يدعوهم ولبث ألف سنة إلا خمسين، فما آمن معه إلا قليل فأهلك الله الكفار بالطوفان وأبقى الله المؤمنين الموحدين .

ثم رجعت عبادتهم في العرب في الجزيرة بعد إبراهيم بعد أن بقوا أزمنة طويلة على التوحيد حتى غير دين إبراهيم والملة الحنيفية عمرو بن لحي الخزاعي وجاء بالأصنام من الشام أو جدة إلى مكة فعبدت وأطاعوه، ورجع الشرك في العرب والجزيرة العربية مرة أخرى.

قال الرسول ﷺ : (رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبته في النار وكان أول من سيب السوائب) رواه البخاري، وعند أحمد " وغيّر دين إبراهيم " وعنده : " إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان " .

روى الفاكهي عن ابن الكلبي قال: كان لعمرو بن لحي رئي من الجن ، فأتاه فقال : ائت جدة تجد بها أصناما معدة ، ثم أوردها تهامة ولا تهب وادع العرب إلى عبادتها تجب ، فأتى عمرو ساحل جدة فوجد بها وداً وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا ، وهي الأصنام التي عبدت على عهد نوح ثم إن الطوفان طرحها هناك فسفى عليها الرمل، فاستثارها عمرو وخرج بها لتهامة وحضر الموسم ودعا إلى عبادتها فأجيب.

وبقي الناس على الشرك في الجزيرة العربية حتى بعث الرسول ﷺ .

وهذا يدل على خطورة الشرك وسرعة حصوله وصعوبة ذهابه.

لكل ذلك جاءت النصوص متظافرة في النهي عن كل ذريعة قد تؤدي إلى الشرك وتقدح في التوحيد ، ولو كان سببها خاف لكثير من الناس.

م (١٤) الغلو في الرسول ﷺ وفي الأنبياء والأولياء والصالحين في المتأخرين :

نهى النبي ﷺ عن الغلو فيه وإطرائه ورفعه فوق منزلته والمبالغة في مدحه .

قال ﷺ : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله) متفق عليه .

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: (السيد الله تبارك وتعالى). قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً، فقال: (قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان) رواه أبو داود.

وعن أنس رضي الله عنه ، أن ناساً قالوا: يا رسول الله: يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال ﷺ: (يا أيها الناس، قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل) رواه النسائي.

ولما قالت الجواري: وفينا رسول الله يعلم ما في غد. قال ﷺ : (لا يعلم ما في غد إلا الله) رواه البخاري وابن ماجة .

وقال ﷺ : (إنه لا يستغاث بي) قاله لما قال بعض الصحابة: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من المنافق الذي كان يؤذيهم. رواه الطبراني وحسن إسناده الهيثمي .

وعند أحمد في مسنده:(إنه لا يقام لي ولكن يقام لله) وضعّف إسناده ابن مفلح.

وقال أنس: لما شُجَّ النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: (كيف يفلح قوم شَجُّوا نبيهم) ؟ نزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ آل عمران: ١٢٨ متفق عليه.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٤ قال: (يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً) متفق عليه.

هذه النصوص وغيرها تدل على عبودية الرسول ﷺ لله، وأنه بشر ليس له شيء من خصائص الله تعالى، وأنه لا يجوز الغلو فيه ورفعه إلى درجة الألوهية.

إلا أنه ومع هذا كله فقد وصل الغلو في الرسول ﷺ عند الصوفية إلى الكفر البواح فنقضوا أوامره وخالفوا شرعه. ومن هذا ما قال البوصيري المشرك :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

ومن صور غلو المشركين في النبي محمد ﷺ :

١- زعمهم أنه يعلم الغيب .

٢- أنه ﷺ يتصرف في الكون وأن خزائن السموات والأرض بيده .

٣- أنه يجيب من دعاه ويكشف الكرب ويغفر ويرزق ويعافي وينصر .

٤- أنه يستغاث به ويدعى من دون الله .

٥- أنه حي في قبره كحياتنا الدنيا .

٦- أنه خلق من نور .

م(١٥):مثال لغلو المتأخرين ووقوعهم في الشرك الأكبر في الألوهية والربوبية:

بيان بالكفر الذي تضمنته قصيدة البردة الكفرية للبوصيري (يـا أكـرم الخلـق مالي من ألوذ به سواك) التي يتغنى بها الصوفية في المولد النبوي:

١- زعم هذا المشرك أنه ليس له ملاذ عند حلول الحوادث إلا النبي ﷺ .

٢- أنه ناداه ودعاه بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه.

٣- طلب الشفاعة من الرسول ﷺ كما كان يطلبهـا المـشركون مـن آلهـتهم ولم يطلبها من الله الذي لا يملكها غيره ، كما أخبر أنه لن يضيق جاه الرسول الله ﷺ به.

٤- زعم أن له عند الله ورسوله ذمة لكون اسمه محمد .

٥- صرح هذا المشرك بشركه في زعمه أنه إن لم يكن الرسول ﷺ في المعاد آخذاً بيده فسيهلك وهذا ليس مجرد طلبٍ للشفاعة وإنما اعتقد أن الرسول ﷺ ينقذ بنفسه.

٦- اعتقاده أن ما في اللوح المحفوظ من الغيب قد علمه الرسول ﷺ .

٧- زعم أن الدنيا والآخرة ما خلقت إلا بجود الرسول ﷺ .

وغيرها كثير مما صدر من هذا المشرك من إثبات خصائص الربوبية للنبي ﷺ .

م (١٦) : الأبواب المتعلقة بالغلو :

الغلو في المدح والفخر والـذم ، والغلـو في القوميـات والعـصبيات الحزبيـة، التبرك، التطير، الأعياد، الأسباب، الشرك بالمخلوق بدعائه وطاعته والقيام له.

وجه كون الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والكبر من الشرك الأصغر :

لأن فيها تكبرا على الخلق وتعالياً وتعاظماً وعُجْباً وهـذا منـافٍ للعبوديـة مـن الذل لله والتواضع ، كما أن فيه طعن في خلق الله ، كما أن فيها منازعة الله صفته الكبر.

الدعوة للقوميات والعصبيات الحزبية والقبلية والوطنية من وسائل الشرك.

القيام عند الجالس والقيام للملوك نهينا عنه لما فيه من الغلو وتعظيم المخلوق:

لحديث:(من أحب أن يمتثل له الناس وقوفاً ...). رواه أحمد والترمذي .

وقال أنس ﷺ : (لم يكن شخص أحب إليهم من النبي ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك) رواه أبو داوود.

م (١٧):المنافقون رموا المتدينين بالغلو والتشدد وسموا الموحدين بالخوارج:

إن تسمية الطائفة المنصورة أهل التوحيد والجهاد أهل السنة بالخوارج سنة إرجائية جهمية متبعة، قد رمي بها شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه وهاهم اليوم خصوم التوحيد في زماننا يسمون الموحدين بالخوارج التكفيريين الغلاة المتشددين الضالين.

قال ابن القيم في من رماه وابن تيمية ودعاة التوحيد وأهل السنة بالخوارج:

من لي بمثل الخوارج قد كفّروا   بالذنب تأويلاً بلا إحسان

ولهم نصوص قصروا في فهمها   فأتوا من التقصير في العرفان

وخصومنا قد كفرونا بالذي   هو غاية التوحيد والإيمان

قال عبد الرحمن بن حسن: (فصار من هؤلاء المشركين من يكفّر أهل التوحيد بمحض الإخلاص وإنكارهم على أهل الشرك والتنديد فلهذا قالوا أنتم خوارج مبتدعة وكفرتم أمة محمد كما أشار ابن القيم إليهم في زمانه) الدرر ١١/ ٤٤٨.

قال عبد اللطيف بن عبد الرحمن : (وقد غلط الكثير وظنوا أن من كفّر من تلفظ بالشهادتين فهو من الخوارج..) الدرر ١٢/ ٢٦٣.

الفصل الثامن : الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله

المسألة الأولى: تعريفهما :

أولا: الأمن : هو طمأنينة القلب وعدم الخوف .

ثانيا : اليأس والقنوط : قطع الأمل وعدم الرجاء . واليأس أشد من القنوط .

وقيل اليأس استبعاد زوال المكروه والقنوط استبعاد حصول المطلوب .

الثانية : الأمن واليأس ضدان .

الثالثة: تعلقات اليأس والأمن :

أولا : تعلقات اليأس : يتعلق بالرحمة وروح الله ، ويتعلق بعدم رجائه.

وروح الله رحمته وترويحه وتفريجه .

ثانيا: تعلقات الأمن : يتعلق بمكر الله ، ويتعلق بعدم خوفه .

مكر الله : هو استدراج الله عباده العصاة وعقوبتهم من حيث لا يشعرون .

الرابعة أدلتهما : أولاً : دليل اليأس والقنوط :

قال سبحانه : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ يوسف: ٨٧.

وقال :﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ الحجر: ٥٦ .

وقال :﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ الزمر: ٥٣.

ثانياً : دليل الأمن :قال ﷻ:﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ النحل: ٤٥ ، ثم ذكر عبادة الخوف بعد آيات الأمن.

وقالﷻ: ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ الأعراف: ٩٩.

وقال تعالى:﴿ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ يوسف: ١٠٧ .

وهناك أدلة جمعت بين الأمن واليأس معا :

قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ يونس: ٧-٨ .

حديث ابن عباس يرفعه : الكبائر:(الشرك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله) رواه البزار وابن أبي حاتم في تفسير.

ونحوه أثر ابن مسعود عند عبد الرازق وزاد: والقنوط من رحمة الله.

الخامسة: ما يضاد الرجاء :

يضاد الرجاء القنوط واليأس، ويقابل الرجاء اليأس والقنوط ، فإذا كان رجاء الله عبادة واجبة يأثم تاركها،فإن ضدها الذي هو اليأس من رحمة الله يعتبر أمراً محرماً وقد يكون كفرا عند مقارنته ترك الرجاء بالكلية، لذلك لا يجوز اليأس من رحمة الله.

السادسة: ما يقابل الخوف ويضاده :

يقابل الخوف الأمن، فإذا كان الخوف من الله عبادة واجبة يأثم تاركها، فإن ضدها الذي هو الأمن من مكر الله يعتبر أمراً محرماً، بل وقد يكون كفرا عند مقارنته ترك الخوف بالكلية، لذلك لا يجوز الأمن من مكر الله وعقابه سبحانه .

وأما الرجاء فحالة تخالط الخوف ولا تعارضه أو تناقضه .

قال المقدسي في منهاج القاصدين : (الخوف ليس ضد الرجاء بل رفيق له) .

السابعة: الغلو في الرجاء يسبب الأمن من مكر الله :

إذا غلا العبد في الرجاء مع إقامته على المعصية ويصر عليها ودون أن يعمل صالحاً ويكف عن حرام، فقد وقع في الأمن فيصير آمنا من مكر الله وعذابه .

الثامنة: الغلو في الخوف يسبب اليأس من رحمة الله :

إذا غلا العبد في الخوف ولم يرج رحمة الله ، فقد يقع في القنوط واليأس ويصير يائسا من رحمة الله قانطا من كرمه .

التاسعة: العبادة التي افتقدها القانط والآمن :

القانط ترك عبادة الرجاء : فهو لم يعبد الله بالرجاء .

والآمن ترك عبادة الخوف : فهو لم يعبد الله بالخوف منه .

العاشرة: حكم اليأس والأمن :

الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله واليأس من روحه، ينافيان التوحيد.

ويتدرج صاحبهما بين القدح في أصل التوحيد والوقوع في الكفر والشرك الأكبر، أو نقص كماله والوقوع في الشرك الأصغر والمعصية.

الآمن واليائس دائر بين الكفر والعصيان بين القدح في أصل التوحيد وكماله.

اليأس والقنوط يكون كفرا وضلالا، وهو متعلق بأمور الدين وأمور الدنيا .

ويكون باستبعاد حصول المراد كما في قصة يعقوب ونهيه عن اليأس من لقاء ابنه وإبراهيم في عدم قنوطه من الولد.

الحادية عشرة: ترك الخوف أو الرجاء مطلقاً من الكفر ومن نواقض الإسلام :

الخوف عبادة لله يجب أن تصرف له، والذي لا يوجد عنده مطلق الخوف وأصله وجنسه، أي أنه لا يخاف من الله بالكلية ولا يخشى عقابه مطلقاً، فهذا كافر والعياذ بالله، وهذا بخلاف من قصّر في الخوف من الله وأمن الله ورجاه لكمال رحمته وأفرط على نفسه حتى أمِن من عقابه، فهو وإن كان لم يأت بالخوف الواجب فضلا

عن المطلق والكامل إلا أنه يوجد عنده أصل الخوف، وهو مع هـذا عـاصٍ في فعلـه متوعد بالعقوبة، وفي الأثر (من أمنني في الدنيا خوفته في الآخرة) أخرجه أبو نعيم.

وكذا الرجاء عبادة لله يجب أن تصرف له، والذي لا يوجد عنده مطلق الرجاء وأصله وجنسه، أي أنـه لا يرجـو الله بالكليـة ولا يرغـب إليـه ولا يطمـع في ثوابـه مطلقاً، فهذا كافر والعياذ بالله، وهذا بخـلاف مـن قـصّر في الرجـاء مـن الله لكثـرة ذنوبه، إلا أنه يوجد عنده أصل الرجاء، فهو عاصٍ في فعله متوعد بالعقوبة .

الثانية عشرة: وجوب الجمع بين الخوف والرجاء :

ينبغي للمؤمن أن يجمع بين عبادة الخوف وعبادة الرجاء ولا يغلب أحدهما .

وقد أمر الله ﷻ بالجمع بين الخوف منه ورجائه وأثنى على مـن جمـع بيـنهما في مواضـــع مـــن كتابـــه ، قـــال تعـــالى : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ الإسراء: ٥٧ ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ الأنبياء: ٩٠ ﴿ يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ الزمر: ٩ ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ الأعراف: ٥٦ ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ السجدة: ١٦ .

قال الإمام أحمد : (ينبغي للمؤمن أن يكـون خوفـه ورجـاؤه واحـدا، فـأيهما غلب هلك صاحبه) الآداب لابن مفلح .

قال ابن تيمية : (الخشية متضمنة للرجاء ، ولولا ذلك لكانت قنوطا ، كـما أن الرجاء يستلزم الخوف ، ولولا ذلك لكان أمنا) الفتاوى ٧/ ٢١.

قال الطحاوي في عقيدته : (والأمن واليأس ينقلان عن ملة الإسلام) .

الثالثة عشرة: أسباب الأمن واليأس :

١ – الجهل بالله وبصفاته وأنه شديد العقاب وهو أيضا غفور رحيم .

٢- عدم القيام بالعبادة الواجبة من الخوف والرجاء ، وترك الجمع بينهما.

٣- عدم تعظيم الله وتقديره حق قدره وسوء الظن به.

٤- الإعراض عن الدين والغفلة عن حقوق الله تعالى.

٥- العجب بالنفس والغرور في الأمن ، وكثرة الذنوب في اليأس.

الرابعة عشرة: علة كون القنوط من الشرك ووجه منافاته للتوحيد :

١- أن القانط شبّه الرب الرحيم بالمخلوق الذي لا يرحم .

٢- أن القانط قدح في رحمة الله وكرمه وعفوه وطعن في قدرته .

٣- أن القانط اليائس لم يأت بعبادة الرجاء الواجبة التي قد يكفر تاركها.

٤- أن القانط أساء ظنه بربه ، وقدح في كمال صفاته.

الخامسة عشرة: علة كون الأمن من الشرك ووجه منافاته للتوحيد :

١- أن الآمن شبّه الرب الرحيم بالمخلوق الذي لا يخاف .

٢- أن الآمن قدح في عظمة الله وأساء ظنه بربه وقدح في كمال صفاته.

٣- أن الآمن لم يأت بعبادة الخوف الواجبة والتي قد يكفر تاركها.

٤- أن الآمن استخف بربه وشك في كونه شديد العقاب.

السادسة عشرة : علاقة الأمن والقنوط بالوعيدية والوعدية :

الوعيدية من خوارج وغيرهم : يغلبون الخوف وعندهم اليأس .

الوعدية من المرجئة وغيرهم : يغلبون الرجاء وعندهم الأمن .

الفصل التاسع : الأسباب

م (١) : العقيدة الصحيحة في الأسباب :

١ – لا يجعل الشيء سببا إلا بعلم، ، فلا بد من أن تكون الأسباب أسبابا حقيقية شرعا أو قدرا وعادة ، كمن ظن أن النذر سبب لدفع البلاء وليس كذلك ولا يأتي بخير كما في الخبر .

٢ – لا يتخذ شيئاً من الأعمال الدينية سببا، إلا أن تكون مشروعة والعبادات مبناها على التوقيف، فلا يدعو غير الله وإن ظن أنه سبب في حصول المقصود أو بعض غرضه ولا يذهب لساحر وكاهن وعراف وإن كان عندهم شيء كما يريده .

٣– اعتقاد أن السبب له تأثير حقيقي لكن لا يستقل بحصول المطلوب بل لابد معه من توفر الشروط وانتفاء الموانع .

٤ – عدم الاعتماد عليه بالكلية والتوكل عليها ورجاؤها وخوفها فإن هذا من الشرك، بل يعتمد على الله ويتوكل عليه .

٥ – إرجاعها إلى الله فهو الخالق لها الموجد المسبب.

٦ – اعتقاد أنها بقضاء الله تعالى وقدره، وقدرته ومشيئته فالله قدرها وهي داخلة في القدر.

٧– يعمل بها ولا يهملها أو يتركها.

م (٢) : الأسباب قسمان :

١ – أسباب دينية شرعية . كالاستشفاء بالرقى والقرآن .

٢ – أسباب دنيوية عقلية . كالاستشفاء بالعسل والكي .

م (٣) : شروط الأخذ بالسبب والعمل به :

١ – أن يكون السبب مأذونا فيه فلا يكون محرما .

٢ – أن يكون سببا حقيقياً وليس وهميا .

٣ – أن لا يعتمد عليه اعتمادا كليا بحيث لا يلتفت إلى مسببه ومقدره وجاعل التأثير فيه والخالق المدبر له .

م (٤) :حقيقة الشرك في الأسباب :

يكون بالاعتماد عليها والاطمئنان إليها والتوكل عليها والثقة بها ، فيرجوها العبد ويخافها، ويعتقد أنها بذاتها محصلة للمقصود فهو معرض عن المسبب لها، ويجعل نظره والتفاته مقصورا عليها . قاله ابن القيم في مدارج السالكين ٣/ ٤٠٠ .

م (٥) : منشأ الخلاف في الأسباب والمسببات:

هل إثبات الأسباب ينافي القدر وكونها من خلق الله كما تزعمه الجبرية، وهل إرجاعها إلى خلق الله فيه تناقض أو ظلم أو إنكار لأفعال العباد كما تزعمه القدرية .

القول الاول : مذهب الجبرية والأشاعرة : المنكرون لحقيقة الأسباب وتأثيرها ويجعلون هذا الإنكار من التوحيد، وإثبات تأثير الأسباب عندهم كفر وشرك. ويقولون:الأسباب مجرد علامات يحصل الشيء عندها لا بها وسبب قولهم هذا : أنهم ظنوا أن في إثبات الأسباب قدحاً في صفة الخلق، فلو كانت الأسباب مؤثرة في المسببات لكانت هي الموجِدة بذاتها، ولخرجت عن إيجاد الله وخلقه وإرادته، ولصار هناك موجودات لها خالق غير الله، ومن أجل ذلك أنكروا حقيقة تأثير الأسباب، وسلبوا العبد من الإرادة وأن يكون مؤثراً في أفعاله . فخالفوا بمذهبهم هذا العقل

والشرع، وأنكروا ما خلقه الله من القوى والقدرة المؤثرة في الأفعال فالنـار عنـدهم لا تحرق، بل المحرق هو الله، والإحراق وقع عند وجود النار لا بها .

القول الثاني : مذهب القدرية المعتزلة : الغلاة في إثبات الأسباب :

غلوا في إثبـات تـأثير الأسـباب حتـى جعلوهـا المـؤثرة بـذاتها مـن دون الله، والسبب هو المستقل في إيجاد المسبب، وبهذا القول أثبتوا مخلوقات ليست مـن خلـق الله، فأشركوا في توحيد الربوبية فـأثبتوا خالقـاً غـير الله، وبـذلك شـابهوا المجـوس المثبتين خالقين لهذا العالم، ومن فروع مذهبهم أن العبد مسبب لفعله وإرادته ويخلـق أفعاله من دون الله والله لا يخلق المعاصي وأفعال عباده حتى لا يكون ظالما لهم.

والمعتزلة بهذا القول شابهوا الفلاسفة الغلاة في إثبات الأسـباب، حـين قـالوا السبب موجد المسبب، والله علة المعلول وسبب المسببات، فانبنى على قـولهم إنكـار الصفات والقدر وإنكار المعاد والقول بقدم العالم، فكفروا بإجماع المسلمين . ومثلهم القائلين الطبيعة أوجدت نفسها بطريقة الأسباب .

القول الثالث : مذهب أهل السنة :

يثبتون الأسباب وحقيقتها، وأن لها تأثيراً في المسبب ولها وجود وقـوة، ولكـن كل هذه ليست بذاتها ولكن بما أودعه الله فيها، فالله تعالى خالق السبب والمسبب .

قال ابن القيم: (ليس إسقاط الأسباب من التوحيد ، والقـول بإسـقاطها هـو توحيد الجبرية ... والالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، والإعراض عنها قـدح في الشرع ... **فالشرك** أن يعتمـد عليهـا ويطمـئن إليهـا ويعتقـد أنهـا بـذاتها محـصلة للمقصود فهو معرض عن المسبب لها.) بتصرف مدارج السالكين ٣/ ٤٩٥ .

قاعدة : شرك الأسباب وإسناد الحوادث لغير الله .

باب يدخل فيه معظم صور الشرك الأصغر.

إما بجعل ما ليس بسبب سببا ، أو بالغلو في السبب والاعتماد عليه .

ومن الأبواب المتعلقة بالأسباب :

التمائم ، الرقى ، التبرك ، التطير ، الاستسقاء بالأنواء.

الفصل العاشر: التمـائم

المسألة الأولى : تعريفها :

هي ما يعلقه الشخص على نفسه وما يُعلق على الصبيان والدواب ويوضـع في البيوت ونحو ذلك .

ويقصد من يضع التميمة:أنها ترد العين والمكروهات وكيد الشياطين وأذيتهم أو رفع البلاء بعد حصوله أو دفعه ومنعه قبل نزوله أو لجلب الخير والسعادة.

سميت تمائم : لأن العرب كانوا يعتقدون فيها تمام الدواء والشفاء .

م (٢): أقسام المعلقات :

١- رقى وتعاويذ وآيات من القرآن، وتسمى غالبا: الحجب والتحصين.

٢- الخيوط والخرز والقلائد والشعر والريش والجلود والوتر والـسن والحبـة السوداء وقرن الدابة والنحاس. ومن هذا النوع :

الدبلة: مقصود لابسها تحبيب الزوجين لبعض وهذا شرك وتشبه بالكفار.

الحلقة من صفر: سوارة من نحاس تلبس على اليد، ومثلها سوارة الروماتيزم.

م (٣) : مواضع تعليقها :

تعلـق في الجـسد عـلى الرقبـة أو اليـد أو الوسـط أوتوضـع في الحـزام ودكـة السراويل والأكمام. كما تعلق على رقاب الدواب ، وفي السيارات والبيوت .

م (٤) : أسماؤها :

التميمة والعزيمة والتولة والودعة والحرز والحجب والجامع .

التولة: شيء يصنعونه قيل من السحر يزعمون أنه يحبب المرأة لزوجها.

م (٥) : أدلة تحريم تعليق التمائم ولبس الحلقة والخيط :

١- قال الرسول ﷺ : (من تعلق تميمة فقد أشرك) رواه أحمد . والحديث ورد في رجل أمسك النبي ﷺ عن مبايعته لأن عليه تميمة فلم يبايعه إلا بعد أن قطعها.

٢- قال: الرسول ﷺ: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) رواه أحمد وأبو داود.

٣- عن عقبة بن عامر الجهني ﷺ مرفوعاً: (من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له) رواه أحمد.

معنى فلا أتم الله له ولا ودع الله له :

هذا دعاء عليه بأن لا تتم أموره وأن لا يكون في دعة وسكون ولا خفف الله عنه ما يخافه . كما أنه يحتمل الإخبار بأن أموره لن تتم ولن يزول خوفه .

٤- عن عمران بن حصين ﷺ أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر فقال: (ما هذه)؟ قال: من الواهنة فقال ﷺ : (أما إنها لا تزيدك إلا وهناً، انبذها عنك فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً) وفي رواية :(وكلت إليها) رواه أحمد والنسائي والحاكم.

ومعنى لا تزيدك إلا وهنا :

إما أن يكون لها تأثير في الوهن حقيقة، وهذا من باب العقوبة كما أن بعض الأمراض عقوبة لبعض المعاصي .

أو أن يكون المعنى بالوهن الكفر والشرك والضلال والبعد عن الله، فالمعنى لا تزيد التمائم صاحبها إلا شركا ،وهذا مثل فزادوهم رهقا .

أو أن معناه : زيادة الشكوك والأوهام والقلق والخوف وضعف القلب.

٥- عن أبي بشير ﷺ أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت. متفق عليه .

٦- عن عبد الله بن عكيم مرفوعا:(من تعلق شيئا وُكل إليه) أحمد والترمذي.

٧- عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ : (يا رويفع! لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وتراً، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمداً بريء منه). رواه أبو داود والنسائي أحمد.

٨- عن حذيفة ﷺ أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦ ، رواه ابن أبي حاتم .

وقال سعيد بن جبير: (من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة) رواه وكيع.

٩- قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾ الزمر: ٣٨.

وهذا دليل على أن التمائم لا تدفع ضراً ولا تكشفه بعد نزوله ولا تجلب نفعاً.

واستدل العلماء بالآية على إبطال التمائم ، والسلف كانوا يستدلون بالآيات النازلة في الشرك الأكبر على الأصغر كما فعل حذيفة ﷺ في الدليل السابق .

م (٦) : حقيقة وأنواع تعليق التمائم ونزعها :

يكون التعليق بالجوارح، وذلك في ذات التعليق .

وتكون بالقلب، وذلك باعتقاد نفعها فيتعلق الشخص بها.

كما أن نزعها ونبذها وقطعها يكون : باليد وباللسان بإنكارها ، وبالقلب وذلك بأن ينزعها وينبذها من قلبه ويقطع عقيدته فيها .

م (٧) : وجه دخول التمائم في الشرك وعلة تحريمها :

١ – أن فيها تعلقاً بغير الله تعالى، وقيامها على الاعتماد على المخلوق.

٢ – منافاتها التوكل على الله. ﴿ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ الزمر: ٣٨.

٣– أن فيها نسبة التأثير لمخلوقات وجمادات لا أثر لها .

٤– جعل ما ليس بسبب سببا.

٥– فيها اعتقاد النفع ودفع الضر في غير الله .

م (٨) : متى تكون التمائم شركاً أكبر : تكون شركاً أكبر في حالتين :

الأولى : إن كان في التميمة شرك أكبر كدعاء غير الله أو كانت صليبا .

الثانية : إن اعتقد أنها تؤثر بذاتها وتستقل بالنفع ودفع البلاء من دون الله، فهذا شرك أكبر وهو متعلق بالربوبية .

أما إن اعتقد أنها سبب للسلامة من العين والجن فهذا من الشرك الأصغر شرك الأسباب .

م (٩) : التمائم والرقى على قسمين :

١ – منها ما هو شرك أصغر : وهو الأكثر ، إذا علقها ، واعتقد أن النفع والضر بيد الله عز وجل ، وأن هذه مجرد أسباب نافعة وهذا شرك أصغر .

٢ – منها ما هو شرك أكبر : إذا جعل هذه التمائم والرقى تؤثر بذاتها ، وأنها هي المؤثرة بذاتها، فهذا من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله عز وجل .

ومثلها مثل التطير والتشاؤم .

م (١٠) : نوعية الشرك في التمائم :

١- الشرك في لبس التمائم متعلق بالقلب والجوارح .

فالقلب من حيث الاعتقاد، والجوارح من حيث اللبس .

٢- متعلق بالشرك في الألوهية والربوبية وسيأتي.

م (١١) : حكم تعليق التمائم من القرآن :

إذا كانت التمائم المعلقة من القرآن، فرخص فيها بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيها، ويجعلها من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن رواه وكيع وابن أبي شيبة.

ومما يدل على تحريم تعليق التمائم من القران :

١- عموم النهي الوارد في التمائم .

٢- أن نفع القرآن في تلاوته والعمل به، لا في تعليقه على الحيطان والرقاب.

٣- أن تعليق شيء من القرآن والمصحف لو كان مشروعا لبينه الرسول ﷺ لأمته ولفعله الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، كيف وقد نهوا عنه .

٤- أن في تعليق هذا النوع ذريعة لتعليق غيره من التمائم الشركية .

٥- أن تعليق القرآن يفضي إلى امتهانه .

٦- أن في التعليق إعراضاً عن العمل المشروع من قراءة المعوذات ونحوها.

تنبيه : تعليق أكثر الناس لآيات من القرآن إما أن يكون للزينة أو طلبا للبركة وكلاهما محرم وامتهان لكتاب الله.

م (١٢) : علاقة التمائم بالأسباب :

التمائم ليست من الأسباب المشروعة، ولا فائدة فيها أصلا من حيث العقل والعادة، فإثباتها من باب الشرك في الأسباب فضلا عن الشرك فيها المتعلق بالربوبية.

ثم لو فرضنا وجود نفع فيها فإنها غير شرعية مثل الفائدة التي في الخمر .

م (١٣) : القلائد على الدواب والميداليات والمسابح في السيارات:

إن كانت لرد العين كان تعليقها من الشرك .

وإن كانت للعلامة أو الزينة ونحوها فليس هذا من الشرك، إلا أن الأولى تركها سدا للذريعة ومنعا للتشبه.

م (١٤) : وضع القلائد والتمائم لصرف العين إليها وللفت الانتباه :

البعض يضع قلادة جميلة على الدابة لتلهي الناظر عن الدابة ولكي ينشغل بها عن الدابة وتنصرف العين لها لكي تسلم له دابته، كذلك البعض يعلق قلائد أو ريش نعام على السيارات الكبار حتى تنصرف عين الناظر إلى الريش لا إلى السيارة، والمعلق لا يقصد دفع العين وإنما ليصرف الانتباه إليها ولا يعتقد أنها تدفع الضر، وهذا مثل من يحلق رأس الصبي ولا يجمله بل ويتعمد إبقاء القذر عليه تحاشيا عليه من العين .

ومن كانت هذه نيته ففعله ليس بشرك ولكن فيه طعن في التوكل وابتداع في العمل وينبغي له ترك ذلك سدا لذريعة التمائم ومنعا من باب التشبه بالمشركين .

م (١٥) : عقد اللحية وتقليدها لأربعة مقاصد :

الكبر ، التشبه بالكفار رد العين العبث وكلها محرمة لورود النهي في ذلك.

م (١٦) : **شبهات في الباب:**

١ - حديث : (احرثوا فإن الحرث مبارك وأكثروا فيه من الجماجم) :

رواه أبوداود في المراسيل . والجواب عنه :

١ - أن الحديث ضعيف لايحتج به ولم يرو للاحتجاج وإنما لبيان العلة.

٢ - التمائم لايمكن أن يأمر بها الشرع لأنها مصادمة للتوحيد بل إنه نهى عنها.

٣- أن معنى الجماجم البذر، وقيل خشبة الحرث كالتماثيل يضعها المزارعون لدفع الطير، وليست لدفع العين.

٢ - قوله عثمان في الصبي (دسموا نونته).

ليس ما فعله من التعليق المحرم ، لأن حقيقته إزالة ما في الصبي من جمال الذي تقع العين عليه.

م (١٧): **القاعدة : في باب التمائم والتبرك والرقى والتشاؤم :**

أولاً : هذه الأفعال من قبيل شرك الأسباب .

ثانياً : دخول هذه الأفعال في شركي الألوهية والربوبية :

١ - وجه كونها شركا في الألوهية : أنها منافية للتوكل وفيها تعلق بغير الله ولجوء وقصد وتوجه وإرادة للمخلوق وتوكل عليه.

٢ - وجه دخولها في شرك الربوبية :

أن فيها اعتقاد التأثير وأنها تنفع وتضر ولها تصرف وتدبير في الكون .

ثالثاً : هذه الأفعال تكون من الشرك الأكبر ومن الشرك الأصغر .

رابعاً : هذه الأفعال تكون بالقلب واللسان والجوارح .

الفصل الحادي عشر: الرقى الشركية

المسألة الأولى: تعريف الرقية :

الرقية هي العوذة ، والعوذ هو الالتجاء والاعتصام والتحصين .

وسميت بذلك لأنه يعتصم بها . كما تسمى عزائم .

وهي الدعاء بطلب الشفاء، أو الذكر الذي يحصن صاحبه ويقيه مما يهمه .

قال ابن تيمية : الرقى بمعنى التعويذ، والاسترقاء طلب الرقية، وهي من أنواع الدعاء.

م (٢) : وجود الرقية قبل الإسلام :

كانت الرقية معروفة قبل الإسلام يدل ذلك قوله تعالى:﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ القيامة: ٢٧، كذلك قصة ضماد بن ثعلبة الأزدي ﷺ في صحيح مسلم ، وكان راقيا، وأراد أن يرقي الرسول ﷺ لما سمع سفهاء مكة يقولون إنه مجنون.

قال ﷺ :(اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك) مسلم.

م (٣) : الرقية من أبواب الرخص وليست عزيمة :

الأصل ترك الرقية لأن لها علاقة بالشرك إلا أن الرسول ﷺ رخص للناس فيها بشروط يدل لهذا قول أنس ﷺ : (رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين والـحُمَة والنملة) رواه مسلم. والحمة السم، والنملة قروح تخرج بالجنب .

وعن جابر ﷺ قال : نهى رسول الله ﷺ عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم إلى الرسول ﷺ فقالوا يارسول الله إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب وإنك نهيت عن الرقى . قال فعرضوها عليه .

فقال:(ما أرى بها بأسا من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه). رواه مسلم.

قال القرطبي في المفهم في شرح صحيح مسلم : (دلت الأحاديث على أن الأصل في الرقى كان ممنوعا كما هو واضح من قوله نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، والنهي عن الرقى كان مطلقا لأنهم كانوا يرقون في الجاهلية برقى هي شرك وبما لا يفهم ويعتقدون أنها تؤثر بذاتها ثم إنهم لما أسلموا وزال ذلك عنهم نهاهم النبي ﷺ عن ذلك عموما ليكون أبلغ في المنع وأسد للذريعة، ثم إنهم لما سألوه وأخبروه أنهم ينتفعون بذلك رخص لهم في بعض ذلك وقال : اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك).

م (٤) : دخول الرقية في الشرك وعلاقتها بأبواب التوحيد:

يدل لذلك قوله ﷺ: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) رواه أحمد وأبو داود.

م (٥) : أوجه دخول الرقية في الشرك :

١ – لما في الرقى من التعلق بغير الله والاعتماد والتوكل عليه.

٢ – فيها اعتقاد النفع والضر والتأثير بذاتها .

٣ – ربما كان فيها استعاذة بالمخلوق من جن وغيرهم .

٤ – ربما كان فيها ادّعاء علم الغيب .

م (٦) : أقسام الرقية :

١ – رقية مشروعة جائزة .

٢ – رقية ممنوعة : ولها أنواع:

منها المحرمة والبدعية، ومنها الشركية الكفرية .

م (٧) : شروط جواز الرقى :

١ - أن تكون باللغة العربية ومن الكتاب أو السنة.

٢- أن تخلو من الشرك والذهاب للسحرة والكهان .

٣- أن لا يعتقد أنها تؤثر بذاتها وأنها تستقل بالنفع والضر أو أن النفع من الراقي .

م (٨) : الرقى توقيفية :

فلا يستحدث شيء فيها بل يرقى بما ورد في الكتاب والسنة.

تنبيه: الحديث الوارد عند الطبراني في رقية الحمة وهي: شجة قرينة ملحة بحر قفطا ، وقوله ﷺ فيها:(لا بأس بها هي مواثيق أخذها سليمان بن داود على الهوام) وفي رواية مواثيق الجن . فهو ضعيف ولا يصح الاحتجاج به.

من الرقى البدعية : ما يسميه بعض العامة رقية ذات السموم والحية، وهو مشتمل على استغاثات شركية .

م (٩) : طرق الرقية الواردة في السنة:

١ - النفث مع القراءة وقبلها وبعدها، وتصح الرقية بلا نفث والنفث أفضل.

٢- خلط الريق مع التراب، فينفث في الأصبع ثم يوضع بالتراب ويمسح به المريض.

٣- وضع اليد على موضع الوجع أو يمسح بعد القراءة مع النفث .

٤ - أن يقرأ في الماء أو الزيت أو ماء فيه سدر وينفث فيه فيشربه المريض ويتمسح به ويغتسل به .

٥- اغتسال المعيون من غسل العائن . وقول : . وقول : بارك الله ، أو ما شـاء الله لا قوة إلا بالله.

٦- كتابة آيات في ورق ووضعها في الماء وشربها، وثبت ذلك عن ابن عباس، رواه عنه ابن أبي شيبة . وأجازه الإمام أحمد وابن تيمية .

م (١٠) : ما تستعمل له الرقية :

الأمراض العضوية الحسية واللدغ والعين والسحر والصرع والمس .

وتكون قبل الداء تحصنا منه أو وقاية من العين، وتكون بعده.

وأما ما ورد من تخصيصها بالعين كحديث : (لا رقية إلا من عين أوحُـمَة)، رواه البخاري ، فإن معناه: لا رقية أولى وأنفع .

م (١١) : أجاز البعض رقية أهل الكتاب أما الكهان فلا تجوز رقيتهم مطلقا .

م (١٢) : ترك الاسترقاء من كمال التوحيد :

يدل لذلك حديث السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب وفي وصفهم أنهم لا يسترقون أي لا يطلبون من أحد أن يرقيهم توكلا على الله، أما الرقية فليست كذلك .

وهناك فرق بين الرقية وبين الاسترقاء الذي هو طلبها والتعلق بالراقي.

م (١٣) : **حكم التداوي** :

الأصل فيه الإباحة، ويدل لذلك قوله ﷺ : (يا عباد الله تداووا ولا تتداووا بحرام) رواه أحمد.

إلا أن ترك طلب الدواء والسعي في التداوي أكمل .

يدل لذلك قوله ﷺ في وصف السبعين ألفاً الـذين يـدخلون الجنـة مـن غـير حساب : (ولا يسترقون) والتداوي يقاس على الاسترقاء .

كذلك قصة المرأة التـي كانـت تـصرع وتتكـشف عـلى عهـد رسـول الله ﷺ فاشتكت له ﷺ وطلبت أن يدعو لها بالشفاء، فقال لها :(إن شـئت دعـوت لـك وإن شئتِ صبرتِ ولك الجنة) ، فقالت أصبر رواه البخاري.

فائدة : لا يدخل في ترك التداوي : الجراحات وانتقاش الشوك وتجبير الكسور وما في نحوه .

والضابط فيما يترك فيه التداوي : هو في الأمراض الباطنـة التـي تخفـى علتهـا وعلاجها ، وذلك لاحتمال وجود التعلق بالسبب فيها .

م (١٤) : أدلة دخول الجني في بدن الإنسان وتلبسه به وصرعه له :

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ البقرة: ٢٧٥.

وجاءت امرأة للنبي ﷺ ومعها صبي به لمم ، فقال النبي ﷺ : (اخرج عدو الله أنا رسول الله) فبرىء الصبي . رواه أحمد .

م (١٥) : علاقة الرقى بالتمائم :

كل منهما يقصد منه رد الشر من عين وغيرها. الرقية قد تعلق فتصير تميمة .

م (١٦) : **وصية:** مما يجدر الاعتناء به لمن سلك طريق الرقية احتـساب الأجـر في نفع الناس وتعليقهم بالله تعالى . وأن يتعلم الراقي ما يتعلق بأحكام الرقية وآدابها وطرقها ووسائل السحر والحسد والعين والتشاؤم والأمراض النفسية والعضوية .

وأن لا ينقطع للرقية إذ ليس ذلك من هدي السلف .

الفصل الثاني عشر : التبرّك

المسألة الأولى : تعريفه :

أصله من الفعل برك الدال على الثبوت والبقاء، ومنه بروك الجمال وبركة الماء، كما يدل على النماء والزيادة والعلو، وعلى السعادة وعلى اليمن ضد الشؤم .

وتبارك الله : تقدس وتعالى وتعاظم وكثر خيره .

وهذه اللفظة لا تطلق إلا لله تعالى.

والتبريك الدعاء بالبركة . والتبرك طلب البركة .

وللتبرك أصل في الشرع ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ آل عمران: ٩٦ ﴿ مُنزَلًا مُّبَارَكًا ﴾ المؤمنون: ٢٩ ﴿ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ ق: ٩ ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا ﴾ مريم: ٣١ ﴿ بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الأعراف: ٩٦ ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ الإسراء: ١ .ومنه (اللهم بارك على محمد وآل محمد).

م (٢) : عقيدة أهل السنة في التبرك :

نعتقد أن البركة من الله تعالى، وقد جعلها سبحانه في بعض مخلوقاته، فلا تطلب البركة إلا منه أو مما جعله الله سببا لنيل البركة، ولا نثبت البركة في شيء إلا بدليل من الشرع.

م (٣) : أقسام التبرك : تبرك مشروع . تبرك ممنوع .

م (٤) : مقاصد التبرك:

الأولى : أن يقصد نفع نفسه وحصول البركة فيه.

الثانية : أن يقصد التقرب إلى الله بذلك، لظنهم أنه يحبه.

م (٥) : أنواع وصور الأمور المباركة :

١ – القرآن كلام الله تعالى جعله الله مباركا : وتبركنا به يكون عن طريق قراءته والعمل به والرقية والاستشفاء به، أما تقبيله والتمسح به فبدعة .

٢– الرسل وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ :

وكيفية تبركنا به يكون بمحبته والإيمان به وإتباعه وطاعته وطلب الدعاء منه وقت حياته لا بعد موته فذلك شرك أكبر والعياذ بالله .

كما أنه يتبرك بجسده وريقه وشعره وعرقه في حياته وبعد موته حين كانت آثاره باقية قبل فنائها وفقدانها .

تنبيه: من ادّعى بقاء شيء من آثار النبي ﷺ في زمننا، فهو كاذب ويجب تعزيره.

٣– الصالحون : بمحبتهم وموالاتهم ودعائهم للناس وانتفاع الناس بعلمهم وانتفاع آبائهم بهم بعد موتهم .أما التبرك بآثارهم وأجسادهم فأمر مبتدع ولا يجوز .

٤ – الكعبة : جعلها الله مباركة فتحصل البركة باتخاذها قبلة للصلاة والدعاء عندها والطواف بها لله وتعظيمها وتنظيفها وتقبيل الحجر الأسود واستلام ركنها اليماني طاعة لله وليس لا أن اليد تنال البركة بهذه المماسة .

وليس من التبرك بها التمسح بحيطانها وتقبيلها كما يفعله بعض الجهلة والمبتدعة أو اعتقاد أن الصلاة والطواف يكون لها وأنها تنفع بمجرد تقبيلها ولمسها .

تنبيه : قال عمر ﷺ : (والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك) متفق عليه ، فالحجر الأسود تقبيله عبادة لا أن في ذاته بركة والبركة في العبادة المتعلقة بمسحه لا بالمسح نفسه .

٥- المساجد الثلاثة وغيرها : من مواطن البركة وفيها تنزل البركات، وذلك بسبب الصلاة وذكر الله فيها والاعتكاف بها واجتماع المسلمين بها والسعي في بنائها وعمارتها. وليس معنى التبرك بها التمسح بها وتقبيلها وأخذ ترابها وفرشها طلبا للبركة فإن هذا من صنيع الجهال بالدين والمبتدعة الضالين .

٦- بعض الأمكنة كعرفة ومنى والحرم والمدينة، جعل الله هذه البقاع مباركة فيستحب الدعاء فيها، ومن البركة فيها تأمين ساكنها والبركة في ثمارها وصاع المدينة ومطعومها وتمرها ، وليست البركة في التمسح بهذه المواضع أو أخذ شيء من ترابها .

كذلك دعاؤه ﷺ بالبركة للمسلمين في الشام واليمن .

٧- شهر رمضان : جعله الله مباركا وذلك لما فيه من الصيام والقيام وتكاثر العبادات ومضاعفة الحسنات .

٨- بعض الأزمان جعل الله فيه بركة : من ذلك ليلة القدر وعشر ذي الحجة ووقت السحر والفجر للعبادة والبكور في الأعمال كما روى صخر بن وداعة الغامدي ؓ قال: قال النبي ﷺ : (بورك لأمتي في بكورها) رواه الترمذي .

٩- التبرك بماء زمزم بشربه والتشافي به .

١٠- التبرك بماء المطر في الشرب منه والسقي منه .

١١- التبرك بوجبة السحور للصائم .

١٢- البركة ببعض الأطعمة كالعسل واللبن والتمر والزيتون .

١٣- البركة في الغنم والخيل .

١٤- التبارك بذكر الله وعبادته وطاعته .

م (٦) : التبرك الممنوع :

١ – التبرك بالآثار النبوية، فلا يشرع التبرك بقبر الرسول ﷺ ولا التمسح بترابه لو أمكن ذلك ولا بموضع مولده إن صح تعيينه ولا بغار حراء ولا بالقبور ولا بالأماكن التي مر ﷺ بها أو صلى فيها غير ما دلت السنة عليه كمسجد قباء.

٢– التبرك بآثار الصالحين .

٣– التبرك بالقبور .

٤– التمسح بجدران الكعبة وفرش المسجد الحرام وتراب الحرم .

٥– التبرك بشجر أو حجر ونحوها .

م (٧) : أقسام الأشياء المباركة :

منها المباركة حسيا ومنها المباركة معنويا .

منها المباركة دنيويا ومنها المباركة دينيا وأخرويا .

م (٨) : وجود بركة في الشيء لا يقتضي التبرك به وطلب البركة منه .

التبرك بما فيه بركة منضبط بالشرع وفعل السلف في القرون المفضلة، لا بما يزعمه الجهلة ويفعله أهل التصوف والخرافة من فتح باب البدعة على مصراعيه، فطالما تمرغوا بالمخلفات وعفروا أنوفهم بالأتربة وتقلبوا على الأضرحة كل ذلك طلبا منهم للبركة.

م (٩) : علاقة التبرك بالشرك وأيهما الأصل المؤثر في إيجاد صاحبه :

التبرك قد يكون سببه وجود الشرك أصلا .والعكس فقد يكون الشرك إنما حصل من المشرك قاصدا نيل البركة ، فيكون وجود الشرك سببه طلب التبرك .

م (١٠) : علاقة التبرك الممنوع بالشرك ووجه مخالفته للتوحيد :

١- فيه تعلق بغير الله ﷻ واعتماد عليه وتوكل عليه . وهذا شرك في الألوهية.

٢- أن فيه اعتقاد النفع والضر بالمخلوق . وهذا شرك في الربوبية .

٣- نسبة السببية لما ليس بسبب .

م (١١) : حالات كون التبرك شركا أكبر :

الحالة الأولى : إن اعتقد أن في المخلوق البركة استقلالا وأن النفع وكشف الضر يحصل من المتبارك به من دون الله.

الثانية: إن طلب البركة بطريق شركي كدعاء الأموات والطواف بالقبور .

م (١٢) : أسباب التبرك الممنوع :

١- الجهل بالدين، والتقليد. كما في حديث : (ونحن حدثاء عهد بكفر) .

٢- الغلو في الصالحين وقد قال الرسول ﷺ : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) متفق عليه.

٣- تعظيم الآثار ورعايتها . كما عظمت ذات أنواط .

٤- التشبه بالكفار . كما قالوا: ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ ﴾ الأعراف: ١٣٨ .

م (١٣) : آثار التبرك الممنوع :

١- أنه من أعظم الوسائل المؤدية للشرك والطرق المفضية إليه .

٢- الوقوع في الشرك وعبادة غير الله تعالى .

٣- إضاعة السنن والإعراض عنها ومزاحمة سنة الرسول ﷺ .

٤- فعل المنكرات واقتراف المعاصي في كل مكان يحصل التبرك عنده .

م (١٤) : أدلة التبرك الممنوع :

قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴾ النجم: ١٩. يستدل بعض العلماء بالآيات على التبرك لأن اللات وغيرها ما عبدت إلا طلبا للبركة وقد أكذب الله ظنهم ورد زعمهم ، وأن هذا سببه الجهل والظن الكاذب والهوى .

فائدة : حقيقة اللات : قيل سميت اللاتّ بالتشديد من لت السويق، وكان رجلاً صالحاً يطعم الناس وقيل من الإله كما أن العزى من العزيز. قال ابن عباس: اللات كان رجلا يلت السويق فلما مات عكفوا على قبره. رواه البخاري .

ذكر الفاكهي عن ابن عباس: أن اللات لما مات قال عمرو بن لحي: إنه لم يمت ولكنه دخل الصخرة فعبدوها وبنو عليها بيتا وصنما ، وعبدت الصخرة التي على قبره وعظمت تبعا لا قصدا فالعبادة أرادوا بها صاحب القبر الصالح، والصنم رمزه. فتأمل فعلهم وقارنه مع فعل مشركي زماننا من بناء القباب على قبور الصالحين.

عن أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ: (الله أكبر! إنها السنن، قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٣٨ (لتركبن سنن من كان قبلكم). رواه الترمذي .

ومعنى اجعل لنا ذات أنواط : أي شجرة ننوط ونعلق عليها أسلحتنا، لتتبارك الأسلحة، ونعكف حولها، وظنوا أن هذا أمر محبوب لله فقصدوا التقرب إليه بذلك .

م (١٥) : **أقوال أهل العلم في التبرك :**

قال الشيخ سليمان في التيسير شرح كتاب التوحيد: فإذا كان اتخاذ شجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عندها اتخاذ إله مع الله مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فما الظن بما حدث من عباد القبور من دعاء الأموات والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم والطواف بقبورهم وتقبيلها وتقبيل اعتابها وجدرانها والتمسح بها والعكوف عندها وجعل السدنة والحجاب لها ؟

قال الإمام الطرطوشي المالكي في كتاب البدع: فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها .

قال أبو شامة الشافعي في البدع والحوادث : ومما عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وسرج مواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاكي أنه رأى مناما بها أحدا ممن شهر بالصلاح والولاية ويحافظون على ذلك مع تضييعهم الفرائض .

قال ابن القيم في إغاثة اللهفان : (فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله ولو كانت ما كانت، ويقولون هذا الحجر وهذه الشجرة تقبل النذر أي تقبل العبادة من دون الله فإن النذر عبادة) .

م (١٦) : شبهة التبرك بآثار الصالحين :

استحب بعض المتأخرين التبرك بآثار الصالحين كالريق والعرق والشعر وسؤرهم ولباسهم ونحو ذلك، ويقيسون الصالحين بالنبي ﷺ في مشروعية التبرك بآثاره، وهذا باطل ونرد عليهم بما يلي :

١- أنه لا توجد مساواة ولا تماثل بين النبي ﷺ وغيره في الفضل والبركة، بل لا توجد أصلا حتى المقاربة في ذلك .

٢- أن معرفة الصلاح أمر لا يمكن القطع به لأن الصلاح لا يتحقق إلا بصلاح القلب وهذا أمر لا نطلع عليه وإن كان لنا الظاهر والظن الحسن.

٣- أن الصالح لا تؤمن له الخاتمة السيئة فلا يكون أهلا للتبرك بآثاره .

٤- أن فعل التبرك بغير النبي ﷺ لايؤمن أن يفتن ويعجب بنفسه .

٥- أن التبرك بغير النبي ﷺ لم يفعله أحد من الصحابة ولا التابعين فهل تبركوا بالصديق وعمر وعثمان وعلي وغيرهم وهل وقع في القرون المفضلة من تبرك بأئمة التابعين كابن المسيب والحسن البصري وغيرهم ، وهذا الجواب هو العمدة في الباب.

فائدة : التبرك ضد التشاؤم.

تنبيه : التبرك عبادة لأن الإنسان لا يفعله إلا لأجل الحصول على الأجر والخير من الله، ولوجود التعلق فيه والرجاء ، وهذه من العبادة.

الفصل الثالث عشر : التطير والتشاؤم

م (١) : تعريفه :

الشُؤْم بضم الشين وسكون الواو، ويصح في الواو الهمز والتسهيل بدون همزة فتصير الشوْم . والمشأمة الميسرة، والشام بلاد الشمال في مقابل اليمن وجهة الجنوب .

والشوم: هو الشر ضد اليُمن والبركة والخير .

التشاؤم: توقع حصول ما يكره ويخاف عاقبته، عند رؤية أو سماع أمر معين .

أو هو التشاؤم بالمكروه (وما يكرهه الإنسان) من مسموع أو مرئي أو معلوم أو زمان أو مكان .

التَطّيْر : هو التشاؤم بالطير . وحقيقته محاولة معرفة الخير أو الشر المتوقع حصوله في المستقبل بدلالة الطير. وأصل التسمية: مأخوذة من الطير،لأن مشركي الجاهلية كانوا يستعملون الطيور في هذا الباب.

م (٢) : **كيفيته:** أن المشركين إذا أرادوا فعل أمر كالسفر والحرب والزواج أو غير ذلك، يقومون بتنفير الطير وزجره ليطير، فإذا طار جهة اليمين فرحوا وتفاءلوا وأقدموا على الفعل الذي كانوا يريدونه ، وإذا طار الطير جهة اليسار تشاءموا وأحجموا عن العمل وردهم ذلك عما يريدون .وقد يكون التطير من غير زجر للطير وإنما ترقب له فإذا جاء الطائر من جهة يمين الشخص متجها لليسار تشاءم وسموا الطائر البارح، وإذا طار جهة يمين الإنسان وكانت يمين الطائر جهتنا تفاءل وسموه السانح، والذي يأتي من الخلف للأمام يسمونه القعيد والذي يأتي من الأمام يسمى النطيح، وسمي السانح لأن الفرصة سانحة لصيده أو الأمر سانح في فعله.

م (٣) : **الفرق بين الطيرة والتطير** :

التطير هو الظن السيئ الذي في القلب .

والطيرة هي الفعل المترتب على الظن السيئ . قاله العز بن عبدالسلام .

م (٤) : **أسماء التشاؤم** : التطير العيافة الزجر.

والعيافة : من التعيف وهو الكره ومنه عاف الطعام.

هي زجر الطير فتأتي بمعنى التطير.

وتطلق على الحدس والظن والتوقع . والاستدلال على حصول الحوادث بما يشابهها من حوادث مضت والربط فيها بالمناسبة اللطيفة والخفية .

وتطلق على معرفة الأثر والنسب .مثل القيافة .

م (٥) : **هي من علوم العرب المشهورة** :

وقد عرفت بالعيافة قبيلة أسد ولِـهْب الأزدية . وقد قيل فيهم :

تيممت لِـهْبا أبتغي العلم عندهم   وقد رد علم العائفين إلى لهب

فما أعيف اللِهْبي لا رد دره   وأزجره للطير لا عز نصره

فائدة : وجود التطير في الأمم السابقة : في ثمود وفي قوم فرعون وغيرهم .

م (٦) : **الفرق بين الفراسة والتطير** :

الفراسة أمر يقذفه الله في قلب عبده يبصر به ويتوقعه فيكون حقا أو الاستدلال ببعض المقدمات والقياس عليها من باب الاستنباط والحدس .

أما التطير فهو اعتقاد في القلب متعلق بأمور ليست لها صلة به ومن ثم نسبة ذلك الحادث من خير وشر إليه .

م (٧) : أدلتها :

١ - قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ يس: ١٨ - ١٩.

٢ - قال: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾ النمل: ٤٧.

٣ - قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ الأعراف: ١٣١.

٤ - قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ النساء: ٧٨ .

٥ - عن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال: (لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر) أخرجاه. زاد مسلم: (ولا نوء، ولا غول).

٦ - وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل) قالوا: وما الفأل؟ قال: (الكلمة الطيبة) متفق عليه.

٧ - عن عروة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: (أحسنها الفأل، ولا ترد مسلما، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك) رواه أبو داود.

٨ - وعن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً: (الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل) ، رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود. وفي رواية :(من الشرك).

٩- عن عبد الله بن عمرو بن العاص: (من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك. قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك) رواه أحمد .

١٠- عن أم كرز قالت سمعت النبي ﷺ يقول: (أقروا الطير على مكناتها). رواه أبو داود . أي: لا تزجروها واتركوها في محلها، فإنها لا تضر ولا تنفع .

١١- عن أنس رضي الله عنه مرفوعا :(لا طيرة والطيرة على من تطير) رواه ابن حبان.

١٢- وعن الفضل بن عباس رضي الله عنهما قال يارسول الله تطيرت، قال ﷺ: (إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك) رواه أحمد.

١٣- عن معاوية بن الحكم السلمي حين سأل الرسول ﷺ عن رجال يتطيرون فقال له : (ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم) رواه مسلم .

١٤- قال ﷺ : (العيافة والطيرة والطرق من الجبت) رواه أحمد وأبو داود .

١٥- حديث فضالة:(من ردته طيرته عن شيء فقد قارف الإشراك) السنة.

١٦- وجاء في وصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة من غير حساب : (ولا يتطيرون) متفق عليه.

١٧- عن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعا : (ليس منا من تطير أو تطير له) رواه الطبراني والبزار .

١٨- قال عكرمة : كنا جلوسا عند ابن عباس رضي الله عنهما فمر طائر يصيح فقال رجل خير خير، فقال ابن عباس: لا خير ولا شر .

١٩- قال طاووس لرجل قال مثل ذلك: وأي خير عند هذا .

م (٨) : ما يكون عليه التشاؤم :

١- التشاؤم ببعض الناس فيقولون فلان رجل شؤم .

٢- الحيوانات كالغراب والبومة والقرد والحرباء، ويسميها العوام مكروهة.

٣- النباتات .

٤- العلل والأمراض، كالتشاؤم من الرجل الأعور وذميم الخلقة.

٥- البلدان والبقاع والأراضي فيقال هذا مكان شر ومصائب .

٦- الأيام والشهور ، كالأربعاء وشوال وصفر.

٧- الحركات والهيئات والتصرفات والحوادث والكلمات والأخبار .

م (٩) : طرق التطير في الجاهلية :

١- زجر الطير .

٢- قراءة الكف .

٣- التشاؤم بالأبراج والنجم ونسبة النحس والسعد إليها أو اعتقاده فيها.

م (١٠) : ضابط الطيرة والتشاؤم المحرم الشركي :

ما ترتب عليها عمل وأثر كأن ترد صاحبها أو تمضيه، وأن يعمل المتشائم بمقتضى ما توهمه ، وقد جاء الحديث بضابط الطيرة وهي: ما أمضاك أو ردك .

ويصير العامل بالطيرة بين الشرك الأكبر والأصغر وشرك الألوهية والربوبية.

أما ما يحصل من تطير وتشاؤم وكره في القلب من غير أن يترتب عليه عمل واعتقاد نفع وضر وتأثير، فهذا لا يدخل في الطيرة الشركية وإن كان تركه أولى .

تنبيه : ليس الكره الحسي ككره السفر أو كره بلد معين من التشاؤم.

م (١١) : **خطورة الطيرة** :في الطيرة خطورة على المتطير من جهتين :

الأولى: من جهة الدين : التطير يخلخل العقيدة ويفسد التوكل والعبادة.

الثانية: من جهة الدنيا: التطير يضعف القلب ويوهن العزيمة ويثنيها، ويجعل صاحبها يعيش الهموم والشكوك والوهم والقلق، حتى يحسب كل صيحة عليه .

فائدة : الطيرة تتضاعف ويستفحل أمرها ويستشري شرها إذا أذعن لها الشخص وأصغى للوساوس واسترسل فيها .

م (١٢) : **الطيرة قد تكون فطرية من غير تعمد ولا قصد** :

إلا أن المؤمن الموحد لا يلتفت إليها ، بل يعتمد على ربه، ويقاوم الطيرة بالتوكل على الله حتى تذهب،كما في حديث ابن مسعود .

م (١٣) : **حالات الناس مع الطيرة** :

الأول: من لا يلتفت إليها ولا يتشاءم أصلا ولا يقوم في قلبه أدنى أثر لما يتطير الناس به ويتشاءمون منه وما ذاك إلا لكمال يقينه بالله وبقدره وعظم توكله على ربه .

الثاني: من قد يحصل في قلبه شيء من التشاؤم والطيرة، إلا أنه لا يلتفت لما يخطر في قلبه ولا يؤثر في فعله وعمله، ويجاهد الوساوس والشكوك والتوهمات بالإيمان والتوكل ، وهذا لا يضره ما حصل له ولا يؤاخذ به .

الثالث: من يسترسل في طيرته وتشاؤمه وتوهماته وشكوكه ووساوسه، حتى يحصل له الهموم والحزن والخوف ويكون دائم التربص والتوقع، ولا يسعى في ردها ومكافحتها ومجاهدة نفسه كحال السابق حتى تتضاعف فيه وتستفحل، وهذا ينقص إيمانه بقدر طيرته فإذا ترتب على تطيره فعل أو ترك كان من القسم التالي .

الرابع: من ترده الطيرة والتشاؤم ويفعل أو يترك عند حصولها وتتغير أفعاله عند وجودها، فإذا رأى ما يتشاءم منه ترك ما بيده من فعل .

فإذا رأى مثلا حيواناً كالقرود وطيراً كالبوم والغربان وهو يريد السفر ترك السفر وأجّله، وإذا دخل عليه رجل مريض أو أعور أغلق دكانه وترك بيعه .

ومن هذه صفته يكون آثما ومرتكبا للشرك الأصغر .

الخامس: من يزيد على سابقه بالخوف مما تطير منه ويعتقد أن هذه المخلوقات لها تأثير حقيقي وتصرف في الكون ولها أثر فيما سيستقبله من العمل ويؤمن بوجود التأثير لهذه الأمور المتطير فيها في الحوادث .

وصاحب هذه الصفة والعقيدة كافر مشرك شركا أكبر والعياذ بالله .

م (١٤): أمثلة معاصرة للطيرة :

قول العامة : خير ياطير، وقولهم: يا الله صباح خير، بنسبة الخير والشر للطير وللصباح، ومثله قولهم: لا يخبرني الطير.

من إذا رأى حيوانات كالقرود البوم والغراب وهو يريد السفر ترك السفر.

من يتشاءم إذا دخل عليه رجل مريض أو أعور أغلق دكانه وترك بيعه .

من يسمي شهر صفر صفر الخير، فداوى البدعة في التشاؤم ببدعة أخرى .

من يفتح المصحف فأي آية وقع نظره عليها تفاءل بها أو تشاءم حسب موضوعها .

ومن ذلك تشاؤم الأمريكان بيوم الثلاثاء الأسود بعد ضربات الحادي عشر من سبتمبر.

م (١٥) : أدلة دخول الطيرة في الشرك:

قال النبي ﷺ :(الطيرة شرك). وفي رواية:(من الشرك) أبو داود والترمذي.

قال النبي ﷺ: (من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك) رواه احمد.

م (١٦) : وجه كون التطير والتشاؤم من الشرك وعلاقتها بالتوحيد:

أولاً: أن فيها اعتمادا على غير الله، وتعلقا بغيره، وهذا من الشرك في الألوهية .

ثانياً : أن فيها اعتقاد وجود النفع والضر والتدبير والتصرف والتأثير في غير الله في الطير والمتشائم به أو أن له علاقة سببية بذلك . وهذا من الشرك في الربوبية .

قال البغوي: (جعل الطيرة من الشرك، لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعا أو يدفع عنهم ضرا إذا عملوا بموجبه، فكأنهم أشركوا مع الله) من التيسر.

ثالثاً : أن فيه تخرصاً بعلم الغيب .

م (١٧) : متى تكون الطيرة شركا أكبر ومتى تكون شركا أصغر :

إن اعتقد المتشائم في طيرته وشؤمه أنها تفعل بذاتها وتستقل في حصول النفع والضر ولها تأثيرا حقيقيا، أو وصل خوفه منها إلى خوف السر فهذا شرك أكبر .

إن اعتقد أنها مجرد أسباب ، أو علامات ودلائل لحصول الشيء فشرك أصغر.

م (١٨) : وجه دخول التطير في السحر:

ورد في الحديث:(العيافة والطيرة والطرق من الجبت) والجبت هو السحر .

ليست الطيرة من السحر في الحقيقة، لكن وجه إدخال التطير في السحر لما بينهما من تشابه في ادعاء علم الغيب بطريقة خفيّة ونسبة التأثير للمخلوق والتعلق بغير الله، وهذا مثل إدخال البيان والنميمة في السحر لمشابهتها له في بعض الأوجه .

م (١٩) : أوجه تحريم الطيرة :

١ – أن فيها نسبة التأثير والتدبير والتصرف في الكون لغير الله تعالى .

٢ – إثبات النفع والضر والقدرة وتعليق الحوادث ونسبة الخير والشر بها.

٣– إدعاء علم الغيب، ومحاولة كشفه من خلالها .

٤ – سوء الظن بالله تعالى.

٥ – تعلق القلب بغير الله وقصده ولجوئه إليه والاعتماد على المخلوق ورجائه .

٦ – منافاتها للتوكل الواجب والاعتماد على غير الله.

٧– الخوف من المخلوق ومهابته وخشيته.

٨– ما فيها من الأوهام والخرافات وإضعاف القلوب وتشتيت الأمة.

م (٢٠) : كفارة الطيرة :

أولا : الدعاء الذي يقال قبل حصول التطير وعند وقوع مقدمات الطيرة فيكون دافعاً لها وواقياً من حصولها وهو : (اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك). وقد ذكرت الطيرة عند ﷺ فقال: (إذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات...). رواه أبو داود

ثانيا : دعاء كفارة التطير : وهو الدعاء الذي يقال إذا حصل من المسلم تطير ووقع في التشاؤم :(اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك) .

يدل له ما جاء عن ابن عمرو وابن عباس: (من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك) قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: (أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك) رواه الإمام أحمد.

م (٢١) : **مما يذهب الطيرة بالكلية :**

١ - التوكل على الله وصدق الالتجاء إليه، ويدل لذلك قوله ﷺ: (الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل) رواه أبو داود والترمذي.

٢ - حسن الظن بالله والتفاؤل.

٣- البعد عن أسباب الشر ، والإعراض عنها. ٤ - الإيمان بالقدر .

م (٢٢) : **بدائل الطيرة** :التوكل ، العمل بالأسباب، الاستشارة ، الاستخارة .

وقد جاء في الشرع الحث عليها، وهي لا تنافي التوكل وتعتبر من الأسباب الشرعية وليست من الأسباب البدعية المحرمة كالتطير .

م (٢٣) : **التطير في العقيدة وليس في المتطير به :**

التشاؤم والتطير إنما هو في نفس المتطير والمتشائم وما تكنه نفسه وتعتقده، وليس في ذات ما تطير به شيء من ذلك ، إذ لا أثر له في الشر والخير.

يدل له قولهﷺ: (ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم). رواه مسلم .

م (٢٤) : **الجمع بين قوله ﷺ :(لاعدوى) وقوله:(فمن أعدى الأول):**

أن النفي واقع على العقيدة لا على الوجود، فهو على ما كانت العرب تعتقده من وجود التأثير في هذه الأمور، وأما الإثبات فواقع على أصل وجودها، فالعدوى موجودة أثبتها حديث:(فر من المجذوم فرارك من الأسد) البخاري،وحديث:(لا يورد ممرض على مصح) مسلم، والنفي متعلق بما يعتقد من استقلالها في التأثير. ومثل ذلك الحديث المتفق عليه في النهي عن دخول أرض فيها طاعون ووباء ولا الخروج منها، ومثل ذلك الغول التي هي الجن على صور الوحوش موجدة بقدر الله.

م (٢٥) : حديث الشؤم في ثلاثة :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول : (إنما الشؤم في ثلاثة في الفرس والمرأة والدار) رواه البخاري ومسلم .

وقال ﷺ : (لا عدوى ولا طيرة والشؤم في ثلاث في المرأة والدار والدابة) رواه البخاري ومسلم .

وعن أنس ﷺ قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسول إنا نزلنا دارا فكثر فيها عددنا وأموالنا ثم تحولنا عنها إلى أخرى فقلت فيها الأموال وقل عددنا ، فقال رسول ﷺ : (ارحلوا عنها وذروها وهي ذميمة) رواه ابوداود .

ومعناه: أن التشاؤم قد يحصل في هذه الأشياء لما قد يوجد فيها من شر وسوء.

وسُئل الإمام مالك عن هذا الحديث ، فقال: كم من دار سكنها قوم فهلكوا ثم سكنها آخرون فهلكوا . أخرجه أبو داود .

وليس في الحديث ما يدل على جواز التطير والطيرة، لأنه ليس فيه تجويز اعتقاد التأثير، وإنما إثبات ما فيها من شر محسوس ينفر الإنسان فيه .

وذهب بعض أهل العلم إلى إن هذا الحديث مستثنى من أحاديث النهي عن الطيرة والتطير.

قال ابن رجب : (أن هذه الثلاث أسباب يقدر الله تعالى بها الشؤم واليمن، ولهذا يشرع لمن استفاد زوجة أو دابة أن يسأل الله تعالى من خيرها وخير ما جبلت عليه ويستعيذ به من شرها وشر ما جبلت عليه) لطائف المعارف ١٥٧ .

م (٢٦) : **شبهات :**

تغيير الرسول ﷺ أسماء بعض أصحابه .

حديث:(لا طيرة والطيرة على من تطير) رواه ابن حبان.

قد يظن البعض أنها مجوزة للتطير وليس الأمر كذلك .

فإن تغيير الأسماء واختيار الاسم الحسن في القيام له ببعض أعماله كحلب اللقحة ومن يسوق الإبل بالاسم، هو من باب التفاؤل ومحبة الأسماء الحسنة والاستبشار بها وكراهية الأسماء القبيحة ونفوره منها كل ذلك من حسن الظن بالله ولم تؤثر في شيء من أفعاله ﷺ فلم ترده عن أمر كان يريد أن يفعله .

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة في محاولة تغيير اسم أبي سعيد المسيب من حزن إلى سهل ورفضه فما زالت الحزونة فيهم : (قد يظن من لا يمعن النظر أن الذي نزل بهم هو من جهة اسمهم ويصح بذلك أمر الطيرة، ولو كان الأمر كما ظنوه لوجب أن ينزل بجميع من تسمى باسمهم من أول الدهر، وأما نزول الحزونة بهم فعقوبة لعدم استجابتهم للرسول ﷺ ، والرسول ﷺ استحب تغيير الأسماء المكروهة لنقلهم عن مذاهب آبائهم واعتقاداتهم الفاسدة وتطيرهم الشركي).

أما حديث :(لا طيرة والطيرة على من تطير) فعلى ضعفه فإن معناه الطيرة على من تطير أي إثم الطيرة على من تطير .

قال ابن عبد البر : (لو كان معناه كما ظننت لكان هذا الحديث ينفي بعضه بعضا، لأن قوله لا طيرة نفي لها، لكن معناه إثم الطيرة على من تطير بعد علمه بنهي الرسول ﷺ عن الطيرة) . التمهيد ٩/ ٢٨٤.

م (٢٧) : أخطر التطير ما كان بالله وبدينه وبالتوحيد وأوليائه .

أخطر التطير ما كان بالله تعالى وبدينه وبالصالحين وأهل الدين من العلماء أو المحتسبين أو الدعاة أو المجاهدين . وقد سمعنا من يصرح بالتشاؤم بهؤلاء، كمن يقول: ما رأينا الخير من جماعة صلوا ويقصد المحتسبين، أو يقول: ما جاءتنا المصائب وتسلط الكفار إلا بسبب المجاهدين. وما فرق الأمة إلا التوحيد أو الجهاد .

وهذا التشاؤم يدخل في نواقص الإسلام في ناقض البغض والكره .

ومن هذا الباب تشاؤم الكفار بالرسل كما في قولهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾ يس: ١٨ وكتشاؤم قريش برسولنا ﷺ وقولهم : ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ﴾ النساء: ٧٨، وكتشاؤم المشركين بالتوحيد : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ الزمر: ٤٥.

م (٢٨) : الفأل :

هو الكلمة الطيبة والاستبشار والتيامن والتوقع بحصول ما يسر .

مثاله أن يكون شخص مريض فيسمع من ينادي يا سالم فيتفاءل أو يعمل له شخص اسمه ناجح فيقول إن شاء الله إن العمل سينجح .

وكان الرسول يحب الفأل ويعجبه قال ﷺ : (ويعجبني الفأل) متفق عليه.

والفأل من الطيرة ويدل لذلك قوله ﷺ : (أحسنها الفأل) رواه أبو داود.

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة : (أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة، وهو خيرها فأبطل الطيرة، ونفى عن الفأل مذهب الطيرة من تأثير أو فعل أو شرك ويخلص الفأل منها) .

م (٢٩) : الفرق بين الطيرة والفأل :

الطيرة فيها سوء ظن بالله وقطع للرجاء وقنوط من الخير ويأس من رحمة الله.

والفأل فيه حسن ظن بالله وتوكل عليه ورجاء له .

كما أن الفأل تقوية للعزيمة وليس هو المؤثر في الفعل أو الدافع لـه فلـيس فيـه تعلق بغير الله وهذا بخلاف الطيرة .

قال الحليمي:(وإنما كان يعجبه الفأل، لأن التشاؤم سوء ظن بالله بغـير سـبب محقق والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال) .

م (٣٠) : مما له علاقة بالباب الاستقسام بالأزلام :

الاستقسام بالأزلام وهي أواني وأقداح يكتب على بعضها أمضي أو أمرني ربي ويكتب على الآخر لا أمضي أو نهاني ربي فيرمي بحجر فإذا وقع على الذي فيه الأمـر بالإمضاء يمضي وإلا لم يمض ، ومثلها ما يسمى بالحظ واعرف حظك، تشبه التطـير لوجود نسبة السببية لغير محلها وجعل ما ليس بسبب سببا.

وكل ذلك فيه قدح في التوحيد وتعلق بغير الله وادّعاء علم الغيب .

وفي بعض من يفعل ذلك اعتقاد التأثير في هذه الأمور وأن لها تصرفاً وتـدبيراً في الخلق وحوادث المستقبل ، ولا شك أن هذا شرك في الربوبية .

ومثل ذلك ما يشيعه بعض العوام الخرافيين من ربط بعـض الأمـور بأسـباب باطلة ، كقولهم: إذا صرت الأذن فمعناه أن شخصا تكلم فيك، وإذا حـك الإنـسان يده اليمنى فسينال مالاً، وإذا رمشت عينه فسيحصل كذا ، وإذا طار الـدبور فـسيأتي مطرا ، وأمثال ذلك كثير من الشركيات في باب الأسباب .

الفصل الرابع عشر : الاستسقاء بالأنواء

موضوعه: حكم الاستسقاء بالأنواء ونسبة المطر للنجوم، وكيفية دخوله في الشرك ومنافاته للتوحيد .

علاقتها بالتوحيد:

لأن الاستسقاء بالأنواء ونسبة المطر للنجوم فيه تعلق بغير الله واعتقاد النفع فيه والتأثير وهذا مما يقدح في التوحيد كما سيأتي .

وهذه المسألة متعلقة بذرائع الشرك والشرك الأصغر في الأسباب ، منها :الرقى ، التمائم، التبرك ، التطير ، الغلو. وله تعلق بباب شرك الألفاظ ، وبباب نسبة النعم لغير الله ، وباب نسبة الحوادث للمخلوق .

كما تتعلق بأبواب السحر والتنجيم لوجود مناسبة بينها.

و الاستسقاء بالأنواء متعلق بالنجوم وداخل في باب التنجيم.

الأدلة على المسألة:

١ - قول الله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ الواقعة: ٨٢.

٢- عن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺقال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة) . وقال: (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب) رواه مسلم.

٣- عن زيد بن خالد ﷺ قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا

قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب) متفق عليه .

٤ – حديث ابن عباس، وفيه: قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات :﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الواقعة: ٧٥ – ٨٢. متفق عليه.

م (١) : معنى الاستسقاء بالأنواء والنجوم:

النوء: هو غياب نجم وظهور غيره مكانه . والاستسقاء: طلب السقيا والمطر.

والمعنى: نسبة نزول المطر للأنواء وطلبه منها . فهما معنيان للاستسقاء بالنوء.

م **(٢)** : فائدة : جاءت الأحاديث بألفاظ (إيمان بالنجوم) (التصديق بالنجوم) (الاستسقاء بالنجوم) . معنى التصديق والإيمان واحد وهو: أن يصدق ويؤمن أن لها تأثيراً أو سبباً في السقي والمطر.

فائدة : تعلق الاستسقاء بالنوء والنجم ، والنوء والنجم هما بمعنى واحد.

م **(٣) : حقيقة المسألة نسبة المطر للكواكب والشتاء :**

نسبة الأحوال والحوادث للكواكب ومحاولة إيجاد مناسبة حاضرة أو مستقبلية وعلاقة سببية، فإن قارنه دعوى التأثير أو معرفة الغيب كان أشنع شركا .

قال النبي ﷺ حين نزل الشهاب ما كنتم تقولون فيه، قالوا موت عظيم . فأخبر أنه لا ارتباط له بها يصير وليس له علاقة وإنما هو لرمي مسترقي السمع،رواه مسلم.

م (٤) : **معنى الرزق والتكذيب:** ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ :

التكذيب يكون بالقلب واللسان والجوارح، وهو ما يعرف بالتكذيب العملي.

الرزق : المطر وغيره .

م (٥) : **حالات التكذيب بالرزق الواردة في الآية** : للتكذيب ثلاث حالات:

١ – نسبة المطر للنوء والنجم .

٢ – أي أنكم جعلتم شكر نعمة الرسول والقرآن أنكم تكذبون به .

٣– أن المعنى أن يشكر الناس على أرزاق الله ونعمه وينسب الفضل لهم.

م (٦) : **وجه الإيمان والكفر في: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر).**

الإيمان نوعان أصل باعتقاد الربوبية لله وأنه هو الذي خلق النعم وتفضل بها وقدرها وكمال بشكره عليها ، والكفر أكبر باعتقاد خالق مؤثر لها ، وأصغر بشكر المخلوق عليها أو إسنادها لسببها ونسيان مسببها أو اعتقاد السببية فيها.

م (٧) **أقسام وألوان وأوجه الاستسقاء بالنجوم :**

١ – أن يزعم معرفة الغيب عن طريق النجوم ووقت نزول المطر بالأنواء وحركة النجوم ، وهذا شرك أكبر لما فيه من ادّعاء العلم الغيبي .

٢ – أن يعتقد العبد أن النجم هو الذي أنزل المطر وأنه مدبر ومتصرف وله تأثير، إما بذاته من دون الله أو بما جعله الله فيه من القدرة على التأثير، وهذا شرك أكبر في الربوبية لاعتقاد التأثير والخلق والقدرة والربوبية في غير الله .

٣– أن يعتقد أن النجم له علاقة سببية ورابطة ودلالة على نزول المطر فخروج نجم كذا في وقت كذا سبب لنزول المطر وهذا شرك أصغر .

٤ – نسبة المطر للنجم من باب الظرفية والوقت :

كأن يستدل بالنجم على نزول المطر دون نسبة المطر إليه، كقولهم فصل الشتاء يكثر فيه المطر وطلوع الشولة المسماة بالربيع والمربعانيه عندنا دليل قرب شدة البرد.

وطلوع الثريا وهي التي نسميها الوسمية والوسم علامة ودليل على قرب المطر غالبا دون تعليق الأمر به لا استقلالا ولا سببا وأنما يكون للظرفية .

٥ – دعاء النجوم ومخاطبة الكواكب وعبادتها ، فيكون قصد المستسقي بالنوء طلب المطر من النجم والنوء أغثنا يا نوء كذا ، وهذا شرك في الألوهية .

م (٨) : **فوائد النجوم**: زينة للسماء ، علامات يهتدى بها ، رجوم للشياطين.

م (٩): **متعلقات الأنواء ومنازل القمر وظروف الزمان ومشتقاته :**

كره قتادة وابن عيينة تعلم منازل القمر وأوقات النجوم كما تقدم والصحيح جوازه لقوله تعالى : ﴿ وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ ﴾ يونس: ٥.

منازل القمر: المنزلة المكان الذي ينزل فيه ويخرج منه ويسير فيه من السماء فشبه بالمنزل للقمر . والمنزلة تشمل نجم أو عدة نجوم وينزل القمر كل ليلة في حذاء أحد النجوم والتي تسمى منزلته وللقمر ثمان وعشرون منزلة في الشهر. وهي:

القلب والشولة وهي التي نسميها الربيع والمربعانيه، والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد السماك والفرع المقدم والفرع المؤخر والرش والشرطين والبطين والثريا وهي الوسم والدبران والهقعه والهنعه والذراع والنثره والطرفة والجبهة والزبده والصرفة والعواء والسماك والغفر والزباني والإكليل .

وظروف الزمان : الوقت، الحين، الدهر، اليوم، السنة، الشهر، وغيرها.

السنة : وهي مدار الشمس في الأبراج وهي نوعان شمسية وقمرية هلالية.

والشهر : سمي شهرا من كونه يشهر ويعرف بالهلال أو البرج وهو نوعان.

والسنة أربعة فصول كل فصل يتكون من عدة بروج وتعرف بالنجوم.

والبروج : مجموعة من النجوم :وهي الجدي والدلو والحوت والحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس .

والنجوم تنقسم إلى سيارة وهي التسعة وثابتة كالثريا.

م (١٠) : **النسيء** :

هو التأخير ومعناه أن يؤخر الشهر ويغير مكانه وقد أخذته العرب من اليهود بعد أن كانت تسير على الأهلة قامت بمساواة الأشهر والسنة القمرية بالشمسية لمصالحهم فجعلت الحج يقع في أعدل الفصول لتتم مصالحهم التجارية الاقتصادية، وكانوا يؤخرون الأشهر الحرم ليقاتلون متى يشاؤون فكان هذا من تغيير ملة إبراهيم ومن الكفر ولما جاء الإسلام حرم ذلك وحين حج الرسول ﷺ كان حجه في وقت الحج ووافق أشهر الحج وهذا معنى استدارة الزمان الذي أخبر به.

م (١١) : **وجوب العمل بالأهلة والتاريخ الهجري** :

يجب العمل بالأشهر القمرية لأن عليها مدار الأحكام الشرعية الحج وصيام رمضان وفي السنة الهجرية تذكير بعزة المسلمين، ويحرم العمل بالسنة الميلادية والأشهر الشمسية الأفرنجية لما في ذلك من تضييع لمبادئ الشريعة والتشبه بالكفار.

واليوم عند المسلمين يبدأ من غروب الشمس فالمساء قبل النهار وعند أهل الفلك يبدأ من طلوع الشمس فيكون قبل الليل وعند أهل التنجيم يبدأ من الزوال.

ويوجد لكل أمة الهند والقبط والفرس واليهود والآشوري والمقدوني وغيرهم. أسماء للشهور والأيام ، وكثير منها مسماة بأسماء الآلهة كما تقدم .

وعند العرب للشهور والبروج معاني وقد غيرت العرب أسماء الشهور بعد أن قامت بالنسيء ومحاولة جعل الأشهر القمرية موافقة للأبراج والأشهر الشمسية .

فليتنبه أهل التوحيد لمداخل الشرك التي سدها الشرع في باب الأنواء والكواكب والقبور وغيرها وليسلكوا السبيل في حماية جناب التوحيد .

الفصل الخامس عشر : وسائل الشرك التي في باب السحر

حكم الذهاب للسحرة والكهنة : له حالات وأقسام :

ومن أدلة الوعيد المتعلقة بإتيان السحرة والكهان وتصديقهم :

حديث أبي موسى ﷺ مرفوعا : (ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن خمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر) رواه أحمد وابن حبان .

وحديث: (أخاف على أمتي ثلاث) وعد منها (التصديق بالنجوم) و(إيمان بالنجوم) رواه أحمد وعبد بن حميد وأبو يعلى وابن عساكر.

وحديث: (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ).

الأول : إن طلب منهم سحراً له فطلبوا منه أن يكفر ويشرك كأن يذبح ولا يسمي أو يسب الدين أو يهين آيات القرآن كأن يكتبها بالدم ونحو ذلك .

الثاني : من يأتيهم ليسألهم عن أمر غيبي مصدقا لهم، وهذا معنى يصدقهم أي يصدقهم في ادعاء الغيب ويعتقد أنهم يعلمون الغيب مع الله أو أن الله أعلمهم بالغيب ودلهم على أسبابه فهو كافر خارج من الإسلام لا شك فيه.

والدليل على ذلك ما رواه أحمد والحاكم عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : (من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد).

ولأنه مكذبٌ بالقرآن: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ النمل: ٦٥.

الثالث : إن أتاهم وسألهم مع عدم تصديقهم في ادعاء الغيب ومعرفته كذبهم وحقيقة حالهم، مثل من يأتيهم ليسألهم عما ضيعه أو من سحره مع علمه بكفرهم

وأن الغيب لله، فهذا فعل محرما دون الكفر، وعقابه أن صلاته لا تقبل أربعين ليلـة . والدليل حديث: (من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) مسلم.

الثالث: من سألهم ليبين كذبهم أو يفضحهم ويبين تلبيسهم وعجزهم فهـذا مشروع وقد فعله النبي ﷺ لابن صياد حين سأله عن الدخان، والحديث متفق عليه.

قاعدة : متى يعتبر الذهاب للساحر وطلب السحر منه كفرا:

لا يعتبر مناطا للكفر إلا مع وجود أحد أمرين :

الأول : تصديقه في ادعائه علم الغيب والقدرة الكاملة .

الثاني : لو فعل مكفراً كالذبح للجن وإهانة المصحف وسب الدين.

فائدة : الحكمة من تحريم إتيان السحرة والكهنة وحضور مجالسهم ونواديهم:

لأن ذلك قد يكون مدعاة إلى تصديقهم والتأثر بهم وهذا كفر بذاته، لأن فيـه إثبات علم الغيب للمخلوق، وكذلك في الذهاب لهم ترويج لبـاطلهم ودعايـة لهـم ونشر للكفر وتغرير بالعوام والجهلة فيصدقونهم ويذهبون لهم .

فائدة : صورة معاصرة للمسألة :

ويدخل في هذا الحكم والوعيد المتعلق بإتيان السحرة والكهـان وتـصديقهم، من يجري مقابلات تلفزيونية أو صحفية مع السحرة والكهنة والعرافين ، ومن ينظـر إليهم في الإعلام معجبا ومستحسنا وراضيا بخروجهم .

مبحث : النشرة

م (١) : **تعريف النشرة** : تطلق من حيث الأصل على فك السحر وحله .

م (٢) : **النشرة نوعان** : فك السحر برقية مباحة ، وفك السحر بسحر مثله .

ويطلق البعض النشرة على علاج السحر وفكه بسحر مثله فقط.

م (٣) : **حكم النشرة التي هي استخدام السحر لفك السحر** :

محرمة بل وكفر لأنها سحر والسحر كفر ولم يستثن الله ﷻ منه شيئاً .

والأدلة على تحريم فك السحر بالسحر :

١- عن جابر أن رسول الله ﷺ سئل عن النُّشرة؟ فقال (هي من عمل الشيطان) رواه أحمد بسند جيد أبو داود.

٢- حديث:(اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك). مسلم.

والنشرة سحر والسحر من عمل الشيطان وفيه شرك ولابد، فكان تحريمها متعينا.

٣- أن القول بإباحة سؤال السحرة وطلب علاجهم للسحر بالسحر فيه إقرار السحر وإبقاء للساحر وعدم قتله والرضا بفعله واللجوء إليه عند الحاجة، وفي هذا من أصناف الكفر ما لا يخفي .

٤- أن السحر لا خير فيه أبداً ولا نفعع منه مطلقاً كما قال الله تعالى عنهم:

﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ البقرة: ١٠٢ ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ طه: ٦٩.

٥- أما ما يستدل به المخالف في إباحة النشرة :

* من سؤال عائشة رضي الله عنها للرسول ﷺ حين سحر . يا رسول الله هلا تنشرت ؟ فقال النبي ﷺ : (أما الله فقد شفاني) رواه الشيخان.

* وقول سعيد بن المسيب لما سأله رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال : (لا بأس إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع الناس فلم ينه عنه ومن استطاع أن ينفع أخاه فليفعل) رواه البخاري .

* وقول الحسن: لا يحل السحر إلا ساحر، محمول على علاج المسحور بالرقى المباحة وليس السحر كما توهمه البعض وقد بين مراد ابن المسيب ابن القيم وغيره .

وهل يعقل أن يبيح الرسول ﷺ الذهاب للسحرة وهو الذي أمر بقتلهم وأخبر بكفرهم ودل أمته على كل خير وهل في الذهاب للسحرة من خير .

وهل يظن بابن المسيب والحسن تجويز الذهاب للسحرة كما فهم البعض حين جهلوا مقصود السلف من النشرة ومعناها في لغة العرب وإطلاقات الشرع .

قال ابن القيم في زاد المعاد: (النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان. وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة. فهذا جائز).

م (٤) : **أقسام المتعالجين بالسحر وأحكامهم :**

الأول:أن يتعالج وهو راضٍ بالسحر مصدقٌ للساحر، فهذا كفر أكبر لما تقدم.

الثاني : أن يتعالج وهو ليس راضٍ بالسحر ولا مصدقاً للساحر، ولكن يأمره الساحر أن يذبح للجن ، فهذا يكفر لذبحه لغير الله .

الثالث : أن يتعالج ولا يرضى بالسحر ولا يصدق الساحر، ولا يفعل ما يأمره به الساحر من الشرك أو غيره ، ولكن يدفع مبلغاً فقط ليقوم الساحر بحل السحر عن طريق الاستعانة بالجن والشياطين ، فهذا اختلف فيه العلماء على أقوال :

الأول:أنه جائز، لأن الضرورات تبيح المحذورات ، وهو رأي بعض الحنابلة.

القول الثاني : أنه كفر مطلقا .

الثالث: أنه محرم سدا لذريعة الكفر ، وهذا رأي جمهور العلماء وهو الصحيح.

أعمال فيه نوع سحر :

الشعوذة : (بالواو والباء) : الشعوذة ليست سحراً في الحقيقة وإنما هي من باب الخداع وخفة اليد وسرعة الحركة والاستعانة بالمواد الكيميائية والعناصر التي لها خصائص خافية على الناس ويكثر هذا فيما يسمى بالألعاب البهلوانية وهي الكيمياء قديما فالكيمياء في القدم كانت تطلق على مثل ذلك ومثلها النيرنجات .

التنويم المغناطيسي : هو من أحد الطرق الدجلية التي تمارس في زماننا ويقوم بها أناس يدعون ما يدعيه السحرة من القدرات وقد يكون فعلهم فيه استعانة بالشياطين . ومما يقارن التنويم محاولة مخاطبة النائم وسؤاله والحديث معه بعد نومه وغالبا ما يكون ذلك بطريق الشعوذة أو الاستعانة بالشياطين والسحر .

الألعاب البهلوانية والسيرك :

ومن أمثلتها رمي السكين على بطن شخص وطعنه وضرب رأس الغير بالسيف وإخراج النار من الفم وابتلاع الجمر والمشي من شاهق على حبل دقيق وغير ذلك، وهي تدور بين السحر الحقيقي والشعوذة وما كان مبنياً على التدرب وقوة الجسد فيأتي البهلواني وصاحب السيرك أمام الناس مظهراً مهارته وقدرته على ما لا يقدر عليه غيره في الغالب ، وما يقوم به هؤلاء إن كان سحرا حقيقيا فهم كفار وإن كان من غير سحر وإنما شعوذة فهم ليسوا كفاراً إلا أنه يجب منعهم بل وتعزيرهم تعزيراً بالغاً لكف شرهم وردعاً لغيرهم وسداً للذريعة، وإن مما ينبغي للمحتسب على هؤلاء أن لا ينظر إلى ادعاء هؤلاء أن أفعالهم ليست إلا مجرد خداع وشعوذة وليست بسحر ، فإن هذا أمر أغلبه غير معلوم التفريق فيه عندنا .

الروحية الحديثة وعقيدة تحضير الأرواح :

يدعي أصحابه أنهم يستطيعون إحضار أرواح الموتى بوسائل يدعونها ومن ثم يسألونها ويخاطبونها ويأمرونها ويطلبون منها ما يريدون ويدعون أن فعلهم هذا ليس سحراً ولا فيه استعانة بالشياطين ولا حضور لها . وكل هذا من الكذب فلا يمكن لشخص تحضير روح الميت، والحقيقة أن الذي يخاطبهم الشياطين ويستدرجون عقولهم البلهاء ومن ينخدع بأفكارهم البسيطة الساذجة .

وهذا المذهب مذهب كفري حوى كفريات ويشبه عقيدة تناسخ الأرواح .

مبحث : التنجيم

م (١) : تعريف التنجيم :

التنجيم على وزن تفعيل، نسبة للنجم والكواكب .

أو هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية .

م (٢) : أقسام علم التنجيم :

الأول : علم الأسباب والتسيير : وهو الاستدلال على الجهات وأوقات الزرع بالنجوم وسيرها وخروجها وهذا جائز .

الثاني : علم التأثير والأحكام : وهو الاستدلال على أمور الغيب بالنظر في النجوم واعتقاد أن للنجوم أحكاماً وتأثيراً فيما يحدث في الأرض ، وهذا كفر أكبر .

م (٣) : علم الحساب :

وهو استخراج وقت الكسوف ودخول الشهر والهلال والولادة ونحو ذلك بالنجوم وحسابها وهذا علم كرهه السلف ولا يعتمد عليه في الشرع .

قال الرسول ﷺ : نحن أمة أمية لا نقرأ ولا نكتب الشهر هكذا وهكذا. (صوموا لرؤيته) أي الهلال ونهى عن الاعتماد على الحساب في مثل هذا .

م (٣) : تعلم علم الفلك :

كره قتادة وابن عيينة تعلم منازل القمر وأوقات النجوم وذلك سداً للذريعة والدخول في تعلم القسم المحرم منه وهو علم التأثير فيكفر متعلمه ، بينما رخص فيه بعض السلف ، وسنعرف بمنازل القمر في باب الاستسقاء بالأنواء.

م (٤) : أوجه كفر المنجم والكفريات التي في التنجيم:

الأول : الاستعانة بالشياطين والشرك بهم وعبادتهم، وهذا شرك في الألوهية .

الثاني:اعتقاد أن للنجوم تأثيراً في حوادث الأرض وخلقا وقدرة ونفعا وضرا.

فينسب السعود والنحوس لها وهذا شرك التأثير والتدبير والقدرة والخلق.

الثالث: إدعاء علم الغيب عن طريق النظر للنجوم وهذا شرك في الربوبية.

فيدعي معرفة الغيب عن طريقها وهذا شرك العلم وهذا شرك ربوبية .

الرابع:مخاطبة النجوم ودعاؤها والخوف منها وعبادتها، وذا شرك في الألوهية.

الخامس : جعل علاقة سببية ورابطة بين ما يحصل في الأرض من حوادث وربطها بطلوع الأنواء وغيابها وحركة الأفلاك ، من دون أن يعتقد فيها الخلق والتأثير ، وهذا شرك أصغر وما سبق من الأوجه الأربع فكله شرك أكبر.

م (٥) : فوائد خلق النجوم :

الأول: زينة للسماء وتدبر خلق الله.

الثاني: رجوم للشياطين ، ودليل هاتين الحكمتين قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ الملك: ٥ .

الثالث: علامات يهتدي بها الناس ويعرفون الجهات وأوقات الحرث.

ودليل هذه الحكمة قوله تعالى : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ النحل: ١٦ .

ومن ادعى في النجوم فائدة غير ذلك فقد تعدى وكذب ، قاله قتادة.

ومن ذلك ما يدعيه أصحاب الهيئة وأرباب التنجيم من أن النجوم فيها دلائل وعلامات وإشارات وروابط للتنبؤ عن المستقبل وهو من الكذب الصريح .

الفصل السادس عشر: التصوير والصور

م (١) تعريف التصوير :

التصوير من الفعل صوّر وهو بمعنى التقدير والخلق .

م (٢) : حكم التصوير :

التصوير يعتبر محرما ومن كبائر الذنوب .

ويكون كفرا في حالتين :

الأولى: إذا استحل المصور فعله فيخشى عليه من الردة وما أكثر هؤلاء.

الثانية: إذا قصد المشابهة والمضاهاة.

م (٣) : وجه دخول التصوير في الشرك الأصغر العملي:

١ - لأن فيه تشبها بالله في أخص صفاته وهي الخلق .

٢- أن فيه تعظيم المخلوق والغلو فيه.

٣- كما يدخل فيه من ناحية كونه وسيلة للشرك الأكبر وعبادة غير الله .

م (٤) : التصوير يعتبر من الشرك في الربوبية .

لأن فيه مشابهة لخلق الله الذي هو من أفعال ربوبيته .

والمصور من أسماء الله التي تفرد بها .

والتصوير من أفعال الله وصفاته .

والتصوير أحد مراتب الخلق الثلاث ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ .

ولذلك سمى الله تعالى التصوير خلقا : (يخلق كخلقي).

فائدة : الأفعال التي فيها مشابهة ومضاهاة: التصوير ، التشريع ، الكبر .

م (٥) : الأدلة الصحيحة الصريحة الدالة على حرمة التصوير :

١ - ما جاء عند البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى : (**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذره أو ليخلقوا حبه أو ليخلقوا شعيره**) رواه البخاري ومسلم .

ومعلوم أن الخلق هنا التصوير إذ أن الإنسان لا يخلق حقيقة وإنما خلقه الذي أنكره الله هو التصوير وليقف المسلم عند أمر الله وليعلم هذا الحديث ويعمل به وليحاسب نفسه ويدع التعلل بالشبهة والتلاعب بدين الله .

٢ - عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (**أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**) رواه البخاري ومسلم .

٣- عن عبد الله ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون**) رواه مسلم .

٤ - عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (**الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**) متفق عليه .

٥ - لمّا جاء رجل إلى ابن عباس ، فقال : إني رجل أصوّر هذه الصور فأفتني فيها، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا فتعذبه في جهنم**) . ثم قال له : إن كنت لابد فاعلا فاصنع الشجر وما لا نفس فيه . رواه مسلم.

٦ - وعنه أيضاً مرفوعاً (**من صوّر صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ**) رواه البخاري ومسلم .

فليحذر كل الحذر المصورون بالكاميرات والجوالات والرسامون ومعلقو الصور من عموم هذا الحديث وليحاسبوا أنفسهم ويقفوا عند حدود الله ولا ينتهكوا محارم الله .

٧- عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي ﷺ: ألا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ :(**أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته**) رواه مسلم. وفي لفظ : (تمثالا) بدل القبر.

وهنا نكره في سياق النهي وهي من دلالات العموم فلا تدع صوره إلا وتطمسها وتزيلها بيدك بأمر رسول الله ﷺ غير ناظر لمخالفة غيره أو غضب وأمر المخلوق، وفي قوله طمستها والتفريق بينه وبين الشيء البارز دليل أن الصورة ليس لها ظل ، ويؤيد ذلك حديث عائشة الذي سيأتي في الصور التي كانت على الوسادة.

٨- قال ﷺ :(**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**) رواه البخاري .

٩- عن عائشة قالت قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت على بابي درنوكاً - أي ستر له خمل - فيه الخيل ذوات الأجنحة فأمرني فنزعته . متفق عليه.

وفي رواية:سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه هتكه وتلون وجهه .

١٠- وعنها أنها اشترت نمرقة - وسادة - فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب ولم يدخل فعرفت في وجهه الكراهة ، فقالت : يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله فماذا أذنبت فقال رسول الله ﷺ : ما بال هذه النمرقة . فقالت اشتريتها لك تقعد عليها وتوسدها فقال رسول الله ﷺ: (**إن أصحاب هذه الصور يعذبون ويقال لهم أحيوا ما خلقتم**) رواه البخاري ومسلم .

م (٦) : أوجه الحكم بتحريم التصوير وعلة النهي عنه وعلاقته بالتوحيد:

١ – مشابهة لخلق الله ومضاهاة لصنعه وفعله كما في حديث أبي هريرة وعائشة.

٢ – أنه وسيلة عظمى للوقوع في الشرك إذ أن أول شرك وقع على هذه الأرض حصل في قوم نوح وكان سببه التصوير كما جاء عن ابن عباس في ذلك .

٣– فيه تعظيم غير الله والتعظيم من خصائصه عز وجل الذي لا يستحقه أحد سواه ولا يكون إلا له .

٤ – التشبه بالكفرة الفجار في شنيع أفعالهم وقبيح تصرفاتهم خصوصاً اليهود والنصارى بتعليق صور علمائهم ورؤسائهم كما جاء في حديث أم سلمة .

٥ – تنقص الرب ﷻ في محاولة التشبه به وترك الأدب معه وتعظيمه.

وغير ذلك من العلل القاضية بتحريم التصوير .

تنبيه : هذه العلل منها ما يرجع للربوبية وهو المشابهة ومنها ما يعود لنقض توحيد الألوهية وهو التعظيم وذريعة الشرك .

أدلة تحريم التصوير جاءت بصيغ العموم من غير تخصيص :

الملاحظ في أدلة تحريم التصوير الناهية عنه أنها جاءت عامة بدون استثناء مما يقطع بتحريم التصوير سواء كان التصوير للذكرى أو الدعوة أو التعليم أو التعليق أو غير ذلك وسواءً كانت الصور مرسومة باليد أو بآلة حديثة للتصوير بالفيديو أو بالنت أو بالجوالات أو كانت تمثالاً مجسماً، كل هذا داخل في عموم الصور المحرمة المشتملة على علل التحريم التي جاءت بها النصوص وبينها أهل العلم .

م (٨) : عمومات في تحريم التصوير :

أولاً : الصور غير التمثال ومن أدلة ذلك حديث لاتدع صورة ولا قبراً ولا تمثالاً ففرق بينهما في اللفظ ، وفي الإزالة ، فإزالة الصورة بالطمس ، والتمثال والقبر بالتسوية ، مما يبين أن الصورة ليس لها جسم.

ثانياً: تحريم التصوير يشمل ما كان باليد أو بآلة .

ونقول لمن خالف كما أن القتل يشمل ما كان باليد أو بآلة فكذا التصوير .

ثم يقال الرسول ﷺ نهى عن التصوير وحذر المصور ، فما هي اسم هذه التي خرجت من الآلة وماذا يسمى فعله ، فهل سيكون جوابهم أنها ليست صورة وفعلها لا يدعى تصويرا ، مما يدل على مخالفتهم للحقيقة الشرعية واللغوية والعرفية.

ثالثاً : التصوير يشمل ماكان له ظل ومجسم ومالم يكن كذلك .

تنبيه : المقصود بالتصوير ماله روح كما جاء في الأحاديث وما يفهم من حديث (يؤمر أن ينفخ فيه الروح) وتفسير ابن عباس ، والبعض عمم ولم يستثن.

م (٩) : عقوبات المصور :

١ – أنه أشد الناس عذاباً يوم القيامة .

٢ – أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسا يعذب بها المصور في جهنم.

٣ – أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.

م (١٠) : الأمر بطمس الصور ومخالفة الناس للأمر:

ومن العجب في زماننا تنافس كثير من المفتونين بتعليق الصور وإظهارها وتعظيمها بدل إنزالها وطمسها وإهانتها. وفي هذا أعظم المعاندة للشرع والعياذ بالله.

م (١١) الرد على من زعم أن تحريم التصوير مسألة خلافية :

ظهر بعض من ينتسب للعلم والدين في زماننا بفتوى باطلة وهي إباحة التصوير بالآلات الحديثة وانساق خلف فتاواهم كثير من الجهال .

وزعم كثير من المفتونين أن المسألة خلافية ، وهيهات ، أن يساوى قول من أدلته قال الله وقال رسوله وأدلته في الصحيحين بلعنة المصور وشدة عذابه وبين من دليله قول فلان وفلان ، وأدلة فلان وفلان أن هذا ليس بتصوير وإنما هو حبس ظل وهو مثل المرآة ونحو ذلك من ساقط القول وفاسد الفهم نعوذ بالله من الضلال ، ولما تجرأ من تجرأ بفتواه في هذه المسألة انبرى لرد فريتهم ابن باز والتويجري وعبدالله بن حميد وغيرهم وانظر ما أدت إليه فتواهم من فساد في الدين ونشر للشرك وتعظيم الخلق بتعليق صورهم ، فماذا ستكون حجتهم عند الله وقد بلغتهم نصوص الوعيد.

م (١٢) : رجوع شبهات مجيزي التصوير لأربع :

ليس لها جسم، ليست باليد وإنما بالآلة، ليس فيها مضاهاة،الفتاوى المخالفة .

وكلها لا تناهض عموم الأدلة الصريحة الصحيحة المحرمة للتصوير.

م (١٣) : تعليق الصور وتعظيمها :

مما يزيد الأمر شناعة تعليق الصور وتعظيم أصحابها وكأنهم آلهة معبودة معظمة من دون الله تعالى فقبحا لها.

وقد جمع هؤلاء بين فتنة التصوير وتعظيم المخلوق والغلو فيه.

اللهم إنا نبرأ إليك مما يفعله هؤلاء ومن جوز لهم ونعتذر إليك من ضعفنا ونشكو إليك قلة حيلتنا وهواننا على الناس.

م (١٤) : **فائدة:** العلة بين الجمع بين القبر والتصوير في حديث أبي الهياج وحديث: (بنوا على قبره مسجدا وصوروا على قبره التصاوير) ظاهرة وهي أن كلتيهما من وسائل وقوع الشرك .

م (١٥) : **تنبيه** : وضع خط على رقبة الصورة لا يغني عن طمسها .

م (١٦) : **قاعدة** : المنهيات تحرم ولو لم يقصد فاعلها العلة التي حرمتها .

ومن أمثلة القاعدة تحريم التصوير ولو لم يقصد المضاهاة والتشبه بالكفار في الزي الظاهر ولو لم يقصد المتشبه مشابهتهم .

م (١٧): **عدم دخول الملائكة البيوت التي فيها صور ودخول الشياطين بدلها.**

م (١٨) : **انتشار التصوير في زماننا :**

إن من الأمور التي ابتلينا بها في هذا الزمان ما نراه من كثرة التصاوير المحرمة التي حذر الله ورسوله من فعلها أيما تحذير وأوعد بالنار فاعلها والراضي بها والعياذ بالله . وقد انتشرت من قبل عن طريق الكمرات ثم فشت عن طريق الجوالات فوقع الكثير فيما هو أشد من التصوير ألا وهو استحلال التصوير، وهذا مصاب عظيم في الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله . والسبب في كثرة انتشارها المفرط هو قلة الإنكار الذي أخذ على أهل العلم وعدم تبيين الحق وإظهاره للناس طمعاً أو خوفاً أو ابتغاء رضا المخلوقين وطاعة في معصية الخالق.

ومن وسائل انتشار الصور والتصوير كثرته في الملابس والفرش والكتب والمجلات والألعاب والمواد التجارية والمعلبات الغذائية والفلوس والبطاقات.

ومن الفتن تصوير المحاضرات ومعارك الجهاد والأخبار وغير ذلك.

م (١٩) : وقوع الكثير في استحلاله

والعجيب أنه صار كثير يدافع عنها ويجادل ويشكك في تحريمها ووجوب المسارعة إلى طمسها كما أمر المصطفى عليه الصلاة والسلام فجعل من نفسه حارساً لمعاصي الله منتهكاً لحدوده مرضياً للناس بسخط الله . والكثير الأكثر من ماتت الغيرة في قلبه على دين الله فنزل الإنكار مع كثرة السكوت من الإنكار باليد أو اللسان إلى ترك الإنكار بالقلب فصار الإنسان يرى الصورة تلو الأخرى وربما في أقدس البقاع في بيوت الله ولا ينكر بقلبه ولا يتمعر وجهه غضباً لله ولو حصل في ماله أو عرضه أدنى تعدي لبان أثر الغضب في وجهه وتصرفه أما إذا كان التعدي على دين الله فلا يقيم لذلك وزناً همه دنياه وشهواته .

م (٢٠) : خطورة التصوير فهل من مدكر :

فهذه الأحاديث والعلل ذكرناها وبيناها تذكيراً للناس وهي علامة فارقة بين المؤمن المستجيب لأمر الله وبين المخادع لله المرتاب في دينه فمن لم يستجب لكلام الله ورسوله فلا خير فيه ولن يستجيب لكلام غيره والأشد ظلماً وفساداً أن يقدم قول المخلوق وأمره على أمر ربه،وليعلم أن من لم يستطع أن ينكر هذا المنكر بيده فلا أقل من أن ينكره بلسانه وإن عجز أو ادعى العجز فليحذر من فعله أو انطماس نور قلبه بعدم إنكاره فضلا عن استباحته وتبريره. فلينكر ولو بقلبه وليعتقد بطلان هذه الصور والتماثيل وليحذر أن يتشرب قلبه هذه المعصية ويستسيغها فيهلك ، فمن عصى الله وهو معترف خائف أهون ممن استهان بمعصيته ورضي بها واستحلها .

وتيقن يـا عبـد الله أن الله سـبحانه سيـسألك لا محالـة ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ القصص: ٦٥ - ٦٦. فستعلم حينئذ ما كنت فيه من الحق أو ضده من الانقياد لله وحده الذي جـاءك عـن رسـوله والأوامر التي جاءت بها شريعته ودينه أو الانقيـاد لغـيره وسـتعمى عليـك الأنبـاء حينئذ وستذهب الحجج الباطلة . فما عساك أن تقول إن قال لـك ﷻ أمـرك رسـولي بطمس الصور ونهاك عن التصوير وأخبرك بلعنتي للمصور وأنـت لم تجبـه ولم تـأتمر بل صورت ما لا تحصيه من الصور ولم تنته فما ذا أجبتم المرسلين ؟ فهل تظن عنـدها يا قليل التذكر أنك ستقول أنت لم تحرم علينا إلا ما كان باليد ولم يحرم علينا رسولك التصوير بالكاميرات والجوالات ، أو أنـك سـتقول لـه هـذا حـبس ظـل ، أو أنـك ستقول هذه من زينة الله التي أخرجتها لنـا ، أو سـتقول أجازهـا لي الـشيخ الفـلاني وتقدمه على رسولك، أو ستقول أمرني بها ولي أمري وأطعنا سادتنا وكبراءنا ، أم ماذا عساك أن تجيب به وماذا سيكون جوابك له وأنت موقوف بين يديه وهو يخاطبك بلا ترجمان ولا واسطة ؟ ألا فأعد لكل فعل تفعله وقولاً تقوله حجة بـين يـدي ربـك ! وأعدّ للسؤال جواباً وللجواب صواباً .

الفصل السابع عشر : عبادة الله في مواضع الشرك ومظانه

تحريم عبادة الله في أماكن الشرك ومظانه:

وقد جاء النهي عن الذبح في الأماكن التي يذبح فيها لغير الله تعالى، أو مظنة لأن يكون الذبح والعبادة لغيره كالذبح لله عند القبور والصلاة عندها .

ومثل ذلك النهي عن الصلاة في المقبرة وإلى القبر، حتى لا يكون ذلك وسيلة لعبادة القبر والصلاة له، كما نُهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وغروبها وزوالها حتى لا يتشبه المسلم بعبادها وسدا لذريعة عبادتها.

ومثل ذلك دخول الأماكن التي يقام فيها الأعياد الوثنية والشرك والمنكرات.

م (١) : أمثلة للمسألة:

١ - عبادة الله بالصلاة والذبح وغيرها في معابد الوثنيين .

٢- عبادة الله في المقابر.

٣- الصلاة إلى صورة وتمثال والسجود بين يدي الرجل .

٤- الصلاة في الكنائس .

٥- تتبع آثار الأنبياء والصالحين وتقصد مواضع معينة بعبادة الله فيها، كحراء وأحد والمساجد السبعة والطور ، ومن هذا الباب قطع عمر شجرة بيعة الرضوان.

٦- عبادة الله في الأوقات التي يعبد فيها المشركون أوثانهم كالصلاة عند طلوع الشمس وغروبها.

٧- الصلاة إلى النار وإلى حجر وعمود إلا إذا تجانب عنه والصلاة إلى صورة والصلاة إلى وجه إنسان لما في ذلك من ذرائع الشرك .

م (٣) : أدلة تحريم عبادة الله في أماكن الشرك ومظانه:

١ - قال الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴾ التوبة: ١٠٨.

والآية نزلت في مسجد الضرار وقصته: أن أبا عامر الفاسق كان راهبا مطاعا في الجاهلية فلما هاجر النبي ﷺ للمدينة كفر به فسماه الفاسق ، ثم ذهب للشام يؤلب الروم عليه وكتب لبعض قومه المنافقين أن يبنوا مسجدا ليتم لهم الاجتماع فيه بقصد تفريق المؤمنين وحرب الدين وليكون مأوى لكل عدو ماكر، وطلبوا من النبي ﷺ أن يصلي فيه وكان على سفر لتبوك ووعدهم إذا رجع إلا أن الوحي نزل فيه فأمر بهدمه.

٢- عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة، فسأل النبي ﷺ فقال : هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟ قالوا: لا. قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ : أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم) رواه أبو داود.

٣- عن عائشة أن أم سلمة ذكرت للنبي ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة ومافيها من الصور، فقال:(أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله) متفق عليه.

٤ - قالت عائشة: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال:(لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا. متفق عليه. وعن أبي هريرة:(قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) .

٥- عن جندب البجلي قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك) رواه مسلم.

٦- عن ابن مسعود مرفوعا:(إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد) رواه البخاري معلقا وأحمد بسند جيد.

٧- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) رواه أبو داود.

٨- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ : (اللهم لا تجعل قبري وثنا، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) رواه أحمد وغيره بسند صحيح.

٩- قال ابن عباس: (لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) . رواه أحمد وأصحاب السنن.

١٠- عن أبي مرثد الغنوي أن النبي ﷺ قال: (لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها) رواه مسلم .

١١- قال ﷺ: (لا تصلوا إلى قبر ولا تصلوا على قبر) رواه الطبراني.

١٢- عن أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ قال : (الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام) رواه أحمد وأصحاب السنن ، أعله الترمذي وصححه ابن حزم.

١٣- قال عبدالله بن عمرو: نهى ﷺ عن الصلاة في المقبرة . رواه ابن حبان.

١٤- عن أنس : (أن النبي ﷺ نهى أن يصلى بين القبور) .

١٥- لما رأى عمر أنساً يصلي عند قبر قال منكرا:القبر القبر. رواه البخاري.

م (٤) : علة تحريم عبادة الله في أماكن يعبد فيها غيره أو في المقابر :

١ – أن في ذلك أعظم ذريعة لوقوع الشرك .

فمن رأى من يذبح ويصلي في المواضع الشركية أو المقبرة ، فقد يظن الجاهل أن الذبح والصلاة للوثن وللقبر أو أنها للموضع طلبا للبركة.

٢ – التشبه بالمشركين.

٣– تعظيم غير الله من المخلوقات من البقاع والأماكن والأموات.

٤ – معاندة الله بتعظيم ما نهي عنه ومضاهاة شرعه بتعظيم ما لم يعظم الله .

٥ – إحياء سنن الجاهلية ولذا قال ﷺ له:(في قلبك من الجاهلية شيء) البيهقي.

م(٥):حرمة دخول أماكن الشرك والمنكرات والمحل الذي نزل فيه غضب الله.

مثل أماكن المعذبين كديار ثمود .

وأيضا المجالس التي يظهر فيها الاستهزاء بالله وآياته.

ودور الربا وبيوت البغايا والدعارة ومحلات الفجور والغناء والسينما ومجامع السحرة والكهان والمنجمين والمحافل البدعية والمهرجانات الوثنية وأعياد المشركين.

والبرلمانات والمجالس التشريعية التي يكفر فيها بالله .

يدل لذلك الأصل قوله تعالى: ﴿ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ النساء: ١٤٠ ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ الأنعام: ٦٨ .

ومن هذا الباب أيضا : قول النبي ﷺ: (هذا مكان حضرنا فيه الشيطان) فلما تجاوزه صلى . رواه مسلم.

ونهى النبي ﷺ عن دخول مدائن صالح بقوله: (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا إن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم ما أصابهم). متفق عليه.

م (٦) : حالات العبادة في المواضع الشركية:

١ – يتعبد الله في الموضع قصدا له بعينه ، فيعتقد في هذا الموطن البركة أو أنه أقرب وأحب إلى الله ، وهذا يحرم ويعتبر من الشرك الأصغر.

٢ – أن يعبد الله فيها وفاقا من غير قصد، وهذه الحالة تحرم وإن كانت أقل درجة من السابقة في الخطورة والإثم.

م (٧) : أقسام الأماكن المقصودة بالعبادة :

١ – أن يعبد الله في مواطن الشرك ومعابد الوثنيين .

٢ – ما كان فيه مظنة لعبادة غير الله ويخشى أن يعظم إذا عبد فيه ، كالمقبرة.

م (٨) : طرق تعظيم المواضع :

الطريق الأول : الوثن .

أن يكون مقرا للشرك وموضعا للمعبودات أو ما هو مظنة للشرك كالقبور.

الطريق الثاني : العيد .

أن يكون الموضع معظماً ويعتقد فيه البركة فيعتاد قصده وزيارته.

وهذان الطريقان هما مقاصد الباب الذي منه نهي عن الذبح والصلاة كما في حديث النحر في بوانة وأحاديث النهي عن الصلاة في المقبرة.

وهذا سر لطيف في ذكر النبي ﷺ الوثن والعيد ووجه الفرق بينهما.

م (٩): بقاء حكم تحريم النسك في مواطن الشرك (وثن،عيد) ولو بعد زوالها.

م (١٠) : **تنبيه : علة النهي عن الصلاة في المقبرة :**

لكون الصلاة فيها مظنة لعبادة غير الله وذريعة لوقوع الشرك فيها ، وليس لأجل أنها نجسة كما قال بعض الفقهاء.

م (١١) : **علة عدم إبراز قبر النبي ﷺ :**

لكي لا يتخذ قبره مسجدا وعيدا كما كانت تفعل اليهود والنصارى من اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، وقد جاء التنصيص على هذه العلة في قول عائشة : (يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا) .

م (١٢) : كل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، وكل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال ﷺ: (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا).

م (١٣) : **الجاهلية نوعان** : زمانية وحالية .

م (١٤) : **تحريم الوفاء بالنذر في مواطن الشرك:**

إذا كان في البقعة شرك ومحل لوثن أو عيد واعتباره نذر معصية ، بنص الحديث (لا وفاء في نذر معصية).

م (١٥) : **الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم وأوثانهم، ولو لم يقصده.**

معنى العيد وضابطه سيأتي في مبحث الأعياد .

م (١٦) : الرافضة أول من أحدث الشرك وعبادة القبور وبنى عليها المساجد.

م (١٧) : **فائدة : لمح النبي ﷺ في خطبته قبل موته لفرقتين:**

في حديثه يتبين الرد على الطائفتين الرافضة المبغضين لأبي بكر والصحابة والواقعين في الشرك والجهمية المعطلين للصفات ومنها المحبة والخلة.

م (١٨) : **درجات الصلاة في المقبرة وعند القبر :**

١- إن قصد القبر بالعبادة فهذا شرك أكبر .

٢- إن قصد الله بالعبادة لكن ظن أن المقبرة مباركة والأجر فيها أعظم.

فهذا شرك أصغر وبدعة منكرة محرمة.

٣- إن صلى في القبر وفاقا من غير قصد ، ففعله مكروه وصلاته باطلة.

م (١٩) : **بطلان الصلاة في المقبرة :**

من صلى الفريضة في المقبرة فصلاته فيها باطلة وتجب عليه إعادتها ، لأنه جاء النهي عن الصلاة في المقابر والنهي يقتضي الفساد .

م (٢٠) : **تسمية القبر وثناً وطاغوتا :**

القبر إذا عُبد سمي وثناً بنص الحديث ويعتبر طاغوتا ، أما صاحبه الميت فيه إن كان صالحا فلا يسمى طاغوتا كما سميت صنم اللات طاغوتا دون الذي نسبت له الرجل الصالح .

م (٢١) : **تنبيه** : كل الأحاديث المتعلقة بزيارة قبر النبي ﷺ باطلة ولا تصح .

وقد فند ردها ابن عبد الهادي في الصارم المنكي في الرد على السبكي .

م (٢٢) : **حكم الصلاة في الكنائس ودخولها :**

الأصل في دخول معابدهم المنع إلا بشرطين: الحاجة وخلوها من المحذور .

ويدل لذلك قول عمر رضي الله عنه : (لا تدخلوا على المشركين في معابدهم فإن السخطة تنزل عليهم) رواه البيهقي . وقد صلى عمر رضي الله عنه في كنيسة بيت المقدس.

وذهب بعض أهل العلم من الشافعية وغيرهم إلى تحريم دخولها مطلقا.

م (٢٣) : يدخل في هذا الباب النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وغروبها:

لأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان فيسجد لها الكفار فنهانا الرسول ﷺ عن الصلاة في هذا الوقت كما روى مسلم ، وذلك قطعا لمادة التشبه بالكفار وعباد الشمس، ولسد باب الشرك حيث قد يظن الجهال أن الصلاة للشمس .

م (٢٤) : تعلق أبواب (الغلو، المواضع الشركية، القبور) بموضوع التبرك:

التبرك بما لم يشرعه الله : كالتبرك بالأحجار والأشجار والمواضع وآثار الصالحين وتراب الحرم، والآثار والأماكن التي مر عليها الرسول ﷺ .

الفصل الثامن عشر: حكم رعاية الآثار وتعظيمها

الآثار : المقصود بها مخلفات الأمم السابقة والمواقع التي تعلق بها تواريخ قديمة كالبنايات والجبال والقبور.

ورعايتها تعني الاهتمام والعناية بها ولفت الناس لها وجعلها مزارا .

وهذه دعوة إلحادية جديدة، مصدرها الوثنية بثوب جديد، وهدفها إحياء الشرك وتقديس الوثنية ونشرها، فأقاموا المتاحف لحفظ هذه الخرافات والشركيات .

وإذا كان الرسول ﷺ كسّر الأصنام وأمر بإتلافها وحرم بيعها كما في الحديث المتفق عليه، فإن هؤلاء ينهون عن ذلك ويجرّمون من يفعله، وما فعله عباد الأصنام في زماننا من أدعياء الإسلام من أذناب الغرب الوثني حين قامت طالبان بهدم أوثان بوذا بأفغانستان عنا ببعيد، حتى أرسلوا لجنة تضم من علماء المسلمين لثنيهم عن هدمها فأي جهل بالتوحيد بعد هذا وأي كفر بملة إبراهيم الهادم للأصنام فوق هذا، وإن من أعظم أهداف هذه الدعوة الجاهلية نشر الشرك والخرافات، وتمزيق وحدة المسلمين وهدم باب الولاء والبراء وإحياء القوميات والدعوات الشركية الجاهلية .

ونهى النبي ﷺ عن دخول مدائن صالح في الحجر:

وقال: (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا إن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم ما أصابهم) ثم زجر فأسرع حتى خلفها . متفق عليه.

ومن نظر في حال دعاة القبورية الجدد في بلاد التوحيد مع مدائن صالح وغار حراء ومطالباهم الحثيثة بإحيائها وجلب السياحة الشركية لها، عرف ما يحيكه لنا أعداء الإسلام وشدة مكرهم وخفاء حيلهم ودسهم للإسلام وأهله وعدم فتورهم.

مبحث : ما فعله الصحابة بعد موت الرسول ﷺ من سد ذرائع الشرك وإغلاق أبوابه وقطع السبل المفضية إليه في باب المواضع الشركية :

١- ما فعله الفاروق عمر ﷺ من قطع الشجرة التي حصلت بيعة الرضوان عندها لما رأى بعض المسلمين يتعمد قصدها والذهاب لها .

وقد أخرج فعله هذا سعيد بن منصور في سننه وابن سعد في الطبقات.

٢- دفنه ﷺ للجذع الذي كان يخطب الرسول ﷺ عنده.

٣- نهيه ﷺ عن تتبع آثار الرسول ﷺ .ومن ذلك ما أخرجه عبد الرزاق وغيره عن عمر ﷺ قال: (إنما أهلك من كان قبلكم إتخاذهم آثار أنبيائهم بيعا).

٤- ما أفتى به ابن عمر قزعة بن يحيى لما أراد الذهاب للطور فقال له لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد دع عنك الطور لا تأته) رواه الطبراني وقال الهيثمي رجاله ثقات.

٥- إنكار أبي بصرة الغفاري على أبي هريرة لما زار الطور فقال له: لا تشد الرحال الحديث، ولم يكن الحديث قد بلغ أبا هريرة ثم رواه بعد ذلك عنه وأقر به . روى فعل أبي بصرة أحمد والبزار والطبراني .

٤- إخفاء الصحابة ﷺ لقبر دانيال في عهد عمر لما فتحوا تستر. أخرجه ابن إسحاق في المغازي عن أبي العالية، وذكر الخبر ابن كثير في تاريخه ٢/ ٤٠ .

قال ابن القيم : (ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله) . إغاثة اللهفان ١/ ٢٢٢.

٥- إنكار الحسن بن الحسن وعلي بن الحسين أبناء علي بن أبي طالب على الرجل الذي زار قبر الرسول ﷺ.

فعن علي بن الحسين: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: (لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم). رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى والبخاري في تاريخه والضياء المقدسي في المختارة وغيرهم.

وروى سعيد بن منصور في سننه عن عبد العزيز بن محمد عن سهيل بن أبي سهيل قال : رآني الحسن بن الحسن بن علي عند القبر ، فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى ، فقال: هلم إلى العشاء ، فقلت: لا أريده ، فقال: ما لي رأيتك عند القبر ، فقلت: سلمت على النبي ﷺ ، فقال : إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: (لا تتخذوا قبري عيداً، ولاتتخذوا بيوتكم مقابر، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ما أنت ومن بالأندلس إلا سواءٌ .

٦- عدم إظهار التابعين لقبور الصحابة وهي متفرقة في البلدان أيام الفتوحات، وإن جهلنا بقبورهم أعظم دليل على عدم التفات المسلمين من السلف لقبور الصالحين. وأن وضع القباب والمشاهد والبناء والكتابة عليها ورفعها ليس إلا من دين القبورية المشركين من الصوفية والروافض بعد القرون المفضلة.

٧- إنكار الإمام مالك رحمه الله على من يزور البيوت والمساجد النبوية ويتبرك بآثار النبي ﷺ.وقد ثبت تركه التحديث عن عطاء الخرساني لما كان يمسك بالمنبر الذي كان يخطب عليه الرسول ﷺ وذلك قبل إزالته كما ذكر ذلك القاضي عياض في الشفاء وغيره ، وكذلك أنكر الإمام أحمد هذا الفعل، مما يدل على أن الأمر كان مسلما عند الصحابة والتابعين والقرون المفضلة وأنهم كانوا ينكرون على من يظهر مثل هذه الأفعال لجهل أو تأويل.

وكان الإمام مالك من أشد العلماء نهيا عن الوقوف عند قبر الرسول ﷺ ومثله الإمام أحمد كما هو مروي عنهم .

تنبيه : إذا كان الوثن أو الشيء المتبرك به شجرة سدر :

فتقطع ولا تدخل في النهي عن قطع السدر ولعن قاطعها ، على أن الأحاديث في النهي عن قطع السدر لا يصح فيها شي.

مبحث : الرد على من استنكر هدم الآثار النبوية وإزالتها وادّعى أن الصحابة كانوا يزورون البيوت والمساجد ويتبركون بآثار النبي ﷺ.

و يجاب عن هذا بما يلي :

١ - هذا من الكذب على الصحابة رضوان الله عليهم حيث عملوا على إخفاء كل ما فيه ذريعة لشرك وسدوا باب كل وسيلة مفضية إليه ومن ذلك إزالتهم الشجرة التي حصلت بيعة الرضوان عندها وكذا الجذع الذي كان يخطب الرسول ﷺ عنده كذلك نهيهم عن هذا . ومن ذلك ما أخرجه عبد الرزاق وغيره من قول عمر ﵁: (إنما أهلك من كان قبلكم اتخاذهم آثار أنبيائهم بيعا).

٢- أن التبرك بالرسول ﷺ أمر ثابت ولكن بشعره وعرقه وريقه ونحو ذلك، أما أنهم كان يتبركون بالجلوس في أماكن جلوسه ويتمرغون بالتراب الذي يمر عليه ويتمسحون بالفرش التي يجلس عليها أو يزورون البيوت التي دخلها أو الأماكن التي صلى بها كما هو فعل هؤلاء فإن هذا كله لم يحصل منهم وهو من الافتراء عليهم، كما أنه لم يثبت سنية الصلاة في مسجد غير الثلاثة ومسجد قباء ومن زعم غير ذلك فعليه بالدليل وأنّى لهم ذلك .

٣- أن ما ثبت من فعل ابن عمر حيث كان يتحرى الصلاة في المواضع التي صلى فيها الرسول ﷺ فإذا صادفت طريقه مر بها لا أنه يتعمد الذهاب لها استقلالا، ومع هذا أنكر عليه والده عمر ونهاه عن هذا الفعل بمشهد من الصحابة . وعمر أفقه من ابنه وقد أُمرنا بالاستنان بهدي عمر فهو الملهم وصاحب السنة المتبعة .

٤- ما ثبت من إنكار السلف لهذا الفعل ومن ذلك إنكار الإمام مالك لمن يفعل ذلك بل قد ثبت تركه التحديث عن عطاء الخرساني لما كان يمسك بالمنبر الذي كان يخطب عليه الرسول ﷺ وذلك قبل إزالته كما ذكر ذلك عنه القاضي عياض في الشفاء وغيره ، وكذلك أنكر الإمام أحمد هذا الفعل مما يدل على أن الأمر كان مسلما عند الصحابة والتابعين والقرون المفضلة وأنهم كانوا ينكرون على من يظهر مثل هذه الأفعال لجهل أو تأويل.

٥- ثم مع هذا كله لم يعد هناك شيء ثابت من عهد الرسول ﷺ بل كله ذهب وفني وتحول ولم يعد يعرف شيء منه، وبذلك ينقطع دابر عباد الأحجار والأشجار والمتمرغين على التراب من الرافضة والصوفية ورثة المجوس.

إذا تقرر ذلك فأي الفريقين أحق بالاتباع الصوفية ومن أراد مماشاتهم وإرضاءهم ومتابعتهم في بدعهم ومن هو على شاكلتهم أو الخليفة الراشد عمر ومن معه من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة.

مبحث: الرد على من جوز السفر إلى القبور وشد الرحال إليها :

زعم البعض أن حديث أبي هريرة وأبي سعيد أن النبي ﷺ قال : **(لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)** متفق عليه . لا يفهم منه تحريم السفر لزيارة القبور.

وقالوا : أول من فهم ذلك من الحديث هو ابن تيمية.

والجواب عن هذه الشبهة من أوجه :

١ - أن تحريم شد الرحال للقبور والاستدلال عليه بالحديث السابق ليس من ابتداع ابن تيمية ولا أنه أول من فهم هذا الفهم من الحديث كما زعم البعض بل هو فهم السلف وهو الذي كان عليه عمل الصحابة ومما يدل لذلك: ما أفتى به ابن عمر قزعة بن يحيى لما أراد الذهاب للطور قال :(لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد دع عنك الطور لا تأته) رواه الطبراني وقال الهيثمي رجاله ثقات. كذلك ما رواه أحمد والبزار والطبراني من إنكار أبي بصرة الغفاري على أبي هريرة لما زار الطور فقال له: لا تشد الرحال الحديث، ولم يكن الحديث قد بلغ أبا هريرة ثم رواه بعد ذلك عنه وأقر به . كذلك أيضا إخفاء الصحابة لقبر دانيال في عهد عمر، وكذلك عدم إظهار التابعين لقبور الصحابة المتفرقة في البلدان أيام الفتوحات.

٢- أن مالك من أشد العلماء نهيا عن هذا ومثله أحمد كما هو مروي عنهم .

٣- أن علماء بغداد أيدوا فتوى ابن تيمية وأرسلوا للسلطان الناصر قلوون بأن ما قاله في تحريم شد الرحال للقبور هو الحق الذي لاشك فيه كما في الفتاوى .

٤- أن مما يؤكد تحريم السفر للقبور أن الاستثناء في الحديث مفرغ، بدأ بنفي وحذف المستثنى منه وهذا من صيغ العموم فالرحال لا تشد لا لمسجد ولا لغيره من

البقاع ، ولم تخص المساجد في النهي عن الشد فلم يقل: (لا تشد الرحال لمساجد إلا لثلاثة) كما هو فهمهم الذي خالفوا به فهم الصحابة لا فهم ابن تيمية وحده.

٥- وأما دعواهم أن الرسول ﷺ قد زار قبر أمه فهذا تدليس منهم وتعامي عن الحق وتقليد للغير، ذلك أن الكلام عن شد الرحال والسفر للقبور وليس زيارتها، ومن المعلوم أن الرسول ﷺ لم يسافر لقبر أمه وإنما مر عليه وهو في طريقه في السفر فزيارة قبرها كان منه تبعا لا استقلالا .

٦- أما معارضة الحديث بالسفر لطلب العلم وصلة الرحم فإن هذا لاوجه له لأن الكلام يدور حول زيارة البقاع والأراضي والأماكن التي يحصل الغلو عندها.

شبهات في الباب:

١ – الاستدلال بقوله تعالى: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ الكهف: ٢١.

الجواب: الذين بنوا المسجد لم يذكروا من باب الإقرار لفعلهم ولا المدح لهم بل أخبر الله تعالى عن فعلهم القبيح الغير موافق لدين الله ، ويصدق ذلك ما أخبر به النبي ﷺ عنهم من أنهم يبنون على القبور ويتخذون على قبور أنبيائهم مساجد ، وليس هذا من شرع من قبلنا كما توهم البعض. يدل لذلك ما جاء في الصحيحين:

قال ﷺ:(أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله) .

وقال ﷺ :(لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

٢ – أن مسجد الخيف بمنى بني على قبر سبعين نبيا :

الصحيح الذي روي عن ابن عمر وأبي هريرة أنه صلى فيه سبعون لا أنه قبروا فيه وكيف جاز أن تداس قبورهم لو صح ذلك ، ثم إنه لم يثبت أن أحدا من الأنبياء عاش ومات بمكة غير إسماعيل .

أما أثر ابن عباس عند الدارقطني في أن الملائكة دفنت آدم في مسجد الخيف فباطل سندا ومتنا ، ففي سنده عبدالرحمن بن مالك متروك كما قال الدارقطني، ومنهج الدارقطني كما هو معروف عند المحدثين أنه لا يورد كثيرا من الأحاديث للاحتجاج بها كما فهم الجهال وإنما لبيان علتها ومنها هذا الحديث ، كما أن فيه ابن هرمز وهو ضعيف. وهو مع هذا مخالف للصحاح من لعنة فاعل ذلك .أيضا فلم يكن هناك مسجد في منى وإنما بني بعد ذلك بأزمان بعد ذهاب المعالم والتقادم .

٣- بناء المسجد النبوي على قبور المشركين بعد نبشها :

الجواب: أن هذا دليل على أصل المسألة فالنبي ﷺ لم يبن مسجده إلا بعد أن نبشت القبور فلم يبن المسجد عليها مع أنها قبور محتقرة وغير معظمة.

٤- أمر النبي ﷺ أن يبنى مسجد الطائف مكان طاغوت اللات .

الجواب: أن هناك فرق بين المقصدين ، فبناء المسجد مكان الشرك القصد منه لإزالة أثره وصورته من الموضع ليزول تعلقه من النفوس ، أما من يبني مسجداً أو يتعبد في معابد الوثنيين مع بقاء معبوداتهم أو قبورهم أو آثار شركهم فهذا هو المحذور ولو لم يقصد العابد هذه الأوثان وكذا لو زالت آثارها مع بقاء ذكراها وأطلالها لم تغير فالنهي يبقى على أصله سدا لذريعة الشرك.

٥- المسجد النبوي فيه قبر الرسول ﷺ :

الجواب : أن مسجد النبي ﷺ بني قبل وجود القبر ، والقبر بعد ذلك كان خارج المسجد في بيته ، ثم أدخل الوليد بن عبد الملك لا جزاه الله خيرا في توسعة المسجد دون إقرار أهل العلم بل ثبت إنكار سعيد بن المسيب له وأبان وغيرهم والواجب إرجاع بناء المسجد من جهة القبر كما كان زمن الصحابة .

٦- صلاة الصحابة في الكنيسة ودخولهم معابد أهل الكتاب.

هذا الفعل يجوز من باب الحاجة بشرط خلوها من المحاذير .

قال البخاري : (كان ابن عباس يصلي في بيعة إلا بيعة فيها تماثيل).

قال عمر لما دعاه النصارى للطعام في الكنيسة:(لاندخل كنائسكم من الصور التي فيها) رواه عبد الرزاق. وقال لعلي:(امض بالناس فليتغدوا ودخلوا الكنيسة).

والأصل في دخول معابدهم المنع إلا بشرطين: الحاجة وخلوها من المحذور .

ويدل لذلك قول عمر ﵁ : (لا تدخلوا على المشركين في معابدهم فإن السخطة تنزل عليهم) رواه البيهقي .

وذهب بعض أهل العلم من الشافعية وغيرهم إلى تحريم دخولها مطلقا.

الفصل التاسع عشر : بدع القبور المحرمة

١ - اتخاذ القبور مساجد:

ذكرت الأدلة الناهية عنها في باب عبادة الله في المواضع الشركية.

منها:(لعنة الله على اليهود والنصارى،اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أخرجاه.

٢ - الصلاة في المقبرة والصلاة إلى قبر:

والنهي عام يشمل إن قصد المصلي البركة أولم يقصد ، وإن قصد البركة فهو أشنع وهي عين المحادة لله ورسوله ومخالفة دينه، وقد ذكرت بضعة عشر دليلا،منها:

قال النبي ﷺ: (لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها) رواه مسلم .

٣- الدعاء عند القبور وعبادة الله عندها أو التبرك بها:

ويدل لذلك الأحاديث الواردة في المسألة الأولى ومنها :

قوله ﷺ: (لا تصلوا إلى قبر ولا تصلوا على قبر) رواه الطبراني.

٤ - اتخاذ القبور أعياداً ، وخصوصاً قبر النبي ﷺ:

قال الرسول ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) رواه مالك وغيره مرسلا عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار. ورواه البزار في مسنده موصولا عن أبي سعيد الخدري بسند صحيح.

وله شاهد عند أحمد وغيره بسند صحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ : (اللهم لا تجعل قبري وثنا، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) .

وقال النبي ﷺ : (لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) رواه أحمد وأبو داود .

٥- البناء على القبور ورفعها:

والنهي عن هذه البدعة المنكرة يشمل : بناء المسجد عليها، رفعها، والزيادة على ترابها، أو تجصيصها، أو وضع القباب عليها ، وكل هذا داخل في البناء عليها:

عن جابر قال ﷺ : (نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه) رواه مسلم . وزاد أبو داود: (أو يكتب عليها) .

٦- ترك هدم القباب والمشاهد والمساجد المبنية على القبور، والقبور المشرفة المرتفعة عن الأرض، وهذا الترك محرما فكيف بمن يفعل هذه القباب والتشييد.

قال علي لأبي الهياج الأسدي : (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ : ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) رواه مسلم .

٧- السفر للقبور وشد الرحال إليها وإعمال المطي فيها.

قال ﷺ: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) متفق عليه .

وقد استدلوا به على تحريم السفر للقبور .

وقال النبي ﷺ : (لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد) رواه مالك والنسائي.

وقال : (لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد يبتغي فيه الصلاة) الحديث رواه أحمد.

كما أنكر أبو بصرة على أبي هريرة زيارته جبل الطور بهذا الحديث ، رواه أحمد والبزار والطبراني .

٨- الكتابة عليها :

روى أبو داود: (نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر أو يكتب عليها) .

٩- إسراج القبور وتنويرها :

قال ابن عباس: (لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) . رواه أحمد وأصحاب السنن.

والعلة من تحريم البناء على القبور وإسراجها حتى لا تعظم ثم تعبد.

١٠- زيارة النساء للقبور:

قال ابن عباس كما في المسند والسنن: (لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور).

فائدة: العلة من تحريم زيارة النساء للقبور :

قيل لضعفهن وجزعهن وعدم صبرهن .

والأظهر عندي والله أعلم أنه لتعظيم النساء المشاهد والقبور وسرعة الشرك في النساء ومما يدل لذلك ما جاء في الصحيحين من قوله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة) ، ومن شاهد نساء الروافض والصوفية رأى ذلك جلياً مما يؤكد شدة تعلقهن بالقبور.

تنبيه: مسألة الصلاة في القبور واتخاذها مساجد وما يتعلق بها من مسائل، منها:

أدلة تحريم الصلاة في المقابر وبناء المساجد عليها علة النهي عن الصلاة في المقبرة ، علة عدم إبراز قبر النبي ﷺ ، تسمية القبر وثناً وطاغوتا إذا عُبد، وأن كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، درجات الصلاة في المقبرة ، وبطلان الصلاة فيها وبطلان الأحاديث المتعلقة بزيارة قبر النبي ﷺ، والشبهات المتعلقة بالمسألة .

كل ذلك تقدم بيانه.

المبحث الثاني : القبورية وشرك القبور

وقد أفردتها برسالة مستقلة .

الفصل العشرون : الأعياد

م (١) : تعريفه :

قال ابن تيمية في الاقتضاء : العيد اسم لما يعود من الاجتماع على وجه معتاد عائد إما بعود السنة أو الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك .

م (٢) : العيد يجمع أموراً وضوابطا:

١ - يوم عائد . ٢ - واجتماع فيه . ٣- أعمال تتبع من العادات والعبادات .

م (٣) : ينقسم العيد إلى :

١ - زماني كعيد المولد والوطني.

٢- مكاني كاتخاذ بعض القبور عيدا وتعظيم الأوطان والأمكنة.

م (٤) : دخول العيد في الشرع والدين والعبادة :

العيد من الشرع والدين الذي شرعه الله وأمر به ومن خصائص العبادات، ولا يجوز تشريع الأعياد وابتداعها وذلك من تشريع دين لم يأذن به الله .

م (٥) : المخالفة في الأعياد يكون على ثلاثة أوجه:

١ - ابتداع عيد لم يشرعه الله وتشريعه للناس .

٢- مشاركة الكفار في أعيادهم :

وذلك بحضورها والأكل معهم فيها وتهنئتهم بها وتعطيل الأيام من العمل فيها واللعب فيها والهدايا لهم وقبولها منهم وإعانتهم على إقامتها وإظهار الفرح .

٣- ابتداع أعمال غير مشروعة في الأعياد الشرعية .

م (٦) : من مفاسد الأعياد المبتدعة :

١ – أنها من التشريع الشركي فهي داخلة في عموم الشرك .

٢ – فيها مضاهاة الأعياد الشرعية التي أمر الله بها ومحادة الله ورسوله ومناقضة شرعه.

٣– صد الناس عن شعائر دينهم والقيام بما يجب في الأعياد وتعطيل ما شرعت له.

٤ – التشبه بالكفار.

٥ – إماتة السنن وإحياء البدع.

م (٧) : أمثلة لأعياد بدعية :

عيد الميلاد، النيروز، المهرجانات، رأس السنة، الأولمبيات، عيد الحب، والأم، والأيام الدولية: كيوم الصحة والطفل والتعليم وأسبوع الشجرة والمرور وهكذا .

إحياء المولد النبوي والهجرة والإسراء .

الأعياد الوطنية وأيام الثورة والاستقلال والاعتلاء على الحكم وغيرها.

وهي محرمة سواء سميت بالعيد أو اليوم أو الاحتفال أو الفرح أو غير ذلك .

الفصل الحادي والعشرون : سب أفعال الرب ﷻ الدهر والريح

م (١) : **تعريف الدهر وسبه :**

هو الزمان الذي هو الساعات والأيام والليالي والشهور والسنين.

والدهر ليس من أسماء الله ﷻ كما توهم البعض.

ومعنى أنا الدهر أي مالكه ومدبره كما فسره بتقليب الليل والنهار وتصريفها .

والسب هو الذم والشتم والقدح واللمز.

وله أمثلة لا تكاد تحصر على ألسنة العوام والشعراء الذين يندبون زمانهم.

فيقولون : زمن غدّار ودهر أقشر وزمن أسود وسنة سوء وساعة شر.

والحق أن يقال فيهم: نعيب زماننا والعيب فينا   وما لزماننا عيب سوانا.

م (٢) : **علاقته بالتوحيد** : تحريم سب الدهر والريح لأنه سب لفاعلها وهو الرب ﷻ . ويعتبر هذا الباب من الأبواب المتعلقة بالتأدب مع الله ﷻ وتعظيمه والوسائل التي تحفظ جناب التوحيد وتسد ذرائع الشرك وتغلق أبوابه.

م (٣) : **العلل من تحريم سب الدهر والريح :**

١ – أن في السب قدحاً في باب التوحيد من عدة أوجه :

٢ – عدم الرضا بالله وبأفعاله وأقداره .

٣ – عدم تعظيم الله تعالى والقدح في أفعاله وتنقص تصرفاته .

٤ – فيه إيهام بنسبة الحوادث للخلق وتأثيرهم من دون الله.

م (٤) : **علة النهي عن سب الدهر والريح وعموم أفعال الله:**

١ – أن في سبه سباً لمصرفه وخالقه وفاعله المدبر له .

٢- كذلك يوهم ما تعتقده الدهرية من نسبة التدبير إلى غير الله، وأنه الفاعل والمؤثر، ومثله سب الريح ففيه سب لخالقها ومرسلها .

٣- أيضا فيه تسخط على أقدار الله وأفعاله وربوبيته .

وهذه الأمور تدخل في الشرك الأصغر .

م (٥) : سب الدهر يتعلق بالقدح في توحيد الربوبية والألوهية:

أولاً : وجه دخوله في الشرك في الربوبية : إذا اعتقد أن للدهر تأثيراً وتدبيراً فيه، وأنه الفاعل والمؤثر، ومثله اعتقاد أن الريح مدبرة وتؤثر من دون الله تعالى .

ثانياً: وجه دخوله في شرك الألوهية:التسخط على أقدار الله وعدم الرضا بالله.

م (٦) : السب يقع على أحد ثلاثة أوجه :

١- أنه ظرف الأقدار المكروهة التي حصلت فيه، فهذا محرم للعلل الثلاث.

٢- السب على أن له دخلاً وسبباً وأثراً ، وهذا شرك ويدخل في النوعين :

فإن اعتقد السببية فشرك أصغر وإن اعتقد الاستقلال في التأثير فشرك أكبر.

٣- إخبار محض ووصف لا يقصد منه السب وهذا لا يدخل في المنهي .

كمثل ﴿ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ فصلت: ١٦ ﴿ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ القمر: ٨ ﴿ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ يوسف: ٤٨ ﴿ يَوْمِ نَحْسٍ ﴾ القمر: ١٩ ﴿ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ هود: ٧٧ ونحو ذلك.

م (٧) : مفاسد السب :

١- سب من ليس أهلاً للسب ومن هو خلق مسخر منقاد لأمر الله.

٢- السب متضمن للشرك ، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع.

٣- السب إنما يقع على من فعل هذه الأفعال. استنبط ذلك ابن القيم .

م (٨) : دليل النهي عن سب الدهر :

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ الجاثية: ٢٤ .

قال النبي ﷺ : (قال تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار) رواه البخاري. وفي مسلم: (لا تسبوا الدهر،فإن الله هو الدهر) .

ودليل النهي عن سب الريح :

عن أبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تسبوا الريح) صححه الترمذي.

وقال ﷺ : (لا تلعنوا الريح ، فإنها مأمورة ، وإنه من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه) رواه أبو داود والترمذي.

تنبيه : معنى الروح والنفس : هو من باب التنفيس والتفريج .

قال ﷺ : (الريح من روح الله) رواه أحمد وأبو داود.

وقال ﷺ (لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن) أخرجه الحاكم .

تنبيه: ما يقال عند هبوب الريح ورؤية ما يكره منها :

عن أبي بن كعب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به) صححه الترمذي.

وعند الحاكم والطبراني من دعاء النبي ﷺ : (اللهم لقاحا لا عقيما) .

ومنه : (اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا) .

م (٩) : فائدة : العبد يؤذي الله ﷻ ولكن لا يبلغ أحدٌ ضر الله :

لكن الأذية لا تبلغ إلى الضرر ، وهناك فرق بينهما.

فالله تعالى يؤذيه المخلوق ولا يضره.والأذى ما خف أمره وضعف أثره من الشر والمكروه . فالأذية من الخلق للرب نثبتها في حق الله ﷻ كما أخبر تعالى عن نفسه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ الأحزاب: ٥٧ .

وفي الحديث الصحيح : (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر) رواه البخاري.

قال تعالى في سورتي آل عمران والقتال : ﴿ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـًٔا ﴾ .

وفي الحديث يقول الله : (يا عبادي لن تبلغوا ضري فتضروني) .

وقال تعالى : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذًى ﴾ آل عمران: ١١١ .

وفيما يؤثر عن النبيﷺ (القر بؤس والحر أذى) .

وجه الأذية لأن السب يقع على الله وأفعاله ومن صرفه وخلقه وفعله ودبره .

م (١٠) : ساب الدهر والريح ساب لله، ولو لم يقصده السب بقلبه.

فإن قصد السب لله حقيقة كان كفرا محضا .

م (١١) : حكم سب آيات الله ومخلوقاته والاستهزاء بها :

إن قصد بالسب نفس مخلوقات الله وآياته المخلوقة كالريح والشمس فقد وقع في أمر محرم ويدخل في النهي الوارد في الحديث.أما إن قصد بالسب خالقها وفاعلها فهذا كفر محض ، أو سب آيات الله الشرعية فكفر .

ولا يدخل في السب المنهي الاستهزاء بالكفار وآلهتهم وسبهم فهذا مشروع.

م (١٢) : المقصود في الآية المتعلقة بسب الدهر ﴿ وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ﴾ طائفتان :

مشركو العرب : الذين ينكرون البعث ، ويزعمون أن الدهور وطول السنين هي المهلكة وليس بعد الحياة الدنيا حياة.

الفلاسفة : وهم مذهبان :

الإلهيون الذين يقرون بالخالق لكن ينكرون البعث ويقولون بقدم العالم.

الطبعيون المنكرون الخالق والبعث معا ، ويزعمون أن الطبيعة خلقت نفسها.

تنبيه : البعث دلت عليه أدلة الشرع والعقل والحس.

م (١٣) : تنبيه : يخشى على من يسب الدهر والريح من لعنة الله :

لأنه يؤذي الله والله يقول ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ الأحزاب: ٥٧ .

وفي الحديث قال ﷺ : (لا تلعنوا الريح ، فإنها مأمورة ، وإنه من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه) رواه أبو داود والترمذي.

م (١٤) : **حقيقة سب الريح** :الكلام في سب الريح كالكلام عن سب الدهر .

والريح مأمورة ومن ضعف العقل والحمق سبها . وفي سبها سب لمدبرها .

م (١٥) : سب الريح كفر في حالتين :

إن اعتقد أنها مستقلة في التأثير وليست مدبرة مربوبة.

إن قصد بالسب خالقها ومدبرها ومرسلها فسب الله لذلك.

م(١٦) كراهة الريح لايدخل في النهي للحديث (إذا رأيتم منها ما تكرهون).

تنبيه : الريح فيها خير كسوق المطر واللقاح. وشر كالباردة والجافة والعقيم .

م (١٧) : من هذا الباب النهي عن سب الحمى:

قال ﷺ : (لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم) رواه مسلم .

م (١٨): ينبغي التربي والتعود على تطهير اللسان من سيء القول والسباب .

الفصل الثاني والعشرون : الحلف

مقاصد مبحث الحلف: عدم الشرك في الحلف ، والصدق فيه ، والرضا ممن يحلف له وحفظ اليمين وعدم الإكثار منه ، والتأدب مع الله ﷻ وتعظيم الله حال الحلف من الحالف ومن المحلوف له وهذا من الوسائل التي تحفظ جناب التوحيد.

م (١) : **تعريف الحلف :**

هو: تأكيد الكلام بصيغة الجزم وأداة القسم مقترناً باسم من أسماء الله أو صفة من صفاته ، وهي الباء والواو والتاء ، وكذا لفظ أحلف وأقسم .

ويسمى : اليمين والقسم والحلف والإيلاء .

واليمين ثلاثة أنواع: منعقدة ، لغو غير مقصوده ، غموس.

م (٢) **قاعدة** : يجوز الحلف بصفات الله مثل : وعهد الله ، ودين الله .

م(٣) : الحلف بالأمانة : لا يجوز .

جاء في الحديث : (من حلف بالأمانة فليس منا) رواه أحمد وأبو داود.

تنبيه : قول العامة في وجهي وأنا في وجهك وأدخل عليك وأطلبك .

ليس من الحلف وإنما هو من الاستعانة والمحالفة والحماية.

م (٤) : حلف الله بالمخلوقات هذا لله فله أن يقسم بما شاء من خلقه وليس لخلقه أن يقسموا إلا به.

م (٥) : **الأدلة على تحريم الحلف بغير الله وبيان أنه من الشرك :**

قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٢.

وفسر ابن عباس الأنداد في الآية: بالحلف بغير الله ونحوه. رواه ابن أبي حاتم.

١ – عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) رواه أبو داود والترمذي وأحمد والحاكم.

٢ – قال النبي ﷺ :(ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) رواه البخاري ومسلم .

تنبيه : النهي عن الحلف بالآباء ليس له مفهوم ، فالحلف بغير الله يحرم مطلقا بالآباء أو بغيرهم.

٣– عن قتيلة أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: (ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت) رواه النسائي وأحمد والحاكم.

٤ – عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال:(لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق ،ومن حلف له بالله فليرض،ومن لم يرض فليس من الله)رواه ابن ماجه بسند حسن.

م (٦) الجواب عن حديث: (أفلح وأبيه)، وحديث أبي هريرة عند مسلم (نعم وأبيك) فهي لفظة منكرة غير محفوظة ، ثم يقال في الجواب عنها أوجه:

الأول: أن هذه اللفظة ليست للحلف، وإنما تجري على الألسنة من غير قصد القسم ومثلها العبارات التي تجري مجرى الدعاء من غير قصده كثكلتك أمك .

الثاني: أن الواو ليس للحلف وإنما للعطف والمعنى أفلح وأفلح أبيه ، لأن فلاح الابن فلاح لأبيه غالبا .

الثالث : أن هذا الحلف كان منه ﷺ قبل النهي عنه، ويدل لذلك حديث قتيلة السابق، عليه فالحلف بالآباء منسوخ .

م (٧) : أحوال الحلف بغير الله :

١ - يكون شركاً أكبر إذا اعتقد أن المحلوف به مساوٍ لله تعالى، وحصل في قلبه التعظيم وقارنه الذل للمخلوق المحلوف به والمهابة والخوف منه، ويعد هذا الصنيع شركا أكبر لكون الحالف صرف خصيصة من خصائص الألوهية والربوبية للمخلوق ، كما هو حال القبورية الذين جعلوا جهد أيمانهم الحلف بالشيوخ والأولياء، فإذا طلب من أحدهم الحلف بالله وهو كاذب حلف فإذا طلب منه الحلف بالولي والميت توقف خوفا وإجلالا .

٢ - يكون شركاً أصغر : وهذا إذا كان مجرد لفظ من غير قصد التعظيم والتذلل كما جرى على ألسنة البعض الحلف بالأمانة والشرف والنبي وحياة الأب .

فكون شرك الألفاظ من الشرك الأصغر مرجعها ومدارها على القصد والاعتقاد .

م (٨) : خطأ بعض الفقهاء في قولهم إنه يطلب من الخصم أن يحلف بغير الله:

وذلك إذا عرف عنه أنه لا يحلف به كاذبا . ومثل ذلك قول بعضهم يطلب من الحالف أن يحلف عند مكان معظم وذكر بعضهم القبر وصخرة بيت المقدس وهذا من الجهل والبعد عن مقاصد الشريعة .

قال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبا أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقا.

رواه الطبراني والصنعاني وابن أبي شيبة والطبري .

وذلك لأن الحلف بغير الله شرك ، وأما الكذب فهو كبيرة وليس بشرك، والشرك أعظم ذنب عصي الله به ولذلك لا يغفره الله تعالى .

م (٩) : **كفارة الحلف بغير الله :**

أن يقول الحالف لا إله إلا الله ، ويستغفر ، ويدل لذلك : (من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله) ، وفي رواية فليستغفر . متفق عليه

م (١٠) : **الوعيد في من لم يقنع بالحلف بالله :**

لأن عدم القنوع باليمين فيه عدم تعظيم الله وينافي الأدب معه وكمال توحيده.

ولكن إذا كان الحالف معروفاً بالكذب فلا يشمله الحكم بوجوب الرضا.

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض. ومن لم يرض فليس من الله) . رواه ابن ماجه.

تنبيه: إذا كان الحالف معروفاً بالكذب فلا يشمله الحكم بوجوب الرضا بيمينه ، ويدل لهذا أحاديث منها حديث حويصة ومحيصة وقولهم للرسول ﷺ كيف نرضى يا رسول الله بأيمان اليهود) متفق عليه ، ولم ينكر عليهم .

فائدة : قول عيسى ﷺ في الرجل الذي رآه يسرق فحلف أنه ما سرق : (آمنت بالله وكذبت عيني) متفق عليه .

قيل الرجل لم يسرق في الحقيقة وربما يكون قد أخذ ما له حقٌّ فيه .

والصواب أنه كان سارقا وصدق عيسى يمينه تعظيما ومهابة واحتراما لله ﷻ.

م (١١) : **وجوب حفظ اليمين والنهي عن عدمه وعن كثرة الحلف :**

والعلة في كل ذلك لما فيه من منافاة تعظيم الله .

قال الله تعالى: ﴿ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾ المائدة: ٨٩﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ ﴾ البقرة: ٢٢٤﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ القلم: ١٠.

م (١٢) : الحفظ يكون بأمور :

١ - الحلف بالله وحده وعدم الحلف بغير الله تعالى .

٢ - عدم الحلف بالله أصلا إلا للحاجة .

٣ - عدم الإكثار من الحلف .

٤ - عدم استعمال الحلف في الأمور الحقيرة والدنيوية .

٥ - عدم استعمالها في البيوع ، وهذا محرم ووردت الأحاديث المحرمة له.

٦ - الوفاء بما حلف عليه وعدم الحنث إلا للمصلحة.

٧ - القيام بالكفارة إن حنث في حلفه .

٨ - عدم الكذب ، والكذب في اليمين عمدا يسمى الغموس لأنها تغمس في الإثم والعقوبة ، ويستثنى من حلف كاذبا لدفع ضرر لا يستحقه وهو مكره .

وكل هذه الصور تنافي حفظ اليمين ، وتنافي تعظيم الرب وكمال التوحيد .

م (١٣): يحرم استعمال اليمين في البيوع ، وقد وردت الأحاديث بذلك:

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب) متفق عليه.

عن سلمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه) رواه الطبراني بسند صحيح.

م (١٤): لا تطلب اليمين ممن عرف بعدم احترامها والكذب فيها تعظيما لله.

عن ابن مسعود ﷺ قال ﷺ: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)رواه البخاري.

عن عمران ﷺ : (ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون) رواه البخاري.

قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

م (١٥) : الكفارة واجبة في اليمين المنعقدة لا أيمان اللغو :

قال تعالى :﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾ المائدة: ٨٩ .

م (١٦) : يدخل في هذا الباب وجوب إجابة من سأل بالله، وهذا من لوازم تعظيم الله ، ولهذا بحث مستقل في بابه .

الفصل الثالث والعشرون : التسوية اللفظية وشرك الألفاظ

أمثلة المسألة : كقول: ما شاء الله وشئت ، مالي إلا الله وأنت ، توكلت على الله وعليك ، من الله والوقت، أعوذ بالله وبك.

حقيقة قول: (ما شاء الله وشئت) أن فيه قدح في التوحيد وشيء من الشرك ، لما فيها من التعلق بغير الله والتوكل على الخلق ، ونسبة الحوادث للخلق ، ولما فيها من نسبة شيء من التدبير والتأثير لغير الله، وهي داخلة في عموم شرك الأسباب .

م (١) : معنى المشيئة من الفعل شاء يشاء بمعنى أراد.

م (٢) حقيقة الشرك في قول ما شاء الله وشئت، ولولا الله وفلان لصار كذا:

شرك لأن فيها نسبة شيء من التدبير والتأثير والحوادث لغير الله .

إن اعتقد أنه يساوي الله في التدبير والمشيئة وأن هذه الأمور تؤثر وتدبر فهذا شرك أكبر ، وإن لم يعتقد ذلك واعتقد أن الله وتعالى فوق كل شيء لكن اعتمد على السبب وساواه بالمسبب فهذا شرك أصغر.

تنبيه : هذه اللفظة تقدح في توحيدي الألوهية والربوبية:

شرك ربوبي باعتقاده وجود مدبر مريد مع الله، وألوهية بتوكله على المخلوق.

تنبيه: كره إبراهيم النخعي قول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك.

الاستعاذة كالاستغاثة لا تطلب إلا من الله إلا ما كان تحت قدرة المخلوق.

م (٣) : فعل المشيئة يوصف بها الرب ﷻ والعبد: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾.

ومشيئة الله أحد مراتب القدر الأربع .

والعبد له مشيئة حقيقية لكنها داخلة تحت مشيئة الله ولا تحصل إلا بقدر الله.

ومشيئة الله تنكرها القدرية وتزعم أن الله لم يقدر ويشأ ويخلق أفعال العباد .

ومشيئة العبد تنكرها الجبرية .

م (٤) : الأدلة المحرمة لقول: ما شاء الله وشئت :

١- عن حذيفة ﷺ عن النبيﷺ قال: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان) رواه أبو داود بسند صحيح.

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: (أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده) .

وفي رواية (أجعلتني لله عدلا؟ قل ما شاء الله وحده) رواه أحمد .

٣- عن قتيلة أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: (ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء ثم شئت) رواه النسائي وأحمد والحاكم.

٤- حديث الطفيل الزهراني أخي عائشة لأمها:(فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده) رواه ابن ماجه. **وفي الحديث مسائل:**

١- معرفة اليهود بالشرك الأصغر، مع مكابرتهم للحق وامتناعهم عن اتباعه.

٢- حكم العبارة بينته الرؤيا وهي من الوحي وقد شرع بها أحكام كالأذان.

٣- هذه العبارة ليست من الشرك الأكبر لأنها لو كانت منه لما أخر إنكارها .

٤- معنى (يمنعني كذا) :المانع له ﷺ هو الحياء ، كما جاء مصرحا به في رواية .

٥- تنبيه : هناك حِكمٌ كثيرة في كون هذه اللفظة المنكرة لم ينكرها إلا اليهود.

م (٥) : الفرق بين الواو وثم في (ما شاء الله ثم شئت / ولولا الله ثم فلان) :

أن ثم تقتضي التعقيب والتراخي والواو تقتضي التسوية والتشريك .

وأكملها قول ما شاء الله وحده .

وما شاء الله ثم شاء فلان تجوز.

أما ما شاء الله وشاء فلان فلا تجوز.

التسوية إن كانت في اعتقاد الاستقلال بالفعل والشراكة في القدرة والتأثير فهذا شرك أكبر، وإن كانت التسوية في اللفظ فقط ومجرد السبب فهذا من الأصغر.

م (٦) : المقارنة بين هذه اللفظة وبعض ألفاظ القبورية المشركة :

إذا كان هذا قوله ﷺ أجعلتني لله ندا؟ فيمن قال ما شاء الله وشئت، فماذا سيقول فيمن قال: يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك وأبياته البقية في قصيدته.

قال ابن القيم في الجواب الكافي: (ومن الشرك به سبحانه الشرك به في اللفظ، كقول القائل للمخلوق: ما شاء الله وشئت، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: (ما شاء الله وشئت. فقال: أجعلتني لله نداً، قل ما شاء الله وحده)أحمد. وهذا مع أن الله أثبت للعبد مشيئة كقوله: (لمن شاء منكم أن يستقيم) ، فكيف من يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا من حسب الله وحسبك، وما لي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض، ويقول: والله وحياة فلان، أو: يقول: نذراً لله ولفلان، وأنا تائب لله ولفلان، وأرجو الله وفلاناً، ونحو ذلك؟ فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول القائل: (ما شاء الله وشئت)، أيها أفحش؟ يتبين لك أن قائلها أولى بجواب النبيﷺ لقائل تلك الكلمة.

وأنه إذا كان قد جعله نداً لله بها، فهذا قد جعل من لا يـداني رسـول الله ﷺ في شيء من الأشياء، بل: لعله أن يكون من أعدائه؛ نداً لرب العالمين).

م (٧) : الجمع بين النهي عن قول هذه الألفاظ وبعض العبارات المشروعة :

أولاً : الجمع بينها وبين قوله تعالى: ﴿أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ التوبة: ٧٤، ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ الأحزاب: ٣٧.

١ – أن هذا من كلام الله وله تعالى أن يخبر بما شاء .

٢ – أن إثبات ذلك مقيد والرسول ﷺ سبب في هذه الأمور، فقد أنعم على زيد بالعتق والناس بالصدقة، والله المنعم حقيقة وهو المغني والعالم حقيقة .

٣– أن النهي عن هذه الألفاظ من باب سد الذريعة ولتحقيق تعظيم الله تعالى وإفراده بالتصرف والمشيئة والكمال والنفع والضر والقدرة والخلق والتأثير .

ثانياً : الجمع بينها وبين قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ النور: ٥٢.

أن طاعة الرسول ﷺ طاعة لله تعالى .

ثالثاً : الجمع بينها وبين حديث: (إن الله ورسوله حرم) متفق عليه .

أن تحريم الرسول ﷺ هو بتحـريم الله ﷻ فلـيس الرسـول ﷺ مـشرّعاً للـدين استقلالا وإنما هو مبلغ عن الله دينه وشرعه.

أما إنكار الرسول ﷺ على الخطيب الذي قال : (ومـن يعـصهما فقـد غـوى) فقال له : (بئس الخطيب أنت) رواه مسلم.

فلأن الخطيب كان قادرا على الإتيان بالاسم الظاهر، ثم أراد أن ينبه المسلمين للتأدب مع الربوبية وعدم الغلو فيه وقرنه بالله في المنزلة مما قد يفهم منه تسويته بالله .

رابعاً : الجمع بينها وبين قول عائشة: (أتوب إلى الله ورسوله) رواه البخاري.

أن التوبة بمعنى الرجوع اللغوي ويكثر هذا على ألـسنة النـاس، أو أن التوبـة للرسول توبة لله مثل الطاعة وليست العبادة والأول أقرب.

ويؤيد ذلك قول الأعرابي اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال ﷺ : (عرف الحق لأهله) رواه أحمد.

ومثلما سبق قول الصحابة زمن حياة الرسول ﷺ : (الله ورسوله أعلم) .

الفصل الرابع والعشرون : قول : (لو / لولا)

م (١) : علاقة لو بالتوحيد: لو تقدح في التوحيد ويظهر ذلك من ملحظين :

الأول : أن قول لو تقوم على التسخط على القدر والجزع والتحسر والندم.

والتوحيد لا يتم إلا بالرضا بالله وبالقدر والاستسلام لله في كل شيء وعدم التسخط على أفعاله وأقداره.

الملحظ الثاني : أن قول لو فيه التفات للسبب وإيهام استقلاله بحصول المطلوب، وفي هذا نسبة الحوادث لغير الله وتعلق بالأسباب وتسوية الخالق بالمخلوق في الفعل والسبب والتأثير، وفي هذا أيضا منافاة للتوكل الذي تقوم عليه العبادة .

من هنا يتبين مخالفة هذه الكلمة للتوحيد وفتحها لباب الشرك ، وعليه فهي داخلة في الشرك الأصغر ويعد من الوسائل التي قد توصل إلى الشرك الأكبر.

م (٢) : الأدلة الواردة في لولا ولو :

١ –قال تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

قال ابن عباس في تفسير الآية : (الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل . وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص. ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانا ؛ هذا كله به شرك) رواه ابن أبي حاتم.

٢ – قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾ آل عمران: ١٥٤ .

٣- حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول ﷺ قال: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان) رواه مسلم.

م (٣) : وقفات مع الحديث :

١ – حال العبد مع الأمر المراد :

قبل وقوعه عليه بما يلي: الحرص على ما ينفعه في دينه ودنياه ، الاستعانة بالله والتوكل على الله ، القيام به وعدم العجز والتواكل والتفريط في الأسباب.

بعد وقوع المراد إن حصل ما يريد من خير يشكر الله .

وإذا لم يحصل يتسلى بالصبر ويتعزى بالقدر ويقول ما ورد في الحديث .

٢ – أقسام الناس عند المصائب :

جازع متسخط ، يقول : لو أنني فعلت كذا لكان كذا وكذا .

صابر يقول : قَدَر الله وما شاء فعل . والدال بالتخفيف ويصح فيها التشديد.

٣- فائدة : عمل الشيطان الذي تفتحه لو : الوسوسة والتسخط والحزن .

م (٤) : قاعدة:حقيقة الشرك في قول لو ولولا :

١ – أن قول (لو) تقوم على التسخط على القدر والجزع والتحسر والندم.

والتوحيد لا يتم إلا بالرضا بالله وبالقدر والاستسلام لله في كل شيء وعدم التسخط على أفعاله وأقداره.

٢ – أن قول (لولا) شرك لأن فيها نسبة شيء من التدبير والتأثير لغير الله.

وهي داخلة في باب شرك الأسباب والاعتماد عليها ونسبة الحوادث للخلق.

والقاعدة في هذه الألفاظ معروفة متى تكون من الشرك الأصغر أو الأكبر.

يزيد لفظ (لولا الله وفلان) أن فيه التسوية في اللفظ الموهم التسوية في التأثير.

م (٦) : **وجه كون (لو) قادحة في كمال التوحيد :**

١ - أنه ينافي كمال التوكل الذي تقوم عليه العبادة .

٢ - أن فيه تسخطاً على القدر وعدم الرضا عن الله وأقداره.

٣- نسبة الحوادث لغير الله وتعلق بالأسباب.

٤ - تسوية الخالق بالمخلوق في الفعل .

م (٧) : **حالات قول (لو) :**

١ - إذا كان لتمني الخير فهو جائز ومنه قوله ﷺ : (لو استقبلت من أمري ما استدبرت لسقت الهدي) . وقول لوط : ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾ هود: ٨٠.

٢ - أن تكون للجزع والتسخط والاعتراض على القدر أو تمني الشر ، فهذا محرم وهو الذي ورد النهي عنه . (وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا).

٣- إن كان لبيان سبب حقيقي في الأمر فلا بأس : كقول النبي ﷺ عن أبي طالب : (لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) .

م (٨) : **الفرق بين لو ولولا :**

لو : المقصود منها الاعتراض على القدر وعدم الرضا ، مثال : لو سافر ما قتل.

لولا : المقصود منها هنا نسبة الحوادث للمخلوق والاعتماد على السبب.

مثال : لولا كذا أو لولا الله وفلان لما صار كذا ، وهذا شرك تسوية في اللفظ

م(٩) **فائدة** : لفظ (**ليت**) قد تكون مثل لو في الدلالة فتأخذ نفس الحكم .

الفصل الخامس والعشرون : الألفاظ الشركية

وتحته اثنا عشر مبحثا:

أولاً: الإلحاد في أسماء الله تعالى : أنواعه وصوره:

١ – تعطيل الله من أسمائه وصفاته .

٢ – تمثيل الله بخلقه ، ومن ذلك تسمية الله ﷻ بأسماء المخلوقين.

٣– تمثيل المخلوق بالرب ، ومن ذلك تسمية المخلوق ببعض أسماء الله .

ومن أعظم ذلك إلحادا تسمية الأصنام والآلهة الباطلة بأسماء الله تعالى.

٤ – تسمية الله بما لم يسم به نفسه ، أو بما لا يليق كالأب والواجب والصانع.

٥ – تحريف معاني أسمائه وصفاته وتأويلها.

٦ – ادعاء أن معانيها مجهولة ولا تعرف وتفويض معانيها.

٧– تكييف صفات الله .

٨– وصفه سبحانه بالنقائص كالنوم والتعب والولد .

٩ – ادعاء أنها جامدة غير مشتقة، أو أنها مخلوقة .

وكل هذه الصور داخلة في حقيقة الشرك.

قال قتادة : يلحدون يشركون . أخرجه ابن أبي حاتم .

والإلحاد منه ما هو مناف لأصل التوحيد ، ومنه ما هو مناف لكماله .

ثانياً : التسمي بأسماء الله والتشبه بها ووجوب احترامها :

عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: (إن الله هو الحكـم، وإليه الحكم. فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم فـرضي كـلا الفريقين. فقال: ما أحسن هذا فما لك من الولد؟ قال شريح ومسلم وعبد الله. قـال: فمن أكبرهم؟ قلت: شريح. قال: فأنت أبو شريح) رواه أبو داود وغيره.

م (١) : العلة من النهي عن التشبه بأسماء الله تعالى وتغيير الأسماء المشابهة :

العلة في ذلك ظاهرة : ويمكن إرجاعها لقاعدتين :

الأولى : أن في ذلك من تعظيم المخلوق وتشبيهه بالرب ﷻ وهذا قد يؤدي إلى الشرك بالمخلوق وعبادته وهذا ينقض التوحيد من أصله.

الثانية : لما يلزم منه القدح في عظمة الله وجعل المخلـوق بمنزلـة الخـالق وأنـه ليس بأرفع وأعظم من خلقه .

م (٢) : ما يدخل في باب احترام أسماء الله :

١ – أن لا يسمى المخلوق بأسماء الله تعالى .

٢ – أن لا يسمى الله ﷻ بأسماء الخلق .

٣– أن لا يسمى المخلوق باسم يشعر بصفة اختص الله بها كملك الملوك .

٤ – أن لا يعبد العبد لغير الله في الاسم كعبد الرسول والمسيح.

٤ – أن لا ينكر شيئاً من أسماء الله وصفاته ولا تحرف معانيها .

م (٣) : احترام أسماء الله وما يخالف ذلك له درجتان :

الأولى : ما هو ركن في التوحيد ويعتبر من أصله الذي يكفر من نقضه .

مثل تسمية الأصنام بالعزى ونحوها وكتسمية القبورية الغلاة بعض الأولياء الأموات بمالك الأمور وخازن السماء ونحوها ، فهذا شرك أكبر .

الثانية : ما هو من كمال التوحيد الذي يعتبر من قدح فيه واقعاً في الشرك الأصغر ، ومثاله ما جاء في حديث الباب .

م (٤) : الاحترام يكون بالقلب واللسان والجوارح .

ومن صور احترام أسماء الله تعالى:

أن لا ترمى إذا كانت مكتوبة في أوراق في الزبل ولا تدعس بالقدم .

وأن لا تصغر أسماء الله تعالى ، كأن يقال في قاهر قويهر .

وأيضا لا يصغر ما عبد بأسمائه كأن يقال في عبد الرحمن رحيّم ودحيّم ودحمان وعزوز تصغير عبد العزيز ونحو ذلك مما هو شائع في ألسنة العامة .

م (٥) : تنبيه بليغ :

إذا كان الرسول ﷺ غير كنية أبي الحكم لما فيها من منازعة الله صفته الحكم من حيث الاسم مع عدم حكمه بغير ما أنزل الله فكيف الحال بمن نازع الله هذه الصفة من أصلها من مشركي زماننا فادّعى لنفسه الحكم والتشريع والتحليل والتحريم ، وهذا كفر أكبر بواح بلا خلاف .

م (٦) : لم لم يغير الرسول ﷺ اسم حكيم بن حزام والحكم الغفاري ؟

والجواب : أن هذه أعلام محضة لم يقصد فيها الصفة التي هي الحكم .

ومن هذا الباب أيضاً جواز إطلاق كلمة الأخ الكريم والعزيز مالم يقصد مشابهة اسم الله تعالى.

ثالثاً: التسمي بملك الملوك وقاضي القضاة :

دليل تحريم هذه العبارة :

حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إن أخنع اسم عند الله رجل تسمَّى ملك الأملاك ، لا مالك إلا الله) متفق عليه.

وفي رواية: أغيظ ، وفيه إثبات صفة الغيظ لله ﷻ على الحقيقة .

ومعنى أخنع : أوضع وأحقر وأخس وأسوأ وأخبث.

العلة من التحريم :

أن التسمي بقاضي القضاة ونحوه فيه قدح في التوحيد محرم من جهتين:

الأولى: تنقص عظمة الله من ناحية تشبيه المخلوق بالخالق في الاسم والمكانة.

الثانية: فيه تعظيم المخلوق مما قد يؤدي إلى الشرك به فصار وسيلة له.

هذا الباب فيه مشابهة : لباب التعبيد لغير الله ، وباب قول ربي وعبدي ، وباب احترام أسماء الله، وباب من جحد شيئا من الأسماء وغيرها.

مسألة : ومثل هذه التسمية المنكرة : إطلاق لقب ملك القلوب والإنسانية وصاحب الجلالة وصاحب الفخامة ، ومثل ذلك أيضاً : شيخ الإسلام وقاضي القضاة والمفتي الأكبر وحجة الإسلام.

رابعاً : التعبيد لغير الله وشرك التسمية .

م (١):حكم التعبيد لغير الله وأقسامه :

أولاً : يعتبر محرما ومن الشرك الأصغر إذا قصد به مجرد التسمية.

ثانياً : يكون شركا أكبر إذا كان المقصود منه العبادة.

ويظهر هذا المعتقد كثيرا فيمن يسمي بعبد علي وعبد النبي.

م (٢) : الجواب عن قول الرسول ﷺ أنا ابن عبد المطلب :

١ – أنه من باب الإخبار وليس الإقرار .

٢ – أن عبد المطلب اسمه شيبة الحمد ، وسمي بعبد المطلب لأنه دخل مكة مع أخيه المطلب وكان غلاما أسمر اللون فظنت قريش أنه عبد له فقالوا عبد المطلب فاستسمى بذلك، فيكون (عبد) هنا بمعنى رقيق وليس تعبيد العبادة فالرسول ﷺ غير من كان اسمه عبد شمس لما كان في التسمية معنى العبادة .

م (٣) :التحقيق فيما نسب لآدم من وقوعه في الشرك بتسمية ابنه بعبد الحارث:

اعلم أن أهل العلم قد اختلفوا في وقوع آدم في الشرك وثبوت ما نسب إليه مع إجماعهم أن المقصود به الشرك الأصغر وليس الأكبر .

فذهب جماعة من السلف إلى أن آدم وحواء وقعا في الشرك مستدلين بقوله تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٩ – ١٩٠ .

وقالوا : إن المقصود بها آدم وحواء واستدلوا لذلك :

بحديث سمرة بن جندب ﷺ أن النبي ﷺ قال : (لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبدالحارث فإنه يعيش فسمته عبدالحارث فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره) رواه أحمد والترمذي وحسنه والحاكم.

وقوله ﷺ : (خدعهما مرتين) أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير.

ثم إنهم فسروا الشرك هنا بأنه كان في التسمية لا في العبادة .

لكن الصحيح أن آدم وحواء لم يقعا في الشرك ، وأن الذي وقع فيه هم المشركون من الذرية وبنو آدم وليس آدم ، كما قال الحسن البصري وغيره ونصره ابن القيم وابن كثير وغيرهم ، وأن معنى الآية: أنه لما أتى آدم وحواء صالحا كفر به بعد ذلك كثير من ذريتهما، وأسند فعل الذرية إلى آدم وحواء لأنهما أصل لذريتهما .

قال الحسن: (كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم) أخرجه الطبري.

قال ابن القيم: (النفس الواحدة وزوجها آدم وحواء، واللذان جعلا له شركاء فيما آتاهما المشركون من أولادهما،ولايلتفت إلى غير ذلك أن آدم وحواء كان لايعيش لهما ولد فأتاهما إبليس فقال: إن أحببتم أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث ففعلا، فإن الله اجتباه وهداه لم يكن ليشرك به بعد ذلك) روضة المحبين ٢٨٩.

خامساً : قول : السلام على الله .

م (١) : **حكم قول : (السلام على الله) :**

يحرم قول هذه العبارة ، ولا يزال بعض العامة بعد الصلاة يقول اللهم أنت السلام وعليك السلام ، والواجب أن يقال ومنك السلام بدل عليك السلام .

م (٢) : **دليل تحريم هذه العبارة** : عن ابن مسعود ﷺ قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان، فقال النبي ﷺ : (لا تقولوا السلام على الله ؛ فإن الله هو السلام) رواه البخاري .

م (٣) : **وجه دخول هذه العبارة في شرك الألفاظ الأصغر :**

أن قول السلام على الله يقدح في التوحيد ويدخل في الشرك من جهتين :

١ – أنه يلزم منه أن الله تعالى محتاج لمن يسلمه وأنه غير سالم من النقص.

٢ – وأن الله سبحانه محتاج لمن يدعو له وهذا يخالف كونه يُدعا ولا يدعا له.

وفي هذا قدح في الرب ﷻ ومناقضة لتعظيمه، وتشبيه له بالمخلوق الناقص.

م (٤) : **علة نهى النبي ﷺ الصحابة عن قول هذه العبارة:** بيّن ﷺ علة النهي وهي أن الله هو السلام ولا يسلّم أحد دونه، فهو المسلم لخلقه السالم من كل نقص، وأما الخلق محتاجون للسلام فمن الذي يسلم الله وهو السلام السالم المسلم سبحانه .

م (٥) : **معنى السلام** :السلام له معنيان :

ثبوتي: أي المسلم لغيره من النقص، وسلبي من السلامة من النقص والعيب.

م (٦) : **الفرق بين التحية والسلام:** يقال التحيات لله ولا يقال السلام لله وعلى الله . لأن التحيات تأتي بمعنى الثناء وبمعنى السلام، فتضاف لله بالمعنى الأول.

سادساً : تعليق الدعاء بالمشيئة ، مثل قول:اللهم اغفر لي إن شئت.

م (١) : حكم قول : (اللهم اغفر لي إن شئت) :

يحرم قول هذه العبارة في الدعاء الديني والدنيوي، ومع ورود النهي عنها إلا أنه لا يزال كثير من الناس يعلق دعاءه بالمشيئة ،كقولهم: الله يعافيك إن شاء الله.

وهذا الحكم يتأكد تحريمه وقد يصل إلى الشرك الأكبر ما لو تحققت العلل في قلب من يقولها ، أنه مستغن عن الله أو أن الله له مكره أو صعب عليه ولا يقدر عليه.

م (٢) : دليل تحريم هذه: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له).ولمسلم: (وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه) رواه البخاري.

١ – نهي النبي ﷺ عن هذه العبارة كما جاء في حديث أبي هريرة عند البخاري.

٢ – قال ﷺ : (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل) رواه الترمذي.

م (٣) : وجه دخول هذه العبارة في شرك الألفاظ الأصغر وعلاقتها بالتوحيد:

أن هذه العبارة فيها تعليق الدعاء بالمشيئة، وهذا يقدح في التوحيد من جهات: إيهام الإكراه والعجز في حق الله والاستغناء عنه، وهذه لوازم فيها سوء أدب معه.

كما أن هذا الباب الاستثناء في الدعاء يتعلق بتوحيدي الربوبية والألوهية :

دخوله في شرك الألوهية أنه ينافي الافتقار لله والتذلل والخضوع وغيرها من المعاني التي تقوم عليها العبودية وهذا من حيث الاستغناء عن الله وعدم الرغبة.

ودخوله في شرك الربوبية : أن فيه قدحاً في الرب ﷻ ومناقضة لتعظيمه، وتشبيهاً له بالمخلوق الناقص ، وهذا المعنى من حيث توهم الإكراه والعجز في الله.

م (٤) : ذكر النبي ﷺ ثلاث علل في وجه تحريم قول هذه العبارة:

أن تعليق الدعاء على المشيئة محرم لكونه قادحاً في التوحيد من ثلاث جهات :

الأول : أنه قد يفهم منه أن أحداً يكره الله عز وجل والله ليس له مكره .

وهذه العلة نص عليها النبيﷺ بقوله: (فإن الله لا مكره له).

الثاني: أنه قد يلزم منه أن هذا الأمر عظيم أو صعب على الله .

وهذه العلة نص عليها النبيﷺ بقوله: (فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه).

الثالث: أنه يفهم منه أن الإنسان غني عن عطاء الله وليس في حاجة لدعاء الله تعالى ، فإن تحقق المدعو به أو لم يتحقق فالأمر بالنسبة للداعي سواء .

وهذه العلة نص عليها النبيﷺ بقوله: (ليعزم المسألة ، وليعظم الرغبة) .

م (٥): **فائدة**: ليس من تعليق الدعاء المنهي عنه ما قصد به البركة لا التعليق ، كما في حديث (طهور لا بأس إن شاء الله) ، وحديث (وثبت الأجر إن شاء الله) ، وحديث دعاء الاستخارة.

م (٦): **قاعدة**: أحكام الشريعة معللة وليست مجرد تعبدية فالله تعالى إذا نهى عن شيء كان ذلك لحكمة قد نعلم بعضها ونجهل بعضها ، ومن هذا الأصل نهيه ﷺ عن الاستثناء في الدعاء حيث قرن بين الحكم وحكمته فبين العلة في النهي.

سابعاً : النهي عن التعبيد لغير الله تعالى وقول عبدي وربي .

فيه مشابهة لباب شرك التسمية.

م (١) : **حكم قول : (عبدي وربي)** :يكره قولها، وتكون هـذه العبـارة محرمـة وتصل إلى الشرك الأكبر ما لو قصد حقيقة العبودية والربوبية وليس الرق والسيادة.

تنبيه : توجد هذه العبارة في من يوصفون بالمشرعين والجهات المشرعة .

م (٢) : **دليل تحريم هذه العبارة** : عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضيء ربك؛ وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي) متفق عليه .

م (٣) : **وجه دخول هذه العبارة في شرك الألفاظ الأصغر وعلة تحريمها:**

أن هذه العبارة توهم المشاركة في الربوبية وتشبيه المخلوق بالله تعالى .

وأيضاً وجود من يستحق العبادة من دون الله .

م (٤) : **الفرق بين السيد والرب :**

أن الرب إذا عرّف لا يطلق على لله تعالى.

كما أن السيد يخبر به عن الله لكنه ليس من أسماء الله تعالى.

م (٥) : **فقه البدائل** :أمر النبي ﷺ أن يقـول لفـظ سـيدي ومـولاي بـدل ربي وفتاي وفتاتي بدل عبدي وأمتي ، فعلمهم العبارة السليمة من شوائب الشرك.

م (٧) : **الجمع بين الحديث وما جاء في خلاف ذلك من الأدلة:**

ليس من هذا الباب قولـه تعـالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ التوبة: ٣١. لأنهم شابهوا الرب في صفة التشريع فيقال فيها ما يقال في الآلهة.

أما قوله تعالى : ﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ يوسف: ٤٢، فقيل إنه من شرع من قبلنا كما أبيح لهم السجود لبعضهم للتحية ونحن نهينا عن هذه اللفظة .

وقيل إن النهي للتنزيه والكراهة لا التحريم وهذه الآية لبيان الجواز كما يقال رب الدار والناقة .

وقيل النهي إذا قصد فيه الغلو والمشابهة.

وأخطأ من قال إذا قصد بهذه الألفاظ الإخبار فيجوز إذ النهي للعموم.

ثامناً: إجابة من سألنا بالله وعدم رد طلبه.

وصيغة السؤال بالله : أسألك بالله ، بالله عليك .

معنى إعاذة من استعاذ بالله ، لها صيغتان : أن يقال لك :

أعوذ بالله منك ومن شرك ، أو أسألك بالله أن تعيذني وتكفيني شرك.

وتشبه: مسألة وجوب الاقتناع بالحلف ، والنهي عن إعطاء ذمة الله ، وعدم السؤال بوجهه ، وعدم الاستشفاع به ، وعدم الإقسام عليه.

م (١) : **حكم إجابة أو رد من سأل بالله :**

يجب إجابة من سأل بالله وعدم رد طلبه إن لم يكن في الطلب ضرر أو حرام.

م (٢) : **دليل المسألة** :عن ابن عمر قال: قال ﷺ :(من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) رواه أبو داود والنسائي.

وجه الحث على المكافأة : لينتفي الذل للمخلوق الذي استعبدك بإحسانه.

م (٣) : **وجه دخول هذه المسألة في شرك الألفاظ الأصغر وعلاقتها بالتوحيد :**

أن في إجابة من سأل بالله وعدم رد طلبه تعظيما لله تعالى ، وضد ذلك فيه تنقص لله تعالى وينافي الأدب والاحترام ، فمن رد من سأل بالله فهو في الحقيقة لم يعظم الله المسئول به والمتوسل به، فصار بذلك متنقص لله لا المخلوق السائل، وفي ذلك نوع تشبيه لله بخلقه ونسبة النقص له بكونه يرد كما يرد المخلوق ولا يجاب.

م (٤) : **هل في صيغة السؤال بالله كفارة:** إن قصد السائل اليمين ففيه الكفارة على الحالف إذا لم يجبه المحلوف عليه ويعتبر حانثا،وإن قصد مجرد السؤال فلا كفارة.

تاسعاً : تحريم السؤال بوجه الله .

م (١) : أوجه السؤال بوجه الله : له صيغتان :

١ – أن يسأل الله بوجهه أمور الدنيا فلا يجوز أن يسأل بوجهه غير الأمور العظيمة كالجنة ورضا الله.

٢ – أن يسأل الناس بوجه الله ، كأن يقول: وجه الله عليك تفعل كذا ، أو أسألك بوجه الله أن تفعل كذا.

تنبيه : تخصيص الجنة، يدخل فيه ما هو وسيلة لها كرضا الله وعدم غضبه .

م (٢) : حكم السؤال بوجه الله :

وهذا الحكم يتأكد تحريمه وقد يصل إلى الشرك الأكبر ما لو تحققت العلل في قلب من يقولها ، أنه مستغن عن الله أو أن الله له مكره أو صعب عليه ولا يقدر عليه.

م (٣) : دليل تحريم العبارة : عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة) رواه أبو داود ومدار الإسناد على سليمان بن معاذ وهو ضعيف.

وأخرج الطبراني بإسناد حسن: (ملعون من يسأل بوجه الله ، وملعون من سئل بوجه الله ثم يمنع سائله ما لم يسأل هجرا) .

م (٤) : علة تحريمها : أن السؤال بوجه الله الأمور الحقيرة إبتذال وامتهان، وهذا يخالف مبدأ تعظيم الرب تعالى وإجلاله وبالتالي يعد قادحا في كمال التوحيد.

عاشراً: الظن بالله تعالى، وأحكام الظن الحسن والسيئ.

م (١) : تعريف الظن وحقيقته وأنواعه:

الظن هو التوقع والعلم بالشيء على غير حقيقته غالبا وهو أنواع :

١ - ظن صحيح صادق وظن باطل كاذب آثم.

٢ - ظن حسن وضده الظن السيئ .

م (٢) : ارتباط مسألة الظن بالله بثلاثة أبواب من العقيدة :

١ - باب الأسماء والصفات.

٢ - باب العبادة وتوحيد الألوهية والرجاء والتوكل.

٣- باب القدر .

م (٣) : صوره : أنواع الظن السيئ بالله لا تحصر فمنها :

ظن الكثير أن الله لن ينصر دينه وأولياءه وسيخذلهم ويظهر الكفار عليهم، وأن الله يخيب من دعاه ورجاه وتوكل عليه، ظن العبد أن الله لن يرحمه ولن يعاقبه إذا أساء ، الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله، ظن الجهال أنه يمكن مغالبة القدر وأن الشخص لو فعل كذا لما وقع المقدور ، ما يقع في نفس الكثير أن هذا الأمر الذي قدره الله وأراد وقوعه لا حكمة فيه أو فيه شر، أو أن فيه ظلماً على العباد، الاعتراض على القدر، أن الله لم يقدر الأمور، اعتقاد أن الله يساوي المسلم بالكافر والطائع بالعاصي، إنكار الحساب والثواب والعقاب، إنكار صفات الله وتحريفها ، الشرك .

تنبيه: ليس من الظن السيئ خشية الله والخوف من عدم قبول العمل.

تنبيه : الشرك بالله بأنواعه من أعظم أنواع إساءة الظن بالله تعالى ومن أبرزها جعل الوسائط بين الله وبين خلقه تشبيها له بملوك الدنيا الذين لا يرحمون ولا يعلمون ولا يقدرون إلا بالوسطاء عندهم .

م (٤) : خطورة الظن وطرق السلامة منه :

يقع أكثر الناس في الظن السيء وهم بين مقل ومكثر ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه. والواجب أن لا يظن العبد بربه الذي كل خير منه تعالى ، وليظن بنفسه التي هي مأوى كل سوء .

م (٥) : مرجع الظن بالله إلى معرفة صفاته والعلم الصحيح به .

وسبب الظن السيئ : إنكار صفات الله تعالى وتحريفها والجهل بها.

م (٦): علة تحريم سوء الظن بالله ووجه دخوله في الشرك الأصغر:

أن في حسن الظن بالله تعظيما لله تعالى ومعرفته حق المعرفة، وضد ذلك الذي هو سوء الظن بالله يعد تنقصا لله تعالى، وجهلاً بصفاته الحسنى، وتشبيهاً له بخلقه، واعتراضاً على قدره، وإساءة أدب معه فهو بذلك يعتبر من قوادح التوحيد .

م : (٧) : أدلة المسألة :

١ – قوله تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ آل عمران: ١٥٤.

والآية جاءت في سياق قصة معركة أحد وما قاله المنافقون فيها.

٢ – قوله تعالى: ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ الفتح: ٦.

وهي في المنافقين والمشركين، وفيه دلالة على ارتباط الظن بالشرك والنفاق.

٣– قال ابن القيم في الآية الأولى في زاد المعاد عند كلامه عن معركة أحد :

(فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته. ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح. وإنما كان هذا الظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق . فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه).

تنبيه: رد ابن القيم الظن السيئ عند المنافقين والجهال في الآية لثلاثة أسباب:

١ – أن الله لن ينصر دينه ورسوله وأنه سيضمحل أمره ويعلو أعداؤه.

٢ – أن هذا الأمر لم يكن بقدر الله وكان يمكن دفعه.

٣– أنه مخالف للحكمة .

أدلة الظن الحسن:

١ – قال الله ﷻ: (أنا عند ظن عبدي بي فليظن عبدي بي ما شاء)البخاري.

٢– قال ﷺ : (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن ظنه بالله ﷻ) رواه مسلم .

٣– في الحديث: (حسن الظن بالله من حسن العبادة) رواه الترمذي والحاكم.

الحادي عشر: النهي عن إعطاء ذمة الله ووجوب الوفاء بها لمن أعطاها .

م (١) : حكم جعل ذمة الله للناس :

يكره إعطاء ذمة الله عند العهود .

ويحرم الحنث فيها وخفرها وعدم الوفاء بها .

عبارة أعطيك عهد الله ، لك عهد الله ، وبيني وبينك عهد الله ، ونحوها .

الذي يترجح لي تحريمها لظاهر هذا الحديث والله أعلم .

م (٢) : أدلة المسألة :

١- قول الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ النحل: ٩١.

٢- حديث بريدة عند مسلم: (فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ؛ فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه) .

لهذه المسألة جانبان :

الأول : حفظ ذمة الله ورسوله وعدم إعطائها أحداً.

الثاني : الوفاء بذمة الله وعهده إذا جعلها الشخص للناس.

م (٣) : وجه دخول هذه العبارة في شرك الألفاظ الأصغر :

أن حفظ ذمة الله ﷻ من تعظيم الله تعالى وإجلاله واحترامه وعدم تنقصه. وفي خفرها منافاة لذلك ونوع تشبيه للخالق بالمخلوق في خفر الذمة وهوانها . فالنهي جاء حسما لمادة التشريك وذريعة التشبيه وباب الانتقاص .

م (٤) : علة تحريم قول هذه العبارة:

١ – تعظيم الله وعدم انتقاصه ، وقد نص النبي ﷺ على هذه العلة بقوله : إنكم إن تخفروا ذممكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه.

٢ – من جهة أخرى في نقض ذمة الله صدٌ عن دين الله وتشويهٌ لصورته.

م (٥) : فقه البدائل :

أمر النبي ﷺ أن يعطى المحالف ذمته بدل أن يعطِ ذمة الله تعالى .

م (٦) : أعظم العهود والحقوق عند الله التوحيد .

وعهد الله على عباده : عبادته وعهدهم عنده أن يدخلهم الجنة .

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ البقرة: ٤٠ ﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ المائدة: ١٢.

م (٧) : لا يقال هذه ذمة رسوله بعد موته لأمرين لعلة الحديث ولكونه انقطعت حياته وعهده وحلفه.

م (٨) : الفرق بين حكم الله وحكم العلماء:

وهل علة (لا يدري أيوافق حكم الله أم لا) باقية أو انتهت باستقرار الأحكام واكتمال الشريعة، قولان لأهل العلم في المسألة، والصحيح أنه يفرق بين الأحكام القطعية والمسائل الخلافية الاجتهادية فيجزم بأن ذلك حكم الله في الأول لا الثاني.

فيقال: حكم الله في الزنا أنه محرم ، ولا يقال مثلاً : حكم الله فيكم وجوب أن تقتلوا ، حيث لا يدري هل هذا حكم الله أم لا.

الثاني عشر : الاقسام على الله تعالى والتحكم في أفعاله.

ومعناه: أن يحلف العبد أن الله يفعل كذا وكذا .

الاقسام على الله نوعان :

الأول : محرم : وهو أن يكون حلفه وإقسامه على الله من قبيل التدخل في خصائص الله والتحكم في أفعاله، كأن يقول:والله لا يغفر الله لفلان ولا يهدي فلانا.

دليل المسألة : عن جندب بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله : (من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك) . رواه مسلم.

والقائل رجل عابد. قال أبو هريرة: (تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته).

والتألي والإيلاء : هو بمعنى الحلف واليمين والقسم.

الثاني : جائز: وهو أن يحلف العبد على ربه من باب حسن الظن به وقوة رجائه ، من غير تحكم في أفعاله وشؤونه وكأنه وصي على ربه أو تدخل في خصائص الله أو اعتراض على ما يخالف صفاته ومن ذلك سلب الله من الرحمة والمغفرة .

ومن أمثلة هذا القسم : أن يقول التائب الراجي ربه أقسم عليك إلا تغفر لي وتعفو عني ، أو يقول : والله لتنزلن الغيث على عبادك بكرمك.

ويدل لهذا القسم : قول النبي ﷺ في أنس بن النضر حين قال : والله لا تكسر ثنية الربيع : (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره) متفق عليه .

وعند مسلم :(رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره).

تنبيه : ليس من هذا الباب الحكم على الكفار بعدم المغفرة ، تقول الله لا يغفر للكفار ، أو الحكم على كافر ميت بأنه من أهل النار ، كما جاء في الحديث .

علاقته بالتوحيد ومكانته وسبب إيراده:

١ - أن هذه العبارة توهم المشاركة في الربوبية وتشبيه المخلوق بالله تعالى .

٢ - تنقص الرب من حيث توهم من يتحكم في تصرفاته ويتدخل في أموره.

الثالث عشر : الاستشفاع بالله على خلقه .

م (١) : دليل هذه العبارة : عن جبير بن مطعم ﷺ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، **فإنا نستشفع بالله عليك**، وبك على الله . فقال النبي ﷺ : (سبحان الله سبحان الله! فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، **إنه لا يستشفع بالله على أحد**) رواه أبو داود .

م (٢) **علاقته بالتوحيد**: هذه العبارة فيها قدح في التوحيد من جهتين:

١ - فيها تنقص الرب ﷻ ، وأنه يطلب من خلقه ويرجوهم وكأنهم أعلى منه.

٢ - أن فيها رفع المخلوق، كما يوهم المشاركة في الربوبية وتشبيه المخلوق بالله.

وجه دخولها في شرك الألفاظ الأصغر :لما فيها من تشبيه المخلوق بالرب.

م (٣) : **حقيقة الاستشفاع بالله على خلقه :**

الله لا يشفع لمخلوق عند مخلوق فهو رب الجميع ومالكهم، والله إذا أراد أن يعفو المخلوق عن ظالمه عرض له من الثواب ما يجعله يعفو وليست هذه شفاعة، وقد غضب النبي ﷺ لما قال له الرجل نستشفع بالله عليك ومثلها الإقسام على الله.

م (٤) : **حكم جعل الله واسطة عند خلقه وشفيعاً للداعي عند الله :**

(الشفاعة يا الله ، وشفاعتك يا الله سقت لك الله ، والله واسطتي عندك) .

وهذا يحتمل أحد أمرين :

الأول: إن قصد أن الله هو الشافع والمتوسط عند خلقه وأنه كالواسطة يتوسط له عند المخلوق من ملك وغيره، فهذا قد استشفع بالله وقد نزل الله تعالى عن منزلته،

وقال قولا عظيما واعتقد اعتقادا فاسدا وارتكب أمراً محرماً ووقع في سوء الأدب مع الله، فإن الله ﷻأعظم شأنا من أن يشفع عند أحد فالكل خلقه وعبيده، وقد غضب الرسول ﷺ على الرجل الذي قال:(نستشفع بالله عليك) وأنكر عليه هذا اللفظ .

الثاني: إن قصد التوكل وأن الأمر كله لله عز وجل ، فهذا يجوز ولكن هذا اللفظ الأولى تركه، لوجود الإيهام فيه والقاعدة (أن أي لفظ يوهم فإن الله أمرنا بتركه) ومن ذلك قوله تعالى : ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾ البقرة: ١٠٤ فهذا يدل على أن الإنسان يجب أن يتقيد بالألفاظ الشرعية التي لا إيهام فيها .

م (٥) : هل الرب عز وجل يشفع :

في الحديث المتفق عليه يقول تعالى: (فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين). **وفي رواية عند البخاري (وبقيت شفاعتي)** .فالله ﷻ يرحم ويغفر ويتوب ويعفو وأما الشفاعة فهي عنده وملك له فيشفع عنده بأمره وإذنه ولا يشفع عند أحد تبارك وتعالى .

لكن قد يقال في هذه الرواية بتصور شفاعة الله عند نفسه وهي من جنس ماورد في الدعاء الذي رواه مسلم : (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك) ، (برحمتك أستغيث).

قال ابن القيم:(الشفاعة لمن له الملك فهو الذي يشفع لنفسه عند نفسه ليرحم، فيأذن لمن يشاء أن يشفع فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له) الإغاثة ٢٤٦.

م (٦) : الفرق بين الاستشفاع والسؤال بالله :

أن السؤال لا يلزم منه نزول مرتبة المسؤول وأنه أدنى ، خلافا للاستشفاع.

الباب السادس

أحكام الشرك والمشرك

المسألة الأولى : حكم الشرك :

الشرك الأكبر كفر مخرج من الإسلام ويبيح دم صاحبه ويخلده في نار جهنم ولذلك أدلة كثيره منها .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ النساء: ٤٨ .

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ المائدة: ٧٢.

وقال تعالى : ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ التوبة: ٥ .

وقال الرسول ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا وأن محمد رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها).متفق عليه.

فالمشرك سواء كان كافراً صليا أو مرتدا يجب قتله ويستحل ماله حتى يقول هذه الكلمة ويعمل بمقتضاها ولا يأتي بما ينافيها .

أما الشرك الأصغر فلا يخرج صاحبه من الإسلام ولا يخلد صاحبه في النار .

المسألة الثانية : أقسام المشرك :

مشرك أصلي ومشرك كان مسلماً فارتد بشركه .

المسألة الثالثة : أحكام المشرك الفقهية :

هناك أحكام تشمل الكافر الأصلي والمرتد وأحكام أخرى تخص أحدهما .

مثل التوارث والمناكحة والتعامل والبيع واستعمال أوانيهم وملابسهم والقول بنجاستهم والاستعانة بهم ولهذه المسألة رسالة مستقلة .

المسألة الرابعة : قتل المشرك واستحلال دمه وماله :

لا يجوز قتل المشرك إلا بعد إقامة الحجة عليه وبلوغه الدعوة واستتابته قبل قتله وإن كان في قوم مشركين لهم شوكة ومنعة فيجب إبلاغ الدعوة لهم وإبلاغ رئيسهم يكفي عن إبلاغ أفرادهم.

المسألة الخامسة : حكم الجاهل بالتوحيد والواقع في الشرك وهل يعذر :

الجاهل بالتوحيد لا يعتبر مؤمنا به ولا مقرا أو آتٍ به ، إذ الجاهل بالشيء لا يسمى مقراً به وشاهداً عليه، وعلى هذا فمن يجهل معنى لا إله إلا الله وهو يقولها ولا يعلم أنها تُبطِل الشرك ودعاء غير الله والحكم بغير ما أنزل فإنه لا يعتبر مسلماً بل كافراً مشركاً .

ومن وقع في الشرك الأكبر عن جهل وعدم بلوغ الحجة :

فحكمه في الدنيا أنه كافر ويجري عليه أحكام الكفر من حيث الاسم ولحوق التكفير به والنكاح والميراث والصلاة عليه والإئتمام به، أما قتاله وقتله فإن هذا لابد فيه من قيام الحجة والاستتابة .

أما في الآخرة فإن الله تعالى من كمال عدله أنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة كما قال سبحانه :﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ الإسراء: ١٥. فيكون معذورا إن لم يفرط ، وحكمه حكم أهل الفترات ومجانين الكفار يبعث لهم رسول يوم القيامة من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه وأبى كان كافرا ودخل النار .

وقد أخطأ كثير من أهل العلم في هذه المسألة وحكموا بإسلام جهّال المشركين وعبّاد القبور والمشرّعين لكونهم ينطقون بالشهادتين وجعلوا جهلهم وتأويلهم مانعاً من تكفيرهم .

المسألة السادسة : هل من ولد على الشرك ممن ينتسب للإسلام ويعتبر مرتداً أو كافر أصلي والمسألتان جاءت في المقدمة .

مسألة: واقع الجهل عند المتأخرين :

كفار زماننا أشد شركاً من مشركي الجاهلية وأجهل منهم وأبعد عن معرفة لا إله إلا الله، وأبو جهل وأبو لهب أعلم بهذه الكلمة من أكثر علماء زماننا من أهل الشرك .

مسألة : يجب بغض المشرك وتكفيره ومعاداته :

وهذا الأمر لا خيار فيه وهو من أعظم مقتضيات كلمة التوحيد ولا يقبل إسلام ودين بدونه.

تنبيه : لهذا الفصل أحكام جاء بسطها في مقدمة النواقض في باب التكفير .

فصل : عدم عذر المشرك

المسألة الأولى: عدم العذر بالجهل في أصل الدين ووجوب تكفير المشرك:

حقيقة مسألة : هل يعذر المسلم إذا وقع في الشرك وهو جاهل أنه شرك.

أولاً : النواقض والمكفرات على قسمين :

الأول: ما يعذر فيه الجاهل ولا يكفر حتى تقوم الحجة عليه مثل إنكار صفة من صفات الله عن جهل واستحلال ما حرم الله وإنكار فريضة ونحو ذلك .

الثاني: مالا يعذر فيه الجاهل وهو الشرك بالله وما في حكمه وهو محل البحث.

والعذر يطلق على ثلاثة أمور:

١- العذر في العذاب يوم القيامة وهذا إذا لم يفرط في طلب العلم .

وهذا يسمى بكفر التعذيب وهو لابد فيه من قيام الحجة على المعذب .

فالمشرك الجاهل لا يعذب يوم القيامة .

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ الإسراء: ١٥ .

﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ النساء: ١٦٥ .

﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا ﴾ الملك: ٨-٩ .

فالمشرك لا يعذب إلا بعد بلوغ الحجة لكن لا يسمى مسلما بل كافرا .

٢- العذر في القتال في الدنيا ، وهذا أيضاً يعذر الواقع في الشرك فيه على الصحيح فلا يقاتل ولا يقام عليه حد الردة إلا إذا قامت عليه الحجة وبلغته الدعوة .

فالمشرك لا يقتل ولا يقاتل إلا بعد قيام الحجة لكن يسمى كافرا وليس مسلما.

٣- العذر في تكفير الواقع في الشرك وإجراء اسم الكفر "التكفير" وأحكام الكفر من التناكح والإرث والصلاة عليه وهذا المراد بالمسألة هنا .

وحكم الله ورسوله أن الواقع في الشرك يحكم بكفره، ويسمى مشركاً كافراً بمجرد فعل الشرك ولا يعذر بجهله ولا ينفع إدعاء صاحبه الإسلام والإيمان وتلفظه بالشهادتين وصلاته وعباداته ، وهذا محل إجماع .

أما من قال : إن من وقع في الشرك وهو جاهل ممن ينتسب للإسلام يبقى على إسلامه ويسمّى مسلما فلا يكفّر إلا بعد قيام الحجة عليه وبلوغ الدعوة فقوله باطل ويعد مكذبا لله غير كافر بالطاغوت ، إلا أننا لا نكفر هذا العاذر إلا بعد قيام الحجة عليه لوجود الشبهة معه.

ولنا بحث في مسألة تكفير عاذر المشرك بجهله.

الثانية : الأدلة على كفر الجاهل المشرك وعدم عذره ووجوب تسميته كافرا :

وإليك عشرة براهين شرعية عقلية قاطعة تقضي بكفر المشرك وعدم عذره .

أولاً : أن الله تعالى سمى فاعل الشرك مشركا كافرا وحكم عليه بالخلود في النار وحرم عليه دخول الجنة، وأكثر ما يقال فيه أنه لا يدخل النار إذا لم يسمع بالحق وتبلغه الحجة الرسالية ، أما أن جهله يقضي بإدخاله الجنة أو تسميته مسلما لنطقه بالشهادتين وادعائه اتباع الرسل وملة إبراهيم مع كونه متلبساً بالشرك وقائماً بعبادة غير الله فهذا لا يقوله مسلم عرف دين الله وما بعثت به الرسل.

ومن الأدلة على هذا الأصل :

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ البينة: ٦ .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ التوبة: ٦.

فسماه الله ﷻ مشركا مع أنه جاهل لا يعلم ولم يسمع شيئا من كلام الله.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ النساء: ٤٨ .

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ التوبة: ١١٣ .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ ﴾ البقرة: ١٦١.

قال ﷻ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ التوبة: ٣١

فكفرهم الله مع كونهم جهالاً بدليل قول عدي بن حاتم ما عبدناهم.

قال الشيخ أبا بطين تعليقا على هذا الحديث (ذمهم الله وسماهم مشركين مع كونهم لم يعلموا أن فعلهم هذا عبادة لهم فلم يُعذروا بالجهل) الدرر ١٠/ ٣٩٣ .

ثانياً : أن الله تعالى أخبر عن طوائف كثيرة من الكفار بأنهم جهال:

قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ الكهف: ١٠٤.

قال تعالى:﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ البينة: ١ . فسماهم الله تعالى مشركين قبل أن تأتيهم البينة .

وقال تعالى:﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ الزخرف: ٣٧.

وقال تعالى:﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ الأعراف: ٣٠.

وقال تعالى:﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ المجادلة: ١٨.

وقال تعالى:﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ الغاشية: ٣ – ٤.

وقال تعالى عن المشركين :﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٤.

وقال تعالى:﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ الحجرات: ٢.

وقال تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ التوبة: ٦٥.

فكفروا من حيث لا يعلمون ولم يعلموا أن ما قالوه مزحا ولعبا مكفر لهم.

وقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ الأعراف: ١٧٢ والآية صريحة في تكفير الجاهل الغافل المقلد وعدم عذره.

قال النبي ﷺ لصاحب التميمة: (لو مت وهى عليك ما أفلحت أبداً) . أحمد.

قال الإمام محمد في كتاب التوحيد : أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح ، فيه شاهد لكلام الصحابة : أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر ، أنه لم يعذر بالجهالة.

ومن الأدلة على كفر الجاهل المشرك وعدم عذره أيضا :

ثالثاً : أن الكفر قسمان : كفر عن علم وجحود وعناد ، وكفر عن جهل وإعراض وتأول ، ومن اشترط في تكفير المشرك العلم وفهم الحجة والاقتناع بالدليل فقد خالف النصوص المثبتة كفر الجاهل بالله ودينه ودخوله النار .

قال محمد بن إبراهيم: (لو كان فهم الحجة شرطا لما كان الكفر إلا قسما واحدا وهو كفر الجحود بل الكفر أنواع من الجهل وغيره) شرح كشف الشبهات ١٠١ .

رابعاً : أن الله ﷻ سمّى أهل الفترة وأهل الجاهلية مشركين مع جهلهم، ومع اعتقادهم أنهم على ملة إبراهيم ﵇ وأن ما يفعلونه من الشرك مجرد بدعة حسنة.

خامساً : أن ما يفعله القبوريون الوثنيون المنتسبون للإسلام فهو مثل ما يفعله أولئك فكلاهما جاهل ويدعي أولئك الانتساب لدين إبراهيم وهؤلاء الانتساب لدين محمد ، وإنما الفرق أن أولئك عرب صرحاء يعرفون معنى العبادة والشرك في الألوهية وهؤلاء جهال بالشرع واللغة يقعون في الشرك ولا يعلمون أنه شرك ولا يسمونه شركاً وجهلهم لا يمنع تكفيرهم وتغييرهم الاسم لا يغير الحقيقة والحكم .

وعليه فالآيات النازلة في المشركين الذين نزل القرآن بكفرهم زمن بعثة الرسول ﷺ تنطبق عليهم ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ومن زعم أن لهؤلاء حكماً يخالف حكم أولئك لأنهم من الناطقين بالشهادتين المنتسب للإسلام فقد خرق الإجماع وعطل العمل بالقرآن ، ويلزمه بأن يحكم بإسلام من تنصر من المسلمين ودخل في دين النصرانية ما دام جاهلا ويدعي الانتساب للإسلام مع النصرانية، كما حكم بإسلام من دخل في دين القبوريين الوثنيين المشركين من الجهلة.

قال عبدالرحمن بن حسن: (أما قول أن الآيات التي نزلت بحكم المشركين الأولين فلا تتناول من فعل فعلهم فهذا كفر عظيم ويلزم منه أن الحدود المذكورة في القرآن والسنة كانت لأناس وانقرضوا وبطل حكم القرآن) الدرر ٤١٨ .

سادساً : أن الشرك من الأوصاف التي يسمى فاعلها بمجرد فعلها كالزنا والقتل وسيأتي كلام ابن تيمية وابن القيم.

سابعاً : أن من يعذر المشرك ويسميه حنيفا مسلما يلزمه أن يسمى أهل الفترة من مشركي الجاهلية حنفاء مسلمين ، كما قدمنا بيانه.

ثامناً: أن من سمى المشرك الجاهل مسلما فيلزمه الحكم بإسلام كل جاهل : ومن ذلك : لو أن نصرانيا أراد الإسلام ونطق بالشهادتين وبعد إسلامه قال الله هو عيسى أو ابن الله ومحمد رسوله ولا يعلم أن هذا يبطل الشهادتين، أو أسلم نصراني ويظن أن عيسى هو الله ، وهو حديث عهد ، فهل يوجد من سيحكم على هذا بأنه مسلم أو دخل في الإسلام ؟ أم سيقال هذا كافر أو لازال كافرا .

ومثله من أسلم على دين غلاة الباطنية والدروز ممن يقول عليا هو الله ونطق بالشهادتين .

ومثله من يقول الشهادتين ويعتقد أن المعبود حقا الذي يدعا هو الولي .

أو لو أنكر المسلم وجود الله عن جهل أو التبس عليه شبهات الشيوعية .

أو أسلم وأنكر نبوة محمد ﷺ عن جهل وقال لا يوجد هناك شيء اسمه نبي ورسول وقالها عن جهل فهل يا ترى سيحكم هؤلاء بإسلامه لكونه مسلماً من أبوين مسلمين أو لأجل نطقه بالشهادتين من دون أن يعرف أدنى معنى لها .

فإن حكم بإسلام هؤلاء كان بنفسه واقعاً في كفـر بذاتـه ويـستتاب منـه، وإن حكم بكفر هؤلاء مع نطقهم بالشهادتين قلنا كذلك يجب أن يقال في من فعل الشرك عن جهل لا بد من الحكم بكفره لكن لا يقتل حتى يستتاب وتقوم عليه الحجة.

تاسعاً: أن الملل الكافرة قسمان :

أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى واختلف في المجوس والصابئة .

مشركون عباد أوثان من الأصنام والقبور والمحاكم كلها أوثان معبـودة يكفـر من صرف العبادة لها ولو كان جاهلا ولو أنه من المنتسبين للإسلام ، فلا فرق .

وكما لا يقال مسلم نصراني، فكذلك لا يقال مسلم مشرك ، لا يجتمعان ألبتـه، فمن عبد غير الله لا يكون مسلما، ولا يكون مسلماً حتى يترك الشرك بالكلية.

كما يقال في المسلم الجاهل إذا تنصر يكفر بمجـرد دخولـه في النـصرانية، ولـو ظن مع ذلك أنه يمكن الجمع بينها، فيدخل في النصرانية مع بقائه على الإسلام، فهذا يكفّر مطلقا ولا ينظر في الشروط والموانع وإقامة الحجـة قبـل تكفـيره ، فكـذا يقـال ذلك في من أشرك ودخل في دين المشركين وعبد الأوثـان والقبـور ودعـا الأمـوات وتحاكم إلى الطاغوت وحكم به مع ظنه البقاء على الإسلام .

وتكفير المشرك محل إجماع ومن زعم أنها مسألة خلافية فهو كافر، واختلف في تكفير من عذره بجهله وسماه مسلما ، ومن فرق بين الأصلي والمرتد المشرك والمتنـصر المنتسب للإسلام فقد خالف الإجماع وعطل النصوص ووقع في ناقض كما تقدم.

عاشراً: أن قول كلمة التوحيد لا تنفع إلا بالعلم بمعناها والعمـل بمقتـضاها وعدم نقضها ، كما أن الصلاة لا تنفع إذا أخل بشروطها وأركانها أو فعل ناقضاً لها .

المسألة الثالثة : حقيقة الإسلام والشرك ، وتقدم .

الرابعة: كلام العلماء في من جهل التوحيد وأشرك جاهلا أنه كافر غير مسلم:

١- قال المروزي (٢٩٤هـ): (إنما يكفر من جحد الفرائض لتكذيبه خبر الله ، ولو لم يأت خبر أو جاء الخبر ولم يسمع بالخبر من المسلمين لم يكن بجهل الفرائض كافرا، والجهل بالله في كل حال كفر قبل الخبر وبعده) نقله عنه ابن تيمية ٧/ ٣٢٥ .

فتأمل كيف فرق بين الجهل بالله والتوحيد وأصل الإسلام وبين الجهل بالفرائض ، فيعذر الثاني بجهله دون الأول .

٢- قال ابن منده (ت:٣٩٥هـ) : (ذكر الدليل على أن المجتهد المخطئ في معرفة الله ﷻ ووحدانيته كالمعاند) التوحيد ٢٦١ .

٣- قال ابن هبيرة : (من المسلمين من يخرج من المسلمين من غير أن يقصد الخروج منه ، ومن غير أن يختار دينا على دين الإسلام) فتح الباري ١٢/ ٣٠١.

٤- قال ابن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ) : (القول في المعاني التي تدرك حقائق المعلومات من أمور الدين ، وما يسع الجهل به منه وما لا يسع ذلك فيه ، وما يعذر بالخطأ فيه المجتهد الطالب وما لا يعذر بذلك فيه) .ثم قال : (والآخر منهما غير معذور بالخطأ فيه ومكفر بالجهل به الجاهل ... **فأما الذي لا يجوز الجهل به من دين الله فتوحيد الله تعالى ذكره والعلم بأسمائه** وصفاته وعدله) التبصير ص١١٢ .

وقال في تفسير ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ البقرة: (الآية من أوضح الدليل على تكذيب الله قول الزاعمين أن الله لا يعذب من عباده إلا من كفر به عنادا بعد علمه بوحدانيته وبعد تقرر صحة ما عاند ربه تعالى عليه من توحيده والإقرار بكتبه ورسله عنده).

وقال ابن جرير في تفسير آية: ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ الأعراف: ٣٠: (وهذا من أبين الدلالة على خطأ قول من زعم أن الله لا يعذب أحدا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها فيركبها عنادا منه لربه لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو يحسب أنه هاد وفريق الهدى فرق **وقد فرق الله بين أسمائهما وأحكامهما في هذه** الآية).

وقال في تفسير آية :﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ الكهف: ١٠٤: (وإن زعم هؤلاء أنهم يتعبدون الله ويتقربون إليه ومع هذا كله كفّرهم وسماهم بأسماء الكفرة وجعل لهم أحكامهم في الآخرة ، ولازمه أنه لم يعذرهم على جهلهم وظنهم أنهم على حسن من العمل صالح ... فجهلهم غير مقبول لوجوب طلب الهدى ... وهذا من أدل الدلالة على خطأ من زعم أنه لا يكفر أحد إلا من حيث يقصد إلى الكفر) .

٥- قال اللالكائي: (باب سياق ما يدل من كتاب الله ﷻ وما روي عن رسول الله ﷺ على أن وجوب معرفة الله تعالى وصفاته بالسمع لا بالعقل قال وكذلك وجوب معرفة الرسل بالسمع ،وقال وهذا مذهب أهل السنة والجماعة). ٢/ ٢١٦.

٦- قال البربهاري: (وكفروا من حيث لا يعلمون من وجوه شتى) السنة٩٠.

٧- قال ابن تيمية : (**وقد فرق الله بين ما قبل الرسالة وما بعدها في أسماء وأحكام وجمع بينها في أسماء وأحكام**) الفتاوى ٢٠/ ٣٧ .

وقال: (**ومعرفة حدود الأسماء واجبة ، لاسيما حدود ما أنزل الله على رسوله**).

وقال ابن تيمية: (**اسم الشرك يثبت قبل الرسالة فإنه يشرك بربه ويعدل به** ويجعل معه آلهة أخرى ويجعل له أندادا قبل الرسول) الفتاوى ٢٠/ ٣٨.

وقال:(**والكفر المعذب عليه لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة**) الفتاوى ٢/ ٧٨.

ويفهم من كلامه وجود كفر آخر كما صرح في النقل السابق فالكفر والشرك منه المتعلق بالاسم ولحوق التكفير ومنه كفر التعذيب ومنه تكفير القتال والقتل .

وقال : (الاسم الواحد ينفى ويثبت بحسب الأحكام المتعلقة به فلا يجب إذا ثبت أو نفي في حكم أن يكون كذلك في سائر الأحكام) ٧/ ١٦٤ .

قال ابن تيمية: (هذه الأمور لا يشك من عرف الإسلام أنها من الشرك .. وإن أصحابها إن كانوا معذورين بالجهل وأن الحجة لم تقم عليهم كما يعذر من لم يبعث إليه رسول ، كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وإلا كانوا مستحقين من عقوبة الدنيا ما يستحقه أمثالهم من المشركين ، والذين يؤمنون بالرسول ﷺ إذا تبين له حقيقة ما جاء به الرسول وتبين له أنه مشرك، فإنه يتوب إلى الله ويجدد إسلامه، فيسلم إسلاما يتوب فيه من هذا الشرك) قاعدة عظيمة ٧٤ ، ١٥٢ .

فانظر كيف سماهم مشركين ولم يحكم بإسلامهم بل لا بد أن يجددوا إسلامهم، فبهذا يعرف مقصود التكفير المنفي عنده هو الكفر المعذب عليه لا اسم الكفر المناقض للإسلام لأنه لا يجتمع الإسلام مع الشرك كما قرر ه في مواضع كثر.

كما نقلنا له كلاماً نفيساً في الفتاوى ١٤/ ٤٧٧ ، بين فيه أن المشرك كافر ولا يسمى مسلما ولا يدخل الجنة ولو كان جاهلا ، وأن المشرك لم يأت بالإسلام ولم يحققه فلا يصح أن يسمى مسلما ، ولا يجتمع إسلام مع الشرك.

وقال : (فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلماً) الفتاوى ٧/ ٢٦٣ .

وقال مكفرا دعاة الصوفية المشركة المتأولين ومكفرا من يتبعهم من الجهال :

(قالوا : نحن نتوّب الناس . فقلت مماذا تتوبونهم ؟ قالوا : من قطع الطريق والسرقة ونحو ذلك ، فقلت حالهم قبل تتويبكم خير من حالهم بعد تتويبكم ، فإنهم كانوا فساقا يعتقدون تحريم ماهم عليه ، فجعلتموهم بتتويبكم ضالين مشركين خارجين عن شريعة الإسلام) الفتاوى ١١/ ٤٧٢.

وقال : (لا يكفّر العلماء من استحل شيئا من المحرمات لقرب عهده بالإسلام أو لنشأته ببادية بعيدة ، فإن حكم الكفر لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة) ٢٨/ ٥٠١ .

فانظر كيف فرق بين اسم الكفر وحكمه ، وخص العذر بالجهل في استحلال المحرم وجحد الواجب لا التوحيد .

قال ابن تيمية : (ولهذا كان كل من لم يعبد الله فلا بد أن يكون عابدا لغيره يعبد غيره فيكون مشركا وليس في بني آدم قسم ثالث بل إما موحد أو مشرك أو من خلط هذا بهذا كالمبدلين من أهل الملل والنصارى ومن أشبههم من الضلال المنتسبين إلى الإسلام) الفتاوى ١٤/ ٢٨٢ .

قال ابن تيمية : (كذلك من دعا غير الله وحج إلى غير الله هو أيضًا مشرك، والذي فعله كفر، لكن قد لا يكون عالمًا بأن هذا شرك محرم . كما أن كثيرًا من الناس دخلوا في الإسلام من التتار وغيرهم وعندهم أصنام لهم صغار من لبد وغيره وهم يتقربون إليها ويعظمونها ولا يعلمون أن ذلك محرم في دين الإسلام، ويتقربون إلى النار أيضًا ولا يعلمون أن ذلك محرم ، فكثير من أنواع الشرك قد يخفى على بعض من دخل في الإسلام ولا يعلم أنه شرك، فهذا ضال وعمله الذي أشرك فيه باطل، لكن لا يستحق العقوبة حتى تقوم عليه الحجة) الإخنائية ص: ٢٠٦.

فانظر كيف سماه مشركا مع جهله ، ونفى عنه العقوبة دون اسم الشرك.

وقال : (ولولا بعد عهد الناس بأول الإسلام ونقص العلم وظهور الجهل واشتباه الأمر على كثير من الناس لكان هؤلاء المشركون والآمرون بالشرك مما يظهر كفرهم وضلالهم أعظم مما يظهر ضلال الخوارج والرافضة) . الإخنائية ٢١٢ .

وقال : (الذين يأمرون بالحج إلى القبور ودعاء الموتى هم مشركون من جنس عباد الأوثان) الإخنائية ٤٦٥ .

وقال : (وكذلك في وقتنا خلق كثير من المنتسبين إلى الإسلام ممن أشرك ببعض من يعظمه من الأحياء والأموات من المشايخ وغيرهم فيدعوه ويستغيث به في حياته وبعد مماته ْ فيراه قد أتاه وكلمه وقضى حاجته وإنما هو شيطان تمثل على صورته ليغوي هذا المشرك) الفتاوى ١٠/ ٥٩٣ ، ١٩/ ٤٧ .

وقال لمن استغاث به وسمّاه مشركا : (ويقع لأهل الشرك من المنتسبين إلى الإسلام الذين يستغيثون بالموتى والغائبين يتصور لهم الشيطان في صورة المستغاث ، وبينت لمن استغاث بي أن ذلك شيطانا ولم أكن أنا ، فقيل لم لا يكون ملكا ؟ فقلت الملك لايغيث المشرك وأنت استغثت بي فأشركت) ١٩/ ٤٧ وقاعدة عظيمة ١٦٥ .

وقال : (ومن سأل ذلك مخلوقا كائنا من كان فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التي يصورنها على صورهم ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه) الفتاوى ٢٧/ ٦٧ .

وكلامه في تسمية عباد القبور ودعاة الأموات مشركين كثير في كتبه .

٨- قال ابن القيم : (والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والإيمان برسوله واتباعه فيما جاء به، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم، وإن لم يك كافراً معانداً فهو كافر جاهل ، وعدم عنادهم لايخرجهم عن كونهم كفاراً) طريق الهجرتين ٤٤٩.

وقال فيه : (كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل) .

قال ابن القيم مبيننا كفر التعذيب لا يطلق ولا ينفى أحكام الكفر دون اسمه في أحكام أهل الذمة : (هؤلاء أي أهل الفترة والمجانين لا يحكم لهم بكفر ولا إيمان ، فإن الكفر هو جحود ما جاء به الرسول فشرط تحققه بلوغ الرسالة .. فلما لم يكن هؤلاء في الدنيا كفارا ولا مؤمنين كان لهم في الآخرة حكم آخر غير حكم الفريقين .

فإن قيل : فأنتم تحكمون لهم بأحكام الكفار في الدنيا من التوارث والولاية والمناكحة قيل : إنما نحكم لهم بذلك في أحكام الدنيا لا في الثواب والعقاب.

الثاني : سلمنا أنهم كفار لكن انتفاء العذاب عنهم لانتفاء شرطه وهو قيام الحجة عليهم فإن الله لا يعذب إلا من قامت عليه الحجة) أهل الذمة ٢/ ١١١.

فانظر كيف نص ابن القيم على أن هناك كفرين الكفر المعذب عليه ويسمى كفر التعذيب وكفر الاسم.

وقال في طريق الهجرتين الطبقة السابعة عشر : (طبقة المقلدين وجهال الكفار وأتباعهم الذين هم معهم يقولون إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على أسوة بهم ومع هذا فهم مسالمون لأهل الإسلام غير محاربين كنساء المحاربين وخدمهم وأتباعهم ..

وقد اتفقت الأمة على أن هذه الطبقة كفار وإن كانوا جهالا مقلدين وأئمتهم إلا ما يحكى عن بعض أهل البدع أنه لايحكم لهؤلاء بالنار وجعلهم بمنزلة من لم تبلغه الدعوة، وهذا مذهب لم يقل به أحد من المسلمين ولا الصحابة، وهذا المقلد ليس بمسلم وأما من لم تبلغه الدعوة فليس بمكلف وهو بمنزلة الأطفال والمجانين).

وقال فيه : (فإن قيل فهل لهذا عذر في ضلاله إذا كان يحسب أنه على هدى قيل لا عذر لهذا وأمثاله من الضلّال الذين منشأ ضلالهم الإعراض عن الوحي الذي جاء به الرسول ﷺ ولو ظن أنه مهتد فإنه مفرط بإعراضه عن اتباع داعي الهدى فإذا ضل فإنما أتى من تفريطه وإعراضه، وهذا بخلاف من كان ضلاله لعدم بلوغ الرسالة وعجزه عن الوصول إليها فذاك له حكم آخر والوعيد في القرآن يتناول الأول وأما الثاني فإن الله لا يعذب أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه).

وقال فيه : (الفرق بين مقلد تمكن من العلم فأعرض عنه ومقلد لم يتمكن من ذلك فالمتمكن المعرض مفرط تارك للواجب لا عذر له).

وقال ابن القيم في تعليقه على آية الميثاق (وهذا يقتضي أن نفس العقل الذي به يعرفون التوحيد حجة في **بطلان** الشرك لا يحتاجون في ذلك إلى رسول ، وهذا لاينا قض (**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**) وقال فكون ذلك فاحشة وإثما وبغيا بمنزلة كون الشرك شركا ،فهو **شرك في نفسه قبل النهي وبعده** فمن قال إن الفاحشة والقبائح والآثام إنما صارت كذلك بعد النهي فهو بمنزلة **من يقول الشرك إنما صار شركا بعد النهي وليس شركا قبل ذلك ومعلوم أن هذا مكابرة صريحة للعقل والفطرة**) مدارج السالكين ١/ ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠.

٩- قال ابن أبي العز: (فلو أقر رجل بتوحيد الربوبية ، الـذي يقـر بـه هـؤلاء النظار ويفنى فيه كثير من أهل التصوف ويجعلونه غاية السالكين ، وهو مـع ذلـك لم يعبد الله وحده ويتبرأ من عبادة ما سواه كان مشركا من جنس أمثاله من المـشركين) شرح الطحاوية ١٥٠.

١٠- قال النووي في شرح مسلم : (أما دخول المشرك النار فهو على عمومه ، فيدخلها ، ويُخلد فيها ، ولا فرق فيه بين الكتابي وبين عبدة الأوثان وسـائر الكفـرة ، ولا بين من خالف مِلة الإسلام وبين من أنتسب إليها ثم حُكم بكفره).

١١- قال الصنعاني في تطهير الاعتقاد: (أفيـصير هـؤلاء الـذين يعتقـدون في القبور كالذين يعتقدون في الأصنام : قلت نعم قد حصل فيهم ما حـصل في أولئـك وساووهم في ذلك بل زادوا عليهم في الاعتقاد والانقياد والاستعباد .

فإن قلت هؤلاء القبوريون يقولون نحن لا نشرك بالله والالتجاء إلى الأوليـاء ليس شركاً ، قلت هذا جهل منهم بمعنى الشرك، فإن هذا الذي يفعلونـه هـو عـين الشرك وما كان يفعله الأولون .

فإن قلت هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلونه .

قلت : قد صرح الفقهاء في باب الردة أن من تكلم بكلمة الكفـر يكفـر وإن لم يقصد معناها وهذا دال على أنهـم لا يعرفـون حقيقـة الإسـلام ولا ماهيـة التوحيـد فصاروا حينئذ كفاراً كفراً أصلياً، فإن الله تعالى قد فرض على عبـاده إفـراده بالعبـادة وإخلاصها ومن نادى الله ثم نادى معه غيره فقد أشرك .) . انتهى كلامه رحمه الله .

١٢- قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (فجنس هؤلاء المشركين نحكم بأنهم مشركون ونرى كفرهم إذا قامت عليهم الحجة) الدرر ١/ ٤٣٤ .

فانظر كيف سماهم مشركين فهل يصح أن يقال مسلمين مشركين، مما يدل على أنه يقصد بالتكفير حكمه المتعلق بالقتال والتعذيب وليس اسمه.

(الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه قد يقولها وهو جاهل فلا يعذر).

وقال في التوحيد في باب لابس الحلقة وأنه لايفلح: (إنه لم يعذر بالجهالة).

وقال : (فمن عبد الله ليلا ونهارا ثم دعا نبيا أو ليا عند قبره فقد اتخذ إلهين إثنين ولم يشهد أن لا إله إلا الله ، لأن الإله هو المدعو ، كما يفعل المشركون اليوم عند قبر الزبير وعبد القادر وغيرهم) . الدرر ١٠/ ٧١. فصرح أنه اتخذ إلهين ولم يتشهد.

فهل يمكن أن يكون هذا مسلما لأنه جاهل في حكم الشيخ وغيره من العلماء.

وقال : (وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ولعل بعضهم يدعي العلم وفيه زهد وعبادة ، إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله) المؤلفات العقيدة ٣٦٣.

وقال :(من مات من أهل الشرك قبل بلوغ هذه الدعوة فالذي يحكم عليه إذا كان معروفا بفعل الشرك ومات عليه فهذا ظاهره أنه مات على الكفر فلا يُدعى له وأما حقيقة أمره فإلى الله فإن قامت عليه الحجة وعاند فهذا كافر في الظاهر والباطن وإن لم تقم عليه الحجة فأمره إلى الله) الدرر ١٠/ ١٤٢ ، ومثله جاء عن أبنائه.

وقال : (فإذا عرفت أن جُهال الكُفار يعرفون ذلك ، فالعجب ممن يدعي الإسلام ، وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جُهال الكفار،بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها، من غير اعتقاد القلب، بشيء من المعاني الدرر ١/ ٧٠ .

١٣- قال أئمة الدعوة: (إذ كان يعمل بالكفر والشرك لجهله وعدم من ينبهه ، لا نحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة ، ولكن لانحكم بأنه مسلم) الدرر ١/ ١٣٦.
وقال أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحمد بن ناصر آل معمر : (إذا كان يعمل بالكفر والشرك لجهله أو عدم من ينبهه لا نحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة ولكن لا نحكم بأنه مسلم) الدرر١٠/ ١٣٦ .

وإن كان كلامهم في التكفير المعذب عليه وهذا مصطلح لابن تيمية وأئمة الدعوة إلا أنه لا يعني كلامهم أنهم ليسوا بمشركين بل يجزم بكفرهم ويلحقهم اسم الكفر دون حكم القتل والعذاب ، فتنبه ولا تظن أن كلامهم عدم تسميتهم كفار.

وقال عبد الرحمن بن حسن وابنه عبد اللطبف: (من فعل الشرك فقد ترك التوحيد فإنهما ضدان لا يجتمعان ونقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان ، فمتى وجد الشرك انتفى التوحيد) الدرر الدرر ٢/ ٢٠٤ ، المنهاج ص٦.

وقال : (أجمع العلماء أن المرء لا يكون مسلما إلا بالتجرد من الشرك والبراءة منه وممن فعله) الدرر ١١/ ٥٤٥ ، ٥٣٦ .

فكيف يكون مسلما لأنه جاهل وهو مشرك .

فلا يمكن أن يكون أحد مسلم مشرك لآبد من أحدهما .

وقال: (والعلماء ذكروا باب حكم المرتد ولم يقل أحد منهم أنه إذا قال أو فعل كفرا وهو لا يعلم أنه يضاد الشهادتين أنه لا يكفر بجهله) الدرر ١١/ ٤٧٨ .

وقال عبداللطيف : (فيمن يظن أن كلام أهل العلم وتقييدهم بقيام الحجة ينفي اسم الكفر والشرك وقال إن عدم قيام الحجة لا يغير الأسماء الشرعية بل

يسمى ما سماه الشرع كفرا أو شركا باسمه ولا ينفيه عنه وإن لم يعاقب فاعلها إذا لم تقم عليه الحجة) المنهاج ٣١٦.

وقال: (كم هلك بسبب قصور العلم وعدم معرفة الحدود والحقائق من أمة وكم وقع بذلك من غلط وريب وغمة مثال ذلك الإسلام والشرك نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان والجهل بالحقيقتين أو أحدهما أوقع كثيرا من الناس بالشرك وعبادة الصالحين لعدم معرفة الحقائق وتصورها) منهاج التأسيس ص١٢.

وقال إسحاق في تكفير المعين : (كيف يجعل النهي عن تكفير المسلمين متناولا لمن يدعو الصالحين ويستغيث بهم ويصرف لهم العبادة وهذا باطل بالنصوص والإجماع) .

وقال سليمان بن عبد الله في شرحه لكتاب التوحيد : (ولا ريب أنه لو قالها أحد من المشركين ونطق بشهادة أن لا إله إلاَّ الله محمداً رسول الله، ولم يعرف معنى الإله ولا معنى الرسول ، وصلى وصام وحج ولا يدري ما ذاك إلاَّ أنه رأى الناس يفعلونه فتابعهم ولم يفعل الشرك ، فإنه لا يشك أحد في عدم إسلامه) .

وقال أيضا في التيسير: (من تكلم بهذه الكلمة عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً، كما دل عليه قوله: {فاعلم أنه لا إله إلاَّ الله} وقوله: {إلاَّ من شهد بالحق وهم يعلمون} أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها، فإن ذلك غير نافع بالإجماع . فتباً لمن كان أبو جهل وغيره أعلم منه بلا إله إلاَّ الله) .

وقال عبد الله أبا بطين في الانتصار : (وقد ذكر العلماء من أهل كل مذهب أشياء كثيرة لا يمكن حصرها من الأقوال والأفعال والاعتقادات أنه يكفر صاحبها ولم يقيدوا ذلك بالمعاند فالمدعي أن مرتكب الكفر متأولا أو مجتهدا أو مخطئا أو مقلدا أو جاهلا معذور مخالفا للكتاب والسنة والإجماع بلا شك).

وقال فيه: (جزم ابن تيمية بتكفير من فعل الشرك ولم يستثن الجاهل).

وقال : (كل من فعل اليوم ذلك عند المشاهد فهو مشرك كافر بدلالة الكتاب والسنة والإجماع، ونحن نعلم أن من فعل ذلك ممن ينتسب إلى الإسلام أنه لم يوقعهم في ذلك إلا الجهل، فلو علموا أن ذلك من الشرك لم يقدموا عليه، فكفرهم جميع العلماء ولم يعذروهم بالجهل، كما يقول بعض الضالين أن هؤلاء معذورون لأنهم جهال) الدرر ١٠/ ٤٠٥.

وقال أيضا (تقدم كلام ابن عقيل في جزمه بكفر الذين وصفهم بالجهل فيما ارتكبوه من الغلو في القبور نقله عنه ابن القيم مستحسنا له)الدرر ١٠/ ٣٩٤.

قال ابن باز : (من عُرف بدعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر لهم ونحو ذلك من أنواع العبادة فهو مشرك كافر لا تجوز مناكحته ولا دخوله المسجد الحرام ولا معاملته معاملة المسلمين ولو ادعى الجهل .. ولا يلتفت إلى كونهم جهالا بل يجب أن يعاملوا معاملة الكفار حتى يتوبوا) تحفة الإخوان ٣٧ .

الخامسة : ذكرنا الجواب عن الأدلة والأقوال المخالفة ما يحتج به المخالفون في شرح النواقض .

الباب السابع

أنواع الشرك وأقسامه

التمهيد :

المسألة الأولى: أنواع الشرك وأقسامه :

الشرك ينقسم إلى أقسام باعتبارات :

الاعتبار الأول : باعتبار موضوعه وحقيقته ونوعه :

ينقسم إلى شرك في الألوهية كالاستغاثة بالأموات والسجود للمخلوق.

وشرك في الربوبية كنسبة الخلق لغير الله وادّعاء علم الغيب .

الاعتبار الثاني : باعتبار خطره :

ينقسم إلى شرك أكبر كالذبح لغير الله ، وشرك أصغر كالحلف بغير الله .

الاعتبار الثالث : باعتبار ظهوره وخفائه :

ينقسم إلى شرك ظاهر كالسجود للمخلوق ، وشرك باطن كالخوف من المخلوق ، وشرك خفي وهو الرياء .

الفرق بين الشرك الخفي والباطن .

الخفي قيل هو الذي لا يعلمه الشخص ولا يشعر به .

والأظهر أنه خفي لأنه مصروفاً لله تعالى من حيث الأصل، وهو خاص بالرياء . والشرك الباطن هو ما كان متعلقاً بالقلب ومصروفا من أصله لغير الله كالخوف من غير الله . وسيأتي .

الاعتبار الرابع : باعتبار الآلة :

ينقسم إلى شرك فعلي كالسجود والذبح وشرك قولي كالدعاء وشرك اعتقـادي قلبي كالخوف والمحبة .

الاعتبار الخامس: باعتبار كيفيته :

ينقسم إلى شرك تعطيل ونفي وسلب وإنكار كإنكار صفات الله وعدم عبادته.

وشرك تنديد وتمثيل وإيجاب وإثبات كإثبات علم الغيب للمخلوق.

وكل منهما ينقسم لكلي وجزئي.

*** كما يتنوع إلى أنواع أخرى بحسب صفته وهو داخل فيما سبق ، فمن ذلك:**

- تنوعه إلى شرك الدعوة وشرك المحبة وشرك الإرادة وشرك الطاعة.
- وشرك متعلق بالأحياء وشرك متعلق بالأموات .
- وشرك القبور والقصور ، والأول هو شرك الدعاء والثاني هو شرك الحكم .
- وشرك عناد وجهل وإعراض وجهل وتكذيب .
- وشرك استقلال وشراكة وشفاعة .

والاعتبارات الخمسة الأولى أقسام والباقية من قبيل الأمثلة لا التقسيم.

المسألة الثانية : طرق أخرى في تقسيم الشرك :

١ - يمكن أن يقال الشرك لا يخرج عن أربعة أقسام :

الأول : إنكار ألوهية الله وتعطيل الله عنها:

إما بالكلية أو إنكار بعضها كالتحاكم والطاعة أو الدعاء أو الخوف وغيرها.

الثاني : إنكار ربوبية الله وأسمائه وصفاته وأفعاله :

إما بالكلية أو نوع منها كالعلم أو القدرة أو الخلق أو البعث أو الإرسال.

الثالث : إثبات الربوبية لغير الله من المخلوقين :

إما إثباتها بالكلية للخلق أو إثبات نوع منها للمخلوق كعلم الغيب أو القـدرة أو التشريع.

الرابع إثبات الألوهية والعبادة لغير الله تعالى :

إما بالكلية أو فرد منها كالحكم والدعاء وتمثيل المخلوق بالله في استحقاقه لها .

والأول والثاني يصطلح بعض أهل العلم على تسميته بالكفر، وهما مـن شرك التعطيل والثالث والرابع من شرك التمثيل والتنديد .

٢- أقسام الشرك بطريقة أخرى : كما أن الشرك لا يخرج عن ستة أنواع :

١- شرك إخلاص وإرادة ونية وقصد وتوجه وتوكل ورجاء وتعظيم .

٢- شرك وسائط وشفعاء ودعاء .

٣- شرك تنسك بالقيام والسجود والطواف يدخل في السابق .

٤- شرك ولاية ومحبة وهو داخل في الأول.

٥- شرك في الحكم والطاعة والانقياد والتشريع

٦- شرك الربوبية : بتعطيل الله عنها كإنكار الصفات، أو اعتقاد وجود مخلوق يستحق شيئاً من أفعال الربوبية وإثباتها له كعلم الغيب والقدرة وهو شرك التمثيل .

٣- يتنوع الشرك من حيث متعلقاته :

يتنوع إلى: شرك في ربوبيـة الله وشرك في ألوهيتـه وعبادتـه وطاعتـه وحكمـه وشريعته ودينه وقدره ورسالاته والإيمان به والإسلام له .

وتقدم الكلام عن متعلقات الشرك .

٤ – يتنوع الشرك من حيث حقيقته :

شرك التمثيل : وهو نوعان :

تمثيل في الربوبية والصفات وتمثيل في العبادة والألوهية .

ويكون بطريقين : تمثيل الله بالمخلوق وتمثيل المخلوق بالله في النوعين .

شرك التعطيل : وهو نوعان :

تعطيل صفات الله وربوبيته وتعطيل عبادة الله وألوهيته:

قال ابن تيمية : (ومن لم يشرك به ولم يعبده فهو معطل عن عبادته كفرعون وأمثاله فهو أسوء حالا من المشرك فلا بد من عبادة الله وحده .. فلا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ولا يدخلها مشرك ولا مستكبر عن عبادة ربه) الفتاوى ١٤/ ٤٧٧ .

وقال: (الفلاسفة إذا ادعوا التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل، والتوحيد الذي جاءت به الرسل لابد فيه من إخلاص الدين لله وعبادته وحده ، والتوحيد الذي يدعونه هو التعطيل تعطيل حقائق الأسماء والصفات ، وفيه من الكفر ما هو أعظم أسباب الإشراك ، ولو كان معهم التوحيد بالقول وهو أن يصفوا الله بصفاته ، لكان معهم التوحيد دون العمل ، وذلك لا يكفي بل لا بد من أنه يعبد الله وحده ويتخذ إلها دون ما سواه) الفتاوى ٩/ ٣٥ ومثله في ١٨/ ٥٨ .

المسألة الثالثة : أقوال العلماء في تقسيم الشرك :

قال ابن تيمية :(وجماع الأمر أن الشرك نوعان :

شرك في ربوبيته، وشرك في الألوهية بأن يدعو مع الله غيره أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة) اقتضاء الصراط ٣٥٧.

قال ابن القيم : (الشرك شركان :

الأول : شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله - وهذا شرك الربوبية - .

الثاني : وشرك في عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله - وهذا شرك الألوهية - .

و الشرك الأول - المتعلق بالربوبية نوعان : - شرك تعطيل وجحود وإنكار وشرك تمثيل وتنديد - :

أحدهما : شرك التعطيل :

وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون حين قال وما رب العالمين والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك، لكن لا يستلزم أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق سبحانه وبصفاته ولكن عطل حق التوحيد ، وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل .

وهو ثلاثة أقسام :

١- تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه .

٢- وتعطيل الصانع عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه .

٣- وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد .

ومن هذا شرك طائفة أهل الوحدة الوجود، والقائلين بقدم العالم وأبديته، ومن عطل أسماء الرب وأوصافه وأفعاله من غلاة الجهمية والقرامطة .

النوع الثاني : شرك من جعل مع الله إله آخر ولم يعطل أسماءه وأوصافه وربوبيته -وهو شرك التمثيل والتنديد- .

ومن هذا شرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة فجعلوا المسيح إلهاً وأمه إلها، وكشرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة، والقدرية القائلين العبد يخلق فعله، والنمرود الذي حاج إبراهيم فجعل نفسه ندا لله، ومن جعل الكواكب أرباباً مدبرة للعالم كما هو مذهب الصابئة .

الشرك الثاني : فهو الشرك في العبادة والألوهية فهو أسهل من الأول وأخف فإنه يصدر ممن يعتقد أنه لاإله إلا الله وأنه لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع إلا الله وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، ولكن لا يخلص الله في معاملته وعبوديته .

وهذا الشرك ينقسم إلى أكبر وأصغر ، ومن الأكبر :

الشرك في المحبة والسجود والطواف والحلق والتقبيل والتوكل والإنابة والنذر والدعاء والتسوية بين الله وخلقه فيها وفي التأله والخضوع والتذلل، وكل ذلك محض حق الله الذي لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب ولا نبي مرسل) . الجواب الكافي ١٥٢ .

المسألة الرابعة: حقيقة أنواع الشرك التي يذكرها العلماء في الشرك الأكبر :

١- شرك المحبة ٣- شرك الطاعة ٢- شرك الدعوة ٤- شرك الإرادة .

شرك المحبة : دليله قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ البقرة: ١٦٥.

وشرك الدعوة : دليله قول الله سبحانه: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ العنكبوت: ٦٥.

وشرك الطاعة : دليله قوله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١.

وشرك الإرادة : دليله قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ هود: ١٥ .

مسألة : هل هذه الأنواع الأربعة للحصر أم هي للتمثيل ؟

الصحيح أن هذه الأربعة للتمثيل ، وليست للحصر ، فأنواع الشرك كثيرة بالنسبة للعبادات ، فالمحبة عبادة ، والدعاء عبادة والطاعة عبادة ، والإرادة عبادة ، وهذه ليست وحدها العبادات ، وإنما هي بعضها وأمثلة لها .

وأكثر الشرك راجع إلى هذه الأنواع الأربعة وأكثر المشركين يقعون فيها ، إما حباً لغير الله، أو دعاءً لغير الله ، أو طاعةً لغير الله ، أو أرادة غير الله ، لكن ليست هذه فقط هي الشرك بل هنالك أنواع أخرى للشرك منها :

شرك الخوف ودليله قوله تعالى:﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران١٧٥.

وشرك التوكل ودليله: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ المائدة: ٢٣.

وشرك الحكم ودليله: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠.

فهذه عبادات يوجد فيها شرك فالخوف من غير الله شرك والحكم بغير ما أنزل الله شرك . فلو قلنا مع شرك الخوف وشرك المحبة وشرك الدعوة شرك الخوف وشرك الإنابة وشرك الإستعانة وشرك التوكل لكان هذا صحيحاً .

وذكر العلماء لهذه الأنواع هو من باب أن كل شرك يسمونه باسمه وليس من باب التقسيم وإنما من باب التمثيل .

المسألة الخامسة : قد يكون الفعل الواحد داخلاً في شرك الربوبية والألوهية :

بعض الأنواع والأمثلة تدخل في أكثر من قسم :

فتكون شركا في الربوبية وشركا في الألوهية . كما أن منها ما يكون شركا في الاعتقاد والقول والعمل . وتكون أكبر وأصغر . ومن أمثال ذلك:

١- السجود للمخلوق فإنه شرك من الساجد شرك في الألوهية وشرك من المسجود له شرك في الربوبية إذا رضي بالسجود له.

٢- الحكم من الحاكم شرك في الربوبية ومن المتحاكم شرك في الألوهية .

٣- التشاؤم والتطير والتبرك وتعليق التمائم : من قبيل شرك الأسباب .

فيجتمع فيها الشرك الأكبر والأصغر والربوبية والألوهية .

فإن اعتقد فيها مجرد السببية في حصول الحوادث وردها فهو شرك أصغر . وإن اعتقد فيها التأثير بذاتها أو أن الله ﷻ جعل فيها التأثير والقدرة على الدفع والنفع فهذا شرك أكبر.

وإن خاف هذه الأشياء ورجاها أو تعلق بها وأحبها فهذا أشرك في الألوهية .

والتبرك عبادة لأن الإنسان لا يفعله إلا لأجل الحصول على الأجر ، والخير من الله، ولوجود التعلق فيه والرجاء وهذه من العبادة.

٤ – التطير والتشاؤم يكون شركا في الربوبية والألوهية.

كما أنه يكون شركا في الاعتقاد والقول والعمل . ويكون أكبر وأصغر.

٥ –الرياء شرك في الألوهية طلب المدح من المخلوق ومراقبته وقصده ، كما أنه يتعلق بالربوبية ، ويكون قلبياً وعملياً .

فصل : الشرك الأصغر

م (١) : أقسام الشرك إلى أكبر وأصغر :

ينقسم الشرك من ناحية خطره وعظمه إلى أكبر وأصغر .

الشرك الأكبر هو الذي لا يغفره الله ويخرج عن الملة . ومن أمثلته: السجود لغير الله والذبح والنذر لغير الله ، والخوف من المخلوق والتوكل عليه فيما لا يقدر عليه المخلوق، دعاء غير الله والاستغاثة بالميت وطلب الشفاعة منه والتشريع .

والشرك الأصغر ما دون ذلك .

م (٢): تعريف الشرك الأصغر وحقيقته :

اختلف أهل العلم في تعريفه وضبطه على أقوال :

القول الأول : أنه ليس له تعريف، وإنما يعرف بالأمثلة .

الثاني: له تعريف وضابط يعرف به ، إلا أنه لا يوجد تعريف إلا وعليه انتقاد.

ومن أضبط ما عرف به الشرك الأصغر بأنه :

كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه وجاء النص بتسميته شركا، ولا يصل إلى الشرك الأكبر .

فمن قال : الشرك الأصغر كل وسيلة للشرك الأكبر، قد يعترض عليه بأن هناك وسائل للشرك الأكبر ليست من الشرك كالصلاة عند القبور.

ومنهم من قال : كل شيء سماه الله تعالى شركاً ولم يصل إلى الشرك الأكبر أو لم يخرج من الملة، وقد يعترض عليه بوجود أمثلة للشرك لم يرد ذكرها في النصوص.

م (٣) : **ضوابطه** : يمكن أن يعرف الشرك الأصغر بعدة ضوابط أو ببعضها :

١- كل ما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه .

٢- ما نهى عنه الشرع وسمّاه شركا من غير إخراج صاحبه من الملة .

٣- كل ما كان من قبيل التعلق بالأسباب والاعتماد عليها ونسبة الحوادث لغير الله ، أو تسبيب ما ليس بسبب . ومعظم الشرك الأصغر من باب الأسباب.

٤- كل ما ينافي كمال التوحيد ويقدح فيه وهو من جنس الإشراك ، فيخرج بهذا القيد المعاصي والكبائر .

٥- كل ما كان من قبيل الألفاظ وهيئة العمل من غير أن يقارنها اعتقاد .

٦- كل ما فيه تعلق القلب بغير الله واللجوء والتوجه إلى غيره، لكن لا يصل إلى رتبة العبادة ولا يتضمن عبادة للمخلوق .

٧- الذرائع والأسباب والدواعي والوسائل لحصول الشرك ووقوعه .

٨- ما جاء منكراً غير معرف فهو أصغر وما جاء معرفاً بأل فهو الأكبر .

م (٤) :**قاعدة : وجه كون الشرك الأصغر شركا :**

لأن فيه نوع شرك وذلك بإعطاء المخلوق بعض صفات الرب تعالى وخصائصه.

فائدة : معظم أنواع الشرك الأصغر من باب الأسباب .

م (٥) : **قاعدة : وجه كون الشرك الأصغر شركا أصغر وليس بأكبر:**

لأنه ليس فيه رفع للمخلوق إلى درجة الألوهية وليس فيه عبادة.

م (٦) : **يوجد شرك أصغر لم ينص على أنه شرك وإنما يعرف بالقياس .**

مثال : كالشرك الأصغر في المحبة وفي الخوف.

م (٧) : **العلاقة بين وسائل الشرك والشرك الأصغر :**

أغلب وسائل الشرك إن لم يكن جميعها فيها نوع شرك حتى التقليد والتصوير والتعظيم والكبر والتوسل ، لكن قد يوجد وسائل للشرك الأكبر وليست من باب الشرك الأصغر . مثل : الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها والصلاة في المقبرة من غير قصد التبرك .

لكن لا يوجد شرك أصغر إلا وهو وسيلة من وسائل الشرك الأكبر .

م (٨): تتنوع وسائل الشرك لنوعين خاصة بالقبور والأموات ووسائل عامة .

م (٩) : وجوب تغيير الألفاظ الموهمة والتي قد تكون وسيلة وذريعة للشرك.

م (١٠) : **يسمي بعض أهل العلم الشرك الأصغر شرك الألفاظ :**

وهذه التسمية يؤخذ عليها وجود شرك متعلق بالقلب وليس من الألفاظ كما أن بعض الألفاظ من الشرك الأكبر كدعاء غير الله . وقد يكون مرجع هذا المصطلح للمرجئة الذين لا يكفرون إلا بالجحود والاستحلال وكفر القلب .

م (١١) : **ورود تسمية الشرك بالأصغر وبالخفي في الشرع :**

قال الرسول ﷺ : (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) قالوا وما الشرك الأصغر قال : (الرياء) رواه أحمد.

وقال الرسول ﷺ : (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال) قلنا : بلى يارسول الله ، قال : (الشرك الخفي ، أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل) رواه أحمد وابن ماجه.

م (١٢) : الفرق بين الشرك الخفي والباطن:

فائدة : البعض ضبط الخفي بما لا يعلمه الشخص ومن ذلك جاء التعوذ والاستغفار منه ، كما في الحديث (اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم).

والأظهر أنه خفي من ناحية كونه مصروفاً لله تعالى من حيث الأصل، فالمرائي صلاته صلاها لله وليست لمن يرائي له ولكن زينها وحسنها له . ولو أنه لم يُنشئ الصلاة إلا للمخلوق لكان شركا أكبر .

أما الشرك الباطن القلبي فمن مثل الخوف والتوكل والمحبة وبقية العبادات القلبية فهي شرك مستقل ظاهر وليس خفياً ، لأنها صرفت للمخلوق من دون الله فالخوف حاصل من المخلوق وهذا بخلاف الصلاة والسجود والحج والصدقة وغيرها من العبادات التي يدخلها الرياء فسجود المرائي وصلاته وحجه أصلها لله .

م (١٣) : مصطلح الشرك الخفي للرياء .

تسمية النبي ﷺ الرياء بالشرك الأصغر والشرك الخفي وسماه شرك السرائر:

لكن لا يدل على أن الشرك الخفي لا يكون منه شرك أكبر وأن الرياء لا يصل إلى الشرك الأكبر.

ويدخل البعض في الشرك الخفي أنواعا كثيرة غير الرياء ويزعم أن الرسول ﷺ فسّر الشرك الخفي ببعض أفراده فيدخل في الشرك الخفي شرك الخوف والتوكل وأعمال أخرى، وهذا خطأ فهناك فرق بين الشرك الخفي والشرك الباطن كما تقدم.

م (١٤) : الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر :

١ – أن الشرك الأكبر لا يغفره الله إجماعاً أما الشرك الأصغر فمحل خلاف .

٢ – أن الشرك الأكبر يخرج من الملة والشرك الأصغر لا يخرج من الملة .

٣ – أن الشرك الأكبر يحبط الأعمال والشرك الأصغر لا يحبط الأعمال .

٤ – أن الشرك الأكبر يبيح الدم والمال والعرض وأما الشرك الأصغر فلا .

٥ – تجري على صاحب الشرك الأصغر أحكام الإسلام وتجري على صاحب الشرك الأكبر أحكام الكفر والكافرين .

م (١٥) : سر وضابط الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر :

١ – أن الأكبر فيه عبادة لغير الله والعمل من أصله مصروف لغير الله، بينما الأصغر فاعله عابد لله ولكن عنده نوع توجه لغيره تعالى وأما العمل نفسه فهو لله.

٢ – أن الأكبر مبني على الخضوع والذل لغير الله .

٣ – أن الأكبر مبني على تعظيم المخلوق .

٤ – يجتمع الشرك الأصغر مع الإيمان والإسلام بخلاف الشرك الأكبر .

٥ – في الأكبر اعتقاد النفع والضر وإسناد الحوادث لغير الله فإذا وجد ذلك الاعتقاد في الأسباب كالتمائم والتطير ونحوها حولها إلى شرك أكبر.

م (١٦) : تحول الشرك الأصغر إلى أكبر:

قد يصير الشرك الأصغر شركا أكبر وذلك إذا قارنه الاعتقاد .

كأن يخرج من دائرة السببية إلى دائرة التأثير والاستقلال بالنفع والضر.

وذلك مثلاً في تعليق التمائم وقول (ما شاء الله وشاء فلان ولولا فلان).

م (١٧) : اختلف العلماء في الشرك الأصغر هل يغفره الله تعالى أو لا يغفره .

فمن أهل العلم من ذهب إلى أن الشرك الأصغر لا يغفره الله تعالى للآية التي في سورة النساء : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ .

وقالوا : في هذه الآية عموم ، فهي عامة للشرك الأصغر والأكبر ودلت الآية على العموم لأنها نكرة في سياق النفي .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الشرك الأصغر يغفره الله ﷻ .

وقال غيرهم: إن الشرك الأصغر لا يغفره الله ﷻ، لكن عدم مغفرة الله تعالى لا يستلزم دخول النار ولا يستلزم الخروج من الملة ، فقد يعذب الله ﷻ المشرك شركاً أصغر بأمراض أو نحوها في الدنيا أو بالعذاب في القبر أو يوم القيامة ، دون أن يدخل النار ، وقد يدخل النار ولكن لا يخلد فيها .

قال ابن تيمية : (إن الشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر لعموم الآية) .

وقال : (الشرك لا يغفر منه شيء لا أكبر ولا أصغر ، على مقتضى القرآن ، وإن كان صاحب الشرك الأصغر يموت مسلماً ، لكن شركه لا يغفر له بل يعاقب عليه وإن دخل بعد ذلك الجنة) . الاستغاثة ١٤٦ .

م (١٨) : الشرك الأصغر أعظم من الكبائر التي ليست بشرك .

قال ابن مسعود ﷺ : لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أحلف بغيره صادقا .

م (١٩) : علة خوف الرسول ﷺ من الشرك الأصغر :

لأن فاعله يفعله ولا يهتم له ولا يخشى من عواقبه فيستهين به حتى يوصله للشرك الأكبر من حيث لا يشعر ، فتنتشر ذرائع الشرك ومسوغاته والناس في غفلة .

م (٢٠) : **الشرك الأصغر في العبادات:**

هل يوجد عبادة صغرى ، وحقيقة عبادة الدنيا والدينار ، وهل الشرك الأصغر فيه عبادة لغير الله ، ومثلها ألوهية اتخاذ الهوى إلها .

العبادة حق لله وخاصة به لا تصرف لغيره .

كما في حديث معاذ : (حق الله على العبيد).

والعبادة هي التذلل والخضوع والمحبة والتعلق والإرادة والتعظيم.

ومن تذللت له حبا وتعلقا فقد عبدته.

ولذلك من تعلق بهواه وخضع له وأحب ما يهوى فقد صار عبدا له ، ومن أراد الدنيا والمال وعظمها وأحبها وقدمها وتعلق بها وأرادها فقد عبدها.

فمن تعلق قلبه بالدنيا حتى تصير همه ويضيع بسببها الواجبات ويفعل المحرمات ويوالي فيها ويعادي ويرضى بسببها ويسخط، فهذا يقال عنه عبد الدنيا .

وهذا هو حقيقة عبادة الدنيا والمقصود بقول الرسول ﷺ : (تعس عبد الدنيا إن أعطي منها رضي وإن منع منها سخط) رواه البخاري. تسمية الإنسان المسلم عبد الدنيا والدينار والمال ، وذلك أنه لما كانت الدنيا هي مقصود الشخص ومطلوبه الذي عمل له وصارت نيته مقصورة عليه يغضب ويرضى لها صار بذلك عبدا لها .

كما جاء تفسير ذلك في نص الحديث: بأنه إن أعطى رضي، وإن لم يعط سخط.

قال ابن رجب في فتح الباري عن حديث تعس عبد الدينار:(فدل على أن كل من أحب شيئا وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لأجله وعادى لأجله فهو عبده وذلك الشيء معبوده وإلهه).

وعبودية الدنيا هذه فيها نوع من معاني العبادة ، لا أصل العبادة التي يكفر من صرفها لغير الله. وليس المقصود بالعبودية هنا العبادة الكلية الكبرى الحقيقية التي يكفر من صرفها لغير الله وإنما الصغرى والتي تدخل في الشرك الأصغر، وسميت عبادة وجعلت منها لوجود بعض معاني العبادة فيها .

ومثلها العبادات الصغرى الشرك الأصغر في عبادة المحبة والخوف.

م (٢١) : **قاعدة : شرك الأسباب وإسناد الحوادث لغير الله .**

باب يدخل فيه معظم صور الشرك الأصغر.

إما بجعل ما ليس بسبب سببا ، أو بالغلو في السبب والاعتماد عليه .

قاعدة:حقيقة الشرك في قول ما شاء الله وشئت، ولولا كذا لصار كذا، ومطرنا بالربيع، وفي تعليق التمائم، والرقى ، والتبرك الممنوع ، والتطير ، والتوسل البدعي.

شرك لأن فيها نسبة شيء من التدبير والتأثير لغير الله . فإن اعتقد فيها الاستقلال في التدبير والمشيئة فأكبر، وإن جعلها مجرد سبب فشرك أصغر.

فائدة سيأتي وجه كون العجب والكبر والفخر والطعن في الأنساب والجزع من القدر من الشرك الأصغر .

م (٢٢) : **كفارة الشرك الأصغر:** لما قال الرسول ﷺ أيها الناس اتقوا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل قالوا وكيف نتقيه يارسول الله قال قولوا : (اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه) رواه أحمد بسند ضعف.

م (٢٣) : **حمى الرسول ﷺ جناب التوحيد وسد كل طريق يوصل إلى الشرك:**

ترك الألفاظ الموهمة والمحتملة وصيانة اللسان عنها والتي قد تفضي للشرك.

م (٢٤) : أقسام الشرك الأصغر :

ينقسم الشرك الأصغر إلى : شرك خفي وظاهر.

وينقسم الظاهر إلى : اعتقادي قلبي ، وقولي ، وعملي متعلق بالجوارح.

وينقسم إلى شرك أصغر متعلق بالربوبية ومتعلق بالألوهية .

القسم الأول: شرك أصغر خفي وهو الرياء .

القسم الثاني: شرك أصغر ظاهر وهو نوعان:

النوع الأول: في الربوبية وفي الأسماء والصفات، ويكون في ثلاثة أمور:

الاعتقاد: كمن يعتقد في أمرٍ أنه سبب في دفع ضر وجلب نفع وهو ليس سبباً كأن يظن التميمة تدفع العين أو يعتقد أن النجم سبب للمطر وكالتشاؤم.

أو يسمي المخلوق بشيء من أسماء الله .

الأعمال: تعليق التمائم ، والتصوير، والتطير.

الأقوال: ماشاء الله وشئت ولولا كذا لصار كذا، من ينسب المطر للنجم.

النوع الثاني: في الألوهية، ويكون في ثلاثة أمور:

الاعتقاد القلبي: كخوف المخلوق أو التعلق به . كخوف الحيوان المتشائم منه .

الأعمال: كأن يتمسح بجسده طلباً للبركة، مثل التمسح بجدران الكعبة ، أو يذهب إلى القبور لقصد الدعاء عندها لأجل ما يريده ويظنه من تحصيل بركتها .

الأقوال: كالحلف بغير الله، ومدح الناس وشكرهم على ما آتاك الله .

م (٢٥) : **بعض الأفعال تدخل في أكثر من قسم** : فتكون شركا في الربوبية وشركا في الألوهية . وشركا في الاعتقاد والقول والعمل . وتكون أكبر وأصغر . كالتشاؤم والتبرك يكون بالقلب واللسان والجوارح ، وشركا في الربوبية والألوهية.

م (٢٦) : **أمثلة على الشرك الأصغر** :

١- الرياء .

٢- السمعة .

٣- العجب .

٤- إرادة الدنيا بعمل الآخرة .

٥- الكبر ، ويدخل فيه الفخر .

٦- الحلف بغير الله ، (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) رواه الترمذي .

٧- التسوية في اللفظ ، كقول : لولا الله وفلان وقول ما شاء الله وشئت ، وفيه الحديث : (إنكم تشركون،تقولون ماشاء الله وشئت) أحمد.

٨- قول (لولا) : لولا الكلب لسرق البيت .

٩- تعليق الحوادث بغير الله وإسناد الأمور للأسباب والاعتماد عليها بالكلية. وتحت هذا الباب جملة من الأمثلة .

١٠- لبس الحلقة والخيط والتمائم ، (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) أحمد .

١١- التشاؤم والطيرة والتطير ، (الطيرة شرك) رواه أحمد وأبو داود .

١٢- عبادة الدنيا والمال والمنصب ، (تعس عبد الدينار) البخاري .

١٣- طاعة المخلوق في معصية الخالق .

١٤- التسمي بالحكم وقاضي القضاة وملك الملوك .

١٥- التعبيد لغير الله .

١٦- التسخط على القدر ، وهذا باب يدخل تحته أمثلة كثيرة .

١٧- نسبة المطر للنجم والأجواء، مطرنا بنوء وبالنجم الفلاني بسبب الشتاء.

١٨- الاستشفاع بالله على خلقه .

١٩- التصوير .

٢٠- تعظيم المخلوق والمبالغة فيه.

٢١- التعلق بالمخلوق .

٢٢- التبرك .

٢٣- الطعن في النسب .

٢٤- الفخر بالأحساب .

٢٥- الجزع والتسخط على القدر وعدم الصبر.

٢٦- قول (لو) .

٢٧- سب أفعال الله .

٢٨- سب الدهر .

٢٩- سب الريح .

٣٠- القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله .

٣١- الأمن من مكر الله .

٣٢- تسمية المخلوق بأسماء الله ووصف الله تعالى ببعض صفات خلقه .

٣٣- تعليق الدعاء بالمشيئة إذا قصد المعنى المحذور .

٣٤- شكر الناس على نعم الله .

٣٤- الشرك الأصغر في العبادات القلبية .

٣٥- الشرك الأصغر في المحبة .

٣٦- الخوف الأصغر .

٣٧- التوكل الأصغر .

٣٨- ترجي المخلوق .

٣٩- القيام للمخلوق تعظيما له .

٤٠- الحكم بغير ما أنزل الله في قضية معينة للهوى من غير استحلال .

٤١- تعظيم القبور ، ومن ذلك إسراجها والبناء عليها .

٤٢- الذبح والصلاة في أماكن عبادات الكفار .

٤٣- رعاية الآثار وتعظيمها .

٤٤- التوسل .

فهذه بضعة وأربعون فعلا شركيا من باب الشرك الأصغر.

فصل

القسم الأول : الشرك في الربوبية (التعطيل – التمثيل) :

المسألة الأولى : ينقسم الشرك في الربوبية إلى :

١- شرك تعطيل .

وصفته : أن يعطل الله من أفعاله وصفاته وكماله وتنفى عنه ربوبيته .

٢- شرك تمثيل وتنديد .

وصفته : أن يمثل الله بخلقه فيعطى صفة العبد .

أو يمثل الخلق بالله فيعطى المخلوق صفات الرب وأفعال الربوبية والألوهية .

وقد بين هذا التقسيم ابن القيم في البدائع .

المسألة الثانية : تقسيم آخر للشرك في الربوبية :

كما يمكن تقسيم الشرك في الربوبية حسب الصفة والفعل والنوع الذي تعلق به إما بتعطيلها أو التمثيل فيها :

فيقال الشرك في قدرة الله :وتحته صور وأنواع

منها ما هو داخل في شرك التعطيل ومنها ما يدخل في شرك التمثيل:

١- إنكار قدرة الله بالكلية . أو إنكار شيء من قدرة الله كإنكار القدرية أن يكون الله يقدر على أعمال بني ادم وإضلالهم .

٢- إثبات القدرة الكاملة التامة للمخلوق وتمثيل المخلوق بالخالق .

٣- تمثيل الخالق بالمخلوق في عدم القدرة ونسبة العجز إليه وهذا النوع مرده للتعطيل .

ومثله الشرك في صفة علم الله تمثيلا أو تعطيلا .

وكذا الشرك في بقية صفاته العلية وأفعال الربوبية الكريمة .

لأن التعطيل مرده وحقيقته قائم على تمثيل الخالق بالمخلوق في العجز والنقص وعدم الكمال .

المسألة الثالثة : يكون الشرك في الربوبية في ثلاثة أمور:

١ - الاعتقاد: كاعتقاد أن هناك من يخلق أو يحيي ويميت أو يتصرف في الكون.

٢ - الأعمال: كتعليق التمائم ولبس الحلقة ونحوها، واعتقاد أنها بذاتها محصلة للمقصود.

٣- الأقوال: كسب الرب وسب أفعاله كالريح وتمثيله بخلقه ، وإنكار الخالق عز وجل، وكالقول بوحدة الوجود وبقدم العالم.

قاعدة : **الإيمان بالربوبية كله من قبيل الاعتقادي ، وليس منه عملي والعمل متعلق بالألوهية .**

أما الشرك في الربوبية فمنه الاعتقادي ومنه العملي المتعلق بالجوارح مثل التشريع والحكم بغير ما أنزل الله والتصوير وتعليق الحلقة والتمائم والتشاؤم وسب الدهر والريح والجزع والتسخط على القدر .

المسألة الرابعة : الشرك في الربوبية منه الأكبر وهو الأصل ومنه الأصغر مثل تعليق التمائم وقول ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت .

النوع الأول : شرك التعطيل وتحته صور وأصناف :

التعطيل مأخوذ من العطل وهو الخلو والتفريغ والترك وهو بمعنى النفي والجحود والسلب والإنكار .

ويأتي في مقابل التمثيل والتنديد .

وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : تعطيل ربوبية الله تعالى : وله أربعة أنواع :

منها ما هو تعطيل كلي ومنها ما هو تعطيل جزئي وهو الثالث والرابع:

١- إنكار وجود الله تعالى .

٢- إنكار ربوبيته .

٣- إنكار بعض أفعال ربوبيته كالعلم والقدرة والحكم والإرسال والبعث .

٤- تعطيل حق التوحيد في ربوبيته .

الثاني : تعطيل الرب عن كمال صفاته وأسمائه إما جميعها أو بعضها إما بإنكارها أو تحريف معناها ويتزعم هذا الشرك الجهمية المعطلة.

الثالث : تعطيل الله ﷻ عن معاملته وعبادته بعدم عبادته سبحانه و إسقاط العبادة والفرائض أو تعطيل حق التوحيد والإعراض عنه .

وقد سمى الله تعالى ذلك شركا بقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فصلت: ٦ - ٧ . فجعل الله ترك الزكاة من الشرك ومثل الزكاة بقية العبادات والأعمال .

ومما يدخل في هذا النوع كفر الإعراض والامتناع وترك العمل والعبادة.

صور وأنواع شرك التعطيل :

١ – أعظمها إنكار الباري ﷻ والقول بعدم وجوده تقدس سبحانه وتعالى .

وممن يقول بذلك الشيوعية الماركسية ويوجد كثير من المسلمين ممن ينتسب إلى هذا المذهب الإلحادي بل ويعتبر الشيوعية شعاراً له .

كذلك يقول به الوجودية : الذين لا يؤمنون إلا بما هو مشاهد حاضر وينكرون كل غيبي ومن ذلك إنكارهم الرب تبارك وتعالى .

ومن هذا الصنف شرك فرعون حين قال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ النازعات: ٢٤ ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الشعراء ٢٣ ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ القصص: ٣٨ .

الفرق بين شرك فرعون وشرك النمرود الذي حاجه إبراهيم :

فرعون أنكر وجود الله تعالى وربوبيته .

وأما النمرود فلم ينكر ربوبية الله وإنما أثبت لنفسه ربوبية لنفسه من دون أن ينكر ربوبية الله فجعل نفسه ندا لله وربا معه وهو القائل: ﴿ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ ﴾ البقرة ٢٥٨، فلم يقل ربك لا يحيي ولا يميت، ولم يقل: أنا ربكم الأعلى ، وما علمت لكم من إله غيري ، وما رب العالمين ، وإنما قال: أنا أحيي مع الله وأميت مثله .

٢ – القول بأن الطبيعة هي التي خلقت نفسها وأن هذا العالم وهذا الكون وجد صدفة . وقال بهذا النوع من الشرك :

الفلاسفة الطبعيون والدهريون الذين قال الله عنهم : ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ﴾ الجاثية: ٢٤.

والقوميون والوطنيون القائلون : أن القومية والوطنية لها تأثير وخلق في نفوس أصحابها وتألف بينهم .

٣- القول أن الدنيا ليس لها بداية أو القول بقدم العالم وأزلية المادة :

ويوجد هذا الشرك عند : الفلاسفة الملاحدة ومن تأثر بهم من الفيزيائيين أصحاب قانون المادة الذي يقول : أن المادة لا تفنى ولا تبيد ولا تستحدث من العدم تعالى الله عن ذلك فأنكروا كونها مخلوقة حادثة وأنكروا كونها فانية وزائلة وهالكة وكذبوا بقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ الرحمن: ٢٦.

ومن جنس قول هؤلاء ما يقوله علماء الأرض والجولوجيا ، والأحياء من أن عمر الأرض يقدر بملايين السنين تخرصاً ما لهم بذلك من علم والأرض لا يصل عمرها لذلك فخلقت هذه العوالم بما فيها آدم في ستة أيام ومقدار اليوم ألف سنة ثم من آدم إلى نوح عشرة قرون كما ورد في حديث ابن عباس ثم من نوح إلى إبراهيم إلى محمد ﷺ جاءت مدته في التوراة والإنجيل بسبعة الألف سنة أو حوله والله أعلم .

٤- من يقول أن للعالم خالقان : ومن هؤلاء المجوس والمانوية والثانوية القائلين بإلهين إله النور وإله الظلمة والخير والشر .

٥- القول بأن العالم ينشأ ويرتقي ويتطور وأنه لا يوجد شيء خلق من العدم .

ويدخل في هذا الشرك شرك الدارونية القائلون بنظرية داروون أن الإنسان كان أصله قرداً، وهذا القول كفر بقوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ النساء: ١، كما أن هذا القول فيه إنكار لكون الله الخالق الباري المبدع وقد

ألزمهم الله بقوله : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ الطور: ٣٥ قيل من غير رب وقيل من غير مادة وقيل من غير حساب .

٦- إنكار أسماء الله وصفاته وأفعال ربوبيته وأن الله تعالى ليس له صفة، كما تقوله الجهمية المعطلة وأتباعهم المعتزلة والأشاعرة والماتريدية .

٧- القول بالحلول والإتحاد ووحدة الوجود :

وهذا الشرك داخل في تعطيل الله وإنكار وجوده في الحقيقة لكونه عطل الرب عن وجوده وكماله وصفاته وعلوه فضلا عن توحيده ، كما أن لهذا الشرك علاقة بشرك التمثيل لأن الحلول فيه تمثيل الله بخلقه حيث جعلوه حالاً بهم .

ومعنى الاتحاد : أي أن الرب اتحد مع خلقه في جسد واحد.

ومعنى الحلول : أن الرب حل في خلقه وسكن في أجسادهم تعالى الله .

ومعنى وحدة الوجود : أن الوجود واحد ، فكل شيء هو الله وكل موجود هو الرب ، لا فرق بين عبد ورب ولا خالق ولا مخلوق.

وقد قال بهذا الكفر النصارى حين قالوا الرب حل في المسيح واتحد معه .

كذلك تقول به غلاة الصوفية والرافضة أن الله حال في علي والأولياء .

والقاديانية القائلة أن الله حل في إمامهم .

والباطنية والجهمية القائلون أن الله في كل مكان .

والبريولية القائلون أن الرسول خلق من نور الله وغيرهم كثير .

٨- إنكار علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه .كما تقوله الجهمية المعطلة والمعتزلة والأشاعرة .

٩- إنكار علم الله وهم طائفتان :

الأولى: الفلاسفة: يقولون الله يعلم بالكليات ولا يعلم بالجزئيات والخفيات .

الثانية: القدرية: أتباع معبد وغيلان ، يقولون الله لا يعلم بالشيء إلا إذا وقع، وعلم الله أُنُف حادث مستأنف ويسبقه جهل تعالى الله عن كفرهم.

١٠- إنكار القدر من القدرية مجوس هذه الأمة :

القائلون أن الله تعالى لا يقدّر الشرور ولا يخلق فعل العبد وإنما العبد هو الذي يخلق فعله وكفره ومعصيته، فعطلوا الله من كونه يخلق أفعال عباده .

١١- القول بأن الله كان معطلاً عن الخلق والربوبية والفعل قبل أن يخلق العرش والقلم والسموات والأرض .

وقد قال بذلك المتكلمون القائلون بامتناع تسلسل أفعال الرب وصفاته وقدمها وأن الله اتصف بالصفات والأفعال بعد أن لم يكن متصفاً بها .

١٢- إنكار الرسالة وتكذيب الرسل والقول بعدم ختم النبوة بمحمد ﷺ .

وفي هذا تعطيل للرب عن صفة من صفاته وفعل من أعظم أفعاله ألا وهو الإرسال وبعثة الرسل والتي هي من خصائص ربوبيته وكمال ذاته المقدسة .

وقال بذلك كل مكذب بالرسل من المشركين واليهود والنصارى .

وفي هذه الأمة من مدعي النبوة ومصدقيهم أمثال الفلاسفة والباطنية القائلين النبوة مكتسبة وليست اصطفاء، وأن الولي خير من النبي ، والقاديانية والبابية والبهائية الذين يعتقدون نبوة إمامهم .

ومثل ذلك من ينكر الملائكة أو يفسرهم بالأرواح .

١٣- إنكار البعث والحساب لأن البعث والحساب من أفعال الرب ومن لوازم ربوبيته فمن أنكر البعث فقد عطل الله عز وجل عن بعض ربوبيته .

وقد قال بهذا جميع الأمم المكذبة لرسلهم والفلاسفة المكذبة بعودة الأجسام وكونها تعاد مرة أخرى .

١٤- إنكار دين الله سبحانه وشريعته وأمره ونهيه وفي ذلك تعطيل لربوبية الرب سبحانه الذي له الخلق والأمر وحده .

وقد وقع في هذا الشرك طوائف:

من زعم أن شريعة محمد ﷺ نسخت بشريعته كما تقوله القاديانية والبهائية والبابية والقرامطة .

ومنهم من قال الدين لا يرتبط بالحياة وهم العلمانيون .

ومنهم من يقول بسقوط التكاليف عن الخاصة كما يقوله الصوفية .

ومن يقول دين الله له باطن لا يفهمه إلا الخاصة كما يقوله الباطنية .

ومن يقول الناس أحرار في كل ما يذرون وليسوا بعبيد للدين ولا للشرع كما يقوله اللبراليون والحداثيون .

ومنهم يقول أن الدين له فهم في عصرنا غير فهم السلف وأن الإسلام العصري يوائم الحياة كما يقوله العصرانيون .

ومن يقول أن العمل يجب بالقرآن دون السنة كما يقوله القرآنيون المكذبون بالسنة المحمدية .

ومن يقع في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله كما يحصل من العلماء والأمراء .

ومن أشد أنواعه ما وقع فيه مشركوا زماننا من تعطيل العمل بشرع الله وسن القوانين الوضعية التي تضاهي شرع الله ودينه وأمره .

١٥- من ينكر الكتب ويكذب بها وهذا داخل في الشرك بتعطيل الله عن شرعه ودينه ورسالته .

١٦- القول بتناسخ الأرواح وأن الأرواح أزلية ليست بمحدثة ولا مخلوقة .

وفي ذلك تعطيل للرب من كونه خالقها وربها ومحدثها وقال بذلك الفلاسفة والهندوس والباطنية .

١٧- من ينكر قدرة الله أو يشكك فيها أو ينسب لله العجز وأنه لا يتصرف في خلقه ولا يدبر الأمور .

١٨- عبادة غير الله وتعطيل الله عن العبادة بصرف ما يستحقه تعالى ويختص به لغير سبحانه .

وهذا الشرك في العبادة لازمة الشرك في الربوبية من جهتين تعطيل الرب عن حقه في العبادة وتمثيل المخلوق بالخالق وإعطائه صفات الربوبية .

١٩- شرك التمثيل إذ التمثيل في الحقيقة تعطيل الله تعالى عن كماله .

النوع الثاني: شرك التمثيل والتنديد :

أولاً : تشبيه المخلوق بالخالق :

وله أصناف كثير وصور :

أولا:اعتقاد وجود إله مع الله يخلق ويرزق ويستحق أن يعبد من دون الله .

وهذا الشرك عند طوائف منها:

١ – المجوس والثانوية والمانوية القائلون بالأصلين النور والظلمة وإله الخير وإله الشر .

٢– النصارى القائلين بالتثليث وأن الله ثالث ثلاثة عيسى وأمه والأب وهو الله – تعالى الله عن قولهم – ، وعندهم عيسى إما أنه إله مستقل أو أنه ابن الله وهو نفس الإله، وأتوا بما يسمونه بالأقانيم والحلول والإتحاد .

٣– غلاة الصوفية والرافضة في اعتقادهم في أئمتهم .

ثانيا: القول بأن الله لم يباشر الخلق وإنما الذي باشر الخلق والفعل هو المخلوق .

وهذا الشرك يوجد عند طوائف :

١ – الفلاسفة القائلون أن الله علة المعلول، وأن العوالم خلقت مع الله والله علتها، وأن الله خلق العقل الأول والأول خلق الثاني وهكذا والعقل يشمل الأفلاك وكل العوالم حتى يأتي العقل والفلك السابع .

٢– كما يوجد هذا الشرك عند الباطنية وغلاة الصوفية والرافضة وغيرهم، القائلون أن الذي تولى الخلق والأمر والتدبير والتصريف هو المخلوق الولي أو الإمام أو الرسولﷺ ، فالله يريد وهذا الولي والإمام ينفذ أمر الله وإرادته، وأن الذي يحي

ويميت ويباشر الإحياء والإماتة هو هؤلاء، وكما يقول النصارى في عيسى والصوفية في الرسول ﷺ والأولياء والرافضة في علي أنهم هم من يقوم بحساب الناس يوم القيامة .

فعند هؤلاء أن الله جعل للأولياء كل فعل يفعله، فبأيديهم خزائن السموات والأرض وعندهم مقاليد الأمور، ونفع الخلق وضرهم ومصالحهم وأرزاقهم لا تجري إلا من تحت يد هؤلاء وأمر الله الناس أن يسألوهم حوائجهم ومطالبهم من الأولياء فهم مثل الوزراء والشفعاء والأعوان لله، تعالى عما يقوله الكافرون، وماذا بقي لله عند هؤلاء الكفرة .

ثالثا: إعطاء المخلوق صفة القدرة الشاملة الكاملة على كل شيء :

وذلك أن يقصد المشرك شرك التمثيل في الربوبية أن المخلوق له حق التصرف في الكون وتدبير الأمور، والقدرة على النفع والضر وإجابة الدعاء وسماع النداء وإغاثة المكروب وكشف الضر وإجابة المضطر، بل والقدرة على الخلق والإيجاد والإحياء والإماتة والإعدام والرزق والإمداد والقدرة على إنزال المطر وشفاء المريض والهداية والتوفيق والحفظ من الهلاك والدمار والإنجاء من عذاب القبر وعذاب النار وإدخال الجنة وغفران الذنوب، والقدرة على كل ما يفعله الرب، وإعطاء المخلوق كل صفة من صفات الربوبية الخاصة بالله .

بل ومن هؤلاء من يعتقد وجود من تغلب قدرته قدرة الله .

وهذا الصنف من الشرك هو قريب من الصنف السابق، ويوجد عند طوائف:

١ – الرافضة والباطنية الذين يصفون علي وآل البيت بالقدرة على كل شيء .

٢- الصوفية ومنهم البريلولية في اعتقادهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم وعموم الأولياء يقدرون على كل شيء .

٣- البابية والبهائية والقاديانية .

٤- أصحاب مذهب الروحية الحديثة ، فالأرواح عندهم تحل كل معضلة وتعلم الغيب.

٥- المنجمون يعتقدون أن الكواكب والنجوم لها تأثير في الحوادث الأرضية .

٦- السحرة والكهان والعرافون يعتقدون أنهم هم أو الشياطين يقدرون على مالا يقدر عليه إلا الله وأن بيدهم النفع والضر والتأثير والإماتة وعلم الغيب .

ومثلهم في الشرك والكفر من يعتقد من العوام فيهم هذه الصفة .

٧- العوام الذين يعتقدون النفع والضر والخير والشر والتأثير في :

أ- الرقي والتمائم بذاتها .

ب- في التطير والتشاؤم والعيافة .

ج- في الشيء الذي يتبرك به، حيث يعتقد المتبرك وطالب البركة من العين المتبرك بها الخير والنفع والنماء والتأثير والقدرة على حصول ما لا يقدر عليه إلا الله ونسبة ذلك للعين المتبرك بها .

د- الاستقسام بالأزلام .

هـ- الاستسقاء بالأنواء وأن للنجوم أسبابا في نزول المطر .

فان اعتقدوا أن فيها قدرة تؤثر بذاتها فهذ شرك أكبر ويتعلق بالربوبية.

وان اعتقدوا ان الله جعلها أسبابا فهذا شرك اصغر .

نسبة المطر للكواكب والشتاء : نسبة الأحوال والحوادث للكواكب ومحاولة إيجاد مناسبة حاضرة أو مستقبلية وعلامة سببية، فإن قارنه دعوى التأثير أو معرفة الغيب كان أشنع شركا . وقال الرسولﷺ حين نزل الشهاب ما كنتم تقولون فيه قالوا موت عظيم فأخبرهم عليه السلام أنه لا ارتباط له بما يحدث وليس له أي علاقة وإنما هو لرمي الشياطين الكهنة .

رابعا: إعطاء المخلوق صفة علم الغيب :

فعند أصحاب هذا الشرك المخلوق سواء كان نبياً أو وليا أو ساحراً أو شيطاناً أو غيرهم يعلم الغيب، وأن الولي يعلم ما كان وما سيكون ويعلم ما في اللوح المحفوظ بل وما في اللوح ليس إلا جزء من علمه، كما يقول البوصيري في الرسولﷺ وأنه يعلم مكنون الضمائر وأنه حاضر ناظر في كل مكان يسمع ويعلم كل شيء ومن يناديه ، وأنه يعلم مفاتح الغيب الخمسة فيعلم ما في الأرحام وما يكسب غدا ومتى الموت وأين يكون ومتى تكون الساعة .

وهذا الشرك يوجد عند طوائف من المشركين منهم :

١ - الرافضة والباطنية في أئمتهم وآل البيت .

٢- غلاة الصوفية في الرسول ﷺ وفي الأولياء والصالحين .

٣- السحرة والكهان والمنجمون والعرافون الذين يدّعون معرفة الغيب.

٤ - العوام ممن يعتقد أن السحرة والشياطين يعلمون الغيب .

الشرك في الأفلاك : باعتقاد قدرتها على التصرف في الكون وتأثيرها في حوادث والوقائع التي تحصل في الأرض من جهة ومن جهة أخرى باعتقاد علم الغيب من طريقها والاستدلال بحركاتها على ما سيصير في المستقبل .

ومن هذا الشرك ما يفعله أصحاب الأبراج في المجلات والصحف المعاصرة .

والكلام عن السحر والتنجيم بسطته في الناقض السابع من نواقض الإسلام .

خامسا: إعطاء المخلوق صفة التشريع والتحليل والتحريم والأمر والنهي :

وقد يجهل كثير من المسلمين أن ذلك من الشرك الأكبر بل من الشرك في الربوبية والألوهية معاً وسيأتي الكلام عنه مفصلا في شرح الناقض الرابع.

ويوجد هذا الشرك عند طوائف :

- القانونيون والمشرعون وهم من يسن القوانين ويشرع الأنظمة الآمرة والناهية، حيث جعل من نفسه رباً يحلل ويحرم ويشرع ما لم يأذن به الله من الدين وهذه توجد عند القضاة والحكام والأمراء الحاكمين بغير ما أنزل الله، وعند علماء السوء المحللين والمحرمين بأهوائهم.

- أرباب التقليد والتعصب للعلماء والمذاهب وتقديمها على الشرع والوحي .

- الرافضة والصوفية حين يقلدون أئمتهم ويطيعونهم في تشريعاتهم وإباحة المحرمات وإسقاط التكاليف .

سادسا: الشرك في النبوة والإرسال : ويوجد هذا الشرك عند طوائف :

١- من يقول أن النبوة مكتسبة ويمكن تحصيلها كما هو مذهب الفلاسفة .

٢- من يدعي النبوة ومن يشرك في توحيد المتابعة بأن لا يعتقد أن الرسول ﷺ هو خاتم الأنبياء أو أن الله ﷻ لم يأمر بتصديقه واتباع شرعه وامتثال أوامره ومحبته .

وهذا عند طوائف كثيرة كالقاديانية والباطنية والإسماعيلية ، وغيرهم .

ومنه قول علي بن الفضل الإسماعيلي: فإن نبي بني هاشم ولّى وهذا نبي بني يعرب .

فهؤلاء أشركوا في توحيد المتابعة وادعوا أن هنالك نبي بعد الرسول ﷺ، وأشركوا في فعل الله الإرسال وكفروا به.

سابعا: شرك غلاة الصوفية في الرسول ﷺ خاصة وفي الأولياء عامة.

فقالوا أنهم خزانة السر وموضع نفوذ الأمر فلا ينفذ الأمر إلا منه ولا ينقل خير إلا عنه كما يقول ذلك القسطلاني والزرقاني في شرح المواهب اللدنية .

وبمثل ذلك وأعظم ما قاله البريوني في كتبه الاستمداد والإمداد وبركات أمدادية:" إن كنت تريد شيء ما فاطلبه من محمد ﷺ فجميع أمور الدنيا والآخرة في اختياره وهو الذي يملك كلمة كن فيكون ولا يخرج شيء من الخزائن الإلهية إلا على يديه وأن الله يستأذنه ويسعى في رضاه وهو دافع البلاء والمرض والفقر وهو مالكنا ومولانا ويعلم الغيب " إلى آخر كلامه الشنيع وكفره البواح لعنه الله .

ومثلهم البرعي في ديوانه يخاطب الرسول بمثل ذلك ويقول أنه عبده .

وكذا النبهاني في شواهد الحق ، والبوصيري في بردته ، وغيرهم كثير .

ويقولون أن النبي ﷺ خلق من نور الله والمخلوقات مستمدة من نوره وأنه أول المخلوقات وأنه مالك الأراضين والناس والخلائق والجنة والنار ويوم الدين وهو المحيي المميت المعطي المانع غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب .

وعندهم أيضاً أن الرب يطلب رضا محمد .

فأي كفر أشد من هذا وأي شرك بعد هذا .

وبمثل ذلك قالت الصوفية في الأولياء .

ومن ذلك قولهم: ما يدق في العالم وتد ولا مسمار إلا بإذن البدوي .

ولذا ابتدعوا القطب والوتد والنجباء والأبدال والأوتاد والنقباء .

وإذا قيل لهم هذا الكفر البواح فأي توحيد بعد ذلك للرب، قالوا : الله هو الذي أقدرهم وأعطاهم وهم لا يفعلون ذلك استقلالاً .

ثامنا: الشرك في القدر .

من الأمور والأفعال التي اختص الله بها القضاء والقدر فلا يجوز أن يشرك فيه مع الله غيره لا بتعطيل الله عنه ولا بتمثيله بخلقه فيه أو نسبة القدر للخلق .

وقد وجد من المشركين من يصرفه لغير الله ﷻ ، فيعتقد أن هنالك مقدّر خالق مع الله أو مدبر أو مريد أو خالق أو عالم بكل شيء .

كما هو حال القدرية النفاة للقدر .

والصوفية الغلاة الذين يقولون أن الله لا يقدر شيئا إلا بعد استئذان محمد ﷺ.

تاسعا: القدرية مجوس هذه الأمة :

يقولون أن العبد يخلق فعل نفسه والله لا يخلقه ، فهو مماثل للرب في صفة الخلق ، فعطلوا الرب من صفة الخلق والقدر ونفوه عن الله ، وأثبتوه للمخلوق ومثلوا العبد بالخالق حين أثبتوا له صفة الخلق والإرادة والقدر .

عاشرا: التصوير :

شرك أصغر في الربوبية ، لأن فيه مضاهاة لخلق الله وصنعه وتمثل بالخالق ، وهذا شرك في التمثيل .

الحادي عشر : الكبر والاستكبار يعتبر شركا في الربوبية .

ثانياً : تمثيل الخالق بالمخلوق :

ولهذا القسم أمثلة كثيرة منها :

١ – تمثيل اليهود لعنهم الله الرب بالخلق في قولهم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ المائدة: ٦٤ ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ آل عمران: ١٨١ .

٢ – قول النصارى الله له صاحبة وهي مريم وله ولد وهو عيسى .

٣– نسبة الولد إليه كقول اليهود عزير ابن الله وكقول النصارى المسيح ابن الله وكقول المشركين الملائكة بنات الله .

٤ – القبوريون والمشركون ، قالوا: الله يحتاج لواسطة تشفع لنا عنده مثل ملوك الدنيا من المخلوقين .

٥ – قول القاديانية أخزاهم الله أن الله ينام ويصحو ويصوم ويصلي .

٦ – الممثلة الذين يمثلون الله بخلقه ويجعلون صفاته كصفات خلقه .

تنبيه : المعطلة الجهمية تسمي أهل السنة المجسمة المشبهة ، لأنهم يثبتون الصفات الواردة عن الله تعالى .

٧– المتكلمون الذين يصفون الله بصفات لم يصف نفسه بها .

٨– الحداثيون لا ينزهون الله عن وصف ولا فعل .

فصل

القسم الثاني : الشرك في الألوهية :

المسألة الأولى : ينقسم الشرك في الألوهية إلى أنواع بحسب آلته إلى :

اعتقادي وعملي وقولي :

النوع الأول : شرك الاعتقاد وعمل القلب وهو أصناف :

شرك الإخلاص والنية والإرادة ، شرك المحبة ، شرك الخوف ، شرك الرجاء ، شرك التوكل ، شرك الإنابة واللجوء والخضوع والتعظيم ، شرك الطاعة والحكم .

الثاني : شرك الأعمال والتقرب والتنسك بالجوارح . ومنها:

الصلاة والقيام والركوع والسجود والاعتكاف والمجاورة والحج والطواف والذبح والنذر والصيام والتقبيل والتمسح والتبرك وتجريد اللباس وحلق الشعر.

الثالث : شرك الأقوال :وهو نوعان :

شرك الدعاء. شرك المدح والشكر والثناء والحمد والتمجيد والتعظيم.

المسألة الثانية: يمكن أن يقال في تقسيم الشرك في الألوهية كما قيل في الربوبية :

شرك تعطيل وشرك تمثيل . فيعطل الله عن ألوهيته ويمثل فيها .

وكل منهما ينقسم إلى كلي وجزئي .

أولاً : شرك التعطيل في الألوهية :

وذلك بأن لا يؤلّه الله ولا يُعبد فيعطل عن ألوهيته .

وهذا التعطيل إما بالكلية فلا يعبد الله ألبته ، أو يعطل في باب منها كالتحاكم فلا يتحاكم إلى الله ويعطل شرعه ودينه فلا يعمل المشرك المعطل بما أنزل الله.

ثانياً : شرك التمثيل في الألوهية :

وذلك بأن يمثل المخلوق بالرب فيُجعل إلها مع الله بالباطل .

وهذا التمثيل إما أن يكون بالكلية كما يفعله بعض الصوفية المشركة والرافضة مع أوليائهم فيمثلونهم بالله ويصرفون لهم جميع أنواع العبادة ويعتقدون أن هؤلاء الأولياء يستحقون كل صفات وأفعال الألوهية .

أو يكون التمثيل في باب من أبواب الألوهية كالدعاء وطلب الشفاعة ، أو في الحكم والطاعة .

فقد وجد من يوحد الله في التحاكم ويشرك ويمثل المخلوق بالخالق في الدعاء والوسائط وطلب الشفاعة ، كما يوجد من يوحد الله في الدعاء والنسك . ويشرك ويمثل المخلوق بالخالق في التحاكم والطاعة .

أو في باب من أبواب الألوهية .

الثالثة : بعض العبادات تشمل أصنافاً وتدخل في أكثر من نوع.

فالصلاة فيها اعتقاد وقول وعمل ومثلها الحج .

والتعظيم يكون باعتقاد القلب ويحصل بالقول بالذكر وبالجوارح كالقيام .

والنذر عبادة بدنية وتتعلق بالقول وبالاعتقاد .

والحلف عبادة قولية داخلة في الذكر والتعظيم .

والأصل هي عبادات القلب من التعظيم والخضوع والعبادات مردها إليها.

المسألة الرابعة : العبادات التي لا تكون إلا من الشرك الأكبر :

كالركوع والسجود والدعاء والنذر .وهناك أفعال تكون عبادة وشركاً أكبر، وتكون أفعال تدخل في الشرك الأصغر: كالخوف والمحبة .

المسألة الخامسة: العبادات يمكن حصرها في أجناس :

١- جنس الإخلاص : الابتغاء النية الإرادة القصد .

٢- جنس الخوف : الخشية الرهبة الوجل الهيبة الإشفاق الحذر التقوى

٣- جنس الرجاء: الرغبة الأمل الطمع حسن الظن .

٤- جنس التوكل: الحسب الاستكفاء التفويض الاعتماد التسليم الثقة.

٥- جنس المحبة .

٦- جنس الذكر : الشكر والثناء والمدح والحمد والتسبيح والتقديس والتنزيه والاستغفار والتحية والحلف .

٧- جنس الدعاء : الاستعانة والاستغاثة والاستعاذة والصلاة .

٨- جنس التعظيم : التوقير والتقدير والإجلال .

٩- جنس التذلل:الخضوع، الإخبات، السكينة، الخشوع، الخنوع، الاستكانة، التضرع، التواضع، الاستخذاء، الخنوع، التقوى، السكون، الاطمئنان، الصبر .

١٠- جنس الطاعة والانقياد: الانقياد والإذعان والامتثال والالتزام والطاعة والإسلام والاستسلام والتسليم والاتباع والانصياع والتدين والعمل والاستقامة والاستجابة والأخذ بالشيء والمسابقة والمسارعة والتنافس في الخير.

١١- جنس التوبة والرجوع إليه واللجوء له والإقبال عليه: التوبة الإنابة الإوابة الإواهة.

١٢- جنس الحفظ : الأنس به وحفظه ومراقبته والانقطاع عما يشغل عنه والتبتل له وترك الشيء لأجله والورع والزهد والاستقامة والإحسان.

١٣- جنس الصبر واليقين والرضا.

١٤- جنس الحكم والدين: الحكم والتحاكم والطاعة التشريع والتحليل والتحريم وسن الدين.

١٥- جنس التنسك : القيام والركوع والسجود والصلاة والاعتكاف والمجاورة والطواف والتقبيل والتمسح والتبرك والذبح والنذر والتجرد من الملابس وحلق الشعر والصيام .

فهذه أجناس العبادات التي ترجع فيها جميع العبادات القولية والقلبية والعملية. وبينها تلازم وتداخل .

الصنف الأول : الإخلاص وشرك الإرادة والنية والقصد والابتغاء :

م (١):الإخلاص عبادة قلبية،وهو عبادة الله ﷻ وحده. ضده الشرك والرياء.

م (٢) :**المراد بالإخلاص والنية:**

قصد الله وحده بالعمل وإرادة وجهه بالعبادة . وأن لا يقع العبد في الشرك.

قد يعبر عن الإخلاص بالابتغاء أو النية أو الإرادة أو القصد .

وقد جاءت النصوص معبرة بهذه الألفاظ .

والإخلاص والتوحيد والإفراد بمعنى واحد ومترادف.

م (٣) : **اطلاقات الإخلاص ومعانيه:**

المعنى الخاص: وهو المتعلق بالإرادة والنية وبعض أفراد العبادة والطاعة، ويكون بهذا الاعتبار والإطلاق والمعنى جزء من التوحيد، ويصير المقصود به ما يقابل الرياء والسمعة والعجب وإرادة الدنيا .

المعنى العام: وهو مرادف للتوحيد ويتعلق بأصل الإيمان ويكون مقابلا بهذا جميع أنواع الشرك والكفر وهو المقصود في آية: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ الزمر: ٢.

م (٤) : **معنى النية:** النية هي العزم والقصد والإرادة والبغية .

م (٥) : **استعمالات النية** : للنية استعمالان :

١- تمييز العبادة بعضها عن بعض كصلاة الظهر عن العصر والنفل عن الفرض والعبادة عن العادة والعمل الجبلي الطبعي كالصوم والتخسيس والرجيم .

٢- تمييز العبادة عن الشرك وإرادة الله والإخلاص له وإرادة غيره .

م (٦): الإحسان يتناول الإخلاص وغيره لا مجرد الإخلاص فالإحسان أعم.

م (٧) : دليل الإخلاص والشرك المتعلق به :

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ هود: ١٥ -١٦. وآية هود هذه أصل في هذا الشرك .

﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ الكهف: ١١٠.

﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ آل عمران: ١٥٢ .

وقال تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴾ الإسراء: ١٨.

وقوله : ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴾ البقرة: ٢٠٠.

وقوله تعالى : ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ النساء: ١٤٢ .

وقوله : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة: ٥ .

وقوله ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ الشورى: ٢٠.

وفي السنة : عن عمر ﷺ مرفوعا (إنما الأعمال بالنيات) رواه البخاري.

عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا (قال الله ﷻ:أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي غيري تركته وشركه)رواه مسلم. معنى تركته وشركه : أي لم أقبله.

وفي رواية عند ابن ماجه : (فأنا منه بريء وهو للذي أشرك) .

وقال ﷺ : (إن الله ﷻ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه) رواه النسائي .

وقال ﷺ :(أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء) رواه أحمد .

حديث الضحاك بن قيس يرفعه :(إن الله ﷻ يقول :(أنا خير شريك ، فمن أشرك معي شريكا فهو لشريكي) ، يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم لله ﷻ فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له ، ولا تقولوا هذا لله والرحم فإنها للرحم وليس لله منه شيء، ولا تقولوا : هذا لله ولوجوهكم ، فإنه لوجوهكم وليس لله منه شيء). رواه البزار والبيهقي .

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطى رضي وإن لم يعط سخط؛ تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع) رواه البخاري.

م (٨) :حكم الإخلاص ومنزلته ومكانته:

الإخلاص ركن الدين القويم ولا يقبل عمل ولا عبادة بدونه كما جاءت الأدلة بذلك .وهو الغاية التي من أجلها خلق الخلق وبعثت الرسل والعبادة لا تقبل ولا ينظر فيها إلا إذا كانت خالصة لله وقام بها التوحيد ومالت وحنفت عن الشرك .

والدليل قوله تعالى :﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة: ٥ وقال: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ .

ولهذا كان السلف رحمهم الله يعتنون بالإخلاص ويجاهدون أنفسهم عليه.

يقول سفيان الثوري: (ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي لأنها تنقلب عليّ).

وقال الإمام أحمد : (أمر النية شديد) .

وقال القشيري : (أعز شيء في الدنيا الإخلاص) .

وقال ابن القيم في الفوائد: (لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس) .

م (٩) : مراتب الإخلاص وأقسامه إلى أصل وكمال :

الإخلاص له مراتب يتفاوت الناس فيه، والإخلاص في نفسه يزيد وينقص في المؤمن يزيد إلى درجة الكمال وينقص إلى درجة الأصل الواجب، والناس يتفاضلون فيه على القاعدة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، والإخلاص من الإيمان.

ومن زال من قلبه أصل الإخلاص فهو إما كافر مشرك أو منافق كمن زال عنه أصل الإيمان، أما من زال كمال الإخلاص عنه فهو مسلم وقد يكون عاصيا.

فالإخلاص مثله مثل بقية أعمال القلوب وشروط التوحيد من المحبة واليقين والصدق وغيرها له مرتبتان :

الأولى: أصل الإخلاص: وهو المتعلق بأصل الدين، وهذا لابد منه في الشهادتين، وإلا كان صاحبها كافراً مشركاً أو منافقاً .

والثانية: كمال الإخلاص :

وهذه المرتبة أصحابها بين من أتى بالإخلاص الواجب والمستحب، ومن أتى بالواجب وترك المستحب، ومن عنده أصل الإخلاص دون الواجب والكمال وهو

من ترك شيئاً من الواجب وفرط في عمل معين في بعض أفراد العبادات وشاب إخلاصه شوائب وهذا كحال بعض أهل الرياء .

ومن الأمثلة : من يطمع في ما بأيدي الناس أو يلتفت لهم أو يتطلع للمدح ويهمه الذم ويتكدر منه أو في قلبه شيء من مهابة الناس والخوف منهم، وكذا المجاهد في سبيل الله وفي قلبه التفات للمغنم .

قال ابن تيمية : (وكلما حقق العبد الإخلاص في قول لا إله إلا الله خرج من قلبه تأله ما يهواه) الفتاوى١/ ٢٦٠.

وقال ابن تيمية : (النوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله فيغفر الله له به كبائر كما في حديث البطاقة.... فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص) منهاج السنة ٦/ ٢١٨.

م (١٠) : القوادح في الإخلاص:

الأولى : قوادح تقدح في أصل الإخلاص وتنقضه وتزيله بالكلية وتبطله وتفسده من أساسه وهي الشرك الأكبر وهذا حال المشركين والكفار والمنافقين.

الثانية : قوادح كمالية: تنقص كمال الإخلاص إلا أنها لا تزيله ولا تبطله وإنما تنقص منه وتقدح فيه، ولا يشترط في من نقص إخلاصه أن يكون واقعاً في الشرك الأصغر والعصيان، بل صاحب النقص في الكمال دائر بين المقتصد والظالم لنفسه .

والقوادح المنقصة له إما أن يكون صاحبها قصر في الواجب منها وأنقص منه ويعتبر صاحبه مسلما عاصيا فاسقا، مثل الشرك الأصغر كيسير الرياء.

أو أنه يأتي بما يقدح فيه من الأفعال التي تستلزم معارضة كمال الإخلاص .

م (١١) : أمور لا تنافي الإخلاص :

١ - الاجتهاد في الطاعة إذا رأى الصالحين لكونهم يعينوه على الخير بالاقتداء.

٢ - فعل العمل الصالح والإخبار به إذا قصد صاحبه أن يقتدي به ويسن سنة حسنة فليس من الرياء .

٣- كتمان الذنوب وعدم الجهر بها وسترها وكره إطلاع الناس عليها .

٤ - فرح العامل بثناء الناس ومدحهم فيما لو اطلعوا على العمل من غير أن يتعمد العامل إظهار عمله أو يسعى لينال المدح .

وفي الحديث عن عمر ﷺ مرفوعا : (من سرته حسناته وساءته سيئاته فذلك المؤمن) رواه الترمذي وأحمد .

وقال النبي ﷺ عن ذلك : (تلك عاجل بشرى المؤمن) رواه مسلم .

ولا ينافي ذلك قول النبي ﷺ لجندب الغامدي ﷺ لما قال : إني أعمل العمل لله فإذا اطلع عليه سرني، فقال ﷺ : (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا الطيب ولا يقبل ما شورك فيه) ، وعن ابن عباس ﷺ قال: (كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام او تصدق فذكر بخير أرتاح له فنزلت فيه الآية ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾) وتقدم تخريجه.

لأن هذا والله أعلم إذا كان ذلك الملحظ قبل العمل .

٥ - إرادة شيء من الدنيا مع قصد الله في العمل، كالذي يحج ويتاجر، وكمن يجاهد طاعة لله ويرجو تحصيل الغنيمة، وكذا الصوم والإنفاق والصدقة للدواء والاستشفاء وإن كان أجرهم لا يعدل من كان عملهم كله لله وخالصاً لوجهه . وهذا من أحد أوجه زيادة الإخلاص وكماله .

عن عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثي أجرهم ، فإن لم يغنموا شيئا تم لهم أجرهم) رواه مسلم .

عن أبي هريرة ﷺ أن رجلا قال للنبي ﷺ : رجل يريد الجهاد وهو يريد عرض من الدنيا ، فقال ﷺ : (لا أجر له) رواه أبو داود.

وهناك فرق بين من كانت نية الدنيا مخالطة له من أول مرة بحيث تكون هي الباعث له على العمل أو من جملة البواعث ، وبين من كانت نيته خالصة لله من أول الأمر ثم عرض له من أمور الدنيا وهو لم يقصده ويبالي به حصل له أو لا .

م (١٢) : تحول العادات لعبادات بالنية والعكس :

كما أن أعمال الآخرة قد يراد بها الدنيا كذلك العكس أعمال الدنيا قد يريد بها المسلم الآخرة فيثاب عليها، فأهل الإخلاص الكمّل يحتسبون أفعالهم الجبلّية ويرجون من الله الكريم أن يثيبهم عليها لكونهم ينوون بها الاستعانة على العبادات ، وهذا شأن عباد الله المخلصين . ومن ذلك احتساب الأكلة والنومة للتقوى على العبادة واللقمة توضع في فم الزوجة والولد وفي بضع أحدكم صدقة .

ويأتي هؤلاء الكرام في مقابل من حول عباداته إلى عادات خاوية عن روح التعبد والتأله لله وحسن النية . والأسوأ حالا وحضا منهم من يلتمس بعباداته حظوظ الدنيا أو المدح والسمعة والرياء والعجب.

م (١٣) : محل الإخلاص وأركانه :

الإخلاص أصل محله وقراره : القلب والنية .

ويكون كذلك متعلقا باللسان والجوارح .

م (١٤) : **لوازم الإخلاص**: للإخلاص لوازم عدة من أعظمها:

الصدق والمحبة والقبول والانقياد والتوكل والتعلق بالله والتخلص من حـظ النفس والإحسان للناس والخوف من الله ورجائه والتوبة .

أيضا مراقبة الله وحفظه ، وفي الحديث: (احفظ الله يحفظك).

م (١٥) : ما يضاد الإخلاص ويقابله وينقضه :

١ – الشرك عموما وعبادة غير الله تعالى

٢– النفاق.

٣– شرك النية والإرادة والقصد.

٤– شرك الرياء والسمعة والعجب.

٥– صرف الإخلاص لغير الله

٧– يدخل في إرادة الدنيا من يفعل المعصية للناس وهو داخل في شرك الطاعة كمن يحلق لحيته للوظيفة .

٨– أدخل البعض في شرك الإرادة والنية كل كفر. وقد أخذ هـذا الفهـم مـن تفسير أنس بن مالك وغيره لآية : (من كان يريد الحياة الدنيا) .

٩– إتباع الهوى والحسد.

١٠– التعلق بالدنيا والحرص عليها وتقديمها على مراد الله وأوامره .

١١– من يعمل العمل الصالح ولا يقـصد بـه ثوابـه في الآخـرة إنـما يريـد أن يجازيه به في الدنيا من حفظ المال والعيال، وهذا ليس له في الآخرة من نصيب كما قال ابن عباس .

م (١٦) : ثمرات الإخلاص:

وللإخلاص ثمرات كثيرة ومحاسن عليّة ومنازل نفيسة ومجالات عديدة وصفات وخصائص، تذكر في كتب الرقائق وليس هذا مقام ذكرها .

م (١٧) : عبارة تدخل في شرك الإخلاص :

يوجد من يصرف الإخلاص ويوقعه لغير الله فيقول : لك يا فلان خالص شكري أو خالص تحياتي أو خالص رجائي أو لكم رجائي الخالص وهذا لا يكون إلا لله ﷻ، فليس مجرد صرف الشرك لغيره وإنما جعلوا الإخلاص لغير الله ﷻ ليس مجرد أنه رجا غير الله أو حمد غير الله إنما جعل الإخلاص في ذلك لغير الله ﷻ .

م (١٨) : ضابط الإرادة الشركية (شرك الإرادة) :

١- إرادة الشيء كالناس والدنيا مع الخضوع والتذلل والرغبة وخوف فواته.

٢- تقديم الهوى والدنيا على مراد الله ومحبته وطاعته.

كمحبة المال وجمعه من كل وجه والبخل به والانشغال به عن عبادة الله.

وهذا المقصود بقول الرسول ﷺ : (تعس عبد الدنيا إن أعطي منها رضي وإن منع منها سخط) رواه البخاري.

٣- إرادة ما يكرهه الله من المعاصي .

إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

م (١٩) : **حقيقة عبادة الدنيا :**

المقصود بقول الرسول ﷺ : (تعس عبد الدنيا إن أعطي منها رضي وإن منع منها سخط) رواه البخاري. وفيه تسمية الإنسان المسلم عبد الدنيا والدينار والمال .

عبودية الدنيا هذه فيها نوع من معاني العبادة ، لا أن أصل العبادة التي يكفر من صرفها لغير الله.

وذلك أنه لما كانت الدنيا هي مقصود الشخص ومطلوبه الذي عمل له وصارت نيته مقصورة عليه يغضب ويرضى لها صار بذلك عبدا لها .

كما جاء تفسير ذلك في نص الحديث: بأنه إن أعطى رضي، وإن لم يعط سخط.

قال ابن رجب في فتح الباري عن حديث تعس عبد الدينار:(فدل على أن كل من أحب شيئا وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لأجله وعادى لأجله فهو عبده وذلك الشيء معبوده وإلهه).

ليس المقصود من الباب عدم حب المال ومباحات الدنيا وإنما المقصود أن تكون هي المقصودة والمرادة في قلب العبد.

قال ابن القيم في عدة الصابرين: (ما حكم من يريد الدنيا والآخرة ؟ إن الله علق السعادة بإرادة الآخرة والشقاوة بإرادة الدنيا، فإذا تجردت الإرادتان تجرد موجبها ومقتضاهما، وإن اجتمعتا فحكم اجتماع الطاعة والمعصية والإيمان والشرك في العبد ، ولا يمكن إرادة الدنيا وعاجلها بأعمال البر دون الآخرة مع الإيمان بالله فإن الإيمان بالله يستلزم إرادة رحمة الله بأعماله، وحيث كان مراده بها الدنيا فهذا لا يجامع الإيمان).

مبحث الرياء

م (١) : المراد بهذا الشرك شرك الإخلاص والرياء والإرادة:

أن يعمل العبد عملاً مما يراد به وجه الله والدار الآخرة والعبادة لا يريد الله به وإنما الدنيا وما في أيدي الناس أو مدحهم .

م (٢) : أقسام الشرك المتعلق بالإخلاص والإرادة والنية :

١ – أن يقصد الإنسان بعمله وعبادته الدنيا وزينتها من مال ومتاع ومنصب .

وهذا شرك الإرادة والأصل فيه قوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ .

٢ – أن يقصد الإنسان بعمله الرياء والسمعة وثناء الناس ومدحهم وهو داخل في القسم الأول .

م (٣) : حقيقة الرياء : عبادة النفس وطاعتها.

م (٤) : تعريف الرياء والسمعة :

مشتق من الرؤية وهو: أن يعمل الإنسان ليراه الناس أو يعمل شيئاً ليسمعه الناس فيحمد عليه ويثنى عليه ويمدح.

م (٥) : يلحق بالرياء السمعة: من يعمل العمل ليسمعه الناس أو يحدث به قاصدا غير الله، قال ﷺ : (من سَمَّعَ سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به) متفق عليه.

م (٦) : الفرق بين شرك إرادة الدنيا وشرك الرياء :

أن هذا يريد المدح وذلك يريد الدنيا كمن يصلي أو يطلق لحيته ليقبل في وظيفة أو طلبا لمنصب أو مصلحة وهذا من الشرك في الإخلاص بل إخلاصه لغير الله ﷻ.

وأخطأ من جعل شرك إرادة الدنيا شركا أكبر مطلقا والرياء أصغر مطلقا .

م (٧) : أدلة الرياء :

قال تعالى : ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ النساء: ١٤٢ .

وقال: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ الكهف: ١١٠.

وهذه الآية نزلت في الصحابي جندب بن زهير الغامدي ﷺ .

عن أبي هريرة مرفوعا: (قال تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم.

عن أبي سعيد الخدري مرفوعا: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل) رواه أحمد.

وقال ﷺ : (من سَمَّعَ سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به) البخاري ومسلم.

وقال ﷺ : (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: (الرياء، يقول الله ﷻ إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً)أحمد.

وقال: النبي ﷺ: (يا أيها الناس! إياكم وشركَ السرائر) قالوا: يا رسول الله! وما شرك السرائر؟ قال: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر)رواه ابن خزيمة والبيهقي.

عن أبي يعلى بن شداد عن أبيه قال: (كنا نعد الرياء في زمن النبي ﷺ الشرك الأصغر) رواه الحاكم والبيهقي.

م (٨) : حالات هذا الشرك :

١ – أن يكون شركاً أكبر وصورته أن يدخل في الإسلام لحقن دمه كالمنافقين أو يكون معظم عمله وغالبه رياءً أو يرائي ويريد الدنيا بالأعمال التي تركها كفر كالصلاة المفروضة أو الغنيمة والمصلحة أو يتظاهر بالصلاح لمدح الناس أو يتعلم العلم ويجاهد ويتصدق لمدح الناس رياءً أو يصلي لأجل مجاراة الناس والحياء منهم أو الخوف منهم أو لأجل الوظيفة كالإمام للمسجد أو طلباً للتزكية ليطلب معها ما عند الناس أو يكون أصل عبادته وعمله لأجل الدنيا أو عظيم الرياء بأن يكون الغالب على فعله ، وهذا رياء المنافقين .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ النساء: ١٤٢.

٢ – أن يكون شركاً اصغر : وهو يسير الرياء أو أن يعمل عبادة خاصة لأجل حاجة دنيوية كمن يحسن صلاته لينال من الدنيا أو طالبا المدح أو يتصدق بصدقة معينة لأجل مصلحة دنيوية لا يريد ما عند الله أو لأجل المدح والسمعة والرياء ، أو أن يكون العمل أصله لله ثم يدخله الرياء أو حاجة دنيوية يطلبها وهذا العمل محبط لا يقبله الله ويأثم فاعله لكن لا يخرج فاعله من الإسلام، أو يصلي في المسجد ليثنى عليه أنه من أهل المساجد مع أنه سيصلي في بيته لو لم يقصد المدح فالمدح والرياء متعلق بالصلاة جماعة وليس لأصل الصلاة أو يتباهى بعلمه في مسألة ليرى الناس أنه عالم بها وكذلك من يحافظ على الإمامة والأذان لأجل الوظيفة والدنيا فهو داخل في عموم الآية إرادة الدنيا .

م (٩) : هل الرياء شرك أكبر أم أنه شرك أصغر :

هو من الشرك الأصغر ومن الشرك الخفي كما نص الحديث .

وبعض أهل العلم كابن القيم وغيره يفرق بين كثير الرياء ويسير الرياء فكثير الرياء شرك أكبر وقليل الرياء شرك أصغر، وقالوا : إن كثير الرياء هو شرك المنافقين .

م (١٠) : حالات الرياء :

الأول : إن كان العمل الصالح من أصله كان للرياء فهذا شرك ولا يقبله الله .

الثاني : الرياء الطارئ : إذا خالط العبادة وهو على قسمين :

فإن جاهده المرء ودفعه فله أجر وإن تركه واسترسل حبطت عبادته .

الثالث : لو طرأ الرياء بعد العمل :فمن أهل العلم من قال بحبوطه ومنهم من قال لا يحبطه لأنه لم يخالط عمله وإنما كان بعد العمل، والصحيح أنه إن لم يكن له فيه يد ولا سبب فلا يحبط إما إن كان هو الذي أعلم الناس بعمله فيحبط .

م (١١) : **الرياء الخفي**: بعض الأمور من القوادح الخفية في الإخلاص :

١- ترك العمل الصالح خوفاً من الرياء، لا ينبغي وهو من مداخل الشيطان . وعده الفضيل وغيره من السلف من الرياء .

٢- كذلك من الرياء الخفي ذم النفس والقدح فيها أمام الناس، ليقال لفاعل ذلك إنه متواضع. ومن جنس هذا ما يفعله الملامية الصوفية تفعل ما يلامون عليه.

٣- من الرياء الخفي ما يوجد عند بعض أهل العبادة والزهد والعلم من محبة أن يقدموا ويعظموا ويبدؤوا بالسلام، ويرون أنهم أفضل الناس وأن لهم حق لما قاموا به من عبادات وهذا الفعل في الحقيقة من الرياء والعجب وعبادة النفس.

م (١٢) : وسائل علاج الرياء :

١- معرفة عظمة الله تعالى .

٢- معرفة حقيقة المخلوقين الذين يتلمس رضاهم ومدحهم وما هم عليه .

٣- استشعار خطورة الرياء وشناعة عقوبته .

٤- مجاهدة النفس والاستعانة بالدعاء .

٥- الحذر من أسبابه والبعد عن دواعيه .

٦- كتمان العمل وإخفائه .

٧- معرفة قبح الرياء في الغير فانظر للمرائي وقبحه لتعلم قبحه بك إن فعلته.

٨- احتقار النفس ولومها كلما طلبت مدحا وثناء .

٩- المداومة على قول كفارته دائما .

م (١٣) : خطورة الرياء والحكمة من كونه أخوف شيء على الأمة:

الرياء خطره عظيم وهو أخوف شيء خافه النبي ﷺ على أمته وأخبر أنه أشد من الدجال وهو من أكثر ما يدخل النار وأن أول من تسعر بهم النار الثلاثة النفر العالم والمجاهد والمتصدق لأجل الرياء ، ووجه ذلك أنه يخفى مع تعلقه بالأعمال الصالحة وبالصالحين بخلاف الشرك الأكبر فمعروف والناس يحذرونه.

فلأجل أنه متعلق بالصالحين مع شدة خفائه كان مخيفا للمخلصين .

تنبيه : هناك مسائل متعلقة بهذا الباب (الرياء) بينتها في مبحث الإخلاص والشرك المتعلق به .

الصنف الثاني: شرك المحبة :

المسألة الأولى: تعريف المحبة :

المحبة اسم للحب ضد البغض والكره .

المسألة الثانية: المراد بالمحبة شرعا :

المقصود بالمحبة التي هي ركن في التوحيد وهي من شروط لا إله إلا الله أن يحب كلمة التوحيد والناهية عن الشرك ويحب ما تقتضيه وتستلزمه، وذلك بمحبة توحيد الله وعبادته والكفر بالطاغوت والبراءة من كل شرك، ومحبة ذلك والتقرب إلى الله به، والرغبة الحقيقية الجادة في كل ذلك .

كما أن المحبة لكلمة التوحيد تعني المحبة للمتصف بها وهو الواحد الأحد صاحب الربوبية والمستحق للألوهية.

وكذلك محبة أهلها وأوليائها الموحدين، ومحبة من أرسل بها وهو رسول رب العالمين، ومحبة الدين الذي جاء به والشرع الذي ألزم به وهو الإسلام، والرضا بهذه المقامات الثلاث، ويلزم من حبها الإتيان بلوازمها من الانقياد وكره كل ما يناقضها من الأقوال والأعمال والاعتقادات والأعيان وبغض جميع الطواغيت المتبوعة والمطاعة والمعبودة، فيجب كره الشرك وبغض أهله والآلهة المعبودة .

بهذا يكون الشخص قد أحب لا إله إلا الله حباً صادقاً .

فائدة: محبة لا إله إلا الله قائمة على أصلين:

الأول: محبة الله وتوحيده وعدم بغضه، أو بغض ما يحبه الله أو محبة ما يبغضه .

الثاني: توحيد الله في المحبة وعدم الشرك مع الله في المحبة .

المسألة الثالثة: أدلة المحبة :

١ – قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ البقرة: ١٦٥.

٢ – وقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ المائدة: ٥٤.

٣– ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ آل عمران: ٣١.

٤ –قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ التوبة: ٢٤ .

فقرن بين التوحيد ومحبة الله ولازمه الذي هو الانقياد والجهاد .

٥ – وقال عن المشركين : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ الشعراء:٩٨ والتسوية في المحبة كما قال أهل التفسير .

٦ – وقال عنهم : ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ الأنعام: ١ والعدول بالمحبة والتعظيم .

٧– وقال تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الزمر: ٢٢.

٨- وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ التوبة: ١٢٤.

ومن الأدلة على اشتراط المحبة للتوحيد: أن انتفاءها من لوازمه حصول ضدها من البغض والكراهية للتوحيد، وهذا كفر أكبر .

٩- قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ محمد:٩.

١٠- وقال : ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ الزخرف: ٧٨.

ومن السنة :

١- عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله ما الإيمان فقال: " أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن يكون الله ورسوله **أحب** إليك مما سواهما " رواه أحمد .

٢- قال النبي ﷺ : " والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون **أحب** إليه من نفسه " رواه أحمد .

٣- وقال ﷺ :" لا يؤمن أحدكم حتى أكون **أحب** إليه من والده وولده والناس أجمعين " رواه الشيخان .

٤- وقال ﷺ : " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله **أحب** إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار " رواه البخاري ومسلم .

ومن دلالات الحديث أن كره الكفر ومحبة التوحيد من الإيمان .

٥- قال الرسول ﷺ : " أوثق عرى الإيمان **الحب** في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله " . رواه أحمد .

٦- وقال ﷺ :" من **أحب** لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان " رواه أبو داود .

٧- وقال ﷺ:" **أحبوا** الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله " رواه الترمذي .

٨- وفي الدعاء النبوي :" اللهم إني أسألك **حبك** وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك " رواه أحمد .

٩- وفي خطبة النبي ﷺ عند ابن إسحاق " **أحبوا** الله من كل قلوبكم ".

١٠- ما أخرجه البخاري وفيه :" ذلك منافق لا يحب الله ورسوله ".

المسألة الرابعة: أقوال أهل العلم في شرك المحبة :

قال ابن تيمية في التحفة العراقية : " محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق به أصل كل قول، فالعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته، فالمحبوب الذي لا يعظّم ولا يذل له لا يكون معبوداً والمُعَظَّم الذي لا يُحب لا يكون معبوداً ".

قال ابن رجب في فتح الباري : " فعلامة تقديم محبة الرسول ﷺ على محبة كل مخلوق، أنه إذا تعارض طاعة الرسول ﷺ في أوامره وداع آخر يدعوا إلى غيرها من هذه الأشياء المحبوبة، فإذا قدم المرء طاعة الرسول وامتثال أوامره على ذلك الداعي

كان ذلك دليلا على صحة محبته للرسول ﷺ ، وإن قدم على طاعتـه وامتثـال أوامـره شيئا من الأشياء المحبوبة طبعا دلّ على عدم إتيانه بالإيمان التام الواجب عليه ".

وقال عن حديث تعس عبد الدينار:" فدل على أن كل من أحب شيئا وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لأجله وعـادى لأجلـه فهـو عبـده وذلـك الـشيء معبوده وإلهه ".

المسألة الخامسة : علاقة المحبة ببقية العبادات :

المحبة تستلزم جميع العبادات والعبادات بدونها غير مقبولة .

المسألة السادسة : مراتب المحبة وانقسامها إلى أصل وكمال :

المحبة كغيرها من العبادات التي تزيد وتنقص ويتفاوت النـاس فيهـا، كـما أن منها ما هو أصل ومنها ما هو من الكمال.

فأما أصل المحبة ومحبة أهل التوحيد فهـذا وجـوده شرط في صـحة التوحيـد وفاقده كافر خارج من الإسلام.

أما كمال المحبة والمحبة التامة المستلزمة لكمال الرضا واليقـين فأهـل التوحيـد متفاوتون في تحقيقها بين :

١ – من يأتي بالواجب والمستحب ويسابق بالخير.

٢ – من يقتصد فيقتصر على الواجب فحسب .

٣ – ومن يظلم نفسه ، ولهذا حالتان :

إما أن يقصر في الواجب منها وينقص منه.

أو أنه يأتي بما يقدح فيه من الأفعال التي تستلزم معارضة المحبة .

وهذه القوادح التي تنقص من درجة المحبة الواجبة كثيرة إلا أنها لا تخرج من الإسلام لوجود أصل المحبة مع حصول الإثم المستوجب للعقاب .

المسألة السابعة : أقسام الناس في محبة التوحيد :

١- من يحب التوحيد وأهله ويبغض الكفر وأهله. وهؤلاء هم أهل التوحيد فحسب .

٢- من يحب الشرك ويبغض التوحيد. وهؤلاء هم المشركون .

٣- من لا يحب التوحيد ولا يبغضه ، وهؤلاء هم الكافرون كفر إعراض وشك وتولي وامتناع .

٤- من يحب التوحيد ويبغض أهله. والمتصف بهذا كافر وليس بمسلم وحبه دعوى كاذبة .

٥- من يبغض الشرك ويحب أهله. وهذا الصنف كالسابق.

ولا يوجد من يحب التوحيد ويحب الشرك معا، لأنهما متناقضان .

المسألة الثامنة : أقسام المحبة :

١- المحبة الطبعية العادية الفطرية:

كمحبة الوالد والولد والمال. وهذه المحبة لا تستلزم التعظيم والتذلل والطاعة المستقلة والخضوع التعبدي، أما التذلل للوالد وخفض الجناح له وتوقيره فهذا من تعظيم الله وتعظيم أمره لكونه الآمر به ثم هو ليس من التعظيم الكامل والخالص .

٢- المحبة التعبدية :

وهي محبة الله المتصفة بالتذلل والخضوع واللجوء والرغبة والرهبة والخوف والرجاء وهذه الخاصة بالله ولا تجوز لغيره ولا تصرف إلا له .

٣- المحبة اللزومية :

وهي المحبة في الله ولله، وهي التي تلزم بالمحبة التعبدية وتكون لأجلها، وهي محبة ما يحبه الله من الطاعات والخير، والمحبة في الله ولله وذلك بمحبة أولياء الله وعباده المؤمنين من الرسل والملائكة والصالحين، وهذه هي محبة الولاء والبراء ولا يتم الإسلام إلا بها وهي أوثق عرى الإيمان .

٤-المحبة الشركية :

وهي محبة الأنداد والمحبة التعبدية لغير الله أو المحبة مع الله كما يفعله المشركون مع معبوداتهم .

٥- المحبة المحرمة :

وهي محبة ما لا يحبه الله من الكفر والفسوق والعصيان ومتابعة الهوى، أو محبة الكفار أو مجاملتهم ومن أمر الله ببغضهم أو الغلو في محبة الدنيا والمال .

وهذه المحبة درجات منها الكفر الناقل عن الملة ومنها ما هو معصية دون الكفر .

فحكم الأولى أنها مباحة والثانية والثالثة واجبة والرابعة كفر والخامسة محرمة وليست بمشروعة .

المسألة التاسعة: أقسام المحبة من حيث اختصاصها بالله :

١- المحبة العامة المشتركة بين الله وعباده وأنواعها أربعة :

طبيعية – رحمة وإشفاق – إجلال وتقدير – أنس وألفة .

٢- المحبة التعبدية الخاصة وهي التي لا تكون ولا تصرف وتصلح إلا لله وهي:

محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والانقياد والتعظيم وكمال الطاعة والإذعان .

المسألة العاشرة: أقسام المحبة المتعلقة بالله تعالى:

١- محبة الله ولا تكفي وحدها.

٢- محبة ما يحب الله.

٣- الحب لله وهي من لوازم محبة الله .

ولا يدخل الإنسان الإسلام إلا بهذه الثلاث .

٤- محبة مع الله وهذه المحبة الشركية الكفرية المحرمة .

المسألة الحادية عشرة: المحبة المثبتة والمنفية :

المحبة المثبتة: هي محبة الله ولله وفي الله، وكذا المحبة الطبيعية .

المحبة المنفية: هي المحبة الشركية التي مع الله، وكذا المحبة المحرمة.

المسألة الثانية عشر ة: المحبة النافعة والضارة:

المحبة النافعة: هي محبة الله ومحبة ما يحبه الله .

المحبة الضارة: هي المحبة الشركية التي هي المحبة مع الله ومحبة ما يكرهه الله ومحبة ما يقطع محبته عن محبة الله، وهي ضارة في الدنيا وتنقلب يوم القيامة لعداوة .

المسألة الثالثة عشرة: ما تتضمنه المحبة الواجبة لكلمة التوحيد ويدخل فيها:

١ - محبة الله عز وجل.

٢ - محبة ألوهية الله وربوبيته وأفعاله وصفاته. ومحبة توحيده فيها .

٣- محبة أوامر الله وشرعه ودينه وفرائضه.

٤ - محبة الإسلام وامتثاله والعبادة والطاعة.

٥ - محبة الرسول ﷺ واتباعه وطاعته .

٦ - محبة ما يحبه الله وبغض ما يبغضه .

٧- محبة أولياء الله وبغض أعدائه .

المسألة الرابعة عشرة: لوازم محبة الله :

١ - طاعة الله وتوحيده وترك الشرك، وعبادته وحده والذل له وامتثال أمره وابتغاء فضله وطلب رضوانه وقصده ورجاؤه واللجوء له والرغبة إليه والخوف منه.

قال الشاعر: تعصي الإله وأنت تظهر حبه   هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

٢ - محبة ما يحبه الله من الأفعال والأعيان والذوات وذلك بمحبة دينه والإسلام والتوحيد ومحبة الرسول ﷺ وعباد الله المؤمنين، وبغض ما يبغضه من أعدائه وكره الكفر والشرك .

٣- اتباع الرسول ﷺ والتسليم له، والانقياد له وقبول دينه، فمن لم ينقد للدين ويلتزم بالشريعة ويمتثل للأمر ويعمل بالتوحيد والفرائض ومباني الإسلام فمحبته كاذبة قال تعالى مبيناً هذه القاعدة:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾.

٤ – الولاء والبراء وذلك بموالاة المؤمنين ومناصرتهم ومحبة الخير لهم والنصح لهم، ومعاداة الكفار والبراءة منهم وبغضهم وجهادهم، وقد وصف الله الذين يحبهم ويحبونه بالأعزة على الكافرين والأذلة للمؤمنين، وأن معاداة الكفار وجهادهم مما يبتغى بها محبة الله ورضوانه .

هذه الأمور الأربع هي لوازم محبة الله التعبدية، ومن رفضها أو خالفها فهو سائر بين الكفر والمعصية بحسبه ولا تنفع محبة من دون الإتيان بها .

قال ابن تيمية:"فكل من ادعى أنه يحب الله ولم يتبع الرسول فقد كذب" ٣٦٠/٨.

وقال ابن القيم في المدارج :" وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب النهي، فعند الاتباع تثبت حقيقة العبودية والمحبة فانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم فيستحيل إذا ثبوت محبتهم لله بدون المتابعة لرسوله ﷺ" .

وقال :" دل على أن متابعة الرسول ﷺ هي حب الله ورسوله وطاعة أمره " .

قال ابن رجب في فتح الباري : " فعلامة تقديم محبة الرسول ﷺ على محبة كل مخلوق، أنه إذا تعارض طاعة الرسول ﷺ في أوامره وداع آخر يدعوا إلى غيرها من هذه الأشياء المحبوبة، فإذا قدم المرء طاعة الرسول وامتثال أوامره على ذلك الداعي كان ذلك دليل على صحة محبته للرسول ﷺ ، وإن قدم على طاعته وامتثال أوامره شيئا من الأشياء المحبوبة طبعا دل على عدم إتيانه بالإيمان التام الواجب عليه ".

وقال ابن كثير: " وهذه الآية فاتبعوني حاكمة على كل من أدعى محبة الله وليس على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله " .

وقال ابن رجب في التوحيد :" محبة الله إذا استغرق بها القلب واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا إلى مراضي الرب ".

وقال عن تعس عبد الدينار:" فدل على أن كل من أحب شيئا وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لأجله وعادى لأجله فهو عبده وذلك الشيء معبوده وإلهه ".

المسألة الخامسة عشرة: محبة الله من حيث الأصل هي فطرية في كل الخلق، لكن لا يؤجر العبد على محبته لربه إذا لم تكن المحبة التعبدية القائمة على التذلل والانقياد والطاعة والتعظيم والخضوع .

السادسة عشرة: مما يدخل في شرط المحبة الكفر بالطاغوت وتكفير المرتدين:

قال إمام الدعوة السلفية :" ومن زعم أن الله لم يتعبدنا بتكفير المرتدين ولن يسألنا عنهم ولا عن تكفير من وقع في الشرك من أهل لا إله إلا الله فقد أعظم على الله الفرية " بتصرف من الدرر وللشيخ رسالة نفيسة في الباب هي مفيد المستفيد .

والكلام عن الكفر بالطاغوت ذكرته في مواضع.

السابعة عشرة: المحبة من صفات الله :

فالله عز وجل يحب ويحب ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ المائدة: ٥٤ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ البقرة: ٢٢٢.

الثامنة عشرة: حكم المحبة ومنزلتها وأهميتها ودخولها في العبادة والإسلام :

جميع العبادات تقوم على المحبة، ولذلك أمر الله بها وأثنى على من اتـصف بهـا وهي أحد ركني العبادة التي هي التذلل والمحبة، وهي أعظم محركات القلـوب مـع الخوف والرجاء . ولذلك كان أصل الشرك بالله الإشراك مع الله في المحبة .

قال ابن تيمية في التحفة العراقية : " محبـة الله ورسـوله مـن أعظـم واجبـات الإيمان وأكبر أصوله وأصل كل عمل من أعمال الإيـمان والـدين، فالعبـادة تتـضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته ".

وقال ابن القيم في المدارج :" لو بطلت مسألة المحبـة لبطلـت جميـع مقامـات الإيمان والإحسان، ونسبتها إلى الأعـمال كنـسبة الإخـلاص إليهـا بـل هـي حقيقـة الإخلاص بل هي نفس الإسلام فإنه الاستسلام بالـذل والحـب والطاعـة، فمـن لا محبة له لا إسلام له البتة بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله فـإن الإلـه هـو الـذي يألهه العباد حبا وذلا وخوفا ورجاء وتعظيما وطاعة له وأصل التألـه التعبـد والتعبـد آخر مراتب الحب فالمحبة حقيقة العبودية " .

من كلام ابن القـيم الـسالف يـستفاد مـسألة وهـي علاقـة المحبـة بالألوهيـة والعبادة والإسلام والدين ومكانتها ومنزلتها فيه .

ومحبة الله لها أهمية وحاجة الناس إليها أشد من حاجتهم لكل شيء ومـن المـاء للظمأن.

وإن مما يُظهر أهمية المحبة أنها على اعتبار كونها شرط لكلمة التوحيد إلا أنها فوق ذلك هي من معاني العبادة التي هي كمال الذل مع المحبة، بل هي أحد معاني الإله الذي هو المحبوب .

المسألة التاسعة عشرة: نواقض المحبة والقوادح فيها :

١ - بغض الله ورسوله ﷺ بالقلب أو بالسب أو السخرية بأمرهم أو العمل المستلزم وجود البغض .

٢- المحبة الشركية بمحبة غير الله كمحبة الله .

٣- محبة ما يبغضه الله من المنهيات.

٤- محبة أعداء الله وموالاتهم.

٥- بغض ما أحبه الله وشرعه، أو ما جاء عنهم .

٦- معاداة أولياء الله .

٧- تقديم الهوى على ما يحبه الله وأمر به .

٨- عدم الإتيان بلوازم المحبة من الانقياد واتباع الرسول ﷺ وامتثال أمره .

وهذه القوادح على درجات منها الكفر الناقل عن الملة ومنها ما هو معصية دون الكفر .

المسألة العشرون : حكم تارك عبادة الحب :

المحبة لله عبادة وتاركها بالكلية كافر ليس بمسلم .

المسألة الحادية والعشرون: أمور لا تناقض المحبة:

استثقال التكاليف ليس مناقض للمحبة ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ البقرة: ٢١٦ . وإن كان تركه أكمل.

المحبة العادية الطبيعية كمحبة الوالد والولد والأهل والمال ما لم يقدمه صاحبه على محاب الله.

المسألة الثانية والعشرون: ضابط محبة العبودية :

هي المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثاره على غيره، فمن صرف هذه المحبة لغير الله كان مشركاً في العبادة .

قال ابن تيمية في التحفة العراقية : " العبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته فالمحبوب الذي لا يعظّم ولا يذلّ له لا يكون معبوداً والمُعظّم الذي لا يحب لا يكون معبوداً ".

قال ابن القيم في المدارج : " فالله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لأوامره فأصل العبادة محبة الله بل إفراده بالمحبة وأن يكون الحب كله لله فلا يحب معه سواه وإنما يحب لأجله وفيه " .

المسألة الثالثة والعشرون: علامات محبة الله :

١- طاعة الرسول ﷺ ومتابعته والانقياد له .

٢- تقديم محبة الله ورسوله ﷺ على كل شيء وتقديم محاب الله على الهوى .

٣- إيثار الله ورسوله في حال حصول الاختيار .

٤- بغض ما يبغضه الله وإن مال إليه هواه .

٥- الصبر على البلاء ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ محمد: ٣١.

٦- موالاة أولياء الله ومعاداة الكافرين .

٧- ذكر الله دائما وتعلق القلب به والأنس به، والرضا به والتسليم له ولأمره.

٨- الإتيان بلوازمها وتقدم ذكرها.

المسألة الرابعة والعشرون: محبة المشركين لله :

المشركون يحبون الله ولكن يشركون في المحبة فيحبون الأنداد والأوثان كحب الله ومع الله بدليل آية ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾.

ولذلك كانت محبة الله لا تنفع صاحبها إلا بالإتيان بلوازمها من التوحيد والولاء والبراء وإتباع الرسول وطاعة الله ومحبة ذلك .

معنى قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ البقرة: ١٦٥ **فيها قولان :**

١- أشد حبا لله من حب المشركين لله عز وجل .

٢- أشد حبا لله من حب المشركين لأندادهم وآلهتهم .

المسألة الخامسة والعشرون : أسباب محبة الله :

يستحق ربنا تعالى أن يحب لكماله سبحانه ولجماله ولنعمه على خلقه .

قال ابن تيمية في التحفة:" أصل المحبة هو معرفة الله تعالى وله أصلان :

أحدهما: وهو الذي يقال له محبة العامة لأجل إحسانه إلى عباده، وقد فطرت وجبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها.

الأصل الثاني: محبته لما هو له أهل، وهذا حب من عرف من الله ما يستحق أن يحب لأجله، وما من وجه من الوجوه التي يعرف الله بها مما دلت عليه أسماؤه وصفاته إلا وهو يستحق المحبة الكاملة من ذلك الوجه، وهو محبة الخاصة " .

قال ابن تيمية : " لا يجوز أن يحب شيء من الموجودات لذاته إلا هو فكل محبوب في العالم إنما يجوز أن يحب لغيره لا لذاته والرب تعالى هو الذي يجب أن يحب لنفسه وهذا من معاني إلهيته " الفتاوى ١٠/ ٢٦٧ .

المسألة السادسة والعشرون: الأسباب الجالبة لمحبة الله :

معرفته والتفكر في أسمائه وصفاته وكماله وقراءة كلامه وكثرة ذكره والانكسار لله تعالى والتقرب إلى الله بالنوافل وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين وهذه محلها كتب الرقائق .

المسألة السابعة والعشرون : شرك المحبة:

الأصل في هذا النوع من الشرك قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ البقرة: ١٦٥.

وحقيقتها : أن يحب غير الله مثل محبة الله، أو محبة المعبودات والطواغيت المتبوعة والمطاعة من دون الله تعالى، أو محبة أعداء الله وتوليهم .

المسألة الثامنة والعشرون : ضابط المحبة الشركية :

١- محبة المخلوق المتضمنة الخضوع والتذلل له واللجوء إليه والانكسار بين يديه والرغبة والرهبة والخوف منه والرجاء والتوكل عليه .

٢- تقديم الهوى ومحبة الدنيا على محبة الله وطاعته، كمحبة المال وجمعه من كل وجه والبخل به والانشغال به عن طاعة الله وعبادته بتحصيله، وهذا المقصود بقول الرسول ﷺ :" تعس عبد الدنيا إن أعطي منها رضي وإن منع منها سخط " .

قال ابن رجب في فتح الباري : " فعلامة تقديم محبة الرسول على محبة كل مخلوق، أنه إذا تعارض طاعة الرسول ﷺ في أوامره وداع آخر يدعوا إلى غيرها من هذه الأشياء المحبوبة، فإذا قدم المرء طاعة الرسول وامتثال أوامره على ذلك الداعي كان ذلك دليل على صحة محبته للرسول ﷺ ، وإن قدم على طاعته وامتثال أوامره شيئا من الأشياء المحبوبة طبعا دل على عدم إتيانه بالإيمان التام الواجب عليه ".

وقال عن حديث تعس عبد الدينار:" فدل على أن كل من أحب شيئا وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لأجله وعادى لأجله فهو عبده وذلك الشيء معبوده وإلهه ".

٣- محبة ما يكرهه الله من المعاصي ومن الكفار وهذا الشرك في الولاء والبراء.

المسألة التاسعة: أنواع الشرك في المحبة :

منه ما هو شرك أكبر ومنه ما هو شرك أصغر حسب معتقد صاحبه ونوع حبه.

المسألة الثلاثون: تعلق شرك المحبة بالشرك في الربوبية :

وقد وقعت فيه طائفتان :

المعطلة الجهمية وذلك بإنكار صفة محبة الله بكونه لا يُحَب ولا يُحِب أحداً .

الجبرية والحلولية وأصحاب الوحدة وقولهم بأن الله يحب الكفر والمعاصي.

المسألة الحادية والثلاثون : معنى المساواة والعدول :

حقيقة المساواة والعدول التي ذكرها الله في قوله عن المشركين:﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الشعراء: ٩٨ وقوله: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ الأنعام: ١ هي تسوية المشركين بين ربهم ومعبوداتهم الباطلة في المحبة، كما قاله بعض السلف .

المسألة الثانية والثلاثون : ضابط المحبة المباحة الدنيوية الطبعية :

١ – أن لا تشغل عن طاعة الله وما يحبه .

٢– وأن لا تدعو إلى معصية الله .

٣– وألا يلازمها الذل والخضوع للمخلوق .

فإذا وجد أحد هذه الأمور كانت المحبة محرمة وشركية .

الثالثة والثلاثون: كل محبة ليست لله تكون سبباً للعداوة وتنقلب إلى البغض:

يدل لذلك قوله تعالى : ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ الزخرف:٦٧ وقولـه : ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴾ البقرة: ١٦٦ وهي المودة كما قـال ابـن عبـاس . وهـي في بغـض المـشركين لآلهتهم والعكس وزوال المحبة ، ومثلها قوله :﴿ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡ ﴾ يونس: ٢٨.

المسألة الرابعة والثلاثون : المحبة البدعية الصوفية :

من المحبة المحرمة محبة الصوفية بطرقهم التي ابتدعوها في حـب الله وإتيـانهم بالعـشق والـسكر ونحـوه، وكـذلك الغلـو في محبـة الرسـول ﷺ وإعطائـه صـفات الألوهية أو الربوبية .

المسألة الخامسة والثلاثون : الطوائف التي وقعت في شرك المحبة .

١ – الرافضة والصوفية المشركة أفراخ المشركين الأولين في الأمم السابقة .

ومن ذلك قول التيجاني:"من أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده هو أن لا يشارك في محبته غيره ولا في تعظيمه ولا في الاستمداد منه ولا في الانقطاع إليه " .

وقال الشعراني في طبقات الصوفية: إذا أراد الله أن يعرف عبداً بولي من أوليائه طوى عنه بشريته وأشهده على وجه الخصوصية فيه فيعتقده ويحبه أشد المحبة.

٢- عبّاد الدنيا والشهوات والهوى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ الفرقان: ٤٣.

وهذا النوع من الشرك من قبيل الأصغر وقد يصل بصاحبه للكفر والشرك الأكبر، ويدخل في شرك الإرادة.

٣- المتولين للكفار:

فإن من كان موالياً لغير الله وأوليائه فقد أشرك مع الله غيره في المحبة

قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ آل عمران: ٢٨.

وقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ المائدة: ٥١ ومن آثار ومعاني موالاة الكفار محبتهم أو مناصرتهم والدعوة إليهم وموافقتهم والإقامة عندهم.

٤- الجهمية المعطلة القائلين أن الله لا يُحِب أحداً ولا يُحِبه أحد.

المسألة السادسة والثلاثون: حال أدعياء التوحيد من أصحاب المحبة المكذوبة:

أهل التوحيد يحبون لا إله إلا الله قولاً وعملاً وأهل الشرك يشمئزون من التوحيد ويحبون الشرك، ودعواهم لمحبة الله وتوحيده وعبادته دعوى مزعومة وهي

كاذبة ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ الزمر: ٤٥ .

صدق الله العظيم ومن أصدق من الله قيلا . والله من تأمل حال مشركي زمانه في كل زمان ومكان وجد هذه الصفة المطردة تجمعهم ، فكم من عباد القبور من يزهدون في المساجد وتضيق صدورهم فيها ويستبشرون بالمشاهد والقبور، وكم من الممجدين للطواغيت ومحاكم الكفر والإلحاد والشرك والذين يعتبرونها من سلّم الرقي والنجابة والحضارة بينما تضيق صدورهم بأحكام الشريعة ، وكم أولئك الموالين للكفرة والملاحدة يفرحون برؤيتهم ويصاحبونهم ويصدقون في مصادقتهم ومحبتهم والتودد لهم وإذا رأوا أهل التوحيد والسنة والجهاد قامت قيامتهم وظهرت عليهم آيات الكفر بهم وصرحوا بعداوتهم ولمزهم وهمزهم والشماتة بهم وسلقوهم بألسنة وأقلام وسلاسل حداد وكم من أرباب الإرجاء من يعتذر للشرك وأهله.

فهم أعزة على المؤمنين الموحدين أذلة على المشركين والمرتدين والمنافقين، فهم خوارج مكفرون لأهل التوحيد مرجئة غلاة مع المرتدين والمشركين ، حتى جعل بعضهم من يكفّر عباد القبور والمشرعين للقوانين والحاكمين بها والموالين للكفار والمظاهرين لهم من الخوارج الذين تستباحُ دماءهم ويجب تكفيرهم، فقلبوا وجه المجن وانقلبوا على أهل التوحيد فبدل أن يكفّروا المرتدين كفّروا الموحدين .

فهؤلاء رحمك الله خصوم التوحيد وأهله في كل زمان فما أعداء إمام الدعوة محمد بن عبدالوهاب ورميه من أرباب الرفض والتصوف بأنه خارجي تكفيري عن مرجئة زماننا عنهم ومنهم ببعيد ، والحمد لله الذي أرانا نفاقهم وعورهم وعرفنا

كفرهم في لحن أقوالهم، وإنا على هذه النعمة لربنا ومعبودنا من الـشاكرين ولفـضلها من الموقنين والحمد لله رب العالمين.

المسألة السابعة والثلاثون: من أعظم لوازم ومقتضيات محبة الله الولاء والـبراء :

دلت كلمة التوحيد على الموالاة والمعاداة بالدلالات الثلاث المطابقة والتضمن والتلازم، وقد بينا ذلك في كتابنا قواعد الولاء .

المسألة الثامنة والثلاثون: قيام الولاء والبراء على ركنين :

الولاء يقوم على ركنين :١/ المحبة ٢/ النصرة وهي الموالاة الفعلية الظاهرة .

البراء يقوم على ركنين : ١/ البغض الباطن ٢/ المعاداة الفعلية الظاهرة .

قاعدة :

١ – أن من تجب محبته تجب موالاته ونصرته ومن يجب بغضه يجب معاداته .

٢ – ومن تجب محبته يحرم بغضه ومعاداته ومن يجب بغضه يحرم موالاته.

المسألة التاسعة: البراءة من الشرك وأهله ومعاداتهم من أعظم لوازم المحبة :

أن الإسلام بـدون الـبراءة مـن المـشركين لا يقبـل، والتوحيـد بـدون الكفـر بالطاغوت لا يقبل، وهذا هو حقيقة لا إله إلا الله، عبادة الله والبراءة من عبادة غيره.

المسألة الأربعون: الفرق بين الخوف والمحبة :

قال ابن القيم الوجل والخوف والخشية والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة .

الخوف داخل في شرط الانقياد وليس بشرط مستقل ولا يماثل المحبة كما توهم البعض ووجه ذلك :

أن محبة الله تكون لذاته، والحب سببه الكمال، وذاته لها الكمال المطلق .

أما الخوف من الله فسببه توقع المكروه، وهذا إنما يكون في الأفعال والمفعولات ، وبهذا يعلم بطلان قول من زعم أنه تعالى يخاف لا لعله ولا لسبب ، وهؤلاء عندهم الخوف يتعلق بنفس الذات،من غير النظر إلى فعل العبد،وهذا من قلة نصيبهم من المعرفة بالله وأفعاله وحكمه، ومن هذا قول عمر ﷺ :" لا يرجونّ أحدٌ إلا ربه ولا يخافنّ إلا ذنبه " فجعل الرجاء متعلقاً بالرب سبحانه وتعالى.

أفاده ابن القيم في طريق الهجرتين .

وقال ابن تيمية :" الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله، ولذلك يزول الخوف عن أهل الجنة فهم لا خوف عليهم، فالخوف ليس مقصوداً لذاته وإنما لغيره" .

وهذا كله بخلاف المحبة فهي مقصودة لذاتها، ولا تزول بدخول الجنة بل تزيد، وهذا وجه كون المحبة من شروط كلمة الإخلاص فهي أصل بذاتها ومقام يدخل فيه الإيمان بالله .

ولأن رحمته من لوازم ذاته وهي سبقت غضبه، وأما الخوف فمتعلق بالذنب فهو سبب المخافة، فلو قدر عدم وجود الذنب بالكلية لم تكن هناك مخافة.

فإن قيل فما وجه خوف الملائكة والنبي ﷺ؟

قيل الخوف على حسب القرب من الله، وكلما كان العبد أقرب إلى الله كان خوفه منه أشد لأنه يطالب بما لا يطالب به غيره ويجب عليه من رعايته تلك المنزلة

وحقوقها، كذلك التقصير من لوازم الخلق ولن يقوم أحد بحق العبودية على الكمال، لذلك استوجب حصول الخوف .

الصنف الثالث : شرك عبادة الخوف :

م (١) : تعريف الخوف وحقيقته :

الخوف صفة قلبية وفعل متعلق بأفعال القلب وتظهر آثاره على الجوارح .

وحقيقته ما حمل صاحبه على المراقبة ومنعه من الوقوع فيما يغضب الله

الخوف من الله عبادة أمر الله تعالى بها وأحبها وأثنى على المتصفين بها .

ومن صرفها لغير الله فقد أشرك ، فالخوف من المخلوق من الشرك.

وقد دل على هذا الأصل أدلة كثيرة تأتي في المسألة الثانية.

م (٢) : أسماء الخوف ومعانيه :

الخوف – الخشية – الرهبة – الوجل – الفزع – الذعر – الرعب – الفرق.

ومن معانيه ولوازمه :

الهول الهيبة الإشفاق الحذر النخب الجبن التروع الوجيب الخرعة والتقوى .

ذكرها الرماني في الألفاظ المترادفة وابن مالك في الألفاظ المختلفة وغيرهم.

وأكملها التقوى ثم الخشية والرهبة .

لأن التقوى ترك المعاصي خوفاً من الله فهي من آثار الخوف ومعانيه .

م (٣) : الفروق بينها .

أولا: الفرق بين الخوف والخشية :

١- الخوف خوف من الأثر ، والخشية خوف من المؤثر .

﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ الرعد: ٢١.

٢- الخشية خوف وزيادة إذ فيها العلم بالمخاف منه والحذر منه وتعظيمه وطاعته ، ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ فاطر: ٢٨.

ثانيا: الفرق بين الخوف والرهبة :

١- أن الرهبة تثمر عملاً واحتياطاً ، وأما الخوف فقد يثمر وقد لا يثمر .

٢- أن الرهبة مدة أثرها طويل والخوف مدة أثره قصير .

م (٤) : أدلة عبادة الخوف :

١- قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٧٥.

٢- وقال : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ الزمر: ٣٦ ذم حال المشركين الخائفين من معبوداتهم والمخوفين بها.

٣- وقال: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ النحل: ٥١ ، وهذا من صيغ الحصر الدالة على توحيد عبادة الخوف لله وحده.

٤- وقال : ﴿ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ الأحزاب: ٣٩ .

٥- وقال: ﴿ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ النساء: ٧٧.

٦- وقال: ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ المائدة: ٤٤.

٧- وقال: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ التوبة: ١٨.

٨- ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ الأنبياء: ٩٠.

٩- وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴾ المؤمنون: ٥٧.

١٠- وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ الحج: ٣٥.

أثنى على من اتصف بالخوف منه والخشية وهذا يدل على أنها عبادة .

١١- وقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ العنكبوت: ١٠.

١٢- عن أبي سعيد ﷺ مرفوعا: (إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله. إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره).

١٣- عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: (من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس؛ ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس) رواه ابن حبان في صحيحه.

م (٥) : أنواع الخوف :

١- الخوف التعبدي التألهي: هو الخوف من الله ومن عقابه، فلا يخشى غيره، وإذا ذكر الله ﷻ وجل القلب منه، وأشفق من عقابه وغضبه، وخاف من مخالفة أمره والوقوع في نهيه . وهذا الخوف يقوم معه الخضوع للرب والذل له ورجاؤه .

٢- الخوف الشركي (خوف السر) : وهو صرف الخوف التعبدي لغير الله، بأن يخاف من المخلوق في أمر لا يقدر عليه إلا الله، أو يتوقع أن المخاف منه يستطيع إنزال الضرر الذي لا يقدر على فعله إلا الله، وأن المخلوق يقدر على أن يصيب الناس بما يشاء، كما هو حال المشركين مع آلهتهم .

٣- الخوف المحرم : وهو ترك أمر الله وطاعته أو فعل معصيته مخافةً من المخلوقين وهو داخل في الشرك الأصغر . كأن يترك الجهاد أو البراءة من المشركين أو النهي عن المنكر وقول كلمة الحق خوفا من الناس أو مهابة لهم أو طلبا لرضاهم.

قال تعالى في من هذه حاله : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ المائدة: ٥٢ ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ القصص: ٥٧ ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ النساء: ٧٧ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ العنكبوت: ١٠ ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ النساء: ١٣٩.

قال ﷺ :(من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط عليه واسخط عليه الناس). الترمذي .

قال ﷺ : (إن الله يقول للعبد يوم القيامة : ما منعك إذا رأيت المنكر ألا تغيره ، فيقول يا رب خشيت الناس، فيقول: إياي كنت أحق أن تخشى) أحمد وابن ماجه .

٤- الخوف الطبعي الجِبلّي : كالخوف من السبع والعدو والنار والطاغوت الظالم ومنها قوله تعالى عن موسى : ﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ القصص: ١٨.

م (٦) : ينقسم الشرك في الخوف إلى أكبر وأصغر :

الشرك الأكبر في الخوف : خوف التألة والعبادة وهو الخوف من المخلوق أن يضره ويفعل للخائف منه ما لا قدرة له به .

والشرك الأصغر في الخوف: كأن يترك المسلم الإنكار مهابة الناس وخشيتهم أو يفعل المنكر خوفاً منهم من غير أن يوجد الإكراه الحقيقي .

م (٧) : **ضابط الخوف الشركي** : هو أن يخاف من المخلوق أن يوقع به شيئاً لا يقدر عليه إلا الله، أو يخاف سرا من المخلوق أكثر من خوفه من الله .

م (٨) : **شرك الخوف متعلق بالألوهية وقد يدخل في الربوبية ويستلزمه:**

ووجه ذلك أن الخوف عبادة لأن الله أمر به وأحبه وأثاب فاعله، فهو متعلق بأفعال العباد وتألههم، عليه فمن صرفه لغير الله كان مشركاً في ألوهيته لا في ربوبيته، ولكن قد يتعلق في قلب الخائف من المخلوق أن المخاف منه يقدر على كل شيء ويتصرف في الخلق بما يشاء فيقع في الشرك في الربوبية من هذا الوجه وليس من أجل الخوف من غير الله وإنما من أجل اعتقاد الربوبية في المخلوق، ومثل ذلك شرك المحبة وشرك الرجاء وشرك الدعاء والرجاء والخشوع، وكل عبادة هي في أصلها متعلقة بالألوهية وقد تدخل في الشرك في الربوبية من جهة ما يقارنها ويلازمها ويخالطها من اعتقاد الربوبية في المخلوق لا أن حصول شرك الربوبية في ذاتها ومضمونها.

م (٩) : **أحكام الخوف من المخلوق وأقسامه:**

١ - الخوف الجائز : ويكون في الأمور الظاهرة والأسباب العادية.

٢- الشرك الأصغر المحرم : وهو الخوف من المخلوق في كل شيء . كذلك أن يخاف من المخلوق فيترك فعل الواجب والإنكار خوفا منه .

٣- الشرك الأكبر : وهو أن يخاف المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله .

فتأمل هذه القاعدة فهي نافعة في الفرق بين شرك الألوهية وشرك الربوبية .

م (١٠) : **درجات الخوف التعبدي :**

١ - مطلق الخوف وأصله : وهذا ركن في الدين يجب الإتيان به وتاركه كافر .

٢- الخوف الواجب : وهو أن يخاف عقوبة الله على تقصيره وما اقترفه، وأن يحمله خوفه من الله على التوبة وترك المعاصي.

٣- الخوف المطلق الكامل: وهذا من مكملات الدين والناس متفاوتون فيه كسابقه، وهذا القسم مستحب، وهو يبلغ بالكمال إلى أن يراقب الله في كل أموره ويترك المشتبهات ويتورع ويقطع خوفه من المخلوقين.

م (١١) : ترك الخوف مطلقاً من الكفر بالله ونواقض الإسلام :

الخوف عبادة لله يجب أن تصرف له، والذي لا يوجد عنده مطلق الخوف وأصله وجنسه، أي أنه لا يخاف من الله بالكلية ولا يخشى عقابه مطلقاً، فهذا كافر والعياذ بالله، وهذا بخلاف من قصّر في الخوف من الله وأمن الله ورجاه لكمال رحمته وأفرط على نفسه حتى أمِن من عقابه، فهو وإن كان لم يأت بالخوف الواجب فضلا عن المطلق والكامل إلا أنه يوجد عنده أصل الخوف، وهو مع هذا عاصٍ في فعله متوعد بالعقوبة، وفي الأثر (من أمنني في الدنيا خوفته في الآخرة) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين وأبو نعيم في الحلية عن شداد بن أوس.

م (١٢) : تعلقات الخوف :

الخوف من الله تعالى ومن صفاته وأفعاله فيخاف من غضب الله وسخطه وعقوبته ،والخوف من مفعولاته وآثار غضبه ومن ذلك الخوف من النار .

م (١٣) : **لماذا يجب الخوف من الله** : لأمرين ، وكل أمر متعلق بجانب :

الأول : متعلق بالمخلوق : وذلك لحصول التقصير من العبد في حق الله، وهذا التقصير قد يستوجب العقوبة من الله، لذلك يجب أن نخاف .

الثاني : متعلق بالرب : وذلك لعظمة الله وكماله وقوته وشدة عذابه وأخذه .

م (١٤) : علاقة الخوف ببقية العبادات :

للخوف علاقة بالذل والخضوع والطاعة واللجوء والرغبة والرهبة والرجاء والاستغاثة والإنابة وغيرها، ولذلك من وقع في شرك الخوف لابد وأن يصاحب شرك الخوف شرك الطاعة غالباً للخائف منه أو شرك الدعاء والاستغاثة به ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ الجن: ٦ أي خوفاً وكفراً ، فهم لمّا خافوهم دعوهم واستغاثوا بهم، كذلك يعبد الخائف شريكه ومعبوده بعبادة الخضوع والانكسار والخشوع والذل واللجوء والرغبة والرجاء فيشرك في كل هذه العبادات غالباً ويصرفها لغير الله تبعا للخوف .

م (١٥) : علاقة الخوف بالرجاء :

ينبغي للمؤمن أن يجمع في قلبه بين عبادة الخوف من الله وعقابه، وعبادة الرجاء فيرجو الله ويرجو ثوابه، ويتقلب بينهما، فبالخوف يكف عن المحارم، وبالرجاء يقبل على الطاعات ،فلا يطغى الخوف على الرجاء حتى لا يصاب باليأس من رحمة الله ، ولا يطغى الرجاء على الخوف فيصاب بالأمن من مكر الله، إلا عند اقتراب الموت فإنه مما ينبغي له أن يغلب جانب الرجاء ويحسن ظنه بربه .

أدلة اجتماع عبادة الخوف والرجاء:﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ الأنبياء: ٩٠ ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ الإسراء: ٥٧ ﴿ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ الزمر: ٩ ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ الأعراف: ٥٦ ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ السجدة: ١٦ .

م (١٦) : **ما يقابل الخوف** : يقابل الخوف الأمن.

وأما الرجاء فحاله تخالط الخوف ولا تعارضه أو تناقضه .

م (١٧) : **الغلو في الخوف من الله** :

الغلو في الخوف قد يؤدي بالعبد إلى اليأس من روح الله والقنوط من رحمته .

م (١٨) : **علاقة الخوف باليأس والقنوط** :

مما يحرم على المؤمن العابد الخائف من ربه والراجي له القنوط من رحمة الله.

م (١٩) : **العلاقة بين الإكراه والخوف** :

ظن بعض المتأثرين بالإرجاء أن الخوف من الأعداء والمشركين يجوّز موالاتهم ويبيح مظاهرتهم على المسلمين ويسقط فريضة الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واستدلوا بآية الإكراه والتقية والحق أن الإكراه غير الخوف .

فالإكراه صورته أن يقع في يد العدو ويغلب على ظنه أنه سينكل به وهو لا يقدر على جهادهم لكونه تحت قهرهم وسلطانهم فيجوز له أن يجاملهم ويترك إظهار معاداتهم والإنكار عليهم لا أن يناصرهم على المسلمين فهذا لا يجوز بحال إنما الذي رخص لنا هو التلفظ وإظهار الموافقة .

م (٢٠) : **آثار الخوف من الله ولوازمه** :

مهابة الله والإشفاق من عذابه والحذر من غضبه ومراقبة الله وترك عصيانه والإقبال على طاعته والوجل من عدم قبول الطاعة ، فالحذر والمهابة والإشفاق ليست عين الخوف وذاته ونفسه وإنما من آثاره، ومن ادعى الخوف مع ركوب المحارم وعدم الإقلاع فخوفه مجرد دعوى كاذبة.

م (٢١) : الفرق المخالفة فيه :

١- الوعدية من المرجئة والصوفية : الذين لا يأتون بالخوف كما يجب .

٢- الوعيدية من الخوارج : ممن يغلب جانب الخوف على الرجاء .

٣- القانطون من رحمة الله اليائسون منه : لغلوهم في الخوف من الله.

٤- الآمنون من مكر الله : لعدم خوفهم من الله تعالى .

م (٢٢) : صور الشرك في الخوف والطوائف الواقعة فيه :

وقع في شرك الخوف :

عبّاد الأصنام والأوثان، والقبورية عباد القبور، والصوفية عباد الأولياء، والرافضة عباد آل البيت .

السحرة عباد الشياطين .

المنافقون العلمانيون والليبراليون المستغربون من عباد الغرب والصليبيين .

العوام في خوفهم من الجن والشياطين وخوفهم من السحرة أو السلاطين .

عباد الدنيا والهوى في خوفهم من الطواغيت والكفار فتولوهم ولم يعادوهم.

مبحث : التقوى :

التقوى من آثار الخوف ولوازمه .

وهي ما تحمل على العمل ومراقبة الله والاستعداد للقائه .

والتقوى تتعلق بالله وبأفعاله ومفعولاته :

قال تعالى :﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا ﴾ البقرة: ٤٨ ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ آل عمران: ١٣١ ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ آل عمران: ٢٠٠.

الصنف الرابع : عبادة : التوكل

م (١) : تعريف التوكل وحقيقته :

التوكل هو الاعتماد والالتجاء والاستكفاء والوثوق .

والتوكل على الله يكون بالاعتماد على الله تعالى وتفويض الأمر إليه، وعدم الالتفات لغيره ولا اللجوء لأحد سواه، والاستغناء به تعالى عن غيره في قضاء الحوائج، والثقة به، والاستعانة به، والاستسلام له، والتعلق به، والطمأنينة به، والسكون إليه، والرضا بقضائه، وقطع علائق القلب بغير الله .

م (٢) : أسماء التوكل والألفاظ المقاربة له في المعنى :

الحسب : ودليله قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾ الأنفال: ٦٤.

والتحسب من معاني التوكل، ﴿ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ ﴾ والمعنى أكتفي بالله وأتوكل عليه. ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ والمعنى فهو كافيه.

فالمتوكل على الله يكفيه كل شيء وهو حسيبه.

الاستكفاء: ودليله قوله تعالى: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ ﴾ الزمر: ٣٦.

التفويض : ودليله قوله تعالى: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ غافر: ٤٤.

والفرق بين التوكل والتفويض :

أن التوكل يكون بعد وقوع السبب، والتفويض يكون قبله وبعده فهو أوسع.

وقيل : التوكل ثلاث درجات : التوكل ثم التسليم ثم التفويض .

الاعتماد : وهو من معاني التوكل .

التسليم والثقة : وهما من آثار التوكل .

م (٣) : مكانة التوكل ومنزلته من الإيمان والدين والعبادة :

التوكل عبادة تقوم عليه كثير من العبادات، والتوكل من أعلى درجات العبودية ، وبه يحصّل المسلم كثيرا من أصناف العبادة كالخضوع والذل والمحبة والرغبة واللجوء والاطمئنان والإخبات والثقة بالله والسكون إليه .

ولا يتحقق وجود التوكل إلا في خواص الموحدين، والمخلصين الكمّل .

م (٤) : مكان التوكل ومحله :

التوكل من أعمال القلوب وهو الصحيح ، بينما جعله البعض من أقوال القلب الداخلة في المعرفة والعلم والإدراك والصدق . وتتعلق لوازمه وآثاره بالجوارح .

م (٥) : وجه كون التوكل عبادة يجب التوحيد فيها:

لأن الله تعالى أمر بالتوكل قال تعالى : ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ ﴾ هود: ١٢٣.

بل وجعل حصوله شرطا لصحة الإيمان كما نصت الآية : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ المائدة: ٢٣، فمفهوم الآية أن من لم يتوكل على الله ليس بمؤمن وأن من لم يوحد الله في توكله فليس بمؤمن.كما أثنى عليه وأحب أهله المتصفين به ووعدهم بالثواب، لذلك كان التوكل عبادة يجب صرفها لله ومن الشرك أن تصرف لغيره .

م (٦) : توحيد التوكل : قوله: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ ﴾ هذه الجملة من أساليب الحصر الدالة على التوحيد، ومعناها توكلوا على الله ووحدوه بالتوكل ولا تتوكلوا على غيره ، وهذا يوجب على العبد توحيد التوكل لله . وتأمل كيف أعقب كلمة التوحيد بتوحيد التوكل وهو من التأكيد وباب عطف الخاص على العام،﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ ﴾التوبة: ١٢٩﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ التغابن: ١٣.

م (٧) : أدلة التوكل :

قال تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ المائدة: ٢٣.

قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ التغابن: ١٣.

قال تعالى : ﴿ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ ﴾ التوبة: ١٢٩ .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ الطلاق: ٣.

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ العنكبوت: ٥٩ .

قال تعالى : ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ ﴾ هود: ١٢٣.

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الأنفال: ٢ .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الأنفال: ٦٤ .

قال النبي ﷺ : (لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِماصا وتروح بِطانا) رواه أحمد وابن ماجة .

(من سره أن يكون أقوى الناس إيمانا فليتوكل على الله)رواه الحاكم وأبو يعلى.

قال ابن عباس: ﴿ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ آل عمران: ١٧٣ . رواه البخاري.

م (٨) : الجمع بين العبادة والتوكل :

جمع الله سبحانه بين العبادة والتوكل في مواضع كثيرة .

قال تعالى : ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ ﴾ هود: ١٢٣ .

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا ﴾ الممتحنة: ٤ والإنابة من العبادة .

﴿ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾ مريم: ٦٥.

﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ والصبر من العبادة.

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الفاتحة: ٥ والاستعانة على العبادة من معاني التوكل .

م (٩) : أقسام التوكل :

١- التوكل التعبدي الألوهي : وهو التوكل على الله في جميع الأمور وتفويض الأمر إليه والاعتماد عليه وخشيته والطمع فيما عنده ورجاؤه .

٢- التوكل الشركي وهو تفويض الأمر للمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله والاعتماد على المخلوق في كل شيء أو الالتجاء للأموات وغيرهم في دفع الضر .

٣- التوكل المحرم : وهو التوكل على المخلوق فيما يقدر عليه والالتجاء إليه والاعتماد عليه والالتفات للأسباب والارتياح لها والاعتماد والاتكال عليها .

ومن أمثلته : الاعتماد على المخلوق في معاشه، كالاعتماد على الوظيفة وعبادتها من دون الله واعتقاد أن الرزق والفضل منها وأن تركها ذهاب للرزق، ومثل ذلك الاعتماد على الدواء في العلاج والشفاء والالتجاء إليه، ومثل ذلك الخوف من العدو وعدم القيام بجهاد الكفار وخشية بأسهم، وهذا كله من الشرك الأصغر والخفي.

٤- التوكل الطبيعي الجائز : وهو إنابة المخلوق في فعل أمر معين كالبيع والصدقة، وهذا ما يسميه الفقهاء بالوكيل الشرعي ويبحث في باب الوكالة .

م (١٠) : علاقته التوكل بالتوحيد ودخوله في توحيد الربوبية والألوهية :

أما دخول التوكل في الألوهية فلأن التوكل التجاء من العبد لربه وخضوع لـه وتعلق به وهذا هو التأله والعبادة .

وأما علاقته ودخوله في توحيد الربوبية فهو من بـاب الاسـتلزام لأن المتوكـل أقر واعتقد بأن ربه هو الوكيل والحسيب والكافي والمتصرف المـدبر وحـده والقـادر على كل شيء والنافع الضار، وكل هذه من معاني الربوبيـة ، فالمتوكـل وحّـد ربـه في ربوبيته ولم يشرك معه أحدا. كما أن التوكل فيه اعتراف بكثير مـن أسـماء الله وأفعالـه وصفاته من القدرة والرحمة والرزق.

م (١١) : درجات التوكل :

١- مطلق التوكل وأصله : وهذا ركن في الدين يجب الإتيان به وتاركـه كـافر ليس بمسلم . وترك التوكل بالكلية كفر مخرج من الملة .

٢- التوكل الواجب : وفاقد هـذا يعتـبر مـن عـصاة الموحـدين، فـإذا تعلـق الإنسان بالأسباب واعتمد عليها بالكلية وأعرض عن ربه، كان تاركا الواجب .

٣- التوكل المطلق الكامل: وهذا من مكملات الدين والناس متفـاوتون فيـه كسابقه، وهذا القسم مستحب، وهو يبلغ بالكمال إلى أن يتوكل العبد على ربه في كل شيء حتى لا يرجو ولا يخاف أحداً لكمال توكله ولجوئه لربه ويقطع علائقه بغير الله.

م (١٢) : تارك التوكل على الله بالكلية كافر :

قال تعالى :﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ المائدة: ٢٣، فمفهوم الآية أن من لم يتوكل على الله ليس بمؤمن وهي مثل عبادة الخوف والرجاء تاركها بالكلية كافر .

م (١٣) : أحكام التوكل على المخلوق وأقسامه :

١ – التوكل الشركي الأصغر : وهو التعلق بالمخلوق في الأمور الظاهرة والأسباب العادية كمن يتوكل على السلطان فيما جعله الله بيده من الرزق أو دفع الأذى، أو يعتمد على الوظيفة أو الواسطة في تحصيل مراده والاعتماد على الأسباب في كل شيء من دون التفات لربه وتوكل عليه .

٢ – التوكل الشركي الأكبر : وهو أن يتوكل على المخلوق بالكلية ولا يتوكل على الله مطلقا، أو يتوكل على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مصالحهم من النصر والحفظ والرزق والشفاعة .

٣– الجائز :هو ما ليس قائماً على الاعتماد القلبي،كالتوكيل وفعل ما يقدر عليه.

م (١٤): ضابط التوكل الشركي :

١ – أن يتوكل على المخلوق بالكلية ويلتفت إليه ويتعلق به مطلقا ، وغالباً ما يقارن توكله على المخلوق الذل له والخشوع والخضوع واللجوء إليه ، وفي المقابل يعرض عن الله فلا يتوكل عليه في شيء مطلقا .

٢– أن يتوكل على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله وهذا شرك أكبر .

م (١٥) : صور الشرك في التوكل :

يوجد هذا الشرك عند من يدعو غير الله ويرفع له حوائجه ويطلبه قضاءها، فمن يدعو الأولياء والأموات هو في الحقيقة مفوض أمره إليهم ومتوكل عليهم ومسلم حاله لهم ومعتقد أن بيدهم قضاء حاجاته ونفعه وإلا لما قام بدعائهم.

والقاعدة أن الشرك في الألوهية متداخل متلازم مترابط متضمن لبعضه .

م (١٦) : لماذا يجب التوكل على الله : لأمرين:

الأول: متعلق بالرب : وذلك لكونه العالم بكل شيء والأمور مرجعها إليه وتدبير الخلق مرده له وهو القادر على الضر والنفع بيده وليس غافلاً عن خلقه.

وقد جاءت هذه العلة في قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ هود: ١٢٣.

الثاني: بالمخلوق : وذلك لضعفه وحاجته لربه في تحصيل النفع ودفع الضر .

م (١٧): ما يضاد التوكل والقوادح فيه :

- التعلق بالأسباب والاعتماد عليها والإلتفات لها والمبالغة في الإطمئنان لها.
- التطير والتشاؤم، فكل متطير متشائم قد وقع في قوادح التوكل.
- تعليق التمائم والحجب ولبس الخيط والحلقة .
- الإسترقاء وهو طلب الرقية والسعي لتحصيلها ، ويدخل في ذلك المبالغة في السعي لطلب الدواء واللهث خلف الأطباء والإعراض عن التعلق بالله .
- الذهاب للسحرة والكهان والعرافين والمنجمين .
- التبرك بذوات الصالحين وآثارهم والتبرك بالقبور والأشجار والأحجار .
- دعاء غير الله وسؤال المخلوقين والاستغاثة بهم .
- المبالغة في سؤال الناس والإلحاح عليهم وإنزال الحاجات بهم وخشيتهم والطمع بما في أيديهم والحرص على رضاهم ورفع الحاجات إليهم واللجوء لهم.
- سوء الظن بالله وعدم إحسان الظن به والثقة به وبوعده وترك رجائه .

م (١٨): تعلقات التوكل:

التوكل لا يكون إلا على الله كالدعاء لا يكون للصفات فلا تدعى صفاته ولا يتوكل عليها ،خلافا للخوف والرجاء فترجى صفاته.

م (١٩) :لا يوجد غلو في التوكل كما يكون في الخوف وإنما تدرج في الكمال.

فلا يقال الغلو في التوكل يؤدي إلى ترك الأخذ بالأسباب مثلاً كما يقال في الخوف الغلو فيه يؤدي إلى القنوط من رحمة الله .

م (٢٠) : الأخذ بالأسباب الشرعية لا ينافي التوكل :

الأخذ بالأسباب الشرعية والعرفية مثل الاستشفاء بالقرآن وبالعسل وبالدواء والاستعداد للسفر، وحفظ المال من السرقة بالإحراز، ونحو ذلك كله من التوكل وترك ذلك من التواكل والعجز وليس من التوكل في شيء.

أما الأسباب الشركية البدعية التي لم يجعلها الله ولا رسوله من الأسباب فهي من الشرك، مثل تعليق التمائم والصلاة عند القبور ونحو ذلك من وسائل الشرك .

م (٢١) : الفرق بين التوكل والتواكل:

التوكل الاعتماد على الله وتفويض الأمر إليه مع الأخذ بالأسباب من دون تعلق واعتماد عليها، والتواكل والاتكال هو ترك الأخذ بالأسباب والعمل بها .

قال العلماء الأخذ بالأسباب من الدين .وترك العمل بها من ضعف العقل.

الاعتماد على السبب بالكلية والتوكل عليها والمبالغة في اللجوء لها من الشرك.

وفي الحديث الصحيح قال الرسول ﷺ : (اعقلها وتوكل) رواه الترمذي.

وقال عمر ﷺ لليمنيين الذين حجوا بلا متاع توكلا ، فقال لهم:(بل أنتم المتكلون)أخرجه ابن أبي الدنيا .

م (٢٢) : مفاسد سؤال الناس والاتكال عليهم :

١ – الافتقار إلى غير الله وهذا من الشرك .

٢ – إيذاء المسؤول وهذا من ظلم الخلق .

٣– الذلة لغير الله وهذا من ظلم النفس .

م (٢٣) : التوكل الحقيقي يقوم على ترك سؤال الناس مطلقا وعدم طلبهم:

وقد ورد النهي عن كثرة السؤال، والمنع من سؤال المخلوقين ما يقدرون عليه سدا لذريعة سؤالهم مالا يقدرون عليه ولكي لا يتعلق العبد بغير ربه أو يرجوه، وقد جاء في الحديث :" وكره لكم ثلاث ... وكثرة السؤال " متفق عليه.

وفي حديث ابن عباس :" وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله " رواه الترمذي.

وحديث ترك الاسترقاء، وكره حذيفة وابن مسعود أن يطلب منهم الدعاء .

ومن تأمل هديه ﷺ ومبايعته لصحابته على أن لا يسألوا الناس شيئا، حتى إن أحدهم إذا سقط سوطه لم يطلبه من أحد علم حرصه ﷺ على تحقيق التوحيد في أمته.

م (٢٤) : شروط صحة التوكل :

للتوكل شروط ودرجات فهو مركب من أمور لا يتم إلا بها وهي :

معرفة الرب بصفاته، وإثبات الأسباب والمسببات، ورسوخ القلب في مقام التوحيد، واعتماد القلب على الله واستناده إليه وسكونه له، وحسن الظن به ﷻ،

واستسلام القلب له، وانجذاب دواعيه كلهـا إليـه، وقطـع منازعاتـه، والتفـويض، والرضا وهو ثمرة التوكل . ذكرها ابن القيم في المدارج .

م (٢٥) : آثار التوكل ولوازمه وفوائده:

١- الاعتماد على الله .

٢- ترك الطمع فيما بأيد الناس .

٣- عدم الخوف من الخلق ولا رجائهم ولا التعلق بهم.

٤- الإيمان بقضاء الله وقدره .

٥- راحة البال وسكينة القلب .

م (٢٦) : الفرق المخالفة في التوكل :

المشركون : الذي يتوكلون على غير الله تعالى كالأولياء والمعبودات .

القدرية المعتزلة : اعتمدوا على الأسباب وتوكلوا عليها ولجئـوا إليهـا وظنـوا أنها الخالقة المستقلة بالإيجاد .

الجبرية من الأشاعرة والصوفية وغيرهم : ألغوا العمل بالأسباب وظنوا أنهـا قادحة في التوحيد معارضة للدين .

الصنف الخامس : شرك الرجاء :

المسالة الأولى : أدلته :

قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾ الأحزاب: ٢١.

وقال: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ الكهف: ١١٠.

وقال : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍۚ ﴾ العنكبوت: ٥.

وذم الله ﷻ من لا يرجوه وتوعده بالنار في قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ يونس: ٧-٨ .

وأمر الله ﷻ أن يوحد في الرغبة والرجاء في قوله: ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ الشرح: ٨ .

وأثنى الله تعالى على من جمع بين الخوف منه ورجائه، وأمر بالجمع بينهما في مواضع من كتابه: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ الإسراء: ٥٧.

تنبيه : عبادة الطمع داخلة في الرغبة والرجاء وحسن الظن بالله ، قال تعالى : ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ الشعراء: ٨٢ .

ويكون الطمع متعلقا بدخول الجنة ومغفرة الذنوب .

الثانية : أسماء الرجاء والألفاظ المقاربة له في المعنى :

الرغبة والأمل والتوقع والأمنية والبُغْية والطمع وحسن الظن .

الثالثة : الرجاء عبادة :

الرجاء عبادة أمر الله بها وحث عليها وأثنى على من يتصف بها وذم تاركها وتوعده بالنار، فهي عبادة يحبها الله ويجب أن لا تصرف إلا له فلا يرجى غيره .

الرابعة : تعلقات الرجاء :

١ – رجاء الله تعالى .

٢ – رجاء لقائه سبحانه.

٣– رجاء ثوابه وفضله .

٤ – رجاء رحمته ولطفه وكرمه وجميل صفاته تعالى.

٥ – رجاء اليوم الآخر.

فالرجاء متعلق بهذه الأحوال والصفات ، وقد جاءت النصوص بها جميعا.

الخامسة : شروط اعتبار الرجاء عبادة :

١ – محبة ما يرجوه وتعلقه به

٢ – الخوف من فوات ما يرجو والحذر من عدم تحققه .

٣– سعيه في تحصيل المرجو .

٤ – تعظيم المرجو منه والذل له .

فإذا تخلف أحد هذه الشروط صار أمنية وليس رجاء تعبدي .

ذكر ذلك ابن القيم في الجواب الكافي ٤٢.

السادسة : تارك الرجاء :

من لا يرجو الله بالكلية فهو كافر خارج عن الملة ، والدليل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ يونس: ٧-٨ .

وقوله سبحانه : ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ يوسف: ٨٧.

أما من كان عنده أصل الرجاء ولكن قصّر فيه فهو موحد عاصي .

السابعة : درجات الرجاء :

١- مطلق الرجاء وأصله :

وهذا ركن في الدين يجب الإتيان به وتاركه كافر ليس بمسلم .

٢- الرجاء الواجب : وهو أن يرجو رحمة الله في الآخرة وثوابه وأن يغفر له ويرحمه ويدخله جناته ويجره من عذابه وغضبه، ويرجو كل ما لا يقدر عليه، وفاقد هذا يعتبر من عصاة الموحدين، فإذا توكل الإنسان على عمله ولم يرج رحمة الله ويطمع في فضله واغتر بعمله، كان تاركا للرجاء الواجب .

٣- الرجاء المطلق الكامل: وهذا من مكملات الدين والناس متفاوتون فيه كسابقه، وهذا القسم مستحب، وهو يبلغ بالكمال إلى أن يرجو العبد ربه كل شيء حتى لا يرجو أحداً مطلقاً لكمال توكله ولشدة لجوئه إلى ربه، فهو يرجو ربه كل شيء من أمور الدنيا والآخرة، ويقطع علائقه بغير الله نسأل الله من فضله.

ومن الدعاء المستحب : اللهم إن رحمتك أرجى عندي من عملي وعفوك أوسع من ذنوبي .

الثامنة : أقسام الرجاء :

١- الرجاء التعبدي التألهي : وهو أن يرجو العبد الله وحده، ويرجو رحمته وثوابه ويتعلق بربه، ويدعوه رهبة منه ورغبة فيما عنده ورجاء فيه . وله درجات .

٢- الرجاء الشركي (السر): وهو أن يرجو المخلوق في تحصيل ما لا يقدر عليه إلا الله، كأن يرجو مخلوقاً أن يشفع له عند الله أو أن يغفر له أو يعافيه أو يرزقه أو يمنحه الولد، ومن فعل ذلك واعتقده فقد أشرك الشرك الأكبر .

وغالباً ما يقارن الرجاء الشركي الذل للمخلوق والتضرع والخضوع له واللجوء والانكسار والرغبة إليه .

٣- الرجاء الطبيعي الجائز : وذلك أن يرجو من المخلوق فعْل ما يقدر عليه، كأن يرجو أن يوفق الطبيب في علاجه وأن يكتب على يديه شفاءه أو يرجو من شخص أن يحقق رغبته في عمل أو حصول على مراده، ومع ذلك فترك رجائه أكمل توحيداً وهذا من الكمال المطلق المستحب .

٤- الرجاء المحرم وله صور :

- أن يرجو الله أمراً لا يليق ، كأن يرجو الله أن يجعله في مرتبة الأنبياء أو أن ييسر له المحرم ويعينه عليه.

- أن يتعلق قلبه بالمخلوقين مطلقاً في كل أموره وينصرف عن الله ورجائه.

- أن يرجو ثواب الله وجنته من غير أن يعد لذلك عملا صالحا ومع إسرافه في المعاصي.

التاسعة : تعلقات الرجاء بأمور الآخرة والدنيا :

١ – الرجاء يتعلق بأمور الدين والآخرة من غفران الذنب ودخول الجنة وقبول الطاعات والتوبة . وهذا الأصل .

٢ – يتعلق الرجاء بأمر الدنيا فيرجو الله أن يرزقه ويعافيه ويصلح حاله وعياله وماله وأن يبارك له في كل شيء ويهب له كل خير ويصرف عنه كل سوء وشر.

العاشرة : ما يضاد الرجاء :

يضاد الرجاء القنوط واليأس .

فالقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله ينافيان التوحيد . ويتدرج صاحبها بين القدح في أصل التوحيد أو نقص كماله والوقوع في الكفر والمعصية.

وعلة كون القنوط من الشرك ووجه منافاته للتوحيد :

١ – أن القانط شبّه الرب الرحيم بالمخلوق الذي لا يرحم .

٢ – أن القانط قدح في رحمة الله وكرمه وعفوه وقدرته .

٣ – أن القانط اليائس لم يأت بعبادة الرجاء الواجبة والتي قد يكفر تاركها.

وقد قال سبحانه : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ يوسف: ٨٧.

وقال : ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ الحجر: ٥٦ . وقال : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ الزمر: ٥٣ . وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ يونس: ٧–٨ .

واليأس والقنوط متعلقة بأمور الدين ويتعلق بأمور الدنيا كما في قصة يعقوب ونهيه عن اليأس من لقاء ابنه وإبراهيم في عدم قنوطه من الولد.

الحادية عشرة : الغلو في الرجاء يسبب الأمن من مكر الله :

إذا غلا الإنسان في الرجاء دون أن يعمل صالحاً ويكف عن حراماً فهو آمن من مكر الله وعذابه، وهذا مثل السابق القانط واليأس، لأن القانط لم يعبد الله بالرجاء والآمن لم يعبد الله بالخوف منه .

وتقدم أن الذي يأمن من مكر الله ولا يخاف منه أنه دائر بين الكفر والعصيان وبين القدح في أصل التوحيد وكماله، قال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ الأعراف: ٩٩.

الثانية عشرة : الجمع بين الخوف والرجاء :

ينبغي للمؤمن أن يجمع بين عبادة الخوف وعبادة الرجاء ولا يغلب أحدهما .

وقد أمر الله ﷻ بالجمع بين الخوف منه ورجائه وأثنى على من جمع بينهما في مواضع من كتابه ، قال تعالى : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ الإسراء: ٥٧ ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ الأنبياء: ٩٠ ﴿ يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ الزمر: ٩ ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ الأعراف: ٥٦ ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ السجدة: ١٦ .

الثالثة عشرة: ارتباط الرجاء بالعبادات :

الرجاء يقترن غالباً بالتوكل على الله والطمع في رحمته والرغبة إليه واللجوء له والخشوع والخضوع والإقبال والانكسار والذل والدعاء والخوف والحذر من فوات ما يرجوه، ولذلك كان من يرجو غير الله من المخلوقين عابداً له لكونه خاضعاً له متذللاً له راغباً إليه مقبلاً عليه، وهذا هو الحال الأغلب للراجي الذي ترجى غيره .

فيكون الراجي بهذا الترجي التعبدي اتخذ المخلوق الذي يرجوه إلهاً من دون الله فإن كان هذه الحاجة التي يرغب فيها لا يقدر عليها إلا الله كان ذلك من الشرك الأكبر، وإلا كان من الشرك الأصغر، وإذا كان من الأمور الظاهرة والأسباب العادية فليس من الشرك وإن كان تركه أولى .

الرابعة عشرة : آثار الرجاء ولوازمه :

١ – الإقبال على الله والرغبة إليه والخضوع والتذلل له والتوكل عليه .

٢ – فعل الطاعات وترك المحرمات .

٣ – عدم القنوط من رحمة الله واليأس من روحه .

٤ – ترك الأمن من مكر الله ومن عقابه .

٥ – كثرة الدعاء والإلحاح فيه .

الخامسة عشرة: أسباب رجاء الله :

يستحق ربنا أن يرجى لكماله سبحانه ولسعة رحمته وعظم نعمته وجميل صفاته.

السادسة عشرة : أحكام رجاء المخلوق وأقسامه :

١ – الترجي الجائز: وهو رجاء المخلوق في الأمور الظاهرة والأسباب العادية.

٢ – الشرك الأصغر: وهو المبالغة والغلو في رجاء المخلوق والتعلق بالمخلوق في كل شيء والتقصير في التعلق بالله ورجائه وعدم الالتفات إليه كما يجب.

٣ – الشرك الأكبر: وهو أن يرجو المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله ، أو لا يرجو الله مطلقا.

٤ – المحرم: وهو أن يرجو المخلوق فعل المحرم وأن يعينه الله على الإثم.

السابعة عشرة: علاقة الرجاء الشركي التألهي بالربوبية :

الرجاء عبادة وصرفه لغير الله شرك في الألوهية، ولكن قد يستلزم الشرك في الربوبية وذلك لوجود العلاقة التلازمية بينهما كما هو مقرر في موضعه.

كما أنه قد يقوم بالمشرك الراجي ترجي المخلوق فعل أمر لا يقدر عليه إلا الله، ويكون برجائه الشركي هذا واقع في شرك الربوبية، وذلك حين اعتقد في المخلوق القدرة على كل شيء، وهذه صفات الربوبية وليس شرك الربوبية في نفس الرجاء.

الثامنة عشرة: ضابط الرجاء الشركي :

١ – أن يلتفت ويتعلق بالمخلوق في كل شيء ويعرض عن الله بالكلية فلا يرجو من الله شيئاً .

٢ – أن يرجو المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ، كإنزال المطر وغفران الذنوب وهذا شرك أكبر .

٣– إذا قارن رجاءه من المخلوق الذل للمخلوق والخضوع له واللجوء إليه والتوكل عليه ودعائه والرغبة إليه .

التاسعة عشرة: الفرق بين الرجاء والتمني :

الرجاء هو الذي يخالطه عمل وحرص وحذر .

والتنمي هو تعليق الآمال على الهوى دون العمل .

وفي الحديث: " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت،والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني". رواه الترمذي وابن ماجة.

فلا يصح الرجاء إلا مع العمل الصالح وإلا كان تمنيا ، ولهذا قال البعض: الرجاء اعمله ولا تستعمله، أي لا تعصي وتترك الطاعة بحامل الرجاء .

الفرق بين حسن الظن والغرور :

أن حسن الظن ما حمل صاحبه على العمل وحثه عليه وساقه إليه وزجره عن المعصية مع العمل بالأسباب . وإن لم يصاحبه تلك الحالة بل دعا للبطالة والتفريط والانهماك في المعصية فهو الغرور . ذكره ابن القيم في الجواب الكافي ص ٤٢ .

العشرون : صور الشرك في الرجاء والطوائف الواقعة فيه :

المشركون عامة يرجون آلهتهم ومعبوداتهم أن تجلب لهم النفع وتدفع عنهم الضر ويأملون منهم كل شيء .

وهذا يوجد في الرافضة والصوفية والقبورية وهذا حالهم مع الأموات والأولياء . وقد صرحوا بذلك فانظر إلى قول الشعراني عن أحد شيوخه :

" ولقد قصدته في حاجة ورجوته فرأيته خرج من قبره وقال لي اصبر " .

وقال الدسوقي لطلابه : " إن صح عهدك معي فأنا منك قريب وفي سمعك وطرفك وجميع حواسك " .

فانظر كيف جعلوا المخلوق الضعيف يرجى ويرغب إليه في فعل ما لا يقدر عليه إلا الله.

كذلك يوجد هذا الصنف من الشرك عند : السحرة والعلمانية وطلّاب الرقية الشركية والتمائم والتبرك الممنوع .

الصنف السادس : شرك الإنابة واللجوء والخضوع والتعظيم :

المسألة الأولى : أقسام هذه العبادات :

تنقسم العبادات القلبية التي من جنس اللجوء إليه والتذلل لله إلى أقسام:

١ – التعظيم والتوقير والتقدير والإجلال . ويدخل فيه حفظه ومراقبته .

٢– الذل والخضوع . ومما يدخل في هذا الجنس :

الذل لله، الخضوع له، الإخبات له، السكينة، الخشوع له، الخنوع، الاستكانة، التضرع، التواضع، الاستخذاء، الخنوع، التقوى، السكون، الاطمئنان، الصبر .

ومما يستلزمه هذا المعنى : الانقياد والإذعان والامتثال والالتزام والطاعة والإسلام والاستسلام والتسليم والاتباع والانصياع والتدين والعمل والاستقامة والاستجابة والأخذ بالشيء. والأصل أن هذا الجنس من العبادات العملية .

قال ابن تيمية : (والدين يتضمن معنى الخضوع والذل) ١٠/ ١٥٣.

أيضا يستلزم : ذكر الله والأنس به وحفظه ومراقبته والانقطاع عما يشغل عنه وترك الشيء لأجله والورع والزهد .

٣– التوبة والرجوع إليه واللجوء .ومما يدخل في هذا الجنس :

التوبة، الإنابة، الإوابة، الإواهة، الرجوع والإقبال عليه، وما في هذا المعنى.

الإنابة تزيد عن التوبة أن فيها إقبال وعمل بعد التوبة فهي أكمل .

والإنابة ضربان: إنابة لربوبية الله وهذه يشترك فيها كل الخلق ويدل لها:﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ﴾ الروم: ٣٣، وإنابة ألوهية:دليلها:﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ ﴾ الزمر: ٥٤ ،وهذه هي المتعلقة بالمؤمنين بألوهية الله وعبادته.

ومن العبادات القلبية المستلزمة للتوبة والإقبال على الله عز وجل :

الرغبة والرهبة والتضرع والإنقطاع له والتبتل له والتورع له وترك أشياء من أجله وإرضائه والطمع فيما عنده وذكره والأنس به والصبر على شرعه وقدره.

فائدة : العبادات محصورة في أجناس وقد ذكرت ذلك في مقدمة هذا الفصل.

الثانية : الفروق بين هذه العبادات :

التفريق بين الخضوع والخشوع والإخبات .

التفريق بين الإوابة والإواهة والتوبة .

التفريق بين الخوف والخشية والرهبة والتقوى . وغير ذلك .

وقد اعتنى بالتفريق بين هذه العبادات أصحاب كتب الرقائق كابن القيم في مدارج السالكين .

الثالثة : الأدلة عليها :

القسم الأول: التعظيم والإجلال والأدب مع الله ﷻ.

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الحج: ٣٠ ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ الأنعام: ٩١ ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ نوح: ١٣ ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ الفتح: ٩ ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ الرحمن: ٧٨.

القسم الثاني : الخضوع والذل:

الخشوع: ﴿ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ الأنبياء: ٩٠.

الإخبات: ﴿ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ هود: ٢٣.

الطمأنينة: ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ الرعد: ٢٨.

القنوت: ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ البقرة: ٢٣٨ .

التضرع الاستكانة والسكينة: ﴿ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ المؤمنون: ٧٦.

الخضوع: ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾ الشعراء: ٤ .

العنا: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ ﴾.

الدخور: ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾.

التواضع لله ولأوليائه : قال ﷺ : (من تواضع لله رفعه) .

الاستقامة: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ هود: ١١٢.

الاستجابة : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ آل عمران: ١٧٢

القسم الثالث: التوبة :

التوبة : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًـا ﴾ النور: ٣١.

الإنابة : ﴿ وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الزمر: ١٧ ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ ﴾ الروم: ٣١.

الإوابة : ﴿ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ ق: ٣٢.

الإواهة : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ هود: ٧٥.

التقوى: ﴿ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّـقُواْ ٱللَّهَ ﴾ البقرة: ٢٠٣ .

الرابعة : درجات هذه العبادات وأقسام أحكامها:

منها الأصل الذي لا يقبل الإسلام إلا به ويكفر تاركه .

ومنها الواجب ومنها الكمال الذي يستحب ولا يأثم من لم يأت به .

فتارك أي عبادة من هذه العبادات بالكلية كفر أكبر .

فتارك التوبة بالكلية أو تارك الخضوع والتذلل بالكلية أو تارك التعظيم بالكلية فهو كافر ما لم يأت بالركن منه وأصل كل عبادة أوجبها الله ﷻعلى عباده .

الخامسة : مدار العبودية على هذا القسم من العبادات :

هذه العبادات هي أصل كل عبادة وهي تتعلق بجميع العبادات بلا استثناء القولية والعملية والقلبية ، حيث لا توجد عبادة افترضها الله علينا إلا وهي مرتبطة بالتذلل والتعظيم والتوبة والرجوع واللجوء والإقبال .

فتنبه لهذا الأصل العظيم واستمسك به ما حييت تفلح وتعرف السر في الأوامر والنواهي ومدار رحى العبودية وعلة كل كفر .

السادسة : ما يضاد هذه العبادات :

الكبر والإعراض والتولي والامتناع .

الكبر والاستكبار يعتبر شركا في الربوبية .

السابعة : الجامع لهذه العبادات :

الذل والخضوع والتعظيم والالتجاء لله تعالى .

الثامنة : لماذا استحق الله هذه العبادات التذلل والتعظيم واللجوء التوبة :

لكماله وعظمته وقدرته ورحمته وعقابه .

التاسعة : أحكام الذل للمخلوق والخضوع له:

كل ذلك من الشرك والعياذ بالله، ولا يدخل في ذلك التذلل العادي الغير تعبدي كتوقير الوالدين وخفض الجناح لهما وكذا توقير العلماء وكبار السن .

العاشرة : التوبة والالتجاء لا تصلح إلا لله ولا تنبغي لغيره :

وعلة ذلك : لأنها تنشأ من الذل والخضوع والمحبة .

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ النور: ٣١ .

وحين قال الأسير للرسول ﷺ : (اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب لمحمد)، فقال النبي ﷺ : (عرف الحق لأهله) رواه أحمد .

تنبيه : معنى قول عائشة : (أتوب إلى الله ورسوله) رواه البخاري :

أن هذه ليست من العبادة وإنما التوبة للرسول توبة إلى الله كما أن طاعته طاعة لله والانقياد له انقياد لله والاستجابة له استجابة لله .

وأيضا هي من التوبة اللغوية بمعنى الرجوع وليست العبادة .

الحادية عشرة : حكم تارك هذه العبادات بالكلية :

الذل لله والخضوع له وتعظيمه والتوبة إليه عبادة لله يجب أن تصرف له، والذي لا يوجد عنده شيء من أصل هذه العبادات من مطلق التذلل والتعظيم والالتجاء، أي أنه لا يتذلل لله مطلقا ولا يخضع له بالكلية أو لا يعظمه أصلا أو لا يتوب إليه أو لا يلتجئ إليه بالكلية ولا يلتفت إليه مطلقاً، فهذا كافر والعياذ بالله .

وهذا بخلاف من قصّر في التذلل لله وتعظيمه لله أو توبته ولجوئه لربه وفرط، فهو وإن كان لم يأت بالواجب فضلا عن المطلق والكامل إلا أنه يوجد عنده الأصل، وهو مع هذا عاصٍ في فعله متوعد بالعقوبة .

الثانية عشرة : ينقسم الشرك في هذه العبادات إلى أكبر وأصغر :

الأصل أن صرف هذه العبادات لغير الله سبحانه من الشرك الأكبر .

وقد تكون من الشرك الأصغر ، كأن يترك المسلم بعض ما يجب عليه تعظيما ومهابة للناس أو يفعل بعض المنكرات من باب التذلل لهم أو يعظم من لا يستحق التعظيم رغبة في دنياه واتباعا لهواه .

الثالثة عشرة : دخول هذه العبادات في شرك الربوبية :

شرك الخضوع والتذلل والتعظيم والتوبة متعلق بالألوهية وقد يدخل في شرك الربوبية ويستلزمه ، ووجه ذلك :

أن هذه عبادات أمر الله بها وأحبها وأثاب فاعلها، فهي متعلقة بأفعال العباد وتألههم، عليه فمن صرفها لغير الله كان مشركاً في ألوهيته لا في ربوبيته من حيث الأصل، ولكن قد يتعلق في قلب المعظم والمتذلل للمخلوق والمقبل عليه الملتجئ إليه أن هذا المخلوق الذي عظمه وخضع له يقدر على كل شيء ويتصرف في الخلق بما يشاء فيقع في الشرك في الربوبية من هذا الوجه، وليس من أجل ذات العبادة، وإنما من أجل اعتقاد الربوبية في المخلوق، ومثل ذلك شرك المحبة وشرك الخوف وشرك الدعاء والرجاء والخشوع وكل عباده هي في أصلها متعلقة بالألوهية وقد تدخل في الشرك في الربوبية من جهة ما يقارنها ويلازمها ويخالطها من اعتقاد الربوبية في المخلوق وليس أن حصول الربوبية في ذاتها ومضمونها، فتأمل هذه القاعدة فهي نافعة في الفرق بين شرك الألوهية وشرك الربوبية .

الرابعة عشرة : آثار هذه العبادات وما تستلزمه :

تقوى الله والخوف منه وخشيته ومهابته .

طاعة الله وترك معصيته.

الإقبال على الله .

محبة الله تعالى والسعي في مرضاته .

مسألة : الذل بدون المحبة لا يعتبر عبادة كذلك المحبة من دون تعظيم وخضوع ليس بعبادة، وهذا من أهم شروط هذه العبادات .

الخامسة عشرة : الطوائف الواقعة في هذا الشرك :

المشركون عموما من القبورية والصوفية والرافضة .

الحاكمون بشرائع الطاغوت المعظمون لشرعه الخاضعون له .

عباد السلاطين والأمراء من الأتباع والأجناد وعباد الدنيا والمبالغون في تعظيم أسيادهم والخضوع لهم والقيام لهم والوقوف بين يديهم والإقبال إليهم .

تنبيه : من العبادات القلبية المتعلقة بهذه العبادات :

الصبر ، والرضا ، واليقين، والشكر.

تنبيه : العبادات المتعلقة بأصل التذلل والطاعة والانقياد :

الانقياد والإذعان والامتثال والالتزام والطاعة والإسلام والاستسلام والتسليم والاتباع والانصياع والتدين والعمل والاستقامة والاستجابة والأخذ بالشيء والمسابقة والمسارعة والتنافس في الخير.

وهي متعلقة بالجوارح مع القلب ،وسيأتي الكلام عنها والشرك المتعلق بها ، إن شاء الله في الناقض الرابع والعاشر .

الصنف السابع : شرك الطاعة والحكم:

وهذا الشرك الأصل أنه متعلق بالألوهية، لأنه قائم بأفعال العباد . ويدخل في الشرك في الربوبية .

ويدخل هذا الصنف في الشرك الاعتقادي القلبي، كما أنه يتعلق بشرك القول، ويتعلق بعمل الجوارح وهو الأصل.

شرك الحكم يشمل :

١ - شرك التشريع والتحليل والتحريم وسن الدين .

٢- شرك الحكم بغير ما أنزل الله .

٣- شرك الطاعة والتحاكم .

وسنفرد الكلام عنه إن شاء الله تعالى في باب مستقل في ناقض الحكم وهو الناقض الرابع من نواقض الإسلام. وسيأتي ذكره في هذه الرسالة.

فائدة : وجه تخصيص هذا الشرك بالذكر :

خصص الإمام محمد بن عبد الوهاب شرك الحكم بالناقض الرابع كما خصص شرك الدعاء بالناقض الثاني .

فتخصيص شرك الدعاء وشرك الحكم مع أنه داخل في عموم الشرك :

١ - لانتشاره في كثير من الناس .

٢ - لكثرة الجهل به ومن يعتقد أنهما ليست من العبادة ولا يدخلهما الشرك .

٣- يزيد شرك الحكم بدخوله في جميع أنواع الشرك .

مسألة : شرك الحكم يدخل في جميع أنواع الشرك :

أولاً: يدخل في شرك الربوبية والأسماء والصفات :لأن الحكم والأمر من أفعال الله الخاصة به . ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ الأنعام: ٦٢. ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ .

ولذلك سمى الله تعالى من حكم وشرع وحل وحرم رباً في قوله ﷻ : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ .

ثانياً: يدخل في شرك الألوهية: لأن الحكم والتحاكم والطاعة هي أفعال العباد وهي من الأعمال التي يحبها الله وداخلة في التذلل والخضوع والتعظيم والانقياد ويجب أن لا تكون إلا لله ، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ﴾ النساء: ٦٠ ، وسما الله الحكم والتحاكم عبادة، قال ﷻ: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ ، وجعل التحاكم لغيره وطاعته شركا، قال تعالى: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١.

وعلى ذلك فمن حكم وشرّع فقد أشرك في الربوبية ومن تحاكم إلى ذلك المشرع وأطاعه واتبعه وانقاد له فقد أشرك في الألوهية .

وبعض العلماء يجعل شرك الحكم بغير ما أنزل الله داخلا في شرك الطاعة ، وهذا ليس على إطلاقه، فشرك الحكم أعم من شرك الطاعة لأنه يكون شركاً في الطاعة والتحاكم وشركاً أيضاً فيما يتعلق بالتشريع والحكم والتحليل والتحريم .

ثالثاً: يدخل في شرك التعطيل:

لأن الحاكم المشرك عطل الله عن العمل بشرعه وحكمه .

رابعا: يدخل في شرك التمثيل:

لأن الحاكم المشرك مثل حكم المخلوق وأمره بحكم الله.

خامسا: كما أن فيه طعن في الله ﷻ وطعن في رسوله ﷺ وطعن في الدين والشريعة . لأجل كل هذا اعتبر الحاكم بغير ما أنزل الله والمتحاكم إليه من الكافرين وليس من المؤمنين بنص القرآن كما في قوله تعالى :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤.

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ النساء: ٦٥ .

﴿ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المائدة: ٤٣ .

القسم الثاني : شرك التقرب والتنسك بالجوارح :

المسألة الأولى : المقصود بعبادات التنسك :

الصلاة والقيام والركوع والسجود والاعتكاف والمجاورة والطواف والتقبيل والتمسح والتبرك والذبح والنذر والتجرد من الملابس وحلق الشعر والصيام .

كل هذه الأمور والأفعال عبادات يحبها الله تعالى ويرضاها وكلها مقربة إليه وفيها صفة التعظيم للرب والخضوع من العبد ولذلك أمر الله بها وأثنى على المتصفين بها وذم من صرفها لغير الله وحكم بكفره وشركه .

معنى النسك : هو التعبد وأكثر ما يطلق على الذبح والحج .

المسألة الثانية : الجامع لهذه العبادات :

الخضوع والتذلل والتعظيم .

الثالثة : كل عبادة أمر الله أن يعبد بها فعلها المشركون مع آلهتهم ومعبوداتهم:

ومن ذلك الاعتكاف والمجاورة والطواف والتجرد من اللباس وحلق الرأس والإحرام والحج للمشاهد والقبور والصدقة والنذر والذبح لمعبوداتهم والقيام لها والركوع والسجود لها، بل وحتى الصيام والإمساك عن المباحات والتبتل وترك الطعام والنكاح كلها تحصل عند المشاهد لأجل المعبودات .

وقد رأينا عباد القبور اليوم يفعلون ذلك كله للغير الله تعالى.

المسألة الرابعة : النهي عن عبادة الله في أماكن الشرك ومظانه:

ومن ذلك جاء النهي عن الذبح في الأماكن التي يذبح فيها لغير الله تعالى، أو مظنة لأن يكون الذبح والعبادة لغيره كالذبح لله عند القبور والصلاة عندها .

يدل لذلك ما جاء عن ثابت بن الضحاك ﷺ ، قال: نذر رجل أن ينحـر إبـلاً ببوانة، فسأله النبي ﷺ فقال: (هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد)؟ قالوا: لا. قال: (فهل كان فيهـا عيـد مـن أعيـادهم)؟ قـالوا: لا. فقـال رسـول الله ﷺ: (أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم) رواه أبو داود.

ومثل ذلك النهي عن الصلاة في المقبرة وإلى القبر، حتى لا يكون ذلك وسـيلة لعبادة القبر والصلاة له، كما نُهي عن الصلاة عند طلوع الـشمس وغروبهـا وزوالهـا حتى لا يتشبه المسلم بعبادها وسدا لذريعة عبادتها .

ومثل ذلك الاجتماع في الأماكن التي يقام فيها الأعياد الوثنية كأعيـاد الـوطن والثورات كالساحات الشعبية .

المسألة الخامسة :

الذبح والنذر والسجود والركوع من الشرك الأكبر ولا تكون من الأصغر .

المسألة السادسة : العبادات الخاصة :

الطواف لا يشرع لغير الكعبة ، والتقبيل لا يشرع لغير الحجر الأسـود، وكـذا استلام الركن اليماني من غير تقبيل، وإلصاق الصدر بالملتزم ولا يتمسح به ولا يشرع التمسح بجدران الكعبة وتقبيلها ولا تقبيـل المـصحف وكـل ذلـك تعبـدا وامتثـالا وليس للتبرك بذوات هذه الأشياء كما أن السجود لله وليس لذات الكعبة .

قال ابن تيمية : (والتمسح بالقبر وتقبيله وتمريغ الخد عليه من أنواع الـشرك) . الفتاوى ٢٧/ ٩١ .

كذلك حلق الرأس والتجرد من الثياب وكشف الرأس لا تشرع لغير الحاج.

وحلق الرأس تنسكاً وقصداً لله ﷻ ولا يجوز لغيره، والمشركون يحلقون رؤوسهم لمعبوداتهم نسكا ويكشفون رؤوسهم قصدا وتعظيما لها وتذللا لها، وهذا شرك أكبر .

قال ابن القيم في المدارج : (ومن أنواع الشرك حلق الرأس والتوبة للشيخ) .

المسألة السابعة : دخولها في الشرك الربوبي :

شرك التنسك بأنواعه متعلق بالألوهية وقد يدخل في شرك الربوبية ويستلزمه:

ووجه ذلك أن هذه عبادات، الله أمر بها وأحبها وأثاب فاعلها، فهي متعلقة بأفعال العباد وتألههم وخضوعهم له، وعليه فمن صرفها لغير الله كان مشركاً في ألوهيته لا في ربوبيته، ولكن قد يتعلق في قلب القائم لغير الله والمنحني والساجد والمعتكف والطائف والذابح للمخلوق والمقبل عليه الملتجئ إليه أن هذا المخلوق الذي عظمه وخضع له وصرف له أحد هذه العبادات أنه يقدر على كل شيء ويتصرف في الخلق بما يشاء فيقع في الشرك في الربوبية من هذا الوجه، وليس من أجل ذات العبادة، وإنما من أجل اعتقاد الربوبية في المخلوق .

ومثل ذلك يقال في بقية أنواع الشرك شرك المحبة والخوف والرجاء والدعاء وغيرها، وكل عبادة هي في أصلها متعلقة بالألوهية وقد تدخل في الشرك في الربوبية من جهة ما يقارنها ويلازمها ويخالطها من اعتقاد الربوبية في المخلوق وليس حصول الربوبية في ذاتها ومضمونها.

المسألة الثامنة : حكم ترك العبادات البدنية بالكلية :

من ترك العبادات بالكلية بحيث لا يقوم بأي عبادة بدنية مطلقا فهذا كافر خارج من ملة الإسلام التي تقوم على الاستسلام والانقياد والتذلل لله تعالى .

قال ابن القيم في الصلاة : (من أمحل المحال أن يقوم بقلب العبد إيمان جازم لا يتقاضاه فعل طاعة ولا ترك معصية).

وقال فيه : (إذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح). إلى آخر كلامه .

قال ابن تيمية في الإيمان الأوسط عن المرجئة : (أخطؤوا أيضاً لامتناع قيام الإيمان بالقلب من غير حركة بدن) .

وقال أيضا في الإيمان : (لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح).

وقال في شرح العمدة :(فإذا خلا العبد عن العمل بالكلية لم يكن مؤمناً) .

المسألة التاسعة : ارتباطها بالعبادات القلبية :

العبادات البدنية لها علاقة وثيقة بأعمال القلوب وعباداته من المحبة والخضوع والتعظيم والخشية والرهبة والرغبة والرجاء وغيرها .

المسألة العاشرة : أصناف هذه العبادات وأدلتها:

العبادة الأولى : السجود والركوع والانحناء:

الأدلة عليها: قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ الحج: ١٨.

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ الرعد: ١٥ .

فأخبر ﷻ عن سجود كل المخلوقات له وتسبيحها له وإن كنا لا نفقه كيفيته .

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ١١٢.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ ﴾ الحج ٧٧.

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ البقرة: ٤٣.

﴿ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ﴾ فصلت: ٣٧.

﴿ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ النمل: ٢٤ .

فأمر تعالى بتوحيده بالسجود فلا يسجد إلا لله تعالى .

وقال ﷺ : " أمرت أن أسجد على سبعة أعظم " .

وقال ﷺ " لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله " رواه الترمذي وأحمد .

وقال ﷺ : " لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر .. وفي رواية لأحد ولو صلح لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها " رواه أحمد .

وعن أنس ﷺ قال رجل: يا رسول الله الرجل يلقى أخاه أو صديقه أينحني له قال: " لا " رواه الترمذي.

قال ابن القيم :(ومن أنواع الشرك سجود المريد للشيخ، فإنه شرك من الساجد والمسجود له، والعجب أنهم يقولون ليس هذا سجود، وإنما وضع الرأس قدام الشيخ احتراما وتواضعا، فيقال لهؤلاء : ولو سميتموه ما سميتموه فحقيقة السجود وضع الرأس لمن يسجد له، وكذلك السجود للصنم وللشمس وللنجم وللحجر كله وضع الرأس قدامه .

ومن أنواعه ركوع المتعممين بعضهم لبعض عند الملاقاة وهذا سجود في اللغة كقوله ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾ البقرة: ٥٨) المدارج ١/ ٣٤٤ .

تنبيه : نوع الشرك في السجود للمخلوق : هو شرك من الساجد شرك في الألوهية، وشرك من المسجود له شرك في الربوبية إذا رضي بالسجود له.

قال أبو علي عفا الله عنه : ومن الصور المعاصرة في هذا الشرك :

ما يفعله من يخرج للقاء الجمهور في المسارح والتماثيل فينحني لهم، وكذا الركوع في بعض الألعاب القتالية، وكذا عند التقابل، أو السلام على المعظمين.

مسألة : نسخ سجود التحية :

كان في شرع من قبلنا جواز سجود التحية من دون تعظيم وعبادة، كما سجد يعقوب عليه السلام وأبناؤه ليوسف عليه السلام وكسجود الملائكة لآدم وقد نسخ ذلك وصار السجود لله تعالى ولا يسجد لغيره ألبتة .

العبادة الثانية : القيام :

الأدلة عليه :

قال ﷻ: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ البقرة: ٢٣٨.

وقال ﷺ : " صل قائماً " رواه البخاري .

وقال ﷺ :" من أحب أن يتمثل له الناس وقوفاً بين يديه فليتبوأ مقعده من النار " رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

وقال أنس ﷺ : " لم يكن شخص أحب إليهم من النبي ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك " رواه أبو داوود .

مسألة : القيام الجائز للمخلوق :

يجوز أن يقام للمسافر إذا قدم من سفر وكذا المسلم المصافح الواقف إذا أراد مصافحة الجالس إذا لم يقارنه تعظيم وخضوع له، ويدل لذلك .

حديث " قوموا لسيدكم" يعني به سعد بن معاذ ، رواه البخاري.

وكقيام الرسول ﷺ لابنته فاطمة إذا دخلت عليه . رواه الترمذي وأبو داوود .

العبادة الثالثة : الاعتكاف والمجاورة:

تعريفه :

هو في اللغة: اللزوم والإقامة .

واصطلاحا: لزوم موضع معين أو المجاورة عنده بقصد التقرب إلى الله .

وهي عبادة لا تصح في غير المساجد .

حالاته :

الأولى : من اعتكف عند قبر أو بقعة معينة طالبا البركة والنفع أو ثواب الله كان مبتدعا واقعا في الشرك الأصغر .

الثانية : أما إن قصد المعتكف عند القبر التقرب لنفس الميت بهذا الاعتكاف والمجاورة لينال من خيره وبركته وشفاعته عند الله فإن هذا شرك أكبر والعياذ بالله .

الأدلة عليه :

فقال تعالى في عبادة الاعتكاف :

﴿ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ البقرة: ١٨٧ ﴿ طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ البقرة: ١٢٥.

وقال تعالى في شرك الاعتكاف : ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ الأنبياء: ٥٢ ﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ ﴾ طه: ٩١ ﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ الشعراء: ٧١ ﴿ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ الأعراف: ١٣٨.

وقال ﷺ : (لا تتخذوا قبري عيدا) رواه أحمد وأبو داود .

وقال ﷺ : (لعنة الله على اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) متفق عليه.

العبادة الرابعة : الطواف:

تعريفه وحقيقته وخاصيته: هو عبادة أمر الله بها لا تفعل إلا عند الكعبة ومن طاف بغير الكعبة قاصدا للتعبد والطاعة فهو كافر مشرك .

الأدلة عليه :

قال تعالى : ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ البقرة: ١٢٥.

﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ الحج: ٢٩ .

قال عمر ﷺ :(والله إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك) رواه البخاري .

وأنكر الزبير بن العوام ﷺ على رجل تمسح بالمقام، وقال: (لم تؤمر بهذا) أخرجه ابن أبي شيبة .

وأنكر ابن عباس على معاوية لما مسح وقبل الركنين الشاميين من الكعبة.

حالات الطواف :

الأولى :الطواف إذا كان بالقبر ويقصد الطائف التقرب إلى الله فهذا حصل فيه الخلاف فقيل بدعة، وهو كمثل من يصلي لله عند القبر، وقد يصل للشرك الأكبر، ويرى ابن تيمية وغيره أنها ردة مطلقا حتى لو قصد الله بالطواف ولم يقصد صاحب القبر وهذا الصحيح، وقد يعلل لذلك: أن الصلاة مشروعة في أصلها في كل مكان أما الطواف فلا يشرع لغير الكعبة .

الثانية : إذا كان يريد بالطواف أنه للميت متقربا به إليه قاصدا له فهذا شرك أكبر ، وهو مثل من يسجد للقبر ويدعوه ويقصده ويرجوه ويرغب إليه .

أقوال أهل العلم فيه :

قال ابن تيمية: (من اتخذ الصخرة قبلة يصلي إليها فهو كافر مرتد يستتاب فإن تاب وإلا قتل – مع أنها كانت قبلة لكن نسخ ذلك – **فكيف بمن يتخذها مكانا يطاف به كما يطاف بالكعبة** ... وكذلك من قصد أن يسوق غنما وبقرا ليذبحها هناك ويعتقد أن الأضحية فيها أفضل وأن يحلق فيها شعره في العيد أو أن يسافر إليها

ليتعرف بها عشية عرفة فهذه الأمور التي يُشبه بها الكعبة بيت المقدس في الوقوف والطواف والذبح والحلق من البدع والضلالات ... **ومن فعل شيئا من ذلك معتقدا أن هذا قربة إلى الله فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل**).

الرسائل الكبرى ٢/ ٦١. الفتاوى ١٧/ ٤٨٢ و ٢٧/ ٧٩ و ٢٦/ ٩٢،،١٢١.

قال ابن القيم :" كل حديث في الصخرة فهو كذاب مفترى ... وأرفع شيء في الصخرة أنها كانت قبلة لليهود وهي في المكان كيوم السبت في الزمان أبدل الله بها هذه الأمة المحمدية الكعبة البيت الحرام " المنار المنيف ٨٨ .

قال ابن باز: (وأما الطواف بقبر النبي ﷺ فهذا لا يجوز، وإذا طاف بقصد التقرب إليه فهذا شرك بالله ﷻ،فالطواف عبادة لحول الكعبة لا تصلح إلا لله وحده، فمن طاف بقبر النبي ﷺ أو قبر غيره يتقرب إليهم بالطواف صار مشركا بالله، وإن ظن أنه طاعة لله وفعله من أجله يتقرب به إليه صار بدعة) فتاوى الحج ١٨٢.

العبادة الخامسة : الحج :

الحج قصد البيت ، ويقوم على الإحرام والامتناع عن بعض الأعمال وهي المحذورات ، وعلى التجرد من اللباس وكشف الرأس وحلق الشعر والطواف والسعي والنحر والحلق والمبيت والوقوف والإقامة بالمشاعر في أيام معدودة.

وهو مشروع في أوقات معينة وأماكن مخصصة .

قــال تعــالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ آل عمـران: ٩٧ ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ البقـــــرة: ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ ١٩٦ ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ البقرة: ١٩٨ .

وقد صرفه المشركون القبورية للقبور وسموها المشاهد وجعلوا لها حجا .

قال ابن القيم : (وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجا ووضعوا لها مناسك، حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابا سماه مناسك حج المشاهد، مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عباد الأصنام) إغاثة اللهفان ١/ ١٧١ .

العبادة السادسة: الصيام :

عبادة الصيام : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ البقرة: ١٨٣ .

والمشركون يصرفونه لمعبوداتهم ، فيصومون لها وقد ظن البعض أن الصيام لا يمارسه المشركون ولا يتصور وقوعه إلا لله ، **والحق أن كل عبادة أمر الله أن يعبد بها قد فعلها المشركون مع آلهتهم ومعبوداتهم** ، ومن ذلك الحج والطواف واللباس والحلق والاعتكاف والصيام والإمساك والتبتل وترك الطعام والنكاح كلها تحصل عند المشاهد لأجل المعبودات ، وقد رأينا عباد القبور اليوم يفعلون ذلك كله .

قال ابن تيمية:(يدعو الشمس كما يدعو الله ويصوم لها وينسك لها ويتقرب إليها) درء التعارض ١/ ٢٢٧ .

قال ابن القيم في المدارج : (ومن أنواع الشرك حلق الرأس والتوبة للشيخ) .

العبادة السابعة: الذبح:

م (١) : **تعريفه** : هو إسالة الدم .

م (٢) : **الذبح عبادة فيها ضوابط العبادة :**

الذبح أمر الله به وأحبه ورضيه.

وهذا ضابط العبادة فهي : كل ما أمر الله به وأحبه.

والله ﷻ يحب أن يذبح له من البهائم والكفار وهو من خير العبادات .

م (٣) : **وجود حقيقة العبودية في الذبح :**

تقوم عبادة الذبح على الذل والتعظيم لمن ذبح له كما أن المقصود منها الاستعانة والإرادة والقصد ممن يذبح له . وهذه الحقائق توجد في الذبح وهي روح العبادة ولهذا كان الذبح من أعظم العبادات وأحبها لله.

والذبح للجن سببه رجاء تحقيق مطلوب أو الخوف منهم ودفع شرهم .

فجمع الذابح بين عبادة الذبح والخوف والرجاء وغيرها.

م (٤) : **شرك الذبح** : هو إسالة الدم لغير الله .

تنبيه : لا يشترط في المذبوح أن يكون مأكول اللحم.

م (٥) : **الأدلة عليه :**

الأدلة قسمان:أدلة على العبادة عموما والذبح منها ، وأدلة خاصة بهذه العبادة:

١ – قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢ .

والنسك هو الذبح .

٢- قال تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ الكوثر: ٢.

٣- قال تعالى في شرك الذبح :﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ المائدة: ٣.

٤- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ الأنعام: ١٢١.

٥- عن علي ﷺ قال :قال النبي ﷺ :(لعن الله من ذبح لغير الله) رواه مسلم .

٦- عن طارق بن شهاب: أن النبي ﷺ قال : (دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب) قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: (مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما قرب قال: ليس عندي شيء أقرب قالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله ﷻ، فضربوا عنقه فدخل الجنة) رواه أحمد.

م (٦) : عبودية ذبح البشر :

من أفضل العبادات عند الله قتل الكفار تقربا إلى الله ﷻ وجهادا في سبيله، بل إنه يؤجر في ذلك القاتل ومن صنع السلاح للقاتل ومن باعه .

قال الجبار ﷻ في عبودية ذبح البشر وكونه شرعها وأمرنا بها في حق الكفار :

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ التوبة: ٥.

﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الأنفال: ٦٧.

وأمر به قوم موسى: ﴿ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ البقرة: ٥٤.

كما أمر الله به إبراهيم: ﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ الصافات: ١٠٢.

وقال النبي ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله) متفق عليه .

م (٧) : أقسام الذبح :

١ – ذبح العبادة لله تعالى: كالأضاحي والصدقة وقتل الكفار المحاربين.

٢ – ذبح العادة: وهو الذبح الذي يكون للحم أو الولائم أو إكرام الضيف .

٣– الذبح الشركي: ماكان لغير الله كالذبح للأوثان والقبر والجن والمعظمين.

م (٨) : أنواع الذبح لغير الله :

١ – أن يذكر غير اسم الله عليه فيقول مثلا: باسم الجن .

٢ – أن يقصد بالذبيحة غير الله ولو ذكر اسم الله عليها .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ المائدة: ٣. يشمل النوعين جميعا.

م (٩) : لا يجوز الأكل من الذبائح التي تذبح لغير الله تعالى وتعد أخبث من الميتة ، فيحرم الأكل منها كما أمر الله ﷻ بقوله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ الأنعام: ١٢١ ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ المائدة: ٣ .

ولا يعتبر الآكل منها كافرا أو مشركا لكن يعتبر عاصيا ولا يكفر إلا إذا استحل الأكل وقامت عليه الحجة .

تنبيه: الأطعمة التي عند الأضرحة والأوثان ونذرت للقبور غير الذبائح، مثل العسل والسمن لا تأخذ حكم الذبائح فيجوز أكلها ويغنمها المسلم ويتصدق بها.

م (١٠) : الذبح لغير الله لا يكون إلا من الشرك الأكبر ولا يكون أصغر :

وقد أخطأ الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في شرحه التيسير على كتاب التوحيد حين جعل بعض صور الذبح من الشرك الأصغر.

العبادة الثامنة : النذر :

م (١) : **تعريفه** : هو الإيجاب والإلزام، وهو أن يوجب العبد على نفسه أمرا من العبادة المستحبة لله بقوله: لله علي أن أذبح أو أتصدق أو أزور فلان .

م (٢) : **النذر عبادة فيها ضوابط العبادة :**

أمر الله به وأحبه ورضيه.

وهذا ضابط العبادة فهي : كل ما أمر الله به وأحبه.

م (٣) : **وجود حقيقة العبودية في النذر :**

تقوم عبادة النذر على الذل والتعظيم لمن نذر له كما أن المقصود منها الاستعانة والإرادة والقصد ممن يذبح له . وهذه الحقائق توجد في النذر وهي روح العبادة .

م (٤) : **شرك النذر** : هو النذر لغير الله .

م (٥) : **الأدلة عليه :**

الأدلة قسمان:أدلة على العبادة عموما والذبح منها ، وأدلة خاصة بهذه العبادة:

قال تعالى في عبودية النذر خاصة والوفاء به:

١ - ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ البقرة: ٢٧٠ .

٢ - ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ الإنسان: ٧ .

٣- ﴿ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ ﴾ الحج: ٢٩.

٤- قال النبي ﷺ : (من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه) رواه البخاري ومسلم.

م (٦) : **شروط النذر**: أن يكون النذر في عبادة مشروعة وإلا كان بدعة .

م (٧) :**حكم النذر** :

النذر لا يستحب ابتداءً ، ويجب الوفاء به ، ويكره ما كان من باب المجازاة والمعاوضة .

م (٨): **أقسام النذر** :

١- نذر الطاعة لله تعالى والنذر المباح سواء كان معلقا أو مطلقا .

٢- نذر المعصية وهذا لا يجوز الوفاء به وفيه الكفارة .

٣- النذر الشركي وهو أن ينذر لمخلوق ، كيقول للولي علي نذر إن صار كذا.

م (٩): **مما يدخل في النذر الصدقة له وأن يتقرب إليه بالمال** .

ويوجد من يتصدق للميت ويتقرب إليه .

ومن البدع المحرمة والوسائل المفضية للشرك توزيع الصدقات عند القبور بل ووضع صناديق لذلك عندها وجعل الأوقاف لها وكل ذلك محرم .

م (١٠) : **النذر لغير الله لا يكون إلا من الشرك الأكبر ولا يكون أصغر** :

وقد أخطأ الشيخ سليمان بن حمدان رحمه الله في شرحه الدر النضيد على كتاب التوحيد حين جعل النذر من الشرك الأصغر مثل الحلف .

وغاب عنه سر الفرق بينهما الذي هو التعظيم والتذلل المقارن للنـذر واعتقـاد القدرة على جلب النفع ودفع الضر وهذا بخلاف الحلـف ، ولـو قـارن الحلـف مـن التعظيم مثلما يقارن النذر عادة لصار الحلف بهذه الصورة شركا أكبر .

م (١١): الفرق بين الحلف والنذر وسر كون النذر من الشرك الأكبر :

١ – أن الناذر لم ينذر لغير الله إلا لاعتقاده في المنذور له أنه يضر وينفع ويعطـي ويمنع إما بطبعه أو بقـوة سـببه فيـه ويجلـب الخـير ويـدفع الـشر ولـذلك ينـذرون لمعبوداتهم وقت الشدائد . توضيح الخلاق ٣٨٢.

٢ – أن النذر يقارن التعظيم والتذلل للمنذور له ، بخلاف الحلف فقد يقارنـه هذه العقيدة فيكون الحلف شركا أكبر كالنذر ، وقد لا يقارنه وهـو الغالـب فيكـون شركاً أصغر من باب شرك الألفاظ .

م (١٣): إن من المصائب وجود علماء السوء المجوزين للشرك، ومن ذلك مـا طلع به علينا مفتي مصر علي جمعة في تجويزه النذر للمخلوق والأموات، وزعمـه أن المقصود من النذر للميت جعل الثواب له وأن ذلك من باب الصدقة للميـت، وقـد خالف بفتواه الفاسدة الباطلة هذه إجماع العلماء. ولكن هذا يؤكد أن دعاة الـشرك لا يزالون يقاتلون في سبيل الطاغوت ويتفانون في شركهم .

م (١٢) : أقوال أهل العلم فيه :

قال ابن تيمية : (وأما النـذر للمـوتى مـن الأنبيـاء والمـشايخ أو لقبـورهم أو المقيمين عند قبورهم فهو نذر شرك ومعصية) الفتاوى ١١/ ٥٠٤. وقال : (وإذا كان الحالف بغير الله قد أشرك فكيف بالناذر لغير الله والنذر أعظم من الحلـف) ، (اتفـق

العلماء على أنه لا يجوز لأحد أن ينذر لغير الله لا لنبي ولا لغيره وأن هذا شرك لا يوفى به) الفتاوى ١/ ٨١- ٢٨٦ ، (فمن نذر لغير الله فهو مشرك كمن صام لغير الله وسجد لغير الله ومن حج إلى قبر من القبور فهو مشرك) منهاج السنة ٢/ ٤٤٠.

قال الصنعاني: (النذر بالمال على الميت ونحوه والنحر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثنا وصنما وفعله القبوريون لما يسمونه وليا وقبرا ومشهدا والأسماء لا أثر لها) تطهير الاعتقاد ١٩.

وأفتى علماء الحنفية بكفر أصحاب النذور الشركية .

قال قاسم بن قطلوبغا وتبعه ابن نجيم في البحر الرائق والرملي في الفتاوى الخيرية وعمر بن نجيم في النهر الفائض والحصكفي في الدر المختار وابن عابدين في رد المحتار وغيرهم: «وأما النذر الذي ينذره أكثر العوام، فيأتي في بعض قبور الصالحين ويقول يا سيدي فلان إن قضيت حاجتي أو عوفي مريضي فلك من الذهب كذا .. فهذا النذر باطل لوجوه: منها أنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون للمخلوق. ومنها إن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى واعتقاده ذلك كفر».

وزاد الحصكفي في درء المختار: «وقد ابتلي الناس بذلك ولا سيما في هذه الأعصار».قال ابن عابدين: «ولا سيما في مولد السيد أحمد البدوي».

قال صديق خان :" هذه النذور الواقعة من عباد القبور تقربا بها إليهم ليقضوا لهم حوائجهم أو ليشفعوا لهم شرك في العبادة بلا ريب " الدين الخالص ٢/ ٢٦١.

قال العجلي :(النذر عبادة فإذا صرفت العبادة لغير الله كان شركا) .

تحقيق التجريد ١/ ١٦٨ .

مبحث : عبادات أخرى حصل الشرك فيها:

١ – **الإمساك** عن بعض الأفعال والمباحات تعبدا .

٢ – والتبتل وترك الطعام والنكاح توجها وقصدا للمعبودات الشركية .

٣– عبادة الصدقة : ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ الرعد: ٢٢.

تكون لله ويفعلها المشركون مع آلهتهم فيتصدقون لها ويتقربون بالصدقة لها .

٤ – عبادة التبرك بما شرعه الله :

قال تعالى: ﴿ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ فصلت: ٤٤ .

والتبرك يكون بما شرعه الله ويفعلها المشركون مع آلهتهم فيتبركون بها .

٥ – عبادة الجهاد والقتال والهجرة والأمر بالمعروف والدعوة:

قال تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ ﴾ الحج: ٧٨ ﴿ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ ﴾ الأنفال: ٧٥.

﴿ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الحج: ٤١ ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ النحل: ١٢٥
﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ العصر: ٣.

والجهاد عبادة لله، بينما يصرفها المشركون لغيره، فنراهم يقاتلون في سبيل آلهتهم، ويأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ويتواصون بالكفر ويدعون إلى سبيل الشيطان .

كما أخبر تعالى عنهم بذلك في مثل قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ النساء: ٧٦

﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُ ﴾ الأنعام: ٢٦

﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡ ﴾ التوبة: ٦٧

﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴾ ص: ٦

﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَا ﴾ الفرقان: ٤٢

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾ فصلت: ٢٦

وغيرها من الآيات الدالة على صرف العبادة لغير الله .

٦- الإحسان والعدل وصلة الرحم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ النحل: ٩٠ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ الرعد: ٢١.

٧- عبادة الصبر :

م (١) : تعريف الصبر :

الصبر هو الكف والحبس ، أي حبس النفس عن الجزع .

سمى الله الصبر إيمانا كما في آية باب الصبر على المصيبة، كما فسره علقمة.

م (٢) : وجه دخولها في التوحيد :

الصبر عبادة يحبها الله وأمر بها ، والصبر يكون على دين الله والرضا به وفعل أوامره وترك نواهيه ، والصبر على أقدار الله وعدم الجزع منها والتسخط عليها .

ويدخل الصبر في الإيمان بالقضاء والقدر.

م (٣) : أنواع الصبر :

١- الصبر على الشرع بامتثاله والرضا به :

ويكون على فعل الطاعات والأوامر وترك المحرمات والنواهي .

٢- الصبر على القضاء ، وعدم الجزع منه والتسخط عليه .

م (٤) : دليل الصبر:

قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ الأنفال: ٤٦ .

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ التغابن: ١١ .

م (٥) : يكون الصبر لغير الله فيقع فيه الشرك:

قال تعالى عن الكفار: ﴿ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ﴾ ص: ٦ .

﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ الفرقان: ٤٢ .

م (٦) : آلات الصبر وضده الجزع: يكون بالقلب واللسان والأفعال .

م (٧) : مراتب الصبر على الأقدار :

الإيمان بها ، الصبر عليها ، الرضا بها ، الشكر عليها .

م (٨) : درجات التعامل مع القدر إذا كانت مصيبة :

الإيمان بأنها من عند الله وهذا ركن واجب.

ثم الصبر وعدم الجزع وهذا واجب .

ثم يأتي الرضا، واختلف العلماء فيه والصحيح أنه مستحب .

ثم الشكر وهذا مستحب وهو الكمال .

م (٩) : الفرح والحزن لا علاقة لهما بالتعامل مع القدر :

فالحزن على المصيبة يجوز إذا لم يقارنه سخط كحزن النبي ﷺ لفراق إبراهيم.

م (١٠) : علاقة المسألة بالصبر والرضا على الشر :

وهل في قدر الله شر، والتفريق بين القدر الذي هو فعل الله والمقـدور المفعـول المخلوق كالمعاصي .

م (١١) : **مسوغات الاحتجاج بالقدر:**

١- عند المصائب التي تحل بالإنسان، مثل الأمراض والفقر وغيرها .

٢- الذنب إذا تاب منه الإنسان، فيحتج بالقدر ولا يجوز أن يلام التائب.

والاحتجاج بالقدر ينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته.

ويضر الاحتجاج بالقدر فيه إذا كان على الذنب حال فعله كما فعل المشركون.

٨- عبادة الرضا: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ البينة: ٨.

م (١) : الرضا أكمل من الصبر ، إلا أنه يدخل في الصبر .

م (٢) : دليل عبادة الرضا: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ البينة: ٨.

م (٣) : الرضا يكون بالله وبقدره وبرسوله ودينه.

و الرضا بالقدر يشمل الرضا بالقدر والمقدَّر والمقدور .

والرضا بالقدر ومحبته : متعلق بأفعال الله أما المفعولات ففيه تفصيل .

قال ابن القيم:(فلذاك نرضى بالقضاء ونسخط المقضي حين يكون بالعصيان).

فهذه المسألة تتعلق بفعل العبد من ناحية وبفعل الرب من ناحية أخرى.

٩- عبادة اليقين :﴿ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ السجدة: ٢٤.

١٠- عبادة التصديق: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ القيامة: ٣١.

١١- عبادة الصدق: ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾ الأحزاب: ٨.

١٢- عبادة المراقبة والإحسان والحفظ والإخلاص.

(أن تعبد الله كأنك تراه) رواه مسلم (احفظ الله يحفظك) رواه مسلم .

ومن الشرك فيه ما يقع فيه البعض : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ ﴾ النساء: ١٠٨.

١٣- عبادة الحلم .

١٤- الحياء .

المسألة الحادية عشر : صور الشرك في هذا الصنف :

١- سجود المشركين للأوثان ومن ذلك سجود الرافضة والصوفية للقبور .

٢- ركوع الكفار وانحناء بعضهم لبعض عند التحية والمقابلة .

٣- قيام الناس على رؤوس الجبابرة وهم جلوس تعظيماً لهم وتقديساً .

٤- الوقوف للبرلمان والمحاكم الوضعية في حالة كون الواقف منحنيا أو مطأطأ الرأس تعظيماً وتبجيلا.

٥- الوقوف للموتى .

٦- الوقوف للأعلام والشعارات الوثنية ومن ذلك تحية العلم والسلام الوطني والذي يطلب له الوقوف له من دون حركة وإرسال اليدان ، والنظر للعلم كل ذلك من التعظيم لغير الله والتقديس الشركي المحرم.

٧- الذبح للأوثان والقبور والأولياء .

٨- الذبح للجن خوفاً منهم أو رجاءهم أو ليقضوا المطالب والحوائج .

٩- الذبح عند عتبة البيت قبل نزوله والسكن فيه لاكتفاء شرور الجن .

١٠- ذبح السحرة ومن يذهب إليهم للشياطين .

١١- الذبح عند قدوم المعظم .

١٢- حلق الرأس وكشف الرأس عند القبور تنسكاً وقصداً لغير الله كما تفعله الصوفية والمشركون، فيحلقون رؤوسهم عند زيارة القبر .

كما في منسك عبد القادر الجيلاني . وفيه: (إذا زرت قبره وأنهيت الطواف به ودعاءه وقلت ما قلت من دعاء فاحلق رأسك) .

يشبهونه بالكعبة المشرفة عظمها الله وشرفها والحج إليها، قاتل الله أصحاب هذه البدع والشرك.

١٣- كذا ما يفعله العسكر من حلق الرأس وكشف الرأس داخل في العبادة الشركية .

١٤- زيارة القبر والطواف به وقصده والحج إليه . وقد سموا القبر حجا وجعلوه منسكا وصرحوا بذلك، كما في منسك عبدالقادر الجيلاني .

١٥- ما يفعله من يخرج للقاء الجمهور في المسارح والتماثيل فينحني لهم، وكذا الركوع في بعض الألعاب القتالية، وكذا عند التقابل، أو السلام على المعظمين.

تنبيه : لو سجد المسلم للمخلوق كقبر وشيخ تعظيما لـه أعتـبر بمجـرد ذلـك السجود كافرا مشركا ولا يعذر بجهلـه وتأويلـه ، ومثلـه لـو دعـا الأمـوات وشرع القوانين.

ولو ادعى أن فعله السجود والدعاء ليس بسجود وليس بعبادة .

قال ابن القيم :(ومن أنـواع الـشرك سـجود المريـد للـشيخ، فإنـه شرك مـن الساجد والمسجود له، والعجب أنهم يقولون ليس هذا سجود، وإنما وضـع الـرأس قدام الشيخ احتراما وتواضعا، فيقال لهؤلاء : ولو سـميتموه مـا سـميتموه فحقيقـة السجود وضع الرأس لمن يسجد له، وكذلك الـسجود للـصنم وللـشمس وللـنجم وللحجر كله وضع الرأس قدامه .ومن أنواعه ركوع المتعممين بعضهم لبعض عنـد الملاقاة وهذا سجود) المدارج ١/ ٣٤٤ .

عن قيس بن سعد قال : أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبـان لهـم ، فقلـت رسول الله أحق أن يسجد لـه ، قـال : فأتيـت النبـي ﷺ ، فقلـت : إني أتيـت الحـيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم ، فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك، قال: أرأيـت لو مررت بقبري أكنت تسجد له ؟ قلت: لا ، قال: فلا تفعلوا . رواه أبو داود

مسألة : عدم ثبوت سجود معاذ للنبي ﷺ :

عن معاذ ﷺ أنه لما قدم من الشام سجد للنبي ﷺ قال : ما هـذا يـا معـاذ قـال أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطـارقتهم فـوددت في نفـسي أن نفعـل ذلك بك ، فقال رسول الله ﷺ فلا تفعلوا ، فإني لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) رواه ابن ماجة وغيره .

وحديث سجود معاذ لا يثبت لا سندا ولا متنا ، لأن مداره على القاسم بن عوف الشيباني وهو ضعيف ، ثم إن معاذاً لم يذهب للشام في حياة النبي ﷺ.

كيف ومعاذ رضي الله عنه الذي قال النبي ﷺ عنه أنه أعلم الأمة بالحلال والحرام ، يجهل الشرك الذي هو أعظم المحرمات ، وأن سجود التحية منسوخ في شريعة محمد ﷺ .

وعلى ذلك فمن سجد لمخلوق فهو كافر مشرك بمجرد السجود ولا يعذر بجهله وتأوله أن السجود بقصد التحية .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الأصل في السجود أنه من الشرك ومثله الوقوف والانحناء إذا كان لتعظيم المخلوق والذل له فهذا يعتبر من الشرك في العبادة ، أما إن كان للتحية أو من باب التشبه دون قصد العبادة والتعظيم فلا يعتبر شركا كما يفعله بعض المسلمين في الملاعب والمسرحيات من الممثلين والرياضيين عند مقابلة الجمهور وفي الألعاب القتالية ونحو ذلك ، فيرون عذر فاعل ذلك لجهله وتأويله على ظنهم صحة حديث معاذ، وقال هؤلاء هذا الحديث إن صح فالسجود ليس من باب العبادة وإنما التحية ، كيف ومعاذ رضي الله عنه أعلم الأمة بالحلال والحرام ، ولما كان سجوده خارجا عن الشرك في العبادة ، لم يعتبر فعله شركا كما أن تأويله هذا يعتبر عذرا ومنع من تكفيره ، وبيّن النبي ﷺ أن السجود لا يكون إلا لله.

قلت وعندي أن هذا التوجيه مردود وغير مقبول ولا يلتفت إليه لما تقدم تقريره ، فالسجود لغير الله كفر مطلقا بمجرد فعله وحديث معاذ لا يصح، أما الوقوف والانحناء فقد يقال فيه بالتفريق.

مع أن قولهم هنا في هذه المسألة بهذا الحكم ليس من باب العذر بالجهل في الشرك، وإنما هذا من باب المسائل الخفية التي تحتمل الشرك وغيره ، ويمثلون لهذا الأصل بأمثلة كثيرة. وهي في العمل الواحد الذي قد يكون عبادة أو غيرها فلا بد فيه من الاستفصال عن قصد فاعله قبل الحكم عليه . مثالها :

القيام والانحناء يقصد به التعظيم والذل التي من العبادة ، ويقصد به التحية ومشابهة الكفار دون قصد العبادة.

الدعاء يكون للطلب والقصد وهذا عبادة شركية، ويقصد به الندبة والتوجع.

لبس الصليب بقصد الرضا به ولبسه وفاقا دون قصد لبسه كمن اشترى لباسا فوجد فيه علم الصليب وبقي على لبسه لها.

الطواف يقصد به التقرب للقبر ويقصد به التقرب لله بهذا العمل البدعي .

ومثله الصلاة في المقبرة يقصد به الصلاة للميت أو الصلاة لله لا للقبر مع الظن أن الصلاة فيها فيه مضاعفة للأجر وطلباً للبركة .

ومثله الذبح للمقبور والذبح لله عند القبور .

فالأول في هذه الأعمال يعد شركا أكبر .

وأما الثاني فبدعة وليست بشرك وكفر ، فلا بد من الاستفصال.

ومثل ذلك عندهم التحاكم للقوانين الوضعية والحكم بها كفر مطلقا لا يعذر الجاهل فيها والتصويت والانتخابات في الدستور بقصد إقرار الشريعة بالطريقة الشركية الانتخابية فالعمل شرك وكفر لكن تأوله وظهور الشبهة وخفاء المسألة منع كثير من أهل العلم من تكفير فاعله .

القسم الثالث : شرك الأقوال :

وهو نوعان :

الصنف الأول : الدعاء :

دعاء غير الله بطلب المخلوق أمراً لا يقدر عليه، وسؤاله والاستغاثة به والاستعاذة به وطلب الشفاعة منه والتوسل إليه.

قال النبي ﷺ : (الدعاء هو العبادة) أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد .

وهذا لأهميته سنفرد له باباً مستقلاً ، وهو الناقض الثاني من نواقض الإسلام .

الصنف الثاني :شرك المدح والشكر والثناء والحمد :

المسألة الأولى : حقيقة هذا النوع من الشرك : يقوم على أصلين :

الأول : عدم شكر الله وإنكار نعمه وفضله ويدخل هذا في الكفر .

الثاني : شكر المخلوق ومدحه والثناء عليه ونسبة الإنعام والفضل إليه ويدخل هذا في الشرك .

الثانية: الألفاظ المرادفة في الباب : الثناء والشكر والمدح والحمد والذكر والتسبيح والتقديس والتنزيه والتحية والاستغفار والحلف .

الثالثة : خطورة هذا الشرك وغفلة البعض عنه وإعراضهم عن تبيينه :

هذا الشرك يعرض الكثير عن ذكره ولم أر من أفرده ببيان مع انتشاره وخفائه وتنوعه وكثرته وكون كثير من الناس يقع فيه من غير أن يشعروا.

الرابعة : أدلة هذه العبادة ودخول الشرك فيها:

الأدلة التي أوجبت هذه العبادة كثيرة منها: قال تعالى :

﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ البقرة: ١٥٢

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ طه: ١٣٠

﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ﴾ نوح: ١٠.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الفاتحة: ٢

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الصافات: ١٨٠

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ النور: ٣٦

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ آل عمران: ١٩١

أدلة دخول الشرك في الثناء:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ﴾ البقرة: ١١٤

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ الزمر: ٤٥

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ الصافات: ٣٥

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ النحل: ٨٣

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ الواقعة: ٨٢

﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٢

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦

﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ البقرة: ٢٠٠

﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ النجم: ٣٢ .

قال النبي ﷺ : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم) متفق عليه.

وفي الحديث قوله ﷺ : (قال ربكم: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب) متفق عليه .

وعن أبي سعيد قال: قال النبي ﷺ : (إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره) أخرجه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان.

الخامسة : حكم الشكر والحمد والثناء ودرجاته:

يجب أن نعبد الله بهذا الجنس من العبادة التي هي الحمد والشكر والثناء والمدح والتحية وبقية العبادات التي تعتبر من هذا الباب .

كما يجب الإخلاص فيها بأن يوحد الرب سبحانه بها ويفرد باستحقاقها .

وهذه العبادات كغيرها تقوم على درجتين :

الأولى: مطلق الحمد والشكر وجنسه وهذا ركن وهو من الأصل الذي لا يعتبر العبد مسلما ما لم يأت به ويكفر تاركه.

الثانية : الحمد المطلق وهو من الكمال المستحب الذي يتفاوت الناس فيه .

السادسة : علاقة الشكر ببقية العبادات :

هناك علاقة تربط الشكر والذكر مع كل العبادات وكل منها يدخل في الآخر، فالشكر والذكر والحمد تكون بالقلب والقول والعمل فهي ترادف العبادة فمن عمل طاعة فقد ذكر وشكر بالفعل فتكون هذه أعم من الثناء والحمد باللسان فقط.

كما أن الشكر يقوم غالبا على الخضوع والتعظيم والحب والرجاء والتوكل.

السابعة : حقيقة عبادة الشكر وكيفية تحقيقه :

الشكر مبني على خمس قواعد لا يتحقق إلا بها كما قال ابن القيم :

١- خضوع الشاكر للمشكور .

٢- حبه له .

٣- اعترافه بنعمته .

٤- ثناؤه عليه بها .

٥- ألا يستعملها فيما يكره .

وقال: أصل الشكر الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع والذل والمحبة .

تنبيه : الشكر والتوحيد متلازمان وقد قرن الله تعالى بينهما في مواضع ، وضد ذلك كفران النعم يلازم الشرك ، ولابن تيمية كلام جميل في هذه العلاقة .

راجعها في الفتاوى ٨/ ٣٣ .

الثامنة : لماذا يحمد ربنا تبارك وتعالى ويستحق الشكر وحده ؟

لكماله ولإنعامه وفضله ولجماله سبحانه ولربوبيته وألوهيته . ولكونه المنعم ابتداء من غير استحقاق ومن غير أن يكون للعبد في الإنعام حول أو قوة .

التاسعة : شرك المدح والثناء والشكر والإنعام يدخل في جميع أنواع الشرك :

أولاً : يكون شركا في الربوبية ويكون شركا في الألوهية :

يتعلق بالربوبية ، وذلك إذا نسب الإنعام إلى المخلوق .

ويتعلق بالألوهية إذا شكر الناس وتعلق بهم وذل لهم وعظمهم ورجاهم وتوكل عليهم في حصول النعم .

ثانياً : يكون من الشرك الأصغر ويكون من الشرك الأكبر :

إذا اعتقد أن إيجاد النعم يكون من الخلق استقلالاً ، فهذا من الشرك الأكبر.

إذا نسب النعم إلى الخلق من باب الأسباب ، فهذا من الشرك الأصغر.

ثالثاً : يكون شركا في التعطيل وشركا في التمثيل :

فيدخل في شرك التعطيل، إذا عطل الله من فعل الإنعام وعطله من أن يشكره.

ويدخل في شرك التمثيل، عندما ينسب الإنعام للمخلوق ويشكره عليها.

رابعاً : يكون شركا اعتقاديا وقوليا وعمليا.

فشرك المدح والثناء والإنعام والإنكار يحصل بالقلب واللسان والجوارح .

خامساً : ويكون كفرا وشركا :

يكون كفرا إذا لم يشكر الله وأنكر نعمته وفضله .

ويكون شركا إذا شكر المخلوق ومدحه ونسب الإنعام والفضل إليه .

تنبيه : لا يدخل في هذا الباب قول الرسول ﷺ:(هل تنصرون إلا بضعفائكم).

تنبيه: نسبة النعم للآلهة والأموات والأولياء وزعم أن ذلك من باب الكرامات فإن هذا لا يكون إلا من الشرك الأكبر ويتعلق بالربوبية والألوهية معاً.

تنبيه : قول: لولا فلان لما حصل لنا هذا الخير والفضل، شرك من جهتين :

فيه نسبة الإنعام والخير للخلق ويختلف الحكم بين اعتقاد السببية فيه والتأثير.

كما أن فيه أيضاً الاعتماد والتوكل على غير الله وشكره والثناء عليه.

فائدة جميلة : يحسن أن تنسب النعم والخير إلى الله والشرور إلى أسبابها من باب التأدب مع الله مع اعتقاد أن الله خلقها وقدرها .

وقد أشار الله لهذا الأدب في مثل قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾ ﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴾ .

فائدة : ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾.

المعرفة ضد الجهل وضد الإنكار ، والإنكار يطلق على : إنكار القلب وهو الجهل وعلى إنكار اللسان مع اعتراف القلب وهو الجحود .

وفي قوله : (وأكثرهم الكافرون) يدخل في جميع أنواع الكفر .

قيل في تفسيرها: قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي ، أو لولا فلان لم يكن كذا، أو هذا بشفاعة آلهتنا.

قال ابن القيم عن الأقوال الثلاثة السابقة في شفاء العليل : (لما أضافوا النعمة إلى غير الله ، فقد أنكروا نعمة الله بنسبتها لغيره ، فالذي قال:إنما كان هذا لآبائنا ورثناه، جاحدا لنعمة الله عليه غير معترف بها مع أن الإنعام بالإرث أبلغ ، وأما قول : لولا فلان فيتضمن قطع النعمة إلى من لولاه لم تكن وإضافتها إلى من لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا، وغايتها أن تكون سببا لا يستقل بالإيجاد ومع ذلك جعله سببا من نعم الله . وأما قول بشفاعة الآلهة فيتضمن الشرك مع إضافة النعم ،

والشفاعة بإذنه من نعمه فهو المنعم بها وبقبولها . فمن المنعم في الحقيقة سواه وما بكم من نعمة فمن الله) بتصرف.

قال ابن تيمية في الأدلة على شرك من يضيف إنعامه إلى غيره : وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به ، مستدلا بحديث الاستسقاء بالأنواء ونسبة المطر لها في الصحيحين.

العاشرة : أقسام شرك الثناء والمدح:

الشرك الأكبر : ومن ذلك ذكر المشركين لآلهتهم المعبودة والمطاعة والمتبعة، وتعظيمها وتسبيحها وتنزيهها ونسبة الخير إليها والفضل منها وحمدها ومدحها وطلب استغفارها والغضب على من يتنقصها والغيرة عليها .

الشرك الأصغر : كالمبالغة والتفاني في الثناء على المخلوق وإطرائه ، وحمد الناس على رزق الله .

قال تعالى :﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ النجم: ٣٢ .

قال ﷺ : (إذا لقيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب) رواه مسلم .

وقوله ﷺ لمادح بين يديه : (قطعت عنق صاحبك) رواه أبو داود.

وقوله ﷺ : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم) متفق عليه.

الحادية عشرة : حالات وأقسام مدح المخلوق والثناء عليه :

أولا : المدح الشركي : وضابطه: أن يمدح المخلوق على أفعال الله ونعمه أو إذا قارن المدح التعظيم والخضوع والتذلل المطلق .

ثانيا : المدح والشكر الجائز :

وهو ما كان من قبيل العادة والعرف من دون إطراء أو غلو، وستأتي أدلته .

ثالثا : المدح المحرم :

وهو مدح من لا يستحق المدح ، ومدح الانسان نفسه وبما ليس فيه .

﴿ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ آل عمران: ١٨٨ .

وقال النبي ﷺ : (لا تقولوا للمنافق سيد فإنكم إن قلتم ذلك أغضبتم ربكم) رواه الحاكم.

أو نسبة النعمة إليه والالتفات له والمبالغة، وتقدمت أدلته.

م (١٢) : يجوز نسبة النعمة للخلق من باب الإخبار، وباب كونه سببا للفعل، ومن باب الاعتراف بالفضل لأهله ومدحه من دون مبالغة فيه ونسيان المنعم حقا.

يدل لذلك قوله ﷺ : (من لم يشكر الله لا يشكر الناس) رواه الترمذي.

وقوله ﷺ : (من صنع لكم معروفا فكافئوه) رواه أبو داود.

وقوله ﷺ في أبي طالب:(لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) متفق عليه.

وثناء الله على عباده كما في قوله:﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ ص: ٤٤ .

وقوله ﷺ : (نعم الرجل عبدالله) رواه البخاري.

م (١٣) : أوجه إنكار النعمة وصور كفرانها :الواردة في سورة النعم (النحل):

قال تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾.

١- نسبة الإنعام والفضل لغير الله تعالى.تكذيبا بقوله تعالى :

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ النحل: ٥٣ ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ النحل: ١٨.

٢- شكر الخلق على نعم الله .

مصداقا لحديث: إن من ضعف اليقين أن تحمد الناس على ما رزقك الله .

٣- أن يعتقد العبد أنه مستحق للنعمة وأن له حق فيها . كما أخبر تعالى:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي ﴾ فصلت: ٥٠

٤- عدم القيام بشكر الله باللسان والقلب والجوارح ، أو قلة الشكر.

كما أخبر تعالى: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ سبأ: ١٣ .

٥- استخدام نعم الله تعالى في معاصي الله . كما أخبر تعالى :

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ الواقعة: ٨٢.

٦- احتقار النعم وازدراؤها وإهانتها، ومن ذلك: رمي النعم والطعام في الزبل، والصيد بغير قصد الأكل، وهذه انتشرت في زماننا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال النبي ﷺ : (انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) رواه مسلم .

تنبيه : أكثر الناس في نعم الله في طرفي نقيض :

منهم من أنكر نعم الله وجحدها وأظهر الفقر وبخل بالمال فتراه دائم الشكاية عديم الشكر والاعتراف لله بالجميل بحجة التواضع أو خوف العين والحسد أو خوف أن يطلبه الناس العون ، ومنهم من يبذخ ويبطر ويسرف ويدعي أن هذا من الاعتراف بالنعمة والتحدث بها .

وقد ذم الله الحالين في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ .

الرابعة عشرة : آلات الشكر والمدح والثناء وضد ذلك من الكفران :

١ - يكون بالقلب : وذلك باعتقاد أن الله هو الموجد للنعم والخالق والمتفضل والاعتراف له بالفضل ، وعدم اعتقاد استحقاق النعم أو أن المنعم أحد من الخلق.

٢ - يكون بالقول : بالثناء على الله وشكره باللسان وعدم نسبتها لغيره.

٣- يكون بالعمل: وذلك باستخدامها فيما يرضيه وعد الاستعانة بها على المعاصي، واستعمال الجوارح في طاعة الله فالعبادات البدنية كلها داخلة في الثناء.

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ الضحى: ١١﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾ سبأ: ١٣.

الخامسة عشرة : الفرق بين الحمد والشكر والمدح والثناء :

١ - الحمد يكون باللسان فقط ويكون مقابل نعمة كالإنعام ويكون في غير مقابلة نعمة كالحمد على الشجاعة وكحمد الرب تعالى على عدم اتخاذ الولد.

الحمد يتضمن الثناء مع العلم بما يثنى به وإن انعدم العلم كان مدحا لا حمدا.

كما أن المدح يكون في الأعمال الظاهرة .

وإن كان الإخبار عن المحاسن مصحوبا بالحب والإجلال والرضا والإرادة فحمد وإن تجرد عن المحبة ولم تقارنه هذه الحالة فمدح.

كما أن الحمد إذا عرف بأل كان خاصا بالله لا يطلق على غيره تعالى إما ملكا أو استحقاقا والرب تعالى يمدح عباده الصالحين ويثني عليهم ولا يحمدهم لأن الحمد ليس إلا لمن علم بمحاسنه وكماله وهذا معدوم في غيره تعالى.

٢ - الشكر يكون باللسان والعمل ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾ سبأ: ١٣.

ولا يكون إلا في مقابل نعمة ، وأيضاً ما للعبد فيه اختيار كالكرم .

٣- المدح يكون فيما يقابل نعمة وفيما ليس كذلك ، وفيما للعبد فيه اختيار وما ليس كذلك كالجمال ، ويكون باللسان فقط .

٤- الثناء أعم من ذلك كله فيشمل كل ما سبق إضافة على أنه يكون الثناء بالشر كما يكون الثناء بالخير ومنه حديث : (فمرت جنازة فأثنوا عليها شرا) رواه البخاري ، والثناء أخص من حيث يطلق على تكرار المحامد .

وإذا كان الإخبار عن المحاسن المتعلقة بأوصاف العظمة والجلال فالمجد وإن كانت أوصاف جمال وإحسان فحمد .

وهذا بين من حديث الفاتحة وقول ربنا تقدس وتعالى حمدني عبدي ومجدني وأثنى علي .

مستقى الفروق من كلام الإمام ابن القيم في البدائع ٢/ ٩٥ وغيره.

فائدة : التحيات لله عز وجل :

وهذه خاصة به فلا تصرف لغير الله يدل لذلك حديث التشهد:(التحيات لله) ، وأما ما يقال ويجري على بعض الألسنة وهو لا يجوز كقولهم لبعضهم: لك خالص شكري أو لكم خالص تحياتي، ونحو ذلك مما يسمع كثيراً.

فائدة : الحلف له تعلق بالحمد والثناء .

السادسة عشرة : السب والذم ضد المدح يكون عبادة :

سب الكفار والمشركين وذمهم وإهانتهم وعيب آلهتهم، من أعظم العبادات ، كما أمر الله تعالى في قوله : ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ التوبة: ٢٩

﴿ وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ النمل: ٣٧

﴿ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ﴾ التوبة: ١٢٠

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح: ٢٩ .

وكل هذا يدخل ضمن البراءة من الكفار ومعاداتهم والكفر بالطاغوت، وهذه هي ملة إبراهيم .

وأما النهي عن سب آلهة المشركين فهذه حالة مخصوصة وليست عامة، والكلام عن ذلك مبين في شرح الناقض الثالث من شرح النواقض.

السابعة عشرة : صور الشرك في ذلك وأمثلة :

- يكثر ذلك في المشركين من الصوفية والرافضة في تقديس أوليائهم وتنزيههم ورفعهم عن مرتبة المخلوق إلى درجة الخالق .

- نسبة الإنعام للخلق وشكرهم على رزق الله.

- مدح الله تعالى بالطرق الصوفية والأذكار البدعية كقولهم (هو هو) .

- مدح العظماء والرؤساء وإطرائهم والإكثار من ذكرهم وافتتاح المحافل بذكرهم وحمدهم والثناء عليهم والمبالغة في مدحهم .

بل إن مما ابتدع في زماننا هذا ما يسمى بافتتاح المساجد إذا انتهوا من تشييدها، ثم الأدهى من ذلك مرارة وأعجب نكارة ترك ما بنيت لأجله من إقامة ذكر الله وتمجيده فيها، إلى إحلال الشرك بتمجيد غير الله فيها ، فالمساجد التي قال ربنا ﷻ عنها ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ النور: ٣٦ - ٣٧ ، إذ بنا نراها اليوم يذكر فيها غير اسمه

تعالى، وذلك بالثناء المزري والمفرط من أشباه الرجال في مدح بانيها أو مدح أسيادهم وأربابهم، وكأن هؤلاء يريدون أن يعبدوا من دون الله ويكونوا آلهة معه حين طلبوا المدح والتعظيم والرياء، وكم نسمع من هؤلاء الذين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وألسنتهم تلهج بالثناء الكاذب لفلان بن فلان وآل فلان، ومن التسبيح بحمد المخلوقين وإرجاع الفضل لهم .

والأخبث من ذلك أن تتخذ المساجد منارا لحرب دين الله والسعي في تبديله والصد عن سبيله والكذب عليه وإطفاء نوره وحرب الجهاد وأهله ، وليعلم هؤلاء أنهم متوعدون بأشد العقوبة كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ البقرة: ١١٤ .

ألا فليتأمل هؤلاء وأتباعهم من الجهال هذه الآية: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ التوبة: ١٩ وليعلم هؤلاء أنها نزلت في أمثالهم .

فهل يظن هؤلاء أن المقصود بالآية أن يمنع من ذكر الله أن لا يقال فيها المحاضرات والندوات إنما المقصود أنه لا يقال فيها الكفر بالطاغوت ومعاداة الكفار ونصرة الجهاد .

أو ليس كفار العرب كانوا يقولون بتوحيد الربوبية إذا سألوا عمن خلقهم ويصلون لله في المسجد الحرام .

نعوذ بالله من الضلال ونسأله الهداية وتحقيق التوحيد ، والحمد لله على ما أخذ والحمد لله على ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى.

انتهى الكلام عن أنواع الشرك وهنالك أيضاً أعمال وعبادات شركية تتعلق بالأعمال من قبيل الأسباب الشركية **التطير والتشاؤم، الرقى، التبرك، تعليق التمائم التوسل، التنجيم والاستسقاء بالأنواء الأسباب .**

وقد تقدم الكلام عنها في باب الوسائل .

الصور المعاصرة في الشرك:

يظن كثير من أبناء عصرنا في هذا الزمان أن الشرك طويت صفحاته وانتهى وجوده وخفي ذكره، وهذا القول ليس سببه إلا الشرك نفسه والجهل بحقيقته، حيث أصبح كثير من الدعاة للإسلام لا يعرفون ما هو الإسلام وما الذي ينقضه وما هو الشرك، وما ذكرناه في هذا الباب من ألوان الشرك عند المسلمين ليدلل على أن الشرك ضرب بأطنابه بلاد المسلمين وحل في ساحات قلوبهم وقر في قرارهم، بل وابتدعوا أصنافا وأنواعا من الشرك الذي لم تعهده الأمم المشركة التي بعثت فيها رسل الله ، وإليك بعض هذه الصورة الحديثة والشركيات المعاصرة :

١ – شرك غلاة الصوفية الذين يزعمون أن الأولياء يقدرون على كل شيء ويعلمون كل شيء فيتصرفون في الكون ويدبرون الخلق ويعلمون الغيب وقدمنا كلامهم وشركهم الأعظم في الربوبية ،حتى ابتدعوا الأوتاد والأقطاب والغوث وهم رجال صالحون وكّلهم الله بالتصرف في خلقه وخزائنه .

٢– شرك القبورية بدعاء الأموات والاستغاثة بهم وطلب الشفاعة من الرسول ﷺ ، ويكفيك ان تعلم أن قبر البدوي في مصر يطوف به سنويا أكثر من أربعة ملايين. كما يقوم هؤلاء بالذبح للقبور وسؤالها والنذر لها والطواف بها.

٣– شرك الحاكمية وتشريع القوانين القائمة على تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل وجحد ما أوجب الله وفرض، وإنشاء المحاكم الوضعية لها والكليات لدراستها والوقوع في التحاكم لها وطاعة أربابها فحصل فيها شرك الحكم وشرك التشريع والدين والتحليل والتحريم وشرك التحاكم وشرك الطاعة .

٤- التحاكم إلى قوانين المحكمة الدولية وإقرارها واستباحة الشريعة الدولية .

٥- التحاكم إلى العادات القبلية والسلوم والأعراف .

٦- شرك الشيوعية وإنكار الرب ﷻ .

٧- شرك الفلاسفة والطبيعة القائلون بقدم العالم وأن الدنيا ليس لها بداية، ويوجد هذا الشرك عند كثير من الجيولوجيين الذين يقولون إن الأرض حصل فيها كذا قبل ملايين السنين، وعند الفيزيائيين أصحاب قانون المادة: (أن المادة لا تفنى ولا تبيد ولا تستحدث من العدم) مع العلم أن هذا القانون الإلحادي الكفري يدرس ولا يزال في مدارسنا وجامعاتنا . وكذا شرك التطور والنشوء وأن العالم يرتقي ومن ذلك نظرية دارون القائل أن الإنسان كان أصله قردا .

٨- الشرك العلماني واللبرالي الذي ينكر شريعة الله ويحارب الانقياد للدين ويدعوا للحرية وعدم الانقياد لله وإبعاد الدين عن حياة الناس وشؤونهم السياسية والاقتصادية والدبلوماسية والعالمية .

٩- شرك القومية والوطنية .

١٠- شرك الطوائف المدّعية للنبوة أو المكذبة بها .

١١- شرك الروحية الحديثة وتناسخ الأرواح، وأن الأرواح لها قدرة خارقة وتصرف في المستقبل .

١٢- شرك التعطيل الجهمي وإنكار صفات الله تعالى ، كما هو عند الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة الزيدية .

١٣- الخوف من الجن ودعاءها بالمناذير، واعتقاد أن عندها القدرة المطلقة.

١٤- خوف السر ، بخوف الناس من دون الله في إيقاع أمر لا يقـدر عليـه إلا الله. وكذا التوكل عليهم في الرزق والشفاء والمستقبل .

١٥- شرك السحرة والكهنة والمنجمين، ومـن ذلـك شرك الأبـراج واعـرف حظك الموجود في مجلاتنا وصحفنا .

١٦- علم الأسرار والحروف والاعتقاد فيها وهي شرك وخرافة لا حقيقة له.

١٧- نسبة المطر للكواكب والشتاء، ونـسبة الأحـوال والحـوادث للكواكـب ومحاولة إيجاد مناسبة وعلاقة سببية، وربما قارنه دعوى التأثير أو معرفة الغيـب كـان أشنع شركا.

١٨ – الإنكار العالمي على هدم أصنام بوذا بل وإرسال بعثـة إسـلامية بطلـب اليونسكو لمنع إزالة الشرك وتحريم هدم هذه الأصنام لأنها تراث وآثار يجب رعايتهـا وحمايتها.

١٩- سجود الرافضة والصوفية للقبور .

٢٠- ركوع الكفار وانحناء بعضهم لبعض عند التحية والمقابلة .

٢١- قيام الناس على رؤوس الجبابرة وهم جلوس تعظيماً لهم وتقديساً .

٢٢- الوقوف للبرلمان والمحاكم الوضعية في حالة كون الواقف منحنيا .

٢٣- الوقوف للأعلام والشعارات الوثنية ومن ذلـك تحيـة العلـم والـسلام الوطني والذي يطلب له الوقوف له من دون حركة وإرسال اليدين ، والنظر للعلـم كل ذلك من التعظيم لغير الله والتقديس الشركي المحرم.

٢٤- ما يفعله من يخرج للقاء الجمهور في المسارح والتماثيل فينحني لهم، وكذا الركوع في بعض الألعاب القتالية، وكذا عند التقابل، أو السلام على المعظمين.

٢٥- الذبح لغير الله كالذبح للأوثان والقبور والأولياء ، والذبح للجن خوفاً منهم أو رجاؤهم أو ليقضوا المطالب والحوائج ، والذبح عند عتبة البيت قبل نزوله والسكن فيه لاكتفاء شرور الجن ، وذبح السحرة ومن يذهب إليهم للشياطين.

٢٦- الطواف بالقبور.

٢٧- مدح بناة المساجد والمسئولين وإطراؤهم وتعظيمهم وترك حمد الله والثناء عليه.

٢٨- التشاؤم والاعتقاد في الطيور والحيوانات .

٢٩- التشاؤم بأهل الدين والموحدين والمجاهدين .

٣٠- تعليق التمائم .

٣١- التبرك بالأحجار والتراب والآثار والصالحين وتعليق التمائم لرد العين .

٣٢- التبرك بآثار الصالحين وبجدران الكعبة والمسجد النبوي .

وغير ذلك مما لا يمكن حصره من الصور المعاصرة في الشرك نعوذ بالله منه.

الباب الثامن

شرك الدعاء والوسائط والشفعاء

المسألة الأولى : تعريف الدعاء :

هو النداء والطلب والسؤال.

ويكون الطلب بياء النداء غالباً أو بما يقوم مقامها .

ومصادر الدعاء :

دعا / دَعْو / دعوة / دعوى / دِعَاوة / دِعَاية / داعية .

والدعاء في المصطلح الشرعي: هو التضرع إلى الله والافتقار إليه بطلب تحقيق المطلوب أو دفع المكروه ، بصيغة السؤال أو الخبر .

والمراد بدعاء الله أن يقول الداعي مثلاً : يا الله اغفر لي وعافني ويا رحمن أرحمني ويا رزاق أرزقني فيطلب الله ويسأله حاجته ومراده من أمور الدنيا والآخرة.

والمراد بدعاء غير الله: أن يدعو الداعي المخلوق الميت الغير قادر، كأن يقول : يا محمد اشفع لي ويا عيسى استغفر لنا ويا اللات استنصري لنا واطلبي الله لنا النصر والغفران ويا سيدي الحسين أو البدوي أفعل كذا وكذا .

وبهذا الفعل يكون الداعي مشركاً بالله في الدعاء والعبادة كافرا بالله غير مسلم.

المسألة الثانية: صيغ الدعاء :

الأصل أن الدعاء أسلوب إنشائي من أساليب الطلب، وقد يأتي بأسلوب خبري .

ويأتي الدعاء على عدة صيغ وهي :

١ - صيغة فعل الأمر (إفعل) : وهي عمدة صيغ الدعاء، وقد وردت في نحو مائة وأربعين موضعا في القرآن، ومن أمثلتها: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا ﴾ ص: ٣٥.

٢- صيغة النهي (لا تفعل) : ومن أمثلتها: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا ﴾ الأنبياء: ٨٩.

٣- لام الأمر والفعل المضارع (ليفعل): مثاله:﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ الزخرف: ٧٧.

٤- المصدر النائب عن الفعل ، منها: غفرانك، سلاما، بعدا، ويل، سحقا، تعسا، وجع . ﴿ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ المؤمنون: ٤١ ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ البقرة: ٢٨٥ ﴿ فَتَعْسًا لَّهُمْ ﴾ محمد: ٨ . ومثل ذلك اسم فعل الأمر

٥- صيغة الخبر : ومن أمثلته: ﴿ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ يوسف: ٩٢ ﴿ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ النور: ٩، غفر الله له، لعنة الله عليه، لا مرحبا بكم، أعوذ بالله .

ومنه :دعاء أيوب ، وذلك بالإخبار عن حاله وضعفه.

تعلقات الدعاء :

دعاء الله بالله لله في الله إلى الله﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ ﴾ الأنعام: ٤١

المسألة الثالثة : إطلاقات الدعاء :

تطلق لفظة الدعاء في اللغة وترد على معاني :

١- الطلب والسؤال والنداء ،وهو الأصل ويدخل فيه: التقريب والشفاعة.

٢- العبادة والتوحيد الإيمان : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ الفرقان: ٧٧.

٣- النسب والجعل:﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾ الأحزاب: ٥ ﴿ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ مريم: ٩١.

٤- الحث والحض : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ ﴾ يونس: ٢٥.

٥- الرفعة والمكانة ومن ذلك النفع والاستجابة ﴿ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ ﴾ غافر: ٤٣ .

٦- التداعي والتساقط والدفع : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ الطور: ١٣ ﴿ يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ الماعون: ٢ وحديث (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم).

ومن معانيه أيضاً وإطلاقاته الثناء والتمني والزعم والادعاء الندبة والتوجع.

وكل هذه المعاني فيها المعنى الأساس الذي هو الطلب .

المسألة الرابعة : أسماؤه ومرادفاته :

للدعاء ألفاظ مقاربة لمعناه وصفات ومسميات في اللغة وفي الشرع دالة عليه وداخلة في عموم الدعاء وهي:

اللفظ الأول : العبادة :

العبادة تفسر بالدعاء . والدعاء على قسمين : دعاء مسألة ودعاء عبادة :

دعاء المسألة هو الطلب مثل أن يقول الإنسان : اللهم اغفر لي وارزقني .

ودعاء العبادة ، وذلك أن كل عبادة دعاء وفي الحديث :" الدعاء هو العبادة " رواه احمد والترمذي والحاكم وغيرهم .

ووجه ذلك : أن الصلاة والصوم والركوع والسجود وبقية العبادات أدعية، فمن صلى وصام كأنه يدعو الله ويقول: يارب عبدتك لتغفر لي وتدخلني جنتك.

والدعاء والعبادة من الألفاظ الوجهية، ويقال فيها ما يقال في الإيمان والإسلام والربوبية والألوهية والفقير والمسكين .

فالدعاء والعبادة إذا اجتمعت في الألفاظ افترقت في المعاني وإذا افترقت اجتمعت في معانيها، فإذا افترقت لفظا اجتمعت وصارت العبادة بمعنى الدعاء

والدعاء بمعنى العبادة وهذا جاء في آيات كثيرة، وإذا اجتمعت افترقت فالدعاء السؤال والطلب والعبادة تفسر بطاعة الله وامتثال الأوامر واجتناب النواهي .

اللفظ الثاني : الذكر :

الذكر أشمل من دعاء المسألة لأن الذكر يشمل الدعاء والثناء والتسبيح كما أنه يكون بالقلب والقول وعمليا بالفعل والدعاء يكون باللسان فيكون الذكر أعم من الدعاء، وإذا فسر الدعاء بمعناه العام المرادف للعبادة كان أعم من الذكر .

اللفظ الثالث : الصلاة :

من الألفاظ المقاربة للدعاء الصلاة فهي بمعنى الدعاء بالرحمة والثناء، ومن ذلك ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ التوبة: ١٠٣ .

والدعاء أشمل من الصلاة لأن الدعاء يكون بالرحمة وبالثناء وبغير ذلك .

اللفظ الرابع : الاستعانة :

الاستعانة طلب العون، والسين للطلب، والاستعانة بمعنى دعاء المسألة.

اللفظ الخامس : الاستعاذة :

الاستعاذة طلب العوذ واللجوء إلى الله ﷻ ، والإلتجاء إلى الله بدفع كل شر، وضدها اللواذة، والاستعاذة نوع من الدعاء المطلق فكل استعاذة دعاء لا العكس.

اللفظ السادس : اللواذة :

اللياذة واللواذة قيل بمعنى العوذ ، وقيل هي الالتجاء بجلب النفع والخير، فتكون مقابلة للاستعاذة التي هي الالتجاء بدفع شر، والدعاء يشمل العوذ واللوذ.

اللفظ السابع : الاستغاثة :

وهي طلب الغوث والتخلص من الشدة والكرب، والدعاء أعم من الاستغاثة مطلقاً فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة .

اللفظ الثامن : الاستجارة :

وهي طلب الجوار والمنعة والحماية فتدخل في الدعاء،ودليلها: ﴿ لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ ﴾ الجن: ٢٢ ﴿ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ المؤمنون: ٨٨.

اللفظ التاسع : الاستغفار :

وهو طلب المغفرة، والمغفرة مشتقة من الغفر وهو التغطية والستر، وسمي استغفاراً لأنه يطلب من الله أن يغطي ذنوبه ويسترها ويمحوها ويعفو عنها وإزالة عقوبتها، والاستغفار داخل في عموم الدعاء.

اللفظ العاشر : الشفاعة :

وهي الوساطة والطلب والدعاء للغير بدفع ضر أو جلب نفع . وتدخل في الدعاء ، والشفاعة دعاء للغير، والدعاء أعم لأنه دعاء للنفس وللغير .

اللفظ الحادي عشر : السؤال :

سأل إذا طلب ودعا فالسائل هو الداعي والطالب، والسؤال هو بمعنى دعاء المسألة . ومنه حديث النزول في الصحيحين : (من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له).

اللفظ الثاني عشر : النداء :

النداء هو الدعاء والسؤال، قال تعالى : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ مريم: ٣.

والنداء غالبا يكون بصوت رفيع والدعاء عام سواء كان رفيعاً أو سراً فالدعاء أعم من النداء والنداء داخل في عموم الدعاء .

اللفظ الثالث عشر : المناجاة :

المناجاة الدعاء بصوت منخفض وتقابل النداء غالباً، وقد تكون المناجاة حديثا بين اثنين من غير دعاء .

اللفظ الرابع عشر : الجؤار :

جأر إلى الله إذا رفع صوته مع تضرع واستغاثة ودليله: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ النحل: ٥٣ والدعاء أعم من الجؤار، لأنه قد يكون بدون تضرع واستغاثة .

اللفظ الخامس عشر : الابتهال :

وهو صفة في الاجتهاد والإخلاص إذا قارنه المبالغة في التضرع، مثل الجؤار.

اللفظ السادس عشر: السلام :

وهو طلب السلامة من الآفات .

هذه الألفاظ السؤال والطلب والمناجاة والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة والاستجارة والشفاعة داخلة في عموم الدعاء، وشرك الدعاء يشمل هذه الأنواع والصفات سواء كان باستغاثة أو بشفاعة أو بدعاء أو بنداء أو بابتهال أو بغير ذلك .

المسألة الخامسة : دخول الدعاء في العبادة :

الدعاء من أعظم مقامات العبادة وأهمها .

وقد سمى الله تعالى الدعاء عبادة في مواضع من كتابه كما في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠.

بل إن الرسول ﷺ جعل العبادات مبناها على الدعاء حين قال: (الدعاء هو العبادة) رواه احمد والترمذي .

وجاء بأسلوب الحصر في الحديث لأن الدعاء يدخل في جميع العبادات وكذا العكس فالعبادات داخلة فيه . فكأنه لا عبادة غير الدعاء .

فالعبادات قائمة عليه وهو أصل مقصودها فمن صلى وصام وزكى وحج فما فعل ذلك إلا تقربا إلى الله ولسان حاله يقول: يارب صليت وصمت وعبدتك لتغفر لي وهذه حقيقة الدعاء، ومن أجل هذا تسمى أي عبادة بدعاء العبادة، فالدعاء منقسم إلى دعاء عبادة ودعاء مسألة.

وكذلك دعاء المسألة يقوم على جميع العبادات وتوجد فيه، فالدعاء قائم على الخضوع والتذلل والخشوع والافتقار والالتجاء وإعلان الحاجة والفقر والضعف والمسكنة للمدعو كما أنه متضمن للرجاء والخوف والمحبة والتوكل والرغبة والرهبة.

فداعي الله لاجئ إليه خاشعاً خاضاً متذللاً له مفتقراً إليه ومعظماً له خائفاً منه راجياً له متوكل عليه محباً له .

ومن دعا غير الله فلا بد أن تقوم به هذه الصفات والأحوال ويكون بذلك عابدا للمدعو مشركا به مؤلهاً له مع الله.

السادسة: أوجه ودلالات كون الدعاء عبادة وأن دعاء غير الله شرك :

١ – ما جاء في القرآن من النهي عن دعاء غير الله تعالى بأساليب كثيرة ومتنوعة وأن الدعاء عبادة، والعبادة لا تصرف لغير الله، وأن دعاء غير الله شرك،

وفاعله كافر خاسر ظالم وأنه غير مستفيد شيئاً، وأن النافع هو الله، وأن المشركين مقرون بتفرد الله بالخلق والملك والتدبير، وأن عبادتهم لآلهتهم ليست إلا مجرد دعائهم وطلب شفاعتهم عند الله، وأنهم يخلصون دعاءهم لله إذا نزلت بهم شدة وكرب، وأن دعوة الله هي الحق وما سواها هي الباطل، وأن كل مدعو غير الله جاهل غافل لا يقدر على شيء وليس له من الأمر شيء، وأن الله غني عن الوسائط والشفعاء، وأن الشفاعة ملك لله .

وأوجه الاستدلال من الآيات المتعلقة بالدعاء أكثر من أن تحصر، وكل من تدبر من أهل التوحيد فيها لابد وأن يفتح عليه.

٢- ما جاء في السنة من وجوب إخلاص الدعاء لله وترك دعاء غيره فيما يجوز ومن باب أولى ما لا يجوز وما لا يقدر عليه أحد، كقوله ﷺ : (أنه لا يستغاث بي) رواه الطبراني، وقوله ﷺ : (إذا سألت فاسأل الله) الترمذي، وغضب الله ممن لا يدعوه عن أبي هريرة (من لم يدع الله يغضب عليه) أحمد والترمذي، وفي لفظ : (من لم يسأل الله يغضب عليه) الترمذي ، وحديث: (كره لكم كثرة السؤال) متفق عليه.

وسد الرسول ﷺ وسائل الشرك والذرائع المفضية إليه .

٣- أن حقيقة شرك المشركين وعبادتهم للأوثان إنما كانت في اتخاذ الشفعاء عند الله لتقربهم إلى الله، فظنوا أنه بشفاعتهم يندفع الضر والعقاب وبتوسطهم وتقريبهم يجلب النفع والثواب، وكان هؤلاء المشركون يعبدون الله مع عبادة غيره وكانوا أهل نسك وصلاة وحج وصدقة وإطعام للحجيج والفقراء، ولم تقبل أعمالهم لحصول الشرك منهم في الدعاء وكانوا مقرين بأن الله هو الرب سبحانه بل كانوا

يوحدونه في الخلق والملك والرزق والتدبير والنفع والضر فعندهم توحيد الربوبية ، وإنما كان شركهم ومخالفتهم في توحيد الألوهية والعبادة بدعاء غير الله.

٤ – أن الله تعالى سمّى الدعاء عبادة وجعل دعاء غيره عبادة له.

كما في قوله تعالى : ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مريم: ٤٨ – ٤٩ وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ الأحقاف: ٥ – ٦ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر: ٦٠ وقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ يونس: ١٨ ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الأنعام: ٥٦ ، فانظر كيف سمّت الآيات الدعاء عبادة وجعلت دعاء المشركين للأموات والأصنام عبادة لهم .

وأيضاً الرسول ﷺ سماه عبادة بل وحصر العبادة في الدعاء في قوله ﷺ : (الدعاء هو العبادة) رواه احمد والترمذي فكأنه لا عبادة إلا الدعاء.

٥ – سمّى الله المدعو معبودا، في قوله ﴿أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الأنعام: ٥٦ وكما في قوله تعالى في سورة مريم عن إبراهيم : ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ وقوله بعد ذلك: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ .

٦ – سمى الله تعالى المدعو ومن تطلب منه الشفاعة إلها ، كما في قوله تعالى : ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ هود: ١٠١ ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ يس: ٢٣ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ

مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ الفرقان: ٦٨ ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ القصص: ٨٨﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ المؤمنون: ١١٧.

٧- جعل الله تعالى دعاء غيره شركا، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الجن: ٢٠،وقوله: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ فاطر: ١٤ ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ العنكبوت: ٦٥ أي يشركون في الدعاء.

٨- أن الله ﷻ سمى الداعي لغيره كافرا: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٧.

كما حكم الرسول ﷺ بكفر من يدعو غير الله وأخبر أنه من أهل النار "من مات وهو يدعو غير الله دخل النار " متفق عليه.

٩- أن الله تعالى سمى الدعاء دينا وأمر بالإخلاص فيه: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ العنكبوت: ٦٥﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ غافر: ١٤.

١٠- أن الله أمر به وأحبه كما في قوله: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ الأعراف: ٥٥. وما أمر الله به فهو عباده.

١١- أن الله توعد تارك الدعاء بالنار كما في قوله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾غافر: ٦٠ .

١٢- أن الله تعالى أمر رسوله أن يعلم الناس وجوب توحيده في الدعاء ولايشركون فيه كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الجن: ٢٠.

١٣- أن الله نهى عن دعاء غيره، كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٣ ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ القصص: ٨٨ ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الأنعام: ٥٦ .

١٤- اختص الله به وحصر الدعاء الحق به ودعاء غيره باطل ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ الرعد: ١٤ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ الحج: ٦٢.

١٥- أن الله ﷻ أخبر أن الصلاة والشفاعة ملك له وأمرنا بالإخلاص فيهما والدعاء يشملهما: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢ ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الزمر: ٤٣ - ٤٤ ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ الزخرف: ٨٦.

١٦- أن الأصل في دعاء المخلوق التحريم . وأنه إذا كان دعاء المخلوق ما يقدر عليه مكروها والأولى تركه كما جاءت به السنة فكيف بدعائه فيما لا يقدر عليه.

والرسولﷺ نهى عن سؤاله وفضل من لا يسأله شيئا، وبايع بعض أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئا.

١٧- أن الدعاء يشتمل على جميع أنواع العبادات من المحبة والخوف والمهابة والرهبة والرغبة والطمع والرجاء والخشوع والذل والانكسار والإخبات والإنابة والتوبة والتضرع واللجوء والتعلق والتوكل والاعتماد والذكر والتعظيم وغير ذلك .

١٨- أن الداعي لا بد وأن يكون راغبا متذللا لمن يدعوه خاضعا له متعلقا به متوكلا عليه معظما له وهذه عين العبادة .

١٩- أن في دعاء غير الله سوء ظن بالرب الرحيم وعدم تقدير له وهضم لمقام الربوبية وظلم عظيم، كما يلزم منه أن الله لا يرحم ولا يقدر ولا يعلم إلا بالوساطة .

٢٠- أن الله حكم بأن أشد الناس ظلما وضلالا وكفرا من يدعو غيره: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ الأحقاف: ٥.

٢١- أن الله نفى إجابة المدعوين وسماعهم وأثبت غفلتهم وجهلهم كما في الآية السابقة، كما أثبت في آيات أخرى صفات المدعوين وأنها قائمة على النقص.

المسألة السابعة: مكانة الدعاء :

مما يدل على أهمية الدعاء ومكانته أمور ، منها :

١- أنه يشتمل على جميع العبادات فهو مخ العبادة بل هو العبادة، فهو أعظم المقامات وأجل العبادات .

٢- محبة الله له وغضبه ﷻ على من لا يدعوه ويعرض عنه .

٣- فيه اللجوء والتقرب والخضوع والذل والافتقار .

٤- أن تاركه بالكلية كافر مستكبر بنص القرآن .

٥- الدعاء فيه التذلل لله مع التعظيم والإجلال .

والقاعدة: أن كل فعل مبناه على الذل والتعظيم والمحبة فهو عبادة صرفه لغير الله من الشرك . ومن ذلك الدعاء والشفاعة والذبح والنذر فهذه لا تكون إلا مع إجلال وتعظيم ولذلك صرفها لغير الله كفر وشرك أكبر.

قال الحليمي : (والدعاء من جملة التخشع والتذلل، لأن كل من سأل ودعا فقد أظهر الحاجة والفاقة لمن يدعوه ويسأله فكان ذلك في العبد نظير العبادات التي

يتقرب بها إلى الله عز اسمه ولذلك قال : ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾غافر: ٦٠، فأبان أن الدعاء عبادة والخائف فيما وصفنا كالراجي لأنه إذا خاف خشع وذل لمن يخافه وتضرع إليه وطلب التجاوز عنه) المنهاج في شعب الإيمان ١ / ٥١٧ .

وقال الرازي في تفسيره : (الدعاء أهم مقامات العبودية).

المسالة الثامنة: علاقة الدعاء بموضوع الشرك وأنواعه :

وجه كون الدعاء شركا :

١ – أن فيه طلب ما لا يقدر عليه إلا الله.

٢ – ما فيه من اللجوء لغير الله والخضوع والتذلل والتعظيم والذل والافتقار .

بما أن الدعاء عبادة يحبها الله وأمر بها والشرك أصلا متعلق بالعبادة، عليه فالدعاء يدخله الشرك ويجب أن يوحد الله به كما يوحد ببقية أفراد العبادات، ولذلك من دعا المخلوق فقد صرف له شيئاً من العبادة ويكون بدعائه هذا واقعاً في الشرك كافرا خارجا من الملة .

وشرك الدعاء أحد أنواع الشرك، وهو داخل في شرك الألوهية والعبادة.

وهو من نوع شرك الأقوال .

علاقة شرك الدعاء بأنواع الشرك ودخوله فيها :

يدخل في شرك الألوهية من باب المطابقة والتضمن، فهو متعلق بأفعال العباد وتألههم وعبادتهم.

يدخل في شرك الربوبية والأسماء والصفات من باب اللزوم ، وسيأتي وجهه.

يدخل في شرك التعطيل لأن الداعي عطل الله عما يستحقه من العبادة والدعاء حين صرف العبادة للمخلوق وترك الخالق وعدل عنه.

يدخل في شرك التمثيل من جهتين :

أولا: لكون الداعي شبه المخلوق بالخالق فدعاه ورجاه .

ثانيا: ولأن الداعي شبه الخالق بالمخلوق في كونه محتاجاً لواسطة تشفع عنده مثل ملوك الدنيا من البشر .

قاعدة : دعاء غير الله شرك في الألوهية مستلزم للشرك في الربوبية :

الدعاء شرك في الألوهية لأنه عبادة وتوجه وقصد ومتعلق بأفعال العباد .

وشرك أيضا في الربوبية من جهتين :

الأولى : من جهة اللزوم وما يقتضيه دعاء المخلوق من إعطاء المخلوق المدعو بعض خصائص الربوبية وأفعال الرب ، وذلك باعتقاد النفع والضر في المدعو والقدرة على ما لا يقدر عليه إلا الله ، فدعاء الأموات ومن هو غائب يستلزم أنهم يعلمون الغيب ويسمعون كلام من يدعوهم ويقدرون على كل ما طلبه الداعي منهم وإلا لما دعاهم هؤلاء المشركون .

الثانية : من جهة ما قد يحصل فيه من شرك في الربوبية، فالأصل أن الدعاء من العبادة التي يريدها الله ﷻ وصرف أي عبادة لغير الله شرك في الألوهية، فتوحيد العبادة أن يصرف العبادة لله وحده والشرك فيها بأن تصرف العبادة لغير الله ﷻ، عليه فدعاء غير الله شرك في الألوهية، إلا أنه إذا دُعي غير الله ﷻ فيما لا يقدر عليه غير الله من أفعال الرب المختصة به كان شركاً في الربوبية، كأن يقول يا محمد يا نبي

الله أنزل المطر وأغثنا وارزقنا وعافنا وانصرنا وأعطنا ولداً ومددا ونحو ذلـك، فهـذا شرك في الربوبية حيث أدخل في دعائه أموراً من خصائص الربوبيـة والتـي لا يقـدر عليها غير الله ، واعتقد أن المدعو متصف بها قادر عليها.

قال الألوسي :" ولا أرى أحدا ممن يقول يا سيدي فلان أغثني إلا وهو يعتقـد أن المدعو الحي الغائب أو الميت المغيب يعلم الغيب أو يسمع النداء ويقـدر بالـذات أو بالغير على جلب الخير ودفع الأذى وإلا لما دعاه " روح المعاني ٦/ ١٢٨ .

وقال السهسواني في صيانة الإنسان :" نداء الميت والغائب يقتضي اعتقاد علـم الغيب لذلك الميت والغائب " وبنحوه قال الدهلوي في تقوية الإيمان.

قال الحكمي في معارج القبول بعد بيانه لتلازم أنواع التوحيد وعدم انفكاكهـا عن بعض وأن من أشرك في أحدها لازم أن يكون مشركا في الآخر : " فـدعاؤه إيـاه عبادة صرفها له من دون الله لأن الدعاء مخ العبادة فهـذا شرك في الإلهيـة، وسـؤاله إياه تلك الحاجة من جلب خير أو دفـع ضر أو رد غائـب أو شـفاء مـريض أو نحـو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله معتقدا أنه قادر على ذلك هـذا شرك في الربوبيـة حيـث اعتقد أنه متصرف مع الله في ملكوته، ثم إنه لم يدعه هذا الدعاء إلا مـع اعتقـاده أنـه يسمعه على البعد والقـرب في أي وقـت ومكـان ويـصرحون بـذلك وهـذا شرك في الأسماء والصفات، فاستلزم هذا الشرك في الإلهية الشرك في الربوبية والصفات " .

قال الرازي في تفسير آية ﴿ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾: (وضعوا الأصـنام عـلى صـور أنبيائهم وأكابرهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك يكونون

لهم شفعاء عند الله تعالى . ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبـور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء عند الله) .

المسألة التاسعة: أهمية بيان شرك الدعاء والكلام فيه وخطورته:

وضح الله سبحانه هذا النوع من الشرك في كتابه في آيات كثيرة وحذر منه أيـما تحذير لكثرة من يقع فيه وقد بينه العلماء في مصنفاتهم وحذروا منه وكـشفوا حقيقتـه وردوا زيف المتلبسين به ومن هـؤلاء الإمـام محمـد بـن عبـد الوهـاب في النـواقض وكشف الشبهات وغيرها .

فائدة : لماذا أفرد المؤلف شرك الدعاء مع كونه داخل في عموم الشرك :

أفرد الإمام محمد بن عبد الوهاب شرك الدعاء في النواقض وخـصه مـن بـين أنواع الشرك مع كونه داخل في الشرك والشرك ذكره في الناقض الأول لأمرين :

الأول : كثرة من يفعله وفشوه بين الأمم ولذلك لا يوجد أمة مشركة إلا وهي تدعو غير الله من قوم نوح إلى زماننا هذا .

الثاني : كثرة الشبهات المثارة حوله والتلبـيس فيـه ممـا جعـل العلـماء يخـصوه بالبيان والإيضاح وكشف الشبهات المتعلقة به .

فائدة: يعد شرك الدعاء وعبادة الموتى نصف الشرك وأصله وأكثره رواجا:

١ – نصف الشرك من جهة كونه مقابلا لشرك الفلاسفة وعباد الكواكب.

٢ – نصف الشرك من جهة كونه مقابلا لشرك التشريع والحكم والدستور .

قال ابن تيمية : (الشرك في بني آدم أكثره على أصلين :

أولهـا : تعظيـم قبـور الـصالحين وتـصوير تمـاثيلهم للتـبرك بهـا ، وهـذا أول الأسباب التي بها ابتدع الآدميون وهو شرك قوم نوح .والثاني: عبادة الكوكب) .

الرد على المنطقيين ٢٨٥ ، قاعدة التوسل والفتاوى ١٧/ ٤٦٠ .

المسألة العاشرة: وجوب توحيد الله بالدعاء وإفراده به :

إذا كان الدعاء بهذه المنزلة والمكانة والمرتبة من الدين، وجب أن يوحّـد الله بـه وألا يدعى غيره ولا يسأل أحد سواه، ومن دعا غير الله كان مشركاً ناقضاً للتوحيـد خارجاً من الملة .

والناس في عبادة الله والاستعانة أربعة أقسام:

منهم من يعبد الله ويستعينه ومنهم من لا يعبد الله ولا يستعينه ومنهم من يعبد الله ويستعين بغيره ومنهم من يدعو الله ويستعين به ولكن لا يعبده .

المسألة الحادية عشرة: أدلة الدعاء وشرك الدعاء :

الأدلة من الكتاب والسنة والعقل والإجماع على كفر من دعا غير الله :

تنوعت أساليب القرآن الكريم في التحـذير مـن دعـاء غـير الله ﷻ وتنوعـت البراهين والأدلة على قبح هذا الشرك وجاء النهي عنه في كتـاب الله تعـالى بأسـاليب متنوعة وطرق كثيرة، وإليك بيانها.

أولاً: آيات نهى الله تعالى فيها عن دعاء غيره ، مخاطباً فيها نبيه محمداً ﷺ .

ومن أمثلة ذلـك قولـه تعـالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يونس: ١٠٦ .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٣ .

وقولـه تعـالى : ﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ القصص: ٨٨ .

ولو تأمل العاقل هذه الآيات ووقف معهـا لوجـد فيهـا مـن الفوائـد والعـبر الواضحة أن دعاء غير الله لا نفـع فيـه ولا فائـدة، وأن الهالـك لا يمكـن أن يكـون مستحقاً للدعاء ولا يدعى ولا يستفاد منه والذي لاينفع ولا يضر ليس أهلا للـدعاء فلا يدعى إلا من ينفع ويضر وإذا حذر الله ﷻ رسوله ﷺ من الدعاء فغيره من بـاب أولى، وجعل الله ﷻ الدعاء هنا دعاء عبادة والمدعو معبوداً .

٢- آيات وجه الله ﷻ فيها النهي عن دعاء غير الله تعالى إلى جميع الناس منها: قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ الجن: ١٨.

والمساجد جمع مسجد وهو ما يسجد عليه سواء من الأرض أم جبهة أو نحـو ذلك .

٣- آيات أمر الله ﷻ فيها عباده بإخلاص الدعاء له وحده . منها :

وقوله تعالى : ﴿ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ الأعراف: ٢٩.

قوله تعالى : ﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا ﴾ الأعراف: ٥٦.

وقال تعالى : ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ الأعراف: ٥٥.

وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ الإسراء: ١١٠.

وقال تعـالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠.

وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ غافر: ٦٥.

وقـــال تعـــالى :﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٠.

وقوله تعـالى : ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢ والصلاة هنا هي الدعاء .

٤- آيات تصف من يدعو غير الله تعالى بأخس صورة وتمثل هلاكـه بـما يبـين قبح دعاء غير الله تعالى .

قال تعـالى في ذلـك :﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٌ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الأنعام: ٧١ .

وقال:﴿ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴾النساء: ١١٧.

وقال تعالى :﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴾ الرعد: ١٤.

وقال:﴿ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴾ فصلت: ٤٨ .

وقـال تعـالى :﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾ العنكبوت: ٤١ – ٤٢ .

٥- آيات تبين عجز المدعوين من دون الله تعـالى وعـدم اسـتحقاقهم للـدعاء وعدم أهليتهم له لأنه ليس لهم الـصفات التـي ينبغـي أن تكـون للـذي يـستحق أن يتوجه له بالدعاء . ومن هذه الأدلة :

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾ النحل: ٢٠ .

وقال تعالى: ﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴾ الشعراء: ٧٢ - ٧٣ .

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡ ﴾ فاطر: ١٣ - ١٤ .

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الأحقاف: ٥ .

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ النحل: ٢٠ - ٢٢.

وقال: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ سبأ: ٢٢ - ٢٣.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾ الحج: ٧٣.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾ الأعراف: ١٩٧.

٦- آيات يبين الله تعالى فيها عجز من يدعى من غير الله .

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ﴾ الزمر: ٣٨ .

وقال تعالى :﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ الإسراء: ٥٦ .

وقال تعالى :﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ يس: ٢٣ .

٧- آيات توضح أن المدعوين أنفسهم كالملائكة والرسل يلتجئون إلى الله ﷻ ويتقربون إليه أفليس الأولى أن يلتجئ من يدعوهم إلى من لجؤوا إليه وهو الله ﷻ.

قال تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ الإسراء: ٥٧ .

وقوله تعالى :﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ النساء: ١٧٢.

٨- آيات وصف الدعاء غير الله ﷻ بأنه شرك أو كفر أو وصف الداعي بأنهم مشركون أو كافرون وفي ذلك أعظم تحذير وأبلغ إنذار .

٩- آيات توضح أن دعاء غير الله تعالى ضلال وضرر .

يقول تعالى : ﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ الحج: ١٢ - ١٣ .

١٠- آيات تصف المؤمنين بإخلاص الدعاء لله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ الفرقان: ٦٨ .

وقوله تعالى :﴿ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴾ الكهف: ١٤.

١١- آيات تبين غياب المدعوين عن الداعي عند نزول الشدائد .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ الإسراء: ٦٧ .

قال تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾ ﴾ فصلت: ٤٨ .

قال تعالى : ﴿ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ الأعراف: ٣٧.

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ غافر: ٧٣ - ٧٤.

قال تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴾ هود: ١٠١.

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾ العنكبوت: ٦٥.

١٢- آيات تتوعد من يدعو غير الله تعالى بالعذاب الأليم وسماهم كافرين.

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٧ .

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٣.

أيضا من الأدلة والدلالات :

١٣- الآيات التي أمرتنا بدعاء الله تعالى.

١٤- آيات سمت عبادة ودعاء غير الله شركا .

١٥- آيات تنهى عن دعاء غير الله .

١٦- آيات نصت على أن جميع الرسل دعوا للتوحيد ودعاء الله وحده .

١٧- آيات أخبرت أن الشرك وما فعله المشركين ليس إلا دعاء غير الله وطلب الشفعاء واتخاذ الوسائط.

وغير ذلك من الأساليب التي جاءت بها الآيات وبدلالات قاطعة وردت في التحذير من دعاء غير الله تعالى .

وكل هذا يؤكد أن هذا الشرك قد أوضحه الله تعالى إيضاحاً وافياً كافياً لا يحتاج معه إلى إجابة عن شبهة بعد هذه الآيات فبلوغها كاف في إقامة الحجة، ولو لم يكن من هذه الآيات إلا آية واحدة تدل على كفر من يدعو غير الله لكانت كافية فكيف إذا تعددت الأدلة وأوجه الاستدلال والأساليب في ذلك والدلائل مما يدل على أن الله تعالى هو المستحق أن يدعى وحده لا شريك له وأن يكفر بها دونه.

الأدلة من السنة :

قال النبي ﷺ : (من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار) رواه الشيخان .

وعندما سئل النبي ﷺ أي الذنب أكبر قال : (أن تدعو لله ندا وهو خلقك) متفق عليه.

وقال ﷺ : (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله) رواه الترمذي وأحمد.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يخطب ويقول: (إن الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾) أخرجه الترمذي وأحمد والنسائي في الكبرى والحاكم .

قال النبي ﷺ : (الدعاء هو العبادة) أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد .

أما حديث:(الدعاء مخ العبادة) عند الترمذي ففي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف .

وقفات مع هدايات بعض الآيات والدلالات فيها على كفر من دعا غير الله.

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ فاطر: ١٣ - ١٤.

دلت على أمور :

الأول : أن الآية صريحة في دعاء المسألة فالمدعو لا يملك شيء وإن قل وأنهم لا يسمعون دعاءهم ولو سمعوا ما استجابوا .

الثاني : أن المدعوين يكفرون وينكرون ويتبرءون ممن دعاهم فيكون زيادة وبال على أهل الشرك .

الثالث : أن الله ﷻ سمى دعاءهم لغير الله شركا .

قولــه تعــالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ القصص: ٨٨.

تدل على أن كل مدعو يكون إلها، والإلهية حق لله لا يـصلح منهـا شيء لغـيره ولهذا قال لا إله إلا هو .

قوله تعــالى :﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الأحقاف: ٥ .

تضمنت دلالات على حقيقة دعاء غير الله وصفات الداعي والمدعو :

١- حكم الله على من دعا غيره بغاية الضلالة.

٢- أن المدعو لا يستجيب له.

٣- أنه غافل.

٤- أنه المدعو يعادي الداعي يوم القيامة.

٥- ويكفر بعبادته.

قولــه تعــالى :﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يونس: ١٨.

١- أن شرك المشركين كان في طلب الشفاعة من غير الله ودعاء المخلوق .

٢- أن الله ﷻ حرم المشركين من الشفاعة لما طلبوها مـن غـيره، وأخـبر أن حصولها مستحيل في حقهم بسبب طلبها في الدنيا من غيره ممن لا يقدر عليها .

٣- أنه يلزم من سؤال الوسائط الشفاعة نفي العلم عن الله ونفي الرحمة عنه ونفي القدرة عنه، فتعالى الله عما يقوله المشركون علوا كبيراً.

٤- أن فعلهم الذي هو طلب الشفاعة يعتبر عبادة وحكم الله بأنه من الشرك.

قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ سبأ: ٢٢ - ٢٣.

نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عونا لله ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب ورضي عنه وهو من جاء بالتوحيد ولم يدع غير الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ الإسراء: ٥٦ - ٥٧.

وقد نزلت هذه الآيات في من يدعو المسيح وعزيز والملائكة كما قاله طائفة من السلف وأئمة التفسير خلافاً لزعم القبورية في تفسيرهم للوسيلة بالتوسل لله تعالى بذوات الأولياء والأنبياء وطلب شفاعتهم:

ومن هذه الآية وتفسير السلف يرد على القبورية:

١- أنه قال سبحانه: (زعمتم) مما يدل على أن عبادتهم ودعاءهم مزعومة باطلة وليست عبادة بحق.

٢- أنه أخبر أنهم لا يملكون كشف الضر ولا تحويله عنهم ، فهم ضعاف محتاجون إلى من تحتاجون إليه، فإذا كانوا لا يملكون لأنفسهم النفع وكشف الضر فكيف يملكونه لغيرهم .

٣- أن هؤلاء المدعوين من الصالحين والأولياء يبتغون ما يبتغيه المشرك بهم ويبتغون القرب من الله والوسيلة إليه والتسابق إليه ورجاءه والخوف منه .

٤- أن هؤلاء المدعوين لا يأمنون عقاب الله ولا يقطعون برحمته، بل هم دائرون بين الخوف والرجاء مع صلاحهم فمن دعاهم هكذا الأولى به .

٥- أن الله أمرهم بدعاء الذين زعموا هو من باب السخرية وتحقير عقولهم .

٦- بينت الآية أن شرك المشركين ودينهم هو اتخاذ الوسائط والشفعاء وليس اعتقاد الربوبية في غير الله، كما بينت أن الوسيلة ليست هي الشرك والوسائط الشافعة كما ظنوا، فإن وسيلتهم وسيلة لإبعادهم عن الله ولعنهم لا تقريبهم .

مسألة: من أدلة نفي الاستغاثة بالنبي ﷺ :

قوله تعالى : ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ الأعراف: ١٨٨ .

قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ يونس: ٤٩ .

قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا﴾ الجن: ٢١ .

قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ الزمر: ٤٣-٤٤ .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ القصص: ٥٦.

قوله تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ التوبة: ٨٠.

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴾ الزمر: ١٩.

قوله: ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ الزخرف: ٤٠.

وقوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ آل عمران: ١٢٨.

﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ الطلاق: ١

قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾ الأعراف: ١٨٧.

قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ التوبة: ١٠١.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ الأحقاف: ٩.

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ الأنعام: ٥٠.

وآيات عامة سبقت وآيات عامة تبين أنه لا تملك نفس لنفس شيئا وأنه لا كاشف للضر إلا هو، وأنه لا يملك الشفاعة أحد ولا تغني شفاعته شيئا.

وقوله ﷺ : " إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله " رواه الترمذي.

وقوله ﷺ:" اجعلتني لله ندا " لما قيل له ما شاء الله وشئت رواه أحمد.

وقوله ﷺ لابنته ولقريش : "لا أغني عنكم من الله شيئا" رواه مسلم.

وحين قال الأسير للرسول ﷺ : (اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب لمحمد)، فقال النبي ﷺ : (عرف الحق لأهله) رواه أحمد .

وقول عائشة : (أتوب إلى الله ورسوله) رواه البخاري .

عرض الاعمال عليه وإبلاغه السلام فلا يعلمها بنفسه

قصة الإفك وحرص النبي ﷺ على معرفة الحق .

قال ﷺ :" والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي " رواه البخاري .

وقال ﷺ عن الساعة :" ما المسئول عنها بأعلم من السائل " رواه مسلم.

قال ﷺ " استأذنت ربي أن استغفر لأمي فلم يأذن لي " رواه مسلم.

قال ﷺ : " إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله " رواه الطبراني .

قوله ﷺ:" إنما أنا بشر وإنه يأتي الخصم ولعل بعضكم أبلغ من بعض فأحسبه أنه صدق فأقضي له " رواه البخاري

وفي الحديث تقول الملائكة للنبي ﷺ عند الحوض : " لا تدري ماذا أحدثوا بعدك " رواه البخاري .

وقالت عائشة :" من حدث أنه يعلم الغيب فقد كفر " رواه البخاري .

فائدة لطيفة من حديث : (إن لله ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام) رواه أحمد والنسائي .فيه رد على القبورية الذين يزعمون أن الرسول ﷺ يُدعى لأنه حي يسمع، فلو كان كذلك لما احتاج لمن يبلغه ويعلمه ولسمع السلام بذاته مباشرة.

فائدة من حديث : (اسألوا لي الفضيلة) :

فيه دليل على تحريم دعائه إذ كيف يدعى من يطلب أن يدعى له .

ومن الأدلة في هذا الباب: أن دعاء الميت والغائب لم يأمر الله به ولا رسول ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة والأئمة ولا استغاث أحد من الصحابة بالرسول ﷺ بعد موته ومما يدل لذلك قصة عمر باستسقائه بدعاء العباس.

ومن الأدلة : أن دعاء الموتى والتوسل بهم إن كان أفضل كما تزعم القبورية فكيف يخفي على القرون الثلاثة المفضلة ويظفر به الخلوف .

قاعدة : أعظم ما يرد على المتأخرين المشركين أن الصحابة ﷺ لم يسألوا الرسول ﷺ بعد موته ولم يقف أحد منهم عند قبره يسأله مع ما نزل بهم من الشدائد والكروب والأهوال والخطوب ، بل والثابت ضد ذلك كما فعل عمر من الاستسقاء بدعاء العباس ولم يسأل الرسول ﷺ بل أثبت أن هذا أنقطع بعد موته ولم يستنكر ذلك أحد من الصحابة .

فائدة: المراد بالدين الذي أمرنا الله بالإخلاص فيه في آيات كثيرة هو الدعاء.

دليل العقل:

أن العقل والشرع يحكمان ببطلان دعاء غير الله ﷻ ، فالمدعو لابد أن يكون قادرا على إيصال النفع لمن يدعوه ويكشف الضر عنه، وقد خاطب الله تعالى عقول الناس بذلك وبين سبحانه أن هؤلاء المدعوين الذين جعلوا شركاء لله في الدعاء لا يملكون أسباب استحقاق العبادة والتوجه لهم بالدعاء والقصد والإرادة، كما أن اتخاذ الوسائط ودعاءها وسؤالها الشفاعة ينافي إسلام القلب والوجه لله وحده.

عليه فالعقل حاكم ببطلان دعاء غير الله ﷻ وأن من دعا غير الله فدعاؤه باطل ولا فائدة فيه وقد ظلم نفسه، ومن أشرك فقد خالف العقل والفطرة والشرع.

الإجماع على كفر من دعا غير الله :

وممن نقل الإجماع ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١/ ١٢٨ .

وابن القيم والحجاوي والبهوتي في كشاف القناع والمرداوي في الإنصاف والصنعاني في تطهير الاعتقاد والشوكاني والرستمي من الحنفية .

وقال الخطابي في معالم السنن : (كان الإمام أحمد يستدل بقوله أعوذ بكلمات الله على أن القرآن غير مخلوق لأن المخلوق لا يستعاذ به) .

وبمثل ذلك قال البخاري في خلق أفعال العباد، والخلال في السنة، وابن خزيمة في التوحيد .

المسألة الثانية عشرة : كلام أهل العلم في شرك الدعاء :

١ - قال ابن تيمية في الوصية الكبرى: «فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يدعوه من دون الله مثل أن يقول يا سيدي فلان أغثني أو أجرني أو أنت حسبي أو أنا في حسبك فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل» الفتاوى [٣/ ٣٩٥].

وقال رحمه الله: «فإن المسلمين متفقون على ما علموه بالاضطرار من دين الإسلام أن العبد لا يجوز أن يعبد ولا يدعو ولا يستغيث ولا يتوكل إلا على الله وأن من عبد ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو دعاه أو استغاث به فهو مشرك فلا يجوز عند أحد من المسلمين أن يقول يا جبريل أو يا إبراهيم أو يا رسول الله اغفر لي وارحمني وارزقني أو انصرني أو أغثني أو أجرني من عدوي أو نحو ذلك بل كل هذا من

خصائص الألوهية» الفتاوى ٣/ ٢٧٢.

وقال: «وجماع الأمر أن الشرك نوعان : شرك في ربوبيته بأن يجعل لغيره معه تدبير، وشرك في ألوهيته بأن يدعو غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة» الاقتضاء ص٣٥٦.

٢- وقال ابن القيم رحمه الله: «ومن أنواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة وهي أصل شرك العالم فإن الميت محتاج لمن يدعو له فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج والاستغاثة وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد ، وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم» مدارج السالكين [١/ ٣٤٦] .

وقال في زاد المعاد: «فأبى المشركون إلا دعاء الميت والإشراك به ...» ١/ ٢٥٧ .

٣- وقال أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي ت ٥١٣هـ: «إن من يعظم ويخاطب القبور ويخاطب الموتى بقضاء الحوائج ويقول يا مولاي ويا سيدي افعل لي كذا فهو كافر بهذه الأوضاع ومن دعا ميتاً وطلب قضاء الحوائج منه فهو كافر». وكلامه هذا نقل من كتاب حكم الله الواحد الصمد في حكم الطلب من الميت المدد .

وقال: (لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم...وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور، وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يا مولي افعل بي كذا وكذا وأخذ ترابها تبركا وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى)ونقله عنه ابن القيم في إغاثة اللهفان ١/ ٢٢١.

٤- وقال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي في الرد على السبكي: «إن المبالغة

في تعظيم الرسول ﷺ بالحج إلى قبره والسجود له والطواف به واعتقاد أنه يعلم الغيب وأنه يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع وأنه يقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين وأنه يشفع فيمن شاء ويدخل الجنة من شاء فهذه المبالغة مبالغة في الشرك وانسلاخ من ذمة الدين» ص٣٥١.

٥- وقال ابن رجب في رسالته كلمة الإخلاص: «إن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله غير الله والإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً ومحبة وخوفاً ورجاء وتوكلاً عليه وسؤال منه ودعاء له ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه .. وهذا كله من فروع الشرك» كلمة الإخلاص ص٢٣.

٦- وقال الحجاوي في الإقناع مع شرح البهوتي كشاف القناع: «من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم كفر إجماعاً لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام»الإقناع [٦/ ١٦٨].

٧- وقال محمد بن عبد الوهاب: «الناقض الثاني من نواقض الإسلام: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماع».

وقال في كتاب التوحيد: «باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره».

٨- وقال عبد الرحمن بن حسن: «فإذا عرفت بصحيح المعقول وصريح المنقول أن الدعاء عبادة وأن مدلوله السؤال والطلب فمن صرف شيئاً من العبادة لغير الله فقد أشرك مع الله غيره في عبادته كائناً من كان» الرد على ابن جرجيس ص٣٤.

ومن أقوال علماء الشافعية في هذا الباب:

٩- قال الإمام ابن خزيمة في التوحيد : (هل سمعتم عالما يجيز أن يقول الداعي أعوذ بالكعبة من شر ما خلق الله؟ هذا لايقوله ولا يجيز القول به مسلم يعرف دين الله، محال أن يستعيذ مسلم بخلق من خلق الله).

١٠- قال المقريزي (ت٨٤٥هـ) في كتابه تجريد التوحيد وهو من أنفس الكتب في بيان التوحيد قال رحمه الله: «وشرك الأمم كله نوعان شرك في الألوهية وشرك في الربوبية فالشرك في الإلهية والعبادة هو الغالب على أهل الشرك وهو شرك عبادة الأصنام وعبادة الملائكة وعبادة الجن وعبادة المشايخ والصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ويشفعوا لنا عنده وينالنا قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكرامة» تجريد التوحيد ص١٤٨ .

١١- وقال الحليمي : (الدعاء في الجملة من جملة التخشع والتذلل، لأن كل من سأل ودعا فقد أظهر الحاجة واعترف بالذلة والفقر والفاقة لمن يدعوه ويسأله، فكان ذلك نظير العبادات التي يتقرب بها إلى الله فالدعاء عبادة، والخائف كالراجي، لأنه إذا خاف خشع وذل لمن يخافه وتضرع إليه في طلب التجاوز عنه ... ولا ينبغي أن يكون الرجاء إلا لله فهو المنفرد بالملك والدين ولا يملك أحد من دونه نفعا ولا ضرا ..) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٥١٧ .

١٢- وقال أحمد بن حجر البوطامي الشافعي في كتابه تطهير الجنان: «أي لا ينذروا لغير الله ولا يطوفوا بغير البيت العتيق فلا يجوز النذر للأولياء ولا الصالحين ولا الطواف بقبورهم كما يفعله الجاهلون بقبر الجيلاني والحسين والبدوي

والدسوقي وغيرهم فإن هذا شرك لا مراء فيه ...»

وقد فند رحمه الله شبهات القبورية ورد عليها في كتابه العقائد السلفية.

١٣- وقال الحافظ أبو شامة ٦٦٥ في كتابه الباعث على إنكار البدع والحوادث: «وبهذه الطرق وأمثالها - طرق الصوفية - كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها». وقال : (ومما عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وسرج مواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاكي أنه رأى مناما بها أحدا ممن شهر بالصلاح والولاية ويحافظون على ذلك مع تضييعهم الفرائض) .

وذكر رحمه الله جملة من شركيات أهل عصره.

١٤- وقال البيهقي رحمه الله في الأسماء والصفات: «ولا يصح أن يستعيذ بمخلوق من مخلوق».

١٥- وقال الإمام البغوي في شرح السنة: «ولم يكن النبي يستعيذ بمخلوق من مخلوق».

١٦- وقال الحافظ ابن حجر عن القرآن في فتح الباري: «لو كان مخلوقا لم يستعذ بها إذ لا استعاذة بمخلوق».

١٧- وقال الخطابي رحمه الله فيما نقله عنه السويدي الشافعي في العقد الثمين: «لا يستعاذ بغير الله أو صفاته .. والاستعاذة بالمخلوق شرك مناف لتوحيد الخالق لما فيه من تعطيل معاملته تعالى الواجبة له على عبيده».

١٨- وقال الذهبي رحمه الله فيما يفعل عند قبر نفيسة بنت الحسين في سير أعلام النبلاء: «ولجهلة المصريين فيها اعتقاد يتجاوز الوصف ولا يجوز مما فيه من

الشرك ويسجدون لها ويلتمسون منها المغفرة وكان ذلك من دسائس دعاة العبيدية».

١٩- وقال النووي في شرحه لمسلم: «إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه والافتتان به فربما أدى ذلك إلى الكفر».

٢٠- وقال الرافعي في شرح منهاج النووي: «وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ فإن قصد الناذر تعظيم البقعة أو المشهد أو من دفن فيها فهذا النذر باطل غير منعقد».

٢١- وقال الشهرستاني الأشعري في الملل والنحل: «وطلبهم الحوائج منها إثبات الإلهية لها».

٢٢- وقال الرازي الأشعري في تفسيره: «اعلم أن الكفار أوردوا سؤالاً فقالوا نحن لا نعبد هذه الأصنام لاعتقاد أنها آلهة تضر وتنفع وإنما لأجل أنها تماثيل لأشخاص كانوا عند الله من المقربين فنحن نعبدهم لأجل أن يصيروا أولئك الأكابر شفعاء لنا عند الله فأجاب الله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [الزمر:٤٣]. وتقرير الجواب: أن هؤلاء الكفار إما أن يطمعوا بتلك الشفاعة من هذه الأصنام أو من أولئك العلماء الزهاد، والأول باطل لأن هذه الجمادات لا تملك شيئاً ولا تعقل. والثاني باطل لأن يوم القيامة لا يملك أحد شيئاً ولا يقدر أحد على الشفاعة إلا بإذن الله فيكون الشفيع في الحقيقة هو الذي يأذن في تلك الشفاعة فكان الاشتغال بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره» تفسير الرازي ٢٦/ ٢٨٥.

وقال أيضاً مقارناً بين شرك الأولين والقبورية والصوفية: «ونظيره في هذا

الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقادهم أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون لهم شفعاء عند الله»تفسير الرازي [١٧/ ٥٩].

وقال الرازي في تفسيره : (الدعاء أهم مقامات العبودية) .

وقال الرازي في تفسيره (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) : (أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر يكونون شفعاء لهم عند الله تعالى، ونظيره في هذه الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله) .

٢٣- وقال التفتازاني الشافعي الحنفي في شرح المقاصد: «شرك المشركين يقع إذا مات منهم من هو كامل المرتبة عند الله اتخذوا تمثالاً على صورته وعظموه تشفعاً إلى الله وتوسلاً ».

٢٤- وقال الجرجاني في شرحه على المواقف في الجزء الثامن: «والوثنية فإنهم لا يقولون بوجود إلهين ولا يصفون الأوثان بصفات الإلهية وإن أطلقوا عليها اسم الإله بل اتخذوها على أنها تماثيل الأنبياء والزهاد واشتغلوا بتعظيمها على وجه العبادة توصلاً بها إلى ما هو إله حقيقة».

ومن أقوال علماء المالكية:

٢٥- قال القاضي عياض في الشفاء : (كان الإمام مالك يكره الوقوف عند قبر النبي ﷺ للدعاء له أو الدعاء عنده كما كره لأهل المدينة التردد على قبره للسلام عليه كما كره أن يقال زرنا قبره ﷺ).

وقال : (كل مقالة صرحت بنفي الربوبية والوحدانية أو عبادة غير الله أو مع الله فهي كفر).

٢٦- قال القرافي في الفروق : (فينبغي للسائل أن يحذر هذه الأدعية لما تؤدي من سخط الديانة والخلود في النيران وحبوط الأعمال واستباحة الأرواح والأموال).

٢٧- قال ابن العربي في إحكام القرآن: «وأما من ادَّعَى علم الكسب في مستقبل العمر فهو كافر».

٢٨- قال الإمام الطرطوشي المالكي ٥٢٠ : (فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها) .

٢٩- قال الإمام ابن عبد البر في التمهيد: «يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء الصالحين مساجد».

وقال: «لا يجوز الحلف بغير الله عز وجل وهذا أمر مجمع عليه».

٣٠- وقال الميلي رحمه الله في رسالته مظاهر الشرك: «وإذا قيل للناس إن هؤلاء الضرائح والمزارات من الأوثان قالوا إنكم تسبون الصالحين ..».

وقال: «إن الرزية كل الرزية .. وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالاً .. ».

٣١- وقال ابن عاشور في التحرير: «أكبر الاعتداء الشرك إذ هو اعتداء على المستحق المطلق العظيم لأن من حقه أن يفرد بالعبادة اعتقاداً وعملاً وقولاً».

٣٢- وقال ابن عطية في المحرر الوجيز: «الذين كفروا في هذا الموضع هم كل من عبد شيئاً سوى الله قال قتادة هم أهل الشرك خاصة».

ومن أقوال علماء الحنفية المنكرين للشرك :

٣٣- ما جاء في الفتاوى البزازية : (من قال أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر) ودعاء غير الله يستلزم اعتقاد ذلك .

٣٤- وفي الفتاوى الهندية وأصله منقول من كتاب مجموع النوازل : (والذي شاع في زماننا وكثير من نساء المسلمين يفعلنه هو أنهن في وقت طلوع الجدري للأطفال يفعلن صورة باسم ذلك الجدري ويعبدنها ويطلبن منها شفاء الأولاد ويعتقدن أن ذلك الحجر يشفي الأطفال فتلك النساء يصرن كافرات بهذا الفعل وبهذا الاعتقاد وبرضا أزواجهم بهذا الفعل يصيرون كفارا).

٣٥- قال قاسم بن قطلوبغا ٨٧٩هـ وتبعه ابن نجيم في البحر الرائق والرملي في الفتاوى الخيرية وعمر بن نجيم في النهر الفائض والحصكفي ١٠٨٨هـ في الدر المختار وابن عابدين في رد المحتار وغيرهم: «وأما النذر الذي ينذره أكثر العوام، فيأتي في بعض قبور الصالحين ويقول يا سيدي فلان إن قضيت حاجتي أو عوفي مريضي فلك من الذهب كذا .. فهذا النذر باطل لوجوه: منها أنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز لأنه عباده والعبادة لا تكون للمخلوق. ومنها إن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى واعتقاده ذلك كفر».

٣٦- وزاد الحصكفي في درء المختار: «وقد ابتلي الناس بذلك ولا سيما في هذه الإعصار».

٣٧- قال ابن عابدين: «ولا سيما في مولد السيد أحمد البدوي».

٣٨- قال العلامة الخجندي في كتابه النفيس حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد وهو كتاب نافع وحجة على المشركين الحنفية الماتريدية وغيرهم: «إن من أعظم مكائد الشيطان على ابن آدم قديماً وحديثاً إدخال الشرك فيهم في قالب تعظيم الصالحين وتوقيرهم بتغيير اسمه بالتوسل والتشفع ونحوه فالمشرك مشرك شاء أم أبا ومن الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره .. ».

٣٩- وقال الألوسي في غاية الأماني: «وكذلك الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في علي بن أبي طالب والمسيح ، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول يا سيدي فلان انصرني أو أغثني أو ارزقني أو أجرني أو أنا في حسبك ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل».

٤٠- قال العيني في عدة القاري: «من ادعى أنه يعلم شيئاً من هذه الخمس مفاتيح الغيب فقد كفر بالقرآن العظيم».

٤١- وقال العلامة السهسواني في كتابه الجليل صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان: «فقد اعتقدوا في الأموات ما اعتقده أهل الأصنام في أصنامهم بل هؤلاء القبوريون قد وصلوا إلى حد في اعتقادهم في الأموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم..».

٤٢- وقال الإمام محمد البركوي ٩٨١ في كتاب زيارة القبور ، وأحمد الرومي ١٠٤٢هـ في مجالس الأبرار وسبحان بخش الهندي في خزينة الأسرار وإبراهيم

السورتي في نفائس الأزهار والمظفري في مصباح المؤمنين وغيرهم: «فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بشجر وحجر ولهذا نجد كثيراً من الناس عند القبور يتضرعون ويخشون ويخضعونه ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلها في مساجد الله ومنهم من يسجد لها .. ».

٤٣- وقال صنع الله الحلبي الحنفي ١١٢٠هـ في كتابه سيف الله: «هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات (القبورية) يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهم تكشف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات .... ».

٤٤- وقال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية حول ما سبق: «وهذا مفرق بين زنادقة القوم الصوفية القبورية وأهل الاستقامة».

٤٥- وقال الإمام ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ) في الفوز الكبير: «وإن كنت متوقفاً في تصوير حال المشركين وعقائدهم وأعمالهم فأنظر إلى حال القوم والجهلة من أهل الزمان كيف يظنون الولاية وماذا يخيل إليهم منها ويذهبون إلى القبور والآثار ويرتكبون أنواعاً من الشرك ... ».

وقال في الحجة البالغة : (ومنها أنهم كانوا يستعينون بغير الله في حوائجهم ويتلون أسماءهم رجاء بركتهم فأوجب الله أن يقولوا في صلاتهم إياك نعبد وإياك نستعين).

٤٦- وقال الإمام المجاهد إسماعيل الدهلوي (١٢٤٦هـ) في كتابه النفيس تقوية الإيمان وتبعه أبو الحسن الندوي: «اعلم أن الشرك قد شاع في الناس في هذا

الزمان وانتشر ومن المشاهد اليوم أن كثيراً من الناس يستعينون بالمشايخ والحاصل أنه ما سلك عباد الأوثان في الهند طريقاً مع آلهتهم إلا وسلكه الأدعياء من المسلمين مع الأنبياء والأولياء ... ».

٤٧- وقال الشيخ الغلام شيخ القرآن في جواهر القرآن: «يندرج فيهم كل من أقر بالله تعالى وخالقيته مثلاً وكان مرتكباً ما يعد شركاً كيفما كان ، ومن أولئك عباد القبور الناذرون لها المعتقدون للنفع والضر ممن الله تعالى أعلم بحاله فيها وهم اليوم أكثر من الدود».

٤٨- وقال الشيخ محمد طاهر الفتني ٩٨٧هـ : (فإن منهم من قصد بزيارة قبور الأنبياء والصالحين أن يصلي ويدعو عندها ويسألهم الحوائج وهذا لا يجوز عند أحد من علماء المسلمين، فإن العبادة وطلب الحوائج والاستعانة حق لله وحده) مجمع بحار الأنوار ٢/ ٤٤٤.

ومن العلماء المنكرين للشرك أيضاً:

٤٩- الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني في كتابه تطهير الاعتقاد حيث قال: «إن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا فإنه قد أشرك مع الله غيره واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما اعتقده المشركون في الأوثان ... ».

٥٠- وقال الإمام الشوكاني في كتابه الدر النضيد: «من اعتقد في ميت من الأموات أو حي أنه يضره أو ينفعه أو ناداه أو استغاث به .. وأن الدعاء نوع من العبادة وأن الشرك هو دعاء غير الله ...».

٥١- وقال الشيخ حسين بن مهدي النعمي ١١٧٨هـ في كتابه معارج الألباب: «إن دعاء المخلوق وقصده بذلك من متفاحش الظلم ومتبالغ الشرك ومنازعة في خاص حق الله».

٥٢- وقال الشيخ محمد صديق خان القنوجي في الدين الخالص: «فالدعاء هو التوحيد فمن دعا غير الله فقد أشرك ودعاء غيره شرك لا شك فيه».

وقال: «فمن استغاث بغيره في الشدائد ودعا غيره فقد كفر».

٥٣- وقال الشيخ عبد الله أبو بطين في الانتصار لحزب الله: «ومن العجب قول بعض من ينسب إلى علم ودين أن طلبهم من المقبورين والغائبين ليس دعاءً لهم بل نداء أفلا يستحي هذا القائل .. وقد سمي الدعاء نداء: إذ نادى ربه نداء خفياً».

وقال: «الاستغاثة بالنبي صدرت من كثير من المتأخرين ممن يشار إليهم بالعلم وقد صنف رجل يقال له البكري كتاباً في الاستغاثة ورد عليه ابن تيمية قال الشيخ ابن تيمية: "وقد طاف البكري على علماء مصر فلم يوافقه منهم أحد وطاف عليهم بجوابي الذي كتبته وطلب منهم معارضة فلم يعارضه أحد منهم مع أن عندهم بعض التعصب مالا يخفى ..» مجموع الرسائل [٢/ ٢٤٢].

٥٤- وقال الشيخ محمد بن ناصر الحازمي التهامي ١٢٨٣ في إيقاظ الوسنان: «فإذا رددنا ما تنازعنا فيه وقلنا بتحريم دعوة غير الله والاستغاثة به وجدنا القرآن ينادي بالنهي عن دعوة غير الله ... ».

٥٥- وقال العلامة الحسن بن خالد الحازمي وزير دولة الشريف حمود وأمير عسير الذي قتلته القوات المصرية والتركية القبورية الداعية للشرك في غزواتها لعسير

سنة ١٢٣٤هـ : (من هنا تعلم أن من قصد غير الله بشيء من العبادة فقد ناقض كلمة لا إله إلا الله لعبادته لغيره وإن سماه بما سماه فإن الشرك والكفر هو شرك وكفر لحقيقته ومعناه لا لاسمه ولفظه فمن سجد لمخلوق وقال هذا ليس بسجود له بل هذا خضوع وتقبيل للأرض بالجبهة للإكرام لم يخرج بهذه اللفظة عن كونها سجودا لغير الله ولو سماه بما سماه وكذلك من تقرب بالذبح لمخلوق من جني أو آدمي أو دعاه أو استعان به أو تقرب إليه فقد عبده وإن لم يسم ذلك عبادة بل سماه استخداما...) وكلامه هذا في كتابه قوت القلوب في توحيد علام الغيوب .

٥٦- وقال الشيخ حمد بن معمر: «من دعا ميتاً أو غائباً فقال يا سيدي فلان أغثني واكشف عن شدتي ونحو ذلك فهو كافر مشرك يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء» مجموع الرسائل [٤/ ٥٩٦] .

٥٧- ما اجتمع عليه العلماء في مكة وهم جملة من علماء الحجاز ونجد منهم القليعي مفتي الحنفية والمغربي مفتي المالكية وكتبوا رسالة البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد قالوا : « أن من قال يارسول الله أو يا عبد القادر أو غيرهم من المخلوقين طالبا بذلك دفع شر وجلب خير من كل ما لا يقدر عليه إلا الله من شفاء المريض والنصر على العدو والحفظ من المكروه أنه مشرك الشرك الأكبر وإن كان يعتقد أن الفاعل المؤثر في تصريف الكون هو الله وحده لكنه قصد المخلوقين بالدعاء مستشفعا بهم ومتقربا لهم لقضاء حاجته من الله بسرهم وشفاعتهم له فيها أيام البرزخ... ».

٥٨- ورحم الله المنفلوطي حين تحسر على حال الأمة وما آلت إليه يقول رحمه

الله في كتابه النظرات : «أي قلب يستطيع أن يستقر فلا يطير جزعاً حينما يرى المسلمين أصحاب دين التوحيد أكثر من المشركين إشراكاً بالله وأوسعهم دائرة في تعدد الإلهة وكثرة المعبودات .. ».

المسألة الثالثة عشرة: الشرك عند القبورية والصوفية:

أخرج هؤلاء أكثر أنواع العبادة من العبادة، وأنها لا تكون عبادة إلا مع اعتقاد الربوبية في المعبود فأنكروا أن يكون الدعاء والنذر والذبح وغيرها عبادات. فالشرك عندهم هو اعتقاد النفع والضر والتأثير في غير الله من الخلق . وبمعنى أوضح الشرك هو اعتقاد الربوبية لغير الله ونسبتها للمخلوق.

وإليك النقولات عنهم في ذلك:

قال أحمد زيني دحلان الصوفي الأشعري في الدرر السنية معرفاً الشرك: «فالذي يقدح في التوحيد هو اعتقاد التأثير لغير الله واعتقاد الألوهية واستحقاق العبادة لغير الله، وأما مجرد النداء من غير اعتقاد شيء من ذلك فلا ضرر فيه».

وقال محمد عبده الماتريدي في رسالته التوحيد: «فالإشراك اعتقاد أن لغير الله أثر فوق ما وهبه الله من الأسباب الظاهرة وأن لشيء من الأشياء سلطاناً على ما خرج عن قدرة المخلوقين كالاستشفاء من الأمراض بغير الأدوية ...».

وقال يوسف الدجوي الأزهري: «فقولهم أن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية تقسيم غير معروف لأحد قبل ابن تيمية وما كان الرسول يقول لأحد دخل في الإسلام هناك توحيدان، ولا معنى لهذا التقسيم فإن الإله الحق

هو الرب الحق .. ولا معنى لأن نعبد من لا نعتقد فيه أنه رب ينفع ويضر».

ثم جاء بعد ذلك بكلام يزعم فيه أن المشركين منكرون لتوحيد الربوبية ويرد على ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب تقسيم التوحيد زاعماً أن هذه من بدعهم.

ولم يعلم هذا وأمثاله من الجهال أن الربوبية والألوهية من الألفاظ التي تجتمع في المعنى وتفترق حسب اقترانها في اللفظ مثل المسكين والفقير ومثل الإيمان مع الإسلام والقضاء والقدر والإثم مع العدوان ومثل هذه المترادفات النسبية كثير .

وقال السمهودي في كتابه وفاء الوفاء بأخبار المصطفى: «اعلم أن الاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ وبجاهه وبركته من فعل الأنبياء وسائر السلف الصالح».

وقال ابن الحاج في المدخل: «ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم».

ويقول: «فمن استغاث به أو طلب حوائجه منه فلا يرد ولا يخيب».

وقال محمد علوي مالكي الأشعري الصوفي القبوري في كتابه الشركي مفاهيم يجب أن تصحح: «إنه لا يكفر المستغيث إلا إذا اعتقد الخلق والإيجاد لغير الله».

ولا أطيل بكثرة النقولات الداعية للشرك الصريح والتي تحصر الشرك في الربوبية وتنكر وجود توحيد الألوهية من أئمة الضلال مما يندى له الجبين وتدمع له عين العليم على ما وصلت إليه أمة محمد ﷺ.

وبعد أن قررت عقيدتهم في حقيقة الشرك وقبله التوحيد والعبادة أريد أن أصور لك يا مبتغي الحق كيف وقع هؤلاء الصوفية الأشعرية والماتريدية وغيرهم في التناقض والشرك حتى في الربوبية فماذا سيقول عنهم هؤلاء القبوريين أمثال المالكي والنبهاني ودحلان وغيرهم؟

فبينما يصرحون أن الشرك في اعتقاد النفع والضر في المدعو وأن مجرد الدعاء ليس بشرك نجد أن من أتباع الأشاعرة والماتريدية من الصوفية القبورية من اعتقد النفع والضر في غير الله من الأموات الذين يدعونهم من دون الله، بل وصل بهم الغلو إلى اعتقاد أن هؤلاء الأولياء يتصرفون في الكون ويعلمون الغيب وهذا ما سأنقله عنهم من كلامهم بدون تصرف، وإني لأعلم أن صدرك سيضيق ويتحسر على واقع الأمة ولكن يعلم الله أني ما سطرت هذه السطور إلا نصحاً للأمة ونداء صادقاً لهؤلاء المنتسبين للإسلام وعلى رأسهم الأشعرية والماتريدية الذين يعتبرون السواد الأعظم في وقتنا والذين حرفوا الدين عن واقعه وفشت فيهم البدع والشركيات وعبادة غير الله نداءً لهم بالرجوع للدين والخوف من الله وإبراءً للذمة ومعذرةً إلى ربهم ولعلهم يرجعون وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن هذه الشركيات أعظمها وأقدمها قصيدة البوصيري والتي في مطلعها:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

وقال الآخر:

يا رسول الإله إني ضعيف ... فاشفني أنت مقصد للشفاء

يا رسول الإله إن لم تغثني ... فإلى من ترى يكون التجائي

وقال الآخر يخاطب الرسول ﷺ:

يا ملاذي يا منائي ... يا معاذي يا مقصدي يا رجائي

يا نصيري يا عمدتي يا مجبري ... يا خفيري يا عدتي يا شفائي

وهذه الاستغاثات الشركية واعتقاد أن الرسول ﷺ يشفي ويعافي ويغني ويعلم الغيب ذكرها النبهاني في كتابه الشركي شواهد من الحق.

وقال النبهاني فيه: «إن المسلمين من أهل السنة والجماعة وهم جمهور الأمة المحمدية يعتقدون فيه ﷺ أنه يعلم الغيب ويعطي ويمنع ويقضي حوائج السائلين، ويفرج كربات المكروبين وأنه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء».

وقال القسطلاني الأشعري القبوري صاحب إرشاد الساري شرح صحيح البخاري في كتابه المواهب اللدنية: «فهو خزانة السر وموضع نفوذ الأمر فلا ينفذ أمر إلا منه ولا ينقل خير إلا عنه».

نعوذ بالله من هذا الكلام الخبيث، ولقد صدق محمود شكري الألوسي الحنفي في القسطلاني حيث قال فيه كما في غاية الأحكام: «كان القسطلاني من غلاة القبورية يثبت الواسطة الشركية قياساً لله عز وجل على ملوك الدنيا». كما تابع القسطلاني في بدعته الزرقاني صاحب شرح الموطأ في شرح المواهب.

وانظر لديوان الرحيم البرعي فإنه مليء بالشرك الأكبر حتى في الربوبية قال:

يا من يجود على الوجود بأنعم خضر تعم عموم صوب الصيب

يا عون من في الخافقين وغيثهم وربيعهم في كل عام مجدب

وبمثل هذه الأبيات قال جعفر صادق الميرغني مؤسس الطريقة الختمية.

وقال البريلوي الماتريدي في الاستمداد: «إن مفتاح الكون كلها في يد الرسول ﷺ وهو مالك الكل وهو الذي يملك كلمة كن».

وقال في الاستمداد أيضاً: «إن الرسول هو المبري من السقم والألم وهو

المحيي وهو الرافع للمعضلات والنافع للخلق وهو الحافظ الناصر ودافع البلاء».

وقال في الفتاوى الرضية: «إن الرسول متصرف في الأرض والسماء».

وقال القاضي الباني بتي الديوبندي الماتريدي: «إنه قد ينكشف على بعض الأولياء في بعض الأحيان اللوح المحفوظ فينظرون فيه القضاء المبرم والمعلق».

وقال حسين أحمد الماتريدي في الشهاب الثاقب: «إن الوهابية الخبيثة تستقبح قراءة قصيدة البردة ويجعلونها من الشرك كقول البوصيري يا أكرم الخلق ... ».

هذه أقوالهم الكفرية ومذاهبهم الشركية وكلماتهم المخزية والمخجلة، وما ذكرته من أمثلة ونقول عنهم فيه الكفاية وزيادة وفيه الدليل على وقوع كثير من الأشاعرة والماتريدية خصوصاً المتأخرين منهم ممن تلوث بالصوفية وأرائها الشركية في أصناف الشرك من دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر لهم والذبح لهم والسجود لهم وللأوثان التي عند قبورهم والطواف بها واعتقاد النفع والضر فيهم بل وأعظم من ذلك القول بأن هؤلاء الأولياء والأموات يعلمون الغيب ويطلعون على اللوح المحفوظ ، ويتصرفون في الكون بل ويعافون ويرزقون ويحيون ويميتون نعوذ بالله من الكفر والضلال وقد قدمنا شيئاً من ذلك ونقلنا من كلامهم ومن كتبهم ولم نفترِ عليهم ولولا خوف الإطالة والسأم من كلام لا يقوله حتى مشركي العرب ولا اليهود والنصارى لسقنا المزيد من النقولات والكلام مما يحزن الغيور على الدين والله وحده المستعان وعليه التكلان[1].

---

(١) اعلم أن دعاة القبورية لم ينتهوا إلى هذا الحد ولا يحصرهم بلد أو زمان فمع أيامنا هذه ومع انتشار العلم والحق وقيام الحجة وتسلط الأعداء علينا مما يجعل المفترض رجوع من ضل إلى الحق والاجتماع وترك الشرك والافتراق وعبادة القبور إلا أن المشاهد والواقع غير ذلك فكل يوم يبرز لهؤلاء القبورية إمام يدعو إلى الضلال وأسأل الله لنا ولهؤلاء الهداية والصواب .

المسألة الرابعة عشرة: علاقة الربوبية والصفات بالدعاء وإثباتها به :

من دعا الله فقد أثبت له ربوبيته ووجوده وتصرفه في خلقه وقدرته الكاملة ومشيئته النافذة في كل شيء وأقر بعلوه وقهره وملكوته وقربه وعلمه بكل شيء ورحمته بخلقه ولطفه بهم ورزقه لهم وكرمه وجوده وقدرته عليهم وغناه عنهم وفقرهم وحاجتهم إليه، وإحاطته بهم وسماعه لهم ونظره إليهم وقيوميته عليهم وغير ذلك من صفات الجلال والجمال والكمال والعظمة .

وعليه فإن الدعاء من لوازمه ومقتضيات معناه :

أن يكون المدعو متصفاً بصفات الكمال والجلال والجمال والعظمة وأن يكون الداعي متصف بالإجلال والتعظيم لمدعوه وبالذل والفقر والخضوع له.

فالدعاء يجب لكل من يتصف بالكمال، فالكامل يجب أن يدعى ويرجى، ومن يدعى لابد وأن تكون فيه هذه الصفات الكاملة، ولما علم بالعقل والفطرة أنه لايوجد كامل غير الله لزم ذلك أن لا يعبد غيره ولا يدعى أحد سواه.

وأن من دعا غير الله فقد وقع في ذنبين:

الأول أنه عظم وعبد من لايستحق العبادة فرفع المخلوق لدرجة خالقه وشبه المخلوق بالخالق وأعطاه صفات الربوبية ودان له بالربوبية.

وإذا أردت أن تطلع على المزيد من كلام هؤلاء أو تتعرف على دعاة الشرك من المنتسبين لأهل العلم أو من له كتاب فيه الدعاية للشرك أو ترويج وسائله أو من كان فيه بعض بدع القبورية أو تأثر بهم فقد ذكرتهم في كتابي موقف المتكلملين والصوفية من توحيد الألوهية وكتاب نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية .اعلم أن دعاة القبورية لم ينتهوا إلى هذا الحد ولا يحصرهم بلد أو زمان فمع أيامنا هذه ومع انتشار العلم والحق وقيام الحجة وتسلط الأعداء علينا مما يجعل المفترض رجوع من ضل إلى الحق والاجتماع وترك الشرك والافتراق وعبادة القبور إلا أن المشاهد والواقع غير ذلك فكل يوم يبرز لهؤلاء القبورية إمام يدعو إلى الضلال وأسأل الله لنا ولهؤلاء الهداية والصواب.

والثاني أنه انتقص الرب ﷻ وشبهه بخلقه في الضعف والنقص، فصار بـذلك ظالم لنفسه بتذليلها وإخضاعها وإهانتها لمخلوق مثله مع تنقصه لخالقه.

ولهذا كان الدعاء أشرف العبـادات وأعظـم الطاعـات المقربـة إلى الله تعـالى، وكان دعاء غير الله أعظم الظلم وأخبث الذنوب وأكبر الكبائر .

المسألة الخامسة عشرة: تضمن الدعاء لمعظم العبادات القلبية :

١ – الخضوع والتـذلل والخـشوع والتـضرع والافتقـار والمـسكنة والإطـراح والإنكسار والابتهال والتواضع.

٢ – الرجاء والرغبة فيما عند المدعو والطمع بتحقيق سؤاله وإجابته .

٣– تعظيم المدعو وإجلاله ومهابته وذكره .

٤ – الخشية والخوف والرهبة من الحرمان وعدم الإجابة وإعراض المدعو عنه.

٥ – الالتجاء إلى المدعو وقصده والتوجه إليه.

٦ – محبة المدعو وتعلق الداعي به .

٧– التوكل على المدعو، والبراءة من الحول والقوة إلا به .

فائدة : علاقة التوكل بالدعاء :

أدرج المصنف الإمام محمد بن عبدالوهاب في النـواقض التوكـل ضـمن هـذا الناقض الذي هو الثاني شرك الدعاء مع أن التوكل عبادة قلبية يرجع إلى عمل القلب وهو داخل في الناقض الأول ناقض الشرك، وذلك في قوله رحمه الله :" من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ، ويتوكل عليهم ".

والحكمة من إيراد التوكل في الدعاء :

أولا: أن الدعاء سببه التوكل وهو منبي عليه وثمرة له، فغالباً من يدعو الله فهو متوكل عليه ومن لا يدعو الله تجده غير متوكل عليه .

ثانيا: أن التوكل ملازم للدعاء دائما فمن لا دعاء عنده لا توكل له ومن لا توكل له لا دعاء عنده ولو دعا اللسان من دون حضور القلب لما نفع .

وعليه فمن يدعو غير الله فهو لابد وأن يكون متوكل عليه ، فالدعاء والتوكل متلازمان سلباً وإيجاباً، فالداعي جامع بين السؤال والتوكل على المدعو في تحقيق المراد، والدعاء سببه التوكل فهو مبني عليه .

المسألة السادسة عشرة: خصائص الدعاء :

١ – شموله لمعظم العبادات القلبية، وحضور القلب عند وتعلقه به.

٢ – محبة الله له وأمره به وحثه عليه.

٣– أن فيه إثبات لربوبية المدعو وصفات الكمال وعز الربوبية .

٤ – أن فيه تعظيم وإجلال من الداعي للمدعو .

٥ – أن فيه افتقار وذل وانكسار وخضوع من الداعي وذل العبودية .

٦ – عظم نفعه للداعي والمدعو له .

٧– أن تركه من الكبر الذي يكفر به صاحبه، وعقوبته تكون بإذلاله يوم القيامة وإدخاله في النار صاغرا كما أخبر ﷻ .

٨– كفر من صرفه لغير الله . فمن دعا غير الله في ما لا يقدر عليه إلا الله فهو كافر مشرك خارج من الإسلام .

٩- كراهية سؤال الناس مطلقاً حتى في الذي يقدرون عليه وذلك مـن كـمال التوحيد .

١٠- أن الدعاء من الأسباب الشرعية التي يتحقق بها حصول المراد .

١١- أنه لا يعارض التوكل بل يقوم عليه، وليس من التوكل ترك الدعاء، كما تزعمه بعض الصوفية، ثم تناقضوا حين دعوا الأموات وتوكلوا عليهم.

١٢- أن الدعاء ووقوع الإجابة لا يعارض القدر والرضا به فهـو مـن القـدر وليس بخارج عنه .

١٣- أن الله يستجيب لمن دعاه فقد استجاب للكفار وإبليس حين دعوه وهذا لكمال كرمه وفضله وجوده .

١٤- أن الله لا يعبأ بمن لا يدعوه، ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ الفرقان: ٧٧ .

١٥- غضبه على المعرض عنه .

١٦- عدم تقيده بزمان أو مكان .

١٧- سهولته ويسره وعدم الكلفة والمشقة فيه.

١٨- أنه يقوي القلب ويعلقه بالله ويطرد عنه الخـوف والهـم وينمـي التوكـل والرجاء .

المسألة السابعة عشرة: آداب الدعاء وشروط قبوله :

للدعاء آداب كثيرة تحقيقها من كمال التوحيد من ذلك .

حضور القلب، الإلحاح في المسألة، الإخلاص، عدم الاستعجال، التوبة، التوسل بالأسماء الحسنى، الثناء على الله، رفع اليدين، استقبال القبلة، الطهارة، الصلاة على الرسول ﷺ، عدم الاعتداء في الدعاء أو الدعاء بالأثم وقطيعة الرحم، عدم التلبس بالحرام .

وكل هذه الآداب ليس هنا محلها فبحثها محله بكتب الرقائق والآداب .

المسألة الثامنة عشرة: تسمية الدعاء ديناً والمدعو إلهاً :

سمى الله تعالى الدعاء دينا وأمرنا بالإخلاص فيه قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ غافر: ٦٥ ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ العنكبوت: ٦٥.

وهذا الدين قسمان :

دين حق قيم وهو دعاء الله وحده .

ودين باطل وهو دعاء غير الله ومن ذلك تسمية دعاء غير الله والشرك به ديناً .

كما سمى الله سبحانه المدعو إلهاً ومعبوداً كما تقدم .

المسألة التاسعة عشرة: أقسام الدعاء :

ينقسم الدعاء إلى : دعاء مسألة ودعاء عبادة .

قال تعالى : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر: ٦٠ .

قيل: أعبدوني أثيبكم ، وقيل: أسألوني استجيب لكم، والمعنيان صحيحان .

كما يكون الدعاء على هيئة ثناء وتوحيد وتعبد كدعاء الله بأسمائه وصفاته كدعاء يونس: ﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٧.

ويكون بذكر الحاجة مباشرة مجردا عن ثناء على الله وذكر وتوحيد.

- وينقسم إلى دعاء بطلب حضوض الآخرة، ودعاء بطلب حضوض الدنيا .

- وينقسم إلى دعاء واجب وهو دعاء الله، ودعاء شركي وهو دعاء غير الله في ما لا يقدر عليه إلا الله ، ودعاء جائز .

- وينقسم إلى دعاء عبادة وهو المتضمن التذلل والخضوع والتعظيم، ودعاء العادة وهو دعاء المخلوق فيما يقدر عليه من دون تذلل ولا تعظيم وهذا جائز.

- وينقسم إلى دعاء بصيغة إنشائية طلبية ودعاء بصيغة خبرية.

- وينقسم إلى دعاء بالمقال ودعاء بالحال

- وينقسم إلى دعاء باللسان ودعاء بالقلب .

فمن الناس من يدعو بلسانه وقلبه، ومنهم من يدعو بلسانه فقط وأما قلبه فمنشغل بغير الدعاء، ومنهم من يدعو بقلبه وحاله دون لسانه، وأكمل الحالات الأولى.

- وينقسم إلى دعاء رغبة وجلب خير ودعاء رهبة ودفع ضر .

- وينقسم إلى دعاء بالصريح وطلب بالتلميح كدعاء أيوب ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٣ ، فبيّن حاله وضعفه وأثنى على الله بسعة رحمته ولم يصرح منه بالطلب كقول: اللهم عافني .

ومثله يونس في دعائه بيّن حاله وصفة ربه وأثنى عليه .

المسألة العشرون: أحكام الدعاء :

١ – الدعاء التعبدي الواجب: وهذا ركن في الدين يجب فيه التوحيد وتارك الدعاء بالكلية كافر ، فدعاء الله واجب يأثم من يعرض عنه ولا ينظر الله للعبد ولا يعبأ به إذا ترك دعاءه، وتارك الدعاء داخل في الإلحاد ، ومن الدعاء الواجب دعاء الصلاة في التشهد وغيره.

٢– الدعاء المحرم: وهو دعاء الله بالإثم وقطيعة الرحم .

٣– الدعاء المباح: وهو الدعاء بمصالح الدنيا، ودعاء المخلوق في أمر يقدر عليه .

٤– الدعاء البدعي: وهو دعاء الله بالتوسل المبتدع أو قصد دعاء الله في مكان مخصوص لم يثبت به النص أو يدعى فيه غيره أو دعاء الله بألفاظ مبتدعه.

٥– الدعاء الشركي الكفري: وهو دعاء المخلوق في أمر لا يقدر عليه إلا الله .

المسألة الحادية والعشرون: تارك دعاء الله :

دعاء الله تعالى واجب ، ويغضب الله ممن يترك دعائه كما صح بذلك الحديث ،

عن أبي هريرة مرفوعاً : (من لم يدع الله يغضب عليه) أحمد والترمذي .

وفي لفظ : (من لم يسأل الله يغضب عليه) الترمذي وغيره.

ومن ترك دعاء الله بالكلية فهو كافر غير مسلم، لأن تاركه تارك للعبادة خارج عنها مستكبر معرض عن طاعة ربه، والدليل على ذلك قوله تعالى :﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠ .

وقال النبي ﷺ في عبدالله بن جدعان أنه في النار لأنه ما قال: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين .

وقال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٠.

المسألة الثانية والعشرون: ضابط الدعاء الشركي وأقسامه :

يكون بدعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، وهو قسمان :

الأول : الطلب من الميت أو الغائب ودعائه وسؤاله.

الثاني : الطلب من الحي في ما لا يقدر عليه إلا الله كأفعال الربوبية إنزال المطر والرزق والعافية.

المسألة الثالثة والعشرون: شروط جواز دعاء المخلوق :

١- أن يكون المخلوق حياً حاضراً يسمع .

٢- أن يكون قادراً على ما طُلب منه فلا يكون خارجاً عن قدرة الخلق .

ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ القصص: ١٥.

فإذا طلب من المخلوق حال موته أو غيابه أو سأله الشفاعة عند الله كل ذلك أمور غير مقدور عليها بالنسبة للمخلوق المدعو، كذا لو طلب من حي أمر لا يقدر عليه كان ذلك من الشرك .

فائدة : طلب الشفاعة من الرسول ﷺ يوم القيامة هو من جنس سؤاله أن يستسقي حال حياته .

الرابعة والعشرون: كراهية السلف أن يطلب منهم الدعاء :

ومن ذلك كراهية حذيفة وأنس وغيرهم طلب الدعاء منهم .

قال ابن رجب : (وقد كان عمر وغيره من الصحابة والتابعين يكرهون أن يطلب منهم الدعاء ، ويقولون: أنبياء نحن؟ فدل على أن هذه المنزلة لا تنبغي إلا للأنبياء وكذلك التبرك بالآثار) الحكم الجديرة ٤٦ .

وإذا كان هذا في حياتهم فكيف بالسؤال الشركي المحرم بعد موتهم .

فائدة : الرسول ﷺ طلب من أمته أن تدعو له وكذا طلب سليمان من ملئه الإتيان بعرش ملكة سبأ من باب الأمر وليس السؤال والحاجة، وهذا من باب أمرهم وليس سؤالهم والافتقار إليهم وإنما الله أمره بذلك، والمشركون عكسوا الأمر فطلبوا من الرسول مالا يملكه في حياته فضلاً عن بعد موته .

قاعدة : أمر الله رسوله أن يدعو للمؤمنين ويستغفر لهم ولم يأمر العباد أن يدعونه من دون الله ولا يسألونه شيئاً بل كره لهم كثرة السؤال ونهاهم عنه وحذرهم منه وأمرهم بالتوجه له تعالى كما في قوله ﷺ : (وإذا سألت فسأل الله) وإذا كان هذا في السؤال المباح فكيف بالسؤال الشركي المحرم والطلب فيما لا يقدر عليه إلا الله .

المسألة الخامسة والعشرون: ترك سؤال الناس مطلقاً من كمال التوحيد:

ترك سؤال الناس هو الأصل والموافق للفطرة، لأن كل مخلوق حاجته عند ربه الذي خلقه وهو العالم بما يصلح له ويحتاجه وهو القادر وحده على تحقيق حوائجه، وهذه الصفة غير موجودة في أي مخلوق كان، لذا وجب أن يسأل كل عبد ربه كل حوائجه وأن يترك سؤال المخلوقين مطلقا، وهذا يحمل المرء على التعلق بالله في كل

شؤونه وأن يكون اعتماده وتوكله عليه وافتقاره إليه، وهذا ما يريده ربنا منا وهو الذي خلقنا لأجله ألا وهو تحقيق عبادته .

ومما يدل **على كراهة سؤال الناس** وأن الأصل فيه التحريم :

وصية الرسول ﷺ لابن عباس : (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله) رواه الترمذي .

كما أنه بايع ﷺ بعض أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً ، حتى إن الواحد منهم يسقط سوطه وهو على راحلته فلا يقول لمن بالأرض ناولني إياه وإنما ينزل بنفسه ليأخذ سوطه .

وهذا في حديث عوف بن مالك : لما بايعه أسر له ألا تسألوا الناس شيئا . قال الرواي : كان إذا سقط سوط أحدهم لا يقول لأحد من الناس اعطني سوطي. رواه مسلم .

وقول الرسول ﷺ: (إن الله كره لكم ثلاثاً) وعدّ منها كثرة السؤال متفق عليه.

فمن كمال التوحيد أن لا يسأل العبد الناس شيئاً.

حديث ثوبان : من يتكفل لي بشيء وأكفل له الجنة قال ثوبان : أنا قال لا تسأل الناس شيئا .

وقال النبي ﷺ : (من سألنا أعطيناه ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا) رواه أحمد.

وقال النبي ﷺ : (ولا يسترقون) متفق عليه.

وقال النبي ﷺ : (لا تزال المسألة بأحدهم حتى يأتي ليس في وجهه مزعة لحم) متفق عليه .

وقال ﷺ : (لا تحل المسألة إلا لذي غرم مفظـع أو دم موجـع أو فقـر مـدقع) رواه أبو داود والنسائي والترمذي .

ونحوه عند حديث : إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة ، وفيـه مـن أصـابته جائحـه بدل الدم.

فبدل مشركو زماننا قولاً غير الذي قيل لهم حيث طلبوا وسألوا الناس أحيـاء وأمواتا كل شيء، ثم زعموا أن سؤال الناس أكرم وأفضل وأحـب إلى الله وأن ذلـك من تعظيم دينه وتوقير أوليائه .

المسألة السادسة والعشرون: صور الدعاء البدعي المحرم :

١ – تحري دعاء الله عند القبور وأماكن الشرك .

٢– التوسل إلى الله بذات المخلوق أو الجاه أو الحق .

٣– الأحزاب والأوراد الصوفية المبتدعة .

٤ – الدعاء بالإثم وقطيعة الرحم .

المسألة السابعة والعشرون: صور الشرك في دعاء غير الله ﷻ :

١ – دعاء الأموات من الأولياء والأنبياء ، كقول النصارى: يا عيسى اشفع لنا عند الله، وكقول مشركي هذه الأمة: يا نبي الله اشفع لنا عند الله، والشفاعة يا محمـد أو أغثني يا رسول الله، ومثله دعاء أصحاب القبور .

وكل هذا شرك في الألوهية ويلزم منه الشرك في الربوبية .

٢– يا نبي الله أغفر لي وارزقني وأنزل المطر وانصرنا على الأعداء ، وهذا شرك في الربوبية صريح .

٣- يا نبي الله أدع الله لي واستغفر لي عند الله ، وهذا شرك أكبر في الألوهية .

٤- يا الله ويا محمد أعطنا ، وهذا أيضاً شرك أكبر .

٥- دعاء الجن والملائكة فيقول يا جن أفعلوا وأتركوا ويا ملائكة السماء أرفعي فلان واخسفي بفلان ، وهذا أيضاً شرك أكبر .

٦- دعاء الإنسان الحي الغائب الذي ليس بحاضر مما يقدر على فعله لو كان حاضراً وهذا شرك أكبر كقول يا فلان أنقذني من الغرق .

٧- دعاء الحي الحاضر فيما لا يقدر عليه كأن يقال: يا فلان أنزل المطر ونلتمس منك الرزق ورد الموت عنا.

المسألة الثامنة والعشرون : المخالفات في باب الدعاء :

١- دعاء غير الله .

٢- الإعراض عن دعاء الله .

٣- اعتقاد أن الدعاء لا ينفع ولا يضر وأن مخالف للقدر والرضا والتوكل وأنه ليس بسبب شرعي ومن هؤلاء الصوفية والمعتزلة .

٤- الدعاء البدعي والمحرم ، وذكرنا صوره .

المسألة التاسعة والعشرون: الحكمة من إجابة دعاء المشرك عند القبر :

قد يأتي المشرك ويدعو صاحب القبر فتستجاب له دعوته وهذه الاستجابة ليست إلا لحكم منها :

١- ابتلاء من الله وامتحان حيث يستجيب الله لهذا الداعي لغيره ابتلاءً.

٢- قد يكون الله ﷻ استجاب دعاء هذا المشرك لأنه وجد في قلبه التجاء مع دعاءه الشركي فقد يدعو الله دعاء فيه إلحاح والتجاء وصدق واضطرار فيستجيب الله دعاءه، كما قال تعالى ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ العنكبوت: ٦٥.

٣- أن رحمة الله ومقتضى قيوميته أن يعطي خلقه مسلمهم ومشركهم ما يحتاجون إليه .

٤- أنه قد تأتي الشياطين فيوقعون ما يريده الداعي فيتوهم أن ذلك حصل من فعل ذلك الولي، وبسبب ذلك القبر، بل قد يتسبب الجان في عدم حصول أمر كالحمل مثلا ثم يسولوا لهذا المشرك أن يدعوا وليا من الأولياء فإذا دعاه تركوا المنع فيحصل الحمل فيظن المشرك أن ذلك بسبب استجابة دعاء الولي .

كذلك تكلم الشيطان على لسان الأصنام والأموات لفتنة المشركين، وهذا من التزيين والاستمتاع الذي أخبر الله تعالى به عنهم .

إلا أن مع هذا كله لا يحصل للمشرك من تحقيق ما دعاه غير الأمور الحقيرة أما الأمور العظيمة فلا تقضى ألبته.

الثلاثون: دعاء غير الله أصل شرك العالم ودين جميع المشركين:

كل الأمم وقعت في شرك الدعاء ومخاطبة غير الله من المخلوقين واستعاذوا بهم، سواء كان المدعو من الأموات وهذا الأصل أو من الملائكة أو الجن أو النار أو الكواكب والنجوم والشمس والقمر أو الأشجار والأحجار والأصنام والأوثان والتماثيل أو صور لهؤلاء.

فائدة : دين المشركين وملتهم هو الشرك بالله بوضع الوسائط بينهم وبين الله لتشفع لهم بزعمهم .

قال ابن القيم في المدارج: (ومن أنواع الشرك : طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته) .

الحادية والثلاثون: لماذا حصل الشرك في الدعاء، ولماذا دعا المشركون غير الله؟

قياس المشركين الرب ﷻ على ملوك الدنيا في الشفاعة .

وذلك أن كل شرك حصل من الأولين والآخرين بدعاء غير الله تعالى لأنهم قاسوا الملك الجبار سبحانه وتعالى بملوك الأرض، فظنوا أنه كما أن للملوك الأرض حجاباً ووسائط وشفعاء يوصلون لهؤلاء الملوك دعاءهم وشفاعتهم وطلباتهم وحوائجهم لأنفسهم، فكذلك الله ﷻ مثل الملوك المخلوقين، فصاروا يتخذون بينهم وبين الله ﷻ وسيطاً يقربهم إلى الله ويشفع لهم فيما يريدون، وهذا في الحقيقة هو ظن سيء بالله ﷻ وافتراء على الله الكذب وقدح في الله وعدم تقديره، إذ كيف يشبه مالك الملك ﷻ مالك الرقاب بعبيده المخلوقين من تراب ويشبه من له الغنى المطلق بالفقير المسكين المحتاج .

ثم إن ملوك الأرض محتاجون لشفاعة الشافعين وذلك لجهلهم وعدم معرفتهم وإحاطتهم بما هو تحتهم ولعجزهم وعدم قدرتهم على تصريف أمور ممالكهم بأنفسهم ، أما الملك الحق ﷻ فليس بمحتاج لذلك، فهو لا يغيب عن علمه شيء وليس له مكره فيما يعطي ويؤتي، وهذا بعكس هؤلاء الملوك فإنه يشفع عندهم

الشافع ويدعون من غير أن يستأذنوا، فيوصلوا إليهم طلباتهم ويعرفوا ماذا يريدون لعدم علمهم ولجهلهم ولعدم قدرتهم ولعدم إطلاعهم على من خلفهم، وهذا لا يكون في الله ﷻ بل هو تعالى يطلب منه مباشرة .

الثانية والثلاثون:لماذا كان دعاء غير الله أعظم الذنوب:

الحكمة في ذلك لأن فيه مساواة بين الخالق والمخلوق ، حيث يضع المشرك ربه ﷻ الملك الحق بمنزلة الملك البشري المخلوق الفقير المحتاج الجاهل بمن خلفه، فشبه الله سبحانه مالك الملك بملوك الأرض الذين يخفى عليهم الشيء الكثير ويخفى عليهم ما دونهم ويجهلونه . وتقدمت هذه المسألة في الناقض الأول .

المسألة الثالثة والثلاثون: مفاسد دعاء غير الله وما فيه من قبائح :

١- أن فيها التجاء وتوجه وافتقار لغير الله .

٢- أن فيها إهانة العبد لنفسه حين يترك عبادة الله إلى عبادة مخلوق مثله.

٣- تضييع لمعنى العبودية لله التي هي أشرف صفات العبد وأعلى مقاماته .

٤- أن فيه هضم لحق الربوبية وإبطال لمقتضياتها وترك تعظيم الرب وسؤاله .

٥- نسبة الألوهية للمخلوق ووصفه بالربوبية والكمال واستحقاق للعبادة .

٦- تنقص جناب الربوبية وذلك بترك عبادته لأن غيره أنفع وأقدر وأجوب.

٧- أن فيها شكاية الرب الرحيم على المخلوق، وكأن حال الداعي يقول تركنا دعاء الله لعدم فائدته ولجئنا إلى من يرحمنا ويقدر على كشف ضرنا ويعلم بحالنا.

٨- أن فيه إساءة الظن بالله وعدم تقديره.

٩- أن فيه تشبيه الخالق بالمخلوق وذلك باعتقاد أنه محتاج لواسطة تشفع عنده، كما أن فيه تشبيه المخلوق بالخالق وذلك بأعطائه صفات الألوهية وأنه يدعى.

١٠- أن دعاء وعبادة غير الله من الشرك المخرج عن الإسلام والكفر البواح .

١١- تفويت الخير من الله والثواب وإجابة المطلوب .

١٢- خسران رضا الله تعالى والجنة وإيجاب سخطه والنار.

١٣- أن من دَعا غير الله فقد عظم وخضع وذل وأنكسر وافتقر لمخلوق مثله، لأن الداعي يقبل على مدعوه بقلبه ووجه رغبة إليه ورهبة منه ورجاء له.

١٤- من دعا غير الله ﷻ فإنه لم يعط الله تعالى حقه في اسمه الرحيم والعليم والقدير ولم يعط هذه الأسماء حقها .

١٥- أن دعاء غير الله تعالى واعتقاد أن هذا مما أمر الله به وشرعه في غاية الافتراء والكذب على الله ﷻ وهو من أشنع الظلم والعدوان والافتراء على الله ﷻ . وعدم تقدير الله سبحانه وفيه سوء أدب مع الله ﷻ وغير ذلك من اللوازم الشنيعة.

١٦- أن في دعاء الأولياء والصالحين وطلب الشفاعة منهم عدوان عليهم فمن دعا الرسول ﷺ أو غيره فقد اعتدى عليه وهذا عدوان وظلم للمدعو، ولذلك كل مدعو يتبرأ من المشركين به، فهذا عيسى يتبرأ من عباده ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ المائدة: ١١٧، والملائكة تتبرأ من عابديها ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ سبأ: ٤٠ - ٤١.

الرابعة والثلاثون: بطلان وفساد وضياع كل عبادة ودعوة سوى دعوة الله:

وصف الله ﷻ المعبودين المدعوين من دون الله وعابديهم الداعين لهم وحال الدعاء بصفات تنبئ عن بطلان وخسارة أعمالهم وأنهم خسروا الدنيا والآخرة ولم يستفيدوا شيئاً لا استجيب لدعائهم ولم يسلموا من الكفر والشرك .

فأثبت الله ﷻ بطلان وضياع دعائهم وتشفعهم، وأن ضرره أقرب من نفعه، وبين أوجه الضر فيها وهي كثيرة . كما وصف حال المعبود المدعو بأنه لا يستجيب ولا يسمع ولا يملك شيئاً وأنه مخلوق وأنه غافل أو ميت، ووصفهم الله بأنه ليس لهم إذن في الشفاعة وليس لهم ملك ولا مشاركة ولا إعانة، وأنهم لا ينفعون ولا يضرون ولا يغيرون ما قدره الله وأنهم يصيرون أعداء لهم يوم القيامة ويتبرؤون من عبادتهم، كما وصف الله ﷻ الداعي بالخاسر الغير مستفيد والضائع الهالك، وهذه الصفات تجعل دعاء غير الله في بطلان وخسارة وضياع فيجب تركه عقلا وشرعا .

المسألة الخامسة والثلاثون: الفرق بين الطلب من الخالق والطلب من المخلوق:

١ - أن صلاح الإنسان وحاجته وفرحه وسعادته في لا إله إلا الله، فهي كلمة التوحيد ودعوة الحق، وبالتوجه لله وحده تحصل اللذة والسكون والاطمئنان بذكره، وليس في الكائنات ما يشبع هذه الغريزة في العبد حتى ولو وجد نوع من اللذة والمودة في التعلق بغير الله فهو مفسدة لصاحبه قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء: ٢٢ ففساد الآلهة والمعبودات الباطلة الظالمة من جهة الألوهية والربوبية معاً. وصلاح الإنسان بربه وتلذذه باتصاله به وحاجته وفقره لربه دائمة لا تنقطع بخلاف المخلوق فربما يتلذذ ويستصلح بالقرب منه تارة ويتأذى منه تارة أخرى ولهذا قال الخليل ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴾ الأنعام: ٧٦.

٢- أن المخلوق ليس عنده للعبد نفع ولا ضر ولا عطاء ولا منع ولا هدى ولا ضلال ولا نصر ولا خذلان بل ربه هو الذي خلقه ورزقه فإذا مسه ضر لم يكشفه غيره ولا ينفعه المخلوق ولا يضره إلا بإذن الله وهذا الوجه أظهر من السابق ولهذا خوطب الناس به في القرآن أكثر من السابق وجعل هذا طريقاً لذلك . وهذا الوجه يقتضي التوكل على الله والاستعانة به ودعاءه دون غيره ومحبة الله وعبادته .

٣- أن تعلق العبد بما سوى الله مضرة عليه كالتضرر بالطعام إذا زاد عن قدره وكذا من أحب شيئا لغير الله فإن مضرته أكثر من منفعته ويوم القيامة يتعادى الأخلاء، وحزن العبد إذا فاته ما يحب مضرة له فصارت المخلوقات وبالاً عليه إلا الله وهذا يحقق معنى حديث (الدنيا ملعونة).

٤- أن اعتماد العبد على المخلوق وتوكله عليه يوجب له الضرر من المخلوق نفسه فما علق العبد رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب ظنه فيه ولا استنصر بالمخلوق إلا خذله ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴾ مريم: ٨١ - ٨٢ ، وهذا بخلاف عبادة الله والاستعانة به فإن فيها غاية النفع بالعبد وصلاحه وكفايته فمن توكل على الله واستعان به كفاه .

٥- أن إحسان الرب لعبده لكمال كرمه ورحمته وليس للرب مصلحة في ذلك ونفع له تعالى، وهذا بخلاف المخلوق فإنه لا ينفع أحدا ولا يحبه إلا لرجاء نفع من الله أو من ذلك المخلوق ومن تدبر ذلك منعه أن يرجو المخلوق أو يطلب منه شيئاً .

٦- أن غالب الخلق يطلبون إدراك حاجتهم بك وإن كان ذلك ضرر عليك فإن صاحب الحاجة لا يطلب إلا قضاء حاجته .

٧- أنه إذا أصابك مضرة فالخلق لا يقدرون على دفعها إلا بإذن الله، ولا يقصدون دفعها إلا لغرض لهم في ذلك، فلو حاول الخلق أن ينفعوك أو يضروك لم يفعلوا ذلك إلا بأمر قد كتبه الله عليك وبإذن الله، فلا تعلق بهم رجاءك وخوفك .

جماع ما سبق أنك إذا كنت غير عالم بمصلحتك ولا قادر عليها ولا مريد لها كما ينبغي، فغيرك من الناس أولى أن لا يكون عالماً ولا قادراً ولا مريداً وأن تكون أجهل بحال غيرك وأعجز عن نفعه، والله سبحانه وحده هو العالم القادر المتفضل بإنعامه وعطائه ولذلك جاء دعاء الاستخارة . وكل مخلوق لا يتحرك إلا بإرادته ولابد له من مراد يريده ولا يحصل المراد إلا بأسباب . فالعبد مجبول على قصد الشيء وإرادته والاستعانة بكل ما يحصل مراده .

السادسة والثلاثون : تغيير اسم شرك الدعاء عند مشركي زماننا :

يسمي مشركو زماننا شرك الدعاء التوسل بالأولياء وتعظيمهم وغير ذلك .

ويسمون الإله المدعو ولياً وسيداً .

وكل هذا لا يغير حكمه وكونه كفرا مخرجا من الملة .

فائدة : الفرق بين عبدة القبور وأولئك المشركين الأولين :

أن الأولين هم أصحاب اللغة بالسليقة ، ولهذا عندهم كل ما يتوجه به للمخلوق بطلب أو خوف ورجاء وتوكل مما ليس من الأسباب العادية المشتركة بين الناس والتي لا يقدر عليها إلا الله ، فهو يدخل في مسمى العبادة .

وأما المتأخرون فلما لقنوا أن العبادة لا تكون إلا لله سموا عبادة التوسط عند الله توسلاً ، وسمو من توجه إليه وسيلة وشفيعاً ووليا كما كان يسميه المشركون

الأولون وإنما خالفوهم في تسميته إلهاً وتسمية وساطته عبادة وهي تسمية لغوية صحيحة في اللغة ، فالخلاف بينهما لغوي محض .

فحال عباد القبور أنهم يقولون كلمة التوحيد مجردا عن العمل بمقتضاها لكونهم لم يفهموا معناها، فهم يعتقدون أن للأولياء تأثيراً غيبيا ويسند إليهم التصرف في الكون إما بالذات وإما بالشفاعة أو الكرامة عند الله ، ولذلك يدعونهم مع الله، فدعاؤهم شرك في الألوهية وعقيدتهم شرك في الربوبية.

فصل : حقيقة الشفاعة وشرك الشفعاء

المسألة الأولى : تعريف الشفاعة :

الشفع ضد الوتر والفرد، بمعنى الزوج والاقتران والجمع والضم والطلب . والاستشفاع : طلب الشفاعة . سميت شفاعة لمشاركة الطالب بعد أن كان وحده.

وفي الاصطلاح : طلب الخير للغير والسؤال في التجاوز عن الذنوب .

أو هو التوسط للغير بجلب نفع أو دفع ضر .

المسألة الثانية: أدلة الشفاعة :

أدلة الشفاعة من كتاب الله الكريم :

وقد ورد موضوع الشفاعة في أربعٍ وعشرين آية .

أولاً : أدلة شروط الشفاعة :

١ – قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٥٥.

٢ – قال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ النجم: ٢٦.

٣– قال تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوۡلًا ﴾ طه: ١٠٩.

٤ – قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ الأنبياء: ٢٨.

٥ – قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ سبأ: ٢٣.

٦ – قال ﷻ: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾ يونس: ٣.

ثانياً : أدلة الشفاعة المنفية :

٧- قال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ الأنعام: ٥١.

٨- قال تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ غافر: ١٨.

٩- قال: ﴿ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ البقرة: ٢٥٤.

١٠- قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ البقرة: ١٢٣.

١١- قال تعالى: ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ السجدة: ٤.

١٢- قال تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ المدثر: ٤٨.

١٣- قال تعالى: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ الأعراف: ٥٣.

ثالثاً: نفي الشفعاء وبطلان شفاعتهم وإثبات الشفاعة لله وأنها ملك لله وحده:

١٤- قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الزمر: ٤٤.

١٥- قال: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ الروم: ١٣.

١٦- قال تعالى: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ يس: ٢٣.

١٧- قال تعالى: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ مريم: ٨٧، فالشفاعة لا يملكها أحد سوى الله ﷻ ولا تحصل إلا لأهل التوحيد وهو العهد المقصود في الآية، وحصولها لهم لا يلزم ولا يدل على أن لهم ملكاً فيها.

١٨ – قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـًٔا ﴾ الزمر: ٤٣، وهذا سؤال استنكار يفيد نفي الشفاعة وأن الشفعاء الذين اتخذهم المشركون لا يملكونها.

١٩ – قال: ﴿ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ الزخرف: ٨٦، وهذا استثناء منقطع يفيد أن الشفاعة لا يملكها أحد ، ولا ينافي ذلك إذنه فيها للبعض فإن شفاعتهم من غير أن يملكوها وإنها بعد أذن الله، فيكون المستثنى بقوله إلا من شهد بالحق حصول الشفاعة لا ملكها ، وهذا ما رجحه ابن تيمية ، وقيل الاستثناء متصل ومعناها لا يملك أحد الشفاعة وينالها لا الشافع ولا المشفوع له إلا من يشهد بالحق الذي هو التوحيد ،والأول هو الصحيح .

انظر الفتاوى ١٤/ ٤٠٩.

ويتبين من الآيات السابقة أن الله ﷻ لما أخبر أن الشفاعة ملك لله وحده وكان المشركون يريدون الشفاعة من غيره عاملهم الله ﷻ بنقيض قصدهم من جميع الوجوه فحرموا الشفاعة لأن طريقها الوحيد هو التوحيد والإيمان الحق بلا إله إلا الله قولاً وعملاً .

أدلة الشفاعة من السنة المطهرة :

١ – عن أبي هريرة ؓ أنه قال: قلت يا رسول الله : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : (لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصا من قلبه) رواه البخاري .

٢- حديث الشفاعة الطويل المتفق عليه عن أبي هريرة وفيه قال ﷺ : (فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي) ، وفي رواية : (فيأتونني ، فأستأذن على ربي فيؤذن لي ، فإذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله فيقول لي) .

وفي بعض ألفاظ حديث الشفاعة بسند ضعيف : (فأقول يارب وعدتني الشفاعة) .

٣- حديث أبي سعيد الخدري الطويل في شفاعة الشافعين في أهل النار وفيه: (فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين) متفق عليه .

٤- وعنه في مسلم : (أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم فأماتتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل) .

٥- عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ... وأول شافع وأول مشفع) رواه مسلم .

٦- عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ : (لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً) رواه مسلم .

٧- حديث عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: (أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة ، فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئاً) رواه الترمذي .

٨- عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) رواه أبو داود والترمذي .

٩- حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وفيه قال ﷺ : (من سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة) رواه مسلم .

١٠- قال النبي ﷺ : (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئا) وقال : (يا فاطمة بنت رسول الله سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً) رواه مسلم.

١١- حديث جابر ﷺ قال رسول الله ﷺ : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي) ومنها : (وأعطيت الشفاعة) رواه البخاري ومسلم.

المسألة الثالثة : كلام أهل العلم في الشفاعة الشركية :

قال ابن تيمية : (الملائكة وغيرهم لا يملكون الشفاعة فليس توليهم والاستشفاع بهم هو الذي يوجب أن يشفعوا، فليس أحد ممن يُدعى يملك الشفاعة ولكن من شهد بالحق وهو يعلم، فإن الله يشفع فيه، فالذي تنال به الشفاعة الشهادة بالحق وهي التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله، فلا تنال بتولي غير الله ولا دعاؤه فمن والى أحداً ودعاه وقرب له القرابين ليشفع له لم يغن ذلك عنه من الله شيئاً وكان من

أبعد الناس عن شفاعته وشفاعة غيره ، فإن الشفاعة إنما تكون لأهل التوحيد ومن تولى أحداً من دون الله فهو مشرك . فالذين عبدوا الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين ليشفعوا لهم ودعوهم من دون الله كانت عبادتهم إياهم ودعاؤهم وإشراكهم بربهم الذي به طلبوا شفاعتهم به حرموا شفاعتهم وعوقبوا بنقيض قصدهم لأنهم أشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً) بتصرف الفتاوى ١٤/ ٤١٢ .

وقال القرطبي في تفسيره لآية سبأ (ولا تنفع الشفاعة): (الشفاعة لا تكون من أحد من هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام ، إلا أن الله تعالى يأذن للأنبياء والملائكة في الشفاعة).

قال الرازي في تفسيره ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ يونس: ١٨: (أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر يكونون شفعاء لهم عند الله تعالى، ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله) .

قال ابن القيم في النونية :

وله الشفاعة كلها وهو الذي ... في ذاك يأذن للشفيع الداني

لمن ارتضى ممن يوحده ولم ... يشرك كما قد جاء في القرآن

ولابن القيم كلام نفيس متناثر في باب الشفاعة في إغاثة اللهفان ومدارج السالكين والجواب الكافي سنورده في مواضعه .

المسألة الرابعة: أركان الشفاعة :

١ – الشفاعة : وهي الفعل نفسه والطلب الذي يقوم به الشافع.

٢ – الشافع (الشفيع والمشفّع) وهو الطالب والمتوسط .

٣ – المشفوع له : وهو صاحب الذنب وطالب الشفاعة المنتفع بها .

٤ – المشفوع عنده وإليه: وهو المتصرف في الأمر والمالك للعقوبة والعفو عنها والحاكم بالتوبة والقابل للشفاعة .

٥ – المشفوع فيه : وهو الذنب الذي استحق فاعله عليه العقوبة، أو الطاعة وعمل الخير الذي يرجو أن يثاب عليه وتقبل منه .

المسألة الخامسة: مذاهب الفرق في الشفاعة :

الناس فيها طرفان ووسط على ثلاثة أقوال :

القول الأول: إن الشفاعة جميعها منفية إلا النزر القليل اليسير ؛ فنفوا الشفاعة للعصاة يوم القيامة فالرسول ﷺ لا يشفع في العصاة فمن عصى الله ﷻ فهو خالد مخلد في النار لا يخرج منها ولا يشفع فيه شافع، وهذا قول الخوارج والمعتزلة والزيدية وغيرهم ممن ذهب إلى مذهب الوعيدية فهؤلاء غلوا في إنكارها .

القول الثاني: من غلا في إثباتها وجعل الشفاعة مطلقة في الدنيا وفي الآخرة، فأثبت الشفاعة لمحمد ﷺ في الدنيا وأثبت الشفاعة لغيره من الأولياء من غير أن يأذن الله ومن دون أن يرضى ؟

وهذا مذهب الصوفية والرافضة والقبورية.

الثالث: وهو قول من توسط بين هؤلاء ، وهم أهل السنة والتوحيد الذين لم ينفوا الشفاعة بالكلية ، ولم يثبتوها بالكلية بل توسطوا فيها فأثبتوها بشروط وإذا انتفت الشروط انتفت الشفاعة ، فقالوا : الشفاعة تثبت بإذن الله ورضاه يوم القيامة.

المسألة السادسة: أقسام الشفاعة : باعتبارات :

١ – تنقسم الشفاعة إلى شفاعة لجلب خير وشفاعة لدفع شر .

فالأولى في قبول الحسنات والتقريب ، ومن أنواع الشفاعة الصحيحة المتعلقة بها الشفاعة في دخول الجنة ورفعة الدرجات فيها .

ويدل لهذا القسم قوله تعالى : ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣.

والثانية في تكفير السيئات والتجاوز عن الذنوب وهي المعنى الأخص للشفاعة ، ومن أنواعها الشفاعة في الخروج من النار أو عدم دخولها .

ويدل لهذا القسم قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨.

٢ – كما تنقسم الشفاعة إلى شفاعة مثبتة وشفاعة منفية .

٣– شفاعة في الدنيا وشفاعة في الآخرة .

٤ – الشفاعة عند الله والشفاعة عند الناس .

وتنقسم الشفاعة إلى :

١ – شفاعة مخلوق عند مخلوق : ﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنۡهَا ﴾ النساء: ٨٥ . وقال ﷺ: (اشفعوا تؤجروا) رواه مسلم .

٢ – شفاعة الخالق عند المخلوق وهذه غير موجودة وأنكر الرسول ﷺ على من أثبتها واعتقد وجودها.

٣- شفاعة المخلوق عند الخالق وهي قسمان مثبتة ومنفية .

ولها أنواع من جهة طلبها :

١- أن تطلب من الله وهذا جائز ، اللهم شفع رسولك فينا .

٢- أن تطلب من الرسول ﷺ زمن حياته وهذا جائز وقد ثبت ذلك عن أنس.

٣- أن تطلب من الرسول ﷺ بعد موته وهذا الكفر الأكبر .

٤- أن تطلب من الرسول ﷺ يوم القيامة وهذا جائز إن رضي الله ﷻ، وقد أخبر النبي ﷺ أن الناس يطلبون من الرسل الشفاعة في الموقف وأن ناساً من أمته من العصاة من مانعي الزكاة يسألونه الشفاعة يوم القيامة فلا يغني عنهم شيئا.

السابعة : الشفاعة المثبتة والمنفية :

الشفاعة المثبتة : تطلب من الله ﷻ بإذنه ورضاه وهي خاصة لأهل التوحيد.

الشفاعة المنفية : وهي التي تطلب من غير الله أو تطلب من الله لكن بدون إذنه ورضاه ، وقد ذكرها الله ﷻ في آيات في مثل قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ البقرة: ٢٥٤.

الثامنة : ضابط الشفاعات التي نفاها الله ﷻ وأقسامها :

أن تطلب الوسائط المخلوقة وتدعى من دون الله لتقرب الداعي إلى الله وتشفع له عنده سبحانه في جلب نفع أو دفع ضر . ومن ذلك ما يفعله عباد القبور المشركون من طلب الأموات أن يشفعوا لهم ويتقربون بهم إلى الله تعالى.

والشفاعة المنفية المحرمة لها قسمان :

القسم الأول: الشفاعة الشركية أن تطلب من غير الله ﷻ.

القسم الثاني: أن تطلب من الله ﷻ لكن بغير إذنه ولا رضاه ، يعني لا يتوفر فيها شروط الشفاعة .

ومن صور الشفاعة المحرمة : الدعاء للمشرك والكافر ، ومن هذا الباب نهى الله نوحاً عن الدعاء لابنه وإبراهيم لأبيه ومحمدا ﷺ من الدعاء لأمه وعمه ولأبي ابن سلول .

المسألة التاسعة : الشفاعة في الدنيا بين الناس :

الشفاعات بين الخلق في الدنيا الأصل فيها قوله تعالى :﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ النساء: ٨٥.

ويقول الرسول ﷺ: (اشفعوا تؤجروا ويقض الله على لسان نبيه ما أحب) رواه مسلم .

وتحرم الشفاعة في الحدود إذا بلغت السلطان يدل لذلك حديث عائشة في البخاري في المرأة المخزومية التي سرقت فشفع فيها أسامة فقال النبي ﷺ : (أتشفع في حد من حدود الله) .

المسألة العاشرة : أنواع الشفاعة المثبتة عند الله يوم القيامة :

١- الشفاعة العظمى لأهل الموقف لفصل القضاء وهي التي يقوم بها سيد ولد آدم محمد ﷺ ، وهي المقام المحمود .

٢- الشفاعة في استفتاح باب الجنة لأهلها وهي خاصة بالرسول ﷺ أيضاً .

كما صح في الحديث الذي عند مسلم : (آتي باب الجنة يوم القيامة فأستشفع، فيقول الخازن: من أنت فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك) .

٣- الشفاعة في تخفيف العذاب وهذه خاصة بالرسول ﷺ وفي عمه أبي طالب فقط. ويدل لها ما جاء في الصحيحين عن العباس أنه قال : يارسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: نعم، هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) وقال فيه لعله تنفعه شفاعتي فيجعل في ضحضاح يغلي منه دماغه) ، وفي مسلم أنه أهون أهل النار عذابا.

٤- الشفاعة في أقوام من الموحدين من أهل الكبائر ممن دخلوا النار أن يخرجوا منها لحديث : (شفاعتي في أهل الكبائر من أمتي) رواه أبو داود والترمذي.

٥- الشفاعة في أقوام استحقوا النار أن لا يدخلوها .

وهذا النوع ورد فيه بعض الأحاديث الضعيفة .

قال ابن القيم في تهذيب السنن : (هذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه) ٧/ ١٣٤ .

وقد أثبت هذا النوع ابن تيمية وغيره، انظر الفتاوى ٣/ ١٤٧.

٦- الشفاعة في دخول الجنة بلا حساب ، كما شفع الرسول ﷺ في عكاشة بدعائه له أن يكون منهم حتى صار منهم ، وحديثه في الصحيحين.

٧- الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة .

ويدل له قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍۚ كُلُّ ٱمْرِىٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ الطور: ٢١ .

ودعاء الرسول ﷺ لأبي سلمة أن يرفع درجته في المهديين، والحديث في مسلم، وكدعائه لأبي عامر أن يرفعه يوم القيامة على كثير من الخلق، كما في الصحيحين.

والشفاعات الأربعة الأخيرة عامة وليست خاصة بالرسول ﷺ بل يقوم بها المؤمنون والملائكة .

٨- الشفاعة في أهل الأعراف ومن تساوت حسناته وسيئاته .

واستدل ابن حجر في الفتح لهذا النوع بحديث عند الطبراني : (الظالم لنفسه وأهل الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي ﷺ) ، والحديث ضعيف .

المسألة الحادية عشرة : شروط الشفاعة :

الشفاعة لا تقبل عند الله، وتصير داخلة في الإيمان والتوحيد إلا بشرطين :

١ - **الشرط الأول** : الإذن من الله تعالى للشافع ودليله قوله تعالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٥٥.

٢ - **الشرط الثاني** : رضا الله تعالى عن الشافع وعن المشفوع له ودليله: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ النجم: ٢٦.

وهذه الآية جمعت بين الشرطين الإذن والرضا .

فالشفاعة لا تتم إلا بإذن من الله ﷻ ، وهذا الإذن راجع إلى الله وإلى ربوبيته وفعله فإذا أذن وشاء أن يشفع أحد عنده شفع ولا يأتي بهذه الشفاعة إلا من أذن الله له ولا يشفع لأحد إلا إذا كان موحداً، فأسعد الناس بالشفاعة هو الموحد وهو من قال : لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه ، كما في حديث أبي هريرة ، فالشفاعة يوم القيامة بأنواعها كلها يوجد فيها شرط (الإذن من الله والرضا) ، الشفاعة الكبرى العظمى شفاعة الرسول ﷺ به في أهل الموقف والشفاعة في دخول الجنة وفتح باب الجنة للناس وشفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب، والشفاعات الأخرى كالشفاعة في رفع

الدرجات في الجنة وفي ناس يدخلون النار أن يخرجوا منها وناس كتب عليهم دخول النار ألا يدخلوها وأقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم أن يغفر الله لهم وغير ذلك من أنواع الشفاعات يوم القيامة لا تخرج كلها عن إذن الله ورضاه .

المسألة الثانية عشرة : الإذن في الشفاعة متعلق بالشرع والقدر :

١ - **الإذن القدري** : مثل قوله تعالى : ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ البقرة: ١٠٢ والأذن هنا كوني قدري وليس بشرعي .

٢ - **الإذن الشرعي** : ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ الأحزاب: ٤٦ ﴿شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ الشورى: ٢١ وهذا إذن شرعي.

وقوله تعالى : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ البقرة: ٢٥٥.

والإذن هنا شرعي وقدري أي أنه لا أحد يشفع عنده قدراً وكوناً ولم يأذن به لأنه لم يشأه ويقدره، كما أنه لم يأمر به ولا أباحه ولا شرعه دينا.

فائدة : الرضا لا يكون إلا شرعي مثل المحبة .

أقوال الناس في الإذن :

١ - أهل التوحيد قالوا الشفاعة لا تكون إلا بأذن الله القدري والشرعي معاً ومن يشفع بدون إذنه كما هو حال المشركين فإن الله لم يأذن في هذه الشفاعة شرعاً أي لم يبحها ولم يقدرها ويريدها قدراً ولم يخلقها فكأنها لم تحصل ولم تكن فهي منفية كالمعدومة .

٢ - المشركون والصوفية : قالوا: إن الشفعاء يشفعون بالأذن القدري وإن لم يأذن لهم شرعاً فيها ولم يبحها ويجوزها، فالله لم يردها شرعاً ولكن أرادها قدراً .

٣- من قال: إن الشفاعة الشركية أذن الله فيها قدراً وشرعاً ومن ردت شفاعته فالله لم يأذن فيها لا شرعاً ولا كوناً وهؤلاء هم الجبرية .

٤- من قال: الله لم يأذن في الشفاعة قدراً لأنه لم يخلقها ولا يخلق أفعال العباد وهذا قول القدرية منكري الشفاعة .

٥- من يقول الله لم يأذن في الشفاعة لا قدراً ولا شرعاً والشفعاء يشفعون عنده بغير إذن قدري ولا شرعي ويقول ذلك كثير من النصارى المكذبين بالقدر .

فإن قيل: يوجد شفعاء شفعوا عند الله بدون أذنه الشرعي، وهو خالق لفعلهم فيكون ويلزم بذلك أنه أذن لهم قدراً مثل شفاعة إبراهيم في أبيه ونوح في ابنه ومحمد ﷺ في ابن سلول .

وأنتم تقولون: إن الأذن في الشفاعة يعم النوعين فإنه لو أراد الأذن القدري فقط لكان كل شفاعة داخلة في ذلك كما يدخل كل كفر في إذن الله القدري لكونه قدرها ، ولم يكن هناك فرق بين الشفاعة التي ما تكون بإذنه والشفاعة التي لا تكون بأذنه فكلها حاصلة بقدر الله .

وإن أراد الأذن الشرعي فقط للزم قول القدرية السابق .

وهؤلاء الأنبياء شفعوا بدون إذن الله الشرعي مما يدل على أن شفاعتهم حصلت بأذن الله كوناً وقدراً .

والجواب : الشفاعة مقصودها قبول المشفوع إليه شفاعة الشافع وعفوه عن المشفوع له وهذه الشفاعة التامة وهي التي لا تكون إلا بأذنه . أما إذا شفع شفيع فلم تقبل شفاعته كانت كعدمها وكان على صاحبها التوبة والاستغفار كما قال نوح :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ هود: ٤٧ عليه فشفاعة من ذكرتم لم يقدرها فهي في حكم المعدوم .

ولابن تيمية كلام في المسألة في الحسنة والسيئة وقاعدة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والشرك ودقائق التفسير.

الثالثة عشرة : الفرق بين الشفاعة عند الخالق والشفاعة عند المخلوقين :

الأول : أن الشفاعة عند الله ﷻ لا تحصل إلا بإذنه ورضاه وما هذا إلا لكماله.

أما الشفاعات عند المخلوقين فقد تحصل الشفاعة بدون إذنهم ولا رضاهم .

وهذا عمدة الفروق ومرجعها حيث ترد كل الفروق الباقية إليه .

فالله ﷻ لا يقبل شافع عنده إلا بإذنه، وهذا من تمام ملكه، ويقبل الشفاعة من غير رجاء لأحد أو خوف من أحد، وهذا بعكس غيره فيشفعون للناس فيقبل ملوك الأرض شفاعة الشفعاء إما رغبة في خير لهم أو رهبة أو خوف، وهذا دليل على نقصهم وضعفهم، فكيف تسوى بعد ذلك الشفاعتان شفاعة الله وشفاعة المخلوق، فتطلب من الله الشفاعة كما تطلب من ملوك الأرض، وما هذا إلا من عظم الظلم .

الثاني: البشر والملوك محتاجون للشفاعة إما لجهلهم برعاياهم أو لعجزهم وعدم قدرتهم بتدبير أمورهم أو لقسوتهم فيحتاجون من يسترحمهم ويستعطفهم .

أما الرب ﷻ فليس محتاجاً إلى أحد وكل الخلائق يصمدون إليه بحوائجهم .

الثالث : قد يكره المخلوق على الشفاعة وتحصل بدون رضاه واختياره وذلك لقوة الشافع ومهابة الملك له أو لمحبته له أو غير ذلك.

أما الرب ﷻ فلا يخاف من أحد ولا يرجو ما عند أحد وهو العلي الكبير ويرجع هذا للفرق الأول .

الرابع: أن الشفاعة والشافع والمشفوع له كل ذلك ملكاً لله تعالى، أما المشفوع عنده من ملوك الدنيا فليست الشفاعة ملك لهم ولا أيضا الشافع بل هم شركاء فيها ليست ملكاً لأحد منهم .

الخامس : أن الشفاعة عند المخلوق مؤثرة والشافع مؤثر وآمر فيها وله تأثير في تحصيلها، بخلاف الشفاعة عند الخالق ﷻ فالشافع ليس آمراً ولا مؤثراً فيها وإنما هو مأمور من الله بالشفاعة عبداً عنده وهو مجرد سبب .

قال ابن القيم: (الفرق بين الشفاعتين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور والخالق والمخلوق، وسر الفرق بين الشفاعتين أن شفاعة المخلوق للمخلوق وسؤاله للمشفوع عنده لا يفتقر فيها إلى المشفوع عنده لا خلقا ولا أمرا ولا إذنا بل هو سبب محرك له من خارج كسائر الأسباب وقد تكون الشفاعة مع كراهية المشفوع عنده وعدم رضاه عنها ويقبلها كرها. فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم فإن قيام مصالحهم بهم وهم أعوانهم. وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه فانه ما لم يخلق شفاعة الشافع ويأذن له فيها ويرضى لم يمكن أن توجد، والشافع لا يشفع عنده لا لحاجة الرب إليه ولا رهبة منه ولا رغبة فيما لديه وإنما يشفع عنده مجرد امتثال لأمره فهو مأمور بالشفاعة فالرب هو الذي يحرك الشفيع) بتصرف الإغاثة ٢٤٦.

السادس : أن الله سبحانه وتر والمخلوق شفع .

فالشافع كأنه آمر وفاعل ومؤثر مع المشفوع عنده، أي أن لـه تـأثير في الطلـب والأمر، فكأن الشافع جزء من المشفوع عنده والمشفوع له ويمثـل مكـانهما، فالـشافع يشفع المشفوع عنده والمطلوب منه وينضم معه في أمره وكأنه مـشارك لـه في الحكـم والعفو، كما أنه يشفع المشفوع له .

بخلاف الرب عز وجل فهو وتر وهو وحده الحاكم الآمر لم يـشفعه أحـد، ولم يشاركه الشافع في الحكم، وهذا الفرق بين الشفاعة عند الله والشفاعة عند البشر .

من اجتهاد ابن تيمية رحمه الله وأخذه من المعنى اللغوي وسنذكر هـذا الفـرق بشيء من البيان والإيضاح .

قال ابن تيمية: (الشفيع (الشافع) كما أنه شافع للطالـب شـفاعته في الطلـب (أي طالب الشفاعة وهو المشفوع له) ، فهو أيضاً قد شفع المـشفوع إليـه، فبـشفاعته صار المشفوع إليه فاعلاً للمطلوب ، فقد شفع الطالب والمطلوب (وهما المـشفوع لـه الذي طالب منه الشفاعة،والمشفوع عنده المطلوبة منـه الـشفاعة) والله تعـالى وتـر لا يشفعه أحد فلا يشفع أحد إلا بإذنه ، فالأمر كله إليه وحده فـلا شريـك لـه بوجـه) الفتاوى ١٤/ ٣٨١ .

توضيح هذا الفرق :

أن الشافع بمنزلة المشفوع له والمشفوع عنده(الملك) معـا، داعـياً لهـما شـفعهما واقترن بهما بشفاعته .

وذلك أن الفعل والطلب والأمر المـشفوع فيـه حـصل بتـأثيره، ووقـع بتـأثير مشترك من الشافع والمشفوع عنده، وليس بأمر المشفوع عنده وحده، فلـولا الـشافع

لما كان المشفوع عنده، فاعلاً للمطلوب والمشفوع فيه، ولما حصلت الشفاعة ولا حصل ووقع المطلوب والأمر المراد تحصيله، إلا بفعل وتأثير مشترك بين أثنين: الشافع والمشفوع عنده .

وهذا لا يمكن أن يقال في حق الله تعالى فهو الفاعل وحده ولا تحصل الشفاعة إلا بأمره وأذنه ورضاه وحده، والشافع عنده إنما هو مجرد سبب .

أما الشافع عند المخلوق فله تأثير واشتراك في الفعل، فالفعل لم يحصل ولم يتم المطلوب إلا بتأثيره ، فهو في الحقيقة فاعل للمطلوب، فبشفاعته حصل المطلوب حقيقة، لأن فعل الشفاعة حصل بفعل اثنين الشافع والمشفوع عنده، وهو أحدهما .

فالشافع عند البشر شفاعته مقترنة بالطالب والمطلوب، مؤثرة في الفعل المطلوب ، فكأن الشافع جزء من المشفوع له وأحد المشفوع لهم أي أنه مشفوع له كذلك هو جزء من المشفوع عنده والمطلوب منه الشفاعة فهو بذلك أحد الفاعلين .

وعليه فالشافع شافع للطالب الذي هو المشفوع له في طلبه، وشافع أي فاعل مؤثر في المطلوب منه الذي هو المشفوع عنده (من ملك أو غيره) فهذا معنى كون المخلوق شفع، أما الله عز وجل فهو وتر لا يمكن أن يكون الشافع فاعلاً معه أو مؤثراً وإنما مجرد سبب .

المسألة الرابعة عشرة : أسباب احتياج ملوك الدنيا للشفاعة في الدنيا :

١ – لجهلهم بأمور مملكتهم وعدم علمهم بحال المشفوع له ومصلحته .

٢ – عجزهم وعدم قدرتهم على نفع الناس إلا بالشفاعة فلا يستطيعون القيام بأمور مملكتهم لوحدهم فيحتاجون للمعين .

٣- لقسوتهم وعدم رحمتهم فيحتاجون من يستعطفهم ويرغبهم ويبين لهم المصلحة في الشفاعة .

٤- لأمر خارج عنهم ومن ذلك مثلاً خوفهم ومهابتهم للشافع أو المشفوع له أو مكانة الشافع وجاهه أو لمحبتهم له وطاعتهم له أو لرغبتهم إليه ورجائهم له واحتياجهم إلى هؤلاء الشفعاء لتدبير أمورهم وتحقيق مصالحهم .

أما الرب ﷻ وتقدس فليس فيه شيء من ذلك ومن أثبت الشفعاء عنده فقد استلزم ذلك إثبات هذه الصفات بالرب وكان فاعلها وطالب الشفاعة من المخلوقين عند الله من أعظم المشركين والقادحين في كمال الرب ولذلك قال ﷻ بعد أن زعم المشركون أن الأولياء والمعبودات تشفع لهم عند الله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ يونس: ١٨ ، فإثبات الشفاعة تستلزم إثبات النقص والجهل لله .

المسألة الخامسة عشرة : الشفعاء عند الله ﷻ يوم القيامة :

١- الملائكة .

٢- الرسل والأنبياء .

٣- المؤمنون .

لحديث : (فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين) متفق عليه .

٤- الشهداء حيث صح عند أبي داود وغيره : (يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته) .

٥- شفاعة أولاد المؤمنين ممن مات قبل البلوغ كما جاء في صحيح البخاري وغيره : (ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد).

٦- شفاعة كلام الله القرآن لأصحابه ، قال النبي ﷺ : (إقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابة) رواه مسلم من حديث أبي أمامة.

٧- شفاعة الصيام لأهله ، لحديث : (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، فيشفعان) أخرجه أحمد والحاكم عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً.

المسألة السادسة عشرة: هل الرب عز وجل يشفع :

في الحديث المتفق عليه يقول تعالى: (فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين).

وفي رواية عند البخاري (وبقيت شفاعتي) .

فالله عز وجل يرحم ويغفر ويتوب ويعفو وأما الشفاعة فهي عنده وملك له فيشفع عنده بأمره وإذنه ولا يشفع عند أحد تبارك وتعالى .

لكن قد يقال في هذه الرواية يتصور شفاعة الله عند نفسه وهي من جنس ماورد في الدعاء الذي رواه مسلم : (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك) ، (برحمتك أستغيث).

قال ابن القيم:(الشفاعة لمن له الملك فهو الذي يشفع لنفسه عند نفسه ليرحم ، فيأذن لمن يشاء أن يشفع فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له) الإغاثة ٢٤٦.

المسألة السابعة عشرة : الاستشفاع بالله على خلقه :

الله لا يشفع لمخلوق عند مخلوق فهو رب الجميع ومالكهم، والله إذا أراد أن يعفوالمخلوق مظلوم عن ظالمه، عرض له من الثواب ما يجعله يعفو وليست هذه شفاعة، وقد غضب الرسول ﷺ لما قال له الرجل نستشفع بالله عليك ، وجاء الكلام عنها في الوسائط . ومثلها الإقسام على الله .

المسألة الثامنة عشرة : أسباب الحصول على الشفاعة :

١- التوحيد لحديث أبي هريرة في البخاري : (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه).

٢- قراءة القرآن .

٣- الصيام .

٤- سؤال الله الوسيلة للرسول ﷺ والدعاء بما ورد بعد الآذان .

٥- سكن المدينة والصبر عليها والموت بها ، فعن أبي سعيد يرفعه : (لا يصبر أحد على لأوائها فيموت بها إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة) رواه مسلم.

٦- كثرة الصلاة على الرسول ﷺ.

٧- صلاة أربعين رجل على الميت أو ثلاثة صفوف.

٨- كثرة السجود .

وقد وردت الأحاديث في هذه الأسباب وتقدمت .

تنبيه : بطلان فضل زيارة قبر الرسول ﷺ وضعف الأحاديث الواردة فيها .

أورد أهل البدع أحاديث تحض على زيارة قبره ﷺ وأنها موجبة لشفاعته والصحيح أنها كلها موضوعة أو ضعيفة.

المسألة التاسعة عشرة : موانع حصول الشفاعة يوم القيامة :

١ – الكفر والشرك، ومن الكفر طلب الشفاعة من الأموات والرسول ﷺ بعد موته ولذلك لم تقبل شفاعة إبراهيم في أبيه ونوح في ابنه ومحمد في أمه وعمه .

٢ – اللعن وفي الحديث : (إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة) رواه مسلم .

٣– المرجئة والقدرية من أهل البدع : لحديث أنس (صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة المرجئة والقدرية) رواه الترمذي وفي سنده ضعف .

٤ – غش العرب: (من غش العرب لم يدخل في شفاعتي) رواه الترمذي .

٥ – الإمام الظالم الغشوم الغاش لرعيته : (رجلان لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة إمام غشوم عسوف، وآخر غال في الدين مارق عنه) رواه ابن أبي شيبة .

٦ – المكذب بالشفاعة لقول أنس ﷺ : (من كذب بالشفاعة فليس له فيها نصيب) أخرجه الآجري في الشريعة وسعيد بن منصور.

المسألة العشرون: السر في حرمان المرجئ والقدري من الشفاعة يوم القيامة :

أما القدري فلكونه يكذب بالشفاعة في أهل الكبائر لأنه يرى أنهم كفار مخلدون في النار بالكبائر التي اقترفوها فاستحق أن لا يكون له نصيب من الشفاعة لكونه مكذب بها كما قال أنس ﷺ.

أما المرجيء : فلأنه ترك العمل وأخرجه من الإيمان واستخف بالأوامر والشريعة وضعف في قلبه تعظيم الدين والانقياد والاستسلام وطمع في الشفاعة دون أن يأتي بأسبابها فكان عقابه من جنس عمله أن يمنع من هذا الفضل العظيم الذي لم يعمل له عملاً ولا استعد له بسبب شرعي صحيح والله تعالى أعلم .

الحادية والعشرون: المشركون الذين طلبوا الشفاعة من الأموات اتكلوا عجزا:

أرادوا ترك الأعمال وطمعوا في ثواب بلا عمل صالح، فلجئوا إلى الشفاعة .

الثانية والعشرون : الشفاعة ملك لله تعالى ولا ينافي ذلك الإذن بها :

ومعنى أنها ملك لله تعالى أي خاصة به وله وحده، فهو المالك لها لا يشاركه أحد فيها ، وليس لأحد أن يشفع للخلق عنده إبتداءاً من دون استئذانه تعالى.

ومما يدل على أن الشفاعة لا يملكها غير الله قوله ﷻ : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ الزمر: ٤٤، ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ ﴾ مريم: ٨٧، ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ ﴾ الزخرف: ٨٦، ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا ﴾ الزمر: ٤٣ .

فالخلق لا يملكون الشفاعة وهذه عقيدة أهل التوحيد في الشفاعة أنها ملك لله وحده لا يملكها أحد ولا يتصرف فيها غيره ، وليس لأحد أن يشفع عنده إلا بعد إذنه ورضاه مما يدل على أن الشافع مأذون له في الشفاعة وليس بمالك لها واللام في قوله ﴿ لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ ﴾ للملك والاستحقاق فهي ملك لله وحق له وحده .

وأما قوله: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ فإن هذا استثناء منقطع يفيد أن الشفاعة لا يملكها أحد ، ولا ينافي ذلك إذنه فيها

للبعض فإن شفاعتهم من غير أن يملكوها وإنها بعد أذن الله، فيكون المستثنى بقوله إلا من شهد بالحق حصول الشفاعة لا ملكها ، وهذا ما رجحه ابن تيمية كما تقدم.

قال ابن تيمية : (فأما إذا أذن لـه في أن يـشفع لم يكـن مـستقلا بالـشفاعة بـل يكون مطيعاً له أي تابعا له في الشفاعة) الفتاوى ١/ ١١٨ .

قال ابن القيم: (فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض فهو الـذي يشفع لنفسه عند نفسه ليرحم عبده، فيأذن لمن يشاء أن يشفع فيه فـصارت الـشفاعة في الحقيقة إنما هي له ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾، فأخبر أنه ليس للعبد شفيع من دونه، والشفاعة بأذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيع من دونـه بـل شـفيع بأمره وإذنه ... الشفاعة كلها له وحده وأن أحداً لا يشفع عنده إلا بأذنـه فإنـه لـيس بشريك بل مملوك محض بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم لبعض) الإغاثة: ٢٤٦.

وشفاعة الرسول ﷺ يوم القيامة عند الله فإنها لا تكون إلا بـإذن الله لـه ابتـداء ولا يشفع أي شافع الرسول وغيره ابتداءاً، ولذلك لا يشفع الرسولﷺ حتى يسجد ويحمد الله، ثم يقول الله وتعالى له يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع، فالله تعالى أمره بالشفاعة ابتداءا ثم هو يقول أمتي فيشفع لنا نسأل الله من فضله.

فتأمل هذا الموقف فهو رأس التوحيد وعماده فلم يقل الـرب لمحمـد ﷺ مـاذا تريد ويقول أريد الشفاعة، بل الله الذي يأمره بأن يشفع فهـذا معنـى كـون الـشفاعة ملك لله وتحت إذنه لمن شاء أن يشفع إذا رضي عنه وعن المشفوع، وقد لا يرضى فـلا تقبل الشفاعة .

ومما يدل أن الله الذي يأمره بأن يشفع وأن يشفع في خلق معينين حديث أبي سعيد الخدري في مسلم : (حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجيء بهم) .

وحديث أنس في الشفاعة في مسلم : (اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة) .

وحديث: (ربي قوم من أمتي قد أمرت بهم إلى النار، قال فيقول:انطلق فأخرج من شاء الله أن تخرج) وفي سنده إسماعيل بن عبيد تُكلم فيه ووثقه الدارقطني .

ولو أراد الرسول ﷺ الشفاعة وطلب من الله أن يشفع لأحد فإنه لن يفعل ذلك إلا إذا أذن الله له ، ألا ترى أن الله ﷻ قد رد شفاعة الرسول ﷺ حين شفع ودعا لابن سلول حين صلى عليه يوم مات، كذلك لم يؤذن له في الاستغفار لأمه، وكذا إبراهيم في أبيه ونوح في ابنه، بل لامهم الله على شفاعتهم، وكل هذا يقطع بأن الشفاعة ملك لله، وإذا كان هذا حال أفضل الخلق فكيف بغيرهم ومن دونهم، وكيف بعد هذا يقول من يقول من مشركي هذه الأمة أن الرسول ﷺ يشفع ويملك الشفاعة والله أعطاه مطلق الشفاعة ابتداءً فنطلبها منه مباشرة .

ومن الأدلة الدالة على أن الشفاعة تكون بأمر الله ولا ينالها إلا من شاء الله وأن أفضل الخلق وأعلاهم منزلة وأعظمهم مكانة عند الله قد ردت شفاعتهم في مواضع:

قوله ﷺ: (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئا) (يا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً) رواه مسلم.

وقوله ﷺ: (لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك) . رواه البخاري ومسلم .

وقول الله تعالى له مخبرا بأنه لن يقبل شفاعته وناهيا له عن الشفاعة :

﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ التوبة: ٨٠.

﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ المنافقون: ٦.

ولما أراد الرسول ﷺ أن يستغفر لأبي طالب نهاه الله ونزلت عليه الآيات في سورة التوبة وقال له تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ التوبة: ١١٣

وقال ﷺ : (استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي) رواه مسلم.

كما لام الله نوحا لما أراد أن يشفع في ابنه وعاتبه : ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ هود: ٤٦ - ٤٧.

كما أنكر الله تعالى على خليله إبراهيم لما أراد أن يشفع لأبيه ويستغفر له بقوله :

﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ التوبة: ١١٤

بل إنه لا يقبل شفاعته فيه حين يشفع فيه يوم القيامة: فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة ، فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصني ؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم : يارب أنت وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد ؟

فيقول الله عز وجل: إني حرمت الجنة على الكافرين ، ثم يقال انظر ما تحت رجليك، فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار) . رواه البخاري .

المسألة الثالثة والعشرون : شفاعة الرسول يوم القيامة عند الله :

شفاعة النبي يوم القيامة عند الله ﷻ لا تكون إلا بإذن الله له ابتداء ولا يشفع أحد عنده ابتداء، ولذلك لا يشفع الرسولﷺ حتى يسجد ويحمد الله، ثم يقول الله له يا محمد اشفع تشفع، فالله ﷻ أمره بالشفاعة ابتداء، فلم يقل الرب لمحمد ﷺ ماذا تريد ويقول أريد الشفاعة، بل الله الذي يأمره بأن يشفع فهذا معنى كون الشفاعة ملك لله وبإذنه كما تقدم.

المسألة الرابعة والعشرون : باب الشفاعة من أجلها أرسلت الرسل :

الرسل بعثت لتوحيد العبادة لله وأن الشفاعة كلها ملك لله ولتقول الرسل للمشركين ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ الزمر: ٤٤ ومن أجل ذلك حصلت العداوة وجرد السيف، والمشركون جعلوا الشفاعة شرك بين الله وبين آلهتهم فتعلقوا بالشفاعة وكانوا يقولون ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ . فأثبتوا الشفاعة لمعبوداتهم ودعوها وسألوها أن تشفع لهم عند الله، فكان طلب الشفاعة شركا لأن التشفع والدعاء من العبادة التي لا تصرف إلا لله، ولذلك صاروا بطلب الشفاعة من المخلوق وسؤاله عبيداً لغير الله وواقعين في الشرك فاستباح الرسول ﷺ دماءهم.

وتأمل حين ألقي الشيطان في قراءة الرسولﷺ (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) وهو يقرأ في سورة النجم، سجد كفار قريش معه آخر السورة، وظنوا أن الرسول وافقهم في دينهم .

كل هذا يدل على أن أصل الخلاف هو في باب الشفاعة، وأنها سبب ضلال جميع الأمم المشركة، وحجة وذريعة كل مشرك، وأن قول كفار قريش للرسول ﷺ أعبد آلهتنا سنه نعبد إلهك سنه أرادوا من ذلك، أن معبوداتهم تسأل الشفاعة تارة ويدعى ويسأل الله وحده تارة فأنزل الله على رسوله سورة الكافرون، وأخبرهم أن مجرد دعاء غير الله وطلب الشفاعة من المخلوق واتخاذ الوسائط المقربة عند الله هو الشرك الأكبر المخرج من الإسلام، وأن هذا دين الله الذي يقوم على دعاء وعبادة الله وحده، وأن دين المشركين الذي يقوم على دعاء المخلوق وطلب الشفاعة منه يخالف دين الله من أصله وأنهما لا يجتمعان وأن لكل دينه، المؤمن له ملة التوحيد والمشرك الكافر له الشرك وطلب الشفعاء ودعاؤهم مع الله ولا يجتمع التوحيد والشرك .

قال ابن القيم: (وهذه هي الشفاعة الشركية التي بعثت الرسل بالنهي عنها وتكفير فاعلها، والقرآن مملوء بالرد على أهلها وإبطال مذهبهم :﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـًٔا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾ الزمر: ٤٣. فأخبر أن الشفاعة لمن له الملك فهو الذي يشفع لنفسه عند نفسه، فيأذن لمن يشاء أن يشفع فيه فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له. ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ السجدة: ٤ . فأخبر أنه ليس للعبد شفيع من دونه، والشفاعة بأذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيع من دونه بل شفيع بأمره وإذنه) إغاثة اللهفان ٢٤٦.

المسألة الخامسة والعشرون : ضابط الشفاعة الشركية :

هي الشفاعة التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله . ومن أوضح صورها ما يطلبه المشركون من الأموات الأنبياء والصالحين والمقبورين والملائكة .

السادسة والعشرون:من يطلب شفاعة المخلوق جمع بين أمرين عظيمين وقياسين باطلين :

الأمر الأول : قياس الله تعالى بخلقه وتمثيل الخالق بالمخلوق، حيث جعل هذا المشرك ربه سبحانه محتاجا للشافع مثل ملوك الدنيا .

الأمر الثاني : قياس المخلوق بالخالق ﷻ وتشبيه له، وذلك بجعله يدعى مع الله تعالى وأنه يشفع ويملك الشفاعة ويقدر أن ينفع ويكشف الضر مثل الرب .

المسألة السابعة والعشرون: شرك الدعاء والشفاعة اجتمع عليه كل مشرك:

دعاء غير الله ﷻ وطلب الشفاعة هو القدر الذي يجمع كل المشركين في الدعاء وهو مناط التشابه بينهم من أولهم إلى آخرهم هو إرادة الشفاعة، من الآلهة عند الله فكل من دعا غير الله ﷻ إنما أراد أن تشفع له هذه الآلهة وتقربه إلى الله ﷻ.

كما قال الله ﷻ عنهم : ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣.

قال ابن القيم: « ومن أنواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة وهي أصل شرك العالم فإن الميت محتاج لمن يدعو له فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد ، وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم». مدارج السالكين ١/ ٣٤٦ .

المسألة الثامنة والعشرون : الشفاعة أحد أسباب الشرك الاربع :

فالمشرك إنما أشرك مع الله غيره ممن يرجو حصول منفعة فيه، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة وسبب من أربع خصال .

١ – أما أن يكون مالكاً للمطلوب .

٢ – أو شريكاً للمالك .

٣– أو معيناً وظهيراً له.

٤ – أو شفيعاً.

هذه الأسباب الأربعة نفاها الله ﷻ عن كل معبود بالتدرج وأثبت الشفاعة بشرطها وهو التوحيد مع الأذن وذلك في آية سورة سبأ:

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

قال ابن القيم : (وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع ، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع إما مالكاً لما يريده عابده منه ، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك ، فإن لم يكن شريكاً للمالك كان معيناً له وظهيراً فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده، فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً متنقلاً من الأعلى إلى الأدنى ، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً وتجريداً للتوحيد وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ولكن أكثر الناس لا يشعر) مدارج السالكين ١/ ٣٤٣ .

المسألة التاسعة والعشرون: كفر من اعتقد جواز الشفاعة ولو لم يطلبها .

الثلاثون : سبب الشرك عدم التفريق بين الشفاعة عند الخالق وعند المخلوق:

أعظم سبب أوقع المشركين في دعاء غير الله ﷻ هو سوء الظن بالله سبحانه وعدم تقديره وعدم معرفة صفاته التي وصف الله تعالى بها نفسه وبيّنها لخلقه .

وعدم تفريقهم بين الخالق والمخلوق في هذا الباب العظيم، ومرجع ذلك كله إلى اعتقاد أنه محتاج لمن يشفع عنده مثل ملوك الدنيا.

وبيانه: أن في إدخال الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه كما هو عند المخلوقين تمثيل شنيع وتشبيه باطل، حيث مثّل الخالق بالمخلوق فالواسطة لا تكون إلا لمحتاج لها والله تعالى ليس في حاجة لها كما هو حال ملوك الأرض، ثم في إثبات الوسائط نفي لرحمة الله فكأن الله تعالى لا يرحم إلا بالواسطة فهو تعالى عن ذلك محتاج لمن يستعطفه ويسترحمه على خلقه وهذا أعظم الظلم، يسلب الرحيم من رحمته والذي هو أرحم الراحمين والذي وسعت رحمته كل شيء، ولذلك من نفى رحمة الله بهذا الأسلوب استحق ألا يرحم ويطرد ولا يكتب في رحمة الله ﷻ ، كما أن في إثبات الشفعاء عند الله وكونها تملك الشفاعة لمن دعاها فيه تمثيل وتسوية لمن خلق من التراب برب الأرباب ﷻ وللعبد الفقير العاجز الضعيف بالملك تعالى مالك الرقاب ومن له الصفات والأفعال، وهذا تناقض من المشرك وتنقص منه لربه وعدوان على مقامه وسوء ظن بخالقه ﷻ شاء أم أبى علم ذلك أو لم يعلم.

فالمشرك مثل الخالق بالمخلوق وما علم معنى الشفاعة، وما فقه كيف يسيء لربه حين يطلب الشفاعة من غيره، يطلب الشفاعة من ملك و نبي أو نحو ذلك فيجعل الله عز وجل كأنه يقول : يا رب لم نطلبك وإنما نطلب غيرك لأنك لا تعلم

بحالنا، وإنما الذي يعلم بحالنا هم الوسطاء، وأنـت بعيـد عنـا لا تعلـم حالنـا، ولا يوجد منك الرحمة الكافية التي نستعطفك بها وإنما نستعطف الأوليـاء الـذين قربـوا منك فيستعطفونك، وهذا هو الكفر البواح والعياذ بـالله والـشرك الأعظـم . وهـذا السر في كون طلب الشفاعة من غير الله ﷻ أعظم الشرك والكفر .

ولا ينفع هذا المشرك بعد كل ذلك أن يدّعى أنه ما وضع الوسـائط إلا تعظـيماً لله تعالى وتأوله وظنه هذا بربه وجهله بحقيقة عمله، فلا عبرة به فليس كل مدع محقا ولا كل مجتهد مصيبا ولا كل كافر عالما عنيدا .

قال ابن القيم في إغاثة اللهفان ص:٢٤٦: (الفرق بين الشفاعتين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور والخالق والمخلوق والغني والفقير والذي لا حاجة لـه بأحـد والمحتاج من كل وجه إلى غيره، فنفى شفاعة الشريك وأثبت شـفاعة العبـد المـأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه وربه حتـى يـأذن لـه، فمـن أثبـت شـفاعة الشركاء الشركية وأشرك بهم المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ظنا منـه أنـه إذا فعـل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله فهو من أجهل الناس بحق الرب وما يجب له تعالى، فالشفعاء عند المخلوقين هـم شركـاؤهم فـإن قيـام مـصالحهم بهـم وهـم أعـوانهم وأنصارهم ولولاهم لما انبسط ملكهم على الناس فلحاجتهم إليهم يحتـاجون لقبـول شفاعتهم ولو لم يأذنوا أو يرضوا عن الـشافع والمـشفوع لـه لأنهـم يخـافون إن ردوا شفاعتهم أن تنقص طاعتهم ويذهبوا لغيرهم.

وسر الفرق بين الشفاعتين أن شفاعة المخلوق للمخلـوق وسـؤاله للمـشفوع عنده لا يفتقر فيها إلى المشفوع عنده لا خلقا ولا أمرا ولا إذنا بل هو سبب محـرك لـه

من خارج كسائر الأسباب وقد تكون الشفاعة مع كراهية المشفوع عنده وعدم رضاه عنها ويقبلها كرها... وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه فانه ما لم يخلق شفاعة الشافع ويأذن له فيها ويحبها منه ويرضى عن الشافع لم يمكن أن توجد، والشافع لا يشفع عنده لا لحاجة الرب إليه ولا رهبة منه ولا رغبة فيما لديه وإنما يشفع عنده مجرد امتثال لأمره وطاعة له فهو مأمور بالشفاعة فالرب هو الذي يحرك الشفيع من ملك ورسول ونبي وغيرهم . ومن وفقه الله لفهم هذا الموضع ومعرفته تبين له حقيقة التوحيد والشرك والفرق بين ما أثبته الله من الشفاعة وبين ما نفاه) .

الحادية والثلاثون: طلب الشفاعة من المخلوق سبب حرمانها وعدم حصولها :

وبيان ذلك أن الشفاعة لا ينالها أحد إلا بالتوحيد ، وطلبها من غير الله وسؤال المخلوق الشفاعة شرك في الدعاء والعبادة والشرك يحرم صاحبه الشفاعة .

وبهذا يُعلم أن المشركين بدلوا قولاً غير الذي قيل لهم، حين طلبوا الشفاعة بما هو سبب لمنعها وهو الشرك ودعاء غير الله .

ولذلك الشفاعة التي أثبتها المشركون لأوثانهم صرح القرآن ببطلانها ونفيها ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٥٥.

ومصداق ذلك قول الرسولﷺ: (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه) رواه البخاري .

فتجريد التوحيد أعظم الأسباب التي تنال بها الشفاعة، وقد عكس المشركون ذلك فجعلوا الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم فقلب النبي ﷺ ما

في زعمهم الكاذب بكون الشفاعة قائمة على الإذن والرضا ولا يرضى إلا التوحيد وبهذا بطل مراد أهل الشرك .

قال ابن القيم : (تأمل هذا الحديث كيف جعل الأسباب التي تنال بها شفاعته: تجريد التوحيد ، عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم ، فقلب النبي ما في زعمهم الكاذب ...) .

إغاثة اللهفان ١/ ٢٣٨ ، ومدارج السالكين ١/ ٣٤١ .

وقال ابن تيمية : (الملائكة وغيرهم لا يملكون الشفاعة فليس توليهم والاستشفاع بهم هو الذي يوجب أن يشفعوا ... فالذين عبدوا الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين ليشفعوا لهم ودعوهم من دون الله كانت عبادتهم إياهم ودعاؤهم وإشراكهم بربهم الذي به طلبوا شفاعتهم به حرموا شفاعتهم وعوقبوا بنقيض قصدهم لأنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً) الفتاوى ١٤/ ٤١٢ .

ولو تأمل هؤلاء الجهال ما هم عليه من سيرة الكفار الأولين الذين عبدوا ودا وسواعا واللات والعزى وعيسى وأمه وغيرهم من المشركين الذين كان أصل قولهم: ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣ .كما أخبرنا تعالى عنهم، ومع ذلك جاء مشركو أمة محمد بمثل ما قاله أولئك فقالوا: ما نعبد محمداً إلا ليقربنا إلى الله ، ونحن ندعوه ونشركه مع الله في الدعاء ليشفع لنا عند الله، فلو أن لهم عقلاً لعلموا أنهم يسعون في أن يحرموا شفاعة الرسول ﷺ وجنات الخلد ورضوان الرحمن لكفوا عن شركهم وتبريرهم إياه.

أما وإنه سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وحينها يوقنون أن سؤالهم الشفاعة من محمد ﷺ بعد موته هو الذي سيحرمهم نيلها وسيخلدهم ذلك في نار جهنم إن ماتوا على ذلك الشرك العظيم ويقول الله لهم : ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ الأنعام: ٩٤ بل ويكفرون بهم ويتبرؤن منهم ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ الروم: ١٣، وذلك لأنهم لم يرتدعوا في الدنيا من طلب الشفاعة والله يقول لهم : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ الزمر: ٤٣ وأن هذه الشفاعة لا تغني من الله شيئاً والرسل أقاموا الحجة وأنزل القرآن ليحذر الناس من عبادة غيره ودعاء المخلوق كائنا من كان وأن الدعاء لله وحده لا يصرف لغيره، فمن آمن بعد كل هذا فله الجنة ومن أشرك فالنار موعده ولا يعذر بتأوله وجهله، نعوذ بالله من الشرك والضلال والخذلان .

المسألة الثانية والثلاثون : حالات طلب الشفاعة من الرسول والصالحين :

١ – إن كان زمن حياته بسؤاله الدعاء له في الدنيا أو أن يشفع له يوم القيامة فهذا جائز وقد فعله الصحابة مع الرسول ﷺ، لكن لا تتم وتحصل إلا إذا أذن الله بها.

٢– إن كان طلب الشفاعة من الرسول ﷺ بعد موته ، فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ﷻ وسيأتي إن شاء الله .

٣– إن كان طلب الشفاعة حاصل يوم القيامة فهذا جائز لأن الدعاء حاصل بأسبابه الشرعية وذلك بطلب الحي الحاضر القادر وقد ثبت أن الناس يطلبون من الرسل الشفاعة حتى يشفع لهم الرسول ﷺ في الموقف .

المسألة الثالثة والثلاثون: حكم طلب الشفاعة من الحي :

قول البعض للمجاهد لا تنسنا من الشفاعة أو اشفع لنا إن قبلت ، بدعة ليس لها أصل ولا يقاس هذا بطلب الصحابة لها من النبي ﷺ ، وأخطأ من حكم بأنها من الشرك الأكبر بحجة أن الشفاعة ملك لله لا تطلب إلا منه ، لأن الصحابة طلبوا من الرسول ﷺ الدعاء والاستغفار وهو من الشفاعة وجاء عند الترمذي أن أنس طلب الشفاعة من الرسول ، فكون الشفاعة ملك لله لا يعني أنه لا تطلب من الحي كما في سؤال أهل الموقف الرسل أن يشفعوا لهم وقد يأذن الله فيها وقد لا يأذن.

ومما هو مقرر عند أهل السنة أنه يجوز طلب الرسول ﷺ حال حياته ما يقدر عليه وأن يدعوا الله لهم ويستغفر لهم ومن ذلك أن يشفع لهم في الآخرة وقد طلبه الصحابة بصيغ متنوعة فعكاشة في السبعين وربيعة بالمرافقة وغير ذلك ومع ذلك فالرسول ﷺ لا يملكها فهو يطلبها من الله فيعطيه أو يمنعه وقد دعا لأشخاص فأجيب ولآخرين ومنع ، ولم يجزم لبعضهم باستجابة دعوته لهم أو حصول شفاعته لهم، وذهب بعض أهل العلم إلى أن ذلك خاص بالرسول ﷺ .

ومن أصرح ما دل على هذه المسألة ما رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه أنه قال : سألت رسول الله أن يشفع لي يوم القيامة فقال : (أنا فاعل) .

قال أبوعيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه.

وما جاء عند الإمام أحمد عن زياد مولى بني مخزوم عن خادم للنبي ﷺ رجل أو امرأة قال: كان النبي ﷺ مما يقول للخادم :ألك حاجة ، قال حتى كان ذات يوم

فقال: يا رسول الله حاجتي ، فقال : وما حاجتك ؟ قال: حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة، قال: ومن دلك على هذا؟ قال ربي ، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود.

قول الصحابة للرسول ﷺ استغفر لنا وطلبهم الدعاء منه : من ذلك :

حديث أبي موسى الأشعري في الصحيحين في طلب أبي عامر أن يستغفر له الرسول ﷺ بقوله : قل له يستغفر لي ، فقال الرسول ﷺ : اللهم اغفر لعبيد أبي عامر . فقال أبو موسى ولي يا رسول الله فاستغفر .

حديث عكاشة في السبعين ألف وقوله للرسول ﷺ : (ادع الله أن يجعلني منهم) فقال : (اللهم اجعله منهم) رواه الشيخان . فشفع الرسول ﷺ في عكاشة بدعائه له أن يكون منهم حتى صار منهم.

حديث ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوضوئه ، فقال: لي سل ، فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة ، قال : أو غير ذلك ؟ قلت: هو ذاك ، قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود) رواه مسلم .

وقال ﷺ : (ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه) رواه مسلم وفي حديث آخر شفعهم الله فيه .

المسألة الرابعة والثلاثون: الشفاعة يدخلها التوحيد والشرك :

يجب أن نوحد الله بالشفاعة ونوحد الله في طلبها منه وحده لأنها ملك لله ، ولأن الدعاء عبادة لا يجوز أن تصرف إلا لله .

والشفاعة يدخلها الشرك .

وبذلك يصح أن يقال : توحيد الشفاعة وشرك الشفاعة والشفاعة الشركية .

المسألة الخامسة والثلاثون: الشفاعة شرك من جهتين :

١ – فيها دعاء غير الله .

٢ – فيها مشاركة الله في الشفاعة ومنازعته في أمر ملك له ولذلك سمّى الله ﷻ الشفعاء بالشركاء، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُاْ ﴾ الروم: ١٣ .

المسألة السادسة والثلاثون: الاستغاثة أعم من الشفاعة :

وبيانه أنه إذا كان المدعو شفيعا كانت شفاعة وإن كان مستقلا لم تكن شفاعة .

فقول المشرك : يا محمد أغثنا فهذه استغاثة وليست بشفاعة .

أما قوله: يا محمد اشفع لي عند الله يغيثني أو يقول استغث لنا، فهذه الشفاعة.

فالشفاعة ما جعل فيها الداعي واسطة بينه وبين الله تقرب له وتشفع عنده .

المسألة السابعة والثلاثون : شبهات في باب الشفاعة :

طلب حصول الشفاعة من أعظم الذرائع التي سببت الشرك ، وهي من أكثر الشبه تعلق بها المشركون ، المتقدمون منهم والمتأخرون فيما يتعلق بعلة وقوعهم في الشرك التباسهم في موضوع الشفاعة ، وعدم تفريقهم بين الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية وعدم تفريقهم بين التوحيد والشرك الذي حرمه الله ﷻ ولا يغفر لصاحبه .

ومن الشبهات الفرعية المتعلقة بهذا الباب :

١ – أن الله أعطى الرسول ﷺ الشفاعة في الموقف وشفاعته مقبولة مطلقاً فيجوز أن نطلبها منه .

٢ – أن الرسول ﷺ حي في قبره فنسأله الشفاعة بعد موته وهو في قبره .

٣- أن الكفر والشرك عبادة الشفعاء واتخاذها معبودة وآلهة وليست في دعائها وفي طلب الشفاعة منها.

وسيأتي الرد على الشبهات .

نختم باب الشفاعة بكلام نفيس للإمام ابن القيم في إغاثة اللهفان ص:٢٤٦ .

قال رحمه الله: (فصل في الفرق بين زيارة الموحدين للقبور وزيارة المشركين :

زيارة الموحدين فمقصودها ثلاثة أشياء : تذكر الآخرة والاعتبار والاتعاظ ، والإحسان إلى الميت بالدعاء له ، وإحسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة .

والزيارة الشركية فأصلها مأخوذ عن عبّاد الأصنام . قالوا: الميت المعظّم الذي لروحه قرب ومنزلة ومزية عند الله، لا تزال تأتيه الألطاف من الله تعالى وتفيض على روحه الخيرات، فإذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر، قالوا: فتمام الزيارة على هذا الوجه أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه وقصده للميت، وبهذا السر عبدت الكواكب واتخذت الأصنام المجسدة لها، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعيادا وتعليق الستور عليها وإسراجها وبناء المساجد عليها، وهذا الذي نهى الرسولﷺ عنه وحذر منه وأراد إبعاد أمته عنه، وهذه هي الشفاعة الشركية التي بعثت الرسل بالنهي عنها وتكفير فاعلها، والقران مملوء بالرد على أهلها وإبطال مذهبهم :﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـًٔا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾ الزمر: ٤٣. فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض فهو الذي يشفع لنفسه عند نفسه ليرحم عبده، فيأذن لمن يشاء أن يشفع فيه فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له. ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ السجدة: ٤ .

فأخبر أنه ليس للعبد شفيع من دونه، والشفاعة بإذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيع من دونه بل شفيع بأمره وإذنه.

والفرق بين الشفاعتين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور والخالق والمخلوق، فنفى شفاعة الشريك وأثبت شفاعة العبد المأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه وربه حتى يأذن له، فمن أثبت شفاعة الشركاء الشركية وأشرك بهم المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ظنا منه أنه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله فهو من أجهل الناس بحق الرب وما يجب له تعالى، فإن هذا ممتنع وتشبيه الرب على الملوك والكبراء حيث يتخذون من خواصهم من يشفع عندهم في الحوائج، وبهذا القياس عبدت الأصنام واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي، والفرق بين الشفاعتين هو الفرق بين الرب والعبد والخالق والمخلوق والغني والفقير والذي لا حاجة له بأحد والمحتاج من كل وجه إلى غيره، فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم فإن قيام مصالحهم بهم وهم أعوانهم وأنصارهم ولولاهم لما انبسطت أيديهم وملكهم على الناس فلحاجتهم إليهم يحتاجون لقبول شفاعتهم ولو لم يأذنوا أو يرضوا عن الشافع والمشفوع له لأنهم يخافون إن ردوا شفاعتهم أن تنقص طاعتهم لهم ويذهبون لغيرهم وهذا خلافا للرب المالك الغني القاهر وحده سبحانه، وهذه الشفاعة التي نفاها الله وهي الشفاعة الشركية .

وسر الفرق بين الشفاعتين أن شفاعة المخلوق للمخلوق وسؤاله للمشفوع عنده لا يفتقر فيها إلى المشفوع عنده لا خلقا ولا أمرا ولا إذنا بل هو سبب محرك له من الخارج كسائر الأسباب وقد تكون الشفاعة مع كراهية المشفوع عنده وعدم

رضاه عنها ويقبلها كرها... وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه فإنه ما لم يخلق شفاعة الشافع ويأذن له فيها ويحبها منه ويرضى عن الشافع لم يمكن أن توجد، والشافع لا يشفع عنده لحاجة الرب إليه ولا رهبة منه ولا رغبة فيما لديه وإنما يشفع عنده مجرد امتثال لأمره وطاعة له فهو مأمور بالشفاعة فالرب هو الذي يحرك الشفيع من ملك ورسول ونبي وغيرهم ... ومن وفقه الله لفهم هذا الموضع ومعرفته تبين له حقيقة التوحيد والشرك والفرق بين ما أثبته الله تعالى من الشفاعة وبين ما نفاه وأبطله) .

مبحث :قول الشفاعة يا محمد أو اشفع لي يامحمد

هذه اللفظة توجد عند بعض العامة، ويظنون أن الرسول ﷺ لما كانت له الشفاعة يوم القيامة وأن الله أعطاه إياها أن ذلك مجوزا لأن تطلب منه في الدنيا ويسألونها منه وهو ميت . وهذا باطل فإن قول الشفاعة يا محمد أو أشفع يا محمد شرك أكبر مخرج من الملة والعياذ بالله وبيان ذلك يأتي من أوجه :

الأول : أن الشفاعة يا محمد داخلة في عموم دعاء غير الله، في قولهم: يا محمد المشتملة على يا النداء، والتي تعني دعاء المسألة، والدعاء عبادة لا تصرف إلا لله.

الثاني : أن طلب الشفاعة من غير الله واتخاذ الوسائط هو شرك جميع الأمم :

فإن قول هؤلاء الشفاعة يا محمد مثلها مثل ما يفعله مشركوا النصارى الذين اتخذوا عيسى وأمه إلهين من دون الله في قولهم اشفع لنا يا عيسى عند الله، ويا ملائكة الله اشفعي لنا ومثل ما كانت تفعله العرب من الشرك في قولهم يا اللات والعزى اشفعي لنا عند الله وكما كان يستشفع قوم نوح بآلهتهم بود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا ويطلبون منها الشفاعة: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَٰؤُنَا عِندَ ﴾ .

الثالث : أنها دعاء لغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله وطلب الشفاعة من غيره فالشفاعة ليست من مقدور أحد وليست ملك لأحد غير الله وهذا شرك أكبر .

الرابع : أنها دعاء للنبي ﷺ بعد موته فتدخل في طلب ما لا يقدر عليه إلا الله، وإن من الأمور المجمع عليها كفر من دعا الأموات وخاطبهم وناداهم وسألهم.

الخامس : أن الشفاعة ملك لله وحده فليس لأحد أن يطلبها من غيره.

السادس : أن الشفاعة التي للرسول ﷺ مقيدة وليست مطلقة، قيدها الله عز وجل بإذنه وبرضاه ويوم القيامة وهو حاضر حي ليس بميت وليس له في الدنيا الشفاعة. ويوم القيامة لا يشفع الرسول ﷺ للناس إلا بعد أن يأذن الله ويأمره بها.

مبحث : حقيقة الواسطة وشرك الوسائط

المسألة الأولى : تعريف الواسطة في اللغة .

قال ابن فارس الواو والسين والطاء تدل على العدل والنصف .

وتوسط الشيء صار بين طرفيه والرجل أوسط قومه أي أرفعهم محلاً، والواسطة الوسيلة والسبب والشيء الذي يتم به الانتقال لطرف آخر ويقرب إليه .

الثانية : أسماء الواسطة والألفاظ المرادفة لها :

الشفاعة ، الزلفى ، التقرب والمقرب والتقريب ، الوسيلة ، الدعاء ، المنزلة ، السبب ، القبلة .

الثالثة : المراد بالواسطة وتعريفها:

كل ما يتقرب به العبد إلى الله ويتوصل به إليه .

والتوسط هو ابتغاء الواسطة إلى الله أي الاجتهاد في فعل ما يقرب إليه .

قال ابن القيم في المدارج : (وبالجملة فتجعل الرسول شيخك ومعلمك ومربيك ومؤدبك وتسقط الوسائط بينك وبينه إلا في التبليغ ، كما تسقط الوسائل بينك وبين المرسل في العبودية ، ولا تثبت وساطة إلا في وصول أمره ونهية ورسالته إليك وهذان التجريدان هما حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله).

وقال المقريزي في تجريد التوحيد : (التوحيد حقيقته أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الإلتفات إلى الأسباب والوسائط فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى وهذا المقام يثمر التوكل وترك الشكاية، والرضا عن الله والتسليم له).

وقال ابن تيمية في الاستغاثة : (الوسيلة بين العباد وبين ربهم ﷻ الإيمان بالرسل وطاعتهم).

وقال الألوسي : (ليس لنا وسيلة إلى الله إلا الدعاء المبني على أصول الذل والافتقار والثناء فهو الوسيلة التي أمرنا الله بالتوسل به).

الرابعة: المراد بالواسطة عند المشركين :

بالغ المبتدعة والمشركون في اعتقاد الوسائط والغلو فيها حتى اختلقوا حديثاً مكذوباً وضعوه على الرسول ﷺ : (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه) .

فتعلقوا بالأحجار والأشجار والقبور والأوثان وسألوها كل شيء وطلبوا منها دفع الضر وجلب النفع ورجوها في حصول الخير ودفع الشر فتعلقوا بالأموات والأولياء في قبورهم وعبدوهم من دون الله بدعوى التقريب والشفاعة عند الله وهذا حال جميع المشركين .

الخامسة: أقسام الواسطة بين الله وبين خلقه عند أهل السنة:

١- **واسطة التبليغ والرسالة** : وهي الواسطة التي من الله إلى عباده .

وهي الواسطة التي تبلغ وحي الله للناس من الملائكة الرسل والأنبياء فهم الواسطة بيننا وبين ربنا تبارك وتعالى .

٢- **واسطة العبادة والوسيلة والقربة من العباد إلى الله .**

وهي الواسطة التي تقرب إلى الله وتنجي من عذابه وتدخل جنته وهي المقصودة بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ

وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ المائدة: ٣٥، وهـي فعـل الطاعـات وتـرك المحرمات وهي التي تقرب إلى الله وبها نتوسل عنده ونتوسط بها لديه .

كذلك من هذا القسم الشفاعة يوم القيامة لأهل التوحيد بإذن الله ورضاه ولا تكون هذه في الدنيا .

٣- الواسطة الشركية :

وهي أن يجعل بين الله تعالى وبين خلقه ما يقربهم إليه زلفى ويشفع لهـم عنـده من المخلوقين، فيتوسل بها العبـد إلى الله بـدعاء الله بهـا وهـذا التوسـل البـدعي أو بدعائها من دون الله وطلبها أن تقرب داعيهـا إلى الله وتـشفع لـه عنـده، وهـذا هـو الشرك الأكبر والكفر البواح .

السادسة: أقسام الواسطة والوسيلة المحرمة :

١ - **الواسطة البدعية** : وهي دعاء الله بوسيلة محرمة .

مثل قولهم: اللهم إني أسألك بحق نبيك أو جاهه أو بذاته.

وهذا توسل بدعي باطل محرم لكنه ليس بشرك أكبر.

٢ - **الواسطة الكفرية الشركية** : وتكون بدعاء المخلوق من دون الله والتوجـه إليه بأن يقربه إلى الله ويشفع له عنده وسؤاله وطلبه ذلك .

وهذه عبادة للمخلوق مـن دون الله لأن الـدعاء عبـادة لا تـصرف إلا لله كـما تقدم ولا تسمى وسيلة إلا عند الصوفية والرافضة .

السابعة : من كفر الرافضة والصوفية في واسطة التبليغ :

أنهم زعموا أن الوحي لم ينقطع بموت الرسول ﷺ بل هو مستمر على الأئمة والأولياء وأن الله يرسل الملائكة إليهم بل ويخاطبهم الله ويلهمهم ويكشف لهم الحقائق .

الثامنة : أقسام الواسطة الشركية وطرق المشركين فيها :

١ - طريقة مشركي العرب ومعظم الأمم : الطلب والسؤال :

دعاء الوسائط والآلهة وطلب الشفاعة منهم .

٢ - طريقة الفلاسفة والصابئة وعباد الكواكب: الإفاضة :

حيث يرون أن الكواكب العلوية الروحانية هي الواسطة بين الله وبين خلقه، وقالوا الواحد لا يصدر عنه إلا واحد فأثبتوا العقول العشرة واسطة بينه وبين العالم الجسماني، وطريقتهم في شفاعة الآلهة وواسطتهم بدون سؤال وطلب صريح، وإنما بالتوجه والالتجاء فيفيض لهم بركة الإله والواسطة .

فالشفاعة والواسطة عند هؤلاء :

إذا توجه المستشفع إلى من يعظمه فإنه يتصل بذلك المعظم المستشفع به فإذا فاض على ذلك ما يفيض من جهة الرب فاض على المستشفع من جهة شفيعه، ويقولون: نحن إذا توجهنا إلى هؤلاء بالدعاء لهم وسؤالهم والعبادة لهم فاض علينا ما يفيض منهم وفاض عليهم ما يفيض من جهة الله تعالى .

ويقولون: إن الله عام الفيض وإذا لم يحصل فيضه لأحد فذلك للمانع أو عدم استعداده بنفسه لقبول الفيض لكن صالح لأن ينالها بواسطة مثل شعاع الشمس تشع بضيائها فمن تعرض لها ناله شعاعها ومن استتر بظل ونحو لم ينالـه مباشرة

وبنفسه ولكن يمكن أن يناله شعاعها بطريق الواسطة كالمرآة تعكس الشعاع على المستظل وكلما كانت أجلى كان الانعكاس أشد، قالوا وأرواح الأنبياء لشدة صفائها كانت واسطة تعكس أشعة الفيوض الربانية إلى الخلائق في عموم البركات والخيرات كما كانوا وسائط في إبلاغ الشرائع والأحكام . أنظر تفسير الرازي ٣/ ٧٥ .

وقالوا للعالم صانع منزه عن صفات الحدثان، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيات المطهرون المقدسون عن المواد الجسمانية والقوى الجسدية والحركات المكانية والتغيرات الزمانية جبلوا على الطهارة والتقديس، فنحن نتقرب إليهم ونتوكل عليهم، وهم آلهتنا وأربابنا وشفعاؤنا عند الله، وهو رب الأرباب وإله الألهة، ثم يحاولون أن يصلوا لشفاعتهم بالرياضات وترك الطعام والسحر والعزائم والشهوات . أنظر كتاب الملل والنحل للشهرستاني .

وظنوا أن الشفاعة تشفع لتعلق الشفيع بالمشفوع وإن لم يكن هناك دعاء من الشفيع، وشبهوا ذلك بشعاع الشمس الذي يظهر في المرآة والمرآة تطرح شعاعها على الحائط والأجسام فالشفاعة عبارة عندهم عن نور يشرق من الإله على جوهر النبوة وينتشر منها لكل جوهر استحكمت مناسبته مع جوهر النبوة لشدة المحبة والمواظبة على السنن . من كلام الغزالي في المضنون .

وقال ابن تيمية : (وللناس في الشفاعة أنواع في الضلال فكثير منهم يظن أن الشفاعة هي سبب اتصال روح الشافع بروح المشفوع له فمن كان أكثر صلاة على النبي وأحسن ظناً وتعظيماً كان أحق بالشفاعة).

تنبيه : سبب قول الفلاسفة هذا في الشفاعة: أن الله ليس بفاعل مختار يحدث الحوادث بمشيئته واختياره، بل هؤلاء قالوا الله أوجد العالم بذاته فهو علة العلل .

قال ابن تيمية عن أقسام الوسائط وأنواع إجابتها عند أهل الشرك :

(فالمشركون من الفلاسفة القائلين بقدم العالم هم أعظم شركاً وما يدعونه من الشفاعة لآلهتهم أعظم كفراً من مشركي العرب، فإنهم لا يقولون: إن الشفيع يسأل الله والله يجيب دعوته كما يقوله المشركون الذين يقولون إن الله خالق بقدرته ومشيئته فإن هؤلاء عندهم أنه لا يعلم الجزئيات ولا يحدث شيئاً بمشيئته وقدرته وإنما العالم فاض عنه فيقولون: إذا توجه الداعي إلى من يدعوه كتوجهه للموتى والقبور أو الأرواح العالية فإنه يفيض عليهم ما يفيض ذلك المعظم الذي دعاه واستغاث به وخضع له من غير فعل من ذلك الشفيع ولا سؤال منه لله تعالى، كما يفيض شعاع الشمس على ما يقابلها من الأجسام الصقيلة كالمرآة وغيرها، ثم ينعكس الشعاع من المرآة إلى الجسم الآخر حائط أو غيره - فعباد القبور - مقصودهم بها طلب الحوائج من الميت والغائب إما بطلبها منه أو يطلب منه أن يطلبها من الله وإما أن يقسم على الله به وهؤلاء يقولون: إن ذلك المدعو يطلب تلك الحاجة من الله أو أن الله يقضيها بمشيئته واختياره للإقسام على الله بذلك المخلوق، أما أولئك الفلاسفة فيقولون: بل نفس التوجه إلى هذه الأرواح يوجب أن يفيض منها على المتوجه لها كما يفيض الشعاع من الشمس من غير أن تقصد هي قضاء حاجة أحد (حاجة من توجه إليها) ومن غير أن يكون الله يعلم بشيء من ذلك على أصلهم فتبين أن شرك هؤلاء واتخاذ الشفعاء الذين يشركون بهم أشد من مشركي العرب). الرد على المنطقيين ٥٣٥ .

التاسعة: إجماع الكفار على طلب الوسائط والشفعاء وهذا دين جميع المشركين:

ذكر الله حقيقة دينهم في أصلين من كتابه :

الأول: في قولـه تعـالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨.

والثاني: في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣ ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ ﴾ الأحقاف: ٢٨.

وسمى الله فعلهم عبادة في الآية الأولى المتعلقة بالوسائط المقربة بقولـه تعـالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ ﴾ الزمر: ٣ .

وسمى الله فعلهم عبـادة في الآيـة الثانيـة المتعلقـة بالـشفعاء بقولـه تعـالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨.

العاشرة: عمدة مشركي زماننا في الواسطة :

يستدل مشركو زماننا على كفرهم وطلبهم الوسـائط بقولـه تعـالى : ﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ المائدة: ٣٥ وقولـه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ الإسراء: ٥٧.

ويزعمون أن الوسيلة هي الوسائط من الأوليـاء والأمـوات ونحـوهم وهـي التي تشفع لهم عند الله تعالى .

ولا حجة في الآيتين على ما ذهبوا إليه من الكفر وتجويز الشرك، والجواب عن قولهم الفاسد واستدلالهم الباطل :

أن معنى هذه الآيات المرجع فيه لقول السلف وأئمة التفسير :

فمعنى الوسيلة عندهم في الآية الأولى: هي الطاعة وعبادة الله وليس الشركاء والآلهة ودعاء الأموات والأولياء كما يزعمون .

وفي الثانية: أن من يشرك به من الملائكة وعيسى والأولياء هم أنفسهم يبتغون الوسيلة والقربة إلى الله فهم يرجون رحمة الله ويخافون عذابه فأنتم أيها المشركون أولى بأن تخافوا الله فاعبدوا الله وحده واتركوا عبادة هؤلاء الصالحين .

قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ الإسراء: ٥٦ – ٥٧.

فهؤلاء المدعوين من أمثال عيسى والملائكة هم أنفسهم يريدون ما عند الله ويبتغون الله بفعل الوسيلة المشروعة بالأعمال الصالحة ويخافون عذابه وهذا ملزم لمن يعبدهم أن يعبد من يعبدون الذي بيده النفع والضر .

وقد نفى الله ﷻ قبول الشفاعة عنده إلا بإذنه ورضاه : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ سبأ: ٢٢ – ٢٣.

قال ابن تيمية في الواسطة بين الحق والخلق : (من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه، كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم والناس

يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا السؤال الملك ، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهؤلاء مشبهون لله شبهوا المخلوق بالخالق وجعلوا لله أنداداً).

الحادية عشرة : الشفاعة في الآخرة هي من الوسائط الشرعية :

الشفاعة في الآخرة هي من الوسائط الشرعية وهذا بخلاف طلب الشفاعة في الدنيا من الأولياء والأموات والنبي ﷺ بعد موته فإن هذه من الوسائط الباطلة والشفاعة المنفية المنكرة الشركية، وذلك لأنها طلب من المخلوق أمر لا يقدر عليه ولا يملكه ولم يأذن الله في ذلك ويرضاه.

وهذه الحجة الباطلة حجة كل مشرك طلب الشفاعة من الألهة ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾.

الثانية عشرة : سبب وجود الوسائط الشركية القياس الفاسد :

قاس المشركون الرب ﷻ ملك الملوك بملوك الدنيا، فإنهم لما كانوا محتاجين للواسطة وما ذاك إلا لجهلهم أو عجزهم أو لعدم رحمتهم، علاوة عليه فإن الشفاعة تحصل عندهم من غير إذنهم ولا رضاهم إما لخوف أو لتحصيل مصلحة في دنياهم وحفاظا على ملكهم في الدنيا لزم أن يكون عندهم الوسائط والشفعاء، أما الله تعالى فهو منزه عن ذلك كله، فكيف يجعلون الله تقدس وتعاظم مثل هؤلاء الخلق المساكين .

الثالثة عشرة : أنواع الشرك في الوسائط :

١ – وسائط تأله تعطى صفات الألوهية:

وذلك بدعائها وسؤالها الشفاعة عند الله فيشرك بها في الألوهية .

٢ – وسائط تعطى صفات الربوبية وأفعال الرب تعالى:

وذلك بسؤالها مع اعتقاد أنها تملك النفع والضر وأن لها التصرف والقدرة الكاملة مطلقاً واستقلالها بذلك فيشرك بها في الربوبية .

الرابعة عشرة : إسقاط الوسائط :

غلاة المشركين والقبورية يسقطون الواسطة فيجعلونها رباً وإلهاً يدعى مباشرة واستقلالاً من دون الله، فلا يقولون لها اشفعي لنا عند الله ليغفر لنا واسأليه أن يرزقنا إنما يطلبونها ويسألونها أن ترزقهم هي وتغفر لهم من دون الله، وهذا شرك في الربوبية وهو أعظم من مجرد الشرك في الألوهية، فهؤلاء يقولون لها اغفري لنا وانصرينا وارزقينا ولا يقولون لها كما يقوله عامة أهل الشرك: اطلبي الله أن يرزقنا وينصرنا أو استنصري الله لنا بل يطلبونها استقلالا .

الخامسة عشرة: الغلو في الواسطة :

غلا كثير من القبورية المشركة فرفعوا الواسطة من كونها تشفع عند الله لنيل النفع ودفع الضر إلى كونها بذاتها تنفع وتضر وبيدها الخير والشر .

السادسة عشرة: باب الوسائط له ارتباط بالشفاعة والتوسل وشرك الدعاء:

لأن شرك الدعاء قائم على الوسائط، ولذا قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : (الناقض الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة).

السابعة عشرة: تعلق القبورية بالأسباب وغلوهم فيها، وابتداعهم وسائط يزعمون أنها مقربة كالدعاء في المقابر والصلاة عندها أو دعائها والاستغاثة بها .

الثامنة عشرة: جعل الله واسطة عند خلقه وشفيعاً للداعي عند الله :

يقول البعض (الشفاعة يا الله – أو يا الله اشفع لنا عند فلان أو الولي واسطتى الله عز وجل وشفاعتي بالله عز وجل) ، **وهذا يحتمل أمرين اثنين:**

الأول: إن قصد الشافع أن الله هو الشافع والمتوسط عند خلقه أو أنه كالواسطة يتوسط له عند المخلوق من ملك وغيره فهذا قد استشفع بالله وقد نزل الله تعالى عن منزلته، وقال قولا عظيما واعتقد اعتقادا فاسدا وارتكب أمراً محرماً ووقع في سوء الأدب مع الله، فإن الله تعالى أعظم شأنا من أن يشفع عند أحد فالكل خلقه وعبيده، وقد غضب الرسول ﷺ على الرجل الذي قال:(نستشفع بالله عليك) وأنكر عليه هذا اللفظ .

فعن جبير بن مطعم ؓ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي ﷺ : (سبحان الله! سبحان الله!) فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال النبي ﷺ: (ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه) رواه أبو داود.

الثاني: إن قصد التوكل وأن الأمر كله لله عز وجل ، فهذا يجوز ولكن هذا اللفظ الأولى تركه، لوجود الإيهام فيه والقاعدة (أن أي لفظ يوهم فإن الله أمرنا

بتركه) ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَا تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا ﴾ البقرة: ١٠٤ فهذا يدل على أن الإنسان يجب أن يتقيد بالألفاظ الشرعية التي لا إيهام فيها .

التاسعة عشرة: أنواع الوسائط :

١- ما كان من جهة القرب والتقرب والتزلف وهي المطلوبة في جلب النفع والخير : ﴿ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ الزمر: ٣.

٢- ما كان من جهة التشفع وهي المطلوبة لكشف الكرب ودفع الضر :﴿ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ .

وسمى الله فعلهم عبادة في الآيتين كما تقدم .

وتنقسم أيضا إلى :

١- واسطة من الله إلى الخلق: بالرسل والأنبياء والملائكة وهي المبلغة أمر الله.

٢- واسطة من المخلوق إلى الله وهي أنوع :

مشروعة : وهي الأعمال الصالحة .

باطلة : وهي اتخاذ الأنداد والشفعاء والوسائط .وهذا من أعظم أنواع الشرك الذي كفر بها المشركين .

العشرون : أسباب الوسائط عند البشر وملوك الدنيا:

١- الجهل وعدم العلم: إما لإخبار الملوك من أحوال الناس وأمور دولهم بما لا يعرفونه والله يعلم كل شيء ومن قال غير ذلك كفر .

٢- العجز وعدم القدرة: أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه فلابد له من أنصار وأعوان، والله سبحانه له القدرة التامة فلا

يحتاج معها إلى ظهير ولا ولي من الذل، وكل ما في الوجود أسباب وهو الخالق المدبر والمليك وحده .

٣- الجور وعدم الرحمة: أن يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته والإحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك، فإذا خاطب الملك من ينصحه أو له جاه ومكانه عند الملك أو الملك يهابه ويخاف منه أو يرجوه، فيقبل شفاعته .

وتتحرك إرادة الملك ورحمته لقضاء حوائج رعيته وإن كان ذلك قد يحصل من غير إذنه ولا رضاه .

والرب ﷻ ليس بحاجة ولا يرجو أحداً ولا يهاب وهو الرحيم سبحانه الغني الحميد فلا يشفع أحد عنده إلا من بعد إذنه ورضاه والشفاعة كلها ملك له سبحانه وتعالى بل إن الرسول ﷺ في الموقف لا يشفع ابتداءاً وإنما يأمره الله بالشفاعة حين يقول الله ﷻ له: (ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع) متفق عليه.

الحادية والعشرون: من أثبت الوسائط والشفعاء عند الله فيلزمه أحد أمور :

١ - أن يكون الله لا يعلم بأحوال خلقه وحوائجهم .

٢ - أن يكون عاجزاً عن نفع خلقه غير قادر إلا بالشفعاء .

٣- أو أن الرب يرجو أحداً من خلقه ويخافه .

٤ - أن يكون هناك من يكره الله على خلاف مراده .

٥ - أن الله لا يرحم إلا باستعطافه .

والله سبحانه بين بطلان هذه وأنها تلـزم مـن اتخـذ الـشفعاء كـما قـال : ﴿ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ يونس: ١٨ ردا على مزاعم المشركين في قولهم﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾.

الثانية والعشرون : شبهات أهل الوسائط الشركية :

هي نفس الشبهات في شرك الدعاء وطلب الشفاعة : ومنها:

الأولى: منع المشركين والقبورية العصاة والمذنبين مـن التوجـه إلى الله مبـاشرة لكونهم بعيدين عن الله والله لا يحبهم لتقذرهم بالمعاصي ولبعدهم عنه فلا بد لهم من البحث عن واسطة سالمة من الذنوب لها مكانة عند الله قريبة منه، فتشفع لهم عنده .

الثانية: قياس القبورية الواسطة الشركية في العبادة على الواسطة في التبليغ .

الثالثة: زعم القبورية أن اتخاذ الوسائط ودعاءها هو من تعظـيم الأوليـاء بـل ومن تعظيم الله وتعظيم شرعه ودينه .

وقالوا: إن المراد بالوسيلة ليس التقرب إلى الله بالطاعة وإنما الوسيلة الوسـائط الشركية من الأموات ونحوهم .وزعموا أنـه لـيس مقـصدهم مـن اتخـاذ الوسـائط والشفعاء إلا تعظيم الله فوقعوا في تنقيصه.

وسيأتي الرد عليها في باب كشف الشبهات .

مبحث: طلب الدعاء من الميت (عبارة: يا نبي الله أو يا ولي الله ادع الله لي)

صورة المسألة : أن يقول قائل لميت عند قبره أو بعيدا عنه يا فلان: ادع الله لي.

سواءً كان الميت نبينا محمد ﷺ أو غيره .

وهذه المسألة خصصناها بالذكر لوجود شبهة فيها عند بعض جهال المتأخرين الذين قالوا: إن هذه اللفظة أو هذا الدعاء ليس من دعاء غير الله ﷻ وأن هذا ليس شركا أكبر وإنما من باب الشرك الأصغر أو أنه من الدعاء المحرم .

سبب قول هؤلاء : كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه التوسل والوسيلة لم يفهموا معناه : قال رحمه الله : (الثانية: أن يقال للميت أو الغائب من الأنبياء والصالحين ادع الله لي أو ادع لنا ربك أو اسأله لنا كما تقول النصارى لمريم وغيرها فهذا أيضاً غير جائز وأنه من البدع) .

ففهموا أن في قوله: (فهذا غير جائز ومن البدع) ، أن هذا دليلا على أنه ليس شركاً أكبر لأنه لو كان شركا أكبر ما قال (بدعة) .

والحقيقة : أن قول: يا نبي الله ادع الله لي هو من الشرك الأكبر وليس من الشرك الأصغر، وهي مثل أن يقول الإنسان: يا رسول الله اشفع لي وأغثني.

وردنا على قولهم الفاسد من أوجه كثيرة:

الأول : أنهم لم يأتوا على هذا القول العظيم الفاسد بدليل من كتاب الله ﷻ ولا من سنة رسوله ﷺ ولا ببيان واضح من أهل العلم، بل النصوص الصريحة الصحيحة تدل على أن دعاء غير الله تعالى مطلقاً شرك أكبر مخرج من الملة وقد ذكرنا

ذلك في شرح الناقض الثاني ولم نفرق بين صفة وصفة، بل إن قولهم يخالف الأدلة المحرمة لدعاء غير الله ﷻ .

الوجه الثاني : أن قول ابن تيمية رحمه الله (بدعة) لا يعني أنه ليس بشرك أكبر فالأصل أن كل شرك بدعة ، لأن التوحيد هو الأصل وهو السنة المتبعة وهو دين الله تعالى وهو الذي نزل به آدم وأتى به نوح عليهم السلام، والشرك كان دخيلاً على الناس فهو بدعة من هذا الباب .

الوجه الثالث : أن في كلام ابن تيمية رحمه الله رداً على من فهم هذا الفهم حيث قال : (كما تقول النصارى لمريم وغيرها) .

وهل ما تقوله النصارى لمريم من الشرك الأكبر أم من الشرك الأصغر ؟!

فإن قالوا : إنه من الشرك الأصغر، فهذا من غاية البطلان إذ أن كفرهم وشركهم متفق على أنه شرك أكبر كدعائهم لمريم وغيرها .

وإن قالوا: شرك أكبر فمعنى ذلك أنه شرك على لسان ابن تيمية، وقوله أن هذا من البدع لا يعني أنه ليس بشرك أكبر وهذا هو الحق والصواب أن في قوله: (إنه غير جائز وأنه من البدع) أنه لا يخرج من كونه شركاً أكبر ولا يعني أنه أصغر ولا يفهم من الكلام غير ذلك.

الوجه الرابع : أن لابن تيمية نقلا آخر يبين فيه خطأ ما توهمه هؤلاء حيث يقول: (وأن إثبات وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون

الملوك حوائج الناس بسبب قربهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم للملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج فمن أثبتهم للوسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك) مجموع الفتاوى ١/ ١٢٨.

ووجه الشاهد في قوله :(فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله) كأن يقول يا فلان اسأل الله لي وادع الله لي، وفي هذا دلالة على أن دعاء الخلق وسؤالهم بقول: (يا فلان ادع الله لي) أنه شرك أكبر .

الوجه الخامس : أن من قال : يا ولي الله أدع الله لي فقد أشرك، لأن الميت لا يقدر على الإجابة، ودعاء الأموات مطلقا شرك أكبر ولا يكون شركا أصغر، لأنه دعاء من لا يقدر على شيء ، وهذا من باب الشرك الأكبر.

السادس : أنه لا فرق بين قول القائل(ادع الله لي) وبين أن يقول: (اشفع لي) :

فكلاهما فيه اتخاذ واسطة للشفاعة وطلب الدعاء وسؤال للميت ما لا يقدر عليه، فهي بمعنىً واحد، وأما قولهم: إنه ليس بدعاء، فإنه يقال: ما معنى (ياء) النداء في قول: (يا ولي الله اشفع لي) و(ياولي الله ادع الله لي) ونحو ذلك .

الوجه السابع : أن اعتقاد أصحاب هذا القول أنه لا يكفر قائل هذه العبارة حتى يقارن قوله الاعتقاد في المدعو، هو عين قول الصوفية القائلة أن لا نعتقد فيهم النفع والضر وإنما ندعوهم لأجل الشفاعة والتقرب .

الوجه الثامن : أننا نقول: ما الفرق بين دعاء الجن والملائكة ودعاء غير الله ﷻ وقولهم يا نبي الله ادع لي ؟ فما الفرق بين أن يقول : يا جن افعلي لنا وأعيذينا، وبين أن

تقول : يا ولي الله ادع الله لي أو يا ملك ادع الله لي فكلاهما بمعنى واحد بل دعاء الميت أشد كفراً وأظهر شركا ولذلك من قال : إن دعاء الملك أو الجن في قوله يا جن ويا ملائكة ليس شركاً فقد خالف الكتاب والسنة فكيف بدعاء الميت بأن يقال يا ولي وقد مات فهو شرك بالإجماع .

الوجه التاسع : أن هذا يخالف ما ثبت وما تقرر عند أئمة الدين وأجمعوا عليه أن دعاء غير الله ﷻ من باب الشرك الأكبر، ومن ذلك قياس دعاء الأموات بدعاء الملائكة ومن أقوال أهل العلم :

قال الإمام ابن القيم في مدارج السالكين: (ومن أنواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته وأن يشفع له إلى الله فيها).

والشاهد: (سأله أن يشفع له إلى الله) فهو بمعنى أن يقول : يا نبي الله ادع لي .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: (إن جاز التعلق بالأموات، جاز أن يستظهر العبد بالحفظة والملائكة الذين هم لا يفارقونهم بيقين، وهذا لا يقوله مسلم أصلاً، بل لو فعله أحد لكان شركاً بالله، فإذا لم يجز ذلك في حق الملائكة الحاضرين فإنه لا يجوز في حق أرواح أموات قد فارقت أجسادها) مجموع الرسائل٤/ ٣٨٥ .

قال الشيخ عبد اللطيف يبين حقيقة هذه اللفظة : (في أن قول القائل يا فلان الميت ادع الله لي بالهداية مثل قول يا فلان الميت نجني أو نحو من ذلك، فإن في سؤال

الميت مما لا يملك ولا يقدر عليه الأموات فلا يقدرون عليه فقد أشرك بالله ﷻ) مصباح الظلام ص: ٢٥٨ .

وقال: (وأما تخصيص الشرك في هداية القلوب وشفاء المريض وإنبات النبات وطلب الدنيا ونحو من ذلك ، فإن ذلك من جهله ؛ فإن الأسباب العادية التي لا يستطيع الإنسان في حياته تنقطع بموته كما في الحديث :" إذا مات ابن آدم انقطع عمله .." وبذلك تصير طلبتهم في حكم فيما لا يستطيع في حياته ...وقد تقدم القول يا والي المسيح اشفع لنا عند الله شرك).

والشاهد في قوله (أن تشفع بالدعاء)، فالطلب بالدعاء داخل فيما يسمى طلب الشفاعة، ومن قال: يانبي الله ادع الله أن تشفع لي، هو مثل أن يقول: اشفع لنا.

فلا فرق بين قول: يا نبي الله ادع الله لي ، وبين قول: يا نبي الله اشفع لي .

فقول: ادع الله لي هو طلب الشفاعة في الحقيقة لا فرق، واللفظان بابهما واحد ولا فرق بينهما .

وعليه فعبارة (يا فلان ادع الله لي) والمدعو ميتا ، تعتبر كفرا ناقلا عن الملة ومن شك في كونها شركا أكبر فهو كافر، ومن حكم بأنها ليست بكفر فإنه يحكم بكفره ولا يعذر بجهله لأنه يعد ممن صحح الكفر وشك فيه . ألا فليتنبه لهذا القول الخطير وليرعوي من يفتي بأن هذه العبارة ليست بكفر وعليه أن يتأمل الأدلة.

مبحث : دعاء الصفات :

أمثلة : يا رحمة الله ويا لطف الله ويا غوث الله ويا عناية الله .

وهذا دعاء غير الله ﷻ وهو من الشرك، لأن الصفات لا تستقل بالدعاء فلا يمكن أن يدعى لطف الله إنما يدعى اللطيف الخبير ، فيقال : يا لطيف يا رحيم ولايجوز أن يقال: يا لطف الله ويا رحمة الله .

فلا يجوز أن تدعى الصفة، لأنها لا تملك نفعاً ولا ضراً ولا تستقل بالدعاء، لأنها غير مستقلة بالوجود أصلا .

قال ابن تيمية: (أما دعاء صفاته وكلماته فكفر باتفاق المسلمين ، فهل يقول مسلم : يا كلام الله اغفر لي أو يا علم الله أو يا قدرة الله ويا عزة الله ويا عظمة الله ونحو ذلك) . الاستغاثة ص:١١٤ .

قلت ولو أراد الداعي لرحمة الله ولطفه الله ﷻ لما كان شركا ولكانت عبارة موهمة ينبغي تركها سدا للذريعة .

تنبيه : قول النبي ﷺ : (برحمتك استغيث) و (أعوذ بعزتك وقدرتك) :

ليس من دعاء الصفات وإنما هو استغاثة واستعاذة بالله المتصف بصفة الرحمة والعزة والقدرة وغيرها ، فالله المدعو وليس الصفة ، ففرق بين أن تقول يا رحمة الله ويا قدرة الله ، وبين أن تقول : يا الله أسألك برحمتك وعزتك وكرمك وعفوك ، وهذا من أنواع التوسل وهو سؤال الله ودعائه بأسمائه وصفاته .

مبحث : دعاء الجن (المناذير)

المسألة الأولى:تعريفها :

هي دعاء الجن، والاستغاثة بهم، والطلب منهم وسؤالهم إيقاع الضرر بالمدعو عليه.

وتسمى عند العامة بالمناذير ،لأن المدعو عليه ينذر للجن ويجعل من حض الجن ونصيبهم، ومنه قول أم مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ آل عمران: ٣٥.

المسألة الثانية: أمثلتها :

خذيه يا شياطين، ويا جن انفري به، ويا بقعا صوعيه وروعيه ويا سبعة ويا حسن ويا أهل الحدة ويا أم الصبيان، وكسروك وعصروك ونفخوك ، وامتصوه وطيروه، وعدوا ودخلوا وحشوا ودبوا، وأعموه واقتلوا، واحضروا، وافعلوا واتركوا . آهو لكم ومعناه تملكوا عليه واستعبدوه .

ونحو ذلك من الألفاظ التي فشت في بعض العامة .

تنبيه : لو قال الله يجعل الشيطان يأخذه ويجعل بقعا تصوعه لما كان من الشرك لأنه دعا الله، لكنها من التعدي في الدعاء .

المسألة الثالثة : حقيقة المناذير ووجه الكفر فيها وكيفية دعاء الجن:

المناذير هي في الحقيقة دعاء للجن واستغاثة بهم واستعاذة بهم من دون الله، فهي في العموم داخلة في دعاء المخلوق من دون الله، ودعاء غير الله شرك، فالمناذير إذا تدخل ضمن شرك الدعاء .

وحقيقة شرك الدعاء :

أن يطلب الإنسان من المخلوق أمرا لا يقدر عليه إلا الله ويتوجه للمخلوق ويذل ويخضع له.

كأن يقول ياولي الله أغثني أو يارسول الله استغفر لي واشفع لي وقربني من الله، ويا ملائكة الرحمن ويا عيسى وأمه ويا اللات ويا مناة ويا ود وسواع اشفعوا لي عند الله، وياملك الجن أعذني واكفني شر جنودك أو انتقم لي من فلان أو أنزل به ضررا، ومثل ذلك خذوه يا جن ومصوه وانفروا به وانثروا دمه.

وهذا هو حقيقة شرك جميع الأمم من الأولين والآخرين كما حكى الله تعالى عنهم في قوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ يونس: ١٨ وقوله: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ الزمر: ٣ وقوله:﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ الجن: ٦ .

فالله ﷻ أمرنا أن ندعوه ولا ندع غيره وأوجب علينا أن نوحده في دعائه ولا نشرك أحد معه في الدعاء وغيره من العبادات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الجن: ٢٠ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٣ ، وأمرنا أن نستعيذ به ولا نستعيذ بغيره كما في قوله: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فصلت: ٣٦ وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾.

فالواجب أن نقول يا الله انفعنا وادفع الضر عنا واكفنا وأغثنا، لا أن نقول خذيه ياشياطين وانفري به وأهلكيه وادخلي من جوفه ، إن هذا كله من شرك الدعوة ودعاء للجن من دون الله وتعليق للقلب بها واعتقاد نفعها وضرها وقدرتها على كل شيء وكل هذا من الشرك الأكبر .

كما أخبرنا سبحانه أن الجن يعبدها كثير من الإنس، وأن عبادتها حصل بطاعتها وبدعائها من دون الله والاستعاذة والاستغاثة بها والخوف منها كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ .

على ما تقدم فعبارة خذيه ياشياطين وانفري به ونحوها من العبارات هي داخلة في الاستعاذة برجال من الجن فهي من باب شرك الدعاء الذي يكفر قائله .

المسألة الرابعة : عبادة الجن والشرك بهم تقوم على أمرين:

الأول: طاعتهم في الكفر والشرك والعصيان وعبادة غير الله :

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ إبراهيم: ٢٢ .

وقال تعالى ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الأعراف: ١٦ -١٨

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ الأنعام: ١٣٧ فأطاعوهم.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ مريم: ٤٤

وقال: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ يس: ٦٠

وقال: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ المجادلة: ١٩

وقال: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ الأنعام:١٢٨

وقال: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف٢٧

وقال: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ الإسراء: ٦٤.

الثاني: دعائهم ومخاطبتهم والاستعاذة بهم ورجائهم والخوف منهم:

قال ﷻ: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ الجن: ٦.

وقال: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٧٥

وقـــال: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ النساء: ١١٧.

المسألة الخامسة : أدلة كفر من دعا الجن وعبدهم :

أولا: الأدلة العامة على شرك الدعاء وكفر فاعله :

سواء كان المدعو رسولا ونبيا أو من الملائكة أو وليا أو شيطانا وجنيا أو كوكبا أو صنما أو غير ذلك .ومن تلك الأدلة :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ الزمر: ٣٨ وقَالَ ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ العنكبوت: ٦٥

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٧ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ الأحقاف: ٥ وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الجن: ٢٠.

وقال ﷺ : (من مات وهو يدعو غير الله دخل النار) متفق عليه.

ثانيا: الأدلة الخاصة التي نصت على كفر من دعا الجن واستعاذ بهم وعبدهم .

قال ﷻ: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ الجن: ٦.

وقال: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٧٥

وقال: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾ مريم: ٤٤

وقال: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ يس: ٦٠

وقال: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ سبأ: ٤١

وقال: ﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾

وقال: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الأنعام: ١٠٠

وقال: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ الأنعام:١٢٨

وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ الأنعام: ١١٢.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾.

المسألة السادسة: أقوال أهل العلم في كفر من دعا الجن:

قال ابن مسعود ﷺ :" كان ناس من الإنس يعبدون ناسا من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم "رواه البخاري .

فائدة : تسمية الجن ناسا .

قال الكلبي في كتابه الأصنام : " بني مليح من خزاعة كانوا يعبدون الجن وفيهم نزلت ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٤ ".

قال أهل التفسير عند قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٍ ﴾ الأنعام:١٢٨ :" استمتاع الجن بالإنس طاعتهم لهم فيما يأمرونهم به من الكفر والمعاصي . واستمتاع الإنس بالجن أنهم أعانوهم على معصية الله والشرك به، وقضاء حوائجهم واستخدامهم بالسحر وغيره " .

قال ابن كثير في تفسيره :

قال الحسن :"وما كان استمتاع بعضهم ببعض إلا أن الجن أمرت وعملت الإنس ".

وقال ابن جريج :" كان الرجل في الجاهلية ينزل الأرض فيقول أعوذ بكبير هذا الوادي فذلك استمتاعهم ".

قال ابن جرير في تفسيره : كان الرجل إذا أمسى بقفر قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه ".

قال كعب : يحفظونه من أمر الله لولا أن الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم لتخطفتكم الجن وملائكة العذاب من أمر الله ".

وفي تفسير القرطبي :" زادوهم رهقا قال سعيد بن جبير كفرا . ولا يخفى أن الاستعاذة بالجن من دون الاستعاذة بالله كفر وشرك ".

وفي جواب اللجنة الدائمة للإفتاء رقم ٤٣٣ وتاريخ ٢٠/ ٤/ ١٣٩٣هـ في سؤال عن حكم المناذير دعاء الجن والشياطين على شخص ما ليعملوا به عملا مكروها كأن يقال خذوه أذهبوا به انفروا به .

أجاب أهل العلم برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز :" فاستعانة الإنسي بالجني في إنزال ضرر بغيره واستعاذته به في حفظه من شر من يخاف شره كله شرك، ومن كان هذا شأنه فلا صلاة له ولا صيام ، ومن عرف عنه ذلك لا يصلى عليه إذا مات ولا يدفن في مقابر المسلمين ".

المسألة السابعة : أوجه الكفر في المناذير وأسباب كونها من الشرك الأكبر المخرج من الملة : وأنواع الشرك فيها :

الأمر الأول : شرك الربوبية والقادرية :

أن فيها اعتقاد وجود من يملك النفع والضر من دون الله عز وجل فالناذر يعتقد في الجن أنها تنفع وتضر مع الله تعالى وإلا ما كان ليسألهم، فهو يعتقد أنها تستطيع القتل والإماتة والأخذ والإخفاء والتطيير والتملك وغير ذلك من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، والتي من أثبتها لغير الله وطلبها من غيره كان مشركا، ومما لاشك فيه أن من يقول خذيه ياجن وأميتيه لابد وأن يكون معتقدا أن الشياطين والجن قادة وأنها تنفع وتضر من دون الله عز وجل وهذا شرك أكبر وهو متعلق بالربوبية . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الروم: ٤٠ ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ الرعد: ١٦ .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـًٔا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾ الزمر: ٤٣ ﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ يونس: ٣٤.

الأمر الثاني: شرك الدعوة (الدعاء):

أن المناذير تقوم على دعاء غير الله عز وجل، وقد بين الله تعالى في كتابه العزيز أن دعاء المخلوق وسؤاله أمرا لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر مخرج من الملة كما في قوله: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٧وقوله: ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٣ وقوله: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ الأحقاف: ٥ وقوله: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الجن: ٢٠، والله تعالى أخبر أن المدعوين لا يملكون شيئا وليس بيدهم نفعا ولا ضرا وأن من يدعوهم فقد اتخذهم آلهة ومعبودات، فالله تعالى سمى المدعو إلها ومعبودا ونفى أن يكون بيد أي مدعو غيره نفع أو ضر في آيات كثيرة قدمنا بعضها،وأخبر أنه بهذا العمل يصير واقعا في الشرك الأكبر الذي هو دعاء غير الله كما قال تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ يونس: ١٨ وقال: ﴿ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ الجاثية:١٠ وقال: ﴿ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ الأحقاف: ٢٨ وقال: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾ الزمر: ٣ وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ

ﱡﭐ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﱠ الزمر: ٣٨ وقال: ﱡﭐ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﱠ العنكبوت: ٦٥، وإذا كان الجن غير قادرين ألبته على إجابة من يدعوهم وينذر لهم، ولا يستطيعون تحقيق ما يطلبه الناس منهم كغيرهم ممن يدعى مع الله كما أخبر عنهم بقوله: ﱡﭐ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ ﱠ فاطر: ١٤ وقال: ﱡﭐ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﱠ يس: ٢٣ ، فكيف ومن يدعوهم ويسألهم يطلب منهم أمور لا يقدر عليها إلا الله من الأفعال المتعلقة بالربوبية مثل الإماتة والإعدام ونحو ذلك ثم هم مع ذلك غائبين.

ثم إن في دعاء الجن كفر أكبر لأن فيه تعطيل لدعاء الله عز وجل وعدول عنه بغيره ومساواة له بخلقه.

ثم إن من يدعو الجن ويستعيذ بهم وينذر لهم فإنه لم يفعل ذلك إلا لأنه يعتقد أن الجن تنفع وتضر لذلك يخافون منهم ولأجل هذا الله عز وجل كفر الذين يدعون الجن ويستعيذون بهم: ﱡﭐ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ﱠ الجن: ٦ أي كفراً وخوفاً .

وفي قوله عز وجل : ﱡﭐ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﱠ سبأ: ٤١ وقوله: ﱡﭐ وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﱠ النساء: ١١٧، دليل على أن عبادة الجن موجودة وكانت عبادتهم بدعائهم لغير الله عز وجل، على ما قررنا فإن فمجرد دعاء الجن بقول: يا جن افعلوا واتركوا شرك أكبر .

الأمر الثالث : شرك الخوف :

أن من دعا الجن فقد وقع في شرك آخر وهو شرك الخوف . والخوف من الجن هو خوف محرم وشرك مخرج من الملة إذا كان كالخوف من الله ، داخل في خوف السر وهو الخوف من المخلوقين والجن فيما لا يقدر عليه إلا الله في الإماتة والأخذ ونحو ذلك والخوف يحصل من قائلها وممن قيلت له . ودليل ذلك أن هذه العبارات إذا قيلت للمدعو عليه خذوه فإنه يخاف ويرتعد، والله حكم بكفر من يخاف الجن ونفى عنه الإيمان قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٧٥، وإن من يدعو الجن ويستعيذ بهم ويتنذر لهم فإنه لم يفعل ذلك إلا لأنه يعتقد أن الجن تنفع وتضر ويخاف منها، ولذلك الله عز وجل كفر الذين يدعون الجن ويستعيذون بهم :﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ الجن: ٦ أي كفراً وخوفاً .

الأمر الرابع : شرك المالكية :

في بعض عبارات المناذير اعتقاد أن الجن تملك في البشر وأن لها استقلالاً في الملك مثل قولهم : هوَ لكم أو فلان لكم وللشياطين ونحو ذلك.

المسألة الثامنة: الشبهات التي تثار حول المناذير :

الأولى : أن دعاء غير الله عز وجل لا يكون شركا إلا مع اعتقاد الربوبية والاستقلال بالنفع والضر ودعاؤنا للجن لا نعتقد فيهم أنهم يخلقون ويرزقون ويحيون ويميتون.

والرد على هذه الشبه من أوجه :

أن هذه الشبهة هي شبهة كل مشرك وهي قولهم لا نعتقد الخالقية والرازقية والمالكية في من ندعوه ولا أنه ينفع أو يضر من دون الله، وهذه شبهة باطلة فكفر من دعا غير الله عز وجل ليس شرطاً أن يعتقد فيه النفع والضر، كما قال الله تعالى عن المشركين الكفار وعن حقيقة شركهم :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ وقال تعالى: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣ ، فمجرد قصد التقريب أو طلب النفع أو دفع الضر شرك أكبر، وليس شرطا أن يكون الإنسان المشرك يعتقد أن هذا المدعو له استقلالية في الربوبية فإن هذا شرك في الربوبية وهذا شرك في الألوهية .

وقد كان الكفار معترفين بالربوبية مقرين بها كما قال عز وجل عنهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ الزخرف: ٨٧ وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ لقمان: ٢٥.

ثانياً : أن الله ﷻ كفر من دعا الجن واستعاذ بهم كما بينا مع أنهم لا يعتقدون إلا مثل ما يعتقده هؤلاء كما في قوله: ﴿ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ سبأ: ٤١، فهذا دليل على أن عبادة الجن موجودة، وكانت عبادتهم بدعائهم لغير الله عز وجل كما في قوله: ﴿ وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ النساء: ١١٧ .

فكيف يقال بعد هذا أن دعاءهم ليس بشرك .

إن مجرد دعاء الجن بقول القائل: (يا جن افعلوا واتركوا) شرك أكبر لأنه مثل لو دعا الذي بجانبه من الملائكة من الحفظة قال : يا ملك رقيب ، أفعل لي واترك لي هذا من الشرك الأكبر فضلا عن دعاء الجن .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن:" إن جاز التعلق بالأموات، جاز أن يستظهر العبد بالحفظة والملائكة الذين هم لا يفارقونهم بيقين، وهذا لا يقوله مسلم أصلاً، بل لو فعله أحد لكان شركاً بالله، فإذا لم يجز ذلك في حق الملائكة الحاضرين فإنه لا يجوز في حق أرواح أموات قد فارقت أجسادها " . مجموع الرسائل٤/ ٣٨٥ .

ثالثاً : عموم الآيات الناهية عن دعاء غير الله .

والله تعالى اثبت أن مجرد دعاء المخلوقين شرك وكفر مخرج من ملة الإسلام سواء كان المدعو من الملائكة أو الرسول ﷺ أو عيسى عليه السلام أو الصالحين والأولياء أو الأصنام أو الجن والشياطين . ولا يقول أحد أن من دعا هؤلاء أنه يشترط في تكفيره أن يعتقد فيهم الربوبية وأنهم يخلقون ويرزقون . بل دعاء غير الله من الشرك ومعلوم أن مجرد الدعاء والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة والدعاء والطلب والسؤال بدخول ياء النداء للمنادى (يا جن افعلوا واتركوا ويا شياطين ويا بقعاء ونحو ذلك فهذا دعاء لغير الله عز وجل ويسمى ذلك عبادة فمن دعا شيئا فقد عبده ويعتبر شرك بذاته . وقد ذكرنا الأدلة في ذلك .

ومما يدل لذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ الشعراء٢١٣ وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ الأحقاف: ٥ وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الجن: ٢٠ وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ الجن: ٦ .

الثانية : أن الجن دعاؤهم هنا ليس دعاء لغير الله عز وجل فيما لا يقدر عليه إلا الله لأن الجن هنا حاضرون والحاضر يجوز دعاؤه .

والرد على ذلك من أوجه :

أولاً : أن الجن لا يسلم بأنهم حاضرون بل هم غائبون عن الناس والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ﴾ الأحقاف: ٢٩وقوله: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ الجن: ١٠ فلم تكن جميع الجن لتعلم بما يصير في الأرض فقد أخبرت عن أنفسها بجهلها وعدم علمها بمبعث الرسول ولا ما كان سببا في منعهم من استراق السمع، كما أخبر سبحانه عن جهلهم وإبطال ما يعتقده المشركون بهم من كونهم حاضرين ويعلمون الغيب ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ سبأ:١٤ .

وقال﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾المؤمنون:٩٨ .

فهم غائبون بأمر الله تعالى محجوبون عن البشر لا يصلون إلى الناس .

ثانيا : ثم إن الله تعالى قد كفر الذين كانوا يدعون الجن ويستعينون بهم كما في قوله جل ذكره:﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ النساء: ١١٧ . وقوله:﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ يس: ٦٠ وقوله:﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ سبأ: ٤١ وقوله:﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ الجن: ٦ والجن لو قلنا بأنهم حاضرون لكانت الاستعاذة هنا استعاذة جائزة : أعذنا يا ملك الجن ممن تحتك، ولما كفرهم الله عز وجل في قوله: ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي كفراً وأيضاً من معاني الرهق هنا : الخوف والشدة .

الشبهة الثالثة : أن الجن قادرون على إيقاع ما يطلب منهم وعلى فعل هذه الأمور.

والرد عليها من أوجه :

الأول : أن الجن في حكم الغائب والغائب غير قادر ولو كان في حضوره قادراً فإن غيابه دليل على عدم القدرة، ومن شروط جواز دعاء المخلوق أن يكون حاضراً قادراً سامعاً حيا فمن دعا غائباً فقد أشرك .

الثاني : أن الجن غير قادرين على بني آدم فالملائكة والجن لا تقدر أن تعمل للإنسان شيئا إلا بأمر الله، والله عز وجل منعهم من الإنس وحفظ الإنس من شرهم فلا يستطيعون الوصول إلى الأنس إلا بطريق الإنس أنفسهم بالاستعاذة بهم ودعائهم كما ذكر الله تعالى ذلك في سورة الجن وكما قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ الرعد: ١١ وأمر الله كما فسر ابن عباس ﷺ : اختطاف الجن وخسفهم وأذيتهم فالله تعالى حافظ للبشر من الجن فهذا دليل على أنهم غير قادرين ومنعهم الله عز وجل ومنعهم دليل على عدم قدرتهم .

ومن الأدلة على أن الجن غير قادرة وأن الله حفظ السماء من استماعهم وأنهم لا يعلمون الغيب وأنهم مستخدمين قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴾ سبأ: ١٤ ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ الرحمن: ٣٣ ﴿ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ﴾ الحجر: ١٧ ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ فصلت: ٣٦ ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ المجادلة: ١٠ وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾ النحل٩٨.

وفي هذه الآيات الأمر بالاستعاذة بالله وحده من الشيطان، وإثبات أن الشياطين ليس لها قدرة ولا سلطان على بني آدم لا من جهة القدرة ولا من جهة

الحجة، وأن سلطانهم وتسلطهم إنما هو بالإغواء والتزيين والوسوسة ونقلهم إلى الكفر وأز الكفار الذين يتولونهم ويشركون به، فيتسلط الشيطان والجن بهذه الأمور على الكفار الذين يشركون بهم ويطيعونهم ويدعونهم ويوالونهم . قاله ابن القيم في الإغاثة ١١٦/١ .

الثالث : أن الله عز وجل حكم بالعموم على عدم قدرة المدعو من دون الله كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٤ والآية نزلت في قوم كانوا يعبدون الجن ويدعونهم من دون الله، وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يونس: ١٠٦ وقوله:﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴾ فاطر:١٤، فهذا دليل على العموم فكل مدعو لا ينفع ولا يضر بل دعاؤه شرك وخسارة وضرر سواء كان جنا أو ملكا أو غيره .

الشبهة الرابعة : أن المناذير من شرك الألفاظ الداخلة في الشرك الأصغر :

ويرد على هذه الشبهة بما قررناه في المسألة الثالثة والسابعة.

الشبهة الخامسة : قولهم : أن الخوف من الجن خوف طبيعي .

والجواب: أن الخوف الطبيعي هو الخوف من القادر على إيقاع الـضرر كـسبع نحو ذلك وهذا ليس طبيعياً بل هو خوف محرم وشرك من جهات .

أنه خوف سر مع حفظ الله عز وجل للبشر فهذا خائف خوفا سرياً .

وضابط خوف السر هو الخوف من الغائبين أو من الأولياء أو من القبور وهم لا يملكون نفعاً ولا ضراً .

أيضاً هو خوف من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله كالإماتة وغيرها وهذا لا يقدر عليه إلا الله عز وجل وقد منعهم الله عز وجل من ذلك.

السادسة : آيات وأحاديث قد تشكل على المخالف :

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾المؤمنون:٩٨

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ مريم: ٨٣﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ البقرة: ٢٧٥﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾آل عمران: ٣٦﴿ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾الأنفال: ١١﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ ص: ٤١﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ﴾ المجادلة: ١٩﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴾ الشعراء: ٢٢١﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾الأعراف:٢٠١ وقوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ الحجر: ٤٢.

وحديث " نعوذ بالله من همزه ونفخه ونفثه " رواه أبو داود.

نفخه الكبر ونفثه السحر وقيل الشعر. وهمزه الموتة وهي الجنون والخنق والصرع والمس وقيل جميع ما يصيب بني آدم منهم قاله ابن القيم في إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١/ ١٦٣.

وقوله ﷺ :"وأعوذ بك أن أغتال من تحتي " وهو الخسف قاله وكيع .

حديث :" أعينوا ياعباد الله " رواه الطبراني وهو ضعيف لا حجة فيه.

وهذه النصوص لاحجة فيه على أن للجن قدرة على الإنس حتى يصح الطلب منهم والاستعاذة منهم :

فأما حضورهم فمعناه قربهم ودنوهم في شؤون العبد .

وأما الهمز والأز والتخبط والتسلط : فكلها من جنس واحد ومعناها الوسوسة والإغواء والإغراء والإضلال والتزيين .

وأما السلطان فإنما هو بالإغواء والتزيين والوسوسة فليس للشياطين سلطان إلا بذلك وطاعتهم .

أما قوله :﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ ﴾ النمل:٣٨. فإن هذا ليس دعاء واستغاثة واستعاذة من سليمان وإنما أمر منه للجن وهو تحت أمره ومملكته وسلطانه.

عليه فالجن لا تقدر إلا على الوساوس والإغراء والتزيين والصد ولا يستطيعون غير ذلك ولهذا يقول إبليس وهو في جهنم ﴿ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾ إبراهيم: ٢٢ وقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سبأ: ٢٠ حين أقسم الله بأن يضل البشر فوقع الذي كان يظنه ويتوقعه وإلا فليس له سلطان على أحد إلا ماكان من الوساوس والدعوة للشر ومما يدخل في ذلك صرع الجن وتخبطه للإنس ووسوسته وتزيينه وأذيته والأز الذي هو التسليط بالإغواء عن طاعة الله ورجز الشياطين وهمزها هو الدفع بالإغواء والوسوسة وحضورهم أن يكونون مع العبد في شيء من أموره .

فليس لهم قدرة على شيء أصلا فلا وجه للخوف منهم فضلا عن دعائهم والاستعاذة بهم.

المسألة التاسعة: خطورة المناذير وحكم قائلها :

إن من علم حقيقة هذه المناذير وقصد معناها وهذا الأصل في معظم من يقولها فهو كافر مشرك خارجا من الملة مباح المال والدم لا تؤكـل ذبيحتـه ولا يـصلى عليـه ولا يرث ولا يورث .

المسألة العاشرة: قولها من غير قصد لمعناها :

هذا وإن كان لا يكفر قائلها ولا يعتبر واقع في الشرك إلا أن الواجب ترك هذه العبارة والإنكار على قائلها وتبيين خطورتها وان من علـم حقيقتهـا وقـصد معناهـا وهذا الأصل في معظم من يقولها فهو كافر مشرك خارجا من الإسلام .

المسألة الحادية عشر: كل ما ذكرناه من المسائل في كفر من يـدعو الجـن يـدخل فيه من يدعو الملائكة، كما يقول بعض العوام يا ملائكة السماء شلي فلان واخبطي به.

مبحث: مسائل التوسل :

أولاً : تعريفه :

من الوسيلة وهي التقرب، وما يوصل للمراد ويقرب للمقصود.

والمقصود به : التقرب إلى الله بأمر من الأمور وفعل ما يقرب إليه تعالى.

وبمعناه الخاص: هو دعاء الله ﷻ بوسيلة يضعها الداعي .

ثانياً : أقسام التوسل :

ينقسم التوسل إلى : توسل مشروع ، وتوسل ممنوع .

١ - القسم الأول : التوسل المشروع : وهو أنواع :

الأول: التوسل بأسماء الله وصفاته ﷻ.

كأن يقول الداعي: اللهم إني أتوسل إليك برحمتك أن ترحمني أو اللهم يا رحمن ارحمنا، اللهم يا جبار عليك بالكفار أو أجبر كسرنا .

ودليله قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ الأعراف: ١٨٠، يعني توسلوا بها، وهذا هو التوسل بأسماء الله وصفاته .

الثاني: التوسل بالأعمال الصالحة :

كأن يقول العبد مثلاً: اللهم إني أتوسل إليك بمحبتي لرسولك ﷺ أو بإيماني به أو أتوسل إليك بجهادي أو أتوسل إليك بعملي الصالح الفلاني .

ودليل هذا النوع حديث الثلاثة النفر من بني إسرائيل الذين انطبقت عليهم الصخرة فتوسل أحدهم بعفته عن الزنا خوفا من الله والثاني توسل ببره بوالديه والثالث توسل إلى الله بوفائه بالأمانة. فهؤلاء توسلوا بعمل صالح .

الثالث: التوسل بدعاء الصالحين :

دليله : ما فعله عمر مع العباس، وقول عمر: (اللهم إنا كنا نتوسل بنبيك ، وإنا نتوسل بعم نبيك) فكان يقول : قم يا عباس ، ادع الله أن يغيثنا وهذا توسل بدعاء الصالحين رواه البخاري.

الرابع: التوسل بالاعتراف بالذنب :

كقول موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ ﴾ القصص: ١٦ .

اعترف بذنبه وطلب مغفرة ربه عز وجل فغفر الله له .

الخامس: التوسل بإظهار الضعف والمرض:

كما قال أيوب عليه السلام: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ﴾ الأنبياء: ٨٣ .

وكقول يونس عليه السلام: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٧ .

وكأن يقول الإنسان : يا رب أتوسل إليك بضعفي ومرضي أن تشفيني وتعافيني وتغفر لي ونحو ذلك .

القسم الثاني : التوسل المحرم الممنوع : وله أنواع :

الأول: التوسل بالذات .

مثل قولهم : اللهم إني أتوسل إليك بذات نبيك محمد أو بذات عبدك الصالح فلان أو بذات الولي الفلاني ، فهو لا يتوسل بدعائه فلا يقول : ادع الله لي يا فلان وهو حي، ولكن يقول أتوسل إليك يا الله بذات عبدك فلان .

الثاني: التوسل بالجاه والمكانة :

فيقول : اللهم إني أتوسل إليك بمكانة نبيك محمد ﷺ عندك أو بجاه نبيك صلى الله عليه وسلم أو بجاه فلان . وهذا أيضاً توسل ممنوع وهو لا يجوز لأمور :

١ - لأن مكانة وجاه النبي ﷺ أو غيره لا تنفع أحداً إلا صاحبها.

٢ - ثم في غير الأنبياء والملائكة لا يعلم للعبد منزلة عند الله غير فقد يتوسل إنسان برجل ولا يعلم هل هو من المقبولين عند الله أو لا، فيقول: اللهم إني أتوسل إليك بجاه فلان وقد لا يكون له جاه عند الله ﷻ أصلا .

الثالث : التوسل بحق السائلين :

فيقول الداعي: اللهم إني أتوسل إليك بحق نبيك أو بحق فلان الصالح الولي الصالح أو بحق السائلين أو نحو ذلك وورد فيها حديث وهو ضعيف: (اللهم أسألك بحق ممشاي أو بحق السائلين) ولا يصح الاحتجاج به .

ومما يرد هذا النوع من التوسل:

١ - أنه ليس على الله ﷻ حق واجب فلا يجوز أن يظن العبد أن على الله حق فالله تعالى لا حق عليه وإنما يفعل ما يشاء تفضلاً منه .

٢ - ثم لو قدرنا أن للرسول ﷺ حق على الله تعالى، فما العلاقة بين حق الرسول عند الله وبيننا؟ هذا حق للرسول فما علاقتنا به .

٣ - ثم إن فيه إقسام على الله سبحانه وهذا من الأمور المحرمة .

تنبيه: حقيقته الحق في حديث معاذ ومعنى (حق العباد على الله) :

هو حق الذي هو من باب التكرم لا أنه من باب الجزاء والاستحقاق.

تنبيه : السؤال قد يكون من الإقسام على الله ويكون توسلا :

قال ابن تيمية في التوسل: (قول القائل ، أسألك بكذا نوعـان ، فالبـاء تكـون للقسم وتكون للسؤال ، فالأول القسم بالمخلوقات لا يجوز على المخلوقـات فكيـف بالخالق ، وأما الثاني وهو السؤال بالمعظم كالسؤال بحق الأنبياء) .

مسألة : التوسل يدخل في باب الشرك الأصغر وذرائع الشرك.

وقد خالف في هذه التوسلات المبتدعة كثير من المتأخرين وجوزها .

مسألة الفرق بين التوسل والتبرك :

التوسل دعاء الله بالوسيلة المقربة وأما التبرك فهـو طلـب البركـة العينيـة مـن الذات التي يظن أن فيها بركة ونفع في ذاتها .

مسألة : الفرق بين التوسل والاستغاثة والشفاعة:

أن التوسل دعاء لله ﷻ والتوجه إليه متوسلاً بالغير (المخلوق) ، لا أن يدعى نفس المخلوق ويتوجه إليه ويستغاث به فإن هذا شرك أكبر.

أما الاستغاثة والشفاعة فهي دعاء غير الله تعالى .

فالتوسل أن يقول : اللهم إني أسألك بحق نبيك أو بذات نبيك أو بجاه نبيك أن تغفر لي، وهذا دعاء لله فهنا المتوسل دعا الله ﷻ وما دعا غيره ، وهو توسل ممنوع، ولكن لا يصل إلى الكفر الأكبر وإنما هو من الشرك الأصغر .

أما المستغيث والمستشفع فقد دعا غير الله ووقـع في الـشرك الأكـبر، فبـدل أن يقول : يا الله، يقول : يا محمد أو يا نبي الله إشفع لي وأغثني فهنا دعـا غـير الله ﷻ أو اشفع لي عند الله، وهذا دعاء لغير الله، وهذه استغاثة وليست توسلا، فكيف يـسوى

بين هذين الأمرين دعاء الله ﷻ ودعاء غيره، فدعاء غير الله شرك أكبر وأما دعاء الله لكن بطريقة مبتدعة خاطئة فلا تعد أن تكون من الأمور المحرمة أو الشرك الأصغر.

تنبيه: تسمية مشركي زماننا الاستغاثة بالأموات ودعائهم من دون الله توسلاً:

يسمي مشركو عصرنا من القبورية والصوفية والرافضة استغاثتهم بالأموات ودعاءهم إياهم من دون الله توسلاً، وإذا قلنا لهم إن هذا من الشرك الأكبر، قالوا: إن هذا من باب التوسل الذي فعله الصحابة وأمر الله بها ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ المائدة: ٣٥ وهو من تعظيم الأولياء والصالحين، والحق أن الوسيلة هنا هي فعل الطاعات وترك المحرمات وليس طلب الشفعاء والشرك بالمخلوق.

وقد نقض شبهتهم في عدم التفريق بين التوسل والاستغاثة ابن تيمية.

قال ابن تيمية: (ولم يقل أحد أن التوسل بنبي هو استغاثة به بل العامة الذين يتوسلون في أدعيتهم بأمور، يعلمون أنهم لا يستغيثون بهذه الأمور، فإن المستغيث بالنبي طالب منه وسائل له، والمتوسل به لا يدعى ولا يطلب منه ولا يسأل وإنما يطلب به، وكل أحد يفرق بين المدعو والمدعو به الفتاوى ١/ ١٠٥.

وقال في رده على البكري: (وقوله: من توسل إلى الله بنبيه أو استغاث به، سواء كان بلفظ الاستغاثة أو التوسل، فهذا القول لم يقل به أحد، والفرق واضح بين السؤال بالشخص والاستغاثة به) الاستغاثة ١٨٢ .

وقال: (ظن أن التوسل كالاستغاثة وليس كذلك، فإنه يقال استغاثه واستغاث به، فالمستغاث به المسؤول، وأما المتوسل به فهو الذي يتسبب به إلى المسؤول) الاستغاثة ٤٩٨ .

مبحث : الاستجابة والإجابة

معنى الاستجابة : هي إجابة الدعاء والسؤال والإجابة والاستجابة بمعنى واحد والفاعل منها مجيب .

والمجيب من أسماء الله تعالى، ومن أفعال الله تعالى وصفاته الإجابة فهي داخلة في الربوبية، والذين يُدعون ويُسألون لا يستطيعون الإجابة فلا يستطيعها ولا يملكها إلا الله ﷻ فلذلك وجبت دعوته وحرم دعاء غيره .

والاستجابة داخلة تحت فعل التدبير، والتدبير يشمل الاستطاعة والقدرة وغيرها والله ﷻ اختص بذلك لكماله.

وهاهنا ضابط لكون دعاء غير الله ﷻ شرك أن المدعو لا يستطيع الاستجابة.

لأنه من شروط جواز دعاء غير الله ﷻ والاستعانة به كونه مستطيع للإجابة واستطاعة الإجابة هنا تحصل بثلاثة شروط هي :

١ - القدرة على فعل ما طلب منه .

٢- الحياة فلا يكون ميتاً.

٣- أن يكون المدعو حاضراً سامعاً فلا يكون غائباً .

وهذه الشروط راجعة جميعها للإجابة والقدرة عليها ومن دعا شخصاً في أمر لا يستطيع الإجابة فيه فقد وقع في الشرك كمن يطلب ويسأل غائباً أو ميتاً أو حاضراً ولكن لا يستطيع إيقاع الإجابة كطلب المطر منه وطلب الرزق ونحو ذلك .

وعلى ذلك فالقاعدة (أن الدعاء والسؤال من توحيد الألوهية وأفعال العباد، والإجابة من توحيد الربوبية وأفعال المعبود) .

وعليه فمن ملك واختص بالربوبية استحق الألوهية، فالإجابة والقدرة والتصرف بيد الرب الخالق، وعليه يجب أن يكون الدعاء والعبادة لا تصرف لغيره عز وجل، فهو المستحق لها، والله عز وجل نفى الاستجابة عن كل ما سواه قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ الأحقاف: ٥ ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾ الرعد: ١٤.

فنفي الاستجابة هنا دل على أنهم لا يستحقون الدعاء، والمشركون الأولون والآخرون منهم من أشرك في الألوهية ودعا غير الله ﷻ ومنهم من أشرك في الألوهية وفي الربوبية معا، فاعتقد أن غير الله تعالى يملك الإجابة باستقلالية فيملك إنزال المطر ويملك المغفرة ويملك التصرف وهذا الشرك في الألوهية وفي الربوبية مع الله ﷻ، حيث اعتقد جواز دعاء غير الله وهذا شرك في الألوهية، واعتقد حصول الإجابة من غير الله وأن المدعو المخلوق قادر على استجابة الدعاء وتحقيقه، كإنزال المطر والمغفرة والشفاعة وغير ذلك وهذا من الشرك في الربوبية، فالإجابة من أفعال الله ﷻ والدعاء من أفعال المخلوقين التي لا تصرف إلا لله وحده لا شريك له .

والاستجابة من الله ﷻ قسمان :

أ- استجابة دعاء المسألة . ب) استجابة دعاء العبادة.

وصفة استجابة دعاء المسألة بإعطاء الداعي والطالب سؤاله وطلبه.

وصفة استجابة دعاء العبادة بالثواب والإثابة على دعائه .

وفي قوله ﷻ: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر: ٦٠، تحقيق الأمرين : اسألوني أعطكم وأيضاً اعبدوني أثيبكم.

مسألة : الاستجابة تحصل بأمور منها :

١- تحقيق طلب الداعي وإعطاؤه سؤاله وتسمى هذه إجابة خاصة.

٢- يصرف عنه من البلاء والسوء بقدر ما دعا وطلب من الله تعالى .

٣- إثابة الداعي يوم القيامة فينال الحسنات بدل تحقيق مطلوبه في الدنيا.

فمن دعا الله ﷻ لا بد له من أحد ثلاثة أمور:

إما أن يعطيه الله سؤله وإما أن يصرف عنه من السوء وإما أن يثيبه في الآخرة.

وتأكيدا لذلك تأمل ما ورد في حديث النزول في الصحيحين: (من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه). فغاير بين الإعطاء والإجابة والدعاء والسؤال.

مسألة: لماذا لا يجيب الله تعالى دعاء من طلبه والله وعد أنه يجيب الدعاء كما في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ غافر: ٦٠مع أنه يلاحظ أنه يدعا أحيانا فلا يجيب في بعض الأمور ودعاه بعض الأنبياء وما أجابهم كنوح ﷺ لابنه ؟

والجواب عن هذه من أوجه :

الوجه الأول: أن الإجابة أشمل من مجرد حصول المدعو به فالإجابة لها صور، وهي الثلاثة السابقة، فإعطاء الله ﷻ السائل أحد صور الإجابة، فالإجابة أشمل وأعم من مجرد الإعطاء، ولذلك ينبغي التفريق بين إعطاء السائل سؤاله وبين إجابة الدعاء فإذا دعا الإنسان الله ﷻ ، فقد يستجيب الله له ولكن ليس شرطاً أن يعطيه سؤله وإنما يعطيه أمراً آخر إما في الدنيا وإما في الآخرة .

الوجه الثاني: أن الإجابة لها شروط وموانع فإذا توفرت الشروط وانتفت الموانع حصلت الإجابة وإلا امتنعت الإجابة، فمن دعا الله ﷻ بإثم أو بقطيعة رحم

أو دعا الله ﷻ مع أكله الحرام فإن هذا يمنع من الاستجابة، فلابد من توفر الشروط من إخلاص وإخبات لله تعالى وغيرها من الشروط ولابد من انتفاء الموانع .

الثالث: في الجمع بين وعد الله ﷻ بالإجابة وعدم حصولها لبعض من دعاه:

أن إعطاء الله ﷻ العبد سؤاله لا يعني أنه خير للعبد فقد تكون الحكمة والخير في عدم إجابة دعوته وقد يجيب الله دعوة من يدعوه وفي ذلك أعظم ضرر للداعي .

وتأمل الرب ﷻ لما أعطى بعض الكفرة ما دعوا الله تعالى به وأجاب دعاءهم وكان ذلك شرا عليهم، كما أجاب إبليس في إمهاله إلى يوم الدين ليزيد الله عليه في العقوبة وعلى غيره ممن يتبعه .

مسألة : الإجابة للداعي ليست خاصة بالمؤمن :

قد يعط الله ﷻ الفاسق والكافر كما أعطى تعالى إبليس ، فاستجاب دعاءه لما سأله بقوله: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ الأعراف: ١٤ فقال تعالى له: ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ الأعراف: ١٥ ، فانظر كيف استجاب الله دعاءه، وما ذاك إلا لأن الإجابة من توحيد الربوبية الشامل لكل العباد ، المؤمن والكافر وتوحيد الربوبية عام للعباد جميعاً كما أن العبودية تنقسم إلى قسمين :

أ- عبودية عامة متعلقة بالربوبية ، والعبودية العامة يدخل فيها الكافر.

ب- عبودية خاصة متعلقة بالألوهية للمؤمنين .

وعلى ذلك فإن الاستجابة من أفعال الرب ﷻ ومن توحيد الربوبية التي هي شاملة لكل عبيده .

الباب التاسع

شرك الحكم

الفصل الأول: التعريف بالحكم ومسائله ومكانته والتعريف بما ينقضه

المسألة الأولى : مسمى هذا الناقض والمراد به :

يسمى هذا الناقض بناقض الحكم ، والشرك فيه .

وهو متعلق بترك حكم الله والإعراض عنه ، والحكم بغيره والامتناع عن الحكم بالشريعة والتحاكم إليها واستبدالها بالحكم بغير ما أنزل الله .

وهذا الناقض يشمل ناقض الهدي وناقض الحكم والتشريع :

فالأول : متعلق بحكم الله ﷻ .

بأن يعرض عن شريعة الله ﷻ والتحاكم إلى دينه وأمره وشرعة فلا يحكم بالشريعة ولا يتحاكم إليها ولا يحكم بها.

والثاني: متعلق بهدي النبي ﷺ وطريقته وسنته وأوامره وأحكامه : بأن لا يتبع هديه ولا ينقاد لأمره أو يعتقد أن هدي غير الرسول ﷺ أحسن وأكمل من هديه ﷺ .

فالأول ينقض توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته والذي يقوم على شهادة أن لا إله إلا الله .

والثاني ينقض توحيد المتابعة القائم على شهادة أن محمدا رسول الله .

ويدخل في هذين الناقضين أصناف كثيرة منهم المشركون شرك الطاعة وشرك التشريع وشرك الحكم ومن يفضل حكم الطواغيت على حكم الشريعة ويعتقد أنها أحسن وأكمل والمشرع وأرباب القوانين والمحلل لما حرم الله ومن يلزم الناس بالقوانين الوضعية ومن ينحي شريعة الله والملتزم بغير شريعة الله والحاكم بغيرها والمتحاكم إلى غيرها وغيرهم من أصناف الخارجين عن الملة في هذا الناقض.

وهذا الناقض يشتمل على كفر اعتقادي وكفر عملي ، وصفة هذا الناقض :

١ – أن يعتقد أن حكم الله وحكم رسوله وهديه لا يصلح أو يوجد ما هو أفضل منه وأكمل، ويستحل ترك العمل بها.

٢ – أن يعرض عن اتباع حكم الله ورسوله وهديه ويمتنع عن الانقياد له ، فيترك حكم الله ويحكم بغيره .

٣– أن يشرّع للناس أحكاما مصادمة لما جاء عن الله ورسوله أو يغيرها أو يلزم الناس بتركها .

فائدة : معنى ما أنزل الله: هو الشريعة ودين الإسلام والقرآن والسنة.

وجاءت تسميته في القرآن : باتباع الحق واتباع المنزل والحكم بالعدل والحكم بما أنزل الله وحكم الله وطاعة الله ورسوله .

فائدة : الحكم بغير ما أنزل الله يسمى: الحكم بالطاغوت وحكم الطاغوت.

حكم الطاغوت: هو حكم غير الله، ويكون بالحكم بغير ما أنزل الله ، والتحاكم لغير حكم الله، والطاغوت هو الحاكم به .

الفرق بين ترك الحكم بما أنزل الله والحكم بغير ما أنزل الله :

الحكم بغير ما نزل الله يعد من قبيل شرك التمثيل .

أما ترك الحكم فيعد من شرك التعطيل ومن كفر الإعراض.

إلا أن تارك الحكم بالشرع مؤداه الحكم بغير الشرع، فإن من لا يقيم حد السرقة مثلا يصدق عليه أنه حاكم في السرقة بعدم العقاب وحكم بأنها ليست جريمة أو أن القطع ليس بعقوبة فتعطيله للعقوبة يعد حكما في ذاته .

المسألة الثانية : أنواع الشرك في هذا الناقض ناقض الحكم :

الأول : شرك التشريع والتحليل والتحريم وسن الدين، وهو أشنعها.

الثاني : شرك الحكم .

الثالث : شرك الطاعة والانقياد والتحاكم .

وذلك بطاعة الحكام في معصية الله واتباع المشرعين والمحللين لما حرم الله والانقياد لغير الله والتحاكم للطاغوت .

الرابع: شرك المتابعة والهدي والطريقة بإتباع غير الرسول. ويدخل في الثالث.

تنبيه الهدي والسنة والطريقة والحكم والأمر والشرع صفة متعلقة بالرسول ، بينما الاتباع والمتابعة متعلقة بالمرسل إليهم .

وسيأتي الكلام عن هذا النوع تحت الكلام عن الناقض التاسع (الذي يظن أنه يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ) .

والأول ناقض لتوحيد الربوبية ، والثاني ناقض لتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات كلها ، والثالث ناقض لتوحيد الألوهية ، والرابع ناقض لتوحيد الرسول الذي هو توحيد المتابعة ، وسيأتي تفصيل ذلك .

وقد قدمنا الكلام عن الربوبية والألوهية والأسماء والصفات والمتابعة عند كلامنا عن الشرك (الناقض الأول).

المسألة الثالثة : تعريفه:

أولا: تعريف الهدي :

هو الطريقة والسنة المتبعة التي كان عليها الرسول ﷺ .

ويدخل في هدي النبي ﷺ جميع دينه ، ويشمل أموراً هي :

أولاً : أمره ونهيه .

ثانياً : أخباره .

ثالثاً : أخلاقه وشمائله .

رابعاً : سيرته .

خامساً : جهاده .

سادساً : حكمه .

فإذا قيل : هدي الرسول ﷺ فالمقصود به : أمره ونهيه وأخباره وعباداته وأخباره التي يخبر بها الصادقة المصدقة وأخلاقه وجهاده وأسفاره، وتعامله مع الناس ومع أهله ومع عدوه ومع أهل الذمة والكفار، وقضائه بين الناس ومعاملاته من بيوع ونكاح وإقامة الحدود ، فهذه كلها داخلة في عموم هديه ﷺ .

وفي الحقيقة الهدي يدخل فيه جميع الدين وجميع المبادئ والأخلاق وجميع الأخبار والأحكام اعتقادية وعملية وقولية .

مسألة : علاقة الهدي بالإيمان بنبوة الرسول ﷺ :

يدخل في شهادة أن محمداً رسول الله وتوحيد المتابعة والانقياد والتسليم له، ومن ترك هدي الرسول ﷺ آخذاً بهدي غيره أو فضل هدي غيره على هديه ﷺ فقد نقض توحيد المتابعة وتوحيد الرسول ونقض شهادته وأبطلها، فمن مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ، متابعته وطاعته والانقياد له .

ثانيا: تعريف الحكم في اللغة :

قال ابن فارس : مادة الحاء والكاف والميم (حكم) أصلها من المنع، فكل اشتقاق يوجد فيه هذه الأحرف الثلاثة دل على المنع، فالحاكم يمنع الظلم والحكم فيه منعة للظلم والحكيم الذي يضع الأمور حتى تمنع وقوع ما يخالف الحكمة من ظلم أو غواية ونحو ذلك .

والحكم في الأصل هو : الفصل والقضاء ، إذا فصل في الشيء.

ومنه قول حسان :

ونحكم بالقوافي من هجانا ** ونضرب حين تختلط الدماء

وقول الآخر :

بني حنيفة أحكموا سفهاءكم ** إني أخاف عليكم أن أغضبا

فالحكم هو المنع والفصل والقضاء .

وورد الحكم في كتاب الله عز وجل على أوجه ومعان متعددة .

جاء بمعنى : الموعظة ، والفهم ، والعلم ، والنبوة ، والحكمة ، وحسن التأويل، والشريعة ، والشعائر ، والإتقان.

كل هذه المعاني وردت في القرآن الكريم مفسرة للحكم .

مسألة : الحكم من صفات الله ﷻ وأفعاله المتعلقة به .

وقد ورد وصف الله تعالى بالحكم وتسميته بهذه الصفه بثلاث صيغ :

فورد تسميته تعالى بالحَكَم والحاكم والحكيم، وهي من أسمائه ﷻ .

١ - فورد الحكم في موضع واحد من كتاب الله في قوله ﷻ :

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ الأنعام: ١١٤ .

وقال النبي ﷺ لأبي شريح: (إن الله هو الحكم، وإليه الحكم) رواه أبو داود.

٢- الحاكم بصيغة الجمع، ورد في خمس آيات في كتاب الله ﷻ .

منها قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ التين: ٨ ﴿ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ الأعراف: ٨٧.

٣- الحكيم ، ورد في أربعة وتسعين موضعاً من كتابه .

منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ الأنعام: ٨٣ .

ثالثا : الفروق بين الهدي والحكم :

الأول : أن الهدي أعم من الحكم، لأن الهدي يشمل أفعال الرسول ﷺ وأقواله وأوامره ونواهيه وأخباره وشمائله وأخلاقه وجهاده وسيرته وتعامله وتقريراته وحكمه، فالحكم داخل في عموم الهدي .

الثاني : أن الكفر والشرك في الهدي أغلبه راجع إلى الاعتقاد، وأما الحكم فغالب الكفر والشرك فيه متعلق بالعمل، وإن كان الكفر في الحكم قد يتعلق بالاعتقاد، ويكون الكفر في الهدي متعلقا بالعمل وإتباع غير هدي الرسول ﷺ .

الثالث : أن الحكم أغلبه يرجع للتوحيد المتعلق بالرب ﷻ وهو توحيد المرسِل سواء كان متعلقا بألوهيته ودينه وشرعه أو بربوبيته أو أسمائه وصفاته، وأما الهدي فهو متعلق بتوحيد المتابعة الراجع لتوحيد الرسول في الإتباع والطاعة والانقياد .

الرابع : أن الهدي خاص بالرسول ﷺ ، أما الحكم فهو متعلق بالله ﷻ وبرسوله فيقال حكم الله وحكم رسوله ، وحكم الرسول من حكم الله ويرجع إليه .

والله ﷻ يوصف بالحكم لا بالهدي، والرسول ﷺ يوصف بالحكم والهدي.

مسألة: دخول حكم الرسول ﷺ في حكم الله.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ النساء: ١٠٥. ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ النساء: ٨٠، ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ التغابن: ١٢، ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ الحج: ٤٩، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ النحل: ٣٥.

رابعا: تعريف الشريعة:

الشريعة لغة: هي الطريقة والأمر والدين والحكم والمنهج.

وهي اسم لكل ما جاء عن الله ﷻ ورسوله ﷺ من الأخبار والأحكام في الأمر والنهي والعقائد وما يتعلق بأحكام الدين عموماً، والشريعة بذلك من عند الله ﷻ فهي أمره وفعله فيوصف الله بأنه شرع للناس وأقرهم بما يصلح لهم.

المسألة الرابعة: مصطلح الحاكمية:

اصطلح بعض العلماء على التسمية بـ(توحيد الحكم) أو (توحيد الحاكمية) وناقضه شرك الحاكمية وجعلوا من أنواع الشرك شرك الحاكمية.

وتوحيد الحاكمية وهو توحيد الحكم والشرع والدين والأمر، وهو المتعلق بحكم الله وشرعه ودينه وهدي رسوله وهو في الحقيقة ليس قسماً مستقلا لا يدخل

في أنواع التوحيد وإنما هو داخل فيها، وسبب التنصيص عليه وتخصيصه وإفراده بنوع مستقل يرجع لأسباب عدة منها :

١ - أنه داخل في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وليس كغيره كتوحيد الدعاء والخوف وتوحيد الخالقية داخل في قسم واحد من التوحيد فقط بل هو داخل فيهما جميعاً فهو توحيد ذا شعب .

فأما وجه دخوله في توحيد الأسماء والصفات :

فلأن من أسماء الله ﷻ الحكم والحكيم والحاكم ومن صفاته الحكم .

وأما دخوله في توحيد الربوبية :

فلأن الحكم وسن الدين والتشريع والتحليل والتحريم والأمر من أفعال ربوبيته ﷻ وأخص صفاته ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤.

وقد سمى ﷻ الحاكم والمشرع والمحلل رباً كما في قوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ٦٤ ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١.

وأما دخوله في الألوهية :

فلأن التحاكم إلى أمره ﷻ وشرعه وحكمه عبادة يحبها الله ويأمر بها ويجب أن يوحده العبد فيها فيتحاكم إلى الله ﷻ ولا يتحاكم إلى الطاغوت .

ومن الأدلة على ذلك : أن الله تعالى سمى الحكم عبادة وأن الحكم لله وحده ولا يشاركه أحد فيه وكفّر المتحاكم إلى غيره : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ

ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ ﴾ النساء: ٦٠ ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة: ٥٠ ﴿ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ المائدة: ٤٧ .

كذلك من يطيع الحاكم بغير ما أنزل والمشرّع هو مشرك في الألوهية المتعلقة بأفعال العباد ﴿ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١.

٢- كثرة الشرك فيه ، كيف لا وقد كثر الشرك فيه وانتشر انتشاراً لم يكن في عصر من العصور ولا في زمن من الأزمان ، وأعظم شرك في زماننا يرجع لشرك الدعاء وشرك الحكم .

ومن منهج أهل السنة أنهم يفردون بعض الأنواع والأفعال ببيان مستقل إذا كثُر الشرك فيه ، مثل إفرادهم شرك الدعوة لما كثر شرك الدعاء وكذا شرك الطاعة والإرادة والمحبة ، ولا يعني أنه لا يوجد غيرها ولكن لكثرة المخالفة فيها أفردت بالبيان ، ومن ذلك إطلاق ابن تيمية وغيره توحيد السؤال والطلب والتوكل وتوحيد الخالقية والمالكية ، فعلى هذا يصح أن يقال توحيد الحكم وشرك الحكم.

٣- أن توحيد الحاكمية مثل لو قلنا توحيد الخالقية والمالكية والقادرية لله تعالى وكذا توحيد الدعاء والمحبة والخوف والإرادة والسجود والذبح لله وحده .

وإذا كان العلماء وضعوا شرك الدعوة مستقلاً وهو خاص بالألوهية فالحكم أولى بأن يستقل بالنوعية ولا يعني أنا جعلنا توحيد الحاكمية قسماً مستقلاً فلا يدخل في الألوهية والربوبية بل هو داخل في الألوهية والربوبية .

٤ – أن الحكم له علاقة وطيدة بجميع مبادئ الدين أصوله وفروعه فله علاقة بالتوحيد وأنواعه وناقض التوحيد وهو الشرك ؛ كما أن له علاقة بالإيمان حقيقته وحدوده وأركانه وله علاقة بضده الذي هو الكفر ، كما أن له علاقة بالإسلام أيضاً في حدة وحقيقته وأركانه وله علاقة بالشهادتين ومقتضياتها وأركانها وشروطها فلا يخلو باب من أبواب الدين إلا وللحكم مناسبة معه .

٥ – أن شرك الحكم يدخل في جميع أبواب الكفر والشرك . فيدخل في شرك الربوبية والألوهية والصفات وشرك المتابعة، ويكون شركاً في الأقوال والأعمال والاعتقاد . ويكون شركاً أكبر وأصغر، ويكون شركا بالتعطيل وبالتمثيل، كما أنه يدخل في كفر الإعراض والامتناع والتولي والإباء وبقية أنواع الكفر المعروفة التكذيب والجحود والشك. كما أن الحكم بغير ما أنزل الله كفر بالله وبأنبيائه وبملائكته وبكتبه وبرسله وكفر بالشهادتين وأركانها ومقتضياتها وشروطها. وفيه طعن في الله ﷻ وفي رسوله ﷺ وطعن في الدين والشريعة وفي الصحابة والعلماء.

وعليه فالعلماء لم يغفلوه بل ذكروه، فلا هم تناسوه ولا نحن ابتدعناه أو غالينا فيه كما يظن البعض، وإنما نصّينا عليه لبيان أهميته لا أنه قسم منفصل عن بقية أقسام التوحيد فتنبه، عليه فمن بدّع إطلاق هذه اللفظة وغالى في إنكارها فقد أخطأ.

ومع ذلك فلا مشاحة في الاصطلاح ما دام المعتقد والمقصود والمعنى واحدا .

لكن مما ينبغي أن يعلم أن إفراد الحكم لا يعني أنه خارج عن أقسام التوحيد الثلاثة وأنه قسم رابع كما يذكر البعض بل هو داخل في أقسام التوحيد الثلاثة ولا يخرج عنها فليس قسماً رابعاً ، فإذا قسمنا التوحيد فلا نقول أن أقسام التوحيد توحيد

الألوهية والربوبية والأسماء والصفات وتوحيد الحاكمية لأن الحاكمية تدخل في الألوهية وتدخل في الربوبية وتدخل في الأسماء والصفات فالتوحيد ثلاثة أقسام .

فإفراده لا يعني إنكار أنواع التوحيد الأخرى ولا تجاهلها أو أنه ليس داخلا فيها . وهو من جنس ذكر الخاص بعد العام الداخل فيه كما في قوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ البقرة: ٢٣٨ . ومعلوم أن الصلاة الوسطى من الصلوات لكن أفردت لأهميتها. ومثل ذلك يقال في توحيد الحاكمية والدعاء.

وبهذا البيان يظهر خطأ من أعترض على تخصيص هذا النوع .

والعجيب في من يشرح كتاب التوحيد ونواقض الإسلام ويركز على شرك الدعاء والقبور وتناسي شرك الحكم والتشريع وفي مقابلهم الذي يغالي في إثبات توحيد الحكم ويتناسى الشرك الذي يقع فيه القبورية بأصنافهم وأجناسهم بدعاء غير الله تعالى، وغير ذلك من أنواع الشرك ، فلا ينبغي أن يترك العلماء نوعاً من أنواع الشرك إلا ويبينوه للناس ويفصلوه وينصوا عليه بالبيان والدليل من كتاب الله ﷻ حتى يهجر ويرجع الناس إلى التوحيد وإلى ملة إبراهيم ، وقد جمع الإمام محمد بن عبد الوهاب بين النوعين (شرك الدعاء ، وشرك الحكم) في كتابيه التوحيد ورسالة النواقض وغيرها.

المسألة الخامسة : الحكم بغير ما أنزل الله يعتبر ديناً وشرعاً :

الدين يطلق على الالتزام والطاعة والانقياد والخضوع وعلى ما يتدين به العبد.

وسمى دينا لأنه يدان به ويلتزم به ويتدين به ويستسلم له وينقاد بـه، ولـذلك المشركون في الحكم يدينون المخالفين في أحكامهم وتشريعاتهم ويلتزمون بتشريعاتهم وينادون بهذه الشرعيات.

قال ابن تيمية : (والدين هو الطاعة، فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله، وجب القتال حتى يكون كله لله) . الفتاوى ٢٨/ ٥٤٤.

قال الإمام الطبري: (يكون الدين لله: حتى تكون الطاعـة والعبـادة كلهـا لله خالصة دون غيره) .

مسألة : الدين والشرع على قسمين :

الدين الحق من عند الله وهو دين الإسلام

الدين الباطل الوضعي ويسمى دينا وشرعاً لكنه دين باطل وطاغوت جاهلي.

ويدل لهذا الأصل أن الدين قسمان قوله ﷻ: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ الكافرون: ٦،

ولا يقال لكم إسلامكم ولي إسلامي، أما الإسلام فمصطلح خاص بدين الله ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ آل عمران: ٨٥ ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ آل عمران: ١٩أي الدين المقبول.

مسألة: المراد بالدين في كثير من الآيات هو الحكم والتشريع :

إن أخص ما يدخل في مسمى الـدين ومعنـاه : الحكـم والقـضاء والتـشريع والعرف، وكذلك الطاعة والاتباع والانقياد والخضوع والذل لسلطة عليا قاهرة.

فمن يدخل في طاعة الله تعالى، وينقاد إلى حكمه وشرعه، ويتبع ما أنـزل عـلى نبيه ﷺ فهو داخل في دين الله الإسلام، وهو عابد له سبحانه وتعالى.

ومن يعرض عن طاعة الله تعالى وعن حكمه وشرعه، ويطيع غيره ويحتكم إلى حكم غيره وشرع غيره ولو في جزئية من جزئيات حياته فهو داخل في دينه، وعابد له من دون الله، ولو زعم بلسانه أن دينه الإسلام وأنه من المسلمين.

وعليه فهذه القوانين الوضعية السائدة والحاكمة في أمصار المسلمين، هي دين وإن لم يسمها أهلها بذلك، ومن دخل فيها أو تابع الطغاة عليها، أو رضي بها فهو في غير دين الله وهو في دين الطاغوت وإن زعم الإسلام وتسمى بأسماء المسلمين ، ثم إن كل منهاج أو نظام أو دستور أو قانون لا يقوم على أساس الإسلام والطاعة لله ﷻ، والمتابعة لرسوله ﷺ ، فهو دين باطل وطاغوت يتعين البراءة منه والكفر به.

المسألة السادسة : أركان الحكم :

للحكم أربعة أركان :

الأول : الحكم ، وهو الفعل، وهو عين الأمر والنهي .

الثاني الحاكم ، وهو الفاعل للحكم ، وهو من يقوم بإصدار الحكم سواء كان الواضع الأصلي ويسمى السّان والمشرع أو كل من يحكم به كالقاضي والحاكم .

الثالث : المتحاكم والمحكوم عليه الحكم، وهو الذي يقع الحكم عليه .

الرابع : المتحاكم به المحكوم به، وهو الشرع الذي يحكم به أو يتحاكم به سواء كان حقا (وهو حكم الله وشرعه) أو باطلاً (وهو حكم الجاهلية والطاغوت).

الخامس : المتحاكم فيه وهي المحكمة أو المجلس الذي يحصل فيه الحكم .

السادس : المحكوم فيه وهي القضية التي سيحكم فيها .

المسألة السابعة : أقسام الحكم :

ينقسم الحكم إلى قدري وشرعي :

الأول : الحكم القدري : الذي يرجع للربوبية ويتعلق بأفعال الله وكونه وقدره ﷻ ومن الأدلة عليه : ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ الرعد: ٤١ ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ الحج: ٦٩.

الثاني : الحكم الشرعي الأمري : الراجع إلى ألوهيته ودينه، ومثاله قوله تعالى : ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ الممتحنة: ١٠ ﴿وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ المائدة: ٤٣ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الشورى: ١٠.

وقد ورد في بعض الآيات اجتماع النوعين القدري والشرعي مثل قوله تعالى : ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ الكهف: ٢٦ حكمه القدري الكوني المتعلق بالربوبية، وحكمه الأمري الشرعي المتعلق بالألوهية .

المسألة الثامنة : دليل كمال هديه ﷺ .

إن كمال شريعة الرسول ﷺ وحسن هديه وأفضليته وخيريته وحسن سيرته وفضل طريقته مما لا يشك فيه عاقل بل هو مما أجمع عليه البشر قاطبة . وإذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام أتوا بأكمل الطرق والشرائع وأن أفضل الطرق والمناهج ما أتت به الأنبياء لكونها من عند اللطيف الخبير سبحانه، لذا وجب اتباعها والعمل بشرائعها والرضا بها ، فإذا كان هذا فيها فكيف بشريعة أفضل الخلق وخاتم الرسل الذي أخبر وهو الصادق أن خير الهدي هديه وأكمل الشرائع شريعته .

والأدلة الدالة على هذا الأصل أكثر من أن تحصى منها :

قوله ﷻ : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ المائدة: ٣. فجعل الشرع والدين وإرسال الرسول وتبليغنا هديه نعمة تامة كاملة .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾ آل عمران: ٨٥. ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ١١٠﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا ﴾ النساء: ١٢٥﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا ﴾ المائدة: ٥٠﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ فصلت: ٣٣.

ما جاء في خطبته ﷺ يقول : (وأن خير الهدي هدي محمد ﷺ) رواه مسلم.

وقول الرسول ﷺ لعمر رضي الله عنه عندما رآه حاملاً ورقة من التوراة: (لو كان موسى ابن عمران حيا ما وسعه إلا أن يتبعني) رواه أحمد والنسائي .

وهذا فيه دليل على كمال هديه ﷺ . فإذا كان موسى عليه السلام الذي كلمه الله ﷻ لا يسعه إلا العمل بشريعة الرسول ﷺ واعتقاد كمال شرعه فكيف بغيره ؟

وعيسى عليه السلام لا يحكم إلا بشرع محمد ﷺ عندما ينزل في آخر الزمان .

وهذا كله فيه دليل على كمال هديه وأفضليته .

ومن فضّل هدي غير الرسول ﷺ فهو كافر بدليل قوله تعالى ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴾ النساء: ٥١.

وأدلة كمال هديه ﷺ وكون أكمل الهدي هديه وأن إرساله وهديه نعمة كاملة ولا يستغنى عنها أكثر من أن تحصى .

بل إن كمال هدي الرسول ﷺ وحسنه وأفضليته وخيريته مما أجمع عليه البشر قاطبة حتى المشركون قد علموا كمال خلقه ﷺ وحسن سيرته وفضل طريقته ، ولذلك قال أبو طالب : ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا

وكانت قريش تسمي الرسول ﷺ الصادق الأمين وهذا يدل على كمال هديه .

فكيف بأقوام بعده يعتقدون أن طرق الصوفية خير من طريقة الرسول ﷺ وهدي الشيوخ خير من هدي الرسول ﷺ وأنه لا يجب اتباع طريقة الرسول ﷺ الذي رسمه للأمة بينما طريق الشيخ يكفر المريد إن خالفه ، وأن الطرق التي ابتدعها المبتدعة في العبادة أو الدعوة أو الجهاد خير من طريقته .

وكيف للمستغربين والمتفرنجين في زماننا من المعجبين بالكفار يفضلون طريقة أوليائهم من الغرب وأنظمته ومبادئه أو الأحكام التي يطبقها الغرب الكافر أو الدمقراطية أكمل وأفضل من أحكام الرسول ﷺ ومن الشريعة، أو من يقول : طريق الرسول ﷺ لا يصلح في هذا العصر، أو من يتأول ويقول : طريق الرسول ﷺ هذا هو الطريق الذي نحن عليه وهو يخالف طريق الرسول ﷺ في الحقيقة.

فائدة لطيفة : تفضيل هديه ﷺ مما اتفق عليه الناس، حتى الكفار والمشركون.

ولذلك العلمانيون الذين يفضلون هدي الغرب على هدي الرسول ﷺ أشد كفراً من قريش ، لأن كفار قريش قد اعترفت بأنه هو الصادق الأمين وفضلت حكمه في مواضع كثيرة وعلمت رجاحة عقله وكمال هديه وحسن أخلاقه ﷺ .

المسألة التاسعة: خصائص حكم الله تعالى وشريعته:

أنه من عند الله ﷻ وواضعه هو الرب تعالى، الذي له وحده استحقاق الأمر والنهي قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ الأعراف: ٥٤ فمن ملك الخلق ملك الأمر.

فالحكم صادر من لدن الحكيم اللطيف الخبير العالم بخلقه وما يناسبهم فهو المدبر لكل شيء والمصلح له ومن تدبيره أنه السيد المطاع وحده وهو المالك لخلقه والمتصرف في ملكه بما يشاء.

أن حكم الله ثابت لا يتغير ولا يختلف ولا يتبدل بتبدل الأزمان، فهو صالح لجميع العصور وشامل وعام وكامل وفيه الوفاء والكفاية والعدالة والراحة والطمأنينة للمتحاكمين به كيف لا وهو من عند اللطيف الخبير ﷻ الذي يعلم ما يصلح لعباده.

كذلك وفاء الشريعة ويسرها وقيامها بالغرض المطلوب وملائمتها للنفس البشرية وانعقادها على كل ما فيه مصلحة للبشر وضرورياتهم.

ومن ذلك أنها جاءت بالضروريات الخمس التي لا يستغن عنه البشر وحفظتها لهم:

ففي جانب الدين أوجبت تعلم الدين وحفظه ونهت عن مولاة الكفار والوقوع في نواقض الإسلام وأمرت بقتل من ارتد عن دينه.

وفي جانب النفس شرعت القصاص والديات وحد الحرابة وأباحت التداوي لحفظ النفس وحرمت كل ضار.

وفي جانب العقل حرمت الخمر وأوجبت الحد فيه.

وفي جانب حفظ النسب والعرض حرمت الزنا والقذف وأوجبت الحد فيها وأوجبت العدة للنساء .

وفي جانب المال حرمت الظلم والربا والسرقة والغش وأكل أموال الناس بالباطل وشرعت حد السرقة وأمرت بكتابة العقود وفرضت الزكاة وأباحت البيوع فجاءت بكل ما يحفظ المال وينميه بالحلال .

وهذه الأمور والمصالح هل يجدها العاقل في قوانين الكفر ونظمه .

المسألة العاشرة: مقاصد الحكم ، ولماذا أنزل الله حكمه بين الناس ؟

أولاً : لتحقيق العبودية والذل والخضوع لله وحده، وذلك أن الحكم من العبادة التي أمرنا الله ﷻ بها والحكم أيضاً إذا تم فالناس في عباده لله ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ يوسف: ٤٠.

وقال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ الزمر: ٢.

بل وجعل الله التحاكم والحكم بغير شرعه عبادة لغير الله وسماه الله تعالى جاهلية قال تعالى : ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ الزمر: ٦٤ ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة: ٥٠ .

فمن ترك التحاكم لله ورسوله فهو غير منقاد لله ولا خاضع له ، بل كافر بعبادته متمرد على ربه وخالقه مستوجب لغضب الله وناره .

قال ابن تيمية :(وحقيقة الشريعة:إتباع الرسل والدخول تحت طاعتهم، كما أن الخروج عنها خروج عن طاعة الرسل، وطاعة الرسل هي دين الله الذي أمر بالقتال عليه) الفتاوى (١٩/ ٣٠٧).

ثانياً : إقامة الدين في الأرض والدليل قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ التوبة: ٣٣ ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ المائدة: ٦٨ ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى ﴾ ص: ٢٦.

ثالثاً : حاجة الناس الملحة لها إذ فيها صلاح الدنيا والآخرة وإقامة الضروريات الخمس والحاجيات والتحسينيات للعباد وما يصلح لهم لأنه جاء من عند من يعلم بما يصلح لخلقه وما يحتاجون إليه، والحكم بغير ما أنزل الله من أعظم الإفساد وترك الحكم بها زعماً للإصلاح ديدن المنافقين :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ البقرة: ١١ - ١٢.

رابعاً : به يحصل الاستخلاف في الأرض والتمكين والأمن والاستقرار والنصر والفتح لهم والعز والشرف والبركة .

خامساً : أن فيه رحمة بالناس فجعل الله حكمه في الأرض رحمةً بنا فهو العالم بما يصلح لنا وما نحتاج إليه .

سادسا : أن فيه إظهار المنافقين وإخراج ما في قلوبهم من مرض، وتمييز للخبيث من الطيب ، ولذلك قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾ محمد: ٢٩ ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ المائدة: ٤١ ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ

وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٢٧ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ النساء: ٦١.

والحمد لله الذي جعل الحكم بالشرع وطلبه علامة لإظهار الذين في قلوبهم مرض وتمحيصاً للمؤمنين ورفعة لهم بوجود المنافقين وجهادهم .

المسألة الحادية عشرة: أضرار ترك الحكم بالشريعة :

نزول الويلات والمصائب والفساد والخوف والجوع والعداوة وتسلط الكفار.

المسألة الثانية عشرة: واجبنا تجاه حكم الله ﷻ القدري والشرعي :

١ – توحيد الله في الحكم فنثبته لله تعالى وننفيه عما سواه وإفراد الحكم له.

٢ – الإيمان بحكم الله ﷻ .

٣– تصديق حكم الله ﷻ .

٤ – الرضا بحكم الله ﷻ .

٥ – محبة حكم الله ﷻ .

٦ – قبول حكم الله ﷻ .

٧– الانقياد والالتزام والإذعان والتسليم لحكم الله ﷻ .

٨– العمل بحكمه ﷻ .

فائدة : واجبنا تجاه حكم الله ﷻ قسمان :

أ– واجب اعتقادي .

ب– واجب عملي .

وترجع هذه الواجبات إلى حقيقة الإيمان وإلى شروط وأركان (لا إله إلا الله).

المسألة الثالثة عشرة : قيام الإيمان بالحكم بما أنزل الله على ركنين :

الركن الأول : الاعتقادي الباطن :

ويكون بإثبات الحكم لله ﷻ والإيمان به وإفراده بـه وتـصديقه ومحبتـه وعـدم معارضته وتكذيب كل حكم يخالف حكمه ورفضه واعتباره مـن الطـاغوت الـذي أمرنا بالكفر به والبراءة منه ومن أهله .

الركن الثاني : العملي الظاهر :

ويكون بقبول حكم الله ﷻ والانقياد له ومتابعته والالتزام به وعـدم الامتنـاع منه أو الإعراض والتولي عنه .

ومن هنا يتبين أنه لا يقوم بالعبد إيمان حتى يؤمن بحكم الله باطنا وظاهرا .

فلا يتم الإيمان بحكم الله إلا بهذين الـركنين . يـصدق بحكـم الله ويحبـه، ثـم ينقاد له ويتبعه ويلتزم به، وهذان الركنان راجعان إلى شروط لا إله إلا الله وأركانها .

وبهذا يتبين أن الحكم فيه توحيد وإيمان عملي بالقبول والانقياد وتوحيد وإيمان اعتقادي بالتصديق والمحبة، وكذلك الكفـر في الحكـم يكـون بالاعتقـاد والعمـل . وهذا البيان لتأصيل المسألة في الحكم وكفر المتحاكم والحاكم بغير ما أنزل الله .

الرابعة عشرة : تحريم الاسم الذي فيه مشاركة ومشابهة في صفة الحكم لله:

كل ما يشعر بمشاركة الله عز وجل في صفة الحكم واسمه فهو محرم .

وقد جاء النهي عن التسمي بملك الملوك وقاضي القضاة كما في الحديث المتفق عليه في حديث أبي هريرة ﵁ .

كما يدل لهذا قصة أبي شريح الكندي لما وفد مع قومه إلى النبي ﷺ فسمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه فقال: (إن الله هو الحكم وإليه الحكم)، فلم تكنيت بأبي الحكم، قال: لا ، ولكن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، قال: ما أحسن هذا، فمالك من الولد؟ قلت: لي شريح وعبدالله ومسلم بنو هاني، قال: فمن أكبرهم قلت شريح، قال: أنت أبو شريح) رواه أبوداود والنسائي.

فإذا كان هذا الاسم محرما ويجب إنكاره فكيف الحكم في من ينازع الله ﷻ فيه بالفعل بالتشريع والحكم والتحاكم والله المستعان .

الخامسة عشرة :علة توحيد الله بالحكم وأوجه دخول الحكم في التوحيد:

أولاً : لأن الحكم من ربوبية الله وأفعال الرب، والحكم صفة اختص الله بها .

ثانياً : لأن الحكم من العبادة التي استحقها الله فلا يصرفها العبد إلا له.

لأجل هذين الأمرين وجب أن يفرد الله بالحكم ويوحد فيه، ونهانا عن الشرك في الحكم وأمرنا بالتوحيد فيه، وجاء بصيغة الحصر النفي والإثبات تأكيدا لذلك.

وكذلك الحكم والتحاكم هي من الله إلهية وربوبية، ومن العباد عبودية وطاعة وخضوع وتعظيم وتوحيد، فالغاية العظمى من قضية التحاكم إلى شرع الله هي تحقيق عبودية العباد لله تعالى في هذا الجانب ، ومن أشرك في الحكم والتشريع فقد أشرك نفسه في الربوبية ومن أشرك في الطاعة والتحاكم فقد أشرك في توحيد الألوهية ووقع في عبادة المخلوق وذلك بطاعته واتباعه والتحاكم إليه وتعظيمه والخضوع والتذلل له .

المسألة السادسة عشرة : علاقة الحكم بما أنزل الله بالدين والتوحيد والعقيدة :

الحكم بما أنزل الله له رابطة قوية بجميع مبادئ الدين أصوله وفروعه فله علاقة وطيدة بالتوحيد وأنواعه وناقض التوحيد وهو الشرك، كما أن له علاقة بالإيمان حقيقته وحدوده وأركانه، وله علاقة بضده وهو الكفر، وله علاقة بالإسلام في حدة وحقيقته وأركانه، وله علاقة بالشهادتين ومقتضياتها وأركانها وشروطها ، فلا يخلو باب من أبواب الدين إلا وللحكم مناسبة معه وإليك بيان ذلك مفصلاً .

أولاً : علاقة الحكم بما أنزل الله بالتوحيد :

التوحيد معناه الإفراد ضد الشرك ، ولا يسمى الشيء توحيدا إلا إذا اجتمع فيه نفي وإثبات، وهو حقيقة لا إله إلا الله هو إفراد الله بكل ما يستحقه وما يخصه.

والذي يستحقه الله ويجب أن يفرد به العبادة من التعظيم والخضوع والطاعة والمحبة والحكم بما أنزل والتحاكم إليه، والربوبية وكمال الصفات.

فالتوحيد: إفراد الله بالألوهية (عبادته) والربوبية والأسماء والصفات .

فنثبت لله وحده هذه الخصائص الثلاث وننفيها عن كل أحد سواه .

ومعنى التوحيد في الحكم على ذلك أن يفرد الله ﷻ بالحكم والتشريع والتحاكم فنوحد الله ﷻ في الحكم كما نوحده في بقية أفراد وأنواع التوحيد ، فنثبته له وحده وننفيه عن كل أحد سواه كما أخبر تعالى وأمر.

فكما نوحده في أفعاله من خلق ورزق وإحياء وإماتة فكذلك نفرده تعالى بالحكم لأن الحكم والأمر والتشريع والتحليل والتحريم من أفعاله تعالى .

وكما نفرده في صفاته ولا نمثله بخلقه فكذا نوحده في الحكم فهو من صفاته.

وكما نفرد الله ﷻ ونوحده في الألوهية التي هي عبادته من دعاء ومحبة وخوف وسجود بأن لا نعبد إلا الله تقدس سبحانه ولا نتوجه ونقصد غيره ولا نخشى ولا ندعو أحداً سواه كذلك لا نتحاكم إلا إليه ولا نطيع أحداً سواه ، لأن التحاكم إليه عبادة من العبادات التي أمرنا أن نوحد الله بها وأن لا نتحاكم لغيره وأن ننفي ونتبرأ ونكفر بحكم الطاغوت ، وكل حكم خارج عن حكمه فهو حكم الطاغوت .

والذي يجب على كل مسلم أن يحكم بما أنزل الله وأن يفرد الله تعالى في الحكم لأنه من أفعال الرب ﷻ ويفرد الله بالحكم لأنه من صفاته وأسماءه تعالى ويفرد الله ﷻ بالتحاكم لأنه من العبادة التي لا تصرف إلا له.

خلاصة اعتبارات دخول الحكم في التوحيد :

١ - أن الحكم صفة لله وحده لا يشابهه أحد فيها ولا تثبت لغيره ولا يشاركه أحد في فعله والاتصاف بها بنص القرآن قال تعالى : ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ يوسف: ٤٠.

٢- أن الحكم عبادة يجب إفراد الله بها قال تعالى : ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ يوسف: ٤٠ ، الحكم والتحاكم هي من الله إلهية وربوبية، ومن العباد عبودية وطاعة وخضوع وتعظيم وتوحيد، فالغاية العظمى من قضية التحاكم إلى شرع الله هي تحقيق عبودية العباد لله تعالى في هذا الجانب.

٣- أن الحكم يدخله الشرك كما في آية: ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ الكهف: ٢٦ .

٤- أن غير حكم الله طاغوتا يجب نفيه والتبرؤ منه .قال تعالى : ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا﴾ الأنعام: ١١٤ ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا﴾ المائدة: ٥٠ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ النساء: ٦٠.

٥- قيام الحكم على النفي والإثبات قال تعالى : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ الأنعام: ٦٢ ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ يوسف: ٤٠.

ومن هذا كله يتبين أن الحكم يوصف بالتوحيد والشرك ويدخل فيهما وأن فرد من أفراد الألوهية والربوبية وداخل ضمن كلمة التوحيد .

ثانياً : علاقة الحكم بتوحيد الربوبية :

الربوبية هي أفعال الله تعالى ومن أفعال الله أنه يحكم ويشرع ويحلل ويحرم ويأمر وينهي ويسن الدين ، فالذي يشرّع ويحكم يسمى رباً، وقد سمى الله الذي يحكم من المخلوقين ويشرع ويحرم ويحلل ويطاع ربا وليس مجرد إلها معبودا في قوله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ فسمى الله ﷻ الأحبار والرهبان أرباباً لأنهم يشرعون ويحرمون ويحللون ويحكمون وهذه من صفات الربوبية ومن أثبتها لغير الله فقد جعله ربا له وخصه بصفات الرب وأثبت له أفعال الربوبية .

ويقول ﷻ : ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ آل عمران: ٦٤ ، أي أننا نحن وأهل الكتاب لا يطيع بعضنا بعضا ويجعل بعضنا بعضا أرباباً في حكم وتشريع أمر ونهي وتحليل وتحريم .

ولا شك أن ربوبية المخلوق باطلة كما أن ألوهيته باطلة فسمى الله من عُبد واتخذ ربا وإلها رباً وإلها وليس لكونه مستحقا لهذه الصفات وإنما لكونه اتصف بها ، ومن المقرر أن الإله والرب إما أن يكون بحق وهو الله وحده أو باطل وهو ما سوى الله ﷻ.

وحيث أنه لا رب إلا الله ولا خالق إلا الله ولا إله بحق إلا الله استلزم ذلك أن لا يكون هناك حاكم ولا مشرع وآمر إلا الله.

وهذه النتيجة اللزومية أوضحها الرب بقوله : (ألا له الخلق والأمر)

فلا يستحق الحكم والأمر إلا من يستطيع أن يخلق فالذي له الخلق لـه وحـده الأمر كما قرر ذلك ربنا في محكم كتابه.

فكما أنه لا خالق إلا الله فكذلك لا آمر ولا مشرع ولا حاكم إلا هو فمـن لـه الخلق له الأمر وحده سبحانه وتعالى .

ولذلك الأصل قال الله ﷻ : ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦.

وأخبر أن الحكم ليس إلا له وحـده ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ الأنعام: ٥٧ ، يوسف: ٤٠ ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ الأنعام: ٦٢ ﴿ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ القصص: ٧٠ .

فكما أنه الخالق لنا فليس لنا آمر غيره ولا يصلح لنا أمر مخلوق مثلنا، ولا يعلم بمصالح الخلق إلا من خلقهم فلذلك تفرد بـالأمر وحـده وأمرنـا أن نفـرده بـالأمر ونرجع الحكم إليه فإليه يرجع الأمر كله، ومن تقحم هذا الأمر وأراد أن يشارك ربـه في الأمر وينافسه في الحكم ويضاهيه في التشريع فقـد أوقـع نفـسه في أعظـم الهـوان واستحق أعظم العقوبة وسنأتي على كـلام الـشنقيطي وغـيره في أن هـؤلاء الحكـام المشرعون الكفرة الفجرة ليس لهم من صفات من يستحق الأمر والتشريع والحكم .

وبهذا يتبين أن الحكم من أفعال الله ﷻ وأن المشرع والحاكم يسمى رب، فإمـا أن يكون رباً بحق وهو الله ﷻ ، وإما يكون رباً باطلاً وطاغوتـا كـافرا وهـو المـشرع المخلوق ، وبهذا يتبين أن المشرعين والحاكمين بغير ما أنزل الله مشركون في الربوبية .

ثالثاً : علاقة الحكم بالأسماء والصفات :

علاقة الحكم بصفات الله ﷻ تظهر من جهات :

أولاً : الحكَم والحاكم الحكيم من أسماء الله ﷻ المشتقة من صفة الحكم . وهي من أسماءه التي تسمى بها ﷻ ، والحكم والتشريع والأمر والنهي والتحليل والتحريم من صفات الله تعالى وأفعاله التي اتصف بها ووصف نفسه بها .

ثانياً : أن الحكم يستلزم وجوده صفاتاً أخرى لله تعالى، فهو متعلق بها مرتبط بها ودل عليها ، ومن هذه الصفات العلم فالحكم يستلزم علم الحاكم وأنه عليم، وأيضاً يستلزم صفة القدرة والغنى والقيومية وأنه لطيف خبير، وصفات أخرى لا بد أن توجد بوجود الحكم ، فمن حكم وشرع كان فيه هذه الصفات ومن وجدت فيه هذه الصفات استحق الحكم ، وهذه الصفات لا يتصف بها غير الله ﷻ .

فبين الحكم وبقية الصفات تلازم ودلالة الملازمة بينهما واضحة، وقد قرن الله عز وجل بين الحكم وغيره من الصفات في آيات كثيرة كالخبير واللطيف.

على هذا فعلاقة الحكم بصفات الله ﷻ علاقة مطابقة وتضمن وملازمة.

ثالثاً : أن الحكم يرجع إلى أفعال الربوبية ، ويعتبر ثلث أفعالها، فالربوبية مدارها على ثلاثة أفعال: التدبير ومنه الخلق ، الملك ، الأمر والتشريع والحكم .

على أن التشريع مرتبط بالتدبير والملك والخلق، فهو من إفراد التدبير والتصرف في الملكوت والخلق ثم من مقتضى الملك الحكم والتشريع .

رابعا : أن الحكم من صفات الرب التي تفرد بها ولا يشاركه أحد فيها كما قال الله ﷻ ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦.﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ يوسف: ٤٠، فأفرد نفسه بالحكم .

فليس هنالك حاكم مع الله ﷻ ولا حكم كحكم الله قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة: ٥٠ فالحكم خاص به سبحانه وهو من صفاته، فمن ادعى انه يحكم فقد أشرك في الصفات ومن جعل لنفسه الحكم والتشريع فقد جعل نفسه حاكماً مع الله سبحانه، ومثل نفسه بالله تعالى في صفاته. وكفر بقوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ الشورى: ١١﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ .

عليه فالحكم من صفات الله ﷻ وأفعاله الخاصة به التي لا تطلق على أحد سواه، فكما أن صفة الخلق والرزق والإحياء خاصة به فكذلك الحكم له وحده، فهذا هو الشرك في صفة الحكم وعلى ذلك فالمشرعون والحاكمون بغير ما أنزل الله وأصحاب القوانين الوضعية مشركون في باب الأسماء والصفات .

خامسا : أن من حكم بغير ما أنزل الله فقد كفر باسم الله تعالى الحكم وضاهاه في تفرده بهذه الصفة العظيمة.

رابعاً : علاقته بتوحيد الألوهية :

الألوهية هي العبودية ولذلك يسمى هذا التوحيد توحيد العبادة والعباد يعني أفعال العباد التي يفعلها العباد لله ﷻ .والحكم والتحاكم الذي يفعله العباد يعتبر من العبادات الداخلة في الألوهية التي يجب أن نوحده بها ، فكما أنه لا يُدعا إلا الله ﷻ ولا يسجد إلا له فكذلك لا يتحاكم إلا إليه فالتحاكم عبادة يفرد الله ﷻ بها .

ونبين العلاقة بينهما من أوجه :

الأول : أن الله ﷻ جعل الحكم بما أنزل من العبادة وسماها تعبدا ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ .

الثاني : أن الحكم يحبه الله ﷻ وأمر به ورضيه ، وهذه حقيقة العبادة .

الثالث : أن الله جعل الحكم بغير ما أنزل والتحاكم إلى ما سواه من الشرك .

فلا يجوز التحاكم إلا إلى شرع الله ﷻ.

والتحاكم إلى غير الله ﷻ شرك ، فمن ذهب إلى محكمة وضعية قانونية لا تحكم بما أنزل الله وتحاكم إليها فهو مشرك في ألوهيته ، والحاكم فيها مشرك في الربوبية والألوهية معا . وبينا دلالات ذلك في موضعه .

والدليل على ذلك قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ النساء: ٦٠ ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤ ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١ وغير ذلك .

خامساً : علاقة الحكم بما أنزل الله بالعبادة :

الحكم بما أنزل الله من أعظم مقتضيات العبودية والانقياد والإذعان لله تعالى.

والحكم يحبه الله ﷻ وأمر به ورضيه وما أمر الله به فهو داخل في عموم العبادة وما يحبه الله فهو عبادة فالعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال

والأعمال ، والتحاكم لشريعته من العبادات التي يحبها الله ويرضاها ، كما يوجد في التحاكم تذلل للمتحاكم إليه وخضوع له .

فالحكم عبادة أمرنا الله أن نفرده بها قال تعالى : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ ، كما أن المقصود بالعبادة في بعض الآيات هو الطاعة ، فحقيقة عبادة الشيطان الطاعة والحكم والتشريع .﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾ مريم: ٤٤ ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ يس: ٦٠.

قال السلف في حقيقة العبادة في اتخاذ العلماء أربابا : أنهم لم يسجدوا لهم وإنما أطاعوهم وتحاكموا لهم.

والإشراك بالله في حكمه والإشراك به في عبادته بمعنى واحد، فالذي يتبع نظاما وتشريعا كالذي يعبد الصنم ويسجد للوثن فكلاهما مشرك.

فمن خضع لله سبحانه وأطاعه وتحاكم إلى وحيه فهو العابد لله ومن خضع لغيره وتحاكم إلى غير شرعه فقد عبد الطاغوت وانقاد له.

فكما لا يسجد العبد إلا لله ولا يعبد مخلوقا فكذلك لا يرضخ ولا يخضع وينقاد إلا لحكم الحكيم العليم دون حكم المخلوق.

سادساً : علاقة الحكم بشهادة أن لا إله إلا الله وبأركانها وشروطها :

الحكم داخل في التوحيد وفي أصل شهادة أن لا إله إلا الله تضمنا والتزاماً فهو يجري عليه ما يجري على أصلها وأركانها وشروطها .

و (لا إله إلا الله) تعني لا معبود بحق إلا الله، فلا نعبد أحدا سواه، ومن العبادة الدعاء والمحبة والحكم والتحاكم والطاعة، فلا يدعى إلا الله ولا يراد إلا الله

ولا يحب إلا الله ولا يحكم إلا الله ولا يتحاكم إلا إلى الله ، وعليه فمن الشرك المتعلق بهذه العبادات شرك الطاعة وشرك الحكم .

وجاء التعبير عن لا إله إلا الله بالحكم في قوله ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠، بمعنى لا إله إلا الله النفي وإثبات لا حكم إلا لله ولا حاكم إلا الله ولا متحاكم إليه إلا الله .

فيجب على كل مسلم حتى يكون مؤمنا موحدا أن ينفي الحكم عما سوى الله تعالى ويثبته لله وحده ، وأن يقبل شرع الله ودينه ويرفض شرع ما سوى الله ودينه. فالحكم مثله مثل جميع العبادات لا يقبل إلا أن يفرد الله وحده به .

فلا يقبل الله من عبده عبادته إلا إذا وحد الله بها وكفر بعبادة غير الله، فمن حكم بالشريعة وهو لا يكفر بأحكام غير الله كالقوانين الوضعية لا يعد مسلما . كذلك لو جعل شرك الحكم والتشريع معصية لا يكفر إلا إذا جحد واستحل ، وهو مثل من يجعل عبادة القبور والأموات معصية لا يكفر فاعلها إلا إذا جحد الربوبية .

وقد أمرنا الله أن نكفر بحكم الطاغوت، ومن لم يكفر بحكم الطاغوت فإنه لا يقبل منه إسلامه ويصير كمن يقول أنا أؤمن بالله وأؤمن بغيره وأعبد الله وأعبد غيره، فلا تقبل الألوهية إلا بكفر العبد بألوهية كل ما سوى الله تعالى وهذا معنى الكفر بالطاغوت، وكفار العرب وغيرهم أنكروا على الرسول ﷺ أن يعبدوا الله وحده، فكانوا يعبدون الله ويعبدون غيره ويؤمنون بالله مع الوقوع في الشرك، وكانوا يحكمون بما أنزل الله ويحكمون بغير ما أنزل الله فلم ينفعهم إيمانهم بالله وعبادتهم له مع وقوع الشرك منهم واستباح الرسول ﷺ دمائهم.

فمن ترك حكما من أحكام الشريعة فهو مثل من ترك الشريعة كلها ولو كان في أدنى مسألة ومن أخذ مسألة واحدة من حكم غير الله ﷻ فقد كفر بالله العظيم قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ البقرة: ٨٥. ومن كفر ببعض الكتاب فقد كفر بالكتاب كله فكل حكم سوى حكم الله فهو باطل وجاهلي، فيجب أن نرفض كل ما سوى شرع الله ونؤمن بأنه لا حكم إلا لله، وهذا معنى الانقياد لـ(لا إله إلا الله) والإذعان والاستسلام لها وقبولها .

سابعاً : دخول حكم الله في أركان كلمة التوحيد النفي والإثبات :

بما أن الحكم داخل في الربوبية والألوهية فهو قائم على ركني التوحيد النفي والإثبات .

فلا بد أولاً يثبت المسلم الحكم لله وحده ويؤمن به ويقبله وينقاد ويعمل به .

ثم ينفي الحكم عن كل ما سوى الله ويكفر بحكم الطاغوت ويرفضه .

ومن أدلة تفرد الله ﷻ بالحكم: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ الكهف ٢٦ ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ الأعراف: ٥٤ ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ الأنعام: ٦٢ ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ الأنعام: ١١٤.

فمن حكم بغير ما أنزل الله فقد أشرك في الربوبية ومن تحاكم إلى هذا الطاغوت فقد أشرك في الألوهية .

ويشترط للمسلم حتى يكون مؤمناً قيامه بإثبات الحكم لله ﷻ ونفي الحكم عما سواه وقبول حكم الله ﷻ ورد حكم غيره والانقياد لحكم الله ﷻ والامتناع وترك حكم غيره والرضا بحكم الله ﷻ ورفض حكم غيره ومحبة حكم الله ﷻ

وبغض حكم غيره فلا يصير الإنسان مسلماً إلا بتوفر هذين الركنين، وهذا شرط قبول الإسلام بل ولا يسمى الإسلام إسلاما إلا بتمام هذين الركنين :

أولاً: قبول حكم الله ﷻ والانقياد له ومحبته والعلم به وتصديقه والالتزام به .

ثانياً : رفض وترك كل حكم لم يصدر عن الله وعدم متابعته والكفر به والامتناع عنه وبغض أهله وتكفيرهم، ولا ينفعه حكمه بالشرع حتى يكفر بحكم الطاغوت وإلا سيصبح الإنسان مؤمناً بحكم الجاهلية راضياً بها مبتغياً لها ويصبح في إيمانه زاعماً مدعياً وهذا حكم الله فيه بنص القرآن .

والقاعدة [لا يجتمع قبولان وانقيادان لأمرين متناقضين في قلب مطلقاً] ، فشرط الانقياد لشرع الله تعالى وحكمه ترك كل ما سوى حكم الله ﷻ ، ولا يجتمع حكم الله وحكم الطاغوت في قلب مؤمن مطلقاً.

والناس في هذا على قسمين :

إما قابل لحكم الله مؤمن به كافر بحكم الطاغوت وحكم ما سوى الله .

وإما مؤمن بحكم الطاغوت متحاكم إليه حاكم به فهو كافر بحكم الله .

ومن لم يجمع بين الحكم بما أنزل الله مع الكفر بحكم غيره فقد آمن بالطاغوت ولم يوحد الله .

ثامناً : علاقة الحكم بشروط لا إله إلا الله :

وهي العلم اليقين الصدق الإخلاص المحبة القبول الانقياد .

من لم يحكم بما أنزل الله فقد جهل بمقتضى كلمة التوحيد ولم يعلمها حقا وأنها تستوجب العمل بالشريعة والحكم بها .

والذي يحكم بغير ما أنزل الله ليس عنده يقين بل شك في حكم الله والله تعالى يقول ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة: ٥٠ .

والذي يحكم بغير ما أنزل الله ما صدق في قول لا إله إلا الله فهو كاذب .

والذي لا يحكم بما أنزل الله ويحكم بغيره لم يخلص في حكمه بل وقع في الشرك، وبالتالي لم يخلص في لا إله إلا الله.

والذي يحكم بغير ما أنزل الله لا يحب الله ولا شرعه ولا يحب لا إله إلا الله.

ومن المحال أن يحب الإنسان ربه ويشرك به في عبادته وحكمه ولا يتبع أمره.

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ٣١ .

ومن شروطها القبول المنافي للرد فلابد للمسلم أنه يقبل لا إله إلا الله ويقبل كل ما فيها ومن ذلك الحكم بشرع الله ، فمن رد حكم الله ولم يقبله فإنه لا يعتبر قد أتى بشرط القبول.

والذي لا يحكم بما أنزل الله فقد انتقض عنده شرط الانقياد فهو لم ينقد للا إله إلا الله ، ومن معاني الانقياد أن ننقاد لشرع الله .

والانقياد منافي للترك والامتناع فيلزمنا أن نقاد ونذعن ونلتزم بشرع الله ﷻ ومن نواقض الانقياد أن نمتنع ونترك شرع الله أو نعرض ونتولى عنه.

إذن : فالحكم له علاقة بشروط لا إله إلا الله ، فمن لم يحكم بما أنزل الله فإنه لم تتوفر فيه شروط لا إله إلا الله فهو كافر بذلك والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى

ﵟٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦﵞ النساء: ٦٠ ، فإرادتهم التحاكم إلى غير شرع الله ورد حكم الله ﷻ وقبول حكم غيره جعلهم كفار كاذبين بدعواهم الإيمان .

تاسعاً : علاقة الحكم بالكفر بالطاغوت :

من أركان لا إله إلا الله الكفر بالطاغوت ، ومن الكفر الطاغوت : الكفر بكل حكم مخالف لحكم لله من القوانين الوضعية وغيرها والبراءة منها ورفض التحاكم إليها وتكفير أهلها ومعاداتهم .

والكفر بالطاغوت أمر الله ﷻ به خصوصا الطاغوت الحاكم المعبود المطاع ، والدليل على أن الحكم بغير ما أنزل الله من الطاغوت الذي يجب الكفر به وتكفير أهله قوله ﷻ: ﵟيُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦﵞ النساء: ٦٠.

ومن لم يكفر بالطاغوت فما تحقق في قلبه لا إله إلا الله كما في قوله تعالى : ﵟفَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰﵞ البقرة: ٢٥٦ .

ولا يصير الإنسان من أهل لا إله إلا الله حتى يكفر بالطاغوت ومن معاني الطاغوت الحكم بغير ما أنزل الله، ومن الطواغيت الحاكم المغير لحدود الله والواجب أن نكفرهم ومن لم يكفر بهم فليس بمستمسك بلا إله إلا الله .

وأما من قال أنا أؤمن بالله وأحكم بشرعه إلا أني لا أكفر بحكم ما سواه ولا أكفر الحاكمين بغير ما أنزل الله ولا المشرعين للقوانين الوضعية وأصحابها وأربابها والمشركين في الحكم ولا أتبرأ من المحاكم وحكامها وواضعيها، فهذا ما كفر بالطاغوت وما أفرد الله ووحد الله في الحكم وهو كمن يقول أنا أدعو الله ولا أدعو غيره ولا أسجد وأذبح لغيره لكن لا أكفر من سجد ودعا غيره، فلا ينفعه ذلك .

ولا يمكن أن يجتمع في قلب المؤمن الموحد إيمان بحكم الله تعالى مع عدم الكفر بحكم ما سواه ، فمن قال : لا أتعرض لأحكام القوانين الوضعية ولا أكفر بها ولا أكفّر أصحابها لا يمكن أن يكون هذا في قلب مؤمن ولا يكون صاحبها مسلما ألبته، حيث لا يقبل الله تعالى من مؤمن إيماناً به حتى يكفر بحكم الطاغوت الجاهلي كما أخبر سبحانه بقوله : ﴿ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ﴾ النساء: ٦٠.

وإذا فقه الإنسان علاقة الحكم بمقتضى لا إله إلا الله وأركانها وشروطها فقه المسألة وفقه جهل المتأخرين في وجوب توحيد الحكم .

عليه فيجب الكفر بحكم الطاغوت، وهذا مقتضى شهادة التوحيد، ولا يصح الإسلام بدونه ، ويكفر من لم يكفر بحكم الطاغوت أو يحضر حكمه ومحكمته .

قال الشيخ عبد اللطيف عن الذنوب المكفرة : (ويلحق بالقسم الأول حضور المجالس المشتملة على رد أحكام الله وأحكام رسوله والحكم بقانون الإفرنج والنصارى) مجموعة الرسائل ٣/ ٥٧ .

فائدة : الحنيف هو من أتى بالتوحيد و ترك الشرك عن قصد وعلم:

مجرد ترك شرك الحكم من غير قصد وتعمد لا يكفي بمفرده في الدخول في الإسلام، فلا بد من ترك الشرك قصدا ومن الكفر به والبراءة منه ومعاداة أهله، فلا يصدق على من ترك الشرك في الحكم وغيره عادة من غير قصد أنه اتبع ملة إبراهيم الذي صرح بالكفر بالطاغوت وصدع بتكفير أهله .

قال ابن كثير في تفسير ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾: (الحنيف هو المائل عن الشرك قصدا ، أي تاركاً له عن بصيرة) ، وقال: (المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد) .

تنبيه : لا تنفع لا إله إلا الله إلا العالم بمعناها العامل بمقتضاها :

كثير ممن يدعى أنه مسلم ويقول لا إله إلا الله جاهلا بها فلا تقبل منه فيقـول : لا أعلم أن الحكم أمرنا الله به فهو لا يعلم معنى لا إله إلا الله فمـن معـاني لا إلـه إلا الله أن لا يحكم إلا بما أنزل الله وأن الحكم من العبادة التي لا تصرف إلا لله فكـما أنـه لا يدعى إلا الله ولا يسجد إلا له فكذلك لا يحكم المسلم إلا بما أنزل الله ولا يتحاكم إلا إلى شرع الله عز وجل ، ويؤمن بأنه لا حاكم إلا الله .

قال الشيخ سليمان في التيسير شرح التوحيد : (ولا ريب أنه لو قالها أحد مـن المشركين ونطق بشهادة أن لا إله إلاَّ الله محمداً رسول الله، ولم يعرف معنى الإلـه ولا معنى الرسول ، وصلى وصام وحج ولا يدري مـا ذاك إلاَّ أنـه رأى النـاس يفعلونـه فتابعهم ولم يفعل شيء من الشرك ، فإنه لا يشك أحد في عدم إسلامه).

وقال أيضا فيه: (أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها، فإن ذلك غير نافع بالإجماع ، فتباً لمن كان أبو جهل وغيره أعلم منه بـلا إله إلاَّ الله) .

فمن ترك الشرك مثل عبادة الرسول ﷺ ودعاء الأموات لكن لم يكفر بها وكان تركه لها تركاً مجرداً لم يعتبر بذلك من أهل الإسلام أو لو أن شخصاً حكم بما أنزل الله ولكن لم يكفر بحكم ما سواه وترك التحاكم للقوانين الوضعية الـشركية الطاغوتيـة لكن لم يكفر بكفر الطاغوت قصدا كما أمر الله ﷻ فإن فهذا لا يعتبر من أهل التوحيد ولا آمن بالله وحده بل هو مشرك، فتنبه إن كان للتوحيد شأن عندك .

فائدة : تعلق الحكم بغير ما أنزل الله بموالاة الكفار : الحكم بغـير مـا أنـزل الله مرتبط بموالاة الكفار وطاعتهم وإرضائهم والركون إليهم، وهذا أعظم ما يهدف له

الكفار إبعادهم عن العمل بالشريعة والاحتكام لها ، ولذلك من اللطائف في سورة المائدة أن الله ﷻ أعقب آيات الحكم بآيات الولاء والبراء ثم آية حقيقة الردة.

عاشراً : علاقة الحكم بما أنزل الله بشهادة أن محمداً رسول الله :

شهادة أن محمداً رسول الله من مقتضياتها تحكيم الرسول ﷺ والرضا بحكمه ولا يتم الإيمان بالرسول إلا بذلك .

ومقتضى شهادة أن محمداً رسول الله طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع .

ويسمى العلماء مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله بتوحيد الرسول أو توحيد المتابعة للرسول ﷺ ومن حكم بغير ما أنزل الله فإنه لم يصدق الرسول ﷺ في إخباره بكفر الذين حكموا بغير ما أنزل الله ولم يطع الرسول ﷺ في أمره حيث أمر أن نحكم بما أنزل الله ولم يجتنب ما نهى عنه الرسول ﷺ ، ومما نهى عنه الرسول ﷺ الحكم بغير ما أنزل الله فإذا كان الرسول نهى عمر أن ينظر إلى التوراة ويأخذ منها شيئاً فكيف بالقوانين الوضعية . كما أنه لم يعبد الله بما شرع فمن شرع غير شريعة الله ﷻ وحكم بغير ما أنزل الله ﷻ فقد وضع شرعا غير شرع الرسول ﷺ ولم يعبد الله بما شرعه رسوله ﷺ ولم يتبعه في دينه الذي أمرنا الله به .

وعلى ذلك فالحكم بغير ما أنزل الله ناقض لمقتضيات الإيمان بشهادة أن محمداً رسول الله الأربع جميعها، ومبطل للحكمة التي من أجلها بعثت الرسل .

قال تعالى :﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ٣١ .

واتباع الرسول ﷺ يكون في حكمه وأمره ونهيه .

قال ﷻ: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ آل عمران: ٣٢.

قال سبحانه في الحكم خاصة ومقتضى توحيد المتابعة: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ النساء: ٦٥ ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ النور: ٥١ ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ ﴾ الأحزاب: ٣٦ .

إحدى عشرة : علاقة الحكم بما أنزل الله بالإسلام :

علاقة الحكم بالإسلام من جهتين :

من جهة حده وحقيقته القائمة على التسليم والعمل ، ومن جهة أركانه .

فالإسلام هو الاستسلام لله ﷻ بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله ، والذي لا يحكم بما أنزل الله فقد نقض هذه الأركان الثلاثة ، فهو لم يستسلم بالتوحيد ولم ينقد لله بالطاعة ولم يتبرأ من المشركين وشركهم في الحكم.

والله ﷻ نفى عمن ترك الحكم حقيقة الإسلام القائم على العمل بأوامر الله ومنها الحكم وقائم على التسليم في قوله: ﴿ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ ، والتسليم داخل في جنس الاستسلام والإسلام فلا يكون العبد مسلما حتى يحكم بالشرع .

فائدة : الحكم بغير ما أنزل الله ناقض للشريعة والدين : من حكم بغير ما أنزل الله فقد عطل الشريعة ولم يؤمن بها وكذب بها وانتقصها واستخف بها، فما جاء الدين وما أنزلت هذه الشريعة إلا للعمل بها والأخذ بها.

اثنا عشرة : علاقة الحكم بما أنزل الله بالإيمان ، من جهتين :

الأولى : من جهة حقيقته وأصله :

الإيمان هو التصديق والانقياد الظاهر والباطن فهو قول وعمل واعتقاد، وهذه الأركان متلازمة مترابطة فيما بينها، فمن ادعى الإيمان وجب عليه أن يصدق بكل ما جاء عن الله ﷻ ، ومما جاء عن الله الحكم ثم إذا صدق بقلبه لا يكفيه فلابد من الانقياد لهذا التصديق وقبوله والعمل به والتسليم لهذا التصديق فلابد من أخذ شرع الله وأمره ونهيه وتحليله وتحريمه وحكمه أن يصدقه ثم يعمل به ، ولا يعرض عنه أو يتحاكم إلى غير شرعه، ومن لم يحكم ويحتكم ويتحاكم بالشريعة فهو غير مؤمن بنص القرآن بل ولا بد من كمال الرضا والتسليم لحكم الله، كما قال ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥، ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ النساء: ٥٩ ، ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ النور: ٥١ ، فهؤلاء الذين سماهم الله تعالى بالمؤمنين ومن لم يكن فيه هذه الصفة وهي قبول حكم الله ﷻ والسمع والطاعة له والإقبال عليه فإنه غير مؤمن.

الثانية : علاقته بأركان الإيمان :

فالحكم بما أنزل الله له علاقة بجميع أركان الإيمان الستة :

فله علاقة بالإيمان بالله تعالى :

وقد بيناه في علاقته بالتوحيد فمن الإيمان بالله ﷻ أن تؤمن بحكمه لأنه من ربوبيته وأفعاله وصفاته ﷻ وتؤمن بالتحاكم إليه لأنه من ألوهيته وعبادته .

وله علاقة بالإيمان بالرسل :

لأن الله ﷻ أرسلهم ليعلموا الناس أمره ونهيه ويتحاكموا إليهم ويطاعون.

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ النساء: ٦٤.

وقـــــال : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ ص: ٢٦.

ولابد من تحكيم الرسول ﷺ والرضا والتسليم لحكمه قال سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ النساء: ٦٥ ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ﴾ النور: ٥١ ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾ الأحزاب: ٣٦.

ومن لم يحكم بما أنزل الله فقد كفر بالأنبياء الذين أرسلهم الله ﷻ وأنزل الكتب معهم ليحكم الناس بها .

وعلاقته بالإيمان بالكتب :

لأن الكتب ما أنزلت إلا لأجل العمل بها والحكم بها والتحاكم إليها.

قال تعالى :﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ النساء: ١٠٥ ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ النحل: ٦٤ ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ الأعراف: ٣ ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ المائدة: ٤٨ ، والآيات الدالة على أن الكتب

أنزلت للحكم بها وفيها الحكم ووجوب جعلها محلا للتحاكم وأخذ الحلال والحرام منها لأنها منزلة من الله ﷻ صادرة عنه وهذه الحكمة من إنزالها كثيرة .

وإذا كان هذا الأمر في الإنجيل والتوراة ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾ المائدة: ٤٧ ، فالقرآن الذي أنزله الله تعالى مهيمناً على الكتب السابقة وحاكماً عليها من باب أولى أن يحكم به.

علاقة الحكم بالإيمان بالملائكة : الملائكة هم الذي تشرفوا بإنزال الوحي وإبلاغه وترك الحكم بما انزل الله كفر بهم وتكذيب لهم ومن كذب الرسالة فقد كذب المرسل وهو النبي ﷺوكذب الذي جاء إلى النبي ﷺ وهو جبريل عليه السلام.

علاقة الحكم بالإيمان بالقضاء والقدر : الذي لا يحكم بما أنزل الله فهو غير مؤمن بقضاء الله وقدره فلا يصح الإيمان بالقضاء والقدر حتى يسلم ويرضى .

قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥ .

علاقة الحكم بالإيمان باليوم الآخر :

قرن الله الإيمان بالشرع مع الإيمان باليوم الآخر في نصوص كثيرة فمن لم يؤمن بحكم الله ويكفر بغيره فحقيقته أنه غير مؤمن بهوالوعيد المترتب على الكفر بالحكم .

عليه فمن أعرض عن حكم الله ولم يحكم بما أنزل الله فهو ليس بمؤمن لأنه نقض أصل الإيمان وأساسه ورأسه وحده وحقيقته ونقض أركان الإيمان الستة وهذا حكم الله ﷻ كما في الآيات: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ النساء: ٦٥ ، ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ النساء: ٥٩ ، ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ النور: ٥١، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ﴾ الأحزاب: ٣٦.

ثلاث عشرة : تعلق الحكم بالشرك والكفر :

لما كان الحكم بما أنزل الله من التوحيد ، فإن الحكم بغير ما أنزل الله يعتبر من الشرك في الألوهية وفي الربوبية ، فالحاكم مشرك في الربوبية والمتحاكم الذي يتحاكم لهذا الحاكم والمشرع أشرك في الألوهية لأن التحاكم والطاعة من أفعال العباد والحكم من أفعال الرب تعالى ، وعلى ذلك فالحاكم بغير ما أنزل الله يشمل الشرك في الألوهية والشرك في الربوبية فإذا دخل الشرك في هذين البابين دل على أنه أعظم من الشرك الذي هو خاص بباب معين كالذبح لغير الله ونحو ذلك .

ومن الأدلة على دخول الحكم في الشرك :

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ .

وإذا كانت طاعة المشركين المشرعين الحاكمين بغير ما أنزل الله شركاً والتحاكم له ومتابعته كفرا فكيف بحال الحاكم أو المشرع ؟

ويمكن القول أن شرك الحكم له جانبان :

جانب الحكم ، وهذا متعلق بالربوبية لأنه من أفعال الرب .

جانب التحاكم ، وهذا متعلق بالألوهية لأنه من أفعال الألوهية والعبادة .

وقدمنا وجه دخول الحكم في الربوبية وفي الألوهية.

من شرع فقد أشرك في الربوبية ومن تحاكم إلى ذلك المشرع وصدقه في تشريعه ورضي تبديله وذهب إليه وأطاعه في تبديله فقد أشرك في الألوهية . شركاً في الطاعة وشركاً في الحكم وكليهما من الشرك في الألوهية .

ومن يجعل شرك الحكم بغير ما أنزل الله داخل في شرك الطاعة فهذا ليس على إطلاقه فشرك الحكم أعم من شرك الطاعة لأنه يكـون شركـاً في الطاعـة والتحـاكم وشركاً أيضاً فيما يتعلق بالتشريع والحكم والتحليل والتحريم .

ويدخل شرك الحكم في شرك المتابعة حين يحكم بغير ما أمر به الرسول ﷺ.

ويكون الحكم شركا بالتعطيل وبالتمثيل:

لأن الحاكم بغير ما أنزل الله عطل الله عن العمل بشرعه وحكمه وربوبيته.

كما أنه مثل نفسه وحكم المخلوق وشرعه وأمره وطاعته بالرب الجبـار الـذي تفرد بالأمر والحكم والمستحق للطاعة وحد.

فائدة : تعلق الحكم بغير ما أنزل الله بكفر الإعراض والامتناع:

الحاكم بغير ما أنزل الله والمتحـاكم إليـه واقعـون في كفـر الإعـراض والتـولي والصدود والامتناع والترك والإباء، والإعراض ناقض من نـواقض الإسـلام فمـن حكم بغير ما أنزل الله فقد أعرض عن دين الله ﷻ.

قـال تعـالى :﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ المائدة: ٤٣﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ النور: ٤٧﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ النساء: ٦١﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ النور: ٤٨ .

فائدة : تعلق الحكم بغير ما أنزل الله بالنفاق : سمى الله ﷻ الذي يعرض عـن حكـــم الله منافقـــا في قولـــه تعـــالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ النساء: ٦١ .

هذه علاقة الحكم بالتوحيد والشهادتين شروطها وأركانها ، وبالإيمان وأركانه وحقيقته وبالإسلام وأركانه وحقيقته، وبالشرك والكفر وأنواعه وعلاقته .

وهنالك تعلقات جزئية للحكم داخلة فيما ذكرناه ولو أردنا التوسع في ذلك لطال بنا المقام ولكن هذه خلاصة تبين أهمية الحكم وأن له علاقات قوية بالإيمان والإسلام والتوحيد وأمور الدين .

فإذا كانت هذه الأمور لها علاقة بالحكم فمن لم يحكم بما أنزل الله فقد نقض هذه الأمور كلها فلا يبقى معه شيء من الإيمان فهو زاعم للإيمان مكذب لله ﷻ، وفي المسألة التالية سنذكر وجه كون الحكم بغير ما أنزل الله ناقض من نواقض الإسلام .

المسألة السابعة عشرة : في أوجه كون الحكم بغير ما أنزل الله والتحاكم لغير شرع الله والتشريع ناقضاً من نواقض الإسلام .

بينا علاقة الحكم بما أنزل الله بمسائل الدين وحقائقه الظاهرة والباطنة فإذا زال الحكم بما أنزل الله وتركه الإنسان ونقضه فقد نقض هذه الأمور.

ومن أوجه كفر الحاكم بغير ما أنزل الله :

أولاً : الحكم بغير ما أنزل الله ناقض لأركان لا إله إلا الله .

ثانياً : الحكم بغير ما أنزل الله مبطل لشروط لا إله إلا الله .

ثالثاً:الحكم الطاغوتي مبطل لشهادة أن محمداً رسول الله وتوحيد المتابعة.

رابعاً : الحكم بغير ما أنزل الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفر.

خامساً: الحكم بغير ما أنزل الله منافي لحقيقة للإسلام .

سادساً: الحكم بغير ما أنزل الله ناقض لحقيقة الإيمان وأركانه .

سابعاً : الحكم بغير ما أنزل الله ناقض لحقيقة العبادة .

ثامناً : الحكم بغير ما أنزل الله ناقض للشريعة والدين .

تاسعاً : الحاكم بغير ما أنزل الله والمشرع ممثل (واقع في شرك التمثيل) .

عاشراً : أن المشرع متطاول على ربوبية الله عز وجل واقع في شرك التعطيل .

الحادي عشر: الحاكم بغير ما أنزل واقع في كفر الإعراض .

الثاني عشر : الحكم بغير ما أنزل الله فيه قدح في الله وفي رسله ودينه وكتبه.

وتقدم تفصيل ذلك في المسألة السابقة.

المسألة الثامنة عشرة : شرك الحكم يدخل في جميع أقسام الشرك وأنواع الكفر :

أنواع الشرك والكفر في الحكم :

إن مما يزيد موضوع الحكم أهمية دخول جميع أنواع الكفر والشرك فيه :

فشرك الحكم يكون شركا في الألوهية ويكون شركاً في الربوبية وشركا في الأسماء والصفات ، فيدخل في شرك الربوبية والألوهية والصفات .

ويكون شركاً في الأقوال وشركاً في الأعمال وشركاً في الاعتقاد .

ويكون الحكم شركاً أكبر وشركاً أصغر .

كذلك يكون الحكم شركاً في المتابعة .

ويكون شركاً بالتعطيل وبالتمثيل، لأن الحاكم بغير ما أنزل الله عطل الله عن الحكم بشرعه، ومثل حكم المخلوق وشرعه وأمره بحكم الله تعالى.

كما أنه يدخل في كفر الإعراض والامتناع والتولي .

ويكون الكفر في الحكم في أنواع الكفر المعروفة (التكذيب ، والجحود ، والإعراض ، والامتناع ، والإباء والاستكبار ، والشك ، والنفاق فقد يكون الكفر في الحكم بتكذيبه أو جحوده أو الإعراض عنه أو والإباء والاستكبار أو الشك فيه .

والحكم بغير ما أنزل الله كفر بالله وبأنبيائه وبملائكته وبكتبه وبرسله وكفر بشروط لا إله إلا الله وأركانها ومقتضياتها .

كما أن فيه طعن في الله ﷻ وطعن في رسوله ﷺ وفي الصحابة وعلماء الأمة المحمدية وطعن في الدين والشريعة .

كذلك أن ناقض شرك الحكم له علاقة بالنواقض العشرة كلها .

فالقاعدة في الحكم بغير ما أنزل الله أن جميع أنواع الشرك والكفر تدخل فيه .

وهذا يدلنا على خطورة هذا الشرك في نفسه وخطورته على الدين مما يوجب على أهل العلم التحذير منه والدعوة للتوحيد نسأل الله أن يهدي ضال المسلمين وحكامهم للعمل بشرعه وتوحيده في حكمه وتعظيم أمره .

المسألة التاسعة عشرة : توحيد الحكم أو أنواع التوحيد والشرك في الحكم :

الحكم من الأمور التي يجتمع فيها أنواع التوحيد فقل أن يوجد ذلك في صفة مثل الحكم فيوجد في الحكم توحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ومتعلق بتوحيد المتابعة ، كما يوجد منه التوحيد العملي والتوحيد الاعتقادي ويتعلق بأنواع التوحيد الثلاثة مطابقة والتزاماً وتضمنا ويدخل في لا إله إلا الله بجميع أنواع الدلالات ، لذلك اصطلح بعض العلماء تسمية (توحيد الحكم) أو (توحيد الحاكمية) وناقضه شرك الحاكمية .

المسألة العشرون : الكفر والشرك العملي في الحكم :

معلوم أن الكفر والشرك منه ما هو اعتقادي ومنه ما هو عملي ومنه ما هو قولي، وهذه أقسام الكفر وجهاته وآلاته، فكما أن الإيمان قول وعمل واعتقاد فالكفر قول وعمل واعتقاد ، وسنأتي بالأدلة على الكفر العملي في الحكم والرد على المرجئة.

وخصصنا الكفر العملي لمخالفته المرجئة في ذلك، حيث جعلوا الحكم بغير ما أنزل الله وبقية أنواع الكفر لا تكون كفراً إلا بشرط الاستحلال والجحود وإذا لم يوجد الاستحلال والجحود فليس هناك كفر عندهم ، فالكفر في الحكم فقط إذا اقترن بالاعتقاد وأما مجرد العمل فليس بكفر وهذه الشبهة الباطلة والقول الإرجائي المبتدع باطل ومردود وإن انتشر في هذا العصر .

ومن الأمثلة على الكفر والشرك العملي في الحكم بغير ما أنزل الله :

التشريع ووضع القوانين وسنها وتشريعاتها.

تبديل الشريعة وجلب القوانين والإلزام بها .

الحكم بغير ما أنزل الله .

التحاكم إلى غير شريعة الله.

التحليل والتحريم .

الاستحلال العملي وهو الفعل الذي يستلزم استحلال القلب .

التزام هدي غير الرسول ﷺ والإعراض عن هدي الرسول ﷺ والصد عنه .

الامتناع عن الحكم بالشرع والتولي والإعراض عنه والتزام الحكم بغيره.

الحادية والعشرون:هل يمكن أن يوجد في حكم الطاغوت شيء من حكم الله؟

نقول قد يوجد موافقة في أحكام الطواغيت لبعض حكم الله تعالى وهذا لا يعني أنها من حكم الله وهذا مثل ما يقال أن اليهود يوافقونا في الإيمان بالله وتحريم بعض المحرمات ومع ذلك لا يسمون بذلك مؤمنين ولا يعتبرون مسلمين .

والقاعدة في هذا الباب أنه لا يتم الإيمان بالله وبحكمه إلا بالكفر بحكم ما سوى الله تعالى وإنكار أصل القضية وهي الحكم بغير ما أنزل الله . فالله ﷻ غيور أن يشرك معه أحد في عبادته وأفعاله ودينه وشرعه وأمره وحكمه وبقية خصائصه ﷻ.

فيجب رد الحكم بغير ما أنزل الله وعدم المثول أمامه ولا امتثاله ولا قبوله ولا الاستجابة له بل الواجب سبه والقدح فيه وتنقيصه وإنكاره والبراءة منه والكفر به وتكفير أهله .

فالحكم كغيره من أفراد الألوهية والربوبية كالولاء والعبادة والدعاء والكلام في القاعدة واحد، إذ لا يجتمع التوحيد والشرك مطلقاً ولو وجد في إنسان إيمان فإن الشرك والكفر ينقضه ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦ .

فالحكم لابد فيه من الإفراد والتوحيد وذلك بالنفي والإثبات نفي الحكم عما سوى الله تعالى وهذا هو الكفر بالطاغوت والإيمان بحكم الله وإثباته لله وحده وقبوله وعدم قبول غيره ، وهذا السر في دخول الحكم في (لا إله إلا الله) .

وتقدم أيضاً الكلام عن علاقة الحكم بالكفر بالطاغوت .

المسألة الثانية والعشرون : الطاغوت في الحكم :

يعد الحكم المخالف لحكم الله طاغوتا ، والحاكم به طاغوتا ،والمحكمة التي تحكم به طاغوتية وقد جعل البعض رؤوس الطاغوت خمسة إثنان منها في الحكم.

المسألة الثالثة والعشرون : علاقة هذا الناقض بالنواقض العشرة الباقية :

شرك الحكم هو الناقض الرابع ، وله علاقة بغيره النواقض من جهتين :

١ - الجهة الأولى : جهة صريحة :

وهي أن الحكم بغير ما أنزل الله له علاقة بالناقض الأول لأن الشرك في الحكم بغير ما أنزل الله من الشرك .

وله علاقة صريحة بالناقض التاسع لأنه خروج عن شريعة الله .

وله علاقة بالناقض العاشر الإعراض لأنه إعراض عن شريعة الله ﷻ.

٢ - الجهة الثانية : علاقة ضمنية استلزامية :

له علاقة بناقض الاستهزاء ، فمن حكم بغير ما أنزل الله فقد استهزأ بحكم الله تعالى ولمزه وسبه .

وله علاقة بناقض البغض ، من حكم بغير ما أنزل الله فلازمه أنه قد أبغض حكم الله ﷻ وأحب حكم غيره .

وله علاقة بناقض المظاهرة وتولي الكفار مظاهرة أعداء الله على الموحدين .

وله علاقة بعدم تكفير المشركين والشك في كفرهم .

وبهذا يتبين أن ناقض شرك الحكم له علاقة بمعظم النواقض.

الرابعة والعشرون : صفات من يستحق الحكم وسن الدين والتشريع والأمر:

لا خلاف بين المسلمين قاطبة أن الحكم والتشريع والتحليل والتحريم والأمر والنهي وسن الدين خاص بالله تعالى لا يشاركه فيه أحد، وأن الله تعالى هو وحده الذي يحكم عباده فيأمرهم وينهاهم وعلى العباد أن يطيعوه وينقادوا لشرعه، ويثابوا

بهذه الطاعة ويعاقبوا بمعصيته، فالحكم خاص بالله عز وجل ولا يجوز إلا له بإجماع الأمة ، ومن خالف هذا الإجماع من المسلمين فقد كفر، ومن زعم أن لغير الله ﷻ حق الحكم والتشريع والتحليل والتحريم والأمر فقد كفر إجماعاً، وهذا المبدأ يجب أن يعلمه كل مسلم ويعتقده ولن يدخل الجنة أحد إلا بعد إيمانه بهذا الأصل .

وحتى يقطع الله الحجة على المشركين ذكر سبحانه العلة التي استوجب لأجلها اختصاصه وتفرده بهذا الأمر وبين سبحانه في مواضع كثيرة من كتابه صفات من يستحق أن يشرّع ويسن الدين ويحلل ويحرم ويأمر وينهى ويحكم ويقضي وأنها لا يمكن أن توجد إلا في الخالق وحده الذي خلق فسوى وقدر فهدى والذي يعلم وحده بما يصلح لخلقه وعبيده وما ينفعهم وما يضرهم وما يحصل الخير لهم وما يدفع الشر عنهم وأن هذه الصفات العظيمة لا يوجد منها شيء في المخلوقين ألبته فهي من خصائص الرب تبارك وتعالى التي لا يشاركه فيها أحد ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ الأعراف: ٥٤ .فمن يخلق وله الخلق استحق أن يأمر وينهى ويشرّع ويحكم.

قال الشيخ ابن باز : (ولهذا كان من مقتضى رحمته وحكمته أن يكون التحاكم بين العباد بشرعه ووحيه لأنه سبحانه المنزه عما يصيب البشر وهو الحكيم العليم اللطيف الخبير يعلم أحوال العباد وما يصلح لهم في حاضرهم ومستقبلهم ومن تمام رحمته أنه تولى الفصل بينهم في المنازعات والمخاصمات وشؤون الحياة ليتحقق لهم العدل والسعادة بل الرضا والاطمئنان وذلك أن العبد إذا علم أن الحكم الصادر في قضية يخاصم فيها حكم الله الخالق العليم الخبير قبل ورضي وسلم حتى لو كان

الحكم خلاف ما يهوى ويريد بخلاف إذا علم أن الحكم صادر من أناس بشر مثله لهم أهوائهم وشهواتهم فإنه لا يرضى ويستمر في المطالبة والمخاصمة ..) .

وأفضل من تكلم في هذا الباب وبين صفات من يستحق صفة الحكم والتشريع للناس الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان يقول فيه: (اعلم أن الله جل وعلا بين في آيات كثيرة صفات من يستحق أن يكون الحكم له فعلى كل عاقل أن يتأمل الصفات المذكورة التي سنوضحها الآن ويقابلها مع صفات البشر المشرعين للقوانين الوضعية فينظر هل تنطبق عليه صفات من له التشريع سبحان الله وتعالى عن ذلك فإذا كانت تنطبق عليهم ولتكن فليتبع تشريعهم وإن ظهر يقيناً أنهم أحقر وأخس وأذل وأصغر من ذلك فليقف بهم عند حدهم ولا يجاوز بهم إلى مقام الربوبية سبحانه وتعالى أن يكون له شريك في عبادته أو حكمه أو ملكه ، فمن استحق الربوبية استحق الألوهية والربوبية مستلزمة للألوهية).

وقال : (فهل في الكفرة الفجرة المشرعين للنظم الشيطانية من يستحق أن يوصف بأنه الرب الذي تفوض إليه الأمور ويتوكل عليه ...).

الخامسة والعشرون : أوصاف تارك الحكم بما أنزل الله والمتحاكم إليه:

ذكر الله ﷻ أوصاف الذين تجرءوا على هذه المقام المتعلق بجناب الربوبية حين جعلوا لأنفسهم التشريع وأحقية الحكم بغير ما أنزل الله . فوصفهم الله عز وجل بصفات كثيرة منها :

الوصف الأول : الكفر : قال تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤ .

الوصف الثاني : الظلم : قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ المائدة: ٤٥ .

الوصف الثالث : الفسق : قال ﷻ : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ المائدة: ٤٧ .

الوصف الرابع : عدم الإيمان والحكم عليهم به :

قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ النساء: ٦٥ ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المائدة: ٤٣ ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ النور: ٤٧ ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ النساء: ٥٩ ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ النور: ٥١ .

الوصف الخامس : أنهم متحاكمون إلى الطاغوت غير كافرين به :

قال ﷻ : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ﴾ النساء: ٦٠ .

الوصف السادس : اتباع الهوى والعدول عن الحق .

قال تعالى ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ المائدة: ٤٨ .

الوصف السابع : ابتغاء حكم الجاهلية :

قال ﷻ : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة: ٥٠ .

فمن لم يرد حكم الله ﷻ فقد أراد حكم الجاهلية .

الوصف الثامن : النفاق : قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ النساء: ٦١ .

الوصف التاسع : مرض القلب والشك والارتياب وسوء الظن بالله .

قال ﷻ: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ النور: ٥٠.

الوصف العاشر : الشرك :

قال ﷻ: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ .

الوصف الحادي عشر : تقليد الكفار والمشركين :

قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ البقرة: ١٧٠ .

الثاني عشر: الإعراض .

قال ﷻ :﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ النور: ٤٨ .

فهذه أوصاف لمن يتركون الحكم بكتابه وسنة رسوله ﷺ أو يتحاكمون لغيره .

المسألة السادسة والعشرون : أنواع الانحراف في حكم الله تعالى :

أولاً : تحريف حكم الله تعالى .

والتحريف على نوعين :

تحريف نصي لفظي، كفعل اليهود:﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ المائدة ٤١.

تحريف معنوي ويكون بتفسير النص بغير معناه وهذا أخطر من الأول، فترى محرفوا هذه الأمة وقد لعبوا بدين الله وفسروه بغير معناه ، وخذ لذلك مثلا تفسيرهم لصفات الله وللجهاد والولاء والبراء.

ثانياً : التبعيض والتفريق : كالذين يحكمون بالشريعة في المنازعات الأسرية ويعرضون عن حكمها في السياسة والتجارة والاقتصاد والعلاقات الدولية.

قال تعالى :﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ البقرة: ٨٥.

ثالثاً : هجر حكم الله ﷻ وترك الحكم بكتابه وسنة رسوله .

قال ﷻ : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ الفرقان: ٣٠.

وأعظم هجر للقرآن بعدم الإيمان به والتحاكم إليه.

قال ابن القيم في الفوائد : ومن هجر القرآن هجر تحكيمه والتحاكم إليه .

المسألة السابعة والعشرون : دواعي ترك الحكم والإعراض عنه :

١- كراهية ما أنزل الله كما ورد في سورة القتال .

٢- موالاة الكفار والسعي لإرضاء وتوليهم والركون إليهم وطاعتهم وموافقتهم والتشبه بهم وتعظيمهم والإعجاب بسنتهم وطريقتهم .

٣- الاستكبار عن الحق والامتناع والإباء .

٤- اتباع الهوى .

٥- اتباع الشهوات.

٦- تقديم المصالح الشخصية والحاجات الدنيوية وإيثار الدنيا وملذاتها .

٧- الظلم والفسق، فالظالم كالسارق غالبا لا يريدون قيام حكم الله.

المسألة الثامنة والعشرون : من يكفر بالحكم بغير ما أنزل الله :

المادح للحكم الشركي ، والراضي به ، ، والمجوز له والمفضل والحارس له، والمحب له ، والداعي له ، والمبغض لحكم الله ﷻ .

المسألة التاسعة والعشرون : الطوائف الواقعة في الحكم بغير ما أنزل الله :

الذين وقعوا في شرك الحكم طوائف كثيرة في هذه الأمة منهم :

الطائفة الأولى : الأمراء والحكام :

وهـؤلاء شركهـم في الحكـم والتـشريع حيـث يـشرعون ويبـدلون شرع الله وحكمه ويجلبون حكم غـيره لبلـدانهم بـين المـسلمين ويكثـر فـيهم شرك التـشريع والحكم بتشريعات غيرهم وجلبها وإلزام الناس بها .

الثانية : الرؤساء :

الذين يأمرون من تحت سلطتهم بمعاصي الله ويطاعون في معـصية الله وهـذا غير القسم الأول الذي يكون في الأمراء والملوك فهذا يشمل ما دون الأمراء من أهل الولايات والمناصب الذين لا يشرعون وإنما يأمرون بمعـاصي الله تعـالى أو ينفـذون تشريعات من فوقهم ويأمرون من تحتهم بها فيطيعهم المرؤوسون في معاصي الله .

الثالثة : شيوخ وعرفاء القبائل وحكام البادية :

وهؤلاء يحكمون في منازعاتهم بغير ما أنزل الله، فيحكمون بما يسمونه السلوم والعـادات وأحكـام القبيلـة وشرع الرفاقـة وسـواليف الباديـة والمـذهب والعـرف والفريض، معرضين بذلك عن حكم الله، وهم بـذلك كفـار خـارجون عـن الملـة ، فيكفر بأحكامهم الحاكم بها والمشرع لها والراضي والقابل لها والمتحاكم إليها .

الرابعة : العلماء والأحبار:

حين يقومون بتحريم ما أحـل الله وتحليـل مـا حـرم الله فيطـاعون ويتبعـون، فالملوك يشرعون وهؤلاء يحللون ويحرمون.

الخامسة : الفقهاء المقلدون والرهبان :

وهؤلاء المتعصبون والأتباع الضالون والمقلدة العميان .حيث أوجبوا تقليد العالم والإمام ويسمون اتباعهم فقهاً وتمذهباً ونحو ذلك .

ويسمون عبادة العالم فقه الإمام فلان، ويأخذون منه جميع أقواله ولا يردون شيئاً منها ويتعصبون له ويجمعون أقواله في كتاب كامل ويسمون فقه الإمام فلان ويؤخذ كلامه على أنه نص شرعي لا يقبل الرد والمراجعة وهذا داخل في عبادة العلماء واتخاذهم أربابا من دون الله ، ومن ذلك ما قاله أحد الفقهاء المتقدمين : (أي نص يخالف قول إمامنا أبي حنيفة فهو إما منسوخ يعني بنص آخر أو محمول على وجه فهمه الإمام) . وهذا من التعصب الأعمى إذ لابد لكل عالم من زلة فمن أخذ عنه يأخذ الحق ويدع الباطل والعالم مجتهد مغفور له في خطئه .

وقد أورد الإمام محمد في التوحيد تحت باب (اتخاذ العلماء والأمراء أرباباً من دون الله) وعد من ذلك اتباع العلماء والتعصب لهم بما يسمى (الفقه والعلم) حتى يقال هذا علم فلان وفقه فلان . ومن مسائل الجاهلية التي عدها الشيخ التقليد فهي من الأمور الجاهلية ، كلما أنكر عليهم وعورضوا أدعوا التقليد وهذا واقع في هذه الأمة بل في بعض الأخيار وطلاب العلم .

ولابن القيم رحمه الله كلام نفيس في إعلام الموقعين حول ذم التقليد وشبه المقلد بالبهيمة التي تساق إما لحتفها أو لعلفها.

وكذا جعل ابن تيمية التقليد كالأكل من الجيفة لا يكون إلا للضرورة .

والفرق بين هذه الطائفة والطائفة السابقة (العلماء) أن العلماء يحرمون ما أحل الله ويحللون ما حرم الله وأما هؤلاء فهم لا يصلون إلى درجة تحليل الحرام أو تحريم الحلال وإنما قد يصلون لذلك بتأويل أو تعصب أو تقليد وليس تعمداً كالسابق .

السادسة : الصوفية : وهؤلاء دخلوا في شرك الحكم من جميع أبوابه .

أولاً : عندهم الشرك في الحكم والتشريع حيث حللوا واستحلوا بعض المحرمات واسقطوا بعض الواجبات والتكاليف وبدلوا وحكموا وتحاكموا .

ثانياً : عندهم شرك في الهدي فشرع الصوفية شرائع باطلة ليست من دين الله أسموها طرقاً بدعية ليس فيه الاقتداء بالرسول ﷺ ولا الأخذ بهديه . بل ويعتقد كثير منهم أن طريقته أو طريقة شيخه أو الطريقة الفلانية أفضل من طريقة الرسول ﷺ وهديه .

ثالثا : عندهم شرك التحاكم والطاعة فأتباع المتصوفة يطيعون أوليائهم في تشريعاتهم ويصدقونهم في مزاعمهم ويتحاكمون إليهم ويتبعونهم .

فالصوفية أخطر الفرق على الأمة الإسلامية فهم الذين يفعلون الشرك مع القبور وفي الحكم ويزينونه ويدعون إليه صراحة ويسمونه بغير اسمه .

والصوفية أكبر الفرق المشركة والقبورية الكافرة ولا أعلم في هذا الزمان صوفيا إلا وهو مشرك يجوز دعاء الأموات والاستغاثة بأصحاب القبور .

السابعة : الرافضة لعنهم الله وغلاتهم الباطنية :

حيث أحلوا بعض المحرمات وشرعوا في دين الله ﷻ واتبعوا أئمتهم . وغـلاة الرافضة مع غلاة الصوفية الذين يسمون (الباطنية) زعمـوا أن الإسـلام لـه ظـاهر وباطن وقاموا بتبديل الشرائع وأن الخاصة لا يلزمهم اتباع شرع محمد ﷺ .

الثامنة : العلمانية وفصل الدين عن الدولة:

وهؤلاء جعلوا حكم الله في معزل عن الناس، زاعمون أن حكم الله في العبادة المجردة الذاتية وفي المساجد أما خارج المساجد فلا دخـل لله في ذلـك تعـالى الله عـما يقولون، وأن العبـادة قـاصرة عـلى الـصلاة والتنـسك ولـيس لهـا ارتبـاط بـالحكم، فالاقتصاد والسياسة يحكمها أهلها. وأول ظهور لهم في بلاد الإسلام كـان في تركيـا على يد الطاغوت الهالك مصطفى كمال أتاتورك ملأ الله قبره نارا حين أعلن أن دولته علمانية تفصل الدين عن السياسة والحكم .

التاسعة : الديمقراطية :

حيـث جعلـوا التـشريع والحكـم لغـير الله ﷻ فجعلـوه للعامـة والـشعب أو المجلس الممثل للشعب كمجلس الأمـة والنيابـة والبرلمانـات والمجـالس التـشريعية ومجلس النواب، وزعموا أن الشعب يحكم الـشعب ولا يحكمهـم شرع الله فجعلـوا الشعب هم أرباب أنفسهم لا سلطة لأحد عليهم فما أحلوه فهو حلال ومـا حرمـوه فهو حرام فالخمر إن حرموه فحرموه بأمرهم لا بأمر الله وبشرعهم لا بشرع الله .

والديمقراطية التي عمت بلاد المسلمين من أخبث الدعوات بـل أخبـث مـن العلمانية لأن العلمانية واضحة الراية أما الديمقراطية فهي دعوة للحرية وإلى المصالح

وغير ذلك وينساق تحتها كثير من الجهلة وربما بعض المتسمين بالدعاة والإصلاحيين الذين هم في حقيقة الأمر من الطغاة.

العاشرة: اللبرالية :

الذين يزعمون ويريدون الحرية المطلقة للعباد لا يحكمهم شرع ولا دين فالإنسان يفعل ما يريد فكفروا بأوامر الله وأحكامه، فلا يذعنون لحكم الشريعة بل يفكون رباط العبودية والناس أحرار فيما يفعلون .

الحادية عشرة: القوميون :

الشرك عندهم في جعلهم القومية مقدمة على الدين، وهؤلاء لابد أن يتصادم حكمهم وتشريعهم مع حكم الله، فالقومي أيا كانت ديانته له أحكام تخصه من ولاء وبراء ومعاداة وجهاد وحقوق سواء كان مسلما أو نصرانياً أو يهودياً أو ملحدا .

الثانية عشرة : الوطنيون :

وشرك الحكم عند هذه الطائفة الوثنية الحكم بالوطنية، فالوطن للجميع وجعلوا الوطن وثنا يقصد وإلهاً يعبد وعزلوا به أحكام الشرع، وعملوا بأحكام الوطن وأعرافه وتقاليده ومصالحه ، وجعلوا عادات الوطن والمواطنين حاكمة على حكم الله ﷻ ودينه وشرعه .

الثالثة عشرة : القضاة في المحاكم الوضعية وغيرها :

الذين يحكمون بغير ما أنزل الله سواء كانوا في محاكم وضعية قانونية أو في محاكم شرعية لكن لا يلتزمون الحكم بالشريعة في بعض القضايا كالرجم مثلاً.

الرابعة عشرة : المصلحون والمحكمون :

يكون شركهم فيما يزعمونه صلحاً وتحكيماً إذا صادم الشريعة، فربما أصلحوا بين متخاصمين وحكموا بغير حكم الله ﷻ وعارضوا حكم الله تعالى، وجعلوا لأنفسهم التحكيم والصلح حقاً مطلقا حتى لو أحل حراماً وحرم حلالاً.

والأصل أن التحكيم والإصلاح جائز ما لم تسقط به أحكام الله وتشريعاته قال ﷺ : (الصلح خير إلا صلحا أحل حراما) رواه الترمذي.

الخامسة عشرة : العصرانية :

حيث أبطلوا مدلولات أحكام الله وزعموا أن الدين يتجدد وأن الفتوى تتغير بتغير الأحوال والأزمان حسب المصلحة التي توافق أهوائهم البهيمية، وطالبوا بإعادة فهم النصوص وتفسيرها بما يوافق هذه الأزمنة والعصور، فيقولون مثلا الزنا حرام ولكن الزنا لا يدخل فيه ما جر نفعا واقتصادا وجلب السياح وكان برضى المرأة ومثله الربا .

السادسة عشرة : الإنسانية :

فحكموا بالأخوة الإنسانية وألغوا حكم الله في الكفار وعداوتهم وجهادهم .

السابعة عشر : السحرة والمنجمون يحكمون بما يخالف حكم الله وشركهم في الحكم في الألوهية والربوبية، فنازعوا الله تعالى في الحكم ويحكمون رجماً بالغيب .

وهنالك طوائف أخرى كالطبائعية والوجودية والشيوعية والحداثية وغيرها ممن يشركون في الحكم بغير ما أنزل الله .

المسألة الثلاثون : الطوائف الضالة في الحكم بغير ما انزل الله :

ضلت في الحكم بغير ما أنزل الله طائفتان .

الخوارج : ومن فروعهم في الباب :

١ – كفروا الحاكم بغير ما أنزل الله مطلقاً ولو كان في مسألة واحدة . بل ولو كان عن تأويل وجهل .

٢ – كفروا المتحاكمين لغير شرع الله مطلقا .

٣– كفروا المحكومين في البلاد التي يحكمها القانون، وهؤلاء من الخوارج المعاصرين الجدد حيث كفروا الشعوب الإسلامية في بلاد المسلمين .

المرجئة :

وهؤلاء أخبث من الخوارج حيث مرغوا دين الله ﷻ وجعلوه كما قال سفيان كالثوب السابري لا يستر عورة ولا يقي حراً، بل صرح كثير من السلف أنهم أخطر من الأزارقة غلاة الخوارج لأن الخوارج أفسدوا الأبدان وهؤلاء أفسدوا الأديان .

فالكفر عندهم ما عقد القلب عليه وأظهره اللسان، فالكفر في الحكم بغير ما أنزل الله في الجحود والاستحلال والتكذيب فقط.

وأما التشريع والحكم بغير ما أنزل الله فليس بشرك في ذاته عندهم ، وليس كفر بمجرده .

وهذه من أخبث الفرق في الإيمان على تفاوت بينهم وقد انتشرت في زماننا مع شرك الحكم ووقوع الكثير من النواقض .

الحادية والثلاثون : أسباب انتشار هذا الناقض والإعراض عن حكم الله:

الجهل بحكم الله تعالى وعدم العلم بالله تعالى وصفاته وتعظيمه .

الإعراض عن دين الله ﷻ وعدم الانقياد والقبول له .

معاندة حكم الله ﷻ وتكذيب شرعه والاستكبار عليه .

بغض حكم الله ﷻ وكراهية ما أنزل الله .

اتباع الهوى .

سوء الظن بالله ﷻ .

التقليد .

الركون إلى الدنيا ومحبتها، والظن بأن المال والاقتصاد يكثر بحكم الطاغوت .

السعي لإرضاء الكفار وتوليهم .

تولي أذناب الاستعمار على بلاد المسلمين.

ترك الإنكار والتبيين الذي أخذه الله ﷻ على أهل العلم . وعدم جهاده .

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ ﴾ الحج: ٤٠

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ البقرة: ٢٥١.

وجود علماء أفتوا بجواز هذه التشريعات الكفرية أو هونوها للناس .

انتشار المرجئة الذين لا يكفرون بشرك الحكم والدعاء .

المسألة: الثانية والثلاثون : فوائد وتنبيهات ومسائل متفرقة في باب الحكم :

فائدة : الحكم بما أنزل الله فيه صلاح المجتمع وأمنه وحياته وخيره، قال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ الأنفال: ٢٤.

فشريعة الله ﷻ والحكم بما أنزل الله فيه الحياة ، وضد ذلك فيه موت القلب وفساد المجتمع وضياع الأمة، ولذلك قال تعالى للمنافقين الذين ظنوا أن الصلاح في قوانينهم الوضعية ، وأحكامهم البدعية : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ البقرة: ١١ - ١٢.

والإفساد يكون بالكفر والشرك والمعاصي والحكم بغير ما أنزل الله ، فالحكم بغير ما أنزل الله هو من الإفساد في الأرض .

فائدة : ينبغي أن يعلم أن الله ﷻ وضع شريعته لنتحاكم إليها :

وهذا من رحمته وكمال فضله علينا ، لأن ذلك فيه إقامة العدل بين الناس والقيام بحاجاتهم وهو العالم بما يصلح لخلقه، ومن رحمته أنه لم يدعنا لعقول قاصرة وأفكار متناقضة كما هو شاهد في أحكام وتشريعات الخلق والبشر فالله له كمال الخلق والملك والتدبير والتشريع .

فائدة : غيرة الله ﷻ وغضبه على من حاد الله ورسوله وعاند شرعه وناقضه وضاهاه، ومن شرع فقد نسب النقص إلى الشريعة ووقع في ذم وسب واضعها.

فائدة : خطورة قصر الحكم على بعض القضايا المعينة :

كالمنازعات أو العبادات أو نحو ذلك، فالشريعة عامة لكل شيء والحكم بها يجب أن يكون في كل ما يتعلق بالعباد في صغير أمورهم وكبيرها .

فائدة لطيفة : الحكم بغير شرع الله من أعظم أهداف وغايات الكفار لأن فيه إضعاف المسلمين والسيطرة على ثرواتهم ومصادرة حرياتهم ومشاركتهم في خواص حقوقهم أيضا إبعادهم عن الدين ونشر القومية والوطنية الممزقة للأمة وكذا ترويج الفواحش وإباحة المحرمات وتسويغ المنكرات وتبسيطها وتسهيلها والدعوة لها وحمايتها وجعلها من النظام وهذا لا يمكن للكفار غرسه إلا بمثل هذه القوانين وإبعادهم عن الحكم بالشريعة والأخذ عن علمائها.

وأي بلد إسلامي يحكمه أهله بالشريعة تجد الكفار يسارعون لحربه ، وخذ مثلا لذلك الصومال ومالي وطالبان.

فائدة : أعظم ما يجب على الحاكم والسلطان إقامة حكم الله وحكم الرعية بالشريعة ومتى ما ترك الحاكم ذلك سقطت طاعته ولم يكن إماما شرعيا بل كافرا مرتدا ووجب على المسلمين عزله ولو بالخروج والقتال .

فائدة : لما كان مجتمع الشرك يقوم على الرجوع للطواغيت للتلقي عنهم وأخذ تشريعاتهم كان منهج الرسل رد الناس لأمر الله وحكمه وعبادته .

فائدة : التقليد من وسائل الوقوع في شرك التشريع، ولذلك مما ينبغي أن يتنبه له القضاة هو العمل بالشريعة وعدم الأخذ بالتقليد المذهبي .

فائدة : العدول في شرك الحكم:

يسمى الشرك عدولاً، لأن فاعله عدَل عن الرب ﷻ وترك عبادته إلى عبادة غيره وعدل بينهما أي ساوى بينهما واتخذ المشرك إلها يعبده غير ربه ﷻ قال تعالى : ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾ النمل ٦٠ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ الأنعام: ١.

وللعدول معنيان :

الأول: العدول عن الشيء أي تركه : ترك عبادة الله وحكمه إلى عباده وحكم غيره . فيعدل عن ربه أي يترك عبادته وحكمه ويميل إلى عبادة غيره وحكم غيره.

الثاني: العدول بالشيء وهو التسوية : تسوية غير الله بالله .

فيعدل بربه أي يساوي حكم الله بحكم المخلوق.

والأول هو شرك التعطيل والثاني هو شرك التمثيل .

قاعدة : تحكيم الشريعة واجب على الفور :

الحكم بالشريعة ركن في التوحيد والبراءة من الحكم بغيرها من دمقراطية وأحكام بشرية وقوانين وضعية والكفر بها ركن الدين الأعظم وهو من حقيقة الكفر بالطاغوت الذي يجب أن يكون ملازماً للمسلم حتى يموت ولابد أن يكون مقصوداً، ونبذها وتركها ردة بمجرد فعله كما قررناه بالأدلة وكلام أهل العلم .

ومع هذا كله إلا أننا نرى في هذه الأيام من ينتسبون للإسلام ويتسمون بالحركات الإسلامية وهم يصرحون بما يناقض الإسلام من أصله وذلك بأنهم سيحكمون بالدمقراطية ولن يحكموا بالشريعة وأنهم سيحكمون بقانون بلادهم ، ويتعللون بأنهم لايستطيعون الحكم بالشريعة، أو أنهم سيحكمون بها بالتدريج كأن الوحي يتنزل عليهم ، وليعلم هؤلاء ومن يبرر لهم أن مجرد ترك الحكم بالشريعة ردة صريحة لا شك فيها ، وأن ما ابتدعوه من الأعذار لا تبرر لهم هذا الشرك الأكبر ولا تدفع عنهم حكم الردة .

الفصل الثاني : أدلة وجوب الحكم بما أنزل الله وكفر تاركه

ورد تقرير وجوب إفراد الله تعالى بالحكم ونفي الحكم عن غيره ﷻ ، والأمر بالحكم بما أنزل الله وشرع وإيجابه وأنه من التوحيد ، وأن من حكم بغير ما أنزل الله فهو من المشركين الكافرين المرتدين . في آيات كثيرة من القرآن بدلالات متنوعة .

فمن ذلك :

أولاً : أدلة وجوب الحكم بالشريعة وكفر تاركها إجمالاً :

قال تعالى في بيان هذا الأصل : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ الأحزاب: ٣٦

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ النور: ٥١

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١

﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران ٦٤

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١

﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ النساء: ٦٠.

﴿ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ المائدة: ٤٣ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ النساء: ٦١

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة: ٥٠

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ الأنعام: ٦٢

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ الأنعام: ٥٧، ويقص قرأت بالمعجمة يقض الحق من القضاء والفصل والحكم.

﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ ، وقرأ ابن عامر ولا تشرك ،والحاكم مشرك بنص الآية.

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾ الأنعام: ١١٤.

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾ المائدة: ٤٩

﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ المائدة: ٤٨

﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ الرعد: ٤١

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ النساء: ١٠٥

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الشورى: ١٠

الموضع الأول : الآيات في سورة المائدة : من آية : (٤١) ، إلى آية : (٥٠) .

قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ المائدة: ٤١ .

وهذه الآيات نزلت في اليهود والمنافقين في تركهم الحكم بما أنزل الله في رجم الزاني ، وهو من معاني المسارعة في الكفر ، وإذا كان ترك العمل بحد الرجم إلى الجلد وغيره يعد من الكفر مع اعتراف هؤلاء أن الزنا جريمة تستحق العقوبة ، فكيف بمن لا يجعل الزنا جريمة أصلاً ولا يستحق العقوبة إذا كان مصرحا به ولجلب السياح وبرضى المرآة كما هو في تشريعات الحكام الكفرة في بلاد المسلمين .

قال تعالى :﴿ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ المائدة: ٤٢

﴿ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ المائدة: ٤٣

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ المائدة: ٤٤

﴿ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾ المائدة: ٤٧ .

﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ ﴾ المائدة: ٤٥ .

فتأمل ما في هذه الآيات من الدلائل على أيجاب العمل بشريعة الله والحكم بما أنزله الله في كتبه منها وكفر تارك الحكم بشريعة الله التي أنزلها الله وأمر بها في كتبه المنزلة ، فمن ذلك:

أن الله ﷻ جعل ترك العمل بحكمه من المسارعة في الكفر وليس مجرد الكفر.

أنه أمر رسوله وغيره إن أراد أن يحكم أن يحكم بالقسط وهو الشرع.

أن أهل الكتاب ما دام أنهم أعرضوا عن التوراة ، فسيعرضون عن القرآن من باب أولى ويحرفونه من باب أولى إن استطاعوا ، وإذا كان ترك الحكم بالتوراة منافيا للإيمان فكيف بترك حكم القرآن .

أنه جعل مجرد التولي عن حكم الله كفرا مخرجا من الإيمان ، فكيف إذا جاء معه تبديل حكم الله وتشريع ما يخالفه.

أخبر الله ﷻ أنه ما أنزل التوراة والإنجيل والقرآن إلا للعمل بها والحكم بما أنزله فيها من أحكام الشريعة ، وأنه كتب فيها دينه وأوجب على الناس العمل به .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ المائدة: ٤٨، بينت الآية والتي بعدها أن القرآن أنزله الله للحكم به وجعله حاوياً لشريعته ، وأمر رسوله والمؤمنين أن يحكموا به ، وأن لا يتركوه ويتبعوا أهواء اليهود والنصارى ، وحذرنا الله من أن يفتننا الكفار عن الحكم بشريعة الله ولو في بعض الأحكام ، فنتولاهم ونطيعهم ونسارع فيهم فنقع في الردة كما بين الله في الآيات التي ساقها بعد آيات الحكم، وهذه الآية كأنها أنزلت في أهل زماننا من المنافقين والمرتدين الذين تركوا العمل بكتاب الله والحكم بما أنزل وأتبعوا أحكام الكفار وأخذوا بالشرعية الدولية ومحاكم الأمم المتحدة وأي ردة بعد هذه.

ومثل هذه الآية في الفوائد الآية الأخرى في قوله تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ المائدة: ٤٩ .

وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة: ٥٠.

بيان محكم أنه لا أكمل من حكم الله ﷻ فأين عقول هؤلاء الكفرة الفجرة المسارعين في الكفر من الحكام المبتغين لحكم الجاهلية ويزعمون أنه أفضل وأكمل وأنسب للعصر، فلو رأيتهم وهم ينادون في محافلهم بشريعة الأمم المتحدة والقرارات الدولية ومحكمة العدل الدولية ، ثم بعد ذلك تجد من يبرر لهم ويحكم بإسلامهم من إخوانهم المنافقين ويتولونهم ويظاهرونهم على أهل التوحيد.

وقال تعالى في حقيقة الحاكم بغير ما أنزل الله في الآيات الثلاث :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤.

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ المائدة: ٤٥.

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ المائدة: ٤٧.

وقد ذكرت الآيات صفات من لم يحكم بما أنزل الله وأنه كافر فاسق ظالم ، وليس كافرا فقط ، والكافر إذا وصف بالظلم والفسق كان كفره أشنع وأخبث.

وهذه الآيات من سورة المائدة من أصرح الأدلة على وجوب الحكم بما أنزل الله، وكفر الحاكم بغير ما أنزل الله ﷻ ، وتحتها فوائد وأحكام ووقفات سنأتي عليها .

مبحث : الفوائد والوقفات المتعلقة بآيات الحكم الواردة في سورة المائدة :

الأولى : الروايات الواردة في أسباب نزول آيات الحكم من سورة المائدة :

الأولى : أنها نزلت في اليهود الذين عطلوا حد الرجم وبدلوه .

الثانية : وردت بسبب اختلاف الدية والقصاص بين بني النضير وبني قريظة :

١ - عن البراء بن عازب ﷺ قال : مر اليهود على النبي ﷺ بيهودي محمماً مجلوداً ، فدعاهم، فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم، قالوا: نعم، فدعا رجلا من علمائهم، قال : أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ قال : لا ، ولوا أنك أنشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم ، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا نجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال النبي ﷺ اللهم أني أول من أحيا أمرك إذا أماتوه ، فأمر به فرجم فأنزل الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ المائدة: ٤١ الآيات، وفي قوله جل ذكره: ﴿ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْ ﴾ أي أن اليهود قالوا ائتوا محمدا ﷺ فإن أمركم بالجلد والتحميم فخذوا بحكمه وإن حكم بالرجم وأفتى به فاحذروه ولا تأخذوا به . رواه مسلم .

٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن اليهود جاءوا إلى الرسول الله ﷺ فذكروا لهم أن رجل منهم وامرأة زنيا، فقال لهم الرسول ﷺ ما تجدون في التوراة في شأن الزنا ؟ فقالوا نفضحهم ويجلدون، قال عبد لله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها،

فقال له ابن سلام: ارفع يدك فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم قالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما الرسول ﷺ فرجما فرأيت الرجل يحني على المرآة يقيها الحجارة . متفق عليه.

٣- عن أبي هريرة ﷺ قال : زنا رجل من اليهود بامرأة ، فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبي فإن بعث في التخفيف فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلنا واحتججنا بها عند الله ﷻ ، قال : فأتوا النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه فقالوا : يا أبا القاسم ! ما تقول في رجل وامرأة منهم زنيا فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت المدارس فقام على الباب فقال : أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنا إذا أحصن ؟ فقالوا : يحمم ويجبب ويجلد ، والتجبيب أن يحمل الزانيين على حمار وتقابل أقفيتهما ويطاف بهما ، قال فسكت شاب منهم فلما رآه النبي ﷺ سكت ألظ به النشدة ، فقال : اللهم إن أنشدتنا فإنا نجد في التوراة الرجم، فقال النبي ﷺ : فما أول ما ترخصتم أول أمر الله ، قال : زنا ذو قرابة من ملك من ملوكنا فأخر عنه الرجم ، ثم زنا رجل من أسرة من الناس فأراد رجمه فحال قومه دونه وقالوا : لا نرجم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك وترجمه ، فاصطلحوا على هذه العقوبة بينهم فقال النبي ﷺ : فإني أحكم بما في التوراة فأمر بهما فرجما .

وحُكْم الرسول ﷺ بالتوراة خاص ويعتبر من الحكم بشرع الله ﷻ وأمره فلا يجوز أن يأتي إنسان ويحكم بالتوراة ويحتج بهذا الحكم الخاص .

كما بين ذلك ابن كثير رحمه الله فهذا أمر من الله ﷻ أمره أن يحكم بالتوراة في هذا الموضع . رواه الإمام أحمد وأبو داود .

٤ – قال ابن عباس رضي الله عنهما : (أنزل الله في الطائفتين من اليهود وكانت إحداهما قد قهرت الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا أو اصطلحوا على أن كل قتيل قتلته العزيزة من الذليلة فديته خمسون وسقا وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق، فكانوا على ذلك حتى قدم الرسول ﷺ المدينة . فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلا، فأرسلت العزيزة إلى الذليلة أن ابعثوا لنا بمائة وسق، فقالت الذليلة: وهل كان هذا في حيين قط دينهما واحد ونسبهما واحد وبلدهما واحد دية بعضهم نصف دية ؟ إنا إنما أعطيناكم هذا ضيما منكم لنا وفرقا منكم، فأما إذا قدم محمد فلا نعطيكم ذلك فكادت الحرب تهيج بينهما، ثم ارتضوا أن يجعلوا الرسول ﷺ بينهم، ثم ذكرت العزيزة فقالت والله ما محمد بمعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم ولقد صدقوا ما أعطونا هذا إلا ضيما منا وقهر لهم ، فدسوا إلى محمد من يخبر لكم رأيه، إن أعطى ماتريدون حكمتموه وإن لم يعطيكم حذرتم فلم تحكموه ،فدسوا إلى رسول الله ﷺ ناسا من المنافقين ليخبروا لهم رأي الرسول ﷺ . فلما جاءوا الرسول ﷺ أخبر الله رسوله بأمرهم وأنزل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ الآيات . رواه أحمد والنسائي .

وقيل إذا كان القتيل من العزيزة فرضوا لهم الدية قتلوه قصاصا، وإذا كان القتيل من الذليلة والقاتل من العزيزة فرضوا لهم الدية، وأبو عليهم القصاص .

وقال بعض المفسرين أن نفراً من اليهود ساوموا الرسول ﷺ في أن يتبعوه.

وقيل نزلت في عبدالله بن صوريا اليهودي حين ارتد بعد إسلامه .

وقيل نزلت في المنافقين ، وأسباب النزول في هذه الآيات كثيرة .

الوقفة الثانية : مناط الكفر في فعل اليهود :

في قول اليهود في الروايات :

(تعالوا نجتمع على شيء) (اصطلحنا) (فتكاتمنا) (وبدلنا).

هذه العبارات تدل على مناط الكفر الذي فعلوه :

وهو أنهم اجتمعوا وجعلوا واصطلحوا وبدلوا وتكاتموا وحرفوا وامتنعوا واتفقوا على تغيير شرع الله ﷻ في حكم رجم الزاني مع أنهم يعلمون بأن هذا ليس من شرع الله ولم يفضلوه على شرع الله وإنما فعلوا ذلك لمصلحتهم .

فكفرهم متعلق بالحكم بغير ما أنزل الله وتبديل حكم الله وتعطيله والتشريع المخالف لشرع الله وليس الجحود لحكم الله وتكذيبه واستحلال غيره كما تزعم المرجئة .

الوقفة الثالثة : الجمع بين (الكافرون الظالمون الفاسقون) الواردة في الآيات :

قيل أن الأوصاف الثلاثة تتناول الكفرين الأكبر والأصغر.

وقيل الكافرون الكفر الأكبر والفاسقون والظالمون الكفر الأصغر.

وقيل الكافرون في أهل الإسلام والظالمون اليهود والفاسقون النصارى.

وقيل أن الأوصاف الثلاثة واردة في موصوف واحد وهو الكفر الأكبر وأن الكافر الظالم والفاسق أشد من الكافر الغير ظالم، ويكون الظالم أشد من الكافر وهو المرتكب للكفر البواح والردة المغلظة والكفار على درجات حسب شناعة كفرهم ، وهذا القول هو الصحيح ، فالكفر والظلم والفسق يكون من الأكبر ، لأن الفسق والظلم يطلق في القرآن على الكفر الأكبر غالبا، فالحكم متعلق بالعهد الذهني.

قال ابن باز في رسالته نقد القومية : (وكل دولة لا تحكم بشرع الله ولا تنصاع لحكم الله فهي دولة جاهلية كافرة ظالمة فاسقة) .

وقال: (فالذين يتحاكمون إلى شريعة غير شريعة الله لا شك أنهم يخرجون بذلك عن دائرة الإسلام ويكونون بذلك كفارا ظالمين فاسقين) الفتاوى١/ ٢٧٥ .

وقال الشنقيطي : (من لم يحكم بما أنزل الله معارضة للرسل وإبطالا لأحكام الله فظلمه وفسقه وكفره كلها مخرجة من الملة) الأضواء ٢/ ١٠٤ .

الرابعة: المقصود بقوله ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾.

١- قال الشعبي: (الكافرون) قصد بها أهل الإسلام و(الظالمون) اليهود و(الفاسقون) النصارى .

وهذا ما رجحه العلامة الشنقيطي يقول في تفسيره : (الظاهر المتبادر من سياق الآيات أن آية (فأولئك هم الكافرون) نازلة في المسلمين لأنه تعالى قال قبلها مخاطبا مسلمي هذه الأمة فلا تخشوا الناس، والظالمون في اليهود لأنه قال قبلها وكتبنا عليهم فيها أي في التوراة، والفاسقون في النصارى لأنه قال قبلها وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله) أضواء البيان ٢/ ٩٢.

٢- وقال البراء: أنها في الكفار، في اليهود والنصارى وأهل الشرك خاصة .

٣- الصحيح أنها ليست خاصة بأهل الكتاب بل عامة في كل من فعل مثلهم فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

قال حذيفة : (نعم الأخوة لكم بنوا إسرائيل إن كانت لكم كل حلوة ولهم كل مرة ولتسلكن طريقهم قدى الشراك) أخرجه الطبري والحاكم .

٣- وقال الكناني : أنها واقعة على ترك جميع ما أنزل الله لا على بعضه فكل من لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق .

٤- وقيل أن المقصود بها من رد حكم الله عمدا لا من خفي عليه حكم الله فأخطا أو تأول، ذكره البغوي .

٥- وقيل هي في الكفر الأكبر مطلقا فتبديل حكم الله والتشريع المخالف لشرع الله كفر أكبر ولا يكون أصغر .

٦- وقيل من جحد ما أنزل الله فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم فهو فاسق ظالم .

وهذا القول على أنه متعلق القضية العينية وليس الحكم العام إلا أنه مع ذلك مردود فإن الجحد كفر والحكم كفر آخر.

قال ابن القيم : (ومنهم من تأول آية ومن لم يحكم على ترك الحكم جاحدا له، وهو قول عكرمة، وهو تأويل مرجوح فإن جحوده كفر سواء حكم به أو لم يحكم) المدارج ٢/ ٣٣٦ .

٧- وقال ابن عباس كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق .

وهذا القول على أن المقصود به الحكم في القضية العينية وليس الحكم العام الملزم والتشريع والقانون أو الالتزام به حتى يصير ديدنا للحاكم، فهو مع ذلك ضعيف السند في ثبوته عن ابن عباس نظر.

وقد أرادت المرجئة الجهمية في وقتنا أن ترفع رأسها بهذا الأثر مستدلة به على كون الحكم كفر أصغر مطلقا فتجعل الأثر يحمل على كل حكم القضية العينية أو التشريع المقنن والحكم العام واقتصرت في الكفر بالاستحلال .

وقد بين أهل العلم هذه المسألة وصرحوا بتلبيس المرجئة وروغانهم وأبطلوا مزاعمهم وكشفوا شبهاتهم كما سيأتي من صريح كلامهم في باب النقولات .

قال الشيخ أحمد شاكر : (وهذه الآثار عن ابن عباس - كفر دون كفر - مما يلعب به المضلون في عصرنا هذا من المنتسبين للعلم ومن غيرهم من الجراءة على الله حيث يجعلونها عذراً في إباحة القوانين الوثنية التي ضربت بلاد المسلمين).

قال محمد بن إبراهيم : (وأما الذي قيل فيه كفر دون كفر إذا حاكم إلى غير الله مع اعتقاد أنه عاص وأن حكم الله هو الحق فهذا الذي **يصدر منه المرة ونحوها** ، أما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع فهو كفر وإن قالوا أخطأنا وحكم الشرع أعدل) الفتاوى١٢/ ٢٨٠ .

وقال في رسالته تحكيم القوانين : (القسم الثاني من قسمي كفر الحاكم بغير ما أنزل الله وهو الذي لا يخرج من الملة - والذي قال فيه ابن عباس كفر دون كفر- وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في **القضية** بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى) .

وقال ابن تيمية : (وهذا إذا حكم في قضية معينة لشخص وأما إذا حكم حكماً عاماً في دين المسلمين ...) الفتاوى ٣٥/ ٣٨٨ .

وقال ابن القيم : (إن اعتقد وجوب الحكم في هذه الواقعة وعدل عنه عصيانا مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا كفر أصغر) مدارج السالكين ١/ ٣٣٦ .

والتحقيق : أنه لا تعارض بين هذه الأقوال وأن هذه الآيات في الحكم بغير ما أنزل الله وإن كانت نازلة في اليهود إلا أنها عامة في كل من فعل مثلهم وعطل حكم

الله أو بدله فإن المقرر في الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا يقول عالم أن حكمها في اليهود ولا تشمل المسلمين إذا فعلوا مثلهم ولو قيل بهذا الأصل الفاسد لعطلت كل النصوص الواردة في الكفار السابقين كالنهي عن التحايل ولعن بني إسرائيل لأجل تركهم التناهي عن المنكر، ثم مع ذلك فالآيات التي في كفر الحاكم والمتحاكم وردت في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى غير هذه.

تنبيه: ضلال من زعم أن اليهود ما كفروا في الآية إلا لأجل تكذيبهم النبي ﷺ وعدم إيمانهم به وليس لأجل تعطيلهم حكم الله تعالى، وهذا باطل فالله ﷻ رتب الحكم بالتكفير على مجرد حصول الحكم بغير ما أنزل الله وتعطيل حكم الله. وفي هذا القول العضيل تعطيل لكثير من أحكام الله تعالى وإبطال لمدلولات النصوص وإنكار أن يكون الكفر له شعب كثيرة قد يجتمع بعضها فيصير الكفر مغلظ .

والحكم بغير ما أنزل الله متى ما كان منهجا دائما للحاكم أو قانونا ثابتا فهذا كفر بالإجماع لأنه رفض للشريعة ويعد من كفر الإباء والإعراض .

والحكم منه ما هو من الكفر الأكبر وهذا هو الأصل ومنه ما هو كفر أصغر وضابطه أن يكون في قضية عينية وواقعة مرة ونحوها ولا يقارنه استحلال وجحود ولا يكون حكما عاما ومنهجا ثابتا أو قانون دائما فإن كل هذا من الكفر الأكبر ولو لم يستحل الحاكم وسيأتي مزيد بيان لذلك .

ولا عبرة بقول الخوارج التي جعلت الحكم كفر أكبر مطلقا ولا بقول المرجئة التي جعلته كفر أصغر مطلقا إلا إذا قارنه التكذيب والجحود والاستحلال .

فائدة لطيفة : تناسب سياق الآيات في سورة المائدة فيها إعجاز عجيب فكأنها نزلت في طواغيت زماننا الواقعين فيما حذرت الآيات منه شرك الحكم وتولي الكفار والمسارعة إليهم ومظاهرتهم على المسلمين والوقوع في بغض الدين وحرب أهله وحصول الردة منهم وهذه الأمور مترابطة وغالبا ما يجر بعضها لبعض .

حيث تكلمت الآيات عن كفر الحكم وتبديله وتشريع القوانين المغيرة لحدود الله وشرعه ثم تكلمت عن مولاة اليهود والنصارى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ المائدة: ٥١ .

ثم بينت حال المنافقين والمرتدين المسارعين إلى النصارى وطاعتهم وحرب الجهاد بدعوى الخوف من الكفار وأن يصاب منهم بدائرة ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ المائدة: ٥٢ .

ثم بينت خطورة من يفعل ذلك وحكمت بردته وحذرت من الردة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ المائدة: ٥٤ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ المائدة: ٥١ .

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ المائدة: ٥٢ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ المائدة: ٥٤ .

الموضع الثاني : الآيات من سورة النساء من آية (٥٩)إلى آية (٦٥) :

قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ النساء: ٥٩.

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾ النساء: ٦٠

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴾ النساء: ٦١

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ النساء: ٦٤

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ النساء: ٦٥ .

وهذا الموطن في سورة النساء من آية (٥٩)إلى آية (٦٥)، وموطن آخر في سورة المائدة من أصرح الآيات في كفر المتحاكم إلى غير شرع الله .

وقد دلت هذه الآيات على فرضية توحيد الحكم من أوجه كثيرة:

الأول: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ .

فعند التنازع يجب الرد إلى الله تعالى والرسول ﷺ وجعل ذلك شرطا للإيمان ، فمن لم يرده أي الحكم إلى الله والرسول فليس بمؤمن.

الوجه الثاني: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ ﴾

أن الله تعالى سماهم (زاعمين) يعني يكذبون في دعواهم الإيمان فليسوا بمؤمنين لأنهم يريدون أن يتحاكموا إلى غيره ، ثم إن الله تعالى سمى حكم غيره والحكم به طاغوتاً ، وأوجب الكفر به، وكفّر المؤمن به والمتحاكم إليه .

وقد نزلت هذه الآية كما في بعض الآثار في قتل عمر بن الخطاب ﷺ الرجل المنافق الذي تحاكم إليه وكان يريد التحاكم إلى قبيلة جهينة وقيل لعلماء اليهود وقيل غير ذلك وأسباب النزول في هذه الآية كثيرة جداً .

الوجه الثالث : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ .

فحكم الله تعالى بنفاقهم ، فمن صد وأعرض عن شرع الله ولم يمتثل ولم يستمع لمن ينادي ويطالب بشرع الله تعالى فيعرض فهذا منافق ؛ ولذلك الحكومات التي تطالبها شعوبها بالتحاكم إلى شريعة الله ، وهم يعرضون ويفضلون الأحكام القانونية والقوانين الوضعية ومحاكم العدل الدولية فهم منافقون مرتدون بالنص.

الوجه الرابع : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ .

هذه الحكمة من إرسال الرسل فما أرسل الله الرسل إلا ليطاعوا في شرائعهم .

الوجه الخامس : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ .

فنفى الله عنهم الإيمان وأقسم بنفسه وبذاته على أن الذي لا يتحاكم بل الذي يتحاكم وفي نفسه حرج من الرضا ليس بمؤمن بل الذي لا يسلّم ويوجد في قلبه الحرج ليس بمؤمن ، فنفى عنهم الإيمان وأقسم الله تأكيداً لذلك حتى يحصل منهم

تحكيم الرسول ﷺ وشرعه وفوق هذا التحكيم أنهم لا يجدون في أنفسهم حرجاً أي ضيقاً مما قضى الله ورسوله في شرعه ، ويسلموا فوق ذلك تسليماً .

وقد وردت أسباب النزول في هذه الآيات بروايات متعددة .

يقول الطبري : (أنه كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فكان المنافق يدعو إلى حكم اليهود لأنه يعلم أنهم يقبلون الرشوة وكان اليهودي يدعو إلى المسلمين لأنه يعلم أنهم لا يقبلون الرشوة فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهن من جهينة فأنزل الله ﷻ هذه الآية) .

وورد أنها نزلت في رجلين اختصما فقال أحدهما نترافع إلى النبي ﷺ وقال الآخر إلى كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر ﷺ فذكر أحدهما القصة فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله .

قال الشيخ سليمان في التيسير : (وهذه القصة مشهورة متداولة بين السلف والخلف تداولا يغني عن الإسناد ولها طرق كثيرة ولا يضرها ضعف إسنادها).

ومن الأدلة في باب الحكم أيضاً:

قوله تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ البقرة: ٨٥.

وقوله تعالى ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ البقرة: ٦٣.

وفي هذه الآية وجوب الأخذ بما آتانا الله ﷻ وأنزله علينا والأخذ بمعنى الإيمان والعمل وما آتى الله خلقه شيئا إلا ليعملوا به وخطاب الله لأقوام سابقين خطاب لنا فيما يتعلق بالأخذ بأمره ، وأمرنا أن يكون أخذنا لحكمه بقوة لا بضعف.

قال ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ البقرة: ١٦٥.

قال الطبري : الأنداد في هذا الموضع هم أسيادهم الذين يطيعونهم في معصية الله .

قال تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ البقرة: ٢٥٦.

قال ابن كثير : يشمل كل شيء كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها ، والاستنصار بها.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ آل عمران: ١٩.

وهذا من صيغ الحصر فلا دين عند الله يقبل غير الإسلام ، وهناك أديان غير الإسلام كلها باطلة كالأديان الوضعية ، ومنها القوانين التي يضعها الناس والتشريعات والأعراف كلها من الأديان التي يدينون بها .

وتسمى ديناً بنص الآية . قال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١.

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ آل عمران: ٢٣.

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ آل عمران: ٣١ – ٣٢.

وسماهم الله تعالى كافرين في توليهم عن حكمه حتى مع كونهم لا يعتقدون حل أعمالهم ولم يفضلوها على حكم الله.

قـال تعـالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٦٤ .

فالذي يتخذ إنساناً يتحاكم إليه ويحكم بأمره وشرعه اعتبره الله رباً له،وجعله خارجا بذلك من الإسلام، وبهذا فمن اعترف بالمحاكم القانونية والدولية فقد اتخذها ربا وأشرك في الربوبية.

قال تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ المائدة: ٦٦ .

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ المائدة: ٦٨ .

وإذا كان هذا المعنى نزل في أهل الكتاب فكيف بالمسلمين الذين أنزل القرآن عليهم، فهم من باب أولى في هذا الحكم .

قـال تعـالى : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ المائدة: ١٠٣ - ١٠٤ .

قال الشاطبي رحمه الله حول هذه الآية في الاعتصام : (لقد ثبت للكفار بدع كجعلهم لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا .. حتى صار التشريع ديدنا لهم وتغيير ملة إبراهيم سهلا عليهم).

وقال : (من البدع ما هو كفر صراح بـواح كبدعـة الجاهليـة التـي نبـه عليهـا القرآن ...).

وقال: (إن المبتدع نزّل نفسه منزلـة المـضاهي ، لأن الـشارع وضـع الـشرائع وألزم الخلق الجري على سنتها ، وصار هو المتفرد بذلك لأنه حكـم بـين الخلـق فـيما كانوا فيه يختلفون وإلا لو كان التشريع من مدركات الخلق لم ينـزل الـشرائع ولم يبـق الخلاف بين الناس ، واحتيج إلى إرسال الرسل وبعثهم وهذا الذي يشرع في ديـن الله قد صير نفسه نظيراً مظاهراً لشرع الله حيث شرع مع الشارع وفـتح للاخـتلاف بابـاً ورد قصد الشارع في الانفراد بالتشريع وكفر بذلك) .

وكلامه نفيس وفي غاية الأهمية في هـذا البـاب حيـث بـين أن تحـريم الحـلال وإباحة المحرمات كفر لمن سنه ولمن اتبعه وأن هذا من أعظم البدع .

قال تعالى : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ الأنعام: ٦٢ ، فخص نفسه بالحكم .

قال تعالى : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ﴾ الأنعام: ٥٧ .

وهذه الآية والسابقة من أصرح الأدلة في اختـصاص الله جـل وعـلا بـالحكم وتوحيده به وأن حكم ما سواه من الكفر والشرك .

وقولـــه تعـــالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ الأنعام: ١١٤ .

فهنا الكفار اليهود والنصارى يعلمون أن الكتاب من عند الله ﷻ ومع ذلـك كفرهم الله، ومثلهم مثل هؤلاء الذين يشرعون ويقولون : نعلـم أن شريعـة الله مـن عند الله ، وهذه القوانين ليست شريعة الله وما استحللناها وأن شرع الله أفضل ولـو

قالوا هذا فإنهم يكفرون بفعلهم لأنهم ابتغوا غير شرع الله ﷻ وأعرضوا عن شرعه وهذا مناط التكفير كما سنورد ذلك بنقولات أهل العلم.

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ .

وهذا الذي يسميه العلماء شرك الطاعة فمن أطاع المشرع فهو كافر وخارج عن الملة فكيف بالمشرع إن كفره من باب أولى .

قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ الأنعام: ١٤٨ .

فالذين حرموا ما أحل الله ﷻ كذبوا الله تعالى، وقد سماهم الله ﷻ مشركين مشرعين مشركين بتحليلهم ما حرم الله .

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾. إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ .

إلى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ .

هذه الآيات وردت في إفراد الله ﷻ وتوحيده في الحكم والدين والأمر والشرع والعبادة والتحاكم .

قال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ الأعراف: ٢ – ٣ .

وهذه الآية دلت على النهي عن شرك الاتباع والطاعة وشرك التولي والولاية .

قــال تعــالى: ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾ التوبة: ٢٩ فيجب قتال هؤلاء الذي لا يحرمـون مـا حرم الله من الزنا والخمر والربا ، يجب قتالهم حتى يرجعوا إلى دين الله ويدينوا به.

وقـــال تعـــالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩ .

وهذه الآية نزلت في أهل الطائف لما دخلوا في الإسلام والتزموا الصلاة لكـن امتنعوا من ترك الربا فبين الله أنهم محاربون له ولرسوله وسيقاتلهم المسلمون .

قال ابن تيمية : (وقد اتفق علماء المسلمين على أن الطائفة الممتنعة إذا امتنعـت عن بعض الواجبات .. أو عن ترك تحريم الفواحش واستحلال الأنفـس والأمـوال بغير حق أو الربا أو الجهاد للكفار أو ضربهم الجزية على أهل الكتاب ونحو ذلك من شرائع الإسلام فإنهم يقاتلون عليها حتى يكون الدين كله لله) .

قال ابن خويز منداد: (ولو أن أهل بلد اصطلحوا على الربا استحلالا لكـانوا مرتدين والحكم فيهم كالحكم في أهل الردة) تفسير القرطبي ٣/ ٣٦٤ .

قــال تعــالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ التوبة: ٣٧ .

فالنسيء الذي هو تأخير حرمة الـشهر إلى شـهر آخـر الـذي كـان يفعلونـه في الجاهلية فيحرمون ويشرعون على أهوائهم ، اعتبره الله ﷻ زيادة في الكفر .

قــال تعــالى :﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ يونس: ٥٩.

يقول أرجعتم الحلال والحرام إلى أهواءكم وليس إلى شريعة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ .

وقد فسر النبي ﷺ الآية لعدي بن حاتم ﷺ ، وهذه الآية بينت شرك التشريع من الأحبار، وشرك الطاعة من أتباعهم الذين اتخذوهم أرباباً فالذي شرّع رباً أشرك في الربوبية والذي تحاكم إليه أشرك في الألوهية كما بينا ذلك مفصلاً في موضعه.

قال تعالى:﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ .

وهذه الآية في سورة يوسف من أصرح الآيات على إفراد الله عز وجل وتفرده بالحكم بصيغة الحصر فالحكم ليس إلا لله ﷻ ثم جعل الحكم من العبادة ، فدل على أن الحكم من العبادة وأن إفراد الله به يعتبر من أنواع التوحيد بنص الآية وأما الحكم بغير ما أنزل الله فهو من الشرك وخروج عن دينه القيم إلى دين باطل ،وقد بينت علاقة الحكم بالتوحيد وأقسامه والشرك.

قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ .

وهذه الآية في سورة الكهف من أصرح الأدلة وأقواها في هذا الباب .

قال تعالى :﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ الرعد: ٣١.

قال تعالى :﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ الروم: ٤ .

قال تعالى :﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ الرعد: ٤١ .

قال تعالى :﴿ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ الممتحنة: ١٠ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ المائدة: ١.

قال تعالى : ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ يونس: ١٠٩.

وهذه الأدلة دالة على كمال حكمه ﷻ.

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴾ الرعد: ٣٧.

الآيات في سورة النور من آية ٤٦ إلى آية ٥٤ .

قال ﷻ : ﴿ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ النور: ٤٦.

وقال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ النور: ٤٧– ٤٨ .

فنفى الله ﷻ عنهم أصل الإيمان حين تولوا عن شرع الله ﷻ والتولي عن حكم الله مناط من مناطات الكفر في الحكم كما سنبين ذلك .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ النور: ٥١.

وهذه من الآيات الدالة على وجوب التحاكم إلى شريعته وكفر من تحاكم إلى غير شرعه وأعرض وتولى ، وفيها دليل على استحقاق الله ﷻ الحكم دون ما سواه حيث أن له الخلق والأمر له ، ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ ﴾ فمن له الخلق الذي يخلق هو الذي يستحق أن يأمر ويحكم فهو أعلم بخلقه .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾ الأحزاب: ٣٦ .

فإذا كان العصيان عصيان رد وامتناع عن القبول فهو ضلال وكفر وإن كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب فهو ضلال وخطأ، وهذا الفرق بين المناط الكفري ومجرد المعصية في أوامر الله ﷻ، فالكفر متعلق بالامتناع والرد وعدم القبول والالتزام وسنبين ذلك إن شاء الله تعالى في مسألة مستقلة .

قال تعالى :﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الشورى: ١٠.

قال ﷻ:﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١.

فالذين شرعوا الله سماهم شركاء، لمّاشرّعوا في الدين ما لم يأذن به الله، فهم مشركون مدعون الربوبية لأن الحكم من خصائص الربوبية وأفعال الرب ﷻ.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الجاثية: ١٨، والآيات بعدها إلى قوله تعالى :﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾.

قال سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ الحجرات: ١.

أي لا تقطعوا أمراً قبل أن يحكم به الله ﷻ، وإذا كان التقديم مخالفاً لحكم الله وأمره فكيف بمن يحكم ويشرّع ويتحاكم إلى غير حكم الله استقلالاً ويعاند حكمه؟

قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور: ٦٣، وأي مخالفة أعظم من الحكم بغير ما أنزله الله على رسوله من الشريعة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ البقرة: ١١.

والحكم بغير ما أنزل الله من أعظم الإفساد في الأرض، والعجيب أن المنافقين في زماننا يزعمون في التزامهم ترك حكم الله وتتبعهم أحكام الكفار وتحاكمهم للطواغيت الإصلاح في الأرض.

ومن الآيات التي بينت شرك التشريع :

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾ الأنعام: ١٣٦ .

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ ﴾ الأنعام: ١٠٠.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ .

قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١.

قال تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ المائدة: ١٠٣ .

قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ .

والآيات المتعلقة بالحكم في كتاب الله ﷻ كثيرة لمن أراد تتبعها ، والنظر فيها وفي كلام المفسرين والسلف حولها يهم من أراد معرفة توحيد الله ﷻ في حكمه ووجوب إخلاص الحكم له وكفر من أشرك فيه، ووجوب اتباع هدي رسوله والأخذ بحكمه، ومعرفة حال المخالفين فيه وحقيقة كفرهم ، والرد على مرجئة عصرنا الذين يهونون شرك الحكم ويزينون لأربابه فعله، ويحكمون بإسلامهم، وافتروا على الله أعظم الفرية ، ولو أنا وقفنا مع كل آية لطال بنا المقام ولكن ذكرنا مقتطفات من الآيات وبعض الوقفات وكلها تستحق أن تشرح ويبين معناها ووجهة مخالفة المشركين في عصرنا لها ، لكن ما ذكرته فيه كفايه لمن أنار الله قلبه .

أوجه الدلالات من الآيات وتنوعها في مسألة الحكم بالشريعة التي أنزلها الله:

١- آيات جاء فيها الأمر بالحكم وأنه فرض مكتوب.

٢- آيات بينت وجوب التوحيد في الحكم وعدم الشرك فيه ، وأن الله ﷻ أفرد نفسه بالحكم وأخبر أنه لا حاكم إلا هو وأن الحكم له ولا حكم لغيره. وأنه لا يستحق الحكم أحد سواه وأن صفات الحاكم خاصة به تعالى.

٣- آيات أخبرت أن الحكم من الإيمان وأنه ينتفي بانتفاء الحكم .

٤- آيات حكمت بكفر من حكم بغير ما أنزل الله .

٥- آيات مدحت حكم الله تعالى ومجدته ورغبت فيه .

٦- الإنكار على من ترك التحاكم للشريعة وتكفير المتولي والمعرض عن حكمها والتعجب من ادعائه الإيمان .

٧- آيات نصت على أن من أطاع الحاكم والمشرع فهو مشرك .

٨- آيات ذمت حكم غير الله تعالى وسمته طاغوتا وجاهلي .

٩- آيات بينت أن حكم الله هو الصالح للناس والقائم بمصالحهم .

١٠- آيات أخبرت أن الله أنزل الكتاب والشرائع وأرسل الرسل لطاعته والانقياد له وحده والحكم بما أنزل واتباعه .

١١- آيات فيها الوعيد الشديد لمن خالف حكم الله ووصفته بأقبح الصفات.

١٢- آيات مدحت المتحاكمين والمسارعين لحكمه وأثنت عليهم .

ومن أدلة السنة في باب الحكم :

١ – عن عَديّ بن حاتم قال: أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي، اطرح هذا الوثن من عنقك، فطرحته ، وانتهيت إليه وهو يقرأ : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ، قال قلت: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم ، فقال النبي ﷺ : " أليس كانوا يحلون لكم الحرام فتستحلونه ، ويحرمون الحلال فتحرمونه ؟ " ، قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم .

رواه الترمذي والطبراني والبيهقي والطبري وغيرهم .

كلهم من طريق عبد السلام بن حرب عن غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن عدي به.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث. أهـ.

ويروى نحو هذا عن حذيفة ﷺ موقوفا.

وفي لفظ : يأمرونهم فيأتمرون وينهونهم فينتهون

قال الطبراني في تفسيره : اتبعوهم وتركوا أوامر الله .

٢ – عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ : (رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار ، وكان أول من سيّب السوائب) متفق عليه.

وفي رواية (وهو كافر ؛ إنه أول من غَيّر دين إبراهيم، وبحر البحيرة ، وسيّب السائبة ، وحمى الحامي) . رواه الطبري في تفسيره.

وفي رواية : (أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان) .

٣- عن أبي شريح هاني بن يزيد الكندي لما وفد مع قومه إلى النبي ﷺ فسمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه فقال: (إن الله هو الحكم وإليه الحكم) ، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين. فقال: ما أحسن هذا فما لك من الولد؟ قال شريح ومسلم وعبد الله. قال: فمن أكبرهم؟ قلت: شريح. قال: فأنت أبو شريح. رواه أبو داود وغيره.

فإذا كان هذا الاسم محرم ويجب إنكاره فكيف الحكم فيمن ينازع الله تعالى فيه بالفعل بالتشريع والحكم والتحاكم والله المستعان .

٤- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : (مر بي عمي الحارث بن عمرو ومعه لواء قد عقده له رسول الله ﷺ قال فسألته قال بعثني الرسول أن أضرب عنق رجل تزوج امرأة أبيه) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي.

قال الطبري : (فكان فعله ونكاح امرأة أبيه من أدل الدليل على تكذيبه الرسول ﷺ فيما أتاه به عن الله وجحوده آية محكمة في تنزيله.. لذلك أمر الرسول ﷺ بقتله وضرب عنقه، لأن ذلك كان سنته في المرتد عن الإسلام) تهذيب الآثار٢/ ٤٨.

قال الفراء : (لم يكن كذب برد ظاهر ولكنه قصر عما أمر به من الطاعة فجعل تكذيباً) . من تفسير القرطبي للتولي.

قلت تأمل الحديث مع ما قرره ابن جرير وكيف جعل العمل الظاهر من الرجل دليل على التكذيب والجحود والاستحلال والبغض وأن هناك ما يسمى عند العلماء بالتكذيب العملي والجحود العملي والاستحلال العملي والبغض العملي، فالتكذيب قد يظهر في عمل ظاهر .

قال ابن تيمية : (كل من لم يقر بما جاء بـه الرسـول فهـو كـافر. سـواء اعتقـد كذبه، أو استكبر عن الإيمان به، أو أعرض عنه اتباعا لما يهواه، أو ارتاب فيما جاء بـه، فكل مكذب بما جاء فهو كافر) الدرء ١/ ٥٦ .

وقال : (إن اعتقد أن الله لم يحرمه أو أنـه حرمـه لكـن امتنـع مـن قبـول هـذا التحريم وأبى أن يـذعن لله وينقـاد فهـو إمـا جاحـد أو معانـد ...فـإن معاندتـه لـه ومحاداته تنافي هذا التصديق ...) الصارم ٥٢١ .

والتكذيب في لغة السلف يتناول الجحود والامتناع .

وقال :(من أطلق من الفقهاء أنه لا يكفر إلا من يجحد وجوبها فيكون الجحد عنده متناول للتكذيب بالإيمان ومتناول للامتناع عن الإقرار والالتزام) ٢٠/ ٩٨ .

هذا وقد بين السلف الأمر وأوضحوه وفرقـوا بـين المـسألتين وجعلـوا تـارك جنس العمل والمعرض والممتنع عن الدين الذي لم ينقـد ولم يلتـزم الالتـزام الظـاهر كافر خـارج عـن الملـة ولم يجعلـوه بمنزلـة فاعـل المحرمـات والكبـائر والمقـصر في الواجبات مع أدائها في الأصل .

وهذا الأصل الذي قرره أهل السنة من وجود التـصديق العمـلي والتكـذيب العملي والذي دلت عليه النـصوص كقولـه قـد صـدقت الرؤيـا وحـديث والفـرج يصدق ذلك تخالفنا فيه المرجئة وتزعم أن الكفر لا يكون إلا بالجحود والاسـتحلال والتكذيب وأن هذه الأمور لا تكون إلا قلبية باطنية خفية لا تظهر على الجوارح وقد رد على فريتهم الكاذبة أهل السنة من السلف والخلف .

قلت: قارن بين فعل الرجل في نكاحه امرأة أبيه وتكفير النبي ﷺ له، وما قاله الطبري فيه ، وبين ما يحصل في هذه العصور من مشركي زماننا ومشرعي القوانين الوثنية الشركية والأنظمة الحاكمة الطاغوتية التي جوزت الربا والزنا ومقدماته ومنحت التراخيص لترويج تلك الفواحش كالسينما والرقص والتعري والزنا والخمور والغناء والدشوش والبنوك الربوية وقامت على رعايتها وحمايتها ، كما سوغت موالاة الكفار ومظاهرتهم على المسلمين ومنع تكفيرهم ومعاداتهم.

ولذلك أفتى بعض العلماء أن من أعطى التصاريح التجارية للأمور المحرمة أنه مستحل لها مرتد، وسنأتي على فتاوى بعضهم ومنهم محمد بن إبراهيم وغيره .

قال الشيخ حمد بن عتيق : (أن البلد إذا ظهر فيها الشرك وأعلنت فيه المحرمات وعطلت فيه معالم الدين أنها تكون بلاد كفر تغنم أموال أهلها وتستباح دماؤهم وقد زاد أهل هذه البلد بإظهار المسبة لله ولدينه ووضعوا قوانين ينفذونها في الرعية مخالفة للكتاب والسنة وقد علمت أن هذه كافية وحدها في إخراج من أتى بها من الإسلام) الدرر السنية ٩/ ٢٥٧ .

الفصل الثالث : النقولات عن أهل العلم في شرك الحكم وردة تارك الحكم

قال إسحاق بن راهوية : (أجمع العلماء على أن من دفع شيئا أنزله الله وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر) التمهيد لابن عبدالبر ٤/ ٢٢٦.

قال أبو البختري : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ : (أما أنهم لم يصلوا لهم ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم ولكن أمروهم ، فجعلوا حلال الله حرامه وحرامه حلاله فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية) أخرجه الطبري وفي فتاوى ابن تيمية ٧/ ٦٧ .

قال السدي : (﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤ : من تركه عمدا وجار وهو يعلم، فهو من الكافرين) أخرجه الطبري.

قال الإمام الشافعي : (الذي يجتهد ويشرع على قواعد خارجة عن قواعد الإسلام لا يكون مجتهدا ولا يكون مسلما إذا قصد إلى وضع ما يراه من الأحكام وافقت الإسلام أو خالفته) .من كتاب كلمة حق لأحمد شاكر.

قال الطبري في تفسيره : (إن جحود حكم الله تعالى هو اعتراض على شرع الله تعالى ، وتكذيب لنصوص الوحيين ، وقد أجمع العلماء على تكفير من أنكر حكماً معلوماً من الدّين بالضرورة) ٦ / ١٤٩.

قال ابن خويز منداد: (ولو أن أهل بلد اصطلحوا على الربا استحلالا لكانوا مرتدين والحكم فيهم كالحكم في أهل الردة) نقله عنه القرطبي في تفسيره ٣/ ٣٦٤ .

قال ابن حزم في إحكام الأحكام : (من حكم بحكم الإنجيل مما لم يأت بالنص عليه وحي في شريعة الإسلام فإنه كافر مشرك خارج عن الإسلام) .

وقال عن آية إنما النسيء : (وبحكم اللغة التي نزل بها القرآن إن الزيادة في الشيء لا تكون ألبته إلا منه لا من غيره فصح أن النسيء كفر وهو عمل من الأعمال وهو تحليل ما حرم الله) الفصل٣/ ٢٤٥ .

قال ابن حزم :(لما كان اليهود والنصارى يحرمون ما حرم أحبارهم ورهبانهم، ويحلون ما أحلوا كانت هذه ربوبيةً صحيحة ، وعبادة صحيحة وقد دانوا بها ، وسمّى الله تعالى هذا العمل اتخاذ أرباب من دون الله وعبادة ،وهذا هو الشرك بلا خلاف) الفصل ٣ / ٢٦٦ .

قال القاضي عياض : (فلو طرأ على الخليفة كفر وتغيير للشرع خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام وخلع الكافر) شرح النووي على مسلم ١٢/ ٢٢٩ .

وقال الداودي عن خطباء الجمع المنتسبين لأهل السنة في الدولة الفاطمية : (خطيبهم الذي يخطب لهم ويدعو لهم يوم الجمعة كافر يقتل ولا يستتاب وتحرم عليه زوجته وأحكامه كلها أحكام الكفر ومن صلى خلفه خوفا أعاد ثم لا يقيم إذ أمكنه الخروج من بلدهم ولا عذر له بكثرة عيال وغيره) . ونقل عنه ابن التين بوجوب الخروج على الحاكم إذا بدل الشريعة وكفر كما في فتح ابن حجر .

وقال عنهم أبو شامة: (قال الإمام أبو القاسم الشاشي: لو وفق ملوك الإسلام لصرفوا أعنة الخيل إلى مصر لغزو الباطنية الملاعين فإنهم من شر أعداء الإسلام وقد خرجوا من حد المنافقين إلى حد المجاهرين لما ظهر في ممالك الإسلام من كفرها وفسادها وتعين على الكافة فرض جهادها وضرر هؤلاء أشد على الإسلام وأهله من ضرر الكفار إذ لم يقم بجهادها أحد إلى هذه الغاية..) مختصر الروضتين ١٥٨.

وقال عنهم الرعيني المالكي في كتابه إجماع علماء القيروان : (أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة ولا يعذر أحد بالإكراه على الدخول في مذهبهم بخلاف سائر أنواع الكفر لأنه أقام بعد علمه بكفرهم فلا يجوز له ذلك إلا أن يختار القتل دون أن يدخل في الكفر وعلى هذا الرأي كان أصحاب سحنون يفتون المسلمين) .

وقال عنهم الكبراني : (يختار القتل ولا يعذر أحد بالدخول في دعوتهم، ولا يعذر أحد بالخوف بعد إقامته لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع لا يجوز) .

قال الجويني : (من يتخذ سنن الأكاسرة والملوك المنقرضين عمدة الدين ومن تشبث بهذا فقد انسل من ربقة الدين) الغياث ٢٢١.

قال الجصاص عند آية: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ : (وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئا من أوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ فهو خارج من الإسلام سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من

التسليم، وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتـداد مـن امتنـع من أداء الزكاة وقتلهم) أحكام القرآن ٣ / ١٨١.

قال البغوي في تفسيره : (فإن قيل أنهم لم يعبدوا الأحبار والرهبان قلنا معنـاه أنهم أطـاعوهم في المعـصية واسـتحلوا مـا أحلـوا وحرمـوا مـا حرمـوا فاتخـذوهم كالأرباب) .

وقال أبو يعلى في المعتمد:(ومن اعتقد تحليل ما حرّم الله بالنص الـصريح مـن الله ، أو من رسوله، أو أجمع المسلمون على تحريمه فهو كافر .. ومن فعـل ذلـك فهـو كافر بإجماع المسلمين) ص (٢٧١) .

قال الإمام ابن تيمية: (فإن هذا الشرع ليس لأحد من الخلق الخروج عنـه ولا يخرج عنه إلا كافر) مجموع الفتاوى ١١/ ٢٦٢ .

وقال أيضاً : (ومعلوم أن من أسقط الأمر والنهي الذي بعث الله به رسله فهو كافر باتفاق المسلمين واليهود والنصارى) الفتاوى ٨/ ١٠٦ .

فانظر كيف حكم على الذين أسقطوا الأمر والنهي بالكفر باتفاق المسلمين بل حتى اليهود والنصاري، وهذا ينطبق في الحكام الذين عطلـوا حـدود الله عـز وجـل وأسقطوا الحكم بعقوبة الزنا وغيره وخرجـوا عـن الـشرع واسـتبدلوه بغـيره فلـم يحكموا به في المعاملات والاقتصاد وغيره، ولم يخالف في كفرهم وينقض هذا الإجماع غير المرجئة ، حيث لم يكفروا الحكام الذين أسقطوا الأمر والنهي والـدين وخرجـوا على شراع الله ﷻ وأحكامه.

وقال: (.. وهذا إذا حكم في قضية معينة لشخص وأما إذا حكم حكـماً عامـاً في دين المسلمين فيجعل الحق باطلاً والباطل حقاً والمعروف منكراً والمنكـر معروفـاً والسنة بدعة والبدعة سنة ونهى عما أمر الله به ورسوله وأمر بما نهوا عنـه فهـذا لـون آخر يحكم فيه رب العالمين) [الفتاوى ٣٥/ ٣٨٨] وانظر كيف جعل الحكـم في أمـر عام بين المسلمين أمر عظيم ولم يجعله كالحكم في القضية المعينة التي هـي مـن الكفـر الأصغر ثم تأتي المرجئة ويجعلون الحكمين في معنى واحد وحكم واحد .

وقال : (كل طائفة ممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها حتى يلتزموا شرائع الله وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتـزمين بعض شرائعه وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء) الفتاوى ٢٨/ ٥٠٢ .

وقال فيه : (اتفق الصحابة والأئمة بعدهم على قتال مانعي الزكـاة وإن كـانوا يصلون الخمس ويصومون رمضان ، وهؤلاء لم يكن لهم شبهة سـائغة فلهـذا كـانوا مرتدين وهم يقاتلون على منعها وإن أقروا بالوجوب) الفتاوى ٢٨/ ٥٤٨.

وله أيضاً في رسالته هذه كلام في تكفير التتار المشرعين ووجوب قتالهم .

وقال : (مجرد الاعتصام بالإسلام مع عدم الالتـزام بـشرائعه لـيس بمـسقط للقتال فالقتال واجب حتى يكون الدين كله لله فمتى كـان الـدين لغـير الله فالقتـال واجب) وقد نقل هذا الشيخ عبدالله في كتابه [كلمات نافعة].

وقال : (والإنسان متى حلل الحـرام المجمـع عليـه أو حـرم الحـلال أو بـدل الشرع المجمع عليه كان كافرا مرتدا بالاتفاق) الفتاوى٣/ ٢٦٧.

وقال : (بين سبحانه أن من دعي إلى التحاكم إلى كتاب الله ورسوله فصد كان منافقا وليس بمؤمن، فالنفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم لغيره) الصارم٣٣.

وقال : (ومتى ترك العالم ما علمه من كتاب الله وسنة رسوله واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله كان مرتدا كافرا) الفتاوى ٣٥/ ٣٧٢.

وقال : (فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزما لحكم الله ورسوله باطنا وظاهرا لكن عصى واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة ... ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر ... وحكام المسلمين يحكمون في الأمور المعينة ولا يحكمون في الأمور الكلية) منهاج السنة ٥/ ١٣٠ .

وقال عن الدولة العبيدية الفاطمية وحكامها : (فإن القاهرة بقي ولاة أمورها نحو مائتي سنة على غير شريعة الإسلام .. واتفق طوائف المسلمين علماؤهم وملوكهم وعامتهم من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم على أنهم خارجون عن شريعة الإسلام وأن قتالهم كان جائزا) . الفتاوى ٢٨/ ٦٣٥ .

قال ابن تيمية: (وعامة الأمراء إنما أحدثوا أنواعا من السياسات الجائرة من أخذ أموال لا يجوز أخذها وعقوبات على الجرائم لاتجوز لأنهم فرطوا في المشروع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا فلو قبضوا مايسوغ قبضه ووضعوه حيث يسوغ وضعه طالبين بذلك إقامة دين الله لا رياسة أنفسهم وأقاموا الحدود على الشريف والوضيع والقريب والبعيد لما احتاجوا للمكوس ...) الاقتضاء ٢/ ١٠٤ .

قال ابن تيمية: (معلومٌ بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوّغ إتباع غير دين الإسلام أو إتباع غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر) الفتاوى ٢٨ / ٥٢٤.

قال ابن تيمية: (إن الإيمان بوجوب الواجبات الظاهرة المتواترة، وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة هو من أعظم أصول الإيمان،وقواعد الدّين والجاحدُ له كافرٌ بالاتفاق) الفتاوى ١٢ / ٤٩٧.

وقال ابن تيمية :(وحقيقة الشريعة:إتباع الرسل والدخول تحت طاعتهم، كما أن الخروج عنها خروج عن طاعة الرسل، وطاعة الرسل هي دين الله الذي أمر بالقتال عليه) الفتاوى (١٩ / ٣٠٧ - ٣١٠).

قال ابن القيم: (لمّا أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليهما، واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما ، وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ، عرض لهم من ذلك فسادٌ في فطرهم، وظلمةٌ في قلوبهم، وكدرٌ في أفهامهم، ومحقٌ في عقولهم ، وعمتهم هذه الأمور ..) الفوائد (٤٢) والصواعق ٣/ ٨٦١ .

قال ابن القيم في أحكام أهل الذمة : (أن من التزم ما جاءت به التوراة والإنجيل ولم يتبع القرآن فإنه كافر) . فانظر كيف جعل الملتزم بما جاءت به التوراة ولم يتبع حكم الله كافراً فكيف بمن التزم القوانين الوضعية التي صدرت من زبالات أفكار الغرب المشركين الذين خرجوا عن دينهم وشرعوا شرائع شتى باطلة .

يقول ابن القيم: (من دعي إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى كان من المنافقين).

ويقول : (فالشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره ومطاع ومتبع غير رسول الله ﷺ هو أعظم فساد في الأرض ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود المطاع والدعوة له لا لغيره والطاعة والإتباع لرسوله ليس إلا).

وقال : (ومنهم من تأول آية ومن لم يحكم على ترك الحكم جاحدا له، وهو قول عكرمة وهو تأويل مرجوح، فإن جحوده كفر سواء حكم به أو لم يحكم) المدارج ٢/ ٣٣٦ .

قلت وهذا رد صريح على جهمية العصر ومرجئته القائلين لا يكفر الحاكم إلا إذا جحد واستحل مع أن كلام عكرمه لا يحمل على المشرعين .

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره عند آية : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾: (ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعاد إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة من ملكهم جنكيزخان ، الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظرة وهواه فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير) .

فتأمل كيف اعتبر الحكم بالياسق كفراً وأنه الذي يحكم به كافر يجب قتاله ثم تأمل هل تجد فارقا بين ياسق جنكيز خان وبين ياسق القوانين الوضعية النافذة في أمصار كثير من المسلمين ؟ التي يصر على تنفيذها وتطبيقها طواغيت الحكم .

وقال الإمام ابن كثير في تاريخه: (فمن ترك الشرع المحكم المنزل وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه (أي على شرع الله) من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين) البداية والنهاية ١٣/ ١١٩ .

وقال الشيخ المحدث أحمد شاكر رحمه الله معلقاً على كلام ابن كثير في التتار: (أفرأيت هذا الوصف القوي من الحافظ ابن كثير لذلك القانون الوضعي الذي صنعه عدو الإسلام جنكيزخان ألستم ترون أنه يصف حال المسلمين في هذا العصر في القرن الرابع عشر...) . عمدة التفسير ٤/ ١٧٣ .

وقال أيضاً فيه : (إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا عذر لأحد ممن ينسب إلى الإسلام كائنا من كان في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها ، ألا فليحذر امرؤ نفسه وكل حسيب نفسه، ألا فليصدع العلماء بالحق غير هيابين وليبلغوا ما أمروا بتبليغه) .

قال الفوزان في الإرشاد:(ومثل القانون الذي ذكره ابن كثير القوانين الوضعية التي جعلت اليوم في كثير من الدول والدليل على كفر من فعل ذلك آيات كثيرة) .

وللشوكاني رسالة [الدواء العاجل في دفع العدو الصائل] وقد تكلم حول كفر من ترك التحاكم إلى الشريعة من الخارجين عن أحكام الدولة الإسلامية ورضي بأحكام الأعراف أو القبائل ونحوها في الديار اليمنية وكفر هؤلاء وحكم بكفرهم .

قال عبدالرحمن بن حسن: (فظهر بهذا أن الآية دلت على أن من أطاع غير الله ورسوله وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسنة في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحلـه الله وأطاعه في معصية الله واتبعه في ما لم يأذن به الله فقد اتخذه ربا ومعبودا وجعـل لله شريكا) .

وقال : (من الأمور التي لا يصلح الإسلام إلا بها العمل بـشرائعه وأحكامـه وبالقيام بذلك يقوم الدين وتستقيم الأعمال) .

وقال: (طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم ومن الـشرك الأكـبر الذي لا يغفره الله) .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله (الطاعة هي العبادة ويجب اختصاص الخـالق سبحانه بها ولا تجب طاعة أحد من الخلق استقلالاً فمـن أطـاع مخلوقـاً في التحليـل والتحريم غير رسول الله صلى الله عليه وسلم المبلغ عن الله فهو مشرك) .

قال حمد بن عتيق : (ومثل هؤلاء التتار ما وقع فيه عامة البوادي ومن شابههم من تحكيم عادات الآباء وما وضعه أوائلهم من الموضوعات الملعونة التـي يـسمونها شرع الرفاقة يقدمونها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن فعل ذلك فهو كافر يجـب قتاله حتى يرجع لحكم الله ورسوله) سبيل النجاة والفكاك ٨٣ .

ويقول عبداللطيف بن عبـدالرحمن : (مـن تحـاكم إلى غـير كتـاب الله وسـنة رسوله فهـو كـافر قـال تعـالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾) الدرر السنية .

وقال سليمان بن سحمان : (التحاكم إلى الطاغوت كفر وذكر الله في كتابه أن الفتنة أكبر من القتل والفتنة هي الكفر والشرك، فلو اقتتلت البادية والحاضرة حتى يذهبوا لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتا يحكم بخلاف شريعة الإسلام التي بعث الله بها رسوله ﷺ) الدرر ٥/ ٥١٠ .

وقال حمود التويجري : (ومن أعظم المكفرات شرا وأسوأها ما ابتلي به كثيرون من اطّراح الأحكام الشرعية والاعتياض عنها بحكم الطاغوت من القوانين والأنظمة الافرنجية ... وآل الأمر بكثير منهم إلى الردة والخروج من دين الإسلام بالكلية) الإيضاح والتبيين ٢٨ .

وقال عبدالرحمن بن سعدي: (كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين ولا يستقيم البناء إلا بهما فالرد إليهما شرط في الإيمان فلهذا قال تعالى ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة بل مؤمن بالطاغوت) .

وقال الألوسي : (ولا شك في كفر من يستحسن القانون ويقول هو أرفق وأصلح للأمة فلا ينبغي التوقف في تكفيره) روح المعني ٢٨/ ٢٠ .

وقال البليهي : (الحكم بالقوانين الوضعية المخالفة للشريعة إلحاد وكفر وإفساد وظلم للعباد وهو حكم بحكم مخلوق لمخلوق وأحكام طاغوتية ومن فرق بين الأحوال الشخصية والعامة والخاصة فهو ملحد زنديق كافر) السلسبيل ٢/ ٣٨٤ .

وقال القاضي ابن غنيم في البرهان والدليل في كفر من حكم بغير التنزيل : (الذين يرضون بتحكيم القوانين بدلا عن الحكم بما أنزل الله ويريدون سواه فهؤلاء حكمهم الكفر مثل حكامهم) .

وأما كلام الشيخ محمد بن إبراهيم فكثير في الباب وله رسالته [تحكيم القوانين] وله كلام مهم في تقريراته وفتاواه .

وقال محمد بن إبراهيم: (البلد الذي يحكم بالقانون ليس دار إسلام وتجب الهجرة منه عند القدرة) الفتاوى ٦/ ١٨٨.

قال : (تحكيم شرع الله وحده شقيق عبادة الله وحده دون ما سواه إذ مضمون الشهادتين أن يكون الله وحده هو المعبود وحده لا شريك له وأن يكون رسوله ﷺ هو المتبع المحكم ما جاء به فقط ولا جردت سيوف الجهاد إلا من أجل ذلك والقيام به فعلاً وتركاً وتحكيماً عند النزاع) .

ويقول رحمه الله : (وخضوع الناس ورضوخهم لحكم ربهم خضوع ورضوخ لحكم من خلقهم تعالى ليعبدوه فكما لا يسجد الخلق إلا لله ولا يعبدون إلا إياه ولا يعبدون المخلوق فكذلك يجب أن لا يرضخوا ولا يخضعوا أو ينقادوا إلا لحكم الحكيم العليم الحميد الرؤوف الرحيم دون حكم المخلوق الظلوم الجهول) .

ويقول : (اعتبار شيء من القوانين للحكم بها ولو في أقل القليل لا شك أنه عدم رضا بحكم الله ورسوله ونسبة حكم الله ورسوله إلى النقص وعدم الكفاية في حل النزاع وإيصال الحقوق إلى أربابها وحكم القوانين إلى الكمال وكفاية الناس في حل مشاكلهم واعتقاد هذا كفر ناقل عن الملة).

ويقول أيضاً : إن الحكم بغير شريعة الإسلام بين الناس معناه الكفر والخروج عن الإسلام .

ويقول رحمه الله : (فإن أحكام الجاهلية اسم عام لجميع الأحكام الخارجة عن الكتاب والسنة فكما لا يقر أحد على عبادة غير الله فكذلك لا يقر على الحكم بغير ما أنزل الله بغير ما جاء به الرسول ﷺ) .

ويقول في رسالته القيمة [تحكيم القوانين] في بدايتها : (إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين في الحكم به بين العالمين)

ويقول : (فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ مع الإيمان في قلب عبد أصلاً بل أحدهما ينافي الآخر) .

ويقول في هذه الرسالة حين يعد أقسام الحكم المخرج من الملة : (الخامس وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة لشرع الله مكابرة لأحكامه ومشاقه لله ولرسوله ومضاهاة للمحاكم الشرعية إعداداً وإمداداً وإرصاداً وتأهيلاً وتفريعاً وتشكيلاً ، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستندات مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله فإن لهذه المحاكم مراجع هي (القانون الملفق من شرائع شتى ، وقوانين كثيرة) كالقانون الفرنسي والأمريكي والبريطاني وغيرها من القوانين ومن مذهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك .

فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب إثر أسراب يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون وتلزمهم به وتقربهم به وتحتمهم عليه فأي كفر

فوق هذا الكفر وأي مناقضة لشهادة أن محمداً رسول الله بعد هذه المناقـضة ؟!) إلى آخر كلامه في هذا القسم .

ويقول : (إذا قال من حكم القانون : أنا اعتقد أنه باطل فهذا لا أثر له بل هـو عزل للشرع كما لو قال أحد : أنا أعبد الأصـنام وأعتقـد أنهـا باطلـة) ، وهـذا نـص صريح أنه لا يشترط في تكفير الحاكم بغير ما أنزل الله (المشرع) الاستحلال) .

وقال : (الذي قيل فيه كفر دون كفر إذا حاكم إلى غير الله مع اعتقاد أنه عاص وأن حكم الله هو الحق فهذا الذي يصدر منه المرة ونحوها أمـا الـذي جعـل قـوانين بترتيب وتخضيع فهو كفر وإن قالوا أخطأنا وحكم الشرع أعدل) .

وهذا رد صريح على الذين حرفوا وبدلوا كلامه من المرجئة المتأخرة .

وله كلام كثير في مراسلاته ، وفتـاواه في إنكـار المحـاكم القانونيـة والمحكمـة التجارية والغرفة التجارية ونظام العمل والعمال .

وفي رسالة لمحمد بن إبراهيم وعبدالله بن حميد وعبدالعزيز بن باز وغيرهم : (إن من أقبح السيئات وأعظم المنكـرات التحـاكم إلى غـير شريعـة الله مـن القـوانين الوضعية والنظم البشرية وعادات الأسلاف والأجواد التـي وقـع فيهـا الكثـير مـن الناس اليوم وارتضوها بدلاً من شريعة الله التي بعث الله بهـا رسـوله محمـداً ﷺ ولا ريب أن ذلك من أعظم النفاق ومن أكبر شعائر الكفر والظلم والفسوق) .

وقالوا : (لقد حكم الرب حكماً صريحاً على من حكم بغير شريعته بأنـه كـافر وظالم وفاسق ومتخلق بأخلاق المنافقين وأهل الجاهلية) .

وقال عن الغرفة التجارية : (مصادمة لما بعث الله به رسوله من الشرع الذي وحده المتعين للحكم بين الناس) ١٢/ ٢٥٠

ثم في رسالة بعدها بأربع صفحات أخرى يطالب بإلغائها.

وقال عن نظام العمل : (فالنظام المشار إليه قانوني وغير شرعي ولا يجوز إقراره أو تأييد ما بني عليه مطلقا) الفتاوى ١٢/ ٢٦٤.

وقال عبدالله بن حميد: (من أصدر تشريعاً عاماً ملزماً للناس يتعارض مع حكم الله فهذا يخرج من الملة كافر) في كتابه أهمية الجهاد .

وله رسالته نقض فيها نظام العمل والعمال يقول في مقدمتها : (نظام العمل والعمال طالما كنت أسمع عنه وما فيه من الأحكام الباطلة المخالفة للشريعة الكاملة ... ولما قرأته وجدته أعظم مما كنت أسمع ...) الدرر السنية ١٦/ ٢٣٣.

وقال أحمد شاكر :(أفيجوز مع هذا في شرع الله أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس من تشريعات أوروبا الوثنية الملحدة بل تشريع تدخله الأهواء والآراء الباطلة يغيرونه ويبدلونه كما يشاءون لا يبالي واضعه وافق شرعه الإسلام أم خالفها ..) .

ويقول في تعليقه على الطحاوية : (وهذا – أي الكفر الأكبر – مثل ما ابتلى به الذين درسوا القوانين الأوروبية من رجال الأمم الإسلامية ونسائها أيضاً الذين أشربوا في قلوبهم حبها والشغف بها والذب عنها وحكموا بها وأذعنوا لها بما ربوا من تربية أساسها صنع المبشرين الهدامة أعداء الإسلام ومنهم من يصرح ومنهم من يتوارى ويكادون يكونون سواء) .

ويقول معلقاً على كلام ابن عباس : (وهذه الآثار عن ابن عباس وغيره (يعني في قوله : كفر دون كفر) مما يلعب به المضلون في عصرنا هذا من المتسبين للعلم ومن غيرهم من الجراءة على الله حيث يجعلونها عذراً أو إباحة للقوانين الوثنية الموضوعة التي ضربت بلاد الإسلام). عمدة التفسير (٤/ ١٥٦).

وللشيخ أحمد شاكر وأخيه الشيخ محمود تعليقات جيدة على كلام أهل العلم في باب الحكم بغير ما أنزل الله .

ويقول الشيخ محمد حامد الفقي في تعليقه على كتاب فتح المجيد : (الذي يستخلص من كلام السلف أن الطاغوت كلما صرف العبد وصده عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله ورسوله ، ويدخل في ذلك بلا شك الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه وغيرها من كل ما وضعه الإنسان ليحكم بها في الدماء والفروج والأموال وليبطل بها شرائع الله من إقامة الحدود وتحريم الربا والزنا والخمر ونحو ذلك مما أخذت هذه القوانين تحللها وتحميها بنفوذها ومنفذيها والقوانين نفسها طواغيت وواضعوها ومروجوها طواغيت) .

وقال فيه: (ومثل هذا وأشر منه من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال ويقدمها على ما علم من كتاب وسنة رسوله ﷺ فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله ولا ينفعه أي اسم تسمى به ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام ونحوها) .

وقال الشنقيطي في أضواء البيان : (والعجب ممن يحكم غير تشريع الله ثم يدعي الإسلام كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ﴾).

وقال: (وبهذه النصوص التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله على ألسنة رسله، إنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم) أضواءالبيان٤ / ٨٣ . ٧/ ١٦٢-٥٨٤-٦١٤ .

تأمل كيف اعتبر مجرد إتباع القوانين الوضعية كفرا وشركا مخرجا من الملة فكيف بواضعها !وقد أشبع تفسيره كلاماً في الحكم وكفر الحاكم بغير ما أنزل الله .

وقال : (من لم يحكم بما أنزل الله معارضة للرسل وإبطالا لأحكام الله فظلمه وفسقه وكفره كلها مخرج من الملة) الأضواء ٢/ ١٠٤ .

وقال: (أن من اتبع الشياطين في تحليل الميتة أنه مشرك ، وهذا الشرك مخرج من الملة بإجماع المسلمين) الأضواء ٣ / ٤٣٩.

وقال في قوله ﴿ لَا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ : (ما عبدوه بسجود ولا ركوع وإنما عبدوه باتباع نظام وتشريع وقانون ، شرع لهم أمورا غير ما شرع الله لهم فاتبعوه وتركوا ما شرع الله ، فعبدوه بذلك واتخذوه ربا كما بين النبي ﷺ لعدي بن حاتم) العذب النمير ٥/ ٤٤٣.

وقال في تفسيره المسجل في مواضع من سورة الأنعام والأعراف عند قوله ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ وقوله: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ : (وإن أطعتموهم

إنكم لمشركون والشرك هنا شرك في الربوبية لأن الرب هو الذي يحلل ويحرم ومن اتبع تحليل غيره فقد جعله ربا وهذا الشرك شرك طاعة ونظام وقانون وتحليل وتحريم وأمر ونهي وقد سمى الله الذين يطاعون شركاء كما في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾).

وهو شرك أكبر مخرج من الملة بإجماع المسلمين وهؤلاء المشركون المتبعون لقانون الشيطان هم الذين يوبخهم الله على رؤوس الأشهاد ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ وليست العبادة أنهم سجدوا لهم وصلوا لهم وإنما اتبعوا ما شرع لهم من وحي الشيطان وأخذوا بنظامه وقانونه في تحليل ما حرم وقد بين ذلك الرسول ﷺ لعدي بن حاتم ﷺ ... فكما أنه يجب إفراده في عبادته يجب إفراده في حكمه، والله كما يتنزه عن الولد والشريك والمعبود يتنزه عن أن يكون معه حاكما، فالحكم لا يكون إلا للعلي الكبير ... ثم كيف يدعي الإيمان من يتحاكم إلى غير شرع الله وإذ كان عباد الأصنام إذا غيروا تشريع الله وخالفوا شرعه كان ذلك كفرا جديدا زائدا على الكفر الأول كما صرح في صورة التوبة ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ ، وإذا كان هذا في الكفار عباد الأصنام فكيف بمن يدعي الإسلام ويترك تشريع الله ويتحاكم لغيره ... وهؤلاء المشرعون الذين يتمردون على نظام السماء وينقلبون على الحكم السماوي ويريدون أن تكون لهم السلطة العليا ويحاولون أن يجعلوا لأنفسهم خصوصية الله وربوبيته لو جاء أحد يريد قلب الحكم عليهم ويحكم بغير ما شرعوا لقتلوه شر قتله مع أن ذلك الخروج واجب حتمي على المسلمين المحكومين بتشريع

هؤلاء الكفرة الفجرة، بل وتراهم يأنفون أن يخالفهم أحد ويرون أن حكمهم أحسن من حكم الله وأنهم يقدرون أن ينزلوا مثلما أنزل الله)

وقال أيضا : (الإشراك بالله في حكمه والإشراك به في عبادته كلها بمعنى واحد ولا فرق بينهما ألبته، فالذي يتبع نظاما وتشريعا غير تشريع الله كالذي يعبد الصنم وسيجد للوثن وكلاهما مشرك بالله) .

وقال عبدالعزيز بن باز في وجوب تحكيم شرع الله: (فمن خضع لله سبحانه وأطاعه وتحاكم إلى وحيه فهو العابد لله ومن خضع لغيره وتحاكم إلى غير شرعه فقد عبد الطاغوت وانقاد له) .

يقول ابن باز في رسالته نقد القومية : (وكل دولة لا تحكم بشرع الله ولا تنصاع لحكم الله فهي دولة جاهلية كافرة ظالمة فاسقة) .

وقال: (ولا إيمان لمن اعتقد أن أحكام الناس وآرائهم خير من حكم الله ورسوله أو تماثلها وتشابهها أو تركها وأحل محلها الأحكام الوضعية والأنظمة البشرية ، وإن كان معتقداً أحكام الله خير وأكمل وأعدل) فانظر كيف جعل مجرد ترك أحكام الله ﷻ واستبدالها كفراً مخرجاً من الملة ولو ادعى صاحب هذا العمل أن حكم الله أفضل وخير وأكمل ولم يستحل عمله وفي هذا رد على المرجئة العصر.

وقال : (فالذين يتحاكمون إلى شريعة غير شريعة الله لا شك أنهم يخرجون بذلك عن دائرة الإسلام ويكونون بذلك كفار ظالمين فاسقين) الفتاوى١/ ٢٧٥ .

وقال عبدالرزاق عفيفي : (من كان منتسبا للإسلام عالما بأحكامه ثم وضع للناس أحكاما وهيأ لهم نظما ليعملوا بها ويتحاكموا إليها وهو يعلم أنها تخالف

أحكام الإسلام فهو كافر خارج من ملة الإسلام ، وكذا الحكم فيمن أمر بتشكيل لجنة أو لجان لذلك، ومن أمر الناس بالتحاكم إلى تلك النظم والقوانين أو حملهم على التحاكم إليها ومن أطاعهم في التحاكم باختياره فجميع هؤلاء شركاء في الإعراض عن حكم الله، لكن بعضهم يضع تشريعا يضاهي به تشريع الإسلام وبعضهم بالأمر بتطبيقه أو حمل الأمة على العمل به أو ولي الحكم به بين الناس أو نفذ الحكم به، وبعضهم بطاعته الولاة والرضا بما شرعوا فكلهم اتبع هواه وكانوا شركاء في الإلحاد والكفر ولا ينفعهم علمهم بشرع الله واعتقادهم ما فيه مع إعراضهم عنه وتجافيهم لأحكامه) الحكم بغير ما أنزل الله ٦٤ .

وقال ابن عثيمين في القول المفيد شرح كتاب التوحيد في باب ما جاء في طاعة العلماء والأمراء : (أما بالنسبة لمن وضع قوانينا تشريعية مع علمه بحكم الله وبمخالفة هذه القوانين لحكم الله فهذا قد بدل الشريعة بهذه القوانين فهو كافر لأنه لم يرغب في هذا القانون عن شريعة الله إلا وهو يعتقد أنه خير للعباد والبلاد من شريعة الله) .

ويقول: (إن الحكم بما أنزل الله من توحيد الربوبية لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته وكمال ملكه وتصرفه ولهذا سمى الله تعالى المتبوعين في غير ما أنزل الله أرباباً لمتبعيهم) .

ويقول : (من يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجاً يسير الناس عليه فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلا وهم يعتقدون أنها أفضل وأنفع للخلق، إذ أن المعلوم بالضرورة

العقلية والجبلة الفطرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلا وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ونقص ما عدل عنه) المجموع الثمين ١/ ٣٦.

وفيه جواب لسؤال عن الفرق بين المسألة المعينة والتشريع العام قال : (نعم هناك فرق فإن المسائل التي تعتبر تشريعا عاما لا يتأتى فيها التقسيم السابق وإنما هي من القسم الأول فقط) .

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة : (من يؤثر الحكم بالقوانين الوضعية على الحكم بما أنزل الله فهذا كافر وإن نطق بالشهادتين وصلى وصام) .

وصدر عنها أيضاً: (إذا كانت الحكومة تحكم بغير ما أنزل الله فالحكومة غير إسلامية لا يجوز للمسلم أن يتحاكم إلى حكومة غير إسلامية ..) . ابن باز وعفيفي وبن قعود.

وطبعت رسالة جيدة في فتاوى ورسائل اللجنة في الرد على المرجئة والرد على بعض الجهال ممن أخذ بمذهب الإرجاء في أبواب الإيمان خصوصاً في الحكم بغير ما أنزل الله ومنهم الحلبي والعنبري وغيرهما ، ومحقق بها كلام الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في كفر المشرع والحاكم بغير ما أنزل الله .

الفصل الرابع : تاريخ الضلال والشرك في الحكم بما أنزل الله

الأصل أن الناس كانوا لا يحكمون إلا بشرع الله ﷻ ولا يتحاكمون إلا إلى دينه وأوامره منذ أن خلق الله هذه البسيطة وأنزل فيها آدم ﷺ فقد كان عاملاً بحكم الله ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ البقرة: ٢١٣ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) ، أخرجه الطبري في تفسيره والحاكم في مستدركه.

فالأصل أن الناس كانوا على التوحيد في العبادة والحكم مؤمنين بالله ﷻ متحاكمين إلى شرعه ثم بدأ الضلال حين بدأ الشرك في عصر نوح ﷺ هذا بداية الشرك والحكم بغير ما أنزل الله وتحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله .

وهنا وقفة : في مخالفة العلمانيين وأرباب القوانين الوضعية في تاريخ البشر والحكم، وتابعوا فكر أسيادهم من الغرب الذين ينكرون نزول الشرائع للحكم بها فالمعروف عند الغرب في تاريخهم أن التاريخ يبتدئ بالقرون القديمة وهو ما يسمونه بالحجرية ثم بالوسطى ثم القرون المتأخرة ويصورون الناس على أنهم كانوا على صفة العرى والتعري والجهل والتخلف وفي الغابات وهم قد صدقوا في تاريخهم على أنفسهم وحالهم وحال المكذبين بالرسل، وفي تعميمهم هذه الصفة إنكار لتاريخ خلق البشر منذ أن خلق الله آدم وعلمه أسماء كل شيء وإنزال الوحي عليه.

مرحلة التشريع الباطل الشركي الضال:

المرحلة الأولى : البدائية : وهي عبارة عن أعراف لم تكن مكتوبة ولا مقيدة كالتحاكم إلى الكهان وإلى شيوخ القبائل والحكماء ونحو ذلك وغالب هؤلاء ممن لم تشرق عليهم شمس النبوة أو أنهم وصلهم دعوة الأنبياء فأعرضوا عنها .

المرحلة الثانية : التقييدية : التي فيها كتابة قوانين : ومنها :

١- قانون (حمورابي الآشوري من ملوك بابل: وقانونه الذي كتبه في قرابة ثلاثمائة مادة ،يعتبر أقدم القوانين التي وصلتنا ، في قرابة ألف وسبعمائة قبل الميلاد.

وقد عظم قانونه المشركون وعباد القانون الوضعي الكفري .

٢- قانون (مانو) في الهند ، وهو عبارة عن أكثر من ألفي بيت من الشعر ، تتكلم عن علاقات الناس وبعض التشريعات المتعلقة بالفصل بين الناس والتعامل معهم . وهذا في القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

٣- قانون (بورخيس) المصري في مصر قبل الميلاد بسبعمائة عام تقريبا.

٤- قانون (أثينا) وسببه ظلم الأشراف للطبقة الوضيعة قبل الميلاد .

٥- القانون (الروماني) في أوروبا وهو منسوب لمدينة روما وقد كانت روما تحكم بالعادات والتقاليد حتى جاء قانون ما يسمى بـ (الألواح الأثنى عشر) قبل الميلاد وبعد توسع هذه الدولة الرومانية وسيطرتها على بقاع كثيرة في أوروبا واستيلائهم على بيزنطية (القسطنطينية)، جاء بعد ذلك رجل من ملوك الروم (جويستينيان) عام ٥٢٧ م ، وقبل مبعث الرسول ﷺ .

وهذا القانون مرجعه لكثير من القساوسة النصارى لأن جويستينيان دخل في النصرانية كما كان عليه الإمبراطورية قبله، لأن النصرانية دخلت في الروم مؤخراً وأخذ ملوكهم بعقيدة التثليث والشرك ولم يختاروا التوحيد .

٦- قانون (العرب في الجاهلية) لم يكن عند الجاهلية قوانين مكتوبة ، وإنما كانوا يتحاكمون بالعرف القبلي والتقاليد والكهان وبعض مما بقي من ملة إبراهيم عليه السلام وكان عندهم بعض التشريعات الكفرية كالنسيء والوصيلة والطواف بالبيت عراة وإباحة الميتة والنكاح والسفاح الجاهلي.

٧- قانون أوروبا والغرب الكافر الحاضر والمعاصر .

كان القانون الكنسي والراجع إلى الكنيسة سائداً عندهم وكان مأخوذا من القانون الروماني وما شرعه الرهبان في أوروبا ، فكان الربا محرماً في أوروبا وفي الديانات النصرانية واليهودية وكانوا يحكمون بالدين المحرف وبعض القوانين الرومانية التي وضعها الملوك حتى جاءت الثورة الفرنسية العلمانية عام ١٧٨٩م ما يقارب ١٢٠٤هـ . ثم وضعوا مبادئ وحقوق للشعب والناس يتعارفون ويتحاكمون إليها، وبقوا حتى جاء نابليون بونابرت سنة ١٢١٣ فوضع قانوناً في فرنسا يتحاكم إليه الناس، فأعجبت به دول أوروبا وعظموا هذا الرجل كما عظم التتار جنكيز خان، ولم يمض وقت حتى ووضعت الدول الأوروبية قوانين متحذية بفرنسا وقانونها ولم يتخلف في ذلك إلا بريطانيا فقد كانت تحكم بما يسمى حكم الأعراف والسوابق، والجميع تأثر بالقانون السابق الذي ذكرناه القانون الروماني وشرع الرهبان وبعض الشريعة الإسلامية وأخذوا بعض قوانينهم من أحكام

الإسلام استفادوها من المسلمين حين كانوا يحكمون الأندلس ، وكل هـذه القـوانين ظالمة جائرة لا تفي بالحاجة وكل فترة تغير هذه القوانين وتبـدل لأن الـذي وضـعها ليس له صبغة التشريع فكانوا يستعينون بفقه المسلمين وحكمهم .

وقد ذكرنا هذا في أوروبا لأن له علاقة ببداية الاستعمار وبداية ذهاب بعثـات إلى أوروبا واخذ ما عندها من ثقافات .

تاريخ التشريع الشركي عند المسلمين :

كان المسلمون يحكمون بالشرع، وربما حكم بعض الأمـراء في بعـض أحكـام الشريعة ظلماً وفسقاً في قضايا معينة ويسمون هذا الخروج (سياسة) وهي سياسات جائرة وقد ألمح لذلك شيخ الإسلام في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم، إلا أن الحكم كان للشريعة فلم يكونوا مشرعين مشركين كما حصل في عصرنا الحاضر المتأخر .

وأقدم ضلال في تاريخ المسلمين في الحكم والهدي فإنه يعد عند غلاة الصوفية والرافضة الذين خرجوا عن الشريعة وأحلوا بعض المحرمات وأسـقطوا التكـاليف وسموا ذلك بالكشف واليقين وفضلوا طرق مشايخهم وطرق الحكـماء عـلى طريقـة الرسول ﷺ . وهؤلاء قد كفروا بفعلهم هذا بإجماع العلماء .

كذالك ما حصل على يد الباطنية القرامطة حين أقـاموا لهـم دول في البحـرين واليمن والمغرب ومصر وقد قام كثير من الحكام والأمراء والعلماء بجهادها .

أما في الحكم فلم يعرف الناس خروجا عن الشريعة خروجـا واضـحا إلا مـا فعله التتار حين شرعوا قوانين تخالف الشريعة حكموا بها النـاس وأسـموا قـانونهم بالياسق، وهي حادثة غريبة فريدة في القرن السابع الهجري.

والتتار من المغول من الترك، وقد قدموا مـن شرق آسـيا اسـتولوا عـلى الهنـد والسند وعلى أجزاء من الصين وأوساط آسيا وما وراء النهر ثم جاءوا عـلى العـراق واجتاح هولاكو وهو من أحفاد جنكيزخـان العـراق ودخلوهـا في عـام (٦٥٦هــ) واستولوا عليها وحكموا الناس بما يسمى (الياسق) وقد وضع هذا القانون ملكهـم (جنكيز خان) وهذا الرجل يعظمه المغول والتتار وبالغوا فيه .

وقد ذكر قصة التتار وقانونهم الياسق ابن كثير في البداية والنهايـة والمقريـزي في كتابه الخطط، وكان هذا القانون الياسق في مجلدين يحملان على بعير ويتحـاكمون إليه، وكان مصدره مجموع من شرائع شتى يهوديـة ونـصرانية والـشريعة الإسـلامية وأحكام أخرى اجتهدها من نفسه. ومن أمثلة هذا القانون قولهم : إن من أكل طعام قوم دون إذنهم فإنه يقتل ومن ورد على قـوم ولم يـضيفوه فـإنهم يقتلـون ومـن ذبـح بطريقة المسلمين فإنه يذبح كما ذبحت البهيمة وغير ذلك من القوانين.

ولما اعتنق ابن هولاكو الدين الإسلامي ولكن بقي يحكم بالياسق وكذا بعـده قازان، كما أسلم أيضا كثير من جنود التتار، فكفرهم العلماء ولم يحكموا بإسلام أحمد هولاكو ولا قازان ولا جنودهم وأوجبوا قتالهم، ومنهم ابن تيمية وابـن كثـير وابـن القيم وابن الأثير والمقريزي وغيرهم .

وقد كفر العلماء التتار ومنهم ابن تيمية وله الفتوى المعروفة فيهم .

كما كفرهم ابن كثير في تاريخه وتفسيره عند قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ المائدة: ٥٠ ، ونقل الإجماع على كفرهم وكفر من ترك الشريعة وتحاكم لغير شرع الله.

والعجيب أن المسلمين غير الرافضة لم يخضعوا لهذا القانون ولم يتأثروا بـه بـل دافعوا التتار وقاتلوهم ثم بعد قتالهم وإزالتهم لم يأخـذ أحـد مـنهم بـشيء مـن هـذا القانون بخلاف ما حصل في عصرنا حين دخل الاستعمار ديار المسلمين فما خرج إلا وفرخ أذناب له يحكمون المسلمين بقوانينهم العفنة المشركة الكافرة .

القانون الوضعي المعاصر عند المسلمين وكيف بدأ التشريع الشركي؟

ذكرنا آنفاً أنه لم يأخذ المسلمون تـشريعاً وقانونـاً منـذ بعثـة رسـول الله ﷺ إلى عصرنا إلا في عهـد التتـار وقـد قـاتلهم النـاس وكفـروهم وأخرجـوهم مـن بـلاد الإسلام، ولذلك ينبغي أن يعرف هذا التاريخ ليتبين كلام أهل العلم حـين يتكلمـوا في الحكم بغير ما أنزل الله فإنهم يقصدون به الحكم في قضاياً عينيـة كـما فعلـه حكـام بني أمية وبني العباس من ظلم أو جور، إذ لم يكن في عهد السلف مشرعين ولم يكـن حصل بعد خروج عن الشريعة كما حصل في زماننا من الوقوع في التشريع والتحليل والتحريم وشرك الحكم والطاعة وسن القوانين المخالفة للشريعة.

أولاً : الدولة العثمانية :

أشهر من حكم بالقوانين من حكام الدولة العثمانية (سليمان) الـذي يـسمى (بالقانوني) ٩٢٦-٩٧٤هـ، الذي أعجب بقـوانين أوربـا وابتـدع مـا يـسمى بتقنـين الشريعة وجعلها في شكل قوالب ومواد محـدده وحكـم بغـير شريعـة الله واسـتبدلها بوضع القوانين وسمى القانوني لذلك .

هذا وقد صارت القوانين في آخر الدولة العثمانية محل أخـذ ورد يـأتي سـلطان فيضع ويأتي آخر فيزيلها ويأتي الثاني فيغير فيها ويبدل .

فبدأوا بالجيش ثم أمور إدارية ثم البرلمانات ثم قـوانين في الميـدان التجـاري . وظهر من يدعي الإصلاح ويريد محاكاة أوروبا والغرب وتـسمى هـؤلاء بـالمتنورين فوضعوا قوانينا سموها التنظيمات حتى لا يخالفوا ويخرج العلماء عليهم .

وأول تقنين عندهم مستمد من القـانون الجنـائي الفرنـسي وضـعه الـسلطان عبدالمجيد بن محمود في عام (١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م) هذا القانون (إنـه لا عقوبـة إلا بنص) وفي هذا القانون إلغاء (للتعزير) الذي وضع الشارع ثم عدل بعـد ذلـك في قوانين أخرى وزيد فيه أمور كثيرة وهذا أول قانون حكم به في بلاد الإسلام .

ثم بدأت بعده قوانين فجاء بعد عشر سنين عـام (١٨٥٠م) قـانون التجـارة، وقوانين أخرى ثم وضعت مثل أوروبا البرلمانات والدستور في عهد عبدالحميد عـام (١٨٠٩م) . ولا زالت الدولة التركية عـلى ذلـك حتـى سـقطت عـام (١٣٤٣هــ) وأعلنت الجمهورية العلمانية وألغيـت الخلافـة والمحـاكم الـشرعية وحرمـوا اللغـة العربية والحجاب وصرح كمال أتاتورك بأن دين تركيا هو الدين العلماني .

وبهذا نعلم أن الدولة التركية دخلها الشرك من جهة الحكم بغير ما أنزل الله في كثير من القوانين، وقبل ذلك من جهـة شرك العبـادة وإقرارهـا الـصوفية القبوريـة وقامت بمحاربة دعوة التوحيد التي دعا إليهـا الـشيخ محمـد بـن عبـدالوهاب فلـم تستحق الريادة والقيادة ، خلافاً لمن يتباكى عليها.

ثانياً : التحاكم لأحكام القبائل الأعراف :

وقد فشا هذا الكفر والشرك في كثير من قبائل العرب والبادية في اليمن وبعض البلدان العربية التي القبلية فيها قوية في الصعيد وبدو الشام والعراق وصحراء أفريقيا وغيرهم .

قال حمد بن عتيق : (ومثل هؤلاء التتار ما وقع فيه عامة البوادي ومن شابههم من تحكيم عادات الآباء وما وضعه أوائلهم من الموضوعات الملعونة التي يسمونها شرع الرفاقة يقدمونها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع لحكم الله ورسوله) سبيل النجاة والفكاك ٨٣ .

وللشوكاني رسالة [الدواء العاجل في دفع العدو الصائل] وقد تكلم حول كفر من ترك التحاكم إلى الشريعة من الخارجين عن أحكام الدولة الإسلامية ورضي بأحكام الأعراف أو القبائل ونحوها في الديار اليمنية وكفر هؤلاء وحكم بكفرهم .

ثالثاً : تحاكم كثير من المسلمين والحكومات إلى الطاغوت ومحاكم الكفار:

أعظمها: التحاكم لهيئة الأمم المتحدة والاعتراف بمواثيقها والإيمان بشرعيتها.

مع ما في هذه الهيئة من مواثيق وقوانين ومواد مخالفة للشريعة ومصادمة لـدين رب العالمين ، من أعظمهـا المـادة (٩٢) الجهـاز القـضائي للأمـم المتحـدة والـدول الأعضاء فيها (محكمة العدل الدولية)، ولا يشك مسلم أنها تحكم بحكم الطـاغوت لا بأحكام الشريعة الإسلامية ، وهذا يجعل المتحاكم إليها كافرا مرتدا عن إسلامه .

كما أن مواثيقها تقـوم عـلى إلغـاء مبـدأ الـولاء والـبراء واسـتبداله بالتعـايش السلمي والسماح بالحرية الكفرية ونشر الإلحاد، كما تقوم على تكذيب نبينـا محمـد ﷺ وعدم إيجاب اتباعه وعدم معاقبة وتجريم من يقدح فيه وإبطال الـشريعة الإسـلامية والحكم بها في كثير من القضايا كالجهاد والجزية والرق والدخول تحت سيادة الكفار وأمرهم ، وليست مجرد عهد مع الكفار كما يزعم الكذابون، والحق أن هذه تشريعات قانونية وضعية وليست مجرد أحـلاف وعهـود أمـان وسـلم والـدليل تـسميتهم لهـا بالشرعية الدولية ومناداتهم بالاحتكام إليها مع ما فيها من قوانين تخالف دين الله ولا عبرة بصلح وعهد يحلل حراما ويشرع قانونا مصادما للشرع المنزل ، والعجيب ممـن يسوغ التحاكم لهذه الهيئة ويجيـزه بـشبهة حلـف الفـضول والإكـراه . والجـواب أن حلف الفضول قبل الإسلام ونزول حكم الله ، ثم إنه يقوم على نصرة المظلوم وليس على تشريع دين يحلل أمر حرمه الله أو يحرم ما أحله الله . وأما دعوى الإكراه فكذب فهناك دول كافرة أوربية وغيرها لم ترض بمواثيقها وتعترف بها وتدخل تحتها تحتكم لها . وصرح كثير منهم أن حقوق الإنسان في هذه الهيئة تصب في مصلحة اليهود.

رابعاً : تشريع القوانين الوضعية في الدول والحكومات الإسلامية :

وإليك كلام بعض العلماء الذين عاصروا هذا الشرك وكفروا الحكام والدول الواقعة في تشريع القوانين وتنحية الشريعة والاعتراف بشرعية الأمم المتحدة والتحاكم لمحكمتها .

قال ابن كثير في تاريخه: (فمن ترك الشرع المحكم المنزل وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر بإجماع المسلمين فكيف بمن تحاكم إلى الياسا) ١٣/ ١١٩ .

وقال الشيخ أحمد شاكر معلقاً على كلام ابن كثير: (أفرأيت هذا الوصف من ابن كثير لذلك القانون الوضعي .. أنه يصف حال المسلمين في هذا العصر في القرن الرابع عشر... إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا عذر لأحد ممن ينسب إلى الإسلام كائنا من كان في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها ، ألا فليحذر امرؤ نفسه وكل حسيب نفسه، ألا فليصدع العلماء بالحق غير هيابين وليبلغوا ما أمروا بتبليغه) عمدة التفسير ٤/ ١٧٣ .

قال محمد بن إبراهيم: (البلد الذي يحكم بالقانون ليس دار إسلام وتجب الهجرة منه عند القدرة) الفتاوى ٦/ ١٨٨ .

يقول ابن باز في رسالته نقد القومية : (وكل دولة لا تحكم بشرع الله ولا تنصاع لحكم الله فهي دولة جاهلية كافرة ظالمة فاسقة) .

وقال أحمد شاكر :(أفيجوز مع هذا في شرع الله أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس من تشريعات أوروبا الوثنية الملحدة ..) .

وقدمنا كلام أهل العلم مفصلا في ذلك في النقولات بما يغني عن إعادته هنا.

تاريخ القوانين الوضعية في الدول الإسلامية : وإليك شيئاً من ذلك :

أولاً : مصر :

حاول (نابليون) حين اجتاح مصر تغيير الشريعة فلم يستطع، وقد كانت المحاكم الشرعية تحكم الناس إلى سنة (١٨٥٦م) في عهد سعيد الخديوي حفيد محمد علي باشا الألباني، فوضع ما يسمى (المجالس القضائية المحلية) وقبله جده محمد علي باشا فوضع هذه المحاكم المحلية وضايق بها وقلص الحكم وعمل المحاكم الشرعية وفي سنة (١٨٨٠م) تألفت لجنة لوضع لائحة (للمحاكم النظامية) وأغلب الذين كانوا في هذه اللجنة من الصليبيين النصارى وافتتح توفيق الخديوي المحاكم الجديدة في عام (١٨٨٣م) وقد صدرت إلى التاريخ هذا ست قوانين هي (المدني والتجاري والتجارة البحرية والمرافعات في العقوبات والقانون الجنائي) وأبيح الربا في هذه القوانين ثم وضع الدستور المصري في عام (١٩٢٣م) وفي عام (١٩٤٩م) ألغيت المحاكم لوضع قانون مدني للمحاكم الأهلية على يد الدكتور عبدالرزاق السنهوري الرجل الذي جنى هو وأمثاله على دين الله ﷻ وقد عجت بكتبه المكتبات، وهو الذي شرح القانون الوسيط المصري ووضع هذا الخبيث المشرك قوانين كثيرة في دول عدة في أفريقيا وفي العراق .

وبعد قيام الانقلاب الجمهوري الذي أسقط العهد الملكي الخديوي عام (١٩٥٥م) ألغيت المحاكم الشرعية وأبقيت محاكم القوانين الوضعية .

وهذه طرق أعداء الله ومحاربتهم لدين الله فبدأ وبالتنظيم واللوائح ثم بوضع محاكم تحكم وتنازع المحكمة الشرعية خصيصتها ثم بوضع محاكم وضعية معترف بها

وتحاكموا إليها ثم نزعوا المحاكم الشرعية صلاحيتها ثـم ألغوهـا بالكليـة ووضـعوا الحكم كله والتشريع للمحاكم القانونية الوضعية .

ثانياً : الكويت : دخلتهم القوانين حين أصدر عام ١٣٨٢هـ ووضع قـانونهم المكون من ١٨٣ مادة الذي أصدره عبدالله سـالم الـصباح وفيـه الـسلطة التـشريعية يتولاها الأمير ومجلس الأمة وفي المادة ١٩٥ كل شخص متزوج رجلا كان أو امـرأة اتصل جنسيا بغير زوجه وهـو راض وضـبط متلبـسا بالجريمـة يعاقـب بـسجن لا يتجاوز خمس سنوات أو غرامة ، وتسقط العقوبة عن المرأة إذا تنازل زوجهـا فـانظر في هذه الحقارة الكفرية وتأمل .

ثالثاً : في العراق : حكم بالشرع وبالمجلة العدلية التي وضعتها الدولة العثمانية حتى سنة (١٩٥٣م) وأول من سعى لتغيير الشريعة وزيـر العـدل العراقـي (محمـد زكـي) في عـام (١٩٣٣م) وفي عـام (١٩٣٦م) وفـد إلى العـراق أسـاتذة القـانون فوضعوا بزعامة (السنهوري) فأخـذ يـنظم لهـم القـوانين، ولا زال في تغيـير حتـى وضعوا لهم القانون العراقي المعترف به في دولتهم (١٩٥٣م) .

رابعاً : في لبنان : في لبنان كـذلك كـان اعـتمادهم عـلى القـوانين رسـمياً عـام (١٩٢٩م) حين كانوا تحت الانتداب الفرنـسي وفي عـام (١٩٣٠م) صـدر القـانون الملكي وعام (١٩٣٤م) قانون الموجبات والعقود وتتالت القوانين .

خامساً : في سورياً : أراد المستعمرون الفرنسيون تنحية أحكـام الـشريعة كـما حصل في لبنان إلا أن أهل الدين جاهدوهم، ولمـا قامـت الحكومـات الوطنيـة بعـد جلاء فرنسا استطاعت تغيير الشريعة وأول قـانون وضـع عـام (١٩٤٧م) (قـانون

البينات) حتى حصل الانقلاب في عهد حسني الزعيم، ووضع القانون والتشريع المعترف به في سوريا وألغو الشريعة عام (١٩٤٩م) .

سادساً : في الأردن : بعد الحرب العالمية الثانية صارت الأردن تحت الانتداب البريطاني وأقدم التغييرات كانت عام (١٩٥١م) حيث صدر (قانون العقوبات وأصل المحاكمات) وقد اقتبس من القانون اللبناني والقانون السوري، وظلت مجلة الأحكام في الأردن يحكم بها حتى سنة (١٩٧٦م) حيث صدر القانون المدني وغيرت أحكام الشريعة، وإن كان وجد فيه بعض الأحكام المأخوذة من الشريعة إلا أن العبرة أنهم وضعوا لأنفسهم حق التشريع .

سابعاً : ليبيا : وضع قانون (قانون العقوبات) في عام (١٩٤٧م) .

ثامناً : السودان : وضع قانون العقوبات عام (١٨٩٩م) .

تاسعاً : في الهند وباكستان : كان العمل بالشريعة حتى احتلتها بريطانيا حيث وضع القوانين حين تأسست باكستان عام (١٩٤٧م) حيث ارتبطت برابطة بريطانية واعترفت بأحكام بريطانيا ، ولما أستطاع المسلمون في سوات إجبار باكستان على أن يحكموا بالشريعة قامت قائمة الغرب الكافر وأنكر أشد الإنكار واعتبره من الرجعية والإرهاب فهل بعد هذا الأمر يحتاج الناس لدليل يبين كيف أن القوانين ما سمح لها الغرب وعبيدهم إلا لما فيها من إبعاد الناس عن الدين وإباحة المحرمات والفواحش وترويج المنكرت وسرقة أموال المسلمين وإبقاء المسلمين على التبعية للكفار .

عاشرا : اليمن : كان الحكم بالشريعة فيها حتى عام ١٣٨٢هـ حين انقلب الجمهوريون على دولة الزيدية وكان آخرهم الإمام أحمد حميد الدين يحكم بالشريعة.

وقل مثل ذلك في بقية الدول العربية عمان والإمارات وقطر .

وفي بلادنا حين غزتها القوانين وظهر الاحتكام لها ومنها قانون المحكمة التجارية في ١٥/ ١/ ١٣٥٠هـ ، ونظام العمل والعمال في ٦/ ٩/ ١٣٨٩هـ ، وقانون المرافعات، وقانون هيئة فض النزاع وغيرها، بادر العلماء بالإنكار ، ومن ذلك :

ما قاله الشيخ محمد بن إبراهيم في بداية رسالته [تحكيم القوانين]التي ألفها في هذا الشأن : (إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين في الحكم به بين العالمين).

وقال عن نظام العمل : (فالنظام المشار إليه قانوني غير شرعي ولا يجوز إقراره أو تأييد ما بني عليه مطلقا) الفتاوى ١٢/ ٢٦٤.

وقال عن الغرفة التجارية : (مصادمة لما بعث الله به رسوله من الشرع الذي وحده المتعين للحكم بين الناس) ١٢/ ٢٥٠ . وفي رسالة بعدها يطالب بإلغائها.

قال عبد الله بن حميد في رسالته التي نقض فيها نظام العمل والعمال: (نظام العمل والعمال طالما كنت أسمع عنه وما فيه من الأحكام الباطلة المخالفة للشريعة الكاملة ... ولما قرأته وجدته أعظم مما كنت أسمع ...) الدرر السنية ١٦/ ٢٣٣.

وقال في هذا الشأن : (من أصدر تشريعاً عاماً ملزماً للناس يتعارض مع حكم الله فهذا يخرج من الملة كافر) في كتابه أهمية الجهاد .

والعجيب ممن يفتخر بمثل هذه المخالفات :

قال الدكتور عبد المجيد المغربي في كتابه تحت حركة التدوين والتشريع في المملكة : (فغير هذا الوضع بعد قيام الدولة السعودية وظهور الثروات الطبيعية ، مما دعا إلى الإصلاح والتغيير ... لهذه الأسباب كان لا بد من مواجهة الحياة الجديدة بسن تشريعات تلائم الحاجات المستجدة ، فصارت التشريعات في أصول المحاكمات والقوانين التجارية والجزئية وتشريعات العمل والعمال والضرائب وغيرها..) .

ومثله في كتاب أصول الأحكام ومبادئ الأنظمة لعبد العزيز النعيم .

ومثله في كتاب التشريعات في الدول العربية لمحمصاني .

وانظر للاستزادة :

فتاوى محمد بن إبراهيم الجزء الثاني عشر .

الدرر السنية الجزء السادس عشر.

الفصل الخامس: حالات ومناطات الذين يكفرون بالحكم بغير ما أنزل الله

وفيه أربع مناطات :

الأول : الجاحد لحكم الله ﷻ والمستحل لحكم الطاغوت ، وهذا مرتكب لكفر التكذيب والجحود .

الثاني : المشرع والمبدل والجالب للقوانين والملزم بها والمحلل والمحرم بغير سلطان من الله ﷻ ، وهذا مرتكب لشرك التشريع والحكم .

الثالث : الحاكم بغير ما أنزل الله تعالى وتارك حكم الله المعرض عن حكمه والممتنع عن الشريعة والملتزم حكم الطاغوت، وهذا ارتكب ما يسمى بشرك الحكم.

الرابع : المتحاكم والمطيع والمنفذ والمتبع والمحكوم بغير شرع الله ﷻ ، وهذا ارتكب صاحبه ما يسمى بشرك الطاعة والإتباع والتحاكم .

فعندنا أربع مناطات مكفرة :

الجحود وشرك التشريع وشرك الحكم وشرك الطاعة والتحاكم، وكل مناط يشمل صورا وأسباباً للكفر .

والأول كفره اعتقادي والبقية كفرهم عملي ، وكل الأقسام الأربعة كفر مخرج من الملة ، إلا في حالتين سنبينها في مسألة قادمة .

المناط الأول أو الحالة الأولى: الجحود والاستحلال :

الصورة الأولى : من يجحد حكم الله وينكره ويكذب به ويجحد أن يكون هنالك حكماً لله يلزم إتباعه وهذا يسمى المكذب أو الجاحد والمعطل .

الصورة الثانية : المجوز والمستحل وهو من ينكر وجوب حكم الله ﷻ وشرعه، كأن يقول لا يجب علي أن أحكم بما أنزل الله أو لا يجب الحكم بالشريعة ويجوز الحكم بالقانون أو بما يخالف الشريعة وهذا يسمى المجوز والمستحل .

الفرق بين الأول (الجاحد) والثاني (المستحل):

أن الأول ينكر وجود حكم الله ﷻ فهو مكذب بوجود أصل الحكم .

أما الثاني فمعترف بحكم الله ﷻ منكر لوجوبه يقول هنالك حكم الله لكن لا يجب علينا إتباعه ولا يجب التزامه فاستحل حكم الطاغوت وجوّزه.

أن الجحود متعلق بالوجود والواجب والاستحلال متعلق بالمحرم .

فالجاحد ينكر وجوب حكم الله والمستحل ينكر حرمة التحاكم بالطاغوت .

الصورة الثالثة : المفضل وهو من يفضل حكم غير الله على حكم الله تعالى .

الصورة الرابعة : الممثل والمساوي وهو من يقول : حكم الله مثل حكم غيره وشرع الله وشرع غيره سواء لا فرق في الفضل بينهما فهما في الحكم والفضل سواء .

الصورة الخامسة : المعترف والمقر والقابل بحكم الطاغوت، فمن أقر بحكم الطاغوت واعترف به وقبله فهو كافر كفر اعتقاد .

السادسة : الراضي بحكم الطاغوت ومريده، فمن ابتغى أحكام الطواغيت ورضيها فهو كافر : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ ﴾.

وحكم الطاغوت : هو كل حكم غير حكم الله ﷻ وبغير ما أنزل الله.

السابعة : الشك في حكم الله ﷻ سواء شك في فضله أو شك في وجوبه .

الصورة الثامنة : المستخف بحكم الله ﷻ المستهزئ به .

التاسعة: من يفرح بحكم الطاغوت ويسر بوجود القوانين ويفرح أذا شاهدها أو حكم بها أو تحاكم لها ويشمئز من الحكم بالشريعة ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ الزمر: ٤٥.

الصورة العاشرة: المبغض الكاره لحكم الله ﷻ وقد نص الله ﷻ على تكفيره وردته بقوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ محمد: ٩ .

الصورة الحادية عشرة: سب حكم الله ولمزه والقدح فيه والاعتراض عليه، ومن ذلك القول بأن الحكم بالشريعة لا يناسب هذا العصر وأن حكم الله لم يعد يصلح في هذه العصور فهذا جاحد مكذب وهو كافر كفر اعتقاد .

الصورة الثانية عشرة: محاربة حكم الله وصد الناس عنه .

الصورة الثالثة عشرة: المصحح وهو من صحح حكم الطاغوت أو توقف فيه فهو كافر كفر اعتقاد .

الصورة الرابعة عشرة: الإيمان بحكم الطاغوت وعدم الكفر به، فمن لم يكفر بالحكم بغير ما أنزل الله ويرفضه ويتمرد عليه ويرده ولا يذعن له ولا يطيعه ولا يستجيب له بل يكفر به ويحاربه ويكفّر أهله لم يكن كافر بالطاغوت الذي أمرنا أن نكفر به ومن ثم لا يعتبر أنه أتى بلا إله إلا الله، ولو أن شخصا حكم بما أنزل الله وفضله وأوجبه ولكن لم يكفر بحكم الطاغوت ولم يكفر بكل حكم مغاير لحكم الله

ولم يكفر بالأنظمة والقوانين الوضعية الطاغوتية وأصحابها أو صحح مذهبهم أو شك أو توقف في كفر هذه الطواغيت فهذا أيضاً كفر ناقل عن الملة .

الصورة الخامسة عشرة: المحب لحكم الطاغوت الفرح به.

الصورة السادسة عشرة: المادح لحكم الطاغوت المثني عليه المعظم له، كأن يمتدح القانون ويثني عليه ويعظمه ، ومن صور تعظيمه القيام عند تلاوة الحكم أو دخول المحكمة الوضعية بانحناء أو الحلف بالدستور فهذا كله كفر اعتقادي .

الصورة السابعة عشرة : الداعي لحكم الطاغوت وإلى تحكيم القانون وأنه مناسب للعصر وأنه أولى من حكم الله لأنه لم يعد يصلح في عصرنا .

وأصحاب هذه الصور كفار إجماعاً وقد قام بهم ناقضان:

ناقض الحكم بغير ما أنزل الله إن وجد .

ناقض الجحود والاستحلال وهذا كفر مستقل ولو لم يحكم بغير ما أنزل الله .

فالجاحد أو المبغض لحكم الله كافر حتى ولو حكم بما أنزل الله وكذلك المستحل والمجوز للتحاكم للطاغوت كافر ولو لم يحكم به ، وهذه الصورة مما يوافق عليها المرجئة لأنه متعلق بالاعتقاد وهم يكفرون بالاعتقاد وخالفوا في غيره .

تنبيه: من يعمل على نشر الحكم بغير ما أنزل الله أو يقوم بسن القوانين وتأييدها ونشرها وجلبها إلى بلاد المسلمين والحكم بها وإلزام الناس بالتحاكم إليها أو يفتح وينشأ الكليات لدراسة القانون دعوة إليها واستحسان لها .

وهذا القسم مختلف فيه هل جحوده واستحلاله قلبي فيدخل في هذا القسم أم جحوده عملي فيدخل في القسم الثاني الذي هو المشرع ؟

على قولين لأهل العلم والصحيح أنه من الكفر العملي المستلزم لكفر المعتقـد. وقد ذكرنا هذه الصور لوجود بعض أهل العلم من يجعل التشريع مـن قـسم الكفـر الاعتقادي، على خلاف سنأتي على ذكره إن شاء الله تعالى ، مع أن أهل العلم يجمعون على كفر من عمل ذلك سواء رأوه مستحلا بفعل ذلك أو رأوه غير مستحل .

المناط الثاني : التشريع والمشرع :

الجهة والمناط المكفر به هنا هو التشريع والتحليل والتحريم، وشرك التشريع كفر عملي مخرج من الإسلام وقولنا عملي أي يكون بأعمال الجوارح لا علاقة له بالقلب، فمن شرع فقد كفر ولا ينظر إلى اعتقاده واستحلاله، فإن استحل أصبح كفراً عملياً واعتقادياً وإن فضل تشريعه على حكم الله أو قال أن هذا هو حكم الله فكفره أعظم، فمن فعل التشريع مع عدم استحلاله وتفضيله فكفره كفر عملي ناقل عن الملة مثله مثل ساب الله تعالى والمستهزئ بآيات الله أو الساجد للصنم، فهذه كفريات عملية لا ينظر فيها إلى جانب الاعتقاد ولم يخالف إلا المرجئة .

وتحت هذا القسم وقفات :

الأولى : تعريف التشريع :

التشريع في اللغة مشتق من الفعل شَرَع ، ومن معانيه : بيّن ووضّح وأظهر ورفع وابتدأ وأورد وأنفذ وأنشأ وسن . فشرع الله لنا الدين أي بين وألزم ووضح وأمر وأوجب وسن وفرض، والدين ما يتدين به العبد ويلتزمه وينقاد له .

وتطلق الشريعة على الطريق والسبيل الظاهر والطريقة والعادة والنهج والمذهب . فلا يسمى الأمر شريعة إلا إذا كان ظاهرا بيننا ومنهجا متبعا .

والتشريع هو : إنشاء الحكم والإلزام به وإيجابه، وسن الشرع والدين والأوامر والنواهي والحلال والحرام ، وجعل الأمر والشيء منهجا متبعا ووضع الطريقة الظاهرة لتصير مذهبا وعادة .

وشريعة الله طريقته ومنهجه الذي أراده من عباده وسنها لهم .

والشريعة والدين والإسلام والفرائض والواجبات مترادفة المعنى.

وقوله: ﴿ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١: أي أن هؤلاء المشركين المشرعين وضعوا طريقة لأتباعهم واستقلوا بمنهج مصادم لدين الله وابتدعوا مذهبا لم يأذن الله لهم به وسنوا للناس دينا وأمرا ونهيا وواجبات ومحرمات ألزموا بها الرعاع واستقلوا بالأمر ونازعوا دين الله وضاهوا شريعته .

والتشريع بمعنى التحليل والتحريم وسن الدين، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ يونس: ٥٩﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾ الأنعام: ١٣٦﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ الرعد: ٣٣ ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ﴾ الزخرف: ١٥، فالجعل هنا بمعنى التشريع.

ويعبر عنه في لغة مشركي الزمان بالسلطة التشريعية العليا الآمرة والسيادة الحاكمة المهيمنة والقوانين الوضعية.

وهو وضع شرعٍ يضاهى به شرع الله وحكم يخالف حكم الله ويعارضه ودين غير دين الله يلتزم الناس به يحلل فيه ما حرم الله ويحرم ما أحل ويحمل الناس عليه .

وسمي تشريعاً وديناً لأنه صار للناس شرعاً يدينون به .

من ينحي الشريعة وحكم الله أو بعض شرعه ولو في مسألة واحدة، ويستبدله بشرائع وقوانين أخرى مضاهية لحكم الله من صنع البشر أو بدين منسوخ أو بعرف يحلل بها ما حرم الله ويحرم ما أحل الله ويقدم العمل بها على شرع الله تعالى يجعل هذه الشرائع والقوانين المستبدلة قانوناً ملزما للبلاد والعباد فهذا كفر بالإجماع .

الثانية : أمثلة للتشريع :

من أمثلة هذا المناط في هذا الناقض :

١- ما قامت به اليهود من تشريع لحد الزنا بالتحميم والتجبيب والجلد وتعطيل الرجم ، حين تكاتموا واصطلحوا واجتمعوا على تبديل حكم الله ﷻ كما في أسباب نزول سورة المائدة ونزل القرآن الكريم بتكفيرهم وتكفير من عمل بهذا العمل ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤.

٢- ما قام به مشركوا العرب بزعامة عمرو بن لحي الخزاعي من تشريع للسوائب والبحيرة والوصيلة .

٣- ما قام به مشركوا العرب من إباحة الميتة وزعمهم أنها ذبيحة الله وحاجوا الرسول ﷺ بذلك فأنزل الله ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١.

٤- ما فعلته قريش من تشريع قانون النسيء الذي فيه تأخير أشهر الحرم .

٥- ما فعلته ثقيف حين أسلمت من امتناعها عن تحريم الربا وكاد الرسول ﷺ أن يحاربهم ، وفيهم نزلت الآيات في سورة البقرة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾.

٧- ما قام به التتار ومليكهم جنكيز خان حيث وضعوا قانون الياسق وحكموا به بين الناس، وقد كفر العلماء التتار لذلك ومنهم ابن تيمية وابن كثير ونقل في تاريخه وتفسيره الإجماع على كفر العامل بذلك .

٨- ما ابتلينا به مما انتشر في عصورنا هذه من الحكم بالقوانين الوضعية والدساتير الغربية تحكيمها والعمل بها، أمثال القانون الفرنسي والمصري والقانون التجاري والجوي والبحري والمدني والجنائي .

٩- وضع لجان تشريعية تحلل للناس ما حرم الله وتدعوا للحرام وتسن القوانين المغايرة لحكم الله ﷻ ،ومن الأمثلة على ذلك : أن شرع الله ﷻ أن يرجم الزاني المحصن وشرع هؤلاء المشرعين أنه يسجن أو يعفى عنه إذا كان برضى المرأة، والسماح بالخمور في الفنادق السياحية، وأن الأجير يستحق الأجرة إذا مرض ولم يعمل وتلزم المحكمة مستأجره بتسليمه راتبه، وأن من يقترض من بنك يلزم في المحكمة التجارية بسداد الربا ولا ينظر في حكم الله ﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾. ونحو ذلك من التشريعات الشركية .

الثالثة : بدعة هذا الكفر في هذه الأمة والعالم الإسلامي المعاصر:

فهذا النوع من الشرك والكفر أول ما عرف في القرن السابع في عهد التتار وكانت حادثة فريدة وانبرى العلماء لبيانها وقام المسلمون بجهاد التتار وتكفيرهم.

ثم انتشر في عصرنا هذا الشرك والكفر القائم على القوانين الوضعية والتشريعات الشركية ودخلت مع المستعمرين ديار المسلمين، فأقرها كثير منهم واستساغوها واستحسنوها ودرسوها أبناءهم ، نعوذ بالله من الردة وأهلها.

الرابعة : موقف العلماء من شرك التشريع حين وقوعه :

انبرى العلماء الجهابذة لجهاد هذا الشرك الصراح والكفر البواح وتكفير أصحابه الذين عاصرو بدايته أول ما حصل في هذه الأمة وكان من أبرزهم :

العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله في رسالته تحكيم القوانين وفتاواه ورسائله التي حارب فيها هذا الشرك حتى أنه قرر في رسائله وفتاواه أن الدولة التي يوجد بها قانون ويحكم فيها بقانون واحد أنها دار كفر يجب الهجرة منها .

العلامة المحدث أحمد شاكر رحمه الله وأخوه محمود شاكر ، كما في تعليقاتهم عل الكتب كتفسير ابن كثير وتفسير الطبري وشرح الطحاوية والمسند وغيرها ، وللشيخ أحمد كتب نفيسة وهي: حكم الجاهلية وكتاب كلمة حق.

العلامة محمد الأمين الشنقيطي في أضواء البيان وغيره وقد كفر المشرعين.

الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله ومن كلامه في رسالته أهمية الجهاد: (ومن أصدر تشريعاً عاما ملزماً للناس يتعارض مع حكم الله فهو كافر خارج من الملة..) كما أن له رسالة في نقد نظام العمل والعمال والبراءة منه وطبعت بالدرر السنية .

ومن والعلماء الذين عاصروا هذا الشرك وأنكروه غير من سبق :

الشيخ محمد حامد الفقي .

الشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

الشيخ عبدالعزيز بن باز في رسالته وجوب تحكيم الشرع ونقد القومية.

الشيخ حمود التويجري .

الشيخ عبدالرزاق عفيفي له رسالة الحكم . وغيرهم كثير.

الخامسة : خلاف المرجئة الشنيع في عدم اعتبارهم التشريع ناقضاً :

خالفت المرجئة الإجماع ومذهب أهل السنة وأقوال العلماء وعارضوا كتاب الله ﷻ وصحيح الأحاديث في كفر من حكم وشرع في دين الله وحملوا ظلما وزوراً

قول ابن عباس رضي الله عنهما في حكام بني أمية: (كفر دون كفر) في تفسير آية المائدة على المشرع المحلل والمحرم .

واعتمدوا على كلام الألباني عفا الله عنه الذي عرف بالإرجاء في أبواب الإيمان والتكفير فلا يكفر بجنس العمل ولا يكفر بالأعمال الظاهرة .

وقد ظهر رد جيد للجنة الدائمة عليهم وبينت إرجائهم .

السادسة : أدلة كفر هذا المناط :

الله ﷻ حرم على خلقه مهما بلغوا أن يحللوا ويحرموا ويشرعوا بل حتى الرسل ليس لهم أن يشرعوا ويحكموا من عند أنفسهم فليسوا غير مبلغين عن الله شرعه وأمره ولا يحكمون إلا بما أراهم الله ﷻ ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ النساء: ١٠٥، لأن هذه الصفة التي هي الحكم والتشريع والأمر من أخص خصائص الرب ﷻ ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ ﴾ الأعراف: ٥٤، فالتشريع والحكم محظورة على الخلق، والله تعالى لم يأذن للناس أن يشرعوا ويسنوا الدين ﴿ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١ ، فهم أحقر من ذلك وهذه مرتبة لا يبلغها إلا من له الخلق والتدبير والملك والروبية والألوهية .

ويدل لذلك أدلة كثيرة جداً منها :

قوله تعالى :﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١، وسماهم الله ﷻ شركاء معه يشرعون .

قوله تعالى : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴾ يونس: ٥٩ .

قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١.

فسماهم أربابا لأن شركهم متعلق بالربوبية وهو أشد من الشرك في الألوهية .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٦٤.

قوله تعالى :﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ يوسف: ٣٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ الأنعام: ١٣٧.

قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ التوبة: ٣٧ .

تنبيه لطيف : جعل الله ﷻ تحليل ما حرم الله زيادة في الكفر ، فإذا كان الحكم بتأجيل حرمه شهور هو زيادة في الكفر فكذلك كل تشريع وحكم بغير ما أنزل الله ولو في مسألة واحدة هو زيادة في الكفر، فكيف بمن يزيد على ذلك بتبديل شرائع الله عز وجل كلها وينحي الحكم بالشريعة الإسلامية .

ومن كانت أحكامه الشركية وتشريعاته العفنة وقوانينه الكفرية قائمة على إباحة الخمر في الأماكن السياحية وعدم مؤاخذة الزاني إذا حصل برضى المرأة وتجويز الربا وحمايته والإلزام بسداده وغيرها من الأحكام الإلحادية أليست أولى بأن تكون من الزيادة في الكفر والردة المغلظة لا أن تكون من الكفر الأصغر الذي دون الكفر،

فالله تعالى حكم على المشرع الحاكم بأنه زاد في الكفر ومرجئة زماننا حكموا عليه بأنه كفر دون كفر وليس زيادة في الكفر فقاتلهم الله أنى يؤفكون .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ ، فإذا سمى الله مطيع المشرع مشركاً فكيف بالمشرع نفسه إن كفره أعظم وأولى بالتكفير من غيره.

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ النساء: ٦٠ .وتأمل وجه الكفر في هذه الآية من أوجه :

أولاً : أن الله تعالى كفّر المتحاكمين وأكذبهم في زعمهم للإيمان ﴿ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ﴾، فكيف بالحاكم الذي يتحاكم إليه ؟

ثانياً : أن الله ﷻ سمى المتحاكم إليه طاغوتاً ﴿ يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾.

ثالثاً: أن الله أمرنا بالكفر بالطاغوت والبراءة منه: ﴿ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ﴾، فكل تشريع وقانون وحاكم بهذا القانون يجب تكفيره والكفر بحكمه بنص الآية.

ومن الآيات المبينة لشرك التشريع وكفر فاعله: قوله تعالى :

﴿ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ يونس: ٥٩

﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾ التوبة: ٢٩

﴿ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ﴾ الأنعام: ١٤٠

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ النحل: ١١٦ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ التحريم: ١

﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ الأعراف: ٢٨

﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ المائدة: ١٠٣

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ الأعراف: ٣٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ المائدة: ٢

﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ﴾ الأنعام: ١٣٨

ومن الأدلة أيضا الآيات التي أثبتت اختصاص الله ﷻ بالحكم، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ الأنعام: ٦٢ ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ .

وغير ذلك من الآيات التي تقدم بيان جزء منها في مسألة سابقة في كفر الحاكم بغير ما أنزل الله والمشرع للتحليل والتحريم .

من أدلة شرك التشريع:

حديث عَديّ بن حاتم لما قال للنبي ﷺ حين سمعه وهو يقرأ : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ، إنا لسنا نعبدهم ، فقال النبي ﷺ : " أَلَيْسَ كَانُوا يُحِلُّونَ لَكُمُ الْحَرامَ فَتَسْتَحِلُّونَهُ ، وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْكُمُ الْحَلالَ فَتُحَرِّمُونَهُ ؟ " ، قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم . رواه الترمذي والطبراني والبيهقي والطبري.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ : (رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار ، وكان أول من سيّب السوائب) متفق عليه.

وفي رواية (وهو كافر ؛ إنه أول من غَيّر دين إبراهيم، وبحر البحيرة ، وسيّب السائبة ، وحمى الحامي) . أخرجه الطبري في تفسيره.

السابعة : الجهات المتعلقة بالتشريع :

الأولى : المشرع المحلل والمحرم الواضع للتشريع وسان القانون .

وهو المقصود هنا فمن جعل لنفسه حق التشريع واستشرف هذه الصفة الخاصة بالله (الحكم والتشريع) وشارك الرب ﷻ فيها، فهو كافر خارج عن الملة .

الثانية : الحاكم بغير ما أنزل الله الذي يحكم بالقوانين الوضعية .

الثالثة : المبدل والمنحي والملزم والجالب :

فمن بدل الشريعة بالقوانين الوضعية ونحى أحكام الله وتشريعاته لأجل القوانين أو ألزم الناس بأحكام القوانين أو جلبها إلى بلاد المسلمين وأدخلها، فهذا وقع في كفر ناقل عن الملة، وهذه الجهة لها علاقة بالمشرع من حيث أن المبدل والمنحي بدل وشارك في التبديل مع المشرع وله علاقة أيضاً بالمناط الثالث الذي هو الحكم فهو في منزلة الذي يحكم وإن كان من يباشر التشريع اشد شركاً ، والملزم أشد كفراً من حيث صد الناس عن دين الله تعالى .

الثامنة : حالات وصور التشريع التي يكفر بها فاعلها :

الصورة الأولى : المشرع والسان والواضع والمحلل المحرم وهو من يباشر التشريع وهو اشد الناس شركاً وكفرا.

الصورة الثانية : المبدل والمنحي .

الصورة الثالثة : الجالب لها وهو الذي يجلبها لبلاد المسلمين، فيجلب هذه القوانين والتشريعات الشركية الكفرية.

الصورة الرابعة : الملزم بها وهو من يلزم الناس بها .

الصورة الخامسة : الداعي لها كمن يفتح الكليات لتدريس القوانين ، وينشر الكتب في ذلك ويدرسها ويقوم بشرحها ونشرها .

الصورة السادسة : المستشار القانوني ومثله المحامي ، إذا تعلق عملهم بالاعتراف بالقانون الوضعي .

الصورة السابعة : المحسّن لها ومن يسعى لتحسينها ويثني عليها ومن يفضل القوانين الوضعية والتشريعات ويستحلها ويرضى بها.

الصورة الثامنة : الملتزم بحكم الطاغوت الحاكم به من قضاة أو حكام ، وهذا متعلق بالقسم الثالث وسنأتي عليه.

الصورة التاسعة : من يتحاكم إلى التشريع ما لم يكن مكرهاً مضطراً .

والعبرة أن كل من يشارك في التشريع بوضعه أو بإقراره أو بنشره أو مدحه أو العمل به أو غير ذلك، فإنه يكفر ويخرج من الملة وقد يكون كفره عملياً وقد يدخل مع ذلك في الكفر الاعتقادي كالذي يمدح حكم الطاغوت ويستحله ويفضله.

التاسعة : صفة المشرع :

المشرّع قد يكون فرداً حاكماً أو قاضياً وقد يكون جماعة وقد يكون التشريع لهيئة أو لجنة أو منظمة أو محكمة أو مجلس تشريعي .

ومن يجعل لنفسه حق التشريع والحكم ويستشرف هـذه الـصفة ويـشارك الله فيها فهو كافر غليظ الكفر سواء كان المشرّع سلطانا ورئيسا وأميرا أو حاكما أو قاضيا أو عالما كالمحلل والمحـرم أو عريفـا وفريـضا قبليـاً أو أنـه عـضوا في لجنـة تـشريعية كالمجالس النيابية والبرلمانية والمجالس الشعبية ومجلس الأمة وغير ذلك .

العاشرة : أن المشرع يكفر مطلقاً بكل حال :

سواء عُمِل بقانونه أو لم يعمل بقانونه بل حتى ولو لم يشرع فمجرد ما يرى أنه المشرع في هذا المحل أو أنه صاحب السلطة التشريعية أو ممن له حق التـشريع أو أنـه ضمن مجلس النواب التـشريعي أو البرلمـان التـشريعي أو لـه حـق إصـدار القـانون والتشريع والاقتراح في ذلك ونقضه أو أن له حق السيادة التشريعية، فهو كافر إجماعاً فمن فعل هذا العمل واتصف به أو ادّعى لنفسه الحق في الحكم والتشريع فهو كافر .

الحادية عشرة : أقسام المشرعين :

الأول : من يشرع ويقول : أن هذا الشرع الذي وضعه هو حكـم الله أو أن الله أمر بهذا وينـسبه إلى الله تعـالى . كـما هـو حـال بعـض مـشركين الجاهليـة في قـولهم الكاذب: ﴿ وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ الأعراف:٢٨، وهذا كفره كفر التكذيب وهذا يندر وجوده .

الثاني : من يشرع ويقول : هذا من عندي وليس من عند الله : وله حالتان :

الحالة الأولى : إن قال : ما جئت به أفضل من شرع الله تعالى أو مساو أو يجـوز أن أشرع والعمـل بـه وهـذا حـال أكثـر الحكـام كـما نـراهم يمـدحون تـشريعاتهم ودساتيرهم ويعظمونها ويقسمون بها ويثنون عليها .

الحالة الثانية : إن قال : شرع الله أفضل ولا يستحل ما قام به من تشريع ويقول أن ما قمت به من تشريع ومن الحكم بغير ما نزل الله فإن ذلك محرم ، وأن ما جئت به وشرعته ليس بأفضل ولا أصلح من حكم الله في هذا العصر و يدّعي هذا المشرع أنه ما فعل ذلك إلا مكرها أو ضرورة أو إرضاء للشعب أو خوفا من الكفار.

وهذه الحالة لو تصورنا وجودها فإنها تعتبر من الكفر المخرج من الملة وهي كفر بذاتها لأن صاحبها استشرف خاصية التشريع وضاهى الرب في أخص أوصافه وحكم بغير ما أنزل الله ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤.

وقد ذكر الله ﷻ كفر المشرّع مطلقاً سواء استحل أو لم يستحل، وعدم تكفير هذا الجنس هو تعطيل لأحكام الله واستهزاء بدينه ومخالف للإجماع وشك في التوحيد وتصحيح للشرك ودين الكفار وتجويز لهذا الكفر وعدم تكفير للمشركين وتصحيح لمذهبهم أعاذنا الله من كل ذلك .

الوقفة الثانية عشرة : التشريع الكلي والجزئي :

المشرع والمبدل والجالب للقوانين الوضعية يعتبر فعله كفراً مطلقاً سواء كان تبديله وتشريعه في كل الشريعة أو في جزء منها كالمعاملات أو أنه متعلق بحكم واحد فقط ومسألة واحدة يضع لها قانونا عاما متبعاً .

فمن وضع قانوناً واحداً يحكم به ويلزم به في مسألة واحدة فإنه كافر إجماعاً، فلو شرع حاكم للناس وألزمهم بأن من استدان رباً فإنه يجب عليه سداده فإنه يكفر بالإجماع، ولو كان موافقاً لحكم الشريعة في كل أحكامه، فإنه بمجرد هذا القانون يخرج من الملة، فكيف إذا جمع قوانين أخرى فكلما أتى بشرع عذب به وزاد كفره

والدليل قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ التوبة: ٣٧ ، فهم كفار قبل ذلك ولكن تشريعهم النسيء في أشهر الله الحرم زاد في كفرهم وهذا الذي عليه أهل العلم من أهل السنة .

الثالثة عشرة : العلاقة بين التشريع والقانون :

التشريع والقانون بمعنى متقارب وسنذكر المسائل المتعلقة بالقانون في مبحث مستقل إن شاء الله تعالى .

الرابعة عشرة : العلاقة بين التحليل والتحريم والتشريع :

التشريع أعم من التحليل والتحريم فالتشريع غالبا يطلق على ما جمع بين أمرين الأول التحليل والتحريم والثاني الحكم به والإلزام وجعله دينا وشرعا متبع .

وإن كان التحليل والتحريم يعتبر تشريعاً من حيث الأصل، إلا أن الإلزام والحكم به كفر آخر وهو أشد كفراً وأغلظ وأعظم، ويسمى في الغالب قانوناً فمن أفتى بحل الربا ليزيد اقتصاد الحكومة مثلاً أو الزنا في فنادق السياحة فإنه يعد مشرعا محللا كافراً ومن ألزم الناس بهذا الحكم ووضع قانوناً فيه فيعتبر مشرعاً وهو أشد كفراً لوقوعه بالتشريع والإلزام والحكم .

وغالبا التحليل والتحريم يقوم به العلماء والفقهاء ، بينما التشريع يقوم به الحكام والأمراء ويكون ممن له سلطة .

الخامسة عشرة : الفرق بين التشريع والتنظيم الإداري :

التنظيم الإداري لا يعد تشريعاً فقد وضع عمر رضي الله عنه ديوان الجند ووضعت دواوين متعلقة بالمظالم والزكاة والعمال ونحو ذلك .

وقد خالف في التنظيم الإداري طائفتان : الأولى عدوه من التشريع مطلقاً دون تفصيل، والأخرى أدخلوا فيه التشريع وتحليل ما حرم الله باسم التنظيم.

وسنأتي بالضابط في الفرق بين الأمرين ومرد ذلك لوجود التحليل والتحريم.

السادسة عشرة : الفرق بين المشرع والمبدل والجالب والمنحي والحاكم :

المشرع هو الذي يباشر التحليل والتحريم ويعد مبدلاً جالباً .

والمبدل أو الجالب هو من يعمل بهذا التشريع أو يلزم به أو يدعو إليه ويعتبر مشرعاً في الجملة ولو لم يكن هو الذي وضع هذا التشريع.

كذلك كل مشرع يعتبر حاكماً بغير ما أنزل الله وليس كل حاكم بغير ما أنزل الله يعتبر مشرعاً فقد يحكم الحاكم بغير ما أنزل الله بشرع وقانون غيره، فلا يعتبر مشرعاً ، كالحاكم والقاضي في المحاكم الوضعية الذي يحكم بالقانون الوضعي فهذا لا يعد مشرعاً وإنما حاكماً بالتشريع والقانون الشركي .

وهذا التفريق يفهم منه أن المشرع أشد كفراً وأغلظ ردة من الحاكم والجالب والمبدل ، ولا يفهم منه كما يفهم المرجئة أن المبدل والجالب والحاكم ليسوا بكفار مشركين لأن مناط الكفر عندهم هو التشريع وليس الحكم بذلك التشريع .

السابعة عشرة : أوجه الكفر في الحكم والتشريع كثيرة :

منها أنه نقض صاحبه التوحيد ووقع في الشرك في شرك الربوبية والألوهية وشرك التعطيل والتمثيل ، ونقض الشهادتين أركانها وشروطها ومقتضياتها ، ونقض صاحبه حقيقته الإيمان وأركانه ، ونقض حقيقة الإسلام ، ووقع في الإعراض عن دين الله والإباء والامتناع عن الانقياد له، وانتقاص حكم الله.

وغير ذلك كما تقدم في مسألة سابقة ، فكل وجه ذكرناه من أوجه كفر الحاكم بغير ما أنزل الله ففي المشرع ظهوره أوضح وأولى من غيره .

الثامنة عشرة: حكم المشرع ونوع شرك التشريع:

المشرّع واقع في كفر وشرك التشريع الذي هو أشنع أنواع الشرك والكفر لأن التشريع من خصائص الربوبية ولذلك من وقع فيه فقد أشرك في ربوبية الله تعالى مع شركه في ألوهيته ومن هذا الوجه سماه الله تعالى رباً وسماه طاغوتاً لأنه تجاوز الحد في الكفر والشرك وشارك الله في فعله ورد عليه قوله :﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ .

وإذا كان الله تعالى كفّر المتحاكم والمطيع في قوله: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ﴾ النساء: ٦٠. فما بالك بالحاكم والمشرّع ؟

أيضاً المشرع يكفر مطلقاً حتى ولو فضل شرع الله ، وحرّم عمله واعتقد كذب نفسه، وحتى لو لم يشرع إلا في مسألة واحدة ولو ادّعى مع ذلك الإكراه فإن هذا لا يعتبر مانعا من كفره وإخراجه من الملّة فيجب تكفيره سواء كان حاكماً أو عضواً أو مشرعاً مستقلاً أو مشاركاً في التشريع فالحكم فيهم سواء .

قال ابن تيمية: (والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال أو بدّل الشرع المجمع عليه كان كافرا مرتدا بالاتفاق) الفتاوى٣/ ٢٦٧.

المناط الثالث : الحاكم والحكم بغير ما أنزل الله :

الوقفة الأولى : مناط التكفير في هذه القسم :

هو التزام الحكم بغير ما أنزل الله .

الوقفة الثانية : تعريفه :

هو من يقوم بشرك الحكم فيباشر الحكم بغير ما أنزل الله ، ملتزماً ذلك ، معرضاً عن حكم الله متولياً عنه وتاركاً له ورادا له، منقاداً ملتزما بحكم الطاغوت.

فالمذعن المستسلم الملتزم بحكم الطاغوت، والرافض والمعرض والممتنع عن حكم الشريعة، كافر بلا خلاف ، أما من يحكم في بعض القضايا بغير ما أنزل الله فسيأتي الكلام عنه .

فهو واقع في كفرين :

الإعراض عن حكم الله ، والشرك في حكمه وعدم الكفر بحكم الطاغوت .

الوقفة الثالثة : أدلة كفر صاحب هذه الحالة الحاكم :

أولا : الآيات التي فيها في إثبات اختصاصه بالحكم : منها

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠، والحكم من العبادة التي لا تصرف إلا لله .

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ الأنعام: ٦٢

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤، فمن له الخلق له وحده الحكم والأمر.

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾ الأنعام: ١١٤.

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة: ٥٠

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ الأنعام: ٥٧، ويقص قرأت بالمعجمة يقض الحق من القضاء والفصل والحكم.

﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ ، وقرأ ابن عامر ولا تشرك ،والحاكم مشرك بنص الآية.

﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ الرعد: ٤١

﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ المائدة: ٤٨

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ النساء: ١٠٥

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الشورى: ١٠

ثانيا : الآيات التي نفت الإيمان عمن حكم بغير شرع الله وحكمت بكفره :

قال تعالى في بيان هذا الأصل :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ الأحزاب: ٣٦

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ النور: ٥١

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ﴾ النساء: ٦٠. وإذا كفّر الله ﷻ المتحاكم فكفر الحاكم من باب أولى كما سمى الله الحاكم طاغوتاً وأوجب الله علينا الكفر به.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ النساء: ٦١

﴿ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المائدة: ٤٣ .

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ المائدة: ٤٧ .

﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ النساء: ٥٩

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾ المائدة: ٤٩

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ النساء: ١٠٥

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الشورى: ١٠

﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ النور: ٤٨

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١

﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران ٦٤

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١

﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١.

وغير ذلك من الأدلة التي ذكرناها في بداية هذا الناقض .

الوقفة الرابعة : الفرق بين الحكم بالقانون والحكم بالهوى :

لا فرق في الحاكم بين أن يحكم بقانون أو أن يحكم بالعرف والعادة أو يحكم بسلوم القبائل والعشائر ومذاهبها وعاداتها أو من يحكم بمجرد هواه دون اتباع

قانون معين، فمجرد ما يترك حكم الله تعالى معرضاً عنه غير منقاد لـه ولا ملتـزم بـه فهذا بذاته يعتبر كفراً ، وإن كان الحكم يتفاوت في غلظة الكفر فالحاكم بالقانون أشد كفراً ممن يحكم بمجرد هواه لأن الحاكم بالقانون ارتكب كفرين :

الأول : الإعراض عن حكم الله تعالى والوقوع في شرك الحكم وهذا يـستوي فيه هو ومن حكم بهواه .

الثاني : الإيمان بالطاغوت وهو القانون والاعتراف به . ومن هذا الوجه صـار الحاكم بالقانون أشد كفراً من الحاكم بمجرد هواه الملتزم به وكليهما كفرهم كفر أكبر مخرج من الملة وإن لم يستحلوا هذا العمل .

الوقفة الخامسة : المقصود بالحاكم :

هو من يباشر الحكم أو يقوم به سواء كان فرداً كقاض أو حاكم، أو كان جماعة يحكمون كقضاة في محكمة أو هيئة حاكمة أو لجنة أو مجلس يعقد للحكم، وكـل مـن يباشر الحكم بغير ما أنزل الله ويقوم به أو يشارك فيه أو يرض بـه فهـو داخـل تحـت قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤.

الوقفة السادسة : الحكم الشركي كفر سواء كان في محكمة وضـعية قانونيـة أو خارجها :

لا فرق في الحكم بغير ما أنزل الله بين أن يحكم الحاكم به في محكمـة شرعيـة أو محكمة وضعية قانونية أو يحكم به خارج نطاق المحاكم أو يكون مستشارا قانونيـا أو يكون حكماً مرتضى من طرفين أو مصلحاً أو حاكماً في قبيلة عارفاً بسلومها وعاداتها، لا فرق بين هؤلاء في الحكم لأن مناط التكفير هو الحكم بغـير مـا أنـزل الله، ولـيس

أصل الحكم خاصاً بالعمل في محكمة وضعية قانونية، وإن كان مجرد العمل بمحكمة قانونية وضعية يعد كفراً لأن لازم ذاك الانقياد والاتباع لما يصدر منها والرضا بوجودها، فعلة التكفير متعلقة بالحكم بغير ما أنزل الله، وعليه لا فرق لو حكم بغير ما أنزل الله بين أن يحكم بذلك في محكمة شرعية أو يحكم في محكمة قانونية وضعية أو يحكم خارج المحكمة أو يحكم بالقانون أو يحكم بمجرد هواه بما أنه التزم بحكم غير حكم الله تعالى تاركاً لحكم الله غير قابل له ملتزم به ولا منقاد به ولا متبع له فهذا بحد ذاته كفر وردة .

الوقفة السابعة : أمثلة للحاكم بغير ما أنزل الله :

من يحكم في المحاكم الوضعية من قضاة القانون .

الذين يحكم في مجالس القبائل بين الخصوم ويسمى بالفريض والعارف بالمذهب، وربما سموا حكمهم صلحاً وتحكيماً ويحكمون بحكم لا يوافق حكم الله ﷻ كأن يقتل بالشريف شريفاً سواء كان قاتلاً أو غير قاتل وكقولهم في سوق المال قتل رجال .

القاضي الذي في محكمة شرعية ولا يحكم في السارق بقطع اليد مطلقا ولا يلتزم بحكم الله في هذا الحكم فتراه إما أن يحكم بالسجن أو الجلد دائما أو لا يحكم بالرجم مطلقا مع ثبوته عنده وكأنه مخير في إمضاء حد الرجم وتركه ونحو ذلك وهذا بخلاف من يترك حكم الله في قضية عينية واحدة عن هوى وظلم كما سيأتي .

وهؤلاء كفار بإجماع العلماء حتى لو علم فاعله أن حكمه يخالف الشرع ولم يستحل ذلك فإن استحله كان كفره اعتقادي راجع للقسم الأول .

الوقفة الثامنة : الفرق بين المشرع والحاكم والمبدل والملزم :

القاعدة : أن كل مشرع يعتبر مبدلا وحاكماً بغير ما أنزل الله وليس كل حـاكم بغير ما أنزل الله يعتبر مشرعاً كالقضاة الذين يعملون في المحـاكم الوضـعية فهـؤلاء حكام بغير ما أنزل الله وهم وإن كانوا في الكفر والردة سواء إلا أن الذي وضع هـذه التشريعات والقوانين الذي هو المشرع هو أشد كفراً من الحاكم لأنه وقـع في نـاقض الحكم وناقض التشريع شرك الحكم وشرك التشريع .

أيضاً أن كل مبدل ومنحي للشريعة وملزم بالقانون يعد حاكماً بغير ما أنزل الله وكذا الحاكم له شيء من التبديل لشرع الله ﷻ .

وإن كان المبدل وجالب القوانين الملزمة والمبدل بها الشريعة له سلطة وتبديلـه أعم وأشمل والحاكم أخص وقائم بالمحكومين .

الوقفة التاسعة : علة تكفير الحاكم بغير ما أنزل الله :

وهو داخل في عموم سبب كون الحكم بغير ما أنـزل الله ناقـضاً مـن نـواقض الإسلام وقد ذكرناها في مسألة سبقت .

وخلاصة القول : أن الحاكم بغير ما أنزل الله علة تكفيره ترجع في جهات :

الأولى : أن الحـاكم واقـع في كفـر الإعـراض والتـولي والإبـاء والامتنـاع والاستكبار والصدود، وأعظم الإعراض كفرا ما كان إعراضا عن عبادة الله والحكم بشريعته والتحاكم إليه من أعظم مقتضيات عبادته التي مـن تـولى عنهـا فهـو كـافر الكفر الأكبر .

العلة الثانية : أن الحاكم ترك حكم الله والالتزام به والانقياد لشرعه وقبول أمره وأعرض عن دين الله ، فلم تتوفر فيه شروط (لا إله إلا الله) ومن شروطها: الانقياد والقبول، والذي يحكم بغير ما أنزل الله فهو غير منقاد فيعتبر كافرا بها كفراً عملياً ولذلك قال تعالى :﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥.

العلة الثالثة : أن الحاكم واقع في الشرك بالله في الحكم الدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠، والحكم من العبادة التي لا تصرف إلا لله.

فالحاكم مشرك في الحكم وقد سماه الله عز وجل طاغوتاً ورباً وإلهاً ، وإذا كان الله ﷻ قد كفّر المتحاكم إلى الحاكم بغير ما أنزل الله والمطيع الذي أطاعه في تشريعه وحكمه وتبديله وتحليله وتحريمه :﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ النساء: ٦٠. فإن الحاكم والمطاع من باب أولى أن يكفر وتجري عليه حكم الردة وكفره أولى .

العلة الرابعة : أن الحاكم واقع في عدم طاعة الله ورسوله ومتابعة الرسول ﷺ ومن لم يتابع الرسول ﷺ ويطيعه فهو كافر ناقض لشهادة أن محمداً رسول الله والدليل قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ النساء: ٦٥ ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ الأحزاب: ٣٦﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ النور: ٥١.فليس لمؤمن

خيار في الأخذ بحكم الله عز وجل فإما أن يقبله ويأخذ به ويتابع الرسول ﷺ وإما أن يكون غير مؤمن بنص الآية.

الوقفة العاشرة : سمى الله الحاكم المشرك طاغوتا ومشركا وجاهلي:

أن الحكم بغير ما أنزل الله يعتبر من الجاهلية ويوصف بها قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ المائدة: ٥٠ فما ثم إلا حكم الله أو حكم الجاهلية والطاغوت ولا قسم ثالث والحاكم بغير ما أنزل الله حاكم جاهلي ويعتبر طاغوتاً بنص القرآن :﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ﴾ النساء: ٦٠.

وقد عد محمد بن عبدالوهاب الحاكم المشرع أحد رؤوس الطواغيت الخمسة، والطاغوت يطلق على الحاكم المشرك وعلى حكمه وعلى المحكمة التي يحكم فيها .

الحادية عشرة : كفّر الله المتحاكم وفي هذا دليل على كفر الحاكم من باب أولى :

دليل ذلك قوله تعالى :﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ﴾ النساء: ٦٠ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ .

وقوله في المنافقين :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ النساء: ٦١ وغير ذلك من الآيات التي جعلت المتحاكم إلى غير شرع الله كافر والإعراض عن حكم الله تعالى حكماً وتحاكماً كفر وردة وهو من نواقض الإسلام، والمعرض عن التحاكم لشرع الله كافر فكيف إذا بالحكام نفسه المعرض عن حكم الله .

الوقفة الثانية عشرة : أصناف الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله :

الصنف الأول : الجاحد لحكم الله تعالى وجحود حكم الله تعالى يكون بأمور، إما أن يجحد بلسانه وبقلبه أو يجحد بلسانه دون قلبه وهذا حال اليهود أو أن يجحد بالقلب فقط مع إظهار الإقرار وإدعائه وهذا حال المنافقين أو أن يجحد بالعمل دون اللسان وهذا يسمى الاستحلال العملي ومن صورة الممتنع عن الشريعة وكالذي يضع المحاكم الوضعية والكليات القانونية ويدافع عنها وينشرها ويستميت في إظهارها وقمع المخالفين لها .

وهذه درجات الجحد، وقد ذكرنا الجحود والاستحلال في المناط الأول من مناطات التكفير ويدخل فيه المستخف والمستهزئ ونحو ذلك .

الصنف الثاني : الحاكم المشرع وهو الذي يشرع ويحكم بتشريعه ويضع القوانين ويسنها للناس، وهو كافر مطلقاً ولو لم يضع إلا قانوناً واحداً كأن يقول : من سرق لا تقطع يده أو من استدان رباً فيلزمه السداد، وهذا الصنف ذكرناه في القسم الثاني من حالات الكفر في الحكم ومناطاته .

الصنف الثالث : المبدل والمنحي للشريعة والملزم بالقوانين الوضعية والتشريعات الكفرية ومن يجلبها إلى بلاد المسلمين وهذاالصنف أيضاً داخل في عموم القسم الثاني وهو المشرع.

الصنف الرابع : القاضي والحاكم بغير ما أنزل الله من غير أن يشرع أو يجحد وهذا له أقسام وأحكام .

القسم الأول : من يحكم بقانون أو بالعادات أو بأعراف القبائل ويلتزمها وهذا كافر خارج من الملة .

القسم الثاني : من يلتزم الحكم بغير ما أنزل الله ديدنه ذلك، وهو الأصل عنده أن يحكم بغير ما أنزل الله ولا يحكم بما أنزل الله ولا يتبع ما أنزل الله ولا ينقاد لأحكام الله وإنما يحكم بهواه متبعاً وملتزماً بما يمليه رأيه وعقله.

كمن لا يحكم بما أنزل الله في كل الأحكام أو بعضها كأن لا يحكم بالشريعة مطلقاً في معاملات البنوك أو رجم الزاني المحصن وقتل اللوطي أو لا يحكم في حد السرقة بالقطع مثلاً لا يقطع يد السارق مطلقاً كلما جاءه سارق إما أن يجلده أو يسجنه أو يتركه ولا يلتزم بحكم الشريعة في القطع.

ومن هذه حاله فهو كافر مطلقاً خارج عن الملة لأنه معرض عن حكم الله ممتنع عنه غير منقاد به ولا قابل له، ولا يشترط في تكفيره أن يستحل الحكم بغير ما أنزل الله. ولم يخالف في تكفيره إلا المرجئة واشترطوا في تكفيره الاستحلال وجعلوه مثل من يقضي في مسألة واحدة والأدهى من ذلك أنهم زادوا في إرجائهم المستخبث حتى ذهبوا إلى أن المشرع لا يكفر إلا إذا استحل ولهم في ذلك شبهات سنوردها ونرد عليها إن شاء الله تعالى .

القسم الثالث : من يحكم بما أنزل الله تارة ويحكم بغير ما أنزل الله تارة أخرى ولكن الأكثر أن يحكم بغير ما أنزل الله وأكثر أحواله أنه يعرض عن حكم الله تعالى وهذا وقع فيه خلاف بين أهل العلم فمن أهل العلم من كفره واعتبره غير ملتزم بالشريعة مستحلا بعمله ومن أهل العلم من أعده مع قسم رابع سيأتي .

القسم الرابع : من يحكم في قضية معينة بغير ما أنزل الله متعمدا وليس مخطأ ولا مستحلا، فيتعمد ترك حكم الله بشهوة أو ظلم أو ابتغاء رشوة أو هوى أو غير ذلك، ولا يكون حكمه عاماً وتشريعاً ملزما للناس ، ولا يكون ملتزماً هذه الصفة.

ومثاله : أن يأتيه السارق بينه وبين القاضي قرابة أو عطف عليه فلا يقطع يده ولا يحكم عليه بحد السرقة ويقول ما ثبت لدى أنه سرق وما توفرت شروط السرقة أو نحو ذلك، وفي بقية أحوال هذا الحاكم أنه يحكم بما أنزل الله ولكن في هذه القضية بعينها وليست كل قضية سرقة وإنما يحكم في قضايا قليلة ومعينة بغير ما أنزل لا أنه يلتزم الحكم بغير ما أنزل الله وإنما ملتزم بما أنزل الله وفي بعض القضايا يخرج عن الحكم بما أنزل الله ويحكم بهواه ، فمن هذه صفته لا يعد كفره كفراً مخرجاً من الملة وإنما كفراً أصغر (كفر دون كفر) كما روي عن ابن عباس في بعض حكام بني أمية.

تنبيه: قال بتكفير هذا النوع من الحكام بعض أهل العلم حين وكفروا صاحب هذه الحال وأدرجوه مع الذي يلتزم الحكم بغير ما أنزل الله ، كما قال به الخوارج .

كما أنه ينسب هذا الرأي إلى زيد ﷺ وابن مسعود ﷺ عندما سئل عن الرشوة، فقال :(هي السحت) فقيل له : في الحكم ذلك؟ قال: (ذلك الكفر، ثم تلا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾. رواه ابن منصور والصنعاني والطبراني.

وكلامهم قد يحمل على الاستحلال أو أنه على الأصغر أو أنه رأي لهم .

هذا وسنأتي بالأدلة وكلام أهل العلم على أن الحاكم في قضية معينة لا يكفر، وأما المكثر فالحكم بتكفيره مسألة اجتهادية اختلف فيها أهل العلم .

وعلى ذلك فالقاعدة هنا التفريق بين أن يحكم بغير ما أنزل الله مطلقاً ممتنعاً عن حكم الله ﷻ كلما جاءه سارق لا يحكم فيه بالقطع وكلما جاءه زان حصن لا يرجمه وبين من كان الأصل فيه أنه يحكم بما أنزل الله ولكن حكم بغير ما أنزل الله في بعض القضايا بهوى ونحوه، فكفر هذا كفر أصغر وفعله من الكبائر إلا أنه لا يخرج من الملة، ولا يكفر هذا إلا إذا استحل أو حكم بقانون قصدا مقرا به، أو كان حكمه في مسائل التوحيد مخالفة مسائل التوحيد . كما سيأتي في شروط تكفيره .

القسم الخامس : وهو من يحكم في قضية معينة بغير ما أنزل الله مستحلا لعمله وهذا يكفر بالاستحلال والجحود .

أو تكون القضية المعينة كفر بذاتها وناقضة لأصل التوحيد، كمن يحكم بإقرار الشرك وإبقاء القبور والطواف بها، أو يجيز نشر مجلة فيها سب لله وسخرية برسوله واستخفاف بدينه، أو يحكم بقانون قصدا مقرا به وإيمانا منه بالطاغوت، وهذا كافر مطلقاً لأن كفره من جهة نقضه للتوحيد وليس بمجرد أنه حكم في قضية معينة .

وسنأتي على شروط عدم تكفير الحاكم في القضايا المعينة في مسألة مستقلة إن شاء الله تعالى .

تنبيه : لا يدخل المشرع في التقسيم السابق في الحاكم وأصنافه وكونه لا يخرج من الملة في بعض الصور :

فالتقسيم السابق لا يشمل المشرع، فالمشرع وكذلك المبدل والملزم كفار مطلقاً ولا فرق أن يشرع في قانون واحد أو أن يشرع في قوانين متعددة والتفريق خاص بالحاكم .

الوقفة الثالثة عشرة : أحوال الحكام :

الأول : الذي يحكم بما أنزل الله وهذا له أجران .

الثاني : من يحكم بما أنزل الله ولكن حكم بغير ما أنزل الله عن طريق الخطأ غير متعمد الحكم بغير ما أنزل الله وليس بمفرط أو جاهل ، وهذا مخطئ وله أجر على اجتهاده معذور في خطأه .

الثالث: من يحكم بغير ما أنزل الله متعمدا،وهذا بينا حالاته في الوقفة السابقة.

الوقفة الرابعة عشرة : المكثر من الحكم بغير ما أنزل الله :

من كان الأصل فيه الحكم بما أنزل الله، لكن يكثر مخالفة شرع الله في الحكم، فهذا وقع الخلاف فيه بين العلماء وسبب الخلاف فيه هو الاختلاف في تحقيق شروط لا إله إلا الله في هذا الحاكم هل توفر فيه شرط الانقياد والقبول أم لم تتحقق فيه ؟

فمن قال : أنها وجدت وأنه منقاد ومذعن وملتزم وقابل وأن الحكم بغير ما أنزل الله كالإكثار من الزنا ونحو ذلك أعده مسلما .

ومن أهل العلم من قال : هذا وقع في جنس الحكم والحكم منه ما هو كفر أكبر ومنه ما هو كفر أصغر وعدم الالتزام بالحكم بما أنزل الله يلحق بالكفر الأكبر لأنه غير منقاد ولا قابل لحكم الله تعالى .

ومن ذلك اختلاف السلف في الحجاج لما أكثر الحكم بالقتل وغير من الشرع، وممن قال بكفره من السلف الشعبي وسعيد بن جبير وتوقف فيه آخرون .

قال القاضي عياض : (حجة الجمهور أن قيامهم على الحجاج ليس لمجرد الفسق، بل لما غير من الشرع وأظهر الكفر) شرح مسلم في حديث إلا أن تروا كفرا.

المناط الرابع والحالة الرابعة : التحاكم والطاعة والإتباع :

وتحت هذا القسم وقفات مبينه لهذا القسم وهذه الحالة والوجه من مناط التكفير في الحكم .

الوقفة الأولى : مناط الكفر في هذه الحالة التحاكم والطاعة :

التحاكم إلى غير ما أنزل الله وطاعة المحللين والمحرمين ومتابعة المشرعين واتباع حكم الطاغوت والدخول فيه اختيارا ، والمتحاكم والمطيع والمتبع كفرهم متعلق بالتحاكم والطاعة ، وهو ما يسميه العلماء : شرك الطاعة وشرك التحاكم وشرك الانقياد وشرك الاتباع.

وشرك التحاكم راجع إلى شرك الحكم وكفر الإعراض وكفره وارد من جهة التحاكم للمشرعين الطواغيت الحاكمين بغير ما أنزل الله وإتباعهم، وطاعة المشرعين والحاكمين والمحللين والمحرمين واتباعهم .

قال ابن تيمية: (النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم لغيره) الصارم٣٣.

الوقفة الثانية : الفرق بين الحكم والتحاكم والتشريع من جهات أهمها :

الفرق بين هذه الحالة والحالات السابقة.

الأولى : أن الحاكم هو الذي يقوم بإصدار الحكم بغير ما أنزل الله والمتحاكم هو المحكوم عليه والمتبع والمذعن والمطيع لذلك الحاكم ، فالمتحاكم ليس حاكماً ولا مشرعاً .

الثانية : أن التحاكم والطاعة والإتباع الشرك فيها شرك في الألوهية، وشرك الطاعة والتحاكم والإتباع والانقياد نوع من أنواع شرك الألوهية .

وأما التشريع والحكم شركهما في الربوبية .

فالحاكم شركه في الربوبية والمتحاكم شركه في الألوهية .

الثالثة : أن شرك الطاعة أو التحاكم أو الاتباع أو المحكوم بغير ما أنزل الله فيه ما هو كفر أكبر وفيه ما هو كفر أصغر وكذا الحالة الثالثة وهي الحاكم بغير ما أنزل الله فيه كفر أكبر وكفر أصغر أما الحالة الثانية وهي التشريع فلا تكون إلا كفراً أكبر ولا تأتي كفراً أصغر ولا يمكن أن يكون المشرع أو المبدل أو الجالب للقوانين كفره كفراً أصغر .

الرابعة : أن التشريع والحكم والتحاكم كلها من الشرك العملي وقد يدخل فيها شرك الاعتقاد إذا قارن الجحود لحكم الله والتحاكم له والاستحلال لحكم غيره والتحاكم له أما إذا لم يصاحبه فيبقى على الكفر العملي .

الوقفة الثالثة : تشتمل هذه الحالة على نوعين ومناطين :

المناط الأول : التحاكم إلى غير ما أنزل الله .

ودليل هذا النوع قوله تعالى :﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ النساء: ٦٠ .

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ النساء: ٦٥.

المناط الثاني : طاعة المشرع والحاكم والمحلل والمحرم وإتباعه .

ودليل هذا النوع قوله تعالى :﴿ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ .

وقوله تعالى :﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ مع ما جاء من قصة عدي بن حاتم رضي الله عنه .

هذان قسمان لهذه الحالة (التحاكم) وهي داخلة في عموم الإتباع والاتخاذ والطاعة والتحاكم .

الوقفة الرابعة : أدلة كفر أصحاب هذا المناط:

قوله تعالى :﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ النساء: ٦٠ .

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ النساء: ٦٥.

قوله تعالى :﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ .

وقوله:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١.

﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾آل عمران ٦٤ .

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ الأحزاب: ٣٦.

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ النور: ٥١.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ النساء: ٦١.

﴿ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المائدة: ٤٣ .

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الشورى: ١٠

﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ النساء: ٥٩ .

﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ النور: ٤٨

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ النساء: ١٠٥ .

ومن أدلته الآيات التي في حقيقة عبادة الشيطان وأنها الطاعة والحكم والتشريع . منها : ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾ مريم: ٤٤

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ يس: ٦٠.

ومن أدلته ما جاء في سبب نزول آية: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ ، وهي قصة عمر ﷺ مع الرجل الذي ترك وتولى وأعرض عن حكم الرسول ﷺ وأقبل إلى حكم عمر بعد أن حكم الرسول ﷺ وأبو بكر فيه ، فقتله عمر لأنه ترك وأعرض عن حكم الرسول ﷺ وأراد التحاكم إلى غيره، وهذا الرجل لم يكن مفضلاً لحكم الطاغوت وكان يعلم أن حكم الرسول ﷺ أفضل ولكن منعه إرادته أخذ شيء من المال والغلبة في الدعوة وانتصاره على خصمه فترك حكم الله ﷻ إلى حكم الطاغوت فنزل القرآن الكريم بتكذيبه وتكفيره، وتقدم .

وغير ذلك من الأدلة الدالة على وجوب التحاكم إلى ما أنزل الله وكفر المتحاكم إلى غير ما أنزل الله، فمن تحاكم أو اتبع واتخذ حاكماً يحكم له بغير ما أنزل الله أو يطيعه في غير ما أنزل الله وفي التحليل والتحريم فقد وقع في كفر يوجب الخروج من الملة ويبيح المال والدم .

الوقفة الخامسة : المحاماة : يدخل في هذا المناط الكفري ما يسميه الناس بالمحاماة وهي من مخلفات القوانين الوضعية، فالمحامي نائب عن موكله في المرافعات وهي على قسمين سيأتي الكلام عنها والجائزة منه ما كانت بمثابة الوكالة الشرعية ولم تسقط حكم الشرع ولم تقم على القوانين الوضعية .

الوقفة السادسة: شروط تكفير المتحاكم إلى الطاغوت :

يشترط في تكفير المتحاكم إلى الطاغوت وجود ثلاثة أمور :

الأول : أن يعدل ويتولى ويعرض عن التحاكم إلى حكم الله وشرعه مع وجود حكم الله تعالى وإمكانه مستبدلاً له بالتحاكم إلى غير حكم الله تعالى من الشرائع والقوانين الوضعية الكفرية الشركية الطاغوتية.

الثاني : أن يتحاكم إلى الطاغوت وليس مكرها، فإذا تحاكم من غير ضرورة تبيح له هذا الكفر ولو لم يجد غيره كان كافرا.

وهذا والذي قبله كفرهم كفر عملي ، فبمجرد ما يعرض عن التحاكم لحكم الله تعالى ويتولى عنه إلى التحاكم للطاغوت مع إمكانية وجود حكم الله أو لا يكون مكرهاً في تحاكمه ، فهذا يعتبر خارجاً عن الملة .

الثالث : أن يرضى بحكم الطاغوت ويريده ويطلبه أو يستحسنه ويرغب فيه وهذا يكفر مطلقاً حتى ولو لم يتحاكم إلى الطاغوت وهذا كفره اعتقادي .

فإذا لم يوجد هذه الأمور والشروط أو أحدها فلا يكفر المتحاكم .

الوقفة السابعة: حكم المضطر إلى التحاكم إلى حكم الطاغوت :

وصورته : من لا يجد إلا حكم الطاغوت كالذي يعيش في دول لا تحكم إلا بالقوانين ولا يمكنه إيجاد حاكم بالشرع ولا يستطيع استيفاء حقه أو دفع الأذى عنه أو كف شر معتد عليه إلا عن طريق هذه المحاكم الوضعية فتحاكم لها وهو غير راض بها فما حكمه ؟

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين :

الأول : من قال بحرمة عمله لأن التحاكم للمحاكم الطاغوتية كفر بذاته ولا يبيح فعل الكفر شيء غير الإكراه كما نصت الآية ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ النحل: ١٠٦.

وهذا القول عندي هو الصواب فالرخصة نصت على المكره دون المضطر والضرورات مبيحة للمحرمات التي دون الكفر أما الكفر فلا يبيحه غير الإكراه والله أعلم، لكن الضرورة إذا وصلت لدرجة الإكراه المعتبر شرعا صار لها حكمه.

القول الثاني : أن هذا التحاكم يعتبر جائزا وغير محرم :

ودليلهم: أن من هذه حاله فهو مضطر والمضطر ضرورة بالغة يلحق بالمكره في الحكم فالضرورات تبيح المحرمات وهي تقدر بقدرها فإذا كانت الضرورة بالغة جاز له وإن لم تكن كذلك حرم عليه التحاكم فالله أباح للمضطر ما لم يبح لغيره: ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ الأنعام: ١١٩، كما أن مناط الكفر في التحاكم أمور جاءت في النصوص وهي إرادة التحاكم والمضطر غير مريد للتحاكم ، وأن كفره متعلق بالإعراض عن حكم الله إذا دعي له وهذا لم يجد من يحكم له بحكم الله حتى يقال عنه متولي ومعرض فلا يتصور الحكم إلا مع وجود حكم الله، كذلك هو في تحاكمه للطاغوت كافر به ليس منشرح الصدر به فيكون في حكم المكره الذي رخص له .

كما استدلوا بحديث الحجاج بن علاط السلمي عند أحمد : في نيله من النبي ﷺ أمام قريش وذلك لأخذ حقه وماله منهم وتجويز الرسول ﷺ له ذلك ، فقالوا أن انتزاع الحق وإرجاع المال يلحق بالإكراه في الترخص بفعل الكفر كما رخص لعمار.

وقد يجاب عنه : بأن ذلك خاص بالرسول ﷺ فهو الذي أذن له وهـو اسـتأذن قبل أن يفعل مما يدل على أن الأصل في هذا العمل المنع .

ثم إنه ليس في قول الحجاج سب وقدح وإنما موه علـيهم بـذكر أخبـار كاذبـة بهزيمة الرسول ﷺ وتعريض وتورية .

ثم اختلف أصحاب القول الثاني: أيهما الأولى للأفـراد عنـد الـضرورة لأخـذ حقوقهم أن يتحاكموا إلى القوانين في المحاكم الوضعية أو يتركـوا التحـاكم إلى هـذه المحاكم حتى ولو ضاعت حقوقهم المادية أو المالية وذهبت أموالهم للكفار؟

على قولين وأكثرهم أوجبوا تقديم مصلحة التوحيد وتعظيم مفـسدة الوقـوع في الشرك على غيرها فالأولى عدم التحاكم بلا شك، لأن ترك التحـاكم للطواغيـت وإعلان الكفر بها وإظهاره أولى من أخذه الحقوق مع تضييع الكفر بالطاغوت.

ومنشأ الخلاف في أصل هذه المسألة هو حقيقة الضرورة :

هل الاضطرار يلحق بالإكراه في الحكم ويقاس عليه أم لا ؟ ومـا هـو ضـابط الإكراه المعتبر به شرعاً ؟

تنبيه : اختلف أهل العلم في ضابط الإكراه .

فمنهم من خصه بالتعذيب وذهاب النفس أو بعض البدن وأذيتـه كالـضرب، ومنهم من أدخل في السجن أو أخذ المال .

تنبيه : مع قولنا بتحريم التحاكم للمضطر فقد وجـد مـن قـال بكفـره مطلقـا ونحن لا نقول بذلك بل نقول بخطأ مـن حكـم عـلى المتحـاكم المـضطر بـالكفر ولم

يعذره بالتأويل ، كما وأخطأ من حكم على المكفر بأنه على مـذهب الخـوارج، فنقـول مخطئ ولا نقول خارجي.

على ما تقدم تقريره نقول : مـن يجـد المحـاكم الـشرعية أو حـاكماً شرعيـاً ثـم يعرض عنه ويقول أعلم أن حكم الله أفضل ، فهذا لا يقبل منه ويعتبر كافرا خارجـاً من الملة لأنه معرض ومتول عن الشرع ، أو أنه لم يجد محاكم شرعية لكـن تحـاكم إلى حكم الطاغوت في أمر تافه من غير ضرورة فهو كافر ، والأشد منه كفـراً مـن رضي بالمحـاكم الطاغوتيـة واستحـسن حكمهـا واعتقـد أفـضلية التحـاكم إلى القـوانين الوضعية فهذا زيادة في الكفر وكفره كفر اعتقـادي ولـو لم يتحـاكم، وإن كـان مجـرد وجود التحاكم إلى المحاكم الوضعية كفر عملي يخرج من الملة بمجرده .

نازلة: أباح البعض توكيل المحامي للمحاماة عـن المـسلمين المـسجونين عنـد الكفار مع تحاكمهم للمحاكم الطاغوتية، وهذا قول باطل لأن المصلحة لا تجوز فعل الكفر.

الوقفة الثامنة : أقسام المتحاكمين إلى غير ما أنزل الله :

الأول : من يتحاكم إلى غير حكم الله تعالى وهو مريد لذلك الحكم راضـياً بـه مختاراً له محباً له فهذا يكفر وإن لم يتحاكم له فمجرد إرادته ورضاه واختياره ومحبتـه، ومن قبيل هذا القسم من يقول: لا يصلح التحاكم في قضايا المعاملات أو السياسات أو خلافات الدول للمحاكم الشرعية .

الثاني : من يعرض أو يترك التحاكم إلى شرع الله ﷻ مع إمكانية التحاكم أو مع وجود المحاكم الشرعية أو وإمكانية إيجاد حكم الله ويتحاكم إلى حكم غير الله ﷻ وهذا يكفر ويخرج من الملة .

فهذا الكفر العملي في التحاكم : وضابطه التولي والإعراض والترك ورد حكم الله ﷻ والصد عنه وعدم الانقياد له وقبوله والإذعان له والالتزام به .

ومناط تكفيره الإعراض عن شرع الله ﷻ والتولي عن حكم الله ورسوله .

الثالث : من يتحاكم إلى المحاكم الوضعية مكرها لا يجد غيرها ولا يرضى بحكمها فلا يتوفر فيه شروط التكفير .

الوقفة التاسعة: أمثلة التحاكم الشركي الكفري للطاغوت :

تحاكم كثير من الناس للمحاكم القانونية الوضعية الغير شرعية كالمحاكم التجارية والمدنية والعمالية .

التحاكم إلى السلوم والقبائل ويوجد هذا الشرك عند كثير من القبائل والأعراب حتى قالوا (كسر الخشوم ولا كسر السلوم) أي: القتل وذهاب الرقاب ولا ذهاب أحكام القبائل والتحاكم إليها والحاكم بالقانون القبلي سواء كان شيخ القبيلة أو ما يسمونه بالعارف والعريفة أو الفريض ويحكم بين المتخاصمين في الدماء والحدود والجنايات والمعاملات وغير ذلك فالحاكم الذي سوغ لنفسه أن يحكم بغير ما أنزل الله بأنظمة القبائل وعاداتها خارج عن الملة كافر والذي يتحاكم إلى القبائل أيضاً خارج عن الملة.

الوقفة العاشرة: مذاهب الناس في المتحاكم :

الأول : وهو من غلا في تكفير المتحاكمين حتى وصل به الأمر إلى تكفير الشعوب الإسلامية لوجود محاكم وضعية يتحاكم إليها كمحاكم مدنية وقانونية وأهلية وتجارية وعمالية وغير ذلك وكفروا كل من هو مقيم في البلاد التي تحكم بالقوانين الوضعية، إلا إن انتمى إلى حزبهم وجماعتهم وبايعهم وأعلن أنه يكفر المخالف وهذه القول يوجد عند جماعة التكفير والهجرة التي أسسها في مصر مصطفى شكري وهذه الجماعة ومن تابعها صارت على منهج الخوارج .

كذلك يوجد ممن غلا في هذا الباب من أهل العلم فكفر كل من يتحاكم إلى المحاكم الوضعية مضطرا وهو كافر بها لكن لا يجد غيرها لأخذ حقه .

الثاني : وهو من لم يكفر المتحاكم مطلقاً إلا إن استحل واعتقد أن حكم الله لا يصلح وأن حكم غير الله هو الأفضل والأكمل وهذا ينتشر في المذهب الإرجائي الخبيث الذي عم أفكار كثير من المسلمين وأفسدها وزعموا أن الحاكم بغير ما أنزل الله فضلاً عن المتحاكم مؤمن لا يكفر بمجرد هذا العمل ما دام أنه لم يستحل .

الثالث : وهو المتوسط وهو من يكفر المتحاكم إذا وجد فيه أحد أمرين ذكرناهما إما الإعراض عن حكم الله ﷻ والتولي عنه ، وإما رضاه بوجود هذه المحاكم الوضعية وإقراره لها واعترافه بها وإرادته حكمها وهذا يكفر ولو لم يتحاكم إلى هذه المحاكم .

مسألة : الرد على من جعل مناط الكفر في التحـاكم متعلـق بـالإرادة وخـاص بالاعتقاد ومحلها في الباطن :

ليس شرطاً في تكفير المتحـاكم أن يفـضل حكـم الطـاغوت فإنـه بمجـرد مـا يعرض يعتبر قد كفر بنص الآية: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ النساء: ٦٠ .

وقد تعسف بعض المرجئـة وحمـل الإرادة هنـا عـلى التفـضيل والاسـتحلال الاعتقادي ، وقال بعض أهل العلم أن من ترك حكم الله إلى غيره مـع وجـوده فقـد فضل حكم غير الله عز وجل تفضيلاً عملياً ولو لم يعترف بلـسانه، والله كفـر كـما في الآيات بمجرد الطاعة والإتباع والاتخاذ والتحاكم دون اقتران الاعتقـاد وهـذا مـن الكفر العملي مـا نـصت عليـه الآيـات : ﴿ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ .﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ النساء: ٦٠ .﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١. ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ النساء: ٦٥.

قال ابن تيمية: (النفاق يثبت ويـزول الإيـمان بمجـرد الإعـراض عـن حكـم الرسول وإرادة التحاكم لغيره) الصارم٣٣.

قال الشنقيطي: (كل من اتبع تشريعاً غير التشريع الذي جاء به سـيد ولـد آدم ﷺ فاتباعه لذلك التشريع المخالف كفر مخرج من الملة) أضواء البيان ٣/ ٤٣٩ .

قالت اللجنة في جوبها رقم ٨٠٠٨ وفيه ردها على من جعـل منـاط التكفـر في التحاكم متعلق بالإرادة ومحلها في الباطن ولا يمكن الاطلاع على ذلـك ومعرفـة : (المراد بالإرادة في قوله ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ النساء: ٦٠ ما صاحبه فعل أو قرائن وأمارات تدل على القصد والإرادة بدليل ما جاء في الآية التي بعد هذه ﴿ وَإِذَا

قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ النساء: ٦١ ، ويدل على ذلك سبب النزول الذي ذكره ابن كثير وغيره في تفسير هذه الآية، وكذلك المتابعة دليل الرضا، وبذلك يزول الإشكال القائل إن الإرادة أمر باطن فلا يحكم على المريد إلا بعلمها منه وهو غير حاصل) .

قال ابن القيم في تفسير آية ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ : (نكرة في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقه وجله، جليّه وخفيّه، ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه ولم يكن كافيا لم يأمر بالرد إليه، إذا من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع. ومنها أن الناس أجمعوا أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ ، هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته. ومنها أنه جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان، ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه، ولا سيما أن التلازم بين هذين الطرفين، وكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر. ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه). إعلام الموقعين (١/ ٤٩) .

الخلاصة : أن التحاكم إلى غير شرع الله تعالى كفر عملي لا يشترط معه الجحود أو الاستحلال أو التفضيل لحكم الله ﷻ .

الوقفة الحادية عشرة : طاعة المبدلين المحللين والمحرمين :

مناط الكفر في شرك الطاعة القبول والاتباع وليس الاستحلال والجحود لأنهما كفر بحد ذاته ولو لم يحكم .

أخطأ الكثير ممن خاض في غمار هذه المسألة ووقع في شباك شبهاتها القاتلة وارعوا لقول المرجئة الأفاكة، حين قالوا أن شرك الطاعة لا يكون شركا إلا بالاعتقاد والاستحلال، وأن من وقع في شرك التحاكم وطاعة المشرعين المحللين المحرمين لا يكفر بمجرد طاعتهم واتباعه لهم ما لم يقارن فعله جحود واستحلال . وقولهم الباطل نرده من أوجه ومنه وحده نستمد العون :

١ – أن مناط الكفر في هذا الشرك ما صرح به سبحانه في كتابه في قوله : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ محمد: ٣.

وهي مجرد الاتخاذ والطاعة والاتباع وكما فسرها الرسول ﷺ لعدي بن حاتم فرتب الشرك على مجرد طاعة أولياء الشيطان في تشريعهم وليس في ذلك الاستحلال والجحود، وفي قصرها على الجانب الاعتقادي عدول عن مناط التكفير .

تحقيق ضابط شرك الطاعة والاتباع والاتخاذ والتحليل :

عن عَديّ بن حاتم قال: أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي، اطرح هذا الوثن من عنقك، فطرحته ، وانتهيت إليه وهو يقرأ : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ ، قال قلت: يا رسول الله إنا

لسنا نعبدهم ، فقال النبي ﷺ : " أَلَيْسَ كَانُوا يُحِلُّونَ لَكُمُ الْحَرامَ فَتَسْتَحِلُّونَهُ ، وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْكُمُ الْحَلالَ فَتُحَرِّمُونَهُ ؟ " ، قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم .

رواه الترمذي والطبراني والبيهقي والطبري وغيرهم . كلهم من طريق عبد السلام بن حرب عن غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن عدي به. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث. ويروى نحو عن حذيفة ﷺ موقوفا.

وقد وردت عدة ألفاظ للحديث تفسر بعضها منها :(اتبعوهم ، أطاعوهم ، حللتموه ، فتحلونه ، وفي لفظ : ،يأمرونهم فيأتمرون وينهونهم فينتهون).

قال الطبراني في تفسيره : اتبعوهم وتركوا أوامر الله .

وقال حذيفة وابن عباس اتبعوهم فيما حللوا وحرموا خرجه الطبري عنهم .

وفي الآية : (اتخذوا ، وأطعتموهم).

وهي تبين حقيقة شرك الطاعة والاستحلال الذي وقع من الأتباع وأن حقيقته تقوم على الاتباع والقبول الظاهر وليس استحلال القلب الباطن.

قال ابن كثير : (وقوله تعالى ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ أي حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك كقوله تعالى ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ ، وقد روى الترمذي في تفسيرها حديث عدي..) .

وقال الشنقيطي : (كل من اتبع تشريعا غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم فاتباعه لذلك التشريع كفر بواح مخرج من الملة) الأضواء ٣/ ٤٣٩ .

وقال : (وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله، إنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم) الأضواء ٤ / ٨٣ ، ٧/ ١٦٢-٥٨٤-٦١٤ .

قال ابن تيمية: (معلومٌ بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق المسلمين أن من سوّغ إتباع غير دين الإسلام أو إتباع غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر) ٢٨ / ٥٢٤ .

وقال : (بين سبحانه أن من دعي إلى التحاكم إلى كتاب الله ورسوله فصد كان منافقا وليس بمؤمن، فالنفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم لغيره) الصارم٣٣.

وقال : (ومتى ترك العالم ما علمه من كتاب الله وسنة رسوله واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله كان مرتدا كافرا) الفتاوى ٣٥/ ٣٧٢.

وقال ابن القيم: (من دعي إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى كان من المنافقين).

٢- أن الكفر والشرك كما يكون بالاعتقاد يكون بالعمل ولم يخالف في ذلك سوى المرجئة فجعلوا مناط شرك الطاعة والتحاكم والاتباع هو الاستحلال، وقصر شرك الطاعة والاتباع على الاستحلال دخول صريح في مذهب المرجئة .

٣- أن الاستحلال والجحود واعتقاد ذلك كفر بمجردها ولو لم يحصل شرك التشريع والحكم وشرك الطاعة والتحاكم، ولو لم يطع المشرع.

٤- أن الكفر نوعان: نوع جحود وتكذيب ونوع كفر عملي متعلق بالإباء والاستكبار والامتناع والتولي والصدود والترك والإعراض ، والآيات التي في هذا

النوع من الكفر والتي مناط الكفر فيها عملي قائم على الصد والتولي والإعراض والامتناع والإباء كثيرة جدا ذكرتها في كفر الإعراض والامتناع .

تنبيه : المقصود من كلام ابن تيمية في شرك الطاعة وحقيقة معناه:

قال ابن تيمية: (هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله على وجهين :

الأول : أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعوهم على التبديل فيعتقد تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل هذا كفر سماه الله شركاً وقد جعله الله شركاً .

الثاني : أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحرام وتحريم الحلال ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعله المسلم في المعاصي وهؤلاء يأخذون حكم العصاة). الإيمان ص: ٧٠ .

كلام ابن تيمية هذا قد يظن المرجئة أن في حجة لهم وليس كذلك لوجوه منها:

١- أن كلامه رحمه الله معناه القبول والمتابعة في التبديل .

٢- أنا نحمله على ذلك لوجود النقولات الكثير الصريحة عنه المدللة على ذلك وقد سقنا بعضها في مسألة كلام أهل العلم في شرك الحكم .

أنه ابن تيمية في التدمرية أدخل قبول الشرع ورفض ما سواه في التوحيد العملي ، فلو كانت الطاعة في التحريم مقيدة بالاعتقاد دون العمل ومجرد نسبة الصدق إلى المخبر دون الانقياد والإذعان للحكم لذكره في الأول توحيد الاعتقاد .

٣- ولو فرضنا أنه قصد الاعتقاد والاستحلال فحسب وحاشاه رحمه الله أن يقول بما يفهم منه مذهب المرجئة، لكان مردودا عليه ومخطأ فيما قاله وكل يؤخذ من قوله ويرد عليه والكمال لله وحده والعصمة لرسوله ﷺ .

٤- أن الاستحلال والجحود ليس خاصا بالقلب وتكذيب اللسان بل يتعداه فيشمل الاستحلال العملي الفعلي، فليس شرطاً أن يصرح بلسانه ويقول : أنا قبلت ورضيت فمجرد ما ينقاد ويذعن ويتبع ويطيع أو يوجد علامة على قبوله فإنه يعتبر قد كفر وخرج من الملة.

الوقفة الثانية عشرة : أوجه كفر المتحاكم إلى غير شرع الله:

وأعظم ما ينقض دين المتحاكم افتقاده أركان وشروط لا إله إلا الله خصوصا الانقياد والقبول والكفر بالطاغوت .

ومن تحاكم إلى الطاغوت أو تحاكم إلى المحاكم الشركية والوضعية فهو لم يكفر بالطاغوت، وإذا انقاد لها وقبل حكمها فقد نقض شروط (لا إله إلا الله) ولم يأت بشرط الانقياد وينقد لله، لأن من انقاد لحكم الطاغوت فإنه لم ينقد لحكم الله ﷻ ومن انقاد إلى حكم الله تعالى استلزم منه ألا ينقاد لحكم غيره وألا يرضى بحكم غيره ويكفر بحكم غيره، لأن لا إله إلا الله نفي وإثبات يؤمن بالله ويكفر بالطاغوت ينقاد لحكم الله ويترك حكم الطاغوت ويمتنع عن حكمه ويقبل حكم الله ويرد حكم غيره ويحب حكم الله ويبغض حكم الطاغوت ، ولا يجتمع في قلب العبد قبول وإيمان وانقياد لله وللطاغوت معاً ، وهذا مقتضى لا إله إلا الله النفي والإثبات .

وقد بينا في مسألة سابقة أوجه الكفر المتعلقة بالحكم بغير ما أنزل الله والتحاكم إليه .

فائدة : يوجد في شرك الطاعة والتحاكم تعظيم المخلوق والتذلل له ومحبته.

لأجل ذلك كان الحكم من العبادة لوجود التذلل والخضوع والتعظيم في المتحاكم للحاكم الطاغوت.

الثالثة عشرة : الحكم بغير ما أنزل الله والتحاكم من قبيل الكفر العملي :

الأصل في كفر المتحاكم متعلق بعمل الجوارح، فإن أضاف إلى ذلك رضاه بحكم غير الله تعالى أو تجويزه فإنه يصير كفره اعتقادي ولو لم يتحاكم.

ومناط التكفير فيه هو إعراضه عن حكم الله ﷻ وعدم انقياده للشريعة من جهة، ومن جهة أخرى وقوعه في شرك التحاكم والطاعة، وكلاهما كفر عملي .

قاعدة : كفر الإعراض عن الشريعة والامتناع عن تحكيمها كفر بمجرده ولو لم يستحل ويجحد ولو لم يشرع أو يحكم بالقانون ، لأن مناط الكفر متعلق بالإعراض والامتناع وعدم الالتزام والانقياد .

فالحكم بغير ما أنزل الله إذا كان منهجا ثابتا للحاكم أو قانونا دائما فهذا كفر بالإجماع لأنه رفض للشريعة ويعد من كفر الإباء والإعراض .

قال ابن تيمية: (النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم لغيره) الصارم٣٣.

قال ابن تيمية: (فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزما لحكم الله ورسوله باطنا وظاهرا لكن عصى

واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة ... ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر ... وحكام المسلمين يحكمون في الأمور المعينة ولا يحكمون في الأمور الكلية) منهاج السنة ٥/ ١٣٠ .

قال ابن القيم في أحكام أهل الذمة : (أن من التزم ماجاءت به التوراة والإنجيل ولم يتبع القرآن فإنه كافر) . فانظر كيف جعل الملتزم بما جاءت به التوراة ولم يتبع حكم الله كافراً فكيف بمن التزم القوانين الوضعية التي صدرت من زبالات أفكار الغرب المشركين الذين خرجوا عن دينهم وشرعوا شرائع شتى باطلة .

وقال ابن القيم: (ومنهم من تأول آية ومن لم يحكم على ترك الحكم جاحدا له وهو قول عكرمة وهو تأويل مرجوح فأن جحوده كفر سواء حكم به أو لم يحكم) المدارج ٢/ ٣٣٦ .

هذه حالات وأوجه ومناطات الكفر في الحكم بغير ما أنزل الله ثمان حالات راجعة إلى المناطات الأربعة التي ذكرناها .

الحالة الأولى : الكفر الاعتقادي وهذا ينقض القول القلبي وتصديقه وعمله القلبي أو إقراره وحبه ونحو ذلك .

الحالة الثانية : وهو التشريع والتبديل والتحليل والتحريم وتحتها نوعان :

أ- الأول : السان أو الواضع (واضع القوانين وسانها) .

ب- الثاني : الملزم والجالب والمغير والمنحي لأحكام الله سبحانه والمستبدل بها حكم الطاغوت أو القوانين الوضعية أو من يلزم بالأحكام القانونية والشرائع الباطلة ويجلبها للمسلمين أو يدعو إليها وينشرها .

الحالة الثالثة : الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله ﷻ ويلتزم بذلك، ويمتنع عن حكم الله تعالى ويتركه ويعرض عنه فلا يذعن ولا ينقاد لأحكام الشريعة ولا يقبلها، وهذا هو الحاكم وهو غير المشرع، ومناط الكفر فيه متعلق بالحكم .

الحالة الرابعة : المتحاكم والمطيع : وينقسم إلى قسمين ومناطين :

أ- المتحاكم إلى الحاكم بغير ما أنزل الله أو إلى المحاكم الوضعية مع وجود غيرها فيعرض عن حكم الله إلى حكم الطاغوت .

ب- المطيع : من يطيع المحلل والمحرم في التبديل .

فهذه أربعة أقسام في حالات ومناطات الكفر الأكبر وعند التفصيل ثمان :

١/ كفر الجحود والاستحلال ٢/ شرك التشريع والتحليل والتحريم ٣/ كفر التبديل والتغيير والتنحية والإلزام ٤/ شرك الحكم والحاكم ٥/ شرك التحاكم ٦/ شرك الطاعة ٧/ شرك المتابعة والهدي ٨/ كفر الإعراض.

الأول : كفر الجحود والاستحلال .

الثاني : كفر وشرك التشريع الذي يفعله المشرع .

الثالث : التبديل والتغيير والتنحية والإلزام والدعوة للحكم بغير ما أنزل الله.

الرابع : الحكم بغير ما أنزل الله الذي يباشره الحاكم بغير ما أنزل الله.

الخامس : التحاكم إلى الطاغوت الذي يباشره المتحاكم إلى غير ما أنزل الله .

السادس : طاعة من يحلل ويحرم، فالذي يطيع المشركين المشرعين المحللين لما حرم الله المحرمين لما أحل وأوجب .

السابع : شرك الاتباع ونقض توحيد المتابعة بترك هدي الرسول ﷺ وطريقته وسنته وحكمه وطاعته في أمره واتباع غيره وأخذ هدي غيره وطريقته.

وهذا الكفر فيه مناطات الكفر الأربع الحكم والتحاكم والتشريع والجحود .

الثامن : الإعراض عن حكم الله لا يحكم به ولا يتحاكم إليه وهو داخل في المناط الثالث والرابع معا الحاكم والمتحاكم .

والإعراض عن دين الله يكون بعدم تعلمه والعمل به وبترك الحكم بالشريعة والتولي عن طاعة الرسول، وقد بينا كفر الإعراض وحقيقته وأدلته وأوجه الكفر فيه في الناقض العاشر من نواقض الإسلام .

والأصل في الحاكم بغير ما أنزل الله والمتحاكم إليه أنه وقع في بابين من الكفر:

الأول: الإعراض عن حكم الله ﷻ وعن عبادته بالحكم بـأمره. وهـذا نقـض الركن الأول من ركني التوحيد وهو عبادة الله وحده والإيمان به وبألوهيته.

والثاني: الشرك في الحكم والإيمان بالطـاغوت وعـدم الكفـر بـه وقـد فـصلنا الكلام عنه، وهذا نقض الركن الثاني الذي هو نفي الألوهية عـما سـوى الله والكفـر بالطواغيت المعبودة والمطاعة والحاكمة والمتحاكم إليها .

مع بيان أن الحالة الأولى والثانية لا يكـون كفـرهم إلا أكـبر مطلقـاً . والحالـة الثالثة والرابعة وهو الحاكم والمتحاكم فيكون كفرهم أكبر وهـو الغالـب ويكـون في بعض الحالات كفرهم أصغر .

ونوع الكفر في الحالات الأربعة السابقة متعلقة بالكفر العملي والاعتقادي .

فالأول كفره اعتقادي وهو الجاحد المستحل والمكذب والمبغض .

وأما الحالات الباقية الثانية والثالثة والرابعة فكفرهم عملي، فالمشرع والحـاكم بغير ما أنزل الله والمتحاكم إليهم ومطيعهم كفرهم عملي .

أولاً : الحالات الإعتقادية التي يكون الحكم فيها كفر اعتقادي :

المجوزة ، الجاحدة ، المفضلة ، المبغضة . وتقدمت .

ثانياً : الحالات العملية:

التشريع ، الحكم ، التحاكم ، الطاعة .

وفي تقسيمنا هذا رد على المرجئة الذين قصروا التكفير في الحكم بغير مـا أنـزل الله على الاعتقاد والاستحلال والجحود .

مبحث : كفر وشرك الانقياد وحكم الانقياد للمخلوق

وتحته وقفات :

الأولى : الكفر في الانقياد شامل لبابين :

الأول : عدم الانقياد لله تعالى ، وهذا هو كفر الإعراض والتولي والترك والإباء والامتناع وتعطيل عبادته.وسيأتي الكلام عنه في الفصل الأخير .

الثاني : الانقياد لغير الله من المخلوقين ، وهذا هو شرك الطاعة والإتباع والتحاكم والاتخاذ والانقياد . وهو المقصود هنا بالبيان.

الثانية : انقسام حقيقة الانقياد إلى تعبدي وعادي :

الأول: الانقياد التعبدي :

وهو المتعلق بالعبادة ، وهو الذي يقوم على الذل والخضوع والتعظيم .

وهذا خاص بالله ﷻ، وصرفه لغير الله شرك، فهو من العبادات التي يجب أن نفرد الله بها، فيجب توحيد الله في الانقياد التعبدي .

الثاني: الانقياد العادي الطبعي:

وهو طاعة المخلوق لمخلوق مثله عادة كالوالد والزوج والأمير .

الثالثة : أقسام الانقياد للمخلوق:

١ - الانقياد الواجب :

وهو الانقياد للرسول ﷺ باتباع ما جاء به والأخذ بشرعه وأمره ، وهو في منتهاه وحقيقته انقياد لله .

ويدل لذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ الحشر: ٧. وقوله: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ النور: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ النساء: ٨٠. وقوله ﷺ :"من أطاعني فقد أطاع الله" .

قال ابن القيم في عدة الصابرين : (وينقاد لمتابعة رسوله وطاعته والتزام شريعته ظاهراً وباطناً) وتقدم كلام أهل العلم عن الانقياد للرسول ﷺ.

٢- الانقياد المباح:

وهو طاعة المخلوق والانقياد لأمره إذا كان في المباح.

٣- الانقياد الشركي :

وهو صرف الانقياد التعبدي لغير الله، وذلك بالانقياد للمخلوق وطاعة أمره مطلقاً مع التذلل له وتعظيمه والغلو فيه، أو بطاعة المخلوق في معصية الله واتباعه في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، ويسمى هذا شرك الطاعة.

قال سبحانه: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ .

وقال : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ الأعراف: ٣ .

ومن أنواع الطواغيت : المتبوع والمطاع من دون الله .

الرابعة : مناط الكفر في شرك الانقياد المتحاكم والطائع والمتبع :

متعلق بالتحاكم والطاعة والانقياد والاتخاذ وهو ما يسميه العلماء: شرك الطاعة ومنهم من يسميه شرك الإتباع وشرك الانقياد وشرك التحاكم.

والكلام عن شرك الطاعة والتحاكم موسع في كتابي الشرك والنواقض .

الخامسة : أنواع الانقياد الشركي :

الأول : التحاكم إلى غير ما أنزل الله، والدخول في حكم الطاغوت المحكوم به، وشرك التحاكم راجع إلى شرك الحكم، ودليله قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ النساء: ٦٠ وقوله:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ النساء:٦٥.

الثاني : طاعة المشرع والآمر والحاكم والمحلل والمحرم واتباعه واتخاذه محللاً ومحرماً ومشرعاً، ودليل هذا قوله تعالى :﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ . مع ما جاء من قصة عدي بن حاتم ﷺ في هذه الآية .وقوله: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١.

ومما يدخل في هذا النوع طاعة المخلوقين في معصية الخالق .

السادسة : الفرق بين الحاكم والمتحاكم :

الحاكم هو الذي يقوم بإصدار الحكم بغير ما أنزل الله .

والمتحاكم هو المحكوم عليه والمتبع والمذعن والمطيع لذلك الحاكم .

كما أن الحاكم شركه في الربوبية والمتحاكم شركه في الألوهية .

السابعة : في شروط تكفير المتحاكم إلى الطاغوت :

الأول : أن يعدل عن حكم الله تعالى مختاراً مقبلاً على غيره ويعرض عن التحاكم إلى شرع الله ويتولى عن طاعته والعمل بدينه، وهذا كفر عملي.

الثاني : أن يرضى ويستحسن حكم الطاغوت ويفضله ويريده ويطلبه وهذا يكفر مطلقاً حتى ولو لم يتحاكم إلى الطاغوت وهذا كفره اعتقادي .

الثامنة : أدلة كفر شرك الانقياد :

قـــال تعـــالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ النساء: ٦١.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١.

وقال: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾التوبة٣١.

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ﴾ النساء: ٦٠ .

جاء في أسباب نزولها أن عمر ﷺ قتل الرجل الذي ترك وأعرض عـن حكـم رسول الله ﷺ وأقبل إلى حكم عمر بعد أن احتكم عند الرسول ﷺ وأبي بكر .

وقال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ .

وقال: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ الأعراف: ٣.

وقال: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى ٢١.

وقال: ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ٦٤.

وقال: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ البقـرة: ١٩٣، قـال الطـبري تكون الطاعة والعبادة لله .

وغير ذلك من الأدلة الدالة على وجوب الانقياد لحكم الله ورسوله والتحاكم إلى ما أنزل الله وكفر من انقاد لغيره وتحاكم إلى غير ما أنزل الله أو اتبع واتخـذ حـاكماً يحكم له بغير ما شرع الله أو يطيعه في التحليل والتحريم .

التاسعة: أقوال أهل العلم في شرك الانقياد :

قال ابن تيمية :" وكثير من المتفقهة وأجناد الملوك وأتباع القضاة والعامة المتبعة لهؤلاء، يشركون شرك الطاعة، فتجد هؤلاء المنحرفين يجعل الواجب ما أوجبه متبوعه والحرام ما حرمه والحلال ما أحله والدين ما شرعه إما ديناً وأما دنيا، ثم يُخَوَّف من امتنع من هذا الشرك وهو لا يخاف أنه أشرك به شيئاً في طاعته بغير سلطان من الله" الفتاوى ١/ ٩٨ .

ويقول الشيخ سليمان بن عبدالله (الطاعة هي العبادة ويجب اختصاص الخالق سبحانه بها ولا تجب طاعة أحد من الخلق استقلالاً فمن أطاع مخلوقاً في التحليل والتحريم غير رسول الله ﷺ المبلغ عن الله فهو مشرك) .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: (من الأمور التي لا يصلح الإسلام إلا بها العمل بشرائعه وأحكامه، وبالقيام بذلك يقوم الدين) .

وقال الشنقيطي في أضواء البيان : (والعجب ممن يحكم غير تشريع الله ثم يدعي الإسلام كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ﴾).

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز في وجوب تحكيم شرع الله: (فمن خضع لله سبحانه وأطاعه وتحاكم إلى وحيه فهو العابد لله ومن خضع لغيره وتحاكم إلى غير شرعه فقد عبد الطاغوت وانقاد له) .

وقال في نقد القومية : (وكل دولة لا تحكم بشرع الله ولا تنصاع لحكم الله فهي دولة جاهلية كافرة ظالمة فاسقة) .

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم : (تحكيم شرع الله وحده شقيق عبادة الله وحده دون ما سواه، إذ مضمون الشهادتين أن يكون الله وحده هو المعبود وأن يكون رسوله ﷺ هو المتبع المحكم) . ويقول: (وخضوع الناس ورضوخهم لحكم ربهم خضوع ورضوخ لحكم من خلقهم تعالى ليعبدوه فكما لا يسجد الخلق إلا لله ولا يعبدون إلا إياه ولا يعبدون المخلوق فكذلك يجب أن لا يرضخوا ولا يخضعوا أو ينقادوا إلا لحكم الحكيم العليم دون حكم المخلوق الظلوم الجهول) .

العاشرة : الفطرة دلت على قبح الانقياد لغير الرب تعالى :

الانقياد للخالق موافق للفطرة والعقل، بينما الانقياد للمخلوق فيه انتكاس للفطرة.

الحادية عشرة: تاريخ أول مخالفة في الانقياد :

أول من تمرد على الانقياد وخرج عليه هو إبليس لعنه الله حين امتنع عن الانقياد وأبى السجود . فاستكبر وأراد أن يكون من العالين وأن يعز نفسه، وتكبر على أمر الله وشرعه وأبى أن ينقاد لله . وأبلس من العبودية وفسق عن أمر ربه وتمرد فأذاقه الله الذل والهوان والصغار والطرد، فكان لغيره عبرة .

الثانية عشرة : من يكفر بالامتناع عن الانقياد وبشرك الانقياد :

من يتكبر على الانقياد ويبغضه ومن يستحل تركه ويدعو للامتناع عنه، وكذا المستحل الانقياد لغير الله والمجوز له والراضي به والمفضل له ومن يدعو إليه ويمدحه .

الثالثة عشرة : تارك الانقياد واقع في جميع أنواع الشرك :

١- شرك الربوبية وذلك بالكبر على الله والتمرد والإباء عن التدين له وقبول شرعه والإعراض عن إلوهيته والتولي عن حكمه .

٢- شرك الإلهية وذلك بالانقياد لغيره، والانقياد داخل في الألوهية .

٣- شرك التعطيل والجحود وذلك بتعطيل الله عن ما يجب له من الانقياد والدين والعبودية .

٤- شرك التمثيل وذلك بجعل أمر الله وشرعه وحكمه مثل أمر الله في الانقياد له .

٥- كما أن الانقياد منه ما هو من الشرك الأكبر وهذا الأصل، ومنه ما هو من الشرك الأصغر .

كما أن فيه كفر الامتناع والإعراض والتولي والإباء والاستكبار .

الرابعة عشرة: أوجه الكفر في كفر الانقياد وعلاقته ببقية النواقض:

أولا : أنه يناقض الشهادتين والإسلام والإيمان والتوحيد، وسيأتي بيان أوجه الكفر في تخلفه أو الشرك فيه عند الكلام عن كفر الامتناع والإعراض.

ثانيا : أن الكفر في الانقياد فيه استلزام لبقية أنواع الكفر ونواقض الإسلام من التكذيب والجحود والبغض العملي والاستهزاء .

الخامسة عشرة: مفاسد وأضرار ترك الانقياد أو الشرك فيه:

١- الكفر والخلود في النار .

٢- الفساد في الأرض وقيام العداوة والظلم .

٣- نزول الويلات والمصائب والهموم المتوالية.

٤- حصول الخوف والجوع والفقر والتعاسة في الحياة والمعيشة الضنك.

٥- تسلط الكفار .

وغير ذلك من المفاسد التي لا يحصيها إلا الله .

السادسة عشرة: ترك الانقياد لله يوجب الذل والانقياد لغيره :

من أعرض عن الانقياد لله وأبى التشرف بعبوديته والذل له عوقب وابتلي بالانقياد لغيره والذل لمخلوق مثله .

قال ابن تيمية: (لما كان أصل دين اليهود الكبر عاقبهم الله بالذلة والمسكنة .. ذلك أن المستكبر عن الحق يبتلى بالانقياد للباطل فيكون المستكبر مشركا) الفتاوى ٧/ ٦٢٩.

وقال ابن القيم : (واعتبر ذلك بحال إبليس فإنه امتنع من السجود لآدم فرارا أن يخضع له ويذل، فصيره الله أذل الأذلين.. كذلك كل من امتنع أن يذل لله لابد أن يذل لمن لا يسوى) الإغاثة ٢/ ٢٠٨.

واعتبر بحال من استكبر عن الانقياد كيف يدخل جهنم داخرا وهو الذليل المهان: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ .

السابعة عشرة:الفرق بين شرك الطاعة وترك الطاعة والإعراض والامتناع:

الأول شرك وهو ناقض لركن النفي في كلمة التوحيد .

والثاني ما يسمى بالكفر وهو ناقض لركن الإثبات في كلمة التوحيد .

فالأول عبادة غير الله معه والثاني ترك عبادة الله .

الثامنة عشرة : الفرق بين الطاعة والعبادة : ذكرناها في باب الشرك :

التاسعة عشرة :قاعدة : الانقياد والقبول والالتزام قسمان :

انقياد تام كامل وانقياد أصل :

فأصل الانقياد والقبول من لم يوجد عنده فلا يعد مسلما والذي لا يحكم بما أنزل لا يوجد عنده هذا الأصل .

أما كمال الانقياد فتاركه عاصيا لكن ليس بكافر ويكون بفعل الأوامر وترك النواهي والتحاكم لشرع الله في كل صغيرة وكبيرة والحكم بما أنزل الله مطلقا .

فالذي يعمل المعاصي أو يحكم في قضية معينة هذا نقص عنده كمال الانقياد والالتزام والإذعان لحكم الله . بينما الالتزام بالحكم بغير ما نزل الله والتشريع ينقضان أصل الانقياد لله ويزيلان القبول والإذعان بالكلية من قلب المسلم .

والخوارج كفروا أصحاب الحالين ، والمرجئة لم يكفروهما وأهل السنة كفروا الثاني دون الأول .

الفصل السادس : الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة في الحكم

الحالات التي يكون فيها الحكم بغير ما أنزل الله من الكفر الأصغر :

وهي ثلاث حالات : في الحكم والتحاكم والطاعة .

الحالة الأولى : الحكم والحاكم :

متى يكون الحاكم الذي يباشر الحكم بغير ما أنـزل الله كفـره كفـراً أصـغر لا يخرج من الملة ؟ .

وبيان ذلك في الوقفات التالية :

الأولى : الأصل في الحكم بغير ما أنزل الله أنـه كفـر أكـبر، إلا في الحالـة التـي سنذكرها ، ولا يدخل فيه المشرع والمبدل والجالب والملزم فهؤلاء كفرهم أكبر مطلقاً قولاً واحداً، وأما الحاكم ففيه تفصيل .

الثانية : ضابط الحكم الذي لا يخرج من الملة وصفة الحاكم به :

وهو أن يحكم متعمدا بغير ما أنزل الله في قضية معينة ، وواقعة عينية لشخص معين وحادثة مفردة بداعي الشبهة أو الشهوة أو الهوى أو الظلم، وليس ديدنه ذلـك فليس ملتزما الحكم بغير ما أنزل الله وإنما هي حالات قليلة وقضايا معينة .

مثال ذلك : أن يحكم الحاكم على قريب له سرق بغير حـد الـسرقة (القطـع) وإنما يحكم عليه بجلد أو سجن أو نحو ذلك متعمـداً هـذا الحكـم ولـيس بمخطـئ ويعلم أنه مخالف لحكم الله وليس بجاهل أو حكم لقريب أو لمن يرشيه بـأن الأرض له وهي ليست له .

فمن حكم بغير ما أنزل الله مخطئاً أو متأولاً مجتهد وكان من أهل العلم ولـيس من أهل الجهل الذي يحكم بجهله فله أجر واحد بنص الحديث .

الوقفة الثالثة : وجه التفريق في الحكم بغير ما أنـزل الله بـين الحـاكم في قـضية واحدة وبين من لا يلتزم الحكم بما أنزل الله :

فمن حكم في قضية واحدة بغير ما أنزل الله مع التزامه بشرع الله ﷻ فهذا يعد مسلماً وكفره كفر أصغر، وفعله من جنس المعاصي، وأما من التـزم الحكـم بغـير مـا أنزل الله في جميع القضايا أو أغلبها أو فيما لا يوافق هواه، سواء حكم بقانون أو عادة أو عرف أو بهواه أو بغير ذلك فهذا كفره كفر أكبر مخرج من الملة .

وأما إذا كان الحكم بغير ما أنزل الله منهجا ثابتا للحاكم أو قانونـا دائـما فهـذا كفر بالإجماع لأنه رفض للشريعة ويعد من كفر الإباء والإعراض .

ووجه التفريق بين الحالين : أن الملتـزم بحكـم غـير الله نقـض شرط الانقيـاد لكلمة التوحيد والالتزام بالدين والإذعان لأوامر الله .

والانقياد والقبول التي هي من شروط لا إلـه إلا الله ، ومـن أعظـم نواقـضها الإعراض عن دين الله والامتناع عن طاعته تعالى والتمرد على أمره .

وذلك لأن من الانقياد لـ(لا إله إلا الله) الحكم بما أنزل الله والانقياد لحكم الله لأن الحكم داخل في عبادة الله التي يجب إفراده بها فمن حكم بغير مـا أنـزل الله فإنـه غير موحد ومن لم ينقد لحكم الله فإنه يعد غير منقاد لكلمـة التوحيـد ومـن لم يـذعن للشريعة ويحكم بها فإنه ما أذعن لله تعالى وما التزم واستسلم لأمره ودينـه وشرعـه،

وبتالي يعد ممتنعاً عن طاعة الله معرضاً عن دينه متوليا عن رسوله منصداً تاركاً لدينه راداً لشريعته وكل هذا من الكفر الأكبر .

وهذا بخلاف من يحكم بما أنزل الله إلا فيما ندر من القضايا العينية ومال عن حكم الله ﷻ عن هوى فهذا لم ينتقض عنده الالتزام والانقياد لـ(لا إله إلا الله) فهو عاص مثله مثل أصحاب الكبائر الذي يزني ويسرق ، فهو حين حكم على السارق بغير ما أنزل الله بأن يسجن أو غير ذلك لم يلتزم هذا الحكم وإنما كانت في بعض القضايا، فهو في الأصل منقاد لـلا إله إلا الله منصاع لها، ملتزم بحكم الله مذعن لدينه، وهذا السر في التفريق بين الملتزم حكم غير الله وبين من حكم في قضية واحدة بغير ما أنزل الله مع ثبوت أصل الانقياد للشريعة والالتزام بحكم الله .

ومن ضبط هذا عرف حقيقة المسألة وانكشفت عنه شبهة المرجئة والخوارج.

وقدمنا شيئا من كلام أهل العلم في تحقيق مناط الكفر في الحكم، ومنه:

قال ابن تيمية: (فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزما لحكم الله ورسوله باطنا وظاهرا لكن عصى واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة ... ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر ... وحكام المسلمين يحكمون في الأمور المعينة ولا يحكمون في الأمور الكلية) منهاج السنة ٥/ ١٣٠ .

قال ابن القيم في أحكام أهل الذمة : (أن من التزم ماجاءت به التوراة والإنجيل ولم يتبع القرآن فإنه كافر) .

تنبيه : المشرع لا يمكن أن يقسم إلى مشرع في مسألة ومشرع في جميع المسائل . فلو شرع المشرع في أدنى مسألة فإنه يخرج من الملة بها لأنه حلل وحرم .

الوقفة الرابعة : النقولات التي تبين ما ذكرنا في أن الحاكم قد يكون كفره كفراً أصغر وإن كان الأصل أن كفره كفر أكبر :

ما رواه الحاكم في المستدرك وأخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤ حين سئل عن حكام بني أمية ، أنهم يحكمون في بعض أحكامهم عن عمد بغير ما أنزل الله عن هوى أو ظلم أو نحو ذلك قال [كفر دون كفر] وقال: [ليس بالكفر الذي تذهبون إليه] وقال : [ليس بالكفر بالله وملائكته] .

مما يدل على أن الحكم قد يكون من الكفر الأصغر وليس كله من الكفر الأصغر ، وهذا الأثر عن ابن عباس ﷺ اختلف فيه ما بين مصحح له وراد له مضعف والصحيح ضعفه، ومع فرض صحته فهو في الحالة التي ذكرنها هنا وليست في جميع حالات الحكم بغير ما أنزل الله كما قررناه آنفا.

وأما كلام أهل العمل في ذلك:

قال أبو عبيد القاسم بن سلام في الإيمان : (من حكم بغير ما أنزل الله وهو على ملة الإسلام كان بذلك الحكم كأهل الجاهلية) .

ويفهم من كلامه التفريق بين الملتزم بملة أهل الإسلام في الحكم وغيره فلا يكفر من حكم بغير ما أنزل الله في بعض القضايا .

قال ابن تيمية: (فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزما لحكم الله ورسوله باطنا وظاهرا لكن عصى واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة ... ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر ... وحكام المسلمين يحكمون في الأمور المعينة ولا يحكمون في الأمور الكلية) منهاج السنة ٥/ ١٣٠ .

وقال: (.. وهذا إذا حكم في قضية معينة لشخص وأما إذا حكم حكماً عاماً في دين المسلمين فيجعل الحق باطلاً والباطل حقاً والمعروف منكراً والمنكر معروفاً والسنة بدعة والبدعة سنة ونهى عما أمر الله به ورسوله وأمر بما نهوا عنه فهذا لون آخر يحكم فيه رب العالمين) الفتاوى ٣٥/ ٣٨٨ .

وانظر كيف جعل الحكم في أمر عام بين المسلمين أمراً عظيماً ولم يجعله كالحكم في القضية المعينة التي هي من الكفر الأصغر ثم تأتي المرجئة ويجعلون الحكمين في معنى واحد وحكم واحد .

يقول ابن القيم رحمه الله في المدارج : (الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين الأصغر والأكبر حسب حال الحاكم ، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة وعدل عنه عصياناً مع اعترافه أنه مستحق للعقوبة كان كفراً أصغر).

ويقول ابن أبي العز رحمه الله في شرحه للطحاوية : (وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهو عاص ويسمى كافراً كفراً مجازياً ، أو كفراً أصغر) .

وتأمل قولهم : (في هذه الواقعة والقضية) واقعة وقضية معينة ومرة واحدة ونحوها .. ولا يكون هذا ديدنه أنه يحكم بغير ما أنزل الله حتى مع الاعتقاد فالعبرة بالالتزام هل هو ملتزم حكم الله قابل له منقاد له مسلم له أم لا ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ النساء: ٦٥.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم في رسالته [تحكيم القوانين] مبينا الكفر الأصغر في الحكم: (القسم الثاني من قسمي كفر الحاكم بغير ما أنزل الله وهو الذي لا يخرج من الملة – والذي قال فيه ابن عباس كفر دون كفر – وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في **القضية** بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى) .

وقال: (وأما الذي قيل فيه كفر دون كفر إذا حاكم إلى غير الله مع اعتقاد أنه عاص وأن حكم الله هو الحق فهذا الذي **يصدر منه المرة ونحوها** ، أما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع فهو كفر وإن قالوا أخطأنا وحكم الشرع أعدل) الفتاوى١٢/ ٢٨٠ .

هذه النقولات عن أهل العلم تبين أن الحكم بغير ما أنزل الله كفر أكبر ، إلا إن كان في واقعة معينة قضية مفرده وليست في جميع القضايا، والوقائع والأحكام .

الوقفة الخامسة : شروط كون الحكم بغير ما أنزل الله من الكفر الأصغر .

حتى يكون الحاكم بغير ما أنزل الله في عداد المسلمين وأن كفره كفر أصغر لابد من توفر شروط في ذلك .

الشرط الأول : أن لا يكون الحاكم بغير ما أنزل الله حكمه عاما ملزما للناس، لأن هذا يدخل في التبديل والتشريع والقوانين الوضعية، وهذا المشرع أو من كان حكمه عام ملزم كفره كفر أكبر مطلقاً .

الشرط الثاني : أن يكون الأصل في حكم هذا الحاكم الحكم بالشرع والسيادة عنده لشرع الله ، فلا يكون هذا الحاكم ديدنه الحكم بغير ما أنزل الله والالتزام به معرضاً عن حكم الله راداً وتاركاً له، فهذا ممتنعا عن الشريعة معرضا عن دين الله . كحال من يحكم بسلوم القبائل وعادات وسواليف البادية أو يحكم بالقانون أو يحكم بهواه مخالفاً شرع الله وهذا من وجدت فيه فهذا يكفر كفراً أكبر .

وعلى ذلك يخرج بهذا الشرط الذي يحكم في القضية الواحدة العينية، ولا تتجاوز أن يكون عادة له ، ودينا له ، أن يحكم بغير ما أنزل الله .

الشرط الثالث : أن لا يكون الحكم الذي حكم به في القضية المعينة والواقعة الواحدة مما ينقض التوحيد ، ويقر الشرك والكفر فلو حكم قاض في مسألة واحدة مقر فيها الشرك فإن هذا يعتبر كفره كفراً أكبر وردة .

مثاله : أن يحكم الحاكم على صنم يعبد بعدم إزالته أو يؤيد بقاء مشهد وقبر يطاف به ويدعى ويذبح له ويتقدم له النذور، أو يسمح لقناة أو مجلة فيها سب الله ورسوله والاستهزاء بالدين وأهله ويقرها ويأذن بنشرها أو يسمح للسحرة بإقامة عروضهم ويدعوا الناس للنظر إليها أو يمنع من تكفير الكفار والمشركين والمرتدين ويعاقب عليه ونحو ذلك، فحكم هذا في الحقيقة حكم بالشرك وإقرار له فهو مشرك راضٍ به حاكم به فيخرج من الملة ، بخلاف من حكم في القضايا التي ليست من

نواقض الإسلام، كأن يحكم على شخصٍ زنا بغير حد الزنا أو على سارق بغير القطع أو يحكم ظلماً بأن هذا ملك فلان وليس له ونحو ذلك.

الشرط الرابع : أن لا يستحل الحاكم فعله، بل يرى أنه مخطئ آثم مستحق للعقوبة في هذه القضية المعينة ويرى مع ذلك وجوب حكم الله وأنه أفضل من حكم غيره وأنه مخاطب بحكم الله ﷻ ، وأن ما قام به من حكم بغير ما أنزل الله ذنب يستحق عليه العقوبة ، فلا يستحل عمله .

واشتراط الاستحلال هنا ليس كاشتراط المرجئة فإن المرجئة توسعوا في اشتراط الاستحلال فأدخلوا الممتنع عن الشريعة الملتزم بأحكام الطاغوت بل وحتى المشرع والمحلل والمحرم اشترطوا فيه أن يستحل عمله ويصرح للناس أنني ما فعلت ذلك إلا كفراً بالله ﷻ .

الشرط الخامس : أن لا يكون حكمه في هذي القضية المعينة أو الواقعة العينية أو الواحدة المفردة بقانون أو عادة قبلية أو حكم البوادي قاصداً لها متعمداً الحكم بالقانون ولم يكن حكمه مصادفة لقانون ولا موافقة لقانون .

ومثال هذا : أن يكون قاضٍ في محكمة شرعية مثلاً يحكم بما أنزل الله وجاءه رجل كافر قد سرق ونحو ذلك فيقول : ما القانون في بلدك الذي يحكم به في السارق فقال له يغرم بكذا، فيغرمه فهذا حكم بالقانون فيخرج من الملة لاعترافه بحكم الطاغوت ورضاه به وعدم كفره به أما لو غرم هذا السارق من غير أن يقصد متابعة لقانون ولا اعترافاً ولا إقراراً به فهذا يكون حكمه أنه مسلم وكفره أصغر.

فهذه خمسة شروط متعلقة بالحكم بغير ما أنزل الله في القضية الواحدة المعينة فإذا تخلفت الشروط الخمسة أو واحد منها انتقل كفر الحاكم هنا إلى كفر أكبر .

وإن كان الكفر الأصغر أشد من الزنا لأن الله سماه كفراً والذنب الذي يسمى كفراً أشد عقوبة من الذنب الذي لا يسمى كفراً كالزنى والسرقة ونحوهما فهو مع أن كفره كفر أصغر إلا أنه مرتكب أمراً عظيماً أشد من الكبائر .

تنبيه : المكثر من الحكم بغير ما أنزل الله تقدم الكلام فيه.

الوقفة السادسة : الشبهات في هذه الحالة :

الأولى: من عد الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً مطلقاً ولو مع توفر هذه الشروط الخمس . وقالوا : أن الحكم سماه الله ﷻ كفراً بالنص، فأي حكم بغير ما أنزل الله ولو في قضية واحدة يعتبر كفراً مخرجاً من الملة .

واعتمدوا قول ابن مسعود في الرشوة في الحكم مع أنه قد يحمل قوله على الكفر الأصغر أو أن هذا قول له ﷺ وخالفه ابن عباس وغيره .

ومن هذا الباب كفر الخوارج حكام بني أمية وكان نقاش ابن عباس ﷺ وأبي مجلز معهم فحمله المرجئة على المشرعين والحاكمين بغير ما أنزل الله عن التزام لحكم الطاغوت والهوى.

الثانية : شبهة المرجئة: (أن الحاكم بغير ما أنزل الله لا يكفر إلا أن يستحل) .

وأجروا هذا الشرط على جميع قضايا الحكم سواء كان حاكماً أو متحاكماً أو مشرعاً أو مبدلاً ، ولم يكفروا إلا بالقسم الأول الذي ذكرناه في جهات التكفير وهو الاستحلال والجحود ، فقالوا : من استحل الحكم بغير ما أنزل الله أو جحد حكم

الله ﷻ فهو كافر ، وأما المشرع وأصحاب القوانين الوضعية فهؤلاء لا يكفرونهم ما لم يستحلوا ويظهروا جحودهم واستحلالهم وكفرهم .

قال ابن القيم: (ومنهم من تأول آية ومن لم يحكم على ترك الحكم جاحدا له وهو قول عكرمة وهو تأويل مرجوح فأن جحوده كفر سواء حكم به أو لم يحكم) المدارج ٢/ ٣٣٦ .

قلت وهذا رد صريح على جهمية العصر ومرجئته القائلين لا يكفر الحاكم إلا إذا جحد واستحل مع أن كلام عكرمه لا يحمل على المشرعين .

وشبهة هذه الطائفة قول ابن عباس رضي الله عنهما في من حكم في قضية عينية بغير ما أنزل الله : (أنه كفر دون كفر) ويستدلون بقوله على شبهتهم .

قال الشيخ أحمد شاكر معلقاً على كلام ابن عباس : (وهذه الآثار عن ابن عباس مما يلعب به المضلون في عصرنا هذا من المنتسبين للعلم ومن غيرهم من الجراءة على الله حيث يجعلونها عذراً في إباحة القوانين الوثنية الموضوعة التي ضربت بلاد المسلمين).

وسنأتي على شبه القوم والرد عليها إن شاء الله تعالى في موضعه .

الحالة الثانية : التحاكم :

المتحاكم إلى غير ما أنزل الله كالمحاكم الوضعية أو أحكام القبائل وعاداتها أو غيرها، فهذا الأصل في تحاكمه أنه كفر ويكفر بهذا التحاكم كما قلنا في الحاكم، ولكن يوجد بعض الحالات لا يكفر المتحاكم فيها، وضابطها أن يتحاكم إلى غير حكم الله ﷻ مضطراً مكرهاً، فلا يجد غير هذه المحاكم ومع تحاكمه لا يرضى بذلك .

فلا بد من أن يجتمع في المتحاكم شرطان ويتعلق به أمران وهما :

الشرط الأول : أن لا يجد غير هذه المحاكم الوضعية ولا يتمكن من التحاكم للشريعة فيكون حكم الشرع متعطلاً منعدماً، وهو مكرها في التحاكم إليه كارها لها كافرا بها .

الشرط الثاني : أن لا يكون مع تحاكمه هذا مستحلاً للتحاكم لغير شرع الله مجوزا لحكم الطاغوت راضياً به منشرح الصدر بذلك، فيفرح بها ويمدحها ويفضل هذه المحاكم ويثنى عليها لكونه أخذ حقه بها فمن كانت هذه حالته فهو كافر كفراً أكبر (أي من رضي واستحل ومدح هذه المحاكم وفرح بأحكامها والتحاكم إليها فهذا كفره كفر أكبر) .

عليه فمن تخلف فيه هذان الشرطان أو أحدهما فإن تحاكمه يعد تحاكماً كفرياً من قبيل الكفر الأكبر مشرك في الألوهية شرك الطاعة والتحاكم .

الحالة الثالثة : الطاعة :

طاعة المخلوق فيما يأمر به من معصية للخالق :

وهذا يكثر جداً في عصرنا في عبيد الدنيا والمناصب، كمن يطيع الرؤساء وينفذ الأوامر . ومن يأخذ الضرائب على الناس أو يعلق الصور أو يعصي الله طاعة لأمر غيره، فهذا كفره أصغر لا يكفر بطاعته لأنها معاصي دون الكفر ثم هو متأول بأن هذا الأمر جائز أو أن ولي الأمر تجب طاعته مطلقاً والإثم على الآمر لا المنفذ .

الفصل السابع : القوانين الوضعية التشريعية والتحليل والتحريم

وتحت هذه الفصل بعض الوقفات والمسائل الفرعية :

الوقفة الأولى : تعريف القانون في اللغة وهل القانون كلمة عربية؟:

اختلف أهل اللغة في ذلك على رأيين :

الأول من يرى أن كلمة قانون لفظة دخيلة، مأخوذة من اليونانية وقيل من اللاتينية وقيل غير ذلك، وهذا رأي ابن منظور وابن سيده .

الثاني أنها كلمة أصيلة عربية مرجعها التقنين، وهذا الأظهر عندي .

يقال: قنن إذا ضبط وقاس وقعد وحدد .

قال صاحب القاموس : قنن إذا قاس الشيء وكل شيء يحدد ويقاس ويضبط ويقعد يسمى تقنينا وقانوناً .

الوقفة الثانية : تعريف القانون اصطلاحا :

مجموعة قواعد تحكم الناس وسلوكهم وعاداتهم وإخضاع كل فرد لها، ومن رفض الانقياد لها يجبر عليها ويعاقب على مخالفتها، فهي قواعد إلزامية .

الوقفة الثالثة : معنى كلمة وضعية :

سميت القوانين بالوضعية لأنها من وضع البشر، وضعوها بين الناس ليتحاكموا إليها، وليست من وضع الرب ﷻ وتشريعه، وسميت وضعية في مقابل الشرائع السماوية .

الوقفة الرابعة : حقيقة هذا المسمى في القرآن وفي مصطلح العلماء :

القانون جاء في الشرع في كتاب الله تعالى وفي مصطلح أهل العلم بتسميته: (التشريع والتحليل والتحريم) وشرك التشريع والتبديل، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١ ﴿ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا ﴾ التوبة: ٣٧ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ الفتح: ١٥. وسماهم الله ﷻ شركاء ومشركين ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ الأنعام: ١٣٧ ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١. ولذلك اصطلح العلماء على تسميته بشرك التشريع وشرك الحكم وشرك الطاعة وكفر التبديل والامتناع والإعراض والتولي عن الشريعة، وشرك التحليل والتحريم والأمر وكفر الاستحلال والجحود .

والتشريع : تقدم تعريفه عند الكلام عن مناط كفر التشريع.

الوقفة الخامسة : مناط الكفر في القانون :

التشريع والتحليل والتحريم بغير سلطان من الله والتبديل لأحكام الله تعالى وشرائعه، وحكم الناس بذلك وإلزامهم بها، وهذه الأمور من أخص خصائص الله ﷻ ، فالتشريع والحكم والتحليل والتحريم شرك في الربوبية وفي الألوهية كذلك .

قال ابن تيمية: (والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافرا مرتدا بالاتفاق) الفتاوى٣/ ٢٦٧.

الوقفة السادسة : أوجه الكفر في القانون :

أوجه الكفر في القانون كثيرة جداً وقد سبق أن ذكرناها في أوجه الكفر في الحكم بغير ما أنزل الله وفي التشريع.

ويقال في من شرع قانوناً :

أنه قد نسب العيب للشريعة ولمزها واستهزأ بالدين واستخف به، وكذلك قدح في من شرع الشريعة وسان الدين والآمر الذي هو الله تعالى وكذا الذي جاء بها وهو الرسول ﷺ والذي نقلها وهم الصحابة وأئمة الدين .

فمن وضع قانوناً فقد استهزأ بالله ﷻ وبآياته .

الوقفة السابعة : كل تشريع وقانون كفر بذاته وكلما زاد قانون زاد معه الكفر :

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ التوبة: ٣٧ .

قال ابن حزم : (وبحكم اللغة التي نزل بها القرآن إن الزيادة في الشيء لا تكون ألبته إلا منه لا من غيره فصح أن النسيء كفر وهو عمل من الأعمال وهو تحليل ما حرم الله) الفصل٣/ ٢٤٥ .

فالنسيء هو قانون شرّعه المشركون مخالف لشرع الله يقوم على تأخير الأشهر الحرم فزادوا به في الكفر، فالمشركون لما شرعوا النسيء وهو قانون تشريعي زاد ذلك في كفرهم، ولم يكن هو السبب الوحيد في كفرهم وتكفيرهم بل لهم كفريات أخرى والتشريع للقانون النسيء زاد ذلك في كفرهم، وحتى لو لم يعملوا إلا إياه لكانوا بذلك كفاراً .

والتشريع مثل التصوير، فكما أن المصور يعذب بكل صورة صورها فكذا المشرع يعذب بكل قانون وضعه وألزم به ، لأنهما يشتركان في مضاهاة ومماثلة الله ﷻ

في أمره وخلقه ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ الأعراف: ٥٤ وقد وقع المشرع والمصور في شرك الربوبية والصد عن سبيل الله فاستحقوا زيادة العقوبة لزيادتهم في الكفر والطغيان ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ النحل: ٨٨ .

والعجيب أن مشركي زماننا من المشرعين القانونيين يفتخرون بكثرة القوانين والمواد التي وضعوها ليضاهوا بها شريعة الله ﷻ ، فتجد البعض منهم يقول : وضعت دستوراً وقانوناً يشمل ألفي مادة أو ألفي إلزاما أو ألفي قاعدة أو ألفي قانوناً أو نحو ذلك، ولم يعلم هؤلاء المساكين الحقراء أنهم معذبون بكل قانون وضعوه وأنه يزيدهم في الكفر ولا يدل على أن من وضع قانوناً واحداً لا يكفر فإن من وضع قانوناً واحداً كمن وضع ألف قانون فهم في الكفر سواء من ناحية الخروج من الملة أما من ناحية زيادة العذاب والتعذيب وشناعة الكفر فإنه كلما زاد التشريع والقوانين كلما زاد معهما الكفر .

الوقفة الثامنة : التشريع والتقنين والتبديل لا فرق فيه بين أن يشمل الشريعة كلها أو يكون متعلقا بجزء منها :

فمن استبدل الشريعة منحياً لها واضعاً قانوناً يضاد كل حكم من أحكامها لا يختلف حكمه عن من وضع قانونا واحداً استبدل به شريعة من شرائع الله ﷻ أو حكماً من أحكامها، ولو كان جزئياً ولو في أدنى مسألة مجمع عليها ما دام أنه أمر ووضع قانوناً يحرم حلالاً أو يحلل حراماً أو يسقط واجبا أو يلغي شعيرة، فإن هذا قد خرج من الملة، لتبديله شرع الله تعالى، وقد حكم سبحانه على قريش في النسيء

بأنهم زادوا في الكفر والشرك بسبب هذا القانون، مع أن عندهم كثير من شريعة إبراهيم يعملون بها، عليه فلا يشترط في تكفير القانونيين والحكام المشرعين أن يستبدلوا الشريعة بكاملها، بل مجرد ما يشرع أو يضع قانوناً يتحاكم إليه فهذا يعتبر سبباً من أسباب الكفر والخروج من الملة ومن وضع تشريعاً وقانوناً وحكماً ألزم فيه، ولو كان حكماً واحداً فهو بذلك كافر خارج من الملة ولو أنه مع ذلك حكم في بقية أحكامه بالدين والشرع .

الوقفة التاسعة : القانون الذي هو من شرك التشريع يعتبر من الكفر العملي :

فمن شرع ووضع قانوناً فكفره كفر عمل مخرج من الملة وقولنا : (كفر عملي) أي كفر ظاهر بوجود العمل فمجرد ما يظهر التشريع فإنا نكفره بعمله ولا يشترط مع ذلك انعقاد القلب على الاستحلال أو الاستخفاف أو الاستهزاء أو التفضيل أو حصول كفر القول خلافاً المرجئة .

وإن كان هناك من يرى أن من وضع قانوناً فهو مستحل له معتقد جوازه .

الوقفة العاشرة : احتواء القانون أو التشريع على ألوان من الكفر والشرك :

قد يحتوي القانون على كفر آخر وإن كان هو كفر بذاته، فقد يشرع الحاكم أو العالم قانوناً يقر فيه ألوان الشرك كدعاء القبور أو الطواف بها وحماية ذلك أو يشرع قانوناً بمنع عداوة المشركين والكفار، وهذا موجود في أغالب القوانين الوضعية وهو كفر مغلظ لأنه يبطل شعيرة من شعائر الإسلام وشرائعه .

كذلك قد يقترن بالقانون كفر آخر كتفضيله على الشريعة أو استحلاله، أو الزعم أنه من عند الله تعالى ، وهذا أشد خطورة وكفراً، ومعنى كونه أشد كفراً

وأغلظ لا يدل على أن ما دونه ليس بكفر وإنما يدل على أن هذا الذي فيه صفة الزيادة في الكفر أن صاحبه أشد كفراً في دين الله ﷻ إذ الكفر ليس بسواء . فمن وضع مجموعة من القوانين أشد كفراً ممن وضع قانوناً واحداً وكذا من وضع قانوناً وألزم به الناس أعظم كفراً ممن وضع تشريعا غير ملزم ومن وضع قانوناً وزعم أنه من عند الله ﷻ أشد ممن أقر بأنه من عند نفسه، وإن كان جميعهم خارج عن الملة .

الوقفة الحادية عشرة : الاستدلال للقانون :

من المنكرات التي يقع فيها بعض الجهلة محاولة الاستدلال للقانون من الشريعة ومحاولة استخراج ما يؤيد ذلك القانون من مذاهب الفقهاء والعلماء والأقوال الشاذة .

والأصل أن وضع القانون كفر مخرج من الملة فأصل مبدأ التحليل والتحريم والتشريع هو كفر وشرك أكبر، فلا ينظر بعد ذلك إلى وجود موافقة للشريعة في بعض فروعه وأحكامه ، فبمجرد ما يعطى صاحب القانون خصيصة التشريع والحكم ومضاهاة شرع الله ﷻ فإنه يخرج بذلك من الملة .

الثانية عشرة : الدعوة لأسلمة القوانين :

وهي المطالبة بإبقاء القوانين مع تغيير ما يخالف الإسلام منها لتوافق الشريعة .

وهي دعوة شنيعة وفيها الاعتراف بأصل القوانين وتجويز التشريع الشركي .

الثالثة عشرة : تقنين الشريعة :

المطالبة بأن تصاغ أحكام الشريعة على شكل مواد وتكون مثل هيئة القوانين ولا يكون للقاضي اجتهاد وترجيح، وهي دعوة فاسدة وفيها كثير من المحذورات .

وهي مثل الدعوة للعصرانية وتجديد الدين وتطوير الفقه وإعادة فهم النص وغيرها من الدعوات العلمانية .

الوقفة الرابعة عشرة : حكم الدخول في المجالس التشريعية :

إذا تبين لك هذا الأصل علمت خطأ بعض المنتسبين للعلم الذين يجوزون الدخول في البرلمانات ومجالس النيابة القائمة على شرك الحكم والتشريع والتحليل والتحريم حتى يقول بعض دعاة الجهل منهم إن الخمر حرمناه للأغلبية في تشريعنا ونحو ذلك، فهم لم يحرموه لأن الله ﷻ حرمه وإنما حرموه لأجل أن القانون حرمه، فهم حرموه ديناً من عند أنفسهم لا لكونه دينا من عند الله متبعاً وشرعاً ملزماً .

وكل ذلك باسم الإصلاح ويدعون وجود المصلحة ولم يعلم هؤلاء الجهلة أن أعظم المصالح هي إقامة التوحيد وأعظم المفاسد الوقوع في الشرك وأنت كما ترى كيف وقع هؤلاء في الشرك من أوسع أبوابه بل ويسعون إلى تهوينه وتجويزه والله المستعان ، وسيأتي مزيد بيان للمسألة .

الوقفة الخامسة عشرة : أنه لا يختلف الحكم في واضع القانون سواء كان فرداً معيناً أو جماعة أو مجالس لجنة أو هيئة أو أفراداً في محكمة :

الحكم في المشرع واحد وهو تكفيره مطلقا لوضعه القانون، سواء كان الواضع للقانون الحاكم المشرع أو لجنة عمومية، ولو كان فيها رجل ساكت أو لم يشرع معهم فمجرد وجوده في هذا فهو مقر بهذا القانون ويعد مشرعاً مشركاً بالله تعالى، فمن عمل في مجالس تشريعية كالبرلمانات والمجالس النيابية ومجلس الشعب والأمة ونحو

ذلك فهو كافر خارج من الملة ولو ادعى الإصلاح وأنه يريد محاولة الـشريعة ونحو ذلك .

الوقفة السادسة عشرة : تاريخ القانون :

ذكرنا في فصل تاريخ شرك الحكم مراحل وجود القوانين وأقدم القوانين.

والقانون في الأمة الإسلامية لم يكن معروفـاً في عهـد مـاضٍ وإن كـان معنـاه موجوداً كما كان عند التتار والقرامطة والعبيـديين الباطنيـة، ولكـن لم تكـن تـسمى بالقوانين الوضعية كما هو في وقتنا فهذا الاصطلاح اصطلاح متأخر، لما تعلق الحكام بالغرب وتشبهوا بهم واتبعوهم ، وإلا كان يسمى عند العلماء بالتشريع والحكم بغير ما أنزل الله وشرك التشريع وشرك الحكم وشرك الطاعة.

الوقفة السابعة عشرة : خصائص وصفات وشروط القانون :

الأول : أن يكون عاماً فهو يحكم في العموم كل من فعل كذا صار حكمه كـذا .

الثاني : أن يكون ملزماً، فلا يوجد في القوانين أمر غير ملزم أو شيء يـستحب فعله وإنما يلزم ويجب أو يباح أو يمنع وكل قانون يعتبر ملزماً وإذا لم يكن ملزماً فـلا يعد قانوناً ومع أن قولنا : (ملزم) أي يلزم مـن وقـع فيـه وتحـاكم إليـه ولا يقـصد بمعنى ملزم أنه لا يوجد إلا هو .

الشرط الثالث : أن يكون من جهة وسلطة عليا وأما إذا لم يكن كذالك فلـيس بقانون .

فلا يعد الحكم والأمر به قانونا حتى يتوفر فيه هذه الشروط الثلاثة.

تنبيه : الصفات والشروط التي وضعها القانونيون في القانون موجوده في الشريعة :

الشريعة فيها صفة الإلزام وكذلك صفة العموم . وهي صادرة من فهي من سلطة عليا وصاحبها هو الله ﷻ فهو الآمر وحده لا شريك له وهو الأحق بالتشريع والأمر والنهي وهو المستقل بالسيادة في ذلك ولا سلطة أعلى من سلطته تعالى فهو الملك والسيد المطلق المستحق للربوبية والألوهية ، كذلك الشريعة تملك قصر الناس والله ﷻ يملك قصر الناس على شرعه ومعاقبتهم إذا خالفوه، وأيضاً من صفات الشريعة أنها دائمة وعامة لكل الأزمان والأحوال والأماكن .

ووجود هذه الصفات التي وضعوها في القانون في الشريعة لمن أعظم الدلالات على وجوب العمل بها والتحاكم إليها .

الوقفة الثامنة عشرة : مراحل تشريع القانون :

يأتي التشريع عند عبيد القانون والدستور على مراحل، اقتراح القانون والتشريع ثم التصويت عليه ثم المصادقة عليه ثم إصداره ثم نشره .

الوقفة التاسعة عشرة : بداية منازعة الله ﷻ حقه في التشريع :

أول منازعة في حق الله ﷻ في التشريع هي منازعة العلماء بتحليلهم الحرام وتحريمهم الحلال .

المرحلة الثانية : منازعة الحكام والأمراء فوضعوا القوانين والشرائع المحللة والمحرمة من أنفسهم .

المرحلة الثالثة : العلمانيون حيث شاركوا الحكام والعلماء صفة التشريع ووقعوا معهم في هذا الشرك وأوجدوا ما يسمى بمجالس التشريع والبرلمانات ومجالس النيابة ومجلس الشعب والأمة والديمقراطية واللبرالية ونحو ذلك .

الوقفة العشرون : القانون يكفر به أصناف :

الأول : واضع القانون وسانه ومشرعه ومخترعه .

الثاني : المبدل والمنحي به الشريعة وجالبه للمسلمين والملزم به .

الثالث : الحاكم به .

الرابع : المتحاكم إليه .

الخامس : مستحله والراضي به.

السادس : من يحميه أو يدعوا إليه أو يحسنه للناس .

وقد ذكرناهم في مناطات التكفير .

الوقفة الحادية والعشرون : حقيقة أوصاف القانون :

١ - القوانين في الحقيقة عاجزة عن إيصال المضمون والخير للناس، ولذا فإن الله عز وجل حين يشرع شريعة فإن في تشريعه صلاح للناس لأنه خلقهم وهو العالم بما يصلح لهم وهو الخالق ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ الأعراف: ٥٤، فمن خلق يأمر وهو الخبير اللطيف العليم الرحيم وغيره ذلك من الصفات التي لا توجد في غيره . وأما تشريع من سواه فهو إفساد وضلال .

قال عالم القانون جورج هوايت : (إن السبيل الوحيد للوصول إلى معايير متفق عليه للقانون هو الاعتراف بالوحي السماوي قانونا) وجوب تطبيق الشريعة لوحيد خان.

٢- أنها إفساد في الأرض : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ البقرة: ١١ ومن معاني الإفساد هنا الحكم بغير ما أنزل الله والشرك في الحكم وغيره وتبديل الشرائع .

٣- أنها متناقضة ودائمة التبديل والتغيير ، ولهذا أوجدوا ما يسمى بالتصويت عليها وحق الاعتراض عليها، وهذا لا يوجد مطلقاً في الشريعة فليس فيها تناقض ألبته، فما أوجبه الله ﷻ أو حرمه فهو إلى الأبد وأما النسخ فهو لمصلحة اقتضاها الحال وزالت بانقضاء الوحي وموت الرسول ﷺ .

٤- أنها أحكام جاهلية باطلة يجب الكفر بها.

٥- أن واضعوها طواغيت وأرباب ظالمة وآلهة باطلة ، فيجب التبرؤ منهم وبغضهم وتكفيرهم .

الوقفة الثانية والعشرون : مفاسد القانون :

مفاسده أكثر من أن تحصى فهي التي نشرت الفواحش واستباحت المحرمات ونشرت الكفر والإلحاد، ومزقت المسلمين وأضعفتهم وحاربت الدين والتوحيد وألغت الجهاد وإنكار المنكرات ومكنت لأعداء الله عز وجل وأوجبت مولاتهم وطاعتهم وغير ذلك مما يعسر حصره .

الوقفة الثالثة والعشرون : آثار حكم القانون :

من شرّع قانونا أو حكم به أو تحاكم إليه ترتب على ذلك آثار منها :

١- خروج مشرعه والحاكم به والمتحاكم إليه من الملة .

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن : (من تحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله فهو كافر) الدرر السنية .

وقال الشيخ عبدالله بن حميد: (من أصدر تشريعاً عاماً ملزماً للناس يتعارض مع حكم الله فهذا يخرج من الملة كافر) أهمية الجهاد .

٢- تصيير البلد التي يحكمها القانون بلاد كفر .

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم: (البلدة التي تحكم بالقانون ليست دار إسلام وتجب الهجرة منها عند القدرة) الفتاوى ج١٢ .

٣- تصير الدولة التي لا تحتكم بشرع الله والحكومة الحاكمة بغير الشريعة كافرة.

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز: (وكل دولة لا تحكم بشرع الله ولا تنصاع لحكم الله فهي دولة جاهلية كافرة ظالمة فاسقة) نقد القومية .

وفي جواب اللجنة الدائمة: (إذا كانت الحكومة تحكم بغير ما أنزل الله فالحكومة غير إسلامية لايجوز للمسلم أن يتحاكم إلى حكومة غير إسلامية).

٤- كفر من لم يكفر به ويتبرأ منه .

الوقفة الرابعة والعشرون : لا يمكن اجتماع الشريعة مع القانون مطلقاً :

الحكم بالشريعة من صميم التوحيد وتشريع القانون أو الحكم به من الشرك ولا يجتمع التوحيد والشرك ولا يتلاقيان أبداً بل يتعارضان، كما أنه لا يمكن الإيمان

بهما جميعاً فالقانون طاغوت يجب الكفر به ولا إيمان لمن لا يكفر به، ولا يعتبر المسلم قابلا للشرع حتى يرفض غيره، ومن ادعى أنه يقبل غير الشرع من القوانين ، فإنه يعد بذلك غير مؤمن بالشريعة ولا قابلا لها فقبوله لدين الله وإيمانه به يستلزم رفضه لما سواها وكفره بالقوانين ، وعليه فالقانون لا يجتمع مع الشريعة لا في الحكم والتحاكم ولا في الإيمان بهما فلا يعتبر من حكم بالقانون أنه حاكم بالشريعة ولا يعتبر أنه مؤمن بالله من لم يكفر بالقانون وأهله .

الوقفة الخامسة والعشرون : مصادر القانون عند القانونيين :

أولاً : التشريع الناتج من السلطة العليا الصادر من الرئيس أو من لجنة ونحوها فهذا أول مصدر من مصادر القانون .

ثانياً : الأعراف والعادات فأكثر ما تكون القوانين الوضعية أعراف وعادات .

ثالثاً : العمل بالأديان إذا وجدت كالشريعة الإسلامية واليهودية والنصرانية والمجوسية .

رابعاً : القضاء والأحكام السابقة ويكثر في القانون الإنجليزي حكمهم بالسوابق .

خامساً : قوانين بلدان أخرى .

سادساً : المبادئ العامة : كمبادئ العدالة والتنظيم والمصالح ونحو ذلك .

الوقفة السادسة والعشرون : أنواع السلطات في القانون :

السلطات في نظر القانونيين ثلاث :

السلطة التشريعية التي تشرع القوانين وتسن الدين وتحلل وتحرم .

السلطة القضائية التي تقضي بهذه القوانين في المحاكم الوضعية .

السلطة التنفيذية التي تنفذ أحكام هذا القانون والقضاء بها كالشرط ونحوها.

وكل أصحاب هذه السلطات العاملة بالقانون خارجون من الملة .

السابعة والعشرون : في تسمية القانون والتشريع بأسماء حتى تغير في الحقيقة :

قد تسمى القوانين بأسماء أخرى كاللجان واللوائح والأنظمة والقرارات والمواثيق والسياسة والعادات والمذاهب والسلوم أو نحو ذلك .

وهذا التغيير في الاسم لا يغير المسمى فلو سمى التشريع الشركي والقانون المصادم لشرع الله بالنظام أو القرار والميثاق أو غيرها من التسميات، فإن هذا لا يغير حكمه بأنه قانون تشريعي يخرج صاحبه من الملة، مناط الكفر فيها هو التشريع وهو تشريع أمر يخالف أمر الله ﷻ بتحليل الحرام أو تحريم الحلال .

الوقفة الثامنة والعشرون : تحقيق المناط في كفر اليهود الذين نزلت فيهم آية الحكم في المائدة : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ المائدة: ٤٤:

جاءت في أسباب النزول روايات عدة، وفيها قول اليهود لعنهم الله : اصطلحنا واجتمعنا ، وبدلنا وتكاتمنا وغير ذلك .

ومناط تكفيرهم هو التبديل والتشريع الذي فعلوه واصطلحوا عليه واجتمعوا وتكاتموا على تغيير حكم الله ﷻ في الرجم إلى الجلد، وهذا علة كفرهم في التوراة، فمن بدل حكم الله وغيره فهو كافر بالاتفاق غير مسلم ، وذلك لأنه لم يستسلم لله ﷻ لكونه لن ينقد لأحكام الله وشرعه حتى ولو قال إن حكم الله أكمل

وأفضل وإنني مخطئ فهذا لا ينفعه مقابل تبديل حكم الله ﷻ وتشريعه دينا يخالف دين الله تعالى .

قال ابن تيمية: (والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال أو بدّل الشرع المجمع عليه كان كافرا مرتدا بالاتفاق) الفتاوى٣/ ٢٦٧.

الوقفة التاسعة والعشرون : القانون يعتبر ديناً :

ووجه ذلك أن الدين هو ما يتدين به الإنسان ويلتزمه ويستسلم له وبه ينقاد، ولا شك أن القانون فيه هذه الصفة، ومن شرع ووضع قانوناً وحكم به فقد التزم بذلك القانون ودان به فهو دين ولكن دين باطل وهو شرع ولكن شرع شركي وهو حكم ولكن حكم جاهلي وقد سماه الله دينا كما في قوله تعالى : ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾ الشورى: ٢١ .

الوقفة الثلاثون : وجود أنواع الطاغوت الثلاثة في القانون والتشريع:

١ – طاغوت العبادة ٢ – طاغوت الإتباع ٣– طاغوت الطاعة

المشرّع وراعي القانون سوغ لنفسه أن يعبد مع الله ويتبع ويطاع، وقد سما الله القانون والمشرع له طاغوتا كما أخبر سبحانه، والعجيب أنه توجد في شرك الحكم والتشريع جميع صفات الطواغيت وتتحقق فيه الطاغوتية بأقسامها وإليك بيان ذلك بدليله :

فالقانون معبود من دون الله لذا كان داخلا في طاغوت العبادة قال تعالى مبينا هذا الأصل : ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ﴾ يوسف: ٤٠ ، فجعل الحكم عبادة يحصل بها كمال الذل والخضوع وتعظيمه لذلك لا ينبغي أن تصرف إلا لله ﷻ

وتجويز صرفها لغير الله تعالى يعتبر داخلا في الطاغوتية وإذا سوغ المشرّع لنفسه هـذه الصفة وشرع كان طاغوتاً .

كذلك الحكم بالقانون واتباعه داخل في طاغوت الإتباع ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا ﴾ التوبة: ٣١ ، واتخاذهم إتباعهم .

كما أن طاعة المشرع والتحاكم لشرعه وقانونه داخل في طاغوت الطاعة ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ .

فانظر كيف يوجد في القانون والتشريع جميع أنواع الطاغوت الثلاثة .

لأجل هذا كان شرك الحكم من أعظم صور الطغيان ، واستحق أن يسمى الحاكم المشرك طاغوتاً يجب الكفر به : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ ﴾ النساء: ٦٠.

وهنا لفتة لطيفة تدل على فقه إمام الدعوة أنه لما جعل رؤوس الطواغيت خمسة جعل أثنين من رؤوس الطاغوت متعلقة بالحكم .

الوقفة الحادية والثلاثون : كل ما يؤدي إلى نشر القوانين والعمل بها يعد داخلا في هذا الناقض :

يحرم إنشاء الكليات لتدريس القانون، كما يحرم طبع ونشر الكتب التي تدعو إلى القوانين وترويجها ومدحها وتحسينها والدعاية إليها .

فكل هذه من الأمور المحرمة وهي وسيلة من وسائل الشرك التي قد تؤدي بصاحبها إلى الكفر الأكبر .

ولمحمد بن إبراهيم فتوى بإيجاب إخراج كتب القانون من المكتبات إتلافها .

الوقفة الثانية والثلاثون : الياسق :

الياسق كلمة مغولية تركية تترية وجاء ضبطها بياسا وياسق وياسه وسياسة ويساق ويسق وغير ذلك، والياسق هو قانون وتشريع التتار الذي وضعه وابتدعه جنكيزخان.

والتتار قبيلة مغولية تركية وهم الذين اجتاحوا بلاد المسلمين ودخلوا بغداد واسقطوا الخلافة عام (٦٥٦هـ) .

والذي وضع هذا القانون ملك التتار جنكيزخان وقد حكم به بنوه من بعده حتى الذين ادعوا الإسلام كأحمد بن هولاكو وقازان .

وكان مصدره من الأحكام الإسلامية وأحكام من التوراة والإنجيل وأحكام من هواه .

وأصل هذا القانون كان أنظمة عسكرية للجند ثم صار كتاباً في جزأين يحكم به بين الناس .

وقد كفر العلماء من يحكم به من الحكام الذين أدعوا الإسلام وأوجبوا على المسلمين قتالهم وعدم قبول الإسلام منهم وذلك لعدم التزامهم بالشريعة.

ومن ذلك فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في التتار، وكذلك فتوى ابن كثير رحمه الله في تفسيره وكلامه في تاريخه عنهم وأيضا المقريزي وابن الأثير .

الوقفة الثالثة والثلاثون : مع المرتد الدكتور عبدالرزاق السنهوري :

هذا الرجل والعياذ بالله من أعظم المفسدين في الأرض الذين استشرفوا خاصية التشريع، وقد كان له أثر كبير في نشر القوانين بل ووضعها للدول العربية

كالعراق، وله شرح للقانون المصري يقع في مجلدات وله كتب في القوانين ومقارناتها بالشريعة ككتاب الالتزام بالحق في الشريعة والقانون، وقد هلك وبقي مما كتبت يداه من تشريعات يعمل بها في كثير من أنحاء العالم الإسلامي نسأل الله العافية .

فالرجل وقع في شرك التشريع وضاهى الله عز وجل في فعله حيث شرع وحكم بغير ما أنزل الله عز وجل وجعل من نفسه رباً يأمر العباد وينهاهم بما يراه صالحاً ، فارتد بهذا عن دينه والعياذ بالله وتجاوز حده وأصبح طاغوتاً ونازع الله تعالى في أخص صفاته في الأمر والنهي والتحليل والتحريم والتشريع ، وكذب بقوله ﷻ : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ .

وقد رد عليه علماء عصره ومصره في شركه واحتقاره الشريعة وإعراضه عنها وبينوا عوره وضلاله وظلمه منهم السيد عبدالله علي بن الحسين شيخ علماء الأزهر والشيخ عبدالوهاب طلعت .

الوقفة الرابعة والثلاثون : علاقة القانون بالحكم :

أن القانون داخل في الحكم بغير ما أنزل الله .

أن كل مشرع وكل قانوني حاكم بغير ما أنزل الله وليس كل حاكم بغير ما أنزل الله يعتبر مشرعاً أو قانونياً .

وقد يحكم قاض بغير ما أنزل الله ملتزماً هواه أو عادة أو عرفاً أو يلتزم قانوناً فلا يكون هو الذي وضع القانون وشرعه فيكون حاكما بغير ما أنزل الله لكن لا يكون مشرعا ولا صاحب قانون ، مع كون الحالين ردة مخرجه من الإسلام.

الوقفة الخامسة والثلاثون : العلاقة بين القانون والتشريع :

التشريع على قسمين :

القسم الأول : تشريع بحق وهو من صفات الله ﷻ وخصائصه التي تفرد بها فهو المشرع لخلقه وعباده .

القسم الثاني : تشريع باطل بظلم وشرك وهو الذي يقوم به المشركون من المخلوقين وهذا ما يسمونه بالقوانين الوضعية فهو من أفعال البشر ولا يوصف الله عز وجل بذلك ولا يوصف بأنه يضع القوانين، وإنما يوصف بأنه يشرع ويسن الدين ويأمر وينهى ويحلل ويحرم.

الوقفة السادسة والثلاثون : علاقة القانون بالتحليل والتحريم والفرق بينهما :

التحليل والتحريم : هو أن يحلل ما حرم الله أو يحرم ما أحله الله .

وجاء في القرآن الكريم أنواع التحريم ودلالاته على أصناف من أهمها :

١ - التحريم الحقيقي الذي يقوم به الكفار الراجع للتشريع والحكم كالنسيء والسوائب ونحو ذلك .

٢ - مجرد الترك قد يسمى تحريماً .

٣- ترك الشيء رهبانية وتديناً وتعبداً، وهذا من البدع كما فعلته النصارى واتبعتهم الصوفية في ذلك فيحرمون على أنفسهم ما أحل الله تعبداً ورهبانية فيحرمون بعض أنواع اللباس والفرش والشرب والمساكن ونحو ذلك لا يزهدون فيها وإنما لا يقولون بجوازها وإنما يقولون بحرمتها .

٤ - الترك بنذر أو يمين : كما فعل الرسول ﷺ حين حرم على نفسه العسل .

تنبيه : تحريم يعقوب عليه السلام على نفسه .

اختلف أهل العلم في الجواب على ذلك :

فقيل : هذا من الاحتياط والتورع في بعض المشتبهات .

وقيل : هذا من شريعة يعقوب عليه السلام التي نسخها الله ﷻ ، وقد جاءت النصوص بالنهي عن مثل ذلك ومنه إنكار الله على رسوله ﷺ حين حرم على نفسه العسل الذي أحله الله ، وإنكار النبي ﷺ على الذين حرموا على أنفسهم المباحات.

الفرق بين التحليل والتحريم وبين القوانين والتشريع :

بينهما عموم وخصوص :

الأول : التحليل والتحريم الأصل أنه لا إلزام فيه فقد يحلل العالم حراماً ولا يلزم بتحليله ولا يملك السلطة على ذلك .

وأما القانون فيجمع مع التحليل والتحريم إلزام الناس به وتعميمه بجعله عاما على الناس وبذلك يصير قانوناً .

الثاني : ليس كل قانون فيه تحليل وتحريم ، كالقوانين التي تحوي مشقة وظلما وجورا .

ويشترك المحلل والمحرم مع المشرع وأصحاب القوانين في الوقوع في الشرك والامتناع عن الشريعة وعدم الانقياد لها وعدم قبولها فيكفرون من هذا الوجه .

وقدمنا العلاقة بين التحليل والتحريم والتشريع .

تنبيه : للتشريع علاقة بكفر الاستحلال وقد تكلمت عنه في شرح النواقض في ناقض البغض والرد.

الوقفة السابعة والثلاثون : الفرق بين القانون والتشريع والتنظيم الإداري :

الأحكام على قسمين :

أ- أحكام تشريعية قانونية : تحلل حراماً وتحرم حلالاً وهذه من خصائص الله عز وجل فمن فعله فهو كافر خارج من الملة .

ب- أحكام تنظيمية إدارية : توضع لمصلحة عامة ومنفعة الناس وضبطهم كنظام الجند أو ديوان الجند الذي وضعه عمر ﷺ .

فالتنظيم الإداري لا يعد تشريعاً فقد وضع عمر ﷺ ديوان الجند ووضعت دواوين متعلقة بالمظالم والزكاة والعمال ونحو ذلك .

وللشنقيطي في أضواء البيان ٣/ ٢٦٠ كلام جيد في المسألة.

وقد خالف في التنظيم الإداري طائفتان :

الأولى : حرموا كل ما يصدره الحاكم من أمر ونهي وعدوه من التشريع وكفروا به . سواء كان الحكم مخالفاً لأمر الله محللاً حراماً أو محرماً حلالاً، أو كان غير ذلك من الأوامر التي فيها خير للعباد وتقتضيها المصلحة وفيها منفعة للمسلمين مع عدم مخالفتها للشريعة .

الثانية : غالوا في فهم التنظيم الإداري فأدخلوا فيه التشريع والحكم بغير ما أنزل الله ، فجعلوا الربا والقوانين التجارية والمدينة وإسقاط الحدود وعدم إقامتها من قبيل التنظيم، وجوزوا كل كفر واستحلوا شرك التشريع وجوزوا للحاكم الحكم بغير ما أنزل الله في كل ما فيه مصلحة أو منفعة له وجعلوه من باب التنظيم الإداري.

والضابط في الفرق بين الأمرين :

أن التشريع هو كل حكم فيه مخالفة لدين الله ومصادمة لحكمه بتحليل حرام أو تحريم حلال أو إسقاط واجب أما التنظيم الإداري فلا يحلل حراماً ولا يحرم حلالاً ولا يلغي أمرا، ولا يكون فيه أمراً مخالفاً للشريعة .

وقل مثل ذلك في الفرق بين الدمقراطية والشورى .

الوقفة الثامنة والثلاثون: علاقة القوانين بالمصلحة :

يتعلل بعض المسوغين للقوانين الوضعية بالمصلحة المرسلة وقد توسع فيه البعض فأدخلوا في شرع الله تعالى ما ليس منه بدعوى المصالح المرسلة أو الاستحسان أو القياس، والمصالح على قسمين : مصالح معتبرة ومصالح غير معتبرة.

والمصالح المعتبرة : هي ما جاءت الشريعة بها أو لا تعارض الشريعة بل توافق أصول الشريعة وما سوى ذلك فمصالح غير معتبرة لا يجوز العمل بها وأما القوانين فليست من باب المصالح بل هي من باب تحليل الحرام وتحريم الحلال .

والمصلحة متى جعلت في مقابل الدليل وقدمت عليه كانت بذلك داخلة في التشريع المحذور والتحليل والتحريم والتشهي في الدين .

كما أن للتحسين العقلي عند المعتزلة علاقة بالقانون وشرك التشريع وقد تؤدي مبالغاتهم في التحسين إلى تسويغ التشريع .

الوقفة التاسعة والثلاثون : الفرق بين القانون والمعصية :

يظن البعض أن القوانين الوضعية والتشريع من قبيل المعاصي، والحق أن القانون والتشريع من الكفر الأكبر وليس مجرد معصية، والفرق بين القانون والمعصية من وجهين :

الأول : ليس في المعصية مضاهاة ومشابهة لخصائص الله ﷻ وليس في المعصية شرك بخلاف التشريع، الذي فيه الشرك في الربوبية والألوهية .

الثاني : أن العاصي عنده الالتزام بالشريعة بخلاف المشرع فليس عنده الالتزام والانقياد للشريعة ولا قبولها فالعاصي عنده أصل الالتزام وخالف في كمال الالتزام بخلاف المشرع فليس عنده أصل الالتزام بالشرع فنقض الأصل والعاصي نقض كمال الانقياد .

الوقفة الأربعون : علاقة القانون بالبدعة والفرق بينهما :

البدعة على قسمين : بدعة كبرى مكفرة بدعة صغرى غير مكفرة .

أعظم بدعة على الإطلاق بدعة الشرك في عبادة الله وربوبيته والذي منه شرك التشريع ومنه سن القوانين الوضعية والحكم بغير ما أنزل الله . فالقوانين الوضعية من البدع الكبرى المكفرة، والمشرع أعظم مبتدع .

والفرق بين مجرد البدعة التي لا تخرج من الملة وبين التشريع :

أن البدعة الصغرى هي ما وضع على مضاهاة الشرع ولكن على مقتضى الدليل مع الانتساب للشريعة . وما فعل المبتدع ذلك إلا لهواه وإتباع المتشابه فهو كالعاصي عنده أصل الالتزام والانقياد للشريعة وخالف بدعوى الدليل والتأويل والقياس والهوى وإتباع المتشابه ونحو ذلك .

وهذا بخلاف المشرع الذي يضاهي صراحة فعل الله ﷻ ويشرع ما يناقض دينه ويبتدع حكماً يحلل ما حرم الله ويحرم ما أحله .

الخلاصة : التشريع كفر ناقل عن الملة ولو كان في جزئية واحدة ولا يعتبر التشريع هنا كالبدعة أو المعصية أو التنظيم الإداري أو المصلحة .

تنبيه : ينبغي أن يعلم أن المعاصي سبيل إلى البدع وأن البدع سبيل إلى التشريع.

وللشاطبي رحمه الله كلام بديع في ذلك طالعه في كتابه الاعتصام.

الحادية والأربعون : المشرعون في زماننا أشد كفراً من المشركين السابقين :

وخذ مثال لذلك تجريم اليهود للزنا وخلافهم إنما هو في العقوبة ، وهؤلاء لا يجرمونه أصلا .

الثانية والأربعون : الحاكم بالقانون أشد كفراً ممن يحكم بهواه المجرد :

فعندنا حاكمان يحكمان بغير ما أنزل الله، أحدهما يحكم بمجرد هواه والآخر يحكم بالقانون الوضعي، فكلاهما كافر خارجان عن الملة إلا أن الحاكم بالقانون أشد كفراً ، لمضاهاة شرع الله ﷻ وتفضيله لغير شرعه .

ثم يقال : أن الحكم في القضية العينية بغير ما أنزل الله لا يكفر إذا حكم بهواه بينما يكفر إن حكم بالقانون فيها .

الوقفة الثالثة والأربعون : هل المشرّع يعتبر مستحلا جاحدا :

هذه المسألة مختلف فيها بين أهل العلم : مع إجماعهم على كفر المشرع :

فمن أهل العلم من يرى أن التشريع كفر بذاته ولا يشترط معه الاستحلال، فقد لا يكون المشرعّ مستحل ولا يستحل بقلبه عمله .

ومنهم من يرى أن المشرّع مستحلا استحلالاً عمليا، وأن استحلاله استحلال عملي وليس قلبياً، أي أن عمله هذا يدل على الاستحلال القلبي وهو ما يسمى (كفر الامتناع وعدم الانقياد لشرع الله).

وقال بعضهم: المشرع وجد معه قرينة الاستحلال ، فلو لم يعتقد أن حكم غير الله ﷻ أفضل لما ترك حكم الله، ومن هؤلاء الشيخ محمد بن إبراهيم في وضعه التشريع في كتابه في (رسالة تحكيم القوانين) وضع التشريع من أقسام الكفر الاعتقادي، والشيخ محمد بن عثيمين.

ومنهم من يرى أن المشرع مستحل استحلالاً قلبياً . وجعلوا التشريع من جنس كفر الاستحلال وجعلوا المشرع من المستحلين بمجرد وضعه للقانون.

فمثال التشريع : يجوز ويباح الزنا إذا كان برضا المرأة أو في مواطن السياح، وهذا بعينه هو الاستحلال القلبي الكفري .

وهذا القول الذي يعد المشرع مستحلا فيه رد على المرجئة لأن المشرع مستحل مطلقاً، وهم لا يكفرون المشرع إلا أن يستحل ولا يكفرون إلا بالاعتقاد .

ثم نقول : انه حتى على فرض عدم استحلال المشرع لا اعتقاداً ولا عملاً فإن التشريع كفر عملي، فهو مثل السجود للصنم وسب الله والاستهزاء والسخرية بدين الله ﷻ فهؤلاء كفرهم كفر عملي ولو لم يعتقدوا جواز أفعالهم .

لأن الإيمان عند أهل السنة قول وعمل وكذلك الكفر قول وعمل، فهم يكفرون بالعمل كما يكفرون بالاعتقاد .

من ذلك تكفير الساجد للصنم استحل أو لم يستحل أو الذي يضع المصحف في الزبل أو يسب الله ورسوله ودينه يكفر سواء استحل أو لم يستحل والمشرع مثلهم يكفر استحل عمله وفضله على شرع الله أو لم يستحله ويفضله .

وعليه نقول أن المشرع يكفر على أحد ثلاثة أوجه وفي كل هذا رد على المرجئة :

أنه مستحل بقلبه كما ذهب لذلك البعض .

أن التشريع من الاستحلال العملي .

أن التشريع كفر بمجرد فعله وحصوله استحل المشرع أو لم يستحل .

ومثل المشرع الحاكم والمتحاكم كلهم يكفرون بشركهم في الحكم.

الوقفة الرابعة والأربعون : البرلمانات والمجالس التشريعية :

من أعظم محاضن شرك التشريع والقوانين الوضعية ما يسمى بالمجالس التشريعية المتمثلة في البرلمان ومجالس النيابة ومجلس الأمة ومجلس الشعب ونحوها . وهذه المجالس لا يجوز دخولها حتى ولو كان قصد الداخل فيها الإصلاح وظن وجود المصلحة فيها فإنما عمله عين الإفساد، وقد ضل من جوز الدخول في هذه البرلمانات بقصد تغيير الأحكام المخالفة للشريعة ولم يفقه علة المسألة .

ووقع صاحبه في عدة نواقض :

الأول: الشرك بالله في الحكم .

الثاني : الإعراض عن الدين والامتناع عن العمل به والانقياد للشرع.

الثالث : عدم تكفير المشركين وتصحيح مذهبهم .

الرابع: حضور مجالس المستهزئين والقعود مع من يكفر بآيات الله .

الخامس : الخروج عن الشريعة .

لأن أصل الحكم فيها قائم على التشريع والوسيلة التي يـراد الوصـول بهـا إلى الغاية وسيلة كفرية فلا تبرر الغاية .

والدخول في المجالس التشريعية لا يجوز من جهات :

الأولى : عدم النفع فيها والواقع يشهد بذلك .

الثانية : أنهم اتخذوا وسيلة محرمة كفرية لأمر واجب وهو الحكم بالشريعة .

الثالثة : أنه حتى لو حكم القانون في مسألة بحكم الـشرع، كـأن يحـرم الخمـر ويمنع بيعه وشربه بالقانون الـصادر مـن المجلـس فـإنما تحريمـه بتحـريم هـؤلاء لا بتحريم الله ﷻ والحكم فيه بحكمهم لا بحكم الله، فحكمـه في هـذا القـانون وافـق حكم الله ﷻ لا تعمداً وقصداً ولذا يوجد في القوانين الأوربيـة مـا يوافـق الأحكـام الشرعية هذا لا يمنع من كفر القانون، لأن مجرد وضع القانون واستـشراف خاصـية التشريع يعد كفراً ناقلاً من الملة، فليتنبه لذلك وليتفطن الموحد لهذه الخدعة الإبليسية وليتق الله من يسوغ الدخول في هذه الأوجه الكفرية الشركية .

الخامسة والأربعون: حكم دخول البرلمانات والمجالس التشريعية والقسم بها:

من الكفر البواح دخول البرلمانات والمجالس التشريعية ، ولو ادعى صـاحبها الإصلاح ، ويزيد الأمـر غلظـة في الكفـر إذا قارنهـا القـسم عـلى احـترام الدسـتور والقانون والقسم به ، فيصير شركا مركب وظلمات بعضها فوق بعض .

لأن فيها تول عن حكم الله وحكم بغير ما أنـزل وتحليـل لمـا حـرم واسـتهزاء بشرع الله وأمره والطعن في الدين والانقياد والاستسلام التام لغير الله تعالى .

بل ويكفر من يرشح وينتخب هؤلاء الكفرة المتسمين بالمشرعين إذا كان عالمـا بأنهم يحللون ويحرمون ، ومن باب أولى من يجوز لهم هذا الشرك .

الوقفة السادسة والأربعون : الدستور وسيادته من كفريات القوانين :

الدستور هو الحكم الأساسي للدولة المتعلق بالرئيس وحكومته ونظام حكمه . وهو يعتبر أعلى درجات القوانين مكانـة لأنـه متعلـق بأصـل الأحكـام وطريقتهـا ونظامها وصفة قانونها وطريقة الحكم والسياسة في البلد والدولة عند القانونين.

أما السيادة فهي الجهة الآمرة للدولة والسلطة العليا التي لا سلطة فوقهـا ولا ترضخ لأمر أحد والتي لها حق التشريع والأمر والنهي .

والسيادة قد تكون خاصة للمعين كرئيس البلد وقد يشترك فيها معـه أعـضاء كالمجلس التشريعي أو البرلمان أو مجلس الشعب أو مجلس الأمة ونحوهم.

والسيادة في أغلب الدول الإسلامية وضعت للقوانين الوضعية بعد أن كانت لله ولشرعه والله المستعان .

وهذا من أعظم الكفر والشرك لأن السيادة من خـصائص الله ﷻ وهـي مـن حقوقه تعالى فالسيد هو الله ﷻ ، فهو رب الخلق وهو آمرهم وهو سيدهم وحـده لا شريك له ، فلا أمر فوق أمره ولا شرع أعظم من شرعه ولا حكم أوجب للاتباع من حكمه ومن وضع حكمه فوق حكم الله فهذا أشنع كفراً وأشد شركاً ونفاقاً وأغلـظ ردة والعياذ بالله .

مبحث : الديمقراطية :

الديمقراطية من أعظم أنواع شرك التشريع والحكم .

وتعريف الديمقراطية : تعني حكم الشعب بالشعب . وأن يجعل حق التشريع والحكم والتحليل والتحريم للناس والنواب عنهم المنتخبين في المجالس التشريعية .

ومنبعها جاء من العلمانية وكان أول خروجها في أوروبا بعد الثورة الفرنسية حين خرجوا على الكنيسة وأحكامها وتشريعات النصرانية، ثم انتقلت هذه العلمانية وهي فصل الدين عن الدنيا والسياسة وحكم الشعب بتشريعاتهم وآرائهم إلى المسلمين بعد ذلك على يد المستعمرين والمستشرقين ثم الذين ذهبوا في بعثات وكانوا أذناباً للمستعمرين، فحكموا بين المسلمين بالقوانين الوضعية المنتخبة من مجالس الشعب بزعمهم .

والديمقراطية أخذت النصيب الأوفر في شرك الحكم والتشريع والقانون بين الحكومات .

والديمقراطية تعتبر دينا باطلاً ومن دان بها وفرح بها فهو كافر خارج عن الملة.

ومثل الديمقراطية الاشتراكية والرأس مالية واللبرالية والتي تقوم على فك رباط العبودية واعطاء الناس الحرية المطلقة وعدم إلزامهم بالدين وحكمهم بالشريعة عليهم ولا إيجاب شيء عليهم من قبل ربهم الذي خلقهم وأمرهم .

مسألة : الفرق بين الشورى والدمقراطية :

أن الحكم في الشورى لله ﷻ فهو وحده الحاكم ، أما الحاكم والمشرع في الديمقراطية فهو المخلوق .

أن الديمقراطية فيها تحليل الحرام وتحريم الحلال ومصادمة الشريعة أما الشورى فهي في المسائل الاجتهادية وليس فيها تحليل وتحريم وليس فيها مخالفة للشرع .

أن المرجع في الدمقراطية تكون من السوقية والرعاع وليست في أهل الحل والعقد والرأي.

مفاسد الدمقراطية واللبرالية والعلمانية :

أنها تؤله المخلوق وتعطي الحكم والتشريع غير الله ولا تعترف بأن الحاكمية لله وحده .

أن فيها الإشراك بالله وتأليه الأغلبية .

أنها تنحي الشريعة وتعارض حكم الله وتصد عن الدين الحق وتعطل أوامر الله من جهاد وحسبة ونهي عن المنكر ودعوة .وتلمزها وتتهما بالنقص .

أنها تميع الولاء والبراء .

الخضوع لغير الله من الدساتير الطاغوتية والعلمانية .

فيها تضييع الدين من المسلمين، والتخلي عن الدين والشرع، ومحاربة أهله. وخدمة لليهود والنصارى وتمكين لهم، والتأسي بهم .

أنها تحمي كل كفر وتسمح بالردة والزندقة فضلا عن المحرمات والفواحش ويعيش في ظلها كل أنواع الكفرة فلهم الحرية في أن يكفروا ويسبوا الدين .

أنها تعترف بأنظمة الكفر وقوانين الشرك وتدافع عنها بـل وتـساند الكفـار في حربهم على المسلمين.

الناس في دينهم سواء المسلم والكافر والذكر والأنثى فسووا بين من فـرق الله بينهم في حكم الحال والمآل ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ القلم: ٣٥.

وفيها مساواة أصلح الناس وأعلمهم مـع أفـسد النـاس وأجهلهـم في تقريـر الحكم .

أنها تسمح بتمكين الكفار وتوليتهم على المسلمين .

ومن إفرازات الديمقراطية، أن الـشعب يحكـم نفـسه بنفـسه، أي أن المـشرع المطاع في نظر الديمقراطية هو الإنسان وليس الله.

أنها تدعو لحرية الاعتقاد، ولو كـان مـؤداه إلى الارتـداد عـن الـدين. وحريـة التعبير ولو كان فيه الطعن بدين الله تعـالى والـتهكم بـه، حيـث لا مقـدس في نظـر الديمقراطية ودعاتها فوق النقد والتعقيب أو الـسؤال والاعـتراض عليـه. والحريـة الشخصية بمدلولها الإباحي البهيمي، فللمرء في ظل الديمقراطية أن يفعل ويمارس ما يشاء، ما لم يخالف ذلك قوانينهم الوضعية.

فالمعبود المطاع في نظر الديمقراطية ودعاتها هو الإنسان وما يهواه، ومـن غلـو القوم في هذا الدين الجديد، أنهم يوالون ويعادون عليه، ويقـاتلون ويـسالمون عليـه، فمن دخل فيه سالموه ووالوه، ومن أبى حاربوه وعادوه !

فالديمقراطية طاغوت تفرع منهـا طواغيـت تعبـد مـن دون الله، ومـع ذلـك فالناس يدخلون فيها كدين، ويحتكمون إليها والله المستعان .

حكم الشعب :

عندما يكون الشعب مصدر التشريع، ويكون له الأمر والاختيار في من يحكم، والقانون الذي يطبق فالشعب في هذه الصورة طاغوت ومعبود من دون الله وندا لله تعالى في خاصية الحكم والتشريع، والنزول عند رغبته تقديم إرادة الشعب على إرادة الله وطاعته لذاته .

تنبيه: اعلم أن حكم الشعب ليس حكم الله وإن حكم بشريعة الإسلام وأصاب الحق، وذلك من وجهين:

أولهما : أن تطبيق شريعة الإسلام هو في الحقيقة نزول عند رغبة الشعب وإرادته، وليس انصياعا لأمر الله وإرادته، بدليل أن الشعب لو اختار فيما بعد الحكم بشريعة غير شريعة الإسلام، فإنها تُطبق وتحل محل شريعة الإسلام من غير إنكار أو اعتراض من أحد، لأن الجميع قد تعارفوا فيما بينهم على أن الحكم للشعب، وأن مرد الأمر له، فله أن يحكم ما يشاء بما يشاء .

الوجه الثاني أن قضية الحكم والتحاكم هي من الله إلهية وربوبية، ومن العباد عبودية وطاعة وتوحيد، فالغاية العظمى من قضية التحاكم إلى شرع الله هي تحقيق عبودية العباد لله تعالى في هذا الجانب، وهذا لا يتحقق إن كان المقصود طاعة الشعب ونزولا عند إرادته ورغبته، بل يتحقق العكس وهو عبادة الشعب من دون الله، لأن التحاكم في حقيقته يكون إلى الشعب وليس إلى الله كما تقدم .

ولا يكفي إذن أن يتخذ البشر لأنفسهم شرائع تشابه شريعة الله أو حتى شريعة الله نفسها بنصها إذا هم نسبوها لأنفسهم ووضعوا عليها شاراتهم ولم يردوها

لله، ولم يطبقوها باسم الله إذعانا لسلطانه واعترافا بألوهيته وبتفرده بهـذه الألوهيـة، التفرد الذي يحرر العباد من حق السلطان والحاكمية إلا تطبيقـا لـشريعة الله وتقريـرا لسلطانه في الأرض .

العلمانية :

تقوم على مبدأ فصل الدين عن الدولة والحياة، وأن ما لله لله ، وهـو المـساجد والكنائس والزوايا والمعابد. وما لقيصر لقيصر وهو كل ما تبقى مـن شـؤون الحيـاة ومجالاتها العامة والخاصة ! وأن لقيـصر حريـة التـدخل بخـصوصيات الله تعـالى إن اقتضت المصلحة العامة ذلك، وليس لله أن يتدخل بخصوصيات قيصر، وأي محاولة تكون بخلاف ذلك فهي سرعان ما تواجه بتهمة تسييس الدين، وإدخـال الـدين في السياسة أو العكس، وتهمة ترويج الأصولية والإرهاب.

قال تعالى في أمثـالهم:﴿ فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾ الأنعام: ١٣٦﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ ﴾ هود: ٨٧.

مبحث : مشركوا زماننا في الحكم والمشرعون أشد كفرا من مشرعي اليهود والنصارى ومشركوا العرب .

إذا كان الإمام محمد بن عبد الوهاب يقول أن مشركي زمانه من الصوفية القبورية والرافضة وغيرهم أشد كفرا وشركا من مشركي العرب في الجاهلية وقد صدق رحمه الله وبينا الأوجه في زيادة كفر المتأخرين وغلظة شركهم من عشرة أوجه عند الكلام عن الشرك في الباب الأول .

فإني أقول هنا أن المشرعين ومشركي الحكم في زماننا أشد كفرا من اليهود والنصارى الذين شرعوا وبدلوا حكم الله وشرعه وحرفوا كتابه، وإليك هذا البيان ثم قارن، فحكام زماننا المشركون وقعوا في شرك التشريع والتحليل والتحريم وشرك الحكم وشرك الطاعة والتحاكم بجميع صوره بل إن هؤلاء المشرعين وقعوا في تفضيل شريعتهم على هدي الرسول ﷺ بينما مشرعو قريش كانوا مقرين بفضله وكمال هديه حتى سموه الصادق الأمين .

مبحث : مقارنات :

الأولى: قارن بين تبديل اليهود الذين حرموا الزنا واعتبروه جريمة ولكن خالفوا في عقوبته وبدلوه من الرجم إلى الجلد، وبين تبديل مشرعي زماننا من الحكام المشركين الذين لم يجرموا الزنا أصلا بل أباحوه فلم يبدلوا ويخالفوا في العقوبة وإنما استطالوا على الجريمة بجعلها غنيمة في شريعتهم وخذ المادة ١٩٠ في أكثر القوانين لتعلم ذلك وأن الزنا لا يعد جريمة فضلا أن يكون له عقوبة إذا كان برضى الزانية ولا يعدونه جريمة إلا إذا كان اغتصابا ثم هم مع ذلك يعاقبون على الاغتصاب والزنا والحرابة بأهون العقوبات والمحاكم الاستئنافية قد تسقطها وقد تعاقب من لم يرض بذلك، فأي إباحة وتحليل للزنا فوق ذلك وهل وصل اليهود والنصارى ومشركو العرب إلى مثل هذا الكفر البواح وقل مثل ذلك في قوانينهم المبيحة للربا والملزمة بسداده في محاكمهم التجارية الطاغوتية الكفرية.

الثانية : قارن بين تحاكم بشير الذي قتله عمر ﷺ والتحاكم للأمم المتحدة والشرعية الدولية ومحكمتها العدلية الطاغوتية الكفرية المحاربة للإسلام وأهله وكذا التحاكم للمحاكم والقوانين الوضعية .

الثالثة: قارن بين غضب المصطفى ﷺ من عمر حين رأى بيده وريقات من التوراة التي أصلها منزل على موسى وبين المجلدات التي بيد المشركين من عبيد القانون والتي تشرح القوانين الوضعية الكفرية كالقانون الفرنسي والمصري وغيره وكيف تدرس ويفتح لتدريسها الكليات والمعاهد .

الرابعة: قارن بين قتل ناكح امرأة أبيه وبين من يصرحون لمحلات الدعارة والزنا والسينما وغيرها من المنكرات في زماننا.

عن البراء بن عازب ﷺ قال : مر بي عمي الحارث بن عمرو ومعه لواء قد عقده له رسول الله ﷺ قال فسألته قال بعثني الرسول أن أضرب عنق رجل تزوج أمرأة أبيه . رواه أحمد وغيره.

قال ابن جرير : (فكان فعله ونكاح أمرآة أبيه من أدل الدليل على تكذيبه الرسول ﷺ فيما أتاه به عن الله تعالى وجحوده آية محكمة في تنزيله .. لذلك أمر الرسول ﷺ بقتله وضرب عنقه، لأن ذلك كان سنته في المرتد عن الإسلام) تهذيب الآثار ٢/ ٤٨ .

قلت تأمل الحديث مع ما قرره ابن جرير وكيف جعل العمل الظاهر من الرجل دليل على التكذيب والجحود والاستحلال ، وأن هناك ما يسمى عند العلماء بالتكذيب العملي والجحود العملي والاستحلال العملي الظاهر فالتكذيب قد يظهر في عمل ظاهر .

وقارن بينه وبين ما يحصل في هذه العصور من مشركي زماننا ومشرعي القوانين الوثنية الشركية والأنظمة الحاكمة الطاغوتية التي جوزت الربا والزنا ومقدماته ومنحت التراخيص لترويج تلك الفواحش كالسينما والرقص والتعري والزنا والخمور والتسجيلات الغنائية والدشوش والبنوك الربوية وقامت على رعايتها وحمايتها وسوغت موالاة الكفار وحمايتهم ومظاهرتهم على المسلمين ومنع

تكفيرهم ومعاداتهم وجهادهم باسم المصالح المشتركة والتعايش السلمي والأنظمة الدولية وقرارات الأمم المتحدة .

ولذلك أفتى من أفتى من أهل العلم ومنهم محمد بن إبراهيم وحمد بن عتيق وغيرهم أن من أعطى التصاريح التجارية للأمور المحرمة أنه مستحل لها كافر مرتد.

الخامسة: قارن بين إنكار الرسول ﷺ على أبي شريح في تكنيته بأبي الحكم وما يتسمى به مشرعو زماننا بالسلطة العليا التشريعية والسيادة.

السادسة: قارن بين إفساد المنافقين في الأرض وما أفسده أرباب القوانين الوضعية ويجمع الطائفتين إدعاؤهما الإصلاح .

السابعة: قارن بين عبادة الأحبار والرهبان واتخاذهم أربابا وبين عبادة العلماء والفقهاء في هذه الأمة .

الثامنة: قارن بين العلماء الذين كان لهم شرف الجهاد لهذا الشرك مثل محمد بن إبراهيم وأحمد شاكر والفقي والشنقيطي وغيرهم وبين علماء السوء الذين أباحوها وسعوا في نشرها بل ودرسوها وألفوا فيها كعبدالرزاق السنهوري وغيره .

التاسعة: قارن بين كفار العرب الذين حاربوا الرسول ﷺ وهم مع ذلك يقرون صراحة بكمال هديه وأنه الصادق الأمين ويرضون بحكمه ويفضلونه ، وبين من يفضل هدي الكفار وما عليه الغرب الكافر أو هدي شيوخ الطرق الصوفية مع دعواه الإسلام وحب الرسول ﷺ .

مسألة : صور معاصرة في شرك الحكم والناقض الرابع :

١- زعمهم أن الشريعة لا تناسب العصر ولا يصلح الحكم بها في الاقتصاد والعلاقات والمواثيق الدولية.

٢- جعل السيادات للحاكم والبرلمان والشعب .

٣- التحاكم إلى المحاكم القانونية.

٤- إحالة القضايا الاقتصادية للجهات المختصة بنوك ومحاكم تجارية .

٥- المناداة بالشرعية الدولية وحكم صناع القرار في العالم .

٦- التحاكم إلى محكمة العدل الدولية .

٧- الطاعة الشركية لقرارات الأمم المتحدة.

٨- مدح قوانين الغرب .

٩- الدمقراطية.

١٠- التصويت على الدستور.

١١- دخول البرلمانات والمجالس التشريعية.

١٢- الانتخابات.

١٣- ترك قطع يد السارق والرجم والتزامه.

١٤- الحكم القبلي وتعظيمه في قلوب العامة وهو من الشرك الأكبر وقد خفي خطره على كثير من العوام حتى صار بعض المتعصبين للقبلية يتفاخرون به.

١٥- في نظام العمل: دية المهندس تختلف عن العامل ، بينما لا يفرق بين مسلم والكافر. وغير ذلك كثير .

مبحث : مذهب المرجئة في شرك الحكم والتشريع والتحاكم والطاعة

وكيف أنهم ردوا كفرها للتكذيب والجحود والاستحلال

١ - خالفوا في التشريع: يشترطون في كفر المشرع أن ينسب التبـديل في الحكـم إلى الشريعة ويقول انه من عند الله فهو كفر . وهذا من مذهب المرجئة الخبيثة.

٢ - خالفوا في الحكم: ويشترطون في تكفير الحاكم بغير ما أنزل الله أن يستحل الحكم الشركي ويجحد حكم الله ﷻ .

٣- خالفوا في التحاكم: فجعلـوا منـاط الكفـر في التحـاكم متعلـق بـالإرادة وخاص بالاعتقاد ومحلها في الباطن .

٤ - خالفوا في شرك الطاعة: فجعلوا مناط الكفر فيه هو الاستحلال والجحود وليس القبول والاتباع.

٥- من كفر الحاكم المشرك والمشرع جعلوه من الخوارج

وسبب أقوالهم :

١ - الجهل بمناط التكفير في الحكم والشرك، والفرق بين المعصية والكفر .

٢ - قولهم الفاسد في الإيمان وإخراج العمل منه ، فلا يكون ركنا فيه ولا يكفر أحد بمجرد ترك العمل ولا يوجد كفر عملي أكبر .

وصية : وجوب بيان حكم الله ﷻ في الحاكم المشرك :

أولاً : وجوب تكفير الحاكم الطاغوت المشرك والبراءة من شركه وحكمه والكفر به ، وعدم عذره بالجهل والتأويل .

ثانياً : قتل المتحاكم والحاكم بغير الشريعة، إحياءً للسنة العمرية والشريعة المحمدية والملة الإبراهيمية.

قال الشيخ سليمان بن سحمان :(وهكذا ينبغي أن يفعل بالمتحاكمين إلى الطاغوت فإذا كان الخليفة الراشد قد قتل هذا الرجل بمجرد طلبه التحاكم إلى الطاغوت فمن هذه عادته التي هو عليها ولا يرضى لنفسه وأمثاله سواها أحق وأولى أن يقتل لردته عن الإسلام وفساده في الأرض ... واعلم أنه ما دعا داع إلى حق إلا كان للشيطان شبهة عنده يصد بها الناس ومن ذلك أنه إذا قيل لأهل الطاغوت ارجعوا إلى حكم الله ورسوله واتركوا أحكام الطواغيت قالوا : إنا لا نفعل ذلك إلا خوفا من القتل ... والجواب أن الفساد في الأرض وقتل النفوس سببه إضاعة أوامر الله، ثم يقال إذا عرفت أن التحاكم إلى الطاغوت كفر فقد ذكر الله في كتابه أن الكفر أكبر وأشد من القتل ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ البقرة: ٢١٧، والفتنة هي الكفر فلو اقتتلت البادية والحاضرة حتى يذهبوا لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتا يحكم بخلاف شريعة الإسلام التي بعث بها رسوله، ثم يقال لو ذهبت دنياك كلها لما جاز لك المحاكمة إلى الطاغوت لأجلها) الدرر السنية ١٠/ ٥٠٢ .

الباب العاشر : كشف الأكاذيب والشبهات الداعية للشرك

الفصل الأول : كشف الشبهات عند عباد القبور

القسم الأول : الشبهات العقلية : وهي سبع وثلاثون شبهة .

الشبهة الأولى : قولهم : نحن لا نشرك بالله ولا نعبد إلا الله. الجواب :

أولاً: يقال ما هو الشرك الذي حرمه الله وكفّر فاعله، وما العبادة التي أوجبها الله على خلقه ، والتي لا يجوز أن تصرف إلا لله ومن صرفها لغيره فهو مشرك.

ثم يبيّن له بالأدلة حقيقة الشرك ، وأنه صرف العبادة لغير الله ، ثم يبيّن لـه أن الدعاء عبادة ومثله بقية العبادات ، وأن الدعاء لا يطلب إلا من الله تعالى ، وأن من دعا وطلب غير الله فهو مشرك .

وبهذا يتبين أن مجرد الطلب من الولي الميت شرك أكبر، وهو شرك في الألوهية، ولو كان لا يعتقد فيه أنه ينفع أو يضر ، أمَّا إن اعتقد أنه ينفع أو يضر ، فقد جمع بين شركين ، شرك في الألوهية وشرك في الربوبية.

ثانياً : أن يبيّن له أن فعله واعتقاده هذا ، مثل اعتقاد المشركين الذين قاتلهم الرسول ﷺ وكفَّرهم ، حيث كانوا يطلبون من الله بواسطة الشفعاء مع أنهم كانوا لا يعتقدون أنهم ينفعون أو يضرون، فهم يعتقدون أن النافع والضار هو الله تعالى.

ويدل عليه قوله تعالى عن شرك المشركين وحقيقة عبادتهم لآلهتهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣ ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨.

أي ما نعبدهم إلا بقصد واحد ، وهو مجرد طلب التشفع والتقريب لا أنهم يعتقدون في من يدعونهم أنهم ينفعون أو يضرون ، فتأمل كيف كان الطلب من الصالحين الشفاعة والتقريب عند الله عبادة لغير الله يكفر فاعلها.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كشف الشبهات : (وسِرُّ المسألة أنه إذا قال : أنا لا أشرك بالله ، فقل له : وما الشرك بالله ؟ فسره لي ؟ فإن قال هو عبادة الأصنام ، فقل : وما معنى عبادة الأصنام فسرها لي؟ فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله وحده ، فقل : ما معنى عبادة الله وحده فسرها لي؟ فإن فسرها بما بيّنه القرآن فهو المطلوب ، وإن لم يعرفه فكيف يدّعي شيئاً وهو لا يعرفه، وإن فسّر ذلك بغير معناه، بيَّنْتَ له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان ، وأنه هو الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه ، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون فيه ، كما صاح إخوانهم، حيث قالوا ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا ﴾) .

الثانية : زعمهم أن الدعاء ليس عبادة ، وأن العبادة إنما هي السجود والصلاة:

الجواب أن يقال :

١ – حقيقة العبادة في اللغة والشرع هي الخضوع والذل ، وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

فدخل بهذا التعريف جميع العبادات والتي تجمع صفة الخضوع والذل لله ومحبة الله لها وأن الله أمر بها ، ومن العبادات التي تجمع كل هذا الدعاء إذ فيه الذل والخضوع والله أمر به وهو سبحانه يحبه ونهى عن دعاء غيره .

٢- أن الله تعالى سمّى الدعاء عبادة في مواضع من كتابه كما في قوله ﷻ: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠.

٣- أنه تعالى جعل من يدعو غيره مشركاً، كما في قوله ﷻ :﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ٢٠.

٤- أن الرسول ﷺ جعل العبادات مبناها على الدعاء حين قال: (الدعاء هو العبادة) رواه احمد والترمذي عن النعمان بن بشير.

٥- أن آية: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ فاطر: ١٤ وأمثالها صريحة في دعاء المسألة وشرك الدعاء من أوجه:

من حيث أن المدعو لا يسمع دعاء الداعي ولا يقدر على إجابته وتحقيق طلبه.

ومن حيث أن الله سمى دعائهم لغيره شركا وفاعله مشركا .

الثالثة: أن الدعاء الشركي ليس هو النداء والطلب ، وإنما حقيقة العبادة:

وقالوا : ليس كل نداء دعاء عبادة ، ولو كان كذلك لكان نداء الأحياء والحيوان والجماد شركا، فدل أن نداء الأموات كذلك ليس من الدعاء الشركي.

الجواب :

أولاً : أن هذا من الجهل باللغة وبالقرآن، حيث أن النداء والدعاء مترادفان .

والله تعالى جعل النداء والطلب والسؤال دعاءً ، وسمى النداء دعاءً.

ويدل على ذلك قوله تعالى :﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ مريم: ٣.

وندائه هو الدعاء كما بينته الآية الأخرى:﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ آل عمران: ٣٨.

فالنداء داخل في عموم الدعاء والنداء غالبا يكون بصوت رفيع.

والسؤال هو بمعنى الدعاء والطلب ، ومنه حديث النزول في الصحيحين : (من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه).

ونداء نوح عبر عنه بالدعاء: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ ﴾ الأنبياء: ٧٦ ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ القمر: ١٠.

ونداء يونس :﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ ﴾ الأنبياء: ٨٣.

وقال الرسول ﷺ عن نداء ذا النون : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٧، (دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا فرج الله عنه) .

ثانياً : أن يبين لهم حقيقة العبادة وأن الطلب والنداء الذي هو الدعاء من أعظم معاني العبادة ، وليست العبادة اعتقاد الربوبية في المدعو كما توهم المشركون.

ثالثاً : أن نداء الميت والجماد والحي والغائب لا يكون شركا إلا بشرطين :

الأول : أن يكون النداء حقيقاً يقصد منه الطلب وليس حكمياً ولا مجازياً كالندبة وغيرها .

الثاني : أن يطلب من المنادى ما لا يقدر عليه إلا الله من جلب النفع ودفع الضر ، والميت والغائب لا يقدر على شيء.

وبهذا يتبين أن الدعاء هو النداء والطلب ، وهو قسمان : عادي وعبادي :

ودعاء العادة ما يطلبه الناس من بعض مما يقدرون عليه بالأسباب المعتادة.

ودعاء العبادة هو طلب ما وراء الأسباب مما لا يقدر عليه إلا الله .

رابعاً : يقال لمن زعم أن طلب الدعاء من الأموات عند قبورهم ليس شركـاً : ما حكم طلب الدعاء من الملائكة الحفظة الملازمين لنا ، بقول : يا ملائكة اشـفعي لي عند الله وادعي الله لي ؟ فإن قال : ليس شركا فقد خالف القرآن في تكفـير مـن عبـد الملائكة ودعاهم، وإن قال هو شرك فيلزمه أن يقول دعاء الميت أولى أن يكون شركاً.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : (لو جاز التعلق بالأموات لجاز أن يستظهر العبد بالحفظة من الملائكة الذين هم لا يفارقونه بيقين ، وهذا لا يقوله مسلم أصلاً ، بل لو فعله أحد لكان مشركاً بالله ، فإذا لم يجز ذلك في حق الملائكة الحاضرين فإنه لا يجوز في حق أرواح أموات قد فارقت أجسادها) .

الرابعة: المشرك من يعبد الأصنام ، وكيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام ؟

أولاً : أن من عبد غير الله فهو مشرك سواءً عبد صالحا أو فاسدا حيـا أو ميتـا بشرا أو ملكا أو جمادا لا فرق.

ثانياً : أن أكثر المشركين إنما كانت عبادتهم للصالحين .

فقوم نوح عبدوا ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا ، وهؤلاء رجال صالحين عظمهم قومهم وغلوا فيهم حتى عبدوهم بطلب الشفاعة منهم ، كما قال ابن عباس في تفسير الآية.

واللات الذي عبدته العرب كان رجلاً صالحاً يلت الـسويق للحجـاج ، فلـما مات عكفوا على قبره وجعلوه وثنا .

وعيسى عليه السلام عُبِدَ وهو نبيٌّ واتخذ إلها ، ومن عبده واتخذه إلها فقد كفر .

قال تعالى عن النصارى الذين عبدوا عيسى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ المائدة: ١١٦ .

وقال تعالى عن شرك النصارى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ المائدة: ٧٥ - ٧٦ .

فكان شرك النصارى في عيسى عبادته واتخاذه إلها إنما هو بدعائه من دون الله، وطلب الشفاعة منهم وليس باعتقاد أنه رب يخلق مع الله ، بدليل أن الله تعالى قررهم على أن النفع لا يملكه إلا الله وهم مقرون بذلك لا يخالفون .

والملائكة عبدها المشركون ، وأخبر الله أنها تتبرأ من عابديها يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾ سبأ: ٤٠ .

ثالثاً: أن الأصنام إنما هي تماثيل لمن يعبدونهم فهي بمثابة القبر المعبود، فالأصنام ما صورت ووضعت في الأصل وعبدت إلا باعتبار من هي على صورته وتمثاله من الأنبياء والصالحين ليكون نائباً منابة ، ومن ذلك اللات وود وسواع ، ولم يكن مقصود المشركين عبادة ذات الحجر والشجر إذا عقولهم تأبى ذلك وتمنعه، ثم الواقع دل على ذلك كما في حديث ابن عباس في بداية الشرك واتخاذ الآلهة في قوم نوح ، وإلا فلا يوجد عاقل ينحت حجارة وخشبة بيده ثم يعتقد أنها إلهه ومعبوده ، ومن أسباب عبادتها أيضاً أن الشياطين تدخل فيها وتخاطبهم .

رابعا : أن القبر إذا عبد صار صنما ووثنا ،كما قال النبي ﷺ : (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) . أخرجه مالك وأحمد.

الخامسة : قولهم : إن المشركين لم يكفروا بدعاء الملائكة والأنبياء ، وإنَّما كفروا لمّا قالوا : الملائكة بنات الله وعيسى ابن الله ، ونحن لم نقل عن الأولياء ذلك.

الجواب :

أن من قال عيسى ابن الله والملائكة بنات الله هم بعض المشركين لا جميعهم ، وهذا القول أن الملائكة بنات الله والأنبياء أبناء الله كفر مستقل ، وكما أن الله تعالى كفر من قال هذا القول فيهم فقد كفر أيضاً من طلب منهم الشفاعة مع اعتقاده أن النفع والضر والربوبية ليست لهؤلاء الشفعاء الصالحين عيسى والملائكة وغيرهم ، والله أخبر في آيات كثيرة أنه كفّر المشركين لأنهم دعوا اللات والعزى ومناة والجن وغيرهم وعبدوهم بدعائهم من دون الله لا لأنهم قالوا أن اللات والجن أبناء الله .

الشبهة السادسة : أن عباد القبور لا يعتقدون أن الأولياء أرباب وآلهة .

قالوا : إن المشركين جعلوا الأصنام آلهة وأربابا واعتقدوا أن تلك الآلهة تستحق العبادة ، وأما المسلمون ما اعتقدوا إلا إلهاً واحداً فعندهم الأنبياء والأولياء لا يستحقون العبادة ولم يتخذوهم آلهة مثل المشركين وإنما توسلوا إلى الله بهم.

الجواب :

١ – أن ما فعله مشركو العرب هو نفس ما فعله هؤلاء سواء بسواء وهو طلب الشفاء بقصد أن تقربهم إلى الله زلفى ، فشرك الأولين ليس إلا طلب الشفاعة والتقرب .

٢- أن ما يفعله مشركو زماننا لأصحاب القبور من الدعاء والالتجاء والخضوع هو عين العبادة، وإنكارهم أن هذه الأفعال من العبادة مكابرة منهم للعقل ومخالف للشرع واللغة، وتسميتهم لهذه العبادات توسلاً وتبركاً تغيير للأسماء، وتغيير الاسم لا يغير الحكم والحقيقة والمسمى.

٣- أن كلام هؤلاء الجهلة منشأة شدة جهلهم بمعنى العبادة ، لأن كل ما فعله المشركون قبل البعثة من شرك فعله مشركو زماننا من دعاء وذبح ومحبة وتعظيم ورجاء والتجاء فصرفوا لمعبوداتهم أصناف العبادات واعتقدوا فيهم النفع بالبركة والتقريب إلى الله والشفاعة عنده .

٤- أن المشركين الأولين كانوا يعتقدون أنهم مسلمون على ملة إبراهيم وأن فعلهم الشرك ليس إلا بدعة حسنة ولكن لعلمهم باللغة عرفوا أن فعلهم هذا عبادة وأن من يدعونه يسمى إلها، وهؤلاء لما جهلوا اللغة والشرع وقعوا في الشرك ولم يعرفوا ذلك لعدم علمهم بمعنى العبادة والإله والشرك في اللغة والشرع.

السابعة: أن من أقر بالربوبية فقد أقر بالألوهية فالرب هو بمعنى الإله لافرق.

والجواب :

أولاً : أن معنى كلمة (الرب) غير معنى (الإله) .

وإذا أطلق على الإله اسم الرب ، فالمقصود به الألوهية لا الربوبية.

ثانياً : أن المشركين اعترفوا بربهم وأنه الخالق الرازق المدبر، وأنكروا أن يكون وحده الإله المعبود ، وزعموا أن معه آلهة أخرى تعبد لكن ليس معه رب يخلق.

الشبهة الثامنة : تفسيرهم لتوحيد الألوهية بالربوبية والخلق واعتقاد وجود الله، وفسروا الإله بالخالق والقادر على الاختراع:

وهذه أعظم جناية حصلت من مشركي زماننا حين حرفوا تفسير التوحيد وحقيقة الشرك ، وهذا السبب الذي أوقع المشركين في الشرك ، وهو الجهل بحقيقة التوحيد وبما يحبه الله، فظنوا أن اتخاذ الوسائط وشفعاء من الدين الذي أمر الله به.

ومعظم المشركين الذين أرسلت لهم الرسل كان دينهم الشرك في الألوهية والعبادة باتخاذ الوسائط والشفعاء التي يزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم عنده، فظنوا أن اتخاذ الوسائط لتشفع لهم عنده من الدين الذي أمر الله به وأحبه وشبهوا الله تعالى بملوك الأرض المحتاجين للشفاعة، ولأجل ذلك حارب المشركون الرسل، كما حارب أفراخهم من مشركي زماننا أئمة التوحيد.

وهذه حقيقة الألوهية والعبادة التي صرفها المشركون لغير الله.

والآلهة التي سماها الله ﷻ آلهة لم يكن المشركون يريدون مها إلا الشفاعة فيدعونها ويطلبون منها أن تقربهم إلى الله وتشفع لهم عنده وتستغفر لهم وتطلب من الله الرزق لهم وتستنصر لهم، لا أنهم اعتقدوا أنها تخلق وترزق وتملك النفع والضر بذاتها وتستقل بالفعل ، حيث كانوا مقرين بتوحيد الربوبية كما قدمنا عنهم ، وأن حقيقة شركهم كان في طلب الشفاعة من الأولياء : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ الزمر: ٣ ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ يونس: ١٨، وهذه الوسائط والشفعاء كانت في الغالب من الأولياء واتخذهم المشركون شفعاء لهم عند

الله، فاتخذوا عيسى وأمه إلاهين ، وود وسواع ويغوث كانوا رجالا صالحين، واللات كان رجلا صالحا يخدم الحجاج .

بل كان المشركون معترفين بألوهية الله وكانوا يعبدونه ويدعونه ويصلون له ويحجون لكن نزاعهم في إفراده ﷻ بالألوهية وأن يوحدوه في العبادة ويعبدونه وحده كما قال تعالى عنهم: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ ﴾ الأعراف: ٧٠ ، فهذه الآية أثبتت أنهم كانوا يعبدون الله ﷻ لكن امتنعوا أن يعبدوا الله وحده وإنما يعبدونه ويعبدون معه آلهة أخرى ، بل كانوا يخلصون لله العبادة والدعاء وقت الشدة ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ العنكبوت: ٦٥، ومع ذلك لم تنفعهم هذه العقيدة ولا أدخلهم الله بها في الإسلام .

وفي هذا التقرير رد على المتكلمين والصوفية القبورية الذين ظنوا أن الاعتراف بتوحيد الربوبية يدخل في الإسلام وأن الشرك هو فيه فقط.

التاسعة : زعمهم أن آلهة المشركين سميت آلهة باعتبار زعم من عبدها .

الجواب: هذا تكذيب لكلام الله فالله سماها آلهة بمجرد قصدها ، فكل معبود فهو إله.

العاشرة : زعم بعض المتكلمين ومنهم الرازي : أن الله إله من الأزل ولم يكن معبودا إلا بعد الخلق ، مما يدل على أن معنى الإله هو الخالق وليس المعبود .

والجواب :

أن قولهم منشأه خلافهم في صفات الأفعال وعدم حدوثها وتجددها وأنه ﷻ ما زال يفعل ،وهذه مسألة التسلسل وأزلية أفعال الرب التي يخالف فيها المتكلمون .

ثم إن هذا المعنى يوجد في الخلق على تقريرهم هذا ، فالله تسمى بالخالق قبل أن يخلقهم ، فيلزمهم ما فروا منه في نفي هذا الاسم والصفة عنه .

الحادية عشرة : أن العبادة وجبت بأمره فلو لم يأمر بها لم يكن معبودا .

وهذا القول وقع منهم بسبب جهلهم بحقيقة العبادة فإن العبادة هي الذل والخضوع وكل مخلوق مفطور على الذل والخضوع بالشرع أو بالقهر طوعا أو كرها .

الثانية عشرة : زعم القبورية أن شركهم من باب الشرك الأصغر :

الجواب : أن الذي كفّر من دعا غير الله هو الله، وسمّاه كافراً مشركاً، وحكم عليه في آيات كثيرة بالخلود في النار لوقوعه في الشرك الأكبر لا الأصغر.

الثالثة عشرة : زعمهم أن شرك الدعاء مثل شرك الحلف وقول لولا فلان لكان كذا وما شاء الله وفلان ومثل الطيرة وتعليق التمائم وغيرها من الشرك الأصغر:

أن هذا القياس والتشبيه باطل لأن هناك فارق بينها وبين الدعاء من أوجه :

١ – أي مشابهة بين من وحد الله تعالى وعبده ولم يشرك معه أحداً وأنزل حاجاته بالله واستغاث به، لكنه حلف بغير الله يميناً لم يقصد بها تعظيم المحلوف به، ولم يسأله ولم يستغيث به ، وبين من استغاث بغير الله ولجأ إلى المخلوق وسأله تفريج الكرب وكشف الشدائد وجلب الفوائد ، فإن هذا صرف لب العبادة ومخها وخالصها لغير الله وأشرك معه غيره في أجل العبادات وهو الدعاء.

٢– أن الله تعالى أمر بدعائه والدعاء محبوب إليه ويحب من يدعوه ويغضب على من لا يدعوه ويسأله ، أما الحلف فلم يأمرنا الله به بل أمرنا بحفظه والحفظ أن لا نحلف ونهي عن الحنث فيه والحلف لغير مصلحة ليس مشروعاً .

٣- أن الداعي راغب راهب فالعبد يدعو رغباً ورهباً ويتوكل على من يدعوه في حصول مطلوبه ودفع مرهوبه ، فمن سأل غير الله فقد أشرك مع الله في الرغبة والرهبة والرجاء والتوكل ، فإن هذه من لوازم الدعاء ، فمن استغاث بغير الله فهو راغب إليه في حصول مطلوبه راج له متوكل عليه، وهذه هي حقيقة العبادة التي لا تصلح إلا لله، وهذا معنى لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب محبة ورجاء وخوفاً وتوكلاً وذلاً وخشوع وهذا بخلاف الحلف.

٤- أن الدعاء مقترن بالتعظيم لمن يدعوه ومثله النذر وهذا بخلاف الحلف فإنه لا يقارنه التعظيم غالباً ولذلك فالنذر مثل الدعاء شرك أكبر مع أنه مقارب للحلف في الصيغة والذي جعل حكمه يخالف الحلف اقترانه بالتعظيم، ولهذا لو وجد مع الحلف تعظيم المحلوف والتوكل عليه لكان شركا أكبر ، وكذا التمائم والطيرة لو قارنها الاعتقاد السابق لكانت من الشرك الأكبر.

قال ابن القيم : (وأما الشرك الأصغر فكثير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله ونحو مالي إلا الله وأنت ومتوكل على الله وعليك و لولا أنت لم يكن كذا وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده).

٥- أن المستغيث طالب سائل لاجئ خاضع لمن يدعوه والحلف ليس كذلك .

٦- أن دعاء غير الله والاستغاثة بالمخلوق لم تبح في أي شريعة بل الرسل مجمعون على كفر فاعله أما الحلف فكان الصحابة يحلفون بالكعبة وآبائهم أول الأمر ولم ينهوا عنه إلا بعد فترة وجاء النهي بعد ألم يكن وهذا من أعظم الأدلة على الفرق وكون الدعاء كفراً أكبر .

٧- أن الذي يدعو غير الله في مهماته وكشف كرباته فهو راد على الله كلامه ومكذب بآياته ، فإن الله تعالى أخبر أنه لا يشفع أحد عنده إلا بأذنه، وأن الشفاعة كلها له وهذا المشرك يزعم أن الميت يشفع له، وأخبر سبحانه أن الأولياء لا يملكون كشف الضر ولا تحويله وأنهم لا يملكون نفعاً ولا ضرا ولا يسمعون ولا يستجيبون، وهذا زعم خلاف هذا ورد على الله قوله فكيف يقال أن هذا مثل الحالف .

٨- ومما يزيد الأمر بياناً وأن بينهما فرق فالأول كفر أكبر والثاني معصية أن نهي الرسول ﷺ عن دعاء غير الله أشد من نهيه عن الحلف بغير الله .

٩- أن العلماء قسموا الشرك إلى أكبر وأصغر ، وجعلوا دعاء الأموات واتخاذ الوسائط من الأكبر ، فأدرجوه في كتب الفقه في باب المرتد ، بينما الحلف بغير الله جعلوه من الأصغر وأدرجوه في باب الأيمان والنذور .

وإن زعم معترض أن الحلف والدعاء من باب قول اللسان وأنهما كفر أصغر فيقال ما قولك في سب الله ورسوله أوليس قول باللسان ومع ذلك هو كفر أكبر .

الشبهة الرابعة عشرة : زعموا أن الشرك في اعتقاد الربوبية والاستقلال وأن يكون قصد من يدعو الصالحين أنهم أرباب، أما من يدعو غير الله وهو يعتقد أن الله وحده هو الفاعل المؤثر ولا تأثير ولا خلق وإيجاد ولا نفع وضر إلا لله فليس هذا بمشرك ، وزعموا أن شرك الأولين إنما هو في تسوية معبوداتهم بالله في الربوبية.

وقالوا : نحن نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر ولا ينفع إلا الله وحده ، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً عن الأولياء ، ولكن نحن مذنبون والصالحون لهم جاه عند الله ، ونطلب من الله بهم ونقصدهم ونرجو من الله

شفاعتهم وأن الأولياء الذين يُدعون إنما هم مجرد أسباب وشفعاء ووسائل مقربة لله، وأن الله يفعل لأجلهم لا أنهم الفاعلون استقلالاً من دون الله، وليس هذا بشرك .

وهذه شبهة جميع مشركي زماننا وأجمع القبورية عليها ، وممن قال بها زيني دحلان وداود بن جرجيس وعلوي المالكي والجفري وغيرهم ، كما قال بها حاتم العوني في مقاله العبادة بوابة التوحيد والمسعري في كتاب التوحيد وغيرهم.

والرد عليهم من عدة أوجه :

١ - أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته ومحبته والخضوع له وتعظيم، والدعاء أعظم مقامات العبودية ، وأي فائدة من العبادة إذا صرف الدعاء والقصد والتوجه لغير الله ، لأجل ذلك أمر الله عبادة بدعائه ومسألته والاستغاثة به وإنزال حاجاتهم به وقصده وحده كما في قوله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ البقرة: ١٨٦ ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ النمل: ٦٢.

وأصل الإسلام وقاعدته هو عبادة الله وحده لا شريك له وإفراده بالقصد والطلب وأن طلب الشفاعة والاستغاثة من الأموات شرك ينقض الإسلام .

٢ - أن هذا هو بعينه شرك المشركين الأولين، فإنهم لم يكونوا يعتقدون تأثير ولا خلق ولا إيجاد ولا نفع من غير الله فهو المتفرد بالخلق والملك والتدبير والرزق والنصر ، وإنما كان شركهم في التشفع والتقرب إلى الله بطلب الأولياء والأنبياء ، وهو نفس ما يدعوا إليه علماء القبورية ، فأهل الشرك في كل أمة ما قصدوا من معبوداتهم وآلهتهم التي يعبدونها مع الله إلا التسبب والتشفع ولم ينسبوا الاستقلال

والتصرف لأحد من دون الله ، فدين الكفار مجرد اتخاذ الوسائط والشفعاء المقربة لله ولم يكونوا يعتقدون أنها تخلق وترزق وتنصر وتنفع وتضر بذاتها من دون الله.

ويدل عليه قوله تعالى عن شرك المشركين وحقيقة عبادتهم لآلهتهم:

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨.

٣- أن الأسباب لا ننكرها ونعتقد أن لها تأثيرا حقيقيا ، وأنها لا تخرج عن خلق الله تعالى وقدرته ، خلافا لما يعتقده الجبرية والأشاعرة .

٤- أن بعض الأسباب محرمة كالقتل والزنا وغيرها مع كونها أسبابا لنيل الأغراض الفاسدة.

٥- أن دعاء الأموات والغائبين ليس بسبب لا شرعا ولا عقلا لما يقصده المشرك وحصول مطلوبه ، بل هو سبب لنقض قصده ، ففعله الذي يريد به الشفاعة هو الذي حرمه الشفاعة وخلده في النار وأوقع الضرر به لأن الشفاعة لا تنال إلا بالتوحيد وهؤلاء أشركوا ونقضوا التوحيد .

قال تعالى : ﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ الحج: ١٣.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ الأحقاف: ٥.

٦- أن الله سبحانه أبطل زعم المشركين، فالأموات والمدعوين لا يملكون لأنفسهم شيئا فضلا عن غيرهم وهم لا يسمعون ولا يجيبون.

قال تعالى مفنداً شبهاتهم: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ فاطر: ١٤، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ سبأ: ٢٢ - ٢٣، وملك مثقال ذره هو ما يسمى بالاستقلال، وماهم فيه من شرك هو التسبب، وآيات سبأ هذه قطعت حجج المشركين فيما نسبوه لآهتهم المعبودة المدعوة من الاستقلال والتسبب والشفاعة.

٧- أن معتقدهم هذا هو عين الشرك، وقولهم هو بعينه قول المشركين السابقين في ظنهم أن دعاء الصالحين سبب لحصول الشفاعة والقرب من الله.

٨- أن المشركين قبل البعثة كانوا مقرين بربوبية الله وأنه الخالق الرازق المدبر المالك، ووحدوا الله بالخلق وملك النفع، كما في قوله تعالى عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾لقمان: ٢٥، ومع ذلك سماهم مشركين، لأن توحيد الربوبية واعتقاد الفاعلية والخلق والتأثير لله تعالى لا يكفي وحده، ولا يعتبر صاحبه مسلماً بمجرده ما لم يخلص عبادته ودعائه لله وحده.

فإقرار المشركين بالله وبربوبيته أمر ثابت بل وأقروا له بالألوهية لكن خالفوا في توحيد الله بها، فكانوا يعبدون الله ويعبدون غيره فيشركون ولا يوحدون الله بالعبادة، كما في قوله عنهم ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ ﴾ الأعراف: ٧٠ ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ فأخبر عنهم اعترافهم أن الله يستحق أن يعبد لكن نازعوا في توحيده بالعبادة.

وأخبر عن اعترافهم بالشرك: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ الأنعام: ١٤٨.

كما أخبر عن إيمانهم به ﷻ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾يوسف١٠٦.

قال ابن عباس : (من إيمانهم إذا سئلوا من خلق السماء والأرض قالوا الله وهم مع ذلك يشركون به ويعبدون غيره ويسجدون للأنداد دونه) أخرجه الطبري.

ومن الأدلة الدالة على إقرار المشركين بتوحيد الربوبية لله واعترافهم بتفرد الرب بالنفع والضر وإقرارهم أن المدبر النافع الضار هو الله وحده قوله تعالى عنهم: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ الأنعام٦٣، ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾،﴿ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾،﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾.

ومن الأدلة عل إقراره توحيدهم وإخلاصهم حال الشدة ، قال تعالى عنهم: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ العنكبوت: ٦٥.

وكان المشركون يقولون في تلبيتهم : (لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكنه وما ملك)، مما يدل على إقرارهم بأن ألهتهم ومعبوداتهم وشركائهم مملوكة لله تحت تصرفه، كما أنه ثبت أنهم كانوا يستغفرون بعد قولهم هذا.

وهل يوجد مشرك على ظهر الأرض يعتقد أن مدعوه يخلق من دون الله .

٩- أن ما كان عند بعض المشركين قبل البعثة من الشرك في الربوبية وكون إيمانهم مختلطا بالشرك كما أخبر عنهم تعالى في قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦، هو في عدم التزامهم بلازم التوحيد في الربوبية وهو توحيد العبادة ، لأن من أشرك في الألوهية فليس إلا لغلط في الربوبية وقدح فيها،

وأيضا وجد شرك في بعض أفراد الربوبية عندهم، ومن ذلك قولهم: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ هود: ٥٤﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ﴾ يس: ٧٤، فهم وإن كانوا أقروا و اعترفوا أن الربوبية الحقة المطلقة لله وحده، لكن حصل من بعضهم الشرك بنسبة بعض النفع والضر أحيانا لآلهتهم وأنها تعتري أعدائها بسوء وطلبوا منها النصر، وهذا القدر من الشرك في الربوبية .

فإننا نقول: إن هذا المعتقد يوجد نفسه عند عباد القبور اليوم وأكثر ، فهم لو لم يعتقدوا أن الأولياء بعد موتهم ينفعون ويضرون لما دعوهم وطلبوهم واستغاثوا بهم، بل كفر كثير منهم من قال أن الأموات لا ينفعون ولا يغيثون من دعاهم .

١٠- ثم إن كثيرا من مشركي زماننا من الصوفية وعباد القبور اعتقدوا التدبير والتصرف فيمن يدعونهم ، ولهذا نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم من الاستغاثة بهم ورفع الحوائج لهم والتضرع والالتجاء والخضوع لهم ، بل إنهم اعتقدوا في الأولياء الربوبية وأنهم يدبرون وأنهم ليسوا مجرد أسباب وشفعاء ، وأنهم يعلمون الغيب ويقدرون على كل شيء يقدر الله عليه لأن الله أقدرهم كرامة من الله لهم، فعندهم أن الأموات يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله، حتى قال بعضهم لما نزلت به مصيبة أما الله فترى ما صنع ولم يبقى لي سواك فأنا في حسبك يخاطب الميت، ومع كل هذا لم نر علماء القبورية يكفرونهم ، بل رأيناهم يدافعون عنهم .

١١- أن جعلهم الشرك في مجرد اعتقاد الربوبية في المخلوق ورد الشرك لاعتقاد القلب يلزم منه أن لا يكون هناك أقوال وأعمال شركية بذاتها ، بما في ذلك

سب الله ورسوله وإهانة المصحف والسجود للصنم ، وأن لا يحكم على أحد بالردة مهما عمل ما لم يعرف باطنه وهذا مذهب الجهمية الذين كفرهم السلف .

١٢ - أن على قول هؤلاء فالمشركون زمن النبي ﷺ يعتبرون مسلمين وليسوا مشركين .

١٣ - أن قولهم يقوم على إنكار توحيد العبادة الذي بعثت به الرسل وخاصمتهم أقوامهم عليه كما أخبر الله عنهم قوله : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ ﴾ الأعراف: ٧٠ .

كما أن قولهم قائم على الإيمان بتعدد الآلهة وإنكار أن يكون الإله المعبود واحدا، كمن قال الله تعالى فيهم في سورة ص: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا ﴾.

١٤ - أن من جوز دعاء غير الله فقد لمز الله تعالى وأساء ظنه بربه ونسب لله تعالى الجهل وعدم العلم والعجز وعدم القدرة وعدم الرحمة .

الشبهة الخامسة عشرة : يقولون : إن هناك فرقاً بيننا وبين المشركين، فالمشركون يريدون من الأصنام فيقولون : يا أصنام أُرزقينا أعطينا اكشفي كربتنا ، فالطلب مستمد من الأصنام مباشرة بدون واسطة ، أمَّا نحن فلا نطلب من الأولياء مباشرة إنَّما هم واسطة ، فلا نقول : يا رسول الله أو يا ولي الله اكشف كربتي، بل نقول : أدعو الله لنا بكشف الكربة ، أو اشفع لنا عند الله، فهم مجرد واسطة فقط فكيف تجعلون من طلب من غير الله كمن طلب من الله لكن بواسطة الصالحين .

الجواب :

أولاً: أن هذا قول المشركين سواء بسواء وصنيع هؤلاء مثل صنيعهم ، فهم يدعون آلهتهم ويطلبون منها الشفاعة والواسطة فيقولون لها: اشفعي لنا عند الله.

فالطلب بالوسائط والشفعاء هو عين شرك الأولين كما قال تعالى عنهم :﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣.

والآية جاءت بأسلوب الحصر، وهو أسلوب (ما) ، و (إلاّ) ، أي ما نعبدهم إلاّ لغاية واحدة فقط ليس لها ثاني ، وهي التقرب وطلب الشفاعة لا لأنهم أرباب .

ثانياً : ثم إن مشركي زماننا طلبوا من الأموات مباشرة .

ومع أن العبارتين شرك أكبر ، سواء قال : يا رسول الله اكشف كربتي، أو قال: يا رسول الله ادعُ الله لي أن يكشف كربتي، أو اشفع لي عند الله أن يكشف كربتي، فكلاهما شرك أكبر إلاّ أن الأولى أعظم شركاً لأن فيها بالإضافة إلى الشرك في الألوهية الشرك في الربوبية ، لأنه يعتقد أن المدعو ينفع ويضر.

الشبهة السادسة عشرة : أن الأموات والأولياء يملكون التدبير في الخلق والتصرف في الكون فضلا من الله ، فيجوز أن يعطي الله أولياءه القدرة على ذلك فيجعلهم الله متصرفين مدبرين بأذنه ويستجاب دعائهم وتقبل شفاعتهم وينفذ لهم تصرفهم والمتصرف في الحقيقة هو الله والآيات التي نفت عن النبي النفع والضر والقدرة فالمراد نفي الاستقلالية في ذلك بأن يكون مستقل من دون الله وله المالكية والاستقلالية والقدرة الذاتية من غير الله .

الجواب من أوجه :

١ - الآيات المتضافرة العامة على أن الله وحده هو المتفرد بالملك والخلق والتدبير والرزق ، وأن ذلك أعظم ما يستحقه سبحانه وأعظم صفاته وأعظم ما يستحق به العبادة ، وأن الله ﷻ أمر بأن يفرد بالعبادة وذلك لكونه المتصرف المدبر وحده وأن غيره لا يملك شيئاً ولا يخلق ولا يرزق وليس له من التدبير شيء .

٢ - أن أفعال الرب وخصائص ربوبيته لا يمكن أن تضاف للعبد لا حقيقتاً ولا مجازاً ، لا استقلالاً ولا تسبباً ولا تبعاً .

٣- أن الله نفى أسباب التعلق بغيره من الخلق لأن هؤلاء المدعوين المعبودين آلهة باطله لأنها لا تملك أي نوع من التدبير والتصرف في الخلق، بل هي مخلوقة ضعيفة مدبرة مرزوقة مملوكة لله فلا تستطيع أن تخلق ولا ترزق ولا تدبر فنفى الله عنها التدبير، ونفى عبادتهم لانتفاء التدبير وهؤلاء أثبتوا لها التدبير وكذبوا الله تعالى.

٤ - أن الله أخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم لا يملكون شيئاً ولا يعلمون ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ، وأن كل هذا خاص بالله ﷻ، فإذا كان هذا حال الخلق والأولياء مع أنفسهم فلغيرهم أولى ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ الأنعام: ١٧ ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ الأعراف: ١٨٨.

٥ - أن زعمهم باطل وهذا أمر لا يليق بالله سبحانه أن يجعل رزق العباد عند غيره بحيث يصير ذلك الغير هو مقصودهم الذي يرغبون إليه ويسألونه حوائجهم، والله تعالى لم يملك خلقه من الوجود إلا أقل القليل من الدنيا واحتفظ بملك كل شيء من السموات والأرض والجنة والنار.

٦- أن الأسباب والأفعال التي أثبتها الله لخلقه وأولياءه أمور تليق بخلقتهم وضعفهم وهي حقيقة وليست صورية كما يقوله الجبرية ومع ذلك فهي أفعال لا تستلزم التدبير منهم والتصرف في الخلق .

٧- أن ما أعطيه الرسل والأولياء من الكرامات والمعجزات ليست من عند أنفسهم بل هي من الله ومع ذلك لا يمكن أن تصل إلى صفات الألوهية وخصائص الربوبية، وما أعطوه لا يدل على تدبيرهم للخلق وعلمهم الغيب وعلى أنهم يعبدون.

٨- أن قولهم هذا في غاية الكفر وتجويز الشرك في الربوبية حيث يقال لهم ماذا تركتم لله وما الأمر الذي يختص به الله تعالى عندكم ، وما الفعل الذي أفرد نفسه به إذا كان خلقه مثله يخلقون ويدبرون ويرزقون ويملكون كل شيء ويعلمون الغيب ويتصرفون في خزائن السموات والأرض .

الشبهة السابعة عشرة: قولهم : إن الله تعالى قد ينزل المقربين منزلة نفسه .

ويستدلون لذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ الأنفال: ١٧ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ الفتح: ١٠، وقول النبي ﷺ : (إنه لا يستغاث بي).

والجواب من عدة أوجه :

١- أن قولهم هذا من الكذب على الله وشرك به ، ولم يقل بهذا الكفر البواح إلا طائفتين :

الأولى : الحلولية والاتحادية وأصحاب وحدة الوجود، القائلون إن كل شي هو الله وكل فعل إنما هو فعل الله .

الثانية : الجهمية الجبرية الذين ينكرون أن يكون للأسباب أي تـأثير حقيقـي ، وينكرون حقيقة أفعال العباد وقدرتهم ، ويقولون أن الفاعل في الحقيقـة إنـما هـو الله تعالى ، ولا يفرقون بين الفعل والمفعول .

وهو نفس قول الجبرية المشركة : ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ الأنعام: ١٤٨ .

قال ابن تيمية:(الذين يصفون الله ببعض المخلوقات صنفان: صنف غلطوا في الصفات وصنف غلطوا في القدر، فالأول الجهمية والثاني الجبرية) الاستغاثة ٣٤١.

٢- أن حقيقة قولهم أنه لا مزية لأحد من الخلق على أحد بما فيهم الرسـل ولا فضيلة وتشريف لمن قربه الله، فهم لم يفعلوا وإنما الله الفاعل فهم إنما هم مجرد صورة.

٣- أنه يلزم منه أن لا يذم أحد ، لأن الفعل إنما هو فعل الله ، وأن من كفر من الخلق وسرق فإنما هو الله الذي كفر وسرق في الحقيقة تعالى الله عما يقوله المشركون.

٤- أن في قولهم هذا تمثيل للرب تعالى بعبيده .

٥- أن معنى آية (وما رميت إذ رميت) : أي ما أصبت وأوصلت الحـذف لمـا حذفت ورميت وإنما الله الذي أوصله وأصاب به وأثخن به .

٦- لو كان المعنى أن الله الذي رمى في الحقيقة ، فيلزم أن يقال ما أكلت وإنـما الله الذي أكل وما نمت وإنما الله الذي نام تعالى الله عن ذلك كله.

٧- أن في الآية رد عليهم ، حيث لم ينزل أحدا منزلة نفسه ، فأثبت لنفسه رميا يخصه وأثبت لرسوله رميا يخصه .

٨- أن معنى الآية الثانية من بايع الرسول ومد يده له فإنما هو مبايع لله وملتزم بدينه لا أن الله هو الذي مد يده للمبايع، وهي كآية: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ النساء: ٨٠.

٩- من لوازم فهمهم أن من بايع الكفار على الرسول ﷺ فإنما هو مبايع لله ، وبهذا لا يفرق بين الصحابة والكفار ولا ميزة للمؤمنين على الكافرين.

١٠- ثم لو كان الأمر كذلك لما أمر النبي ونهى وذم ومدح وقاتل الكفار ، ولما اعترض على القدر وأقر الكفار على كفرهم وما أقام الحدود لأنها بقدر الله والله خلقها فلا يذم ولا ينكر على أصحابها .

١١- بل ويلزم من كلامهم أن من سجد للصنم فإنما سجد لله .

١٢- أنهم بهذه العقيدة وقعوا في الشرك في الربوبية بما لم يقع فيه كفار الأمم السابقة، ومن هذا اعتقدوا أن المخلوق يتصرف في الكون ويحيي ويميت من باب السبب والكرامة والمجاز والله هو الفاعل في الحقيقة .

١٣- **وأما قولهم** : أن من كان غايته شهود الربوبية وتحقيقها وفني في كمال التوحيد رد الأشياء إلى الله ونسبها . فإنه هو بعينه ما أقر به المشركون الأولون فإنه قد قام بهم شهود الربوبية ووحدوا الله بها وردوا الأشياء لله .

١٤- **وقولهم**: إن معنى لا يستغاث بالنبي ﷺ إنما هو على وجه التأثير والقدرة لا السبب . فمردود لأن الرسول ﷺ وغيره حال الحياة يقدر حقيقة ولأفعاله تأثير ، والسبب له تأثير حقيقي ، وأما سؤال المخلوق ما لا يقدر عليه وما نفاه الله عن خلقه فليس من الأسباب ولا يثبت للمخلوق لا حقيقة ولا مجازا.

١٥- ثم إن الصديق والصحابة أعلم بالله من أن يظنوا أن غير الله يخلق ويستقل بالتصرف والتأثير من دون الله حتى يحتاجوا أن يعلمهم هذا الأصل.

١٦- ثم إن الحديث حجة عليهم إذ فيه النهي عن إنزال الحوائج بغير الله وسؤال الخلق والاستغاثة بهم وترك سؤاله تعالى.

١٧- وأما قولهم: إن الرسول ﷺ نفى الاستغاثة عن نفسه لإثبات إفراد الله بالقدرة والتوحيد ، وأن من زعم أن الرسل ليسوا أسبابا ولا يستغاث بهم فقد تنقصهم . فالرد عليهم بما سبق ونقول أيضاً :

١- إن نفي خصائص الألوهية عن المخلوق ليس فيه تنقص لهم ، بل التنقص أن يرفعوا فوق منزلتهم كما عند القبورية ، والمشرك أعظم من آذى الرسل.

٢- أن القبورية جعلوا الصالحين مع الله تعالى بمنزلة الوكيل مع موكله ، وهذا في غاية التنقص لله تعالى .

٣- أن جواب النبي ﷺ ليس فيه تخصيص بل صرح بالعموم ، فلا يدعى إلا الله، وهذا النفي من البلاغة لأنه من طريق الأولى ، فإذا كان النبي لا يدعى ولا يغيث فغيره من باب أولى .

٤- أما نسبت القبورية لأهل السنة أن الرسول ﷺ لا ينفع مطلقا ، وهذا ليس قول أهل السنة ، فهم يفرقون بين موته وبين حياته ، فحال حياته ﷺ يغيث فيما يقدر عليه وينفع بإذن الله .

وقد توسع ابن تيمية في نقض هذه الشبهة في رده على البكري في الاستغاثة.

الشبهة الثامنة عشرة : الكرامة ، وجعلهم الشرك من باب الكرامات.

أن للأولياء كرامات والله أعطاهم الشفاعة وإجابة من يدعوهم ويتوسط بهم، ودعاء الصالحين من باب الكرامة لهم، فالله خص أولياءه بكرامات منها أنهم يشفعون عنده لمنزلتهم عنده فيجوز لعوام الناس أن يطلبوا منهم ويدعوهم ويسألوهم ما لا يقدر عليه إلا الله وأن هذا ثابت للأولياء بعد موتهم، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ فصلت: ٣١.

والجواب :

١ - أن الكرامة منشأها من الله تعالى ، فالله هو الذي قدّرها وخلقها بقدرته، وليس للولي فيها فعل وإرادة، وإذا كان الأمر كذلك وجب دعاء من خلق الكرامة ووهبها وقدرها لا دعاء المخلوق المحتاج الضعيف، فالله هو القادر وحده على إجابة من دعاه وإغاثة المكروب .

٢ - أن الكرامة للعبد لا تجوّز دعائه وعبادته ورفعه إلى درجة الإله والغلو فيه، فدعاء غير الله من الشرك الأكبر ودلت على ذلك جميع الشرائع السماوية .

٣- أن الكرامة لا تصل إلى مرتبة الألوهية ، ولا توصل لدرجة أن يتخذ إلهاً يدعى من دون الله ويستغاث به وينفع ويضر ويجيب دعوة الداعي، ولا تصل إلى درجة القدرة على التصرف في الكون والتدبير وجلب النفع ودفع الضر والشر عن أحد واستحقاق العبادة وملك الشفاعة فلا تبلغ الكرامة إلى ذلك، فإن هذا لا تصل إليها مرتبة المخلوق مهما بلغ من الولاية والكرامة .

ومن قال من الغالين : إن لله عبادا لو سألوه أن لا يقيم القيامة لما أقامها ، فهـو كذاب ، فإن محمدا أفضل الخلـق عنـد الله سـأل الله أمـورا ورد في بعـض مـسائله ، كدعائه للمنافقين ، وأن لا يجعل بأس أمته بينهم .

٤- أن المشركين بعيسى ومن يدعو الملائكة واللات والعزى ومن عبـد وآلهـة قوم نوح ليس إلا لهذه الشبهة وهو أنهم أولياء وأقوام صالحين وأصحاب جـاه عنـد الله ولهم كرامات فجاز دعائهم من دون الله وطلب الشفاعة منهم ، ومع هذا كفرهـم الله ، فانظر كيف جوز مشركي زماننا ما حرمه الله وكفر فاعله .

قـال تعـالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ الشورى: ٩ .

وهذه الشبهة من أعظم شبهات الصوفية القبورية الرافضة وكل مشرك زعـم وجود مكانة للمدعو ورفعة قدره فيشفع ويقرب ومما يجاب عن هذه الشبة .

٥- أن ما حصل للرسل أعظم من ذلك كما كان عيسى يخلق من الطـين طـيراً بإذن الله ويحيى الموتى بإذن الله ومع ذلك كله نهى الله عن دعائه وأنكر على من قصده في حاجته وملماته وأخبر أن فاعل ذلك كافر مشرك .

فقـال سـبحانه ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ ﴾ المائدة: ١١٦.

٦- أن الكرامة ليست من لوازم المنزلة وعلو الدرجـة فقـد مـشى قـوم فـوق البحر ومات عطشاً من هو أفضل منهم وأقوى إيماناً .

٧- أننا نقر بكرامات الأولياء والصالحين ، وأن لهم مقاماً عند الله، ولكن لا يعني هذا عبادتهم ، فالكرامات شيء وجعلهم آلهة شيء آخر ، والأولياء يجب حبهم واتباعهم والإقرار بكرامتهم، ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال .

ودين اللهّ وسط بين طرفين ، وهدى بين ضلالتين ، وحق بين باطلين ، فإذا عرفت: أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد في الأولياء والكرامات هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن ، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه .

الشبهة التاسعة عشرة : المجاز : قالوا: إن ما يفعله بعض العوام من طلبهم من الصالحين أشياء لا تطلب إلا من الله، فهذه الألفاظ الموهمة محمولة على المجاز العقلي، والقرينة عليه أن هذه الألفاظ تصدر من مسلم ولو استفسرت منهم بينوا معتقدهم وأن الله هو الفاعل المستقل بالإيجاد، فهذا يبطل قول ما نعي الاستغاثة بالصالحين .

والجواب عن هذه الشبهة من عدة أوجه :

١ - أن زعم علماء القبورية أن عباد القبور موحدون أمر غير صحيح وما في قلوبهم يخالف ألسنتهم ، فما تكنه قلوبهم من الاعتقاد فيمن يدعونهم أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله أمر ظاهر نطقت به ألسنتهم وأفعالهم فصاروا لا يطمئنون إلا بذكر آلهتهم الميتة وإذ ذكر الله وحده اشمأزت قلوبهم ، ولا يخشعون ولا يخضعون ولا يذلون وينكرون إلا عند القبور والمشاهد.

٢ - أن تلك الألفاظ الكفرية الشركية دالة دلالة مطابقة على اعتقاد التأثير من غير الله والشرك في الربوبية ودعوى الإيهام دعوى كاذبة مثل دعوى المجاز .

٣- أنه حتى مع اعتقاد كون النفع والضر والتأثير والخلق والإيجاد لله وحده ، لكن مع حصول دعاء الميت من دون الله لا يخرج صاحبه عن كونه مشركاً كافراً، وهذا هو دين المشركين الأولين في دعاء غير الله واتخاذ المدعوين وسائط تقرب إلى الله زلفى وشفعاء عند الله ، مع اعتقادهم أن الله هو الخالق المتفرد بالنفع والضر .

٤- أنه يلزم على قولهم هذا أن لا يكون المشركون الذين أخبر الله بشركهم مشركين، لأنهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق الضار النافع سبحانه ، وأنهم صرحوا إنما كانوا يعبدون الأصنام والأوثان لتقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم عند الله ، فيصير فعلهم هذا محمول على المجاز كذلك ، والاعتقاد المذكور قرينه على أن أفعالهم ليست بعبادة للأوثان وليس بشرك بالله ولا أن المراد بالعبادة معناه الحقيقي بل المراد هو المعنى المجازي.

٥- أنه دعواهم الإيهام والمجاز في هذا الكفر وأنه ليس بكفر يغلق باب الردة والتكفير واستحالة وجود كفر وردة ، فمن سيسب الله ورسوله كان سبه الصريح موهماً ويحمل على المجاز العقلي لأنه مسلم موحد ويقول لا إله إلا الله وهكذا يجري دليلهم على كل كفر على وجه الأرض .

٦- أنه يلزم من قولهم أن مناط الإسناد المجازي اعتبار التسبب والكسب ، أن لا يكون العبد حقيقة مؤمناً ولا كافراً ولا مصلياً ولا زانياً ، فيبطل الجزاء والحساب والشرائع والجنة والنار ، فتسند الأفعال كلها لله ، فالمصلي في الحقيقة هو الله والعبد فعل مجازاً والله الفاعل حقيقة ، وكذلك الإيمان والركوع والسرقة والكفر وغير ذلك تعالى الله عن قولهم .

٧- أن قولكم أن الشرك من أفعال العوام تلبيس فمن أيد العوام وزين لهم إلا أمثال هؤلاء من دعاة وعلماء الشرك وأرباب الكفر الدعاة إلى أبواب جهنم .

٨- أنه هذا القول مصدره من الجبرية المشركة الجهمية ، وقولهم الفاسد في إنكار حقيقة الأفعال وقدرة العبد وأن العبد لا يفعل وإنما الله هو الفاعل حقيقة.

٩- أن بدعة المجاز الذي عطلت الجهمية به توحيد الأسماء والصفات بالأمس عطلت به الصوفية والرافضة ومشركي زماننا توحيد الألوهية اليوم .

١٠- أن ما ذكروه من أفعال منسوبة للأولياء كالخلق والرزق والتدبير هي من أفعال الله تعالى وليست من جنس أفعال البشر ، ولا تضاف إليهم أصلاً لا حقيقة ولا مجازاً ولا سببا ولا تأثيرا.

العشرون: الشرك هو طلب ما لا يقدر عليه إلا الله ولم يعطه أحداً من خلقه.

الجواب :

١- أن العبرة في الجواز بسؤال من يقدر ، أما سؤال من لا يقدر فهو شرك سواء كان ميتاً أو حيا عاجزا أو غائبا .

٢- أن التفريق بين الحي والميت يدل عليه العقل، وقوله تعالى :﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ فاطر: ٢٢ ، وقول الرسول ﷺ : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله).

٣- أن الميت والغائب لا يقدر على شيء فسؤاله داخل في طلب ما لا يقدر عليه إلا الله ، وإلا فمعلوم أن الميت لا يسمع ولا يستجيب ولا يملك لنفسه شيئاً فضلاً عن غيره فكيف يسأل ، ولو لم يكن سائله وداعيه يعتقد أنه يسمع ويعلم

الغيب ويشاهد وكأنه حاضر وأنه مطلع على من يلجأ إليه كاشف لضره ونحو ذلك لما سأله أصلاً ، ووجود هذا الاعتقاد في الداعي يخرجه من ملة الإسلام ويوقعه في الشرك الأكبر الصراح والكفر البواح .

٤- أن من دعا العاجز فقد أعطاه صفة الألوهية والعبودية ، وجعله مقصوده الذي يرجى ويعبد ويتوجه إليه ، وجعله إلهاً يقدر على كل شيء .

٥- أن الجائز في دعاء المخلوق والاستعانة به إنما هو في الأسباب الظاهرة العادية والأمور الحسية، وما سوى ذلك فهو من الشرك ولو طلب من الحي ، وأما الميت فحركته منقطعة وليس له سبب ولا تأثير ولا قوة له .

٦- أن الطلب ممن يقدر ليس دعاء عبادة فلا يدخل في الشرك.

٧- أن الله تعالى كره لنا كثرة السؤال كما جاء به الخبر الصحيح، ونبينا ﷺ أمرنا بإفراد الله بالدعاء والسؤال والاستعانة بقوله : (إذا سألت فسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله) ، وبايع الرسول ﷺ جماعة من الصحابة على ألا يسألوا الناس شيئاً .

٨- أن الشفاعة وغيرها لا يقدر على إعطائها إلا الله فهي مملوكة لله ﷻ فلا تطلب إلا منه كما أخبر سبحانه .

٩- أن مشركي زماننا وصل بهم الأمر إلى سؤال الأولياء ما اختص به الرب من طلب العافية والنصر والولد والرزق والمطر وغير ذلك من الشرك في الربوبية .

١٠- أن دعاء المشركين للأصنام ليس بشرك ما دام أنهم لم يقولوا أنها أرباب.

الحادية والعشرون: عدم التفريق بين التوسل والاستغاثة :

وقالوا : إن من يطلب من الأولياء إنما هو طالب من الله :

وقد ضلت القبورية بهذا القول من أوجه:

١ - جعلوا التوسل والاستغاثة معناهما واحد وسموا الاستغاثة توسلاً ، ولم يفرقوا بين دعائه والدعاء به .

قال ابن تيمية : (ولم يقل أحد أن التوسل بنبي هو استغاثة به بل العامة الذين يتوسلون في أدعيتهم بأمور ، يعلمون أنهم لا يستغيثون بهذه الأمور ، فإن المستغيث بالنبي طالب منه وسائل له ، والمتوسل به لا يدعى ولا يطلب منه ولا يسأل وإنما يطلب به ، وكل أحد يفرق بين المدعو والمدعو به الفتاوى ١/ ١٠٥ .

وقال في رده على البكري: (وقوله : من توسل إلى الله بنبيه أو استغاث به ، سواء كان بلفظ الاستغاثة أو التوسل ، فهذا القول لم يقل به أحد ، والفرق واضح بين السؤال بالشخص والاستغاثة به) الاستغاثة ١٨٢ .

وقال: (ظن أن التوسل كالاستغاثة وليس كذلك ، فإنه يقال استغاثه واستغاث به ، فالمستغاث به المسؤول ، وأما المتوسل به فهو الذي يتسبب به إلى المسوؤل) الاستغاثة ٤٩٨ .

٢- ظنوا أن توسل الصحابة بالنبي ﷺ في حياته كان توسل بذاته لا بدعائه.

٣- سووا بين حياة النبي ﷺ وموته وكذا الأولياء، فأجازوا دعاء الأموات.

٤ - أنهم توسلوا بدعائه من دون الله بعد موته ، وجعلوا هذا الاستغاثة الشركية من جنس التوسل المشروع بدعائه لنا حال حياته .

٥ - أنهم جعلوا الصالحين والأولياء أسبابا في التصرف في الكون ويفعلون جميع أفعال الرب تعالى .

٦- جوزوا بل وأوجبوا وحثوا على طلب الأموات مالا يقدر عليه إلا الله.

الثانية والعشرون : أن علم الغيب لا ينفى عن الخلق مطلقاً فيجوز أن يحصل لهم مستفاداً من الله ، والله يطلعهم عليه كرامة منه لهم كما حصل لعمر مع سارية.

والجواب :

١- أن علم الغيب من خصائص الله تعالى ومن كمال ربوبيته وقد أثنى على نفسه بتفرده بعلم الغيب دون خلقه بأدلة كثيرة جداً.

٢- أن الله نفى عن رسوله محمد أن يكون يعلم الغيب وكذا الرسول نفى ذلك عن نفسه، وهو أشرف الخلق وخيرهم وأبلغهم منزلة وأعلاهم درجة عند الله، فغيره من باب أولى :﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ الأنعام: ٥٠﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ النمل: ٦٥.

٣- أن ما علمه الله خلقه وأطلعهم عليه أمر يسير وقليل جداً وجزئي ولا يذكر مع علم الله.

٤- أن الغيب إذا أخبر الله به بعض خلقه وأنبياءه لم يعد من علم الغيب المطلق وإنما الغيب النسبي وعلم الشهادة فتبقى الآيات على عمومها .

الشبهة الثالثة والعشرون : زعمهم أن النبي ﷺ يتصرف يوم القيامة كتصرفه في الدنيا وأنه يخرج من النار وينقذ من الشدة وأن الله يقول له : (انطلق فأخرج من في قلبه كذا وكذا من إيمان).

ويحتجون بأنا إذا قلنا أن للحي الحاضر قدرة في الدنيا على التصرف بالفعل بنفسه أنه يلزمنا أن نثبت ذلك في الآخرة وأنه يقدر على مثل ذلك كما هو في حال

الحياة لأنه حي حاضر وله قدرة وكما كان في الدنيا من إرواءه الألوف ويشبعهم بقليل الأكل ورميه الكفار بكف من تراب فيعميهم . والجواب أن نقول:

١- عجبا من هذا التمويه فهل فعل الرسول ﷺ الشفاعة والإخراج من النار بنفسه أو بأمر الله وإذنه، فالله سبحانه هو الذي أكرمه بهذه الشفاعة وهو ﷺ عبد مأمور لا يشفع إلا بإذن الله ورضاه .

٢- أن الرسول ﷺ لا يستطيع أن ينقذ أحداً كما قال عن نفسه : (أنقذوا أنفسكم من النار لا أغني عنكم من الله شيئاً) فليس له إلا الشفاعة ولا تكون إلا بإذن الله ورضاه وهبته .

٣- أنه مع ذلك قد ردت شفاعة الرسول ﷺ ودعائه في عمه وأمه وفي أبي بن سلول ، وقبله نوح في ولده وإبراهيم في أبيه.

٤- أن يوم القيامة لا يقاس على الدنيا فليس لأحد أن يفعل ما كان يفعله في الدنيا بل ولا يتكلم إلا بإذن الله فكيف بالشفاعة ويأبى الجهال المشركون إلا القياس الفاسد بين الحالين .

٥- أن شفاعة النبي ﷺ خاصة بأهل التوحيد ولا تنال إلا بالتوحيد لا بالشرك ودعاء غير الله، فيجب إفراد الله بالعبادة فنحن ندعو ربنا أن يشفّع الرسول ﷺ فينا ولا نطلب منه حال موته لأن هذا من الشرك ولا في الآخرة إلا بإذن الله ورضاه.

٦- أن أمر الله للشفعاء بالإخراج من النار لا يختص بنبينا محمد ﷺ بل هو عام للمؤمنين .

الشبهة الرابعة والعشرون: قولهم: النبي ﷺ يعلم الغيب ويقدر على كل شيء.

وهذا القول من الغلو الذي حذر نبينا ﷺ أمته منه بقوله : (لا تطردني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد) رواه مسلم .

وقد وصل بالقبورية الحال إلى أن رفعوا الرسول ﷺ إلى درجة الإله المعبود بل والرب الخالق وقال بعضهم الرسول لم يمت وهو مخلوق من نور وأقوال كثير تعارض أنه من البشر .

وقد جاءت آيات وأحاديث تنفي القدرة المطلقة وعلم الغيب عن النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ الأعراف: ١٨٨ ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ الأنعام: ٥٠ ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ فصلت: ٦، والنبي ﷺ يقال له: (لا تدري ما أحدثوا بعدك) مما يدل على عدم علمه الغيب .

والرسول ﷺ الذي هو أشرف الخلق وأكرمهم عند الله تأمل حاله مع نفسه وربه فكان يستغيث الله ويطلب منه المدد والنصر على الأعداء ، فأمدهم بالملائكة ولم ينصرهم بروح الرسول ﷺ ونفى عن نفسه القدرة وعلم الغيب وأنه لا يملك نفعاً ولا ضراً ، وأخبره الله أنه ليس له من الأمر شيء .

بل إن الرسول ﷺ ضُرب وأدمي وشج رأسه وكسرت رباعيته ووضع سلا الجزور عليه وقتلوا أصحابه وحزن على مقتل عمه وما صار له من حادثة الإفك ، كل ذلك حصل وما كان يملك قوة باطنة ولا علاقة وسببا خاصا غير المدافعة

والجهاد والدعاء، ولم يملك لنفسه شيئاً فكيف يملك لغيره ، فإذا كان هذا حال خير من خلق الله فكيف بمن دونه، ولكن ليس بعد هذا الحق إلا الضلال .

الخامسة والعشرون : استدلالهم بطلب الصحابة من الرسول ﷺ أن يدعو لهم في حياته ، وكان يدعو لهم من غير إذن الله ، فكذلك يطلب الدعاء منه بعد موته.

الجواب أن هذه مغالطة منهم وتمويه وإفساد ، وإليك بيان ذلك :

١ – أن حكم الحي غير حكم الميت ، ومن المقرر أن دعاء الحي والطلب منه ما يقدر عليه جائز وليس بشرك أما دعاء الميت فشرك .

٢ – أن الدنيا دار عمل وينقطع العمل بموت الإنسان وتحوله عن دار الدنيا فلا يصلح الإنسان نفسه فضلا عن العمل لغيره .

٣– أن الدعاء والشفاعة متوقفة على الإذن من الله ، والدعاء الذي كان من الرسول ﷺ كان بإذن الله سبحانه ، أما ترى أن الله ﷻ منع نبيه من الدعاء للمنافقين والمشركين ممن لم يرض عنهم ونهاه عن الاستغفار لأمه ، مما يدل على أن شفاعة الرسول ودعائه خاصة لأهل التوحيد بإذن الله ورضاه .

٤ – أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يدعو للمؤمنين ويستغفر لهم ويشفع لهم ، ولم يأمر العباد أن يدعونه من دون الله ولا يسألونه شيئاً بل نهاهم .

الشبهة السادسة والعشرون : أن الأموات يسمعون دعاء الأحياء بأدلة منها : سماع كفار قليب بدر ، وسماع الميت قرع النعال والسلام على الموتى .

ونفي سماع الموتى المقصود الكفار لعدم انتفاعهم فهم كالعمي.

الجواب :

١- أن الأصل أن الأموات فارقتهم الحياة وما ثبت لهم من حياة فهي حياة برزخية تختلف عن الحياة الدنيوية فلا تماثل بينهما لذا لا تقاس عليها .

٢- أن الله نفي عن الأموات السماع ، فالأصل عدم سماع الموتى إلا ما خصه الدليل .

٣- أن السماع لا يستلزم الإجابة، كما قال تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ﴾، فالسماع المثبت للميت هو سماع مجرد عن الإجابة والمنفي عنهم هو الاستماع والإجابة .

٤- أن سماع الأموات من علم الغيب الذي لا تدركه عقولنا ومثله إجلاس المقبور وتوسيع القبر مما يدل على عدم إحاطتنا وإدراكنا الكيفية .

٥- أن السماع ليس عاما لكل الكلام وإنما لكلام مخصوص ببعض الأمور : كسماع الميت قرع نعال مشيعوه إذا دفنوه ، وسماع الميت سلام من يسلم عليه في بعض الآثار ، فالميت لا يسمع أي كلام وإنما كلام مخصوص ، فالسماع المثبت لهم مقيد بأحوال مقيدة ومحددة ، وليس بمطلق فلا يسمعوا عموم كلام البشر .

وسماع كفار قريش الذين بالقليب أمر خاص بالرسول ﷺ ومعجزة له .

ويدل لذلك إنكار عمر مخاطبتهم مما يدل على أن الأمر مستقر ومسلم .

٦- أن الرسول ﷺ يسمع من يسلم عليه إذا سلم عليه عند قبره ، أما البعيد فلا يسمعه بل يبلغه الملك السلام فيقول له فلان يصلي عليك ويسلم، كما ثبت في الأحاديث ، فيفرق بين القريب والبعيد .

قال ابن تيمية: (فهذه النصوص تدل على أنه يسمع سلام القريب ويبلغ سلام البعيد) الاستغاثة ١٠٧.

٧- أن سماع الموتى النبي ﷺ وغيره للكلام لا يدل على جواز دعائهم والاستغاثة بهم، وقد دلت الأدلة العقلية والشرعية والنصوص المحكمة على كفر من دعا غير الله .

٨- أن الكفار ثبت أنهم كذلك يسمعون ويعلمون أحياناً بمن يزورهم فهل يجوّز هؤلاء دعائهم.

٩- أن الميت قد انقطع عمله لنفسه فلغيره من باب أولى .

١٠- أن ودا واللات وغيرهم أقوام ميتين وذكر الله أن دعائهم شرك وكفر.

الشبهة السابعة والعشرون : استدلالهم بعرض الأعمال على الرسول ﷺ واستغفاره لهم وعرض أعمال الأحياء على أقاربهم من الموتى . والجواب :

١- أن عرض الأعمال على الرسول ﷺ دليل على عدم علمه بها ، وإنما تعرض عليه والله يبلغه ، فهو لا يعلمها من تلقاء نفسه.

٢- أن الله تعالى هو الذي يأذن له أن يدعوا لأمته ، فليس الدعاء من قبيل نفسه ولا من فعله الذي يطلب منه .

٣- أنه لا يعرض عليه كل شيء وإنما الأعمال .

٤- أن عرض العمل ليس فيه ما يجوز الدعاء والطلب ولا يبحه، فما علاقة عرض الأعمال على الرسول واستغفاره بطلب الدعاء والاستغاثة به فهذا شرك .

٥ – أن الملائكة كذلك تستغفر للمؤمنين ومع ذلك لا يجوز أن يسألها ومن دعاها فقد كفر إجماعا ، والأدلة على كفر من دعا غير الله كثيرة .

تنبيه : الحديث الذي في عرض أعمال الأحياء على الأموات واستغفارهم لهم . ضعيف لا يصح .

الشبهة الثامنة والعشرون : حياة الرسول ﷺ في قبره ، والأنبياء أحياء في قبورهم فيجوز دعائهم.

١ – أن حياة النبي ﷺ في قبره وحياة الشهداء ليست كالحياة الدنيوية بل حياة برزخية لا نعلم كيفيتها وهي من الأمر الغيبي الذي لا ندركه.

٢ – أن الله تعالى أثبت لرسوله ﷺ الموت في آيات منها :﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ الزمر: ٣٠﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ آل عمران: ١٤٤﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ الأنبياء: ٣٥.

٣– ومما يدل على موت الرسول ﷺ وخروج روحه من بدنه قوله بأبي هو وأمي: (ما من مسلم يسلم على إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام) ، وفي هذا دليل على أن روحه ليست في جسده دائماً .

٤ – أن موت الرسول ﷺ أمر مستقر عند الصحابة ﷿ يدل عليه قولهم للرسول ﷺ كيف تعرض الصلاة عليك وقد أرمت أي بليت ، فأجابهم (أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء) ولم يقل أني حي في قبري .

٥ – ومما يدل على موت الرسول ﷺ قول أبي بكر ﷺ : (أما الموتة التي كتبت لك فقد ذقتها أو متها ولن يجمع الله لك موتتين) رواه البخاري.

٦- أنه لم يرد حديث صحيح أنه ﷺ حي في قبره وإنما قال :إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء. وإن كان النبي أفضل من الشهداء والله قال فيهم ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ آل عمران: ١٦٩.

٧- لو سلّمنا أنه حي فإنه يستلزم أن يسأل ويستفتى كما كان يسأل في حياته.

٨- أنه لم يثبت أن أحدا من الصحابة ولا التابعين جاء لقبر الرسول ﷺ وناداه وخاطبه وسأله ، أو زعم أنه حي في قبره يسمع الكلام ، وأهل القرون المفضلة لم يفعلوا شيئا من ذلك ولم يستغيثوا به مع عظم الشدائد والكروب التي نزلت بهم .

وإنما ثبت أنه يبلغ السلام وليس كل كلام يسمعه كذلك عرض الأعمال عليه لا أنه يعلم من نفسه ثم إذا عرضت عليه لا يدل العرض على تجويز أن يدعى.

٩- أن هذا الأمر ليس خاصا بالرسول الله ﷺ بل هو ثابت لكل مسلم.

فقد أخرج ابن عبدالبر في الاستذكار وصححه وكذا الأشبيلي: (ما من رجل يمر بقبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام).

١٠- أن الله قال عن الشهداء (يُرزَقون) بالمبني للمجهول ولم يقل يَرزُقون فهم مرزوقين لا رازقين فليتمس النفع والضر والرزق والخير من الخالق الرازق المتصرف وليدع من يملك لا المخلوق الذي يحتاج للرزق والنفع من الله .

١١- أن حياتهم في القبور لا تدل على جواز طلب الدعاء منهم ، فالذي أخبر بحياتهم هو الذي أخبر بكفر من دعاهم بعد موتهم .

الشبهة التاسعة والعشرون : يقولون كيف ينكر نسبة الإنقاذ من النار بالفعل إلى الرسول ﷺ وتنسب إلى قريش.

الجواب :

أن الإنقاذ المنفي غير المثبت فالمنفي عن الرسول ﷺ من جنس قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ الزمر: ١٩ ، ومعناه أن من كفر وكان شقياً لن تنقذه من النار ، ولن تنفعه وتغني عنه شيئا ولن تهدي من أضل الله ولا من أحببت ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ القصص: ٥٦. والمثبت للمخلوق هو أن ينقذ نفسه من النار بالإيمان وإتباع ما جاء به الرسول ﷺ.

وقالوا : قول الرسول ﷺ لأقاربه (لا أغني عنكم من الله شيئاً) رواه مسلم، هو في من لم يؤمن به وإلا فهو شافع لمن يؤمن به ، وأما الإغناء فقد أغنى أمته ومن ذلك التخفيف عليهم في الشرائع وكذا الاستغفار لهم .

الجواب : أن الرسول ﷺ لا يغني عن أحد شيئاً وليس له إلا الدعوة والبيان والتبليغ والشفاعة بإذن الله، والمشرك والمبدل لدينه لا ينفعه قربه من الرسول ﷺ، وتخفيف الشريعة من الله تعالى والرسول ليس إلا مبلغ وشافع بإذن الله ، وأما استغفاره ودعائه فواقع برحمة الله وأمره وإذنه ولا ينفع ذلك ما لم يرض الله ﷻ عن المدعو له المشفوع فيه ، وقد رد الله دعاء رسوله ولم يقبله في المنافقين .

الشبهة الثلاثون : الشفاعة :

أن النبي ﷺ أعطي الشفاعة ، ونحن نطلبها ممن أعطاه الله ، والله ملك الرسول والمؤمنين الشفاعة، ونحن مذنبون وفي حاجة الشفعاء ، والصالحون لهم جاه عند الله

ومنزلة قريبة منه، والله أعطاهم الشفاعة ، ومن يدعو الرسول ويطلب الشفاعة منه إنما قصد الشفاعة مستحضراً يوم القيامة حين يشفع في أمته.

الجواب :

١ – أن الله نهى نبيه ﷺ أن يدعوا أحدا من دونه، ووجه الخطاب إليه بالنهي تعظيماً للمنهي وتحذير لأمته في مواضع منها .

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ غافر: ٦٦ ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ الإسراء: ٥٦ - ٥٧ ، وقد نزلت هذه الآية في من يدعو الملائكة والمسيح وأمه وعزير .

٢ – أنه لم يثبت عن أحد من الصحابة أو التابعين أنه ذهب لقبر الرسول ﷺ وقال اشفع لي ونحوه ، ولا سألوه شيئا ولا استغاثوا به .

وهو القائل: لا تتخذوا قبري عيدا ، وقال: اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد. رواه أحمد وأبو داود.

٣– أن الرسول ﷺ قد مات وانقطع عن الدنيا وغاب عن الناس .

٤ – أن الرسول ﷺ علمنا كل خير ولو كان في الاستشفاع به خيرا وينفع كما تفعله الصوفية المشركة لدلنا عليه ولما نهانا عنه.

٥ – أن الإجماع الصحيح هو ما ذكره العلماء كابن تيمية قال : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم كفر إجماعاً.

٦ – أن الذي أخبر أن الشفاعة أعطاها لرسوله هو الذي نهى عن دعاء غير الله وأن الداعي لغيره مشرك كافر ، فالله تعالى أعطاه الشفاعة ، ونهاك عن طلبها منه، فقال : ﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ الجن: ١٨ فإذا كنت تدعو الله أن يُشَفِّع نبيه فيك فأطعه في توحيده بالدعاء كما في قوله : ﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ .

٧– أن الله تعالى قد وكل الملائكة بالموت والحياة والنفخ في الروح وإنزال المطر فهل يجوز عند هؤلاء الجهال دعائهم من دون الله أيضاً، فنقول: يا ميكائيل أنزل المطر وأغثنا ويا ملك الموت أمت فلان لأن الله قد جعل ذلك له بأمره، وقد أجمع الناس على تحريم دعاء الملائكة وكفر الطالب منهم وعابدهم المستغيث بهم.

٨– أن الشفاعة ليست مُلكاً للرسول ﷺ وإن كان أُعطيها ، ولو كانت مُلكاً للرسول لما احتاج يوم القيامة أن يستأذن من الله ، فالمالك لا يستأذن فيما هو ملك له، ومما يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ الزمر: ٤٤ أي مُلكاً واستحقاقاً لله وحده.

فشفاعة الرسول ﷺ هي تحت ملك الله لأنها لا تحصل إلا بأذن الله له ورضاه عمن سيشفع فيه، ألا ترى أن الله ﷻ لم يقبل شفاعة النبي ﷺ في المنافقين ولم يأذن له بالصلاة والدعاء لهم ولأمه وعمه والشفاعة لهم فهل هذا إلا لكونها ملك لله تعالى فتطلب الشفاعة منه وحده لا من غيره .

٩– أن الشفاعة ملك لله وحده: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا ﴾ وقد نفاها الله عن كل خلقه فلا يملكها أحد سواه، وأما إثبات الشفاعة للمخلوق فهو مقيد بإذن الله ورضاه وليست مطلقة، كما قال تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ

لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾ طه: ١٠٩، وهذا الإذن والرضا هو التوحيد كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ الزخرف: ٨٦، وهو العهد المقصود في الآية ﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴾ مريم: ٨٧.

١٠- أن هذه هي الشفاعة الشركية المنفية التي ظنها المشركون حاصلة بدعاء الأنبياء والصالحين الأولين ، والله سبحانه كفّر من قال: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ ، وذلك حين طلبوا الشفاعة من الأنبياء والصالحين ، وكان منهم من يدعو عيسى ويطلب شفاعته وهو رسول الله وصاحب شفاعة عنده كما أخبر المصطفى من شفاعة الملائكة والأنبياء والصالحين بأمره وإذنه .

لكن لما طلبت الشفاعة من غيره وبدون أذنه ورضاه وترك دعائه واللجوء إليه والتضرع بين يده إلى طلب المخلوق وسؤاله والذل والتضرع له كان هذا من أعظم الشرك في العبادة حرم صاحبها مراده منها وطرد من رحمة ربه وعوقب بالخلود في جهنم وبئس المصير ، فإن أسعد الناس بشفاعة الرسول ﷺ هم أهل التوحيد والإخلاص، كما قال النبي ﷺ ومن سأل الشفاعة من النبي ﷺ بعد موته فهو مشرك محروم من شفاعته والعياذ بالله ، أفلا يعقل هؤلاء بعد كل هذه الآيات والنذر ويعلموا أنهم هم الخاسرون وقد أوبقوا نفسهم في ظلمات الشرك والكفر .

١١- أن يقال إن الشفاعة ثبتت للأطفال فهل يصح أن يطلبها منهم ، أو يقول لا أطلبها منهم ، لأنها نها تكون في الآخرة وهم لا يملكونها ، وهنا يلزمهم أن يقولوا مثل ذلك في شفاعة الرسول ﷺ أيضا .

١٢- يقال له إن كنت تريد أن يشفع لـك الرسـول ﷺ فقـل : يـا الله شـفِّع في نبيك ، ولا توجه الخطاب للرسول ﷺ فتقول : يا رسول الله اشفع لي.

١٣- أن قولهم: الرسول ﷺ يملك الشفاعة لأنه شهد بالحق كما قال تعـالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ الزخرف: ٨٦.

فجوابه أن الاستثناء واقع على الشافعين أو المشفوع لهم أنه لا يشفع لأحـد إلا من شهد بالحق وهو من أذن الله له ورضي عنه ممن أتى بالتوحيد.

والآية داخلة في عموم الآيات الأخرى الدالة على أن الـشفاعة ملـك لله وأنـه لايشفع أحد عنده إلا بعد أن يأذن الله له ويرضى عنه ، ومـن شروط الإذن والرضـا التوحيد الذي هو الـشهادة الحـق ، والملـك هنـا المـراد بـه حـصول ذلـك ووقوعـه وتمكينهم منه وهذا مقيد بالأذن والرضا.

١٤- أن قولهم : إن الرسول ﷺ يملك الشفاعة ويتصرف فيها لقوله عن عمـه أبي طالب: (وجدته في من النار فأخرجته إلى ضحضاح من النار) .

هي من جنس شبهة غلاة القبورية القـائلين: إن الله أعطـى أوليـاءه التـصرف والتدبير ووكل ذلك إليهم فهم يفعلون ما يفعله الرب مـن التـدبير والملـك والخلـق والرزق بأمر الله وليس استقلالاً ، نعوذ بالله من الكفر وأهله .

١٥- قولهم : إن معنى الملك للشفاعة الاستقلال ، فباطل لأن الشفاعة ملـك لله لا يملكها أحد ، والنفي للشفاعة عن غير الله جاء مطلق للاستقلال وغـيره ، ثـم لو فرضنا أن المقصود نفي الاستقلال فإنه يثبت بذلك عدم النفع والفائـدة لأن إرادة

الشفاعة من الشافع دون تمكنه منها وفعله لها لا فائدة منه للمشفوع له فبهـذا يرجـع للأصل وهو طلبها من الله تعالى وحده.

١٦- ظن القبورية الجاهلون أن الشفاعة التي نفاها القرآن يلزم من نفيها نفي الكرامة ، فيزعمون أن في نفي الشفاعة المنفيـة بـنص القـرآن وفي النهـي عـن دعـاء الصالحين والأنبياء وقصدهم واللجوء إليهم وطلب الشفاعة منهم والاسـتغاثة بهـم من دون الله تنقص لهم وإبطال لفـضلهم وكـرامتهم ، ومـا علـم هـؤلاء الجهلـة أن الكرامة كل الكرامة في عبودية الله والخضوع له وتحقيق التوحيد، وهذا نبينا ﷺ الذي هو أخشى الخلق لله وصفه ربـه تعـالى بـصفة العبوديـة في أشرف المواضـع في مقـام الدعوة والرسالة والإسراء والمعراج .

الحادية والثلاثون : أن طلب الشفاعة من الرسول ﷺ طلب منـه شـيئا أعطيـه ويقدر عليه. وهو كسؤال عيسى خلق الطير الذي أعطيه فلا يكون طالبهم مشركاً.

والجواب :

١- أن طلب مثل هذا لا يجوز مطلقاً لا من عيسى ولا مـن غـيره لا في حياتـه ولا بعد رفعه ولا بعد موته، لأن الله لم يبعث الرسل إلا بالتوحيد وهـو حـين يـبرئ الأعمى ويخلق من الطين كهيئة الطير ليس إلا بإذن الله وأمره ،ومن يرد عليـه بـصره يعلم أن المشافي هو الله تعالى وما عيسى إلا سبب .

٢- أن الطلب من عيسى ومن محمد عليهم الصلاة والسلام كفر بالإجماع لأنه من دعا غير الله وهذا من أحد أنواع شرك النصارى الذي كفروا به بنص القرآن .

٣- أن هذا الذي أعطيه عيسى هو من باب المعجزات التي أجراها الله للأنبياء لتؤمن أقوامهم ، ولم يأذن الله للمؤمنين أن يطلبوا النفع والضر ولا المعجزات وإنما تحصل هذه بأمر الله .

٤- أنا لو سلمنا جواز طلب إحياء الطير والمعافاة من عيسى حال حياته فإن هذا يكون من جنس طلب الدعاء منه والتوسل به وإظهار المعجزات على يديه ومن جنس ذلك طلب الصحابة الدعاء من الرسول ﷺ في حياته مما هو من خوارق العادة مع علمهم أن الرسول مجرد سبب وداعي لله وشافع لهم بأذن الله وفاعل للشيء بأمره وهذا ينقطع بعد موته فلا يجوز دعاء الرسول والطلب منه وسؤله شيئاً بعد موته مهما كان وإن كان من مقدروه قبل موته.

الشبهة الثانية والثلاثون : أن الدعاء عند القبور مجرب لقضاء الحاجات .

أولاً : أن الله ورسوله لم يشرعوا الدعاء عند القبور.

كما أن الدعاء عند القبور لم يفعله الصحابة ولا التابعون.

قال ابن تيمية : (من تأمل كتب الآثار ، وعرف حال السلف تيقن قطعاً أن القوم ما كانوا يستغيثون عند القبور ، ولا يتحرون الدعاء عندها أصلاً ، بل كانوا ينهون عن ذلك من كان يفعله من جهالهم) الاقتضاء ٢/ ٦٨١ .

الثاني : أنه قد يستجيب الله لبعض هؤلاء وهم يدعون عند القبر من باب الفتنة والامتحان ، كما أن الشياطين تخاطب المشركين عند الأصنام والقبور فتنة لهم.

الثالث: أن الله سبحانه قد يستجيب لهم لما يقع في نفس الداعي من الضراعة والمسكنة لله تعالى ، لا أن هذا بسبب من القبر ولا المقبور فإنه ميت لا ينفع نفسه فضلاً عن غيره .

قال ابن تيمية : (إما أن تكون قضيت بغير دعائه ، وإما أن تكون قضيت بدعائه ، فإن كان الأول فلا كلام ، وإن كان الثاني فيكون قد اجتهد في الدعاء اجتهاداً لو اجتهده في غير تلك البقعة ، أو عند الصليب لقضيت حاجته،فالسبب هو اجتهاده في الدعاء لا خصوص القبر) الفتاوى ٢٧/ ١٧٥ .

الثالثة والثلاثون: أن زيارة القبور تعظيم لأصحابها، وتعظيم النبي ﷺ واجب.

الجواب من أوجه :

١ – أنه يلزم من هذا أن زيارة قبره واجبة وأن تركها محرم أو كفر وهذا لم يقل به أحد .

٢ – أن الخوارج كفروا الأمة بمخالفة أمره ومعصيته وهؤلاء جعلوا طاعته وإتباع أمره في تجريد التوحيد كفراً وتنقصاً فصاروا أخس من الخوارج.

٣– أن زيارة قبره لو كانت تعظيماً لكانت فرضاً عينية على كل أحد ولكان أولى الناس بهذا الفعل الصحابة ولما أضاعوا هذا فرض .

٤ – أنه إذا كانت زيارة قبره واجبة كانت الهجرة إلى القبر أكد من الهجرة إليه في حياته لكونها انقطعت بعد الفتح .

٥- أنه يلزمهم تجويز السجود لقبره لأن هذا من تعظيمه عندكم مع أن الرسول ﷺ بين أن السجود ليس من تعظيمه مما يدل على أن تعظيمه ليس مما تحدده عقول هؤلاء وإنما مرجعه للشرع .

٦- أن من قال بعدم وجوب زيارة قبره ولا استحبابها لا يقدح في تعظيمه للرسول ﷺ وهو مثل من قال لا يصلى عليه عند الذبح.

٧- أن القول بأن زيارة قبره من تعظيمه يلزم أن يكون قبره منسكاً يحج إليه ويقصد ويتخذ عيداً وهذا مخالفة لشرعه وأمره وهديه.

٨- أن تعظيم الرسول ﷺ إنما هو في إتباع شرعه وأمره وترك نهيه والاقتداء به ومحبته وعدم التقديم بين يديه ولا معارضة أمره وقوله .

٩- أن هذا التعظيم الذي قصده عباد القبور، هو بعينه السبب الذي لأجله نهى الرسول ﷺ عن أن يتخذ قبره عيداً وحرم لأجله اتخاذ القبور مساجد والبناء عليها وإسراجها حتى لا يعظم أهلها ويغالى فيهم ثم يعبدون من دون الله كما حصل في الأقوام السابقة قبل هذه الأمة ، وما حذر منه ﷺ ونهى عنه وخاف وقوعه حصل ووقع بفعل هؤلاء الغلاة الجهال .

١٠- أن هذا الذي يفعله عباد القبور ليس من تعظيم الأولياء والأنبياء في شيء، وإنما هو من الغلو والإطراء المحرم والمنهي عنه، والذي مؤداه التنقص وعدم التعظيم الحقيقي للرسل والأولياء فإن تعظيمهم ليس إلا في محبتهم والدعاء لهم والصلاة على الرسول ﷺ وتعظيم شرعه وعدم مخالفة أمره وانتهاك نهيه.

وبهذا يتبين جهل القبورية وفرط حمقهم حين ظنوا أن زيارة قبر الميت هو من باب الإكرام والتعظيم له وأن أحق الناس بالإكرام نبينا محمد ﷺ ، وهم بذلك خالفوا هديه وأمره وهدي أصحابه حيث كانوا تاركين لزيارة قبره فكم سافروا ورحلوا وقدموا ولم يثبت عن أحدهم وقوفهم عند قبره إلا ابن عمر، كما أنهم كانوا يدخلون على عائشة للفتيا والسلام ولم يثبت عن أحدهم زيارة لقبره أو حث عليها .

وهذا من أعظم ما من الله به على رسوله وأمته استجابة دعوته فلم يتخذ قبره وثناً يعبد ، حيث دفن في بيته فلا يقدر أحد أن يصلي إليه ولا يطوف بقبره ولا يبني عليه، بل إن زيارة قبر الرسول ﷺ بعد بناء الجدار في عهد الوليد غير متصور، لأنه لن يصل أحد للقبر وإنما للجدار فهو مثل لو وقف خارج المسجد وترك جدارين بينه وبين القبر جدار الحجرة وجدار المسجد .

الشبهة الرابعة والثلاثون : الآيات نزلت في الكفار .

قالوا : كيف تنزلون الآيات التي نزلت في المشركين على من قال لا إله إلا الله من المسلمين، وهذه آيات نزلت في حق الكفار فأين المناسبة بين المسلم والكافر ، والخوارج هم الذين حملوا آيات الكفار على المسلمين .

والجواب عن قولهم الفاسد هذا من عدة أوجه :

١ - لا يسلم أن الآيات نزلت في المشركين بل خوطب بها الرسول ﷺ والمؤمنون ، ومن ذلك ما قاله الله تعالى لنبيه في عدة مواضع : ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾، وقوله له:﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾

الزمر: ٦٥، فنهاه أن يكون من المشركين وأن يشرك وأن يدعو مع الله إلها آخر، لأنه إذا فعل فعلهم وأشرك كفر وحاشاه ، وأمته في هذا الحكم من باب أولى.

٢- أن أهل التوحيد لم ينزلوا الآيات في المسلمين وإنما في من أشرك وعمل مثل عمل مشركي العرب فكان بشركه من المشركين .

٣- أنها لو نزلت في المشركين أو قوم معينين فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

٤- أنه يقال ما قولكم في من يسب ويقول الله سبحانه فقير تعالى الله عن ذلك ويسخر بالأنبياء ويقول أن رسولنا كان ساحر وكاهن ، ما تقولون فيه هل ستنزلون فيه الآيات النازلة على الرسول في كفار زمانه أم تكون تلك الآيات خاصة وهؤلاء مسلمون لأنهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ويصلون ويصومون .

٥- أن هذا القول فيه تعطيل للقرآن والعمل به ومخالف للإجماع .

وعلى قولهم يلزم أن الآيات التي نزلت في اليهود والنصارى ومشركي العرب لا تنطبق على من قال مثل قولهم، ولا يعمل بمقتضاها ، فإذا استدل بآية: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤، قالوا: هذه نزلت في اليهود فلا تطبقها على الحكّام المسلمين، وإذا استدل بآيات تكفير من صد عن سبيل الله وفتن المؤمنين، قالوا هذه آيات نزلت في الكفار فلا تنزلها فيمن يفعل فعلهم من المسلمين، وإن استدل بأن الجهل ليس عذرا في الشرك ففاعله يكفر ولو كان جاهلا بآيات تكفير الجهال قبل البعثة، قالوا: هذه الآيات نزلت في الكفار الأصليين ، وهكذا .

وقولهم هذا لم يقل أحد به ، والعبرة ليست بالاسم وإنّما بالعمل والحكم.

والقبورية الذين نكفرهم فعلوا مثل فعل كفار العرب وأشركوا في العبادة.

٦- أن التفريق بين تكفير الكفار الأصليين وتكفير المرتدين المنتسبين للإسلام مع فعلهم نفس فعل الكفار باطل ولا يصح ففاعل الكفر يكفر.

٧- أن مما يبطل قولهم هذا ما جاء التصريح به في الأدلة في هذه المسألة:

كما قال تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ ﴾ النساء: ٨٩ ، أي إذا فعلتم فعلهم الذي ودوا أن تفعلوه كنتم في حكمهم ولو كنتم من أهل القبلة .

وعن ابن عمر مرفوعا : (من تشبه بقوم فهو منهم) رواه أبو داود وأحمد .

وعن أبي سعيد مرفوعا : (لتتبعن سنن من كان قبلكم) متفق عليه .

وعن حذيفة ﷺ أنه رأى رجلاً بيده خيط فقطعه ، وتلا قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦ . رواه ابن أبي حاتم .

مع أن هذه الآية نزلت في المشركين ، ونزَّلها حذيفة على مسلم.

وقال ابن تيمية فيمن جعل الآيات النازلة خاصة لمن نزلت بسببه ولا يشمل النوع: (فلا يقول مسلم أن آية الظهار لم يدخل فيها إلا أوس بن الصامت وآية اللعان لم يدخل فيها إلا عاصم بن عدي وأن ذم الكفار لم يدخل فيه إلا كفار قريش ونحو ذلك مما لا يقوله مسلم ولا عاقل) الفتاوى ١٦/ ١٤٨.

وقال أبا بطين : (أما قول من يقول أن الآيات التي نزلت بحكم المشركين الأولين فلا تتناول من فعل فعلهم فهذا كفر عظيم ، قال ويلزم منه أن الحدود المذكورة في القرآن والسنة لأناس كانوا وانقرضوا ؟ فلا يُحد الزاني اليوم ولا تقطع يد السارق وبطل حكم القرآن) الدرر ١٠/ ٤١٨ .

الشبهة الخامسة والثلاثون : إن الذين نزل فيهم القرآن لا يقولون لا إله إلا الله، ويكذبون الرسول ﷺ والقرآن ، وينكرون البعث ، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ونُصدّق بالقرآن والبعث ، ونصلي ، فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟

والجواب: أولاً: لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدّق الرسول ﷺ في شيء ، وكذّبه في شيء ، أنه كافر لم يدخل في الإسلام ، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه ، كمن أقرّ بالتوحيد ، وجحد وجوب الصلاة ، أو الزكاة ، أو الصوم، أو الحج، والله ﷻ قد صرّح في كتابه : أن من آمن ببعض وكفر ببعض، فهو الكافر حقاً ، زالت هذه الشبهة .

ومعلوم : أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، والإنسان إذا جحد شيئاً من هذه الأمور كفر، ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ ، فإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم يكفر من باب أولى .

ثانياً : أن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا مانعي الزكاة وكفروهم وسموهم بالمرتدين والكفار كما في الصحيحين، مع أنهم قد أسلموا مع النبي ﷺ ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون .

كما أن تكفير السلف من ارتد أكثر من أن يحصى.

ولو كان الأولون لم يكفروا ، إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن ، وإنكار البعث ، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب : (باب

حكم المرتد) ، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ؟ وذكروا أنواعاً كثيرة، كل نوع منها يكفِّر ويُحِلُّ دم الرجل وماله.

ثالثاً : أن الذين قال الله فيهم :﴿ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ التوبة: ٧٤ ، كفَّرهم بكلمة ، مع كونهم في زمن الرسول ﷺ ويجاهدون معه ويصلون .

وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ التوبة: ٦٦ .

فهؤلاء الذين صرَّح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع الرسول ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمةً ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح، ولم يعلموا أنها تكفرهم.

رابعاً : أن عمل مشركي زماننا هو نفس عمل المشركين السابقين الذين بعثت إليهم الرسل واستباحة دمائهم .

خامساً : قولهم : تكفِّرون المسلمين وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، ويصلون ويصومون .

فجوابه أن من قال : لا إله إلا الله وصلى لا ينفعه ذلك إلا بعد العمل بها وعدم نقضها، وهذه شبهة تكفير من قال : لا إله إلا الله .

الشبهة السادسة والثلاثون : عدم وقوع الشرك في أمة محمد ﷺ .

والاستدلال بحديث : (يأس الشيطان) .

أحدهما : أن النبي ﷺ لم يخبر بعدم وقوع الشرك في أمته ، بل أخبر بخلاف ذلك ، فأخبر بوقوعه ظاهراً في أمته ومنها :

قوله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة) رواه البخاري ومسلم .

وقوله ﷺ : (لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللاّت والعزى) رواه مسلم .

الثاني : أن الواقع المشاهد في حياة المسلمين من حصول الكفر والشرك ومنه :

١ – ارتداد العرب بعد موت النبي ﷺ .

٢ – ظهور الفرق الكافرة مع انتسابها للإسلام ، وقد أجمع العلماء على كفرهم، كالرافضة والدروز والنصيرية والقرامطة والباطنية والقاديانية والبهائية وغيرها .

الثالث : أن معنى يأس الشيطان يرجع للشيطان لما رأى ظهور الدين فيأس من رجوع الشرك وظن أن الشرك لن يرجع ويأس من الموحدين وهو لا يعلم الغيب ولا يعلم بأن الشرك سيرجع مرة أخرى ، مع أن يأسه مقيد بالمصلين الموحدين وبجزيرة العرب .

السابعة والثلاثون : زعمهم أن كثيرا من العلماء استغاثوا بالأموات وفعل بحضرتهم ولم ينكروه .

الجواب من أوجه :

١ – أن الحجة في كلام الله ورسوله.

٢ – أن العلماء قد أنكروا الشرك ووسائله.

٣ – أن الصحابة كان منهجهم بيّن في قطع وسائل الشرك ومن ذلك قطعهم الشجرة التي حصل عندها بيعة الرضوان ، وإخفاء قبر دانيال لما فتحوا تستر ، وعدم بنائهم على القبور وهدمهم القباب أمر لا يخفى، ومما يؤكد ذلك الجهل بمواضع قبورهم.

٤ – أن من ينسب للعلم وفعل هذه الأمور فليس بحجة وهو مشرك جاهل ولو كان معه شيء من الفقه واللغة والجدل ، وهو داخل في عموم حديث الافتراق والفرق :(كلها في النار إلا واحدة) رواه الترمذي.

٥ – أن الشرك وعبادة القبور ما حصل إلا في عهد البويهيين الرافضة ، وكانوا بعد القرن الثالث ومضي القرون المفضلة .

القسم الثاني : شبهات المشركين النقلية*:

استدلالاتهم بالنصوص والآثار والنقولات والحكايات:

ومجموعها سبعون شبة نقلية :

أربع وعشرون آية وأربعون أثرا وستة نقولات.

أنواع حجج المشركين :

١ – إما حديث مكذوب مختلق موضوع أو ضعيف في غاية الضعف .

٢ – أو منامات شيطانية .

٣ – أو حكايات صبيان .

٤ – أو آية وحديث حرفوا معناها .

---

* **فائدة من الكتب التي ردت على القبورية :**

الصارم المنكي لابن عبدالهادي ، وقد رد على السبكي القبوري في كتابه شفاء السقام في زيارة قبر خير الأنام الذي رد به على ابن تيمية ودعا إلى الشرك صراحة. والأحاديث التي أوردها السبكي وغيره في زيارة قبر الرسول ﷺ كلها لا حجة فيها وهي دائرة بين الضعف والوضع .

وأكمل الصارم المنكي الجداوي بكتابه: الكشف المبدي في تمويه السبكي .

الاستغاثة لابن تيمية .

التوصل إلى حقيقة التوسل لمحمد نسيب الرفاعي.

كشف الشبهات محمد بن عبد الوهاب .

صيانة الإنسان في الرد على دحلان للسهسواني.

شبهات المسغيثين بغير الله لابن عيسى.

منهاج التأسيس لعبد الله أبا بطين.

كتب عبد اللطيف آل الشيخ منها : تحفة الطالب، منهاج التأسيس والمصباح.

كتب سليمان بن سحمان .

أولاً : استدلالات المشركين من القرآن وبيان بطلان احتجاجهم بالآيات :

الدليل الأول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ المائدة: ٣٥.

قالوا : الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله من الأفعال والذوات ، ومنها دعاء الصالحين ، ومن زعم أنها الطاعة فقط كان هذا تكرار لأن الطاعة من تقوى الله .

الجواب :

أن الوسيلة المقصود بها هنا الأعمال الصالحة والقربة إلى الله وطاعته كما فسر ذلك الأئمة وأهل التفسير .

وليس تفسيرها بالاستشفاع والتوسل بالصالحين كما زعمته القبورية ، فإن هذا لم يقل به أحد من السلف ، وليس لهم على قولهم هذا مستند لا من كتاب ولا سنة ولا من فهم سلف الأئمة .

وأما زعمهم أن هذا تكرار فالجواب :

١- أن التقوى إذا اجتمعت مع الوسيلة والطاعة والبر كانت التقوى في ترك الحرام والطاعة والبر والوسيلة في فعل الواجب .

ومثاله حديث دعاء السفر : (اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى)

٢- أن التكرار لو سلمنا به فإنه يكون للتأكيد، كآيات كثيرة في هذا الباب .

الدليل الثاني : ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ الإسراء: ٥٧.

قالت القبورية : إن معنى الآية أن هؤلاء الذين تعبدونهم أيها المشركون هم يتوسلون إلى الله بمن هو أقرب ليشفع لهم فكيف تجعلونهم أرباباً . والجواب :

أولاً : أن هذه الآية نزلت فيما من يدعو قوماً صالحين أمثال الملائكة وعيسى وأمه وعزير وغيرهم ، كما قال ذلك طائفة من السلف منهم ابن عباس ومجاهد .

ومعنى الآية أن هؤلاء الذين تعبدونهم أيها المشركون وتدعونهم من دون الله، هم أنفسهم يعبدون الله ويتقربون إليه ويخافون عذابه ويرجون رحمته فهم محتاجون لله راغبون إليه ، فإن كان عندكم عقل تميزون به فطلبوا الإله الذي يطلبونه والذي هو ربكم جميعاً .

ثانياً: أن تفسير القبورية للآية إنما هو اختراع منهم ولم يقل بقولهم أحد من أهل العلم من سلف الأمة وأئمة التفسير .

ثالثاً : أن تفسيرهم هذا مع ذلك تكذبه الآيات في كفر من طلب الوسائط والشفعاء التي تقرب إلى الله وأن المشركين الأولين كان هذا شركهم.

ومما يبطل تفسير القبورية للآية:

١ – أن الله ﷻ قال في الآية التي قبلها: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ الإسراء:٥٦، وهذا يدل على أن عبادتهم ودعائهم مزعومة باطلة وليست عبادة بحق .

٢ – أنه قال في نفس الآية: ﴿ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ الإسراء:٥٦.

فهؤلاء الذين تدعونهم ضعاف في حقيقة أمرهم، وهم محتاجون إلى من تحتاجون إليه ، ولا يملكون لأنفسهم النفع وكشف الضر، فكيف يملكونه لغيرهم .

٣– أن هؤلاء المدعوين من الصالحين والأولياء يبتغون ما يبتغيه المشرك بهم الذي ساواهم برب العالمين من القرب من الله والوسيلة إليه والتسابق إلى القرب منه ورجائه والخوف منه .

٤- أن هؤلاء المدعوين لا يأمنون عقاب الله ولا يقطعون برحمته بل هم دائرون بين الخوف من الله والرجاء منه مع صلاحهم فمن دعاهم الأولى أن يكون هذه حاله مع الله .

٥- أن أمر الله لهم بدعاء الذين زعموا هو من باب السخرية وتحقير عقولهم .

٦- أن الآيات الكثيرة تبين أن شرك المشركين ودينهم الذي يدينون به هو اتخاذ الوسائط والشفعاء ، ولم يكن في اعتقاد أن الآلهة أرباباً بل مجرد وسائط تقرب إلى الله وتشفع لهم عنده وهم مع ذلك مقرون بالربوبية .

الدليل الثالث : استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ النساء:٦٤، ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ آل عمران:١٥٩ ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ محمد:١٩.

والجواب عن هذه الآيات أن هذا خاص بحياته دون مماته، ويدل لذلك فهم الصحابة ﷺ حيث لم يذهبوا لقبره بعد موته طلباً لاستغفاره لهم، ولم يفهم أحد من السلف والخلف إلا المجيء إليه في حياته، والآية نزلت في المنافقين هي وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ ﴾ المنافقون: ٥، فكانوا يعرضون، أما الصحابة فكان إذا أذنب أحدهم يأتي للنبي ﷺ ويطلب منه أن يدعو له ويستغفر له، أما بعد موته فلم يكن أحد منهم يأتي لقبره ويقول يا رسول الله فعلت كذا فاستغفر لي مع حصول الذنوب منهم لأنهم غير معصومين ﷺ، ولم ينقل ذلك عنهم ولا عن أحد من التابعين والقرون المفضلة، وإنما هذا ديدن المشركين بعدهم، ولو كانت هذه طاعة لكان خير القرون عطلوها وعصوا الله ووفق لها هؤلاء الغلاة.

ثم أنه لو كان الذهاب لقبره مشروع لحث أمته على فعله، ثم لو كان قبره يـزار بعد الذنب لكان عيداً للمذنبين وهو القائل ﷺ:(لا تتخذوا قبري عيداً) رواه أحمد.

الدليل الرابع: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ القصص: ١٥، **فنسب الله الاستغاثة إليه.**

وأما نفي الرسول ﷺ بقوله : (إنه لا يستغاث بي) ، فمراده نفي الاستغاثة على الحقيقة لا تكون إلا لله وأما نسبتها للمخلوق مجازاً فجائز . الجواب :

أن الاستغاثة بالمخلوق على قسمين :

١ – الاستغاثة بالمخلوق في أمر يقدر عليه وهو حي حاضر قادر ، فهذه جـائزة كما في الآية المذكورة هنا، وتنسب الاستغاثة للمخلوق حقيقة لا مجازا .

٢ – الاستغاثة بالمخلوق فـيما لا يقـدر عليـه، وهـذه شرك أكـبر ولا وتنـسب الاستغاثة هذه للمخلوق لا على وجه الحقيقة ولا المجـاز ، ومـن طلـب هـذا النـوع طلب من أحد الرسول وغيره فهو كافر مشرك .

أما نفي الرسول ﷺ الإغاثة عن نفسه ، فلكي يعلم أمتـه التعلـق بـالله وكـمال التوحيد ، ويسد باب طلبه واستغاثته فيما لا يقدر عليه .

الدليل الخامس: قوله تعالى عن عيـسى: ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ آل عمـران: ٤٥، **وقوله عن موسى:**﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ الأحزاب:٦٩، **ذا جاه لا يسأل شيئاً إلا أعطاك.**

الجواب: أن كون المخلوق وجيهاً عند الله وله مكانه عنده لا يجوز ذلك دعائه من دون الله ، وأن حجة القبورية هذه هي نفس حجة المـشركين الأولـين في طلـبهم الشفعاء والوسائط المقربة لله .

الــدليل الــسادس : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ سبأ: ٢٢.

قالوا : الآية نزلت في المشركين لما استغاثوا بالنبي ﷺ وكشف الله عنهم ببركتـه ودعوته لما نزل بهم قحط شديد . والجواب :

١ – أن الآية نزلت في المشركين ، فإنهم سألوا النبي ﷺ أن يدعو الله لهم كما كان أصحابه يأتونه ليدعو لهم وهذا الفعل جائز لأنه طلب الدعاء من حي حـاضر قـادر ولا خلاف في جوازه .

٢ – وأما الاستدلال بها على دعاء الميت والغائب والعاجز فيما لا يقدر عليه إلا الله فإن الآية لا تدل على ذلك ولم تنزل في ذلك .

٣– أن تسمية طلب الدعاء من الحي استغاثة أمر باطل لأنه ليس بمغيث وإنما هو وسيلة ، ومن قال أن الداعي مغيث فقد خالف الشرع واللغة والاصطلاح.

وقد سبق الرد على القبورية في تسميتهم التوسل استغاثة.

الدليل السابع : قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ الأنفال: ٣٣ .

وقد ذكر المفسرون أن الله لن يعذبهم وفي أصلابهم من سيستغفر.

الجواب :

أولاً : أن الآية نزلت في المشركين الذين يستغفرون ، ومن ذلك قولهم غفرانك بعد تلبيتهم، واستغفار بعضهم بعد أن دعوا بالدعاء الوارد منهم :﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الأنفال: ٣٢ .

وقيل ما كان الله ليعذبهم وفيهم مؤمنون يستغفرون الله من المستضعفين .

ثانياً : أن الآية لا حجة فيها للقبورية حتى على تفسيرهم الذي أتوا به ، فإنه لا دليل فيها على أن الذات الفاضلة تدعى وتسأل ويستغاث بها .

الدليل الثامن : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ الحج: ٤٠.

أي لولا أن يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالطائع عن العاصي ، ولا شك أن المؤمن لا يدعو للكافر بل لأجل ذات المؤمن بين ظهراني الكفار يرحمهم الله بسببه .

الجواب :

١ - أن الآية ليس معناها ما ذهبت القبورية إليه بل معناها في الجهاد ، فلولا قيام المؤمنين بالجهاد ودفعهم الكفار لهدمت المساجد وقضي على الدين وأهل .

٢ - أن الصالحين والأنبياء إنما ينتفع بهم في دفع البلاء المؤمن، أما المكذبين فقد نزل بهم العقوبات كما هو حال الأمم المكذبة، بل قد يهلك الصالحين إذا كثر الخبث .

٣- أن هذا الانتفاع ليس على إطلاقه ولم يكن دائماً فكم من نبي قتل، وكم حصل للصحابة من قتل وتعذيب، بل النبي ﷺ ضرب ورمى وكسرت رباعيته، أوليس هو القائل : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الأعراف: ١٨٨.

التاسع : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الفتح: ٢٥.

قالوا : ذكر المفسرون أن الله تعالى نهى عن قتل الكفار لوجود مؤمنين بينهم ولولا ذلك لعذبوا فكانت بركة وجود ذواتهم حافظة للكفار .

الجواب :

١ – أن هذا التفسير من الملحدين في آيات الله المحرفين لها ، فالآية ما سيقت للنهي وإنما لبيان حكم قدري في منع المؤمنين دخول مكة بقتال عام الحديبية، فلم يمكنهم الله من دخولها لكي لا يطئوا من بمكة من المستضعفين فتصيب المؤمنين المقاتلين معرة وهي الكفارة في قتلهم أو مسبة الكفارة وعيبهم وشمتهم بالمسلمين .

٢ – أنه ليس في الآية ما ذهب إليه القبورية من إباحة الشرك وأن المؤمنين يجوز دعاؤهم مع الله ويستغاث بهم ويسألون فيما لا يقدر عليه إلا الله .

العاشر : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة: ٣٧.

قالوا : هذه الكلمات هي توسله بمحمد ﷺ وسؤاله الله بحقه .

الجواب :

١ – أن الكلمات هي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ الأعراف: ٢٣ كما ذكر ذلك أئمة التفسير .

٢ – أن حديث توسل آدم بمحمد حديث موضوع لا يصح .

٣ – أنه لو فرض صحة الحديث فلا حجة فيه للقبورية لأنه في باب التوسل وهو دعاء الله وحده بالنبي، وليس في الاستغاثة بالمخلوق من دون الله ودعاء غير الله، فهناك فرق بين التوسل الذي هو دعاء الله وبين الاستغاثة التي هي دعاء غير الله فالثانية كفر وشرك ، وهي المقصودة بالاستدلال.

الحادي عشر : ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ البقرة: ٨٩ .

قالوا : ذكر المفسرون أن اليهود كانوا إذا حاربوا المشركين قالوا : (اللهم بحرمة هذا النبي إلا نصرتنا) فينصرون .

الجواب :

١- أن هذه الآية اعتراها من تحريف القبورية ما اعترى نظائرها وكذبهم على أهل التفسير لا يخفى، إلا إن قصد بالمفسرين شيخ القبورية ومفسري دين الشرك والإلحاد لإتباعهم .

والآية معناها وسبب نزولها أن اليهود كانوا يقولون للأوس والخزرج وبقية المشركين إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وأرم فلما بعث النبي ﷺ كفروا به حسداً من أنفسهم .

٢- أن تفسيرهم هذا حتى لو صح فلا حجة فيه لمسلك القبورية لأنه في باب التوسل وهو لا يخرج عن كونه دعاء لله وطلب منه وليس دعاء للمخلوق وسؤاله من دون الله وقد بينا مراراً الفرق بين التوسل والاستغاثة .

الثانية عشر : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ الشورى: ٢٦:

قالوا : أي أن الله يجيب الذين أمنوا إذا دعوه ويشفعهم في إخوانهم .

والجواب : أن تفسير الآية بذلك لا دليل فيه على أن الناس يجوز أن يسألوا الذين آمنوا الشفاعة ويطلبوا منهم ويستغيثوا بهم ويدعوهم من دون الله لا في حياتهم فضلاً عن بعد موتهم .

الثالث عشر : استدلالهم بقوله ﷻ : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ الأحزاب: ٦ ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة: ١٢٨ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء: ١٠٧.

فظنوا أن هذه الآيات تجوز الإلتجاء بالرسول ﷺ .

فالجواب عن هذه الآيات : أنه ليس معناها ما دعا إليه عباد القبور من تجويز الشرك الذي هو الالتجاء إلى غير الله وعبادته، إذ الآيات معناها ظاهر كما قرره أهل التفسير من السلف فالرسول ﷺ أولى بالطاعة والمحبة ، وكذا قضاءه دين المؤمن إذا مات فهو وليه ﷺ .

الرابع عشر: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ يوسف: ٢٤. على أن أرواح الصالحين تدعى وتدبر ، وأن البغوي والمفسرين قالوا : رأي يعقوب عاضاً على أنامله يقول إياك وإياها فلم يفعل.

وجوابنا: أن هذا التفسير على أنه لا يصح إلا أنه مع ذلك لا مستمسك فيه ولا دلالة على مقصود القبورية ، إذ ليس فيه استغاثة بالمخلوق العاجز الغائب.

الدليل الخامس عشر : احتجاجهم بآية : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ المائدة: ٢.

على أن الله أثبت الإعانة والتعاون بين الخلق .

والجواب : أن هذه الإعانة خاصة بما يقدر عليه الخلق وفي الخير ، وليست استعانة في ما لا يقدر عليه إلا الله .

السادس عشر : استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ يوسف: ٣٩ ، استدلوا بها على أن شرك الأولين كان في الربوبية والخلق.

والجواب :

أولاً : أن هذا الاستدلال والتفسير للآية لم يقل به أحد من السلف ، واعلم أن سبب جهلهم بمراد الله تعالى من كلامه عدم أخذهم بالسنة وآثار السلف .

ثانياً : أن الربوبية في الآيات لها معنيان:

١ – أن المقصود بالربوبية هنا الطاعة والاتباع والتحاكم، ومن المعلوم أن الأمر والحكم والتشريع من أفعال الربوبية وخصائصها.

ومما يدل لهذا : تفسير النبي ﷺ معنى الربوبية والعبادة لعدي بن حاتم لما قال ما عبدناهم ، فقال أليسوا يحلون ما حرم الله فتحلونه ، قال بلى ، قال تلك عبادتهم .

٢ – أن المقصود بالربوبية هنا العبادة والألوهية، والإله يعبر عن بالرب، ومن المعلوم أن اللفظين يفسر كل منهما بالآخر عند الافتراق، مثل الإسلام والإيمان.

ومما يؤكد ذلك أن أهل الكتاب لم يكونوا مشركين في الربوبية .

السابع عشر : استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ الفرقان: ٦٠: على أن شرك الأولين كان في الربوبية .

والجواب: أن مقصودهم إنكار اسم الرحمن وليس إنكار الله تعالى وربوبيته ، والآيات في اعتراف المشركين بالربوبية كثيرة جدا ، ومما يدل على أن إنكارهم للاسم فقط ، قصة سهيل بن عمرو في صلح الحديبية كما في البخاري لما قال: (اكتب باسمك اللهم) منكرا بسم الله الرحمن الرحيم.

الثامن عشر : استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ الأنعام: ١٠٨ : على أن كفر الأولين كان في إنكار الربوبية .

والجواب: على أن السب أنه ليس من جميعهم وليس صريحا وأنه من باب العناد ، إلا أنه مع ذلك لا ينافي الإقرار بالربوبية .

التاسع عشر : استدلالهم بقوله: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ هود: ٥٤ ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ يس: ٧٤، على أن الشرك كان في الربوبية:

وجوابنا : أن إقرار المشركين بتوحيد الربوبية لا يعني عدم وجود مخالفات للمشركين في الربوبية ، ولو التزموا بتوحيد الربوبية لما أشركوا في الألوهية أصلاً.

ومشركو زماننا وقعوا فيما هو أكبر من ذلك من الشرك في الأموات واعتقاد النفع والضر فيهم وإلا لما دعوهم من دون وسألوهم قضاء حوائجهم .

الدليل العشرون : استدلالهم بقوله تعالى : ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ الجاثية: ٢٤ :

احتجوا بالآية على أن شرك الأولين كان في إنكار الربوبية .

والجواب: أن هذا الكفر ليس عند جميعهم وقد كان بعضهم يؤمن بالبعث، والآيات في اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية كثيرة جدا ، وإنكار البعث لا يلزم منه إنكار الربوبية وإن كان يقدح فيها ، كما أن إنكار الرسالة لا ينافي إنكار الربوبية وإن كان يقدح فيه .

الحادي والعشرون: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الشعراء: ٩٨:

استدلوا بها على أن شرك الأولين كان في الربوبية. والجواب من أوجه:

١- أن المرجع في تفسير الآية للصحابة ، وقد فسر ابن عباس وغيره التسوية في الحب والطاعة .

٢- أن التسوية الشركية التي ساوى فيها المشرك الله سبحانه بمعبوداته كان في الطاعة والحب وليست التسوية في الربوبية وليس في كل الأوجه .

والمقصود بالتسوية هنا مثل العدول في الآية الثانية والأنداد في الأخرى .

وقد مثل الصحابة للعدول واتخاذ الأنداد بالشرك الأكبر والشرك الأصغر كالحلف .

٣- أن المشركين كانوا مقرين بربوبية الله ولا يساوون آلهتهم بالله في الربوبية ، وأدلة ذلك كثيرة كقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ لقمان: ٢٥.

الثاني والعشرون : الاستدلال بآية: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ الكهف: ٢١.

الجواب: أن الله لم يذكر الذين بنوا المسجد من باب الإقرار لفعلهم ومدحهم بل أخبر تعالى عن فعلهم القبيح الغير موافق لدين الله ، ويصدق ذلك ما أخبر به النبي ﷺ عنهم من أنهم يبنون على القبور ويتخذون على قبور أنبيائهم مساجد ، وليس هذا من شرع من قبلنا كما توهم البعض، يدل لذلك ما جاء في الصحيحين: قال ﷺ:(أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنو على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله) .

وقال ﷺ :(لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

الدليل الثالث والعشرون : استدلالهم بقوله تعالى : ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ النازعات:٥. **على دعاء الصالحين وطلب الحوائج منهم وذكروا عن البيضاوي أنها أرواح الموتى .**

الجواب :

البيضاوي ليس من السلف وأئمة التفسير بل هو من الأشاعرة الجهمية.

ثم أنه ساق أقوالاً في المقصود بالمدبرات منها أنها الملائكة والنجوم وأنفس الغزاة وخيولهم وغير ذلك وعلى لازم قولهم وطرد دليلهم أن كل ما ذكر يدعى مع الله فتدعى النجوم وخيل الغزاة .

وقد كذب داود بن جرجيس العراقي على ابن القيم في الروح وابـن تيميـة في الفرقان فيما نسبه إليهم من أن أرواح الموتى تدبر وأنه يجوزون دعاء الأموات .

الرابع والعشرون: استدلالهم بطلب سليمان من آصف ما لا يقدر عليه إلا الله.

الرد :

١ – أن سليمان آمر وليس بسائل وطالب ،وفرق بين الأمر والطلب والمسألة .

٢ – أن هذا من باب الدعاء الجائز لأن سليمان إذا قلنا أنه طلب فقد طلب مـن حي حاضر قادر ممن فيه مظنة القدرة من جنوده مـن الجـن ومـن رعيتـه الـصالحين بدعائهم وتضرعهم لله فسؤاله ليس من باب الدعاء الشركي .

٣– أن هذا من جنس الأسباب العادية فهو من باب طلب الدعاء ممن يعـرف بالصلاح فطلب منه ما يختص به من الدعاء وليس المطلوب منه ما يختص بالله .

٤ – أن آصف توسل إلى الله بتوحيده وإلهيتـه واسـمه الأعظـم ودعـا الله فهـو ليس فاعل لذلك أصلاً وإنما دعا الله وطلب من الله فاستجاب دعائه .

ثانياً : أدلة المشركين من الأحاديث والآثار وأفعال الصحابة .

الأحاديث والآثار المروية في دعاء غير الله موضوعة سنداً وهي أيضا باطلة متناً حيث أن دعاء غير الله ينافي عبودية الله ، والأدلة على كفر فاعله كثيرة جدا.

دليلهم الأول: (إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا بأهل القبور) .

وهو حديث مكذوب موضوع باتفاق ، كما قاله ابن تيمية في التوسل ١٥٢، والاستغاثة ٣٠٢، وابن القيم في المنار المنيف ١٣٩، والسخاوي في المقاصد الحسنة والعجلوني في تمييز الطيب من الخبيث ، وقال ابن حجر عنه : لا أصل له .

الثاني : (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه) .

وهذا الحديث أيضا باطل وموضوع على النبي ﷺ باتفاق العلماء .

وقد حكا اتفاقهم ابن تيمية في الاقتضاء (٢/ ٦٧٧) .

الثالث:(إذا كانت لكم إلى الله حاجة فسلوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم)

وهو حديث موضوع مكذوب، كما قال ابن تيمية في الاستغاثة ١٣٠ وغيره.

الرابع : احتجاج القبورية بحديث الرجل الضرير في توسله بالرسول ﷺ .

عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة إني توجهت به إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي اللهم فشفعه فيّ).

رواه الترمذي وغيره ، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من رواية أبي جعفر وهو غير الخطمي .

قالوا فلو كان دعاء غير الله شركا لم يعلم النبي ﷺ الأعمى هذا الدعاء الذي فيه نداء غير الله.

والجواب عنه من أوجه :

أولاً : أن الحديث ضعيف فيه أبو جعفر الرازي المضعف وليس الخطعي الموثق كما ظن البعض.

ثانياً : ثم هو لا حجة فيه على الشرك لأنه توسل بدعاء الرسول ﷺ بقوله ادع الله لي ، لا أنه دعاء الرسول من دون الله ، بل ليس توسل بذات الرسول ولا إقسام به فضلا عن أن يكون استغاثة به ودعاء له وسؤاله من دون الله.

ثالثاً : أن هذا التوسل خاص بزمن حياة الرسول ﷺ وأما بعد وفاته فلم يفعله أحد من الصحابة ولا التابعين وإنما أبتدعه هؤلاء القبورية، ومن أعظم ما يدل لذلك قول عمر ﷺ : (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ثم يأمر العباس أن يدعو للمسلمين) ، فعدول عمر عن طلب الدعاء من الرسول ﷺ بعد موته أمر ظاهر ومجمع عليه بين الصحابة لعلمهم أن هذا من الشرك خلافاً لهؤلاء البله الحمق المشركين .

وعليه فالتوسل بالرسول ﷺ إنما يكون بالإيمان به أو بطلب دعائه وهذا إنما كان جائزا في حياته ، أما بعد موته فهو من الشرك .

رابعاً : أن هذه حادثة خاصة بهذا الرجل فلم يفعلها كل عميان الصحابة .

خامساً : أن قوله : (يا محمد إني أتوجه..) لم تثبت في أكثر الروايات وبتقدير ثبوتها لا تدل على جواز دعاء غير الله لأن هذا خطاب لحاضر معين يراه ويسمع

كلامه ولا إنكار في ذلك فإن الحي يطلب منه الدعاء كما يطلب منه ما يقدر عليه فأين هذا من دعاء الغائب والميت.

وبهذا يتبين أن استدلال عباد القبور بالحديث في غير محل النزاع والكلام إنما هو في سؤال الغائب أو سؤال المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله أما أن تأتي شخصا تخاطبه فتسأله أن يدعو لك فلا إنكار في ذلك ، وأين طلب الأعمى من النبي ﷺ أن يدعو له من دعاء الأموات والسجود لهم ولقبورهم والتوكل عليهم والالتجاء إليهم في الشدائد والنذر والذبح لهم ومخاطبتهم وسؤالهم حوائجهم ، فليس في حديث الأعمى شيء غير أنه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له ويشفع له فهو توسل بدعائه وشفاعته حال حياته ، ولهذا قال في آخره اللهم فشفعه فيّ فعلم أنه شفع له. وفي رواية أنه طلب من النبي أن يدعو له فدل الحديث على أنه شفع له بدعائه وأنه أمره أن يدعو الله ويسأله قبول شفاعته فهذا من أعظم الأدلة أن دعاء غير الله شرك لأن النبي ﷺ أمره أن يسأل قبول شفاعته فدل على أن النبي ﷺ لا يدعى وأنه لا يقدر على شفائه إلا بدعاء الله له ، فأين هذا من تلك الطوام التي يفعلها مشركو زماننا.

الحديث الخامس : عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا إليه ذلك. فقال له عثمان بن حنيف: أئت الميضأة فتوضأ ثم أئت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك ليقضي لي حاجتي) رواه الطبراني.

الجواب :

أولاً : أن الحديث ضعيف ، فيه طاهر بن عيسى مجهول لا يعرف بالعدالة، كما أن في سنده أبا سعيد المكي أشد جهالة من الأول ،كما أن فيه روح بن صلاح.

ثانياً : أنه لم يفعل هذا الفعل أحد من الصحابة ولم يثبت عن أحد منهم أن توسل بالرسول ﷺ بعد موته ولو ثبت لنقل إلينا .

ثالثاً : ثم إن هذا الحديث على فرض ثبوته فليس فيه دليل على دعاء الميت وغاية ما فيه أنه توسل بالرسول ﷺ وتوجه به في دعائه، فأين هذا من دعاء الميت فإن التوجه بالمخلوق سؤال به لا سؤال منه، والكلام إنما هو في سؤال المخلوق نفسه ودعائه والاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله وكل أحد يفرق بين سؤال المخلوق وبين السؤال به ، فالسائل به قد أخلص الدعاء لله، وهذا بخلاف سؤال المخلوق مالا يقدر عليه إلا الله فإنه جعله شريكا لله في عبادة الدعاء.

الحديث السادس : عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : (إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فليناد يا عباد الله احبسوا، فإن لله ﷻ في الأرض حاضرا سيحبسه عليكم) رواه أبو يعلى وابن السني في عمل اليوم والليلة وهو في الجامع الصغير.

الجواب :

أولاً : هذا الحديث ساقط سندا ولا حجة فيه متنا ، فالحديث ضعيف مداره على معروف بن حسان وهو أبو معاذ السمرقندي، قال فيه ابن عدي منكر الحديث .

الثاني : أنه على اعتبار صحته فلا حجة فيه، لأنه من قبيل دعاء الحاضر الحي القادر وليس من دعاء الغائب وما لا يقدر عليه إلا الله ،كما قال: فإن لله في الأرض حاضرا سيحبسه عليكم ، وهؤلاء ملائكة موكلون بإجابة الداعي في هذه المسألة .

السابع: خطاب الرسول ﷺ في التشهد والسلام : (السلام عليك أيها النبي) .

الجواب :

أولاً : أن هذا لا يدل على أنه ﷺ مثل الحاضر في الخطاب ، بل الصحابة اختلفوا في إبقاء ضمير المخاطب بعد موته ، ومن ذلك ما رواه عبد الرزاق وغيره عن ابن جريح عن عطاء : (أن الصحابة ﷺ كانوا يقولون والنبي ﷺ السلام عليك أيها النبي فلما مات قالوا السلام على النبي) وإسناده جديد .

ثانياً : أن هذا الخطاب علمه النبي ﷺ الحاضرين من الصحابة أولاً ثم أبقي على حاله ، وأمثال هذا في الشرع كثير من ذلك الرمل في الطواف مع زوال علته ، وقال عمر فيه : شيء صنعه النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه .

ثالثاً : أن من فوائد الخطاب بضمير الحاضر استحضار القلب فيخاطب المشهود بالقلب .

الحديث الثامن: احتجاج القبورية بحديث : (السلام عليكم أهل الديار) فخاطبهم مخاطبة الحاضر ، فظنوا أن في هذا دليل على جواز دعاء الأموات .

وجوابنا : أن هذا السلام ليس فيه دعاء وسؤالهم والطلب منهم والاستغاثة بهم ، وإنما هو دعاء لهم ،كمن يقول للميت أو الغائب الله يغفر لك .

التاسع: حديث توسل آدم عليه السلام بنبينا محمد ﷺ . ولفظه: (لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي) رواه البيهقي والحاكم والطبراني .

والجواب عنه :

أولاً : أن الحديث موضوع.

ثانياً : ثم إن غاية ما فيه التوسل إلى الله ودعاؤه تعالى بحق محمد وليس فيه دعاء محمد ﷺ من دون الله بل المدعو هو الله ﷻ وليس الرسول ﷺ .

ثالثاً : أنه لو كان في هذا الأمر خير أو أنه مشروع في أصله لحث الرسول ﷺ أمته عليه ، وكانت أمته أولى بالتوسل بنبيها من آدم ﷺ.

رابعاً : أما قرن اسمه تعالى مع اسم محمد ﷺ في مواضع من الآيات ، فإنه لا دليل فيها على جواز التوسل به فضلاً عن دعائه من دون الله .

العاشر :(اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي)رواه ابن ماجه.

الجواب :

١- الحديث ضعيف في سنده عطية العوفي .

٢- ثم إنه لا يوجد حق لأحد على الله .

٣- أنه لو فرض صحته فإنه في التوسل وليس في الدعاء والاستغاثة فهذا دعاء الله ومحل النزاع في دعاء المخلوق.

الحادي عشر : (اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها بحق نبيك).

والجواب : أن الحديث ضعيف فيه روح بن صلاح ضعفه ابن عدي .

ثم هو في التوسل وليس في الاستغاثة ودعاء المخلوق من دون الله ﷻ.

الثاني عشر : أن الرسول ﷺ أمر عمر أن يطلب من أويس القرني أن يدعو له ، فقالوا : قصد الصالحين ليس بشرك .

والجواب : أن هذا خارج عن محل النزاع ، فكونك تطلب من الرجل الصالح حال حياته أن يدعو لك هذا ليس بشرك ولا بأس به ، وإنا الشرك أن تقصد الميت والغائب فتدعوه وترفع حاجتك إليه وتسأله وترجوه وتتوكل عليه من دون الله .

الثالث عشر : استدلالهم بحديث : (وأنا آخذ بحجزكم) :

والجواب :

١ – أن الحديث في تعليم النبي ﷺ أمته وحرصه عليهم .

٢ – ثم إن هذا الحديث دليل عليهم لا لهم فمخالفيه يدخلون النار من غير رغبته ولا يستطيع ردهم وهدايتهم وإنقاذهم من النار.

الرابع عشر : احتجاجهم بحديث : (لولاك ما خلقت الدنيا .. والجنة ولولاك ما خلقت النار) رواه الديلمي وابن عساكر .

والجواب:

١ – أن هذا الحديث موضوع .

٢ – ثم أن الله قد أعلمنا عن حكمة خلق المخلوقات في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦.

الخامس عشر : أن آدم وقع في الشرك الأصغر بتسمية ابنه عبد الحارث:

اعلم أن قد اختلفوا في وقوع آدم في الشرك وثبوت ما نسب إليه مع إجماعهم أن المقصود بالشرك.

ذهب بعض العلماء إلى أن آدم وحواء وقعوا في الشرك مستدلين بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الأعراف: ١٩٠.

وقالوا : إن المقصود بها آدم وحواء وفسروا الشرك هنا بأنه كان في التسمية لا في العبادة وفي الشرك الأصغر وليس الأكبر. واستدلوا لذلك :

بحديث سمرة بن جندب ﵁ أن النبي ﷺ قال : (لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبدالحارث فإنه يعيش فسمته عبدالحارث فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره) رواه أحمد والترمذي وحسنه والحاكم.

الجواب: أن آدم وحواء لم يقعوا في الشرك ، وأن الذي وقع فيه هم المشركون من الذرية وبنو آدم وليس آدم ، كما قال الحسن البصري وغيره ونصره ابن القيم وابن كثير وغيرهم ، وأن معنى الآية: أنه لما أتى آدم وحواء صالحا كفر به بعد ذلك كثير من ذرتيهما، وأسند فعل الذرية إلى آدم وحواء لأنهما أصل لذريتهما .

قال الحسن: (كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم) أخرجه الطبري.

قال ابن القيم: (النفس الواحدة وزوجها آدم وحواء، واللذان جعلا له شركاء فيما آتاهما المشركون من أولادهما،ولايلتفت إلى غير ذلك أن آدم وحواء كان لايعيش لهما ولد فأتاهما إبليس فقال: إن أحببتم أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث ففعلا، فإن الله اجتباه وهداه لم يكن ليشرك به بعد ذلك) روضة المحبين ٢٨٩.

السادس عشر: استغاثة هاجر ،وذلك لما سمعت صوت جبريل ، فقالت : أغث إن كان عندك غوث.

والجواب : أن هذا من باب الاستغاثة بالحي القادر كما قدمنا .

السابع عشر: استسقاء عمر بالعباس :

الجواب :

١ – أن هذا الحديث حجة لأهل التوحيد على عباد القبور لأن الاستسقاء كان بدعاء العباس لا بذاته ، وقبله أيضا بدعاء الرسول ﷺ وكان خاصا في حياته .

٢ – أن كلام هؤلاء القبورية صحيح لو ثبت استسقاء الصحابة بالرسول ﷺ بعد موته ولو مرة ، ولأنه لم يفعله أحد من الصحابة ثبت بطلان حجة القبورية وحار الدليل عليهم.

الثامن عشر : خطاب حسان بن ثابت بعد موته وكما خاطبه الصديق .

وزعموا أن دعائهم الأموات والنبي ﷺ من جنس هذه الخطابات والنداءات .

الجواب : أن خطاب حسان هو من باب الوجد والأسف والحزن والندب على فراقه وليس من باب الطلب منه ودعائه حقيقة فهل قال أحدهم أعطنا وأغثنا أم أن هذا من جنس الخطاب الذي في السلام عليه والتشهد والسلام على أهل القبور .

وهو بخلاف خطاب القبورية للرسول ﷺ كالبوصري وأمثاله فهو خطاب سائل داع لائذ راج متوكل.

التاسع عشر : قول فاطمة : يا أبتاه أجاب رب دعاه .

والجواب : أن الياء هذه للندبة وليست للنداء والطلب من المنادى ، وهو مثل قول الرسول ﷺ في ابنه إبراهيم: (وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون) فهل الرسول ﷺ قصد دعاء ابنه وسؤاله، ومن أمثاله نداء الجبال والأرض والأطلال .

العشرون : احتجاجهم بنداء بعض الصحابة : (يا محمد) :

حديث بلال بن الحارث قال: (يا رسول الله استسق لأمتك).

رواه سيف بن عمرو الضبي في الفتوح وهو ضعيف متهم بالزندقة .

وأن بلال بن الحارث : لما ذبح شاه هزيلة عام الرمادة نادى واحمداه .

وأن خبيبا لما أرادوا قتله قال : يا محمد .

الجواب :

١- أن هذه الأخبار لا تصح بل هي من الكذب .

٢- ثم لو صحت فإنها ليست من باب دعاء المسألة وطلب قضاء الحجة ، وإنما هو من الندب الذي يقصد به التوجع لفراق الحبيب ونحوه ، فهو ليس من باب الدعاء في شيء كمن ينادي أماه وأبتاه إذا ضاق الأمر به وليس قصده دعائهم وإنما الندب والتوجع والإشفاق على النفس .

ومثلها قول صفية أن صح : ألا يا رسول الله كنت رجاءنا .

فهو من المرثي والمتوجع وليس نداء ودعاء وطلب وهذا معلوم في اللغة .

الحادي والعشرون: ما ذكره سيف في فتوحه من قول الصديق : أذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك .

١- الخبر ضعيف لا يحتج به ، وسيف بن عمرو التميمي صاحب الفتوح راوي القصة ضعيف ، قال عنه أبو حاتم سيف متروك .

٢- أن كلام الصديق ﷺ رواه جمع من أهل العلم ، وكلامه محفوظ وليس فيه هذا الكلام .

٣- أن هذا النداء يستحيل أن يقوله الصدّيق الإمام الموحد ولا يتصور أن يقوله من دونه فضلا عنه .

٤ – مما يدل على بطلان هذه العبارة ما نسب من قول الصديق بعدها اللهم أبلغ نبيك عنا فعلنا ، وفي العبارة من الركاكة ما ينزه عنها الصديق ، ثم إن فيها تعارض فإذا سأل الله أن يبلغ نبيه عنهم فكيف يقول بعدها أذكرنا عند ربك وقد طلب من الله إبلاغ نبيه وهو يخاطبه أن يذكره، وهذا مما يدل على كذب هذه الحاكية والعبارة .

الثاني والعشرون: أن شعار الصحابة في الحروب (يا محمد) .

الجواب : أن هذا إن صح كسابقه إذ ليس من باب النداء والدعاء والسؤال والطلب ، وإنما كلمة تقال ليتعارف بها المسلمون فتكون شعاراً لهم .

ولم يقصد الصحابة بها الاستغاثة بالرسول كما فهمته العقول الفاسدة المشركة.

الثالث والعشرون: حديث ابن عمر وابن عباس في الإنسان إذا خدرت رجله فلينادي أحب الناس إليه فقالوا يا محمد فذهب الخدر .

والجواب أنه هذا الأثر لا يصح .

ثم لو صح فإنه ليس من باب الدعاء ، وإنما هو أمر نفسي فالإنسان إذا ذكر من يحبه فإنه ينشط القلب فيتحرك الدم في العروق فيزول خدر العضو فهو من باب المحسوسات وليس هذا من باب الدعاء والسؤال.

الرابع والعشرون: احتجاجهم بقصة خازن عمر مالك الدار لما أصاب الناس قحط زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال يا رسول الله استسق لأمتك فجاءه في النوم وأمره أن يستسقون ، رواه ابن أبي شيبه .

والجواب عن هذا الحديث :

أولاً : أن الحديث ضعيف لا يصح الاستدلال به .

ثانياً: أن هذا الرجل مجهول وليس بمعروف ولا هو من الصحابة .

ثالثاً: أن هذه القصة حصلت في المنام وليست في اليقظة فلا حجة في المنامات.

رابعاً : أن هذه القصة لو فرضنا صحتها وأنها حصلت في اليقظة فإنها حاصلة بدون أمر الرسول ﷺ ولا فعلها أحد من الصحابة ، وإنما الذي فعلها رجل مجهول وليس بصحابي ، بل ولم يعلم بفعله الصحابة فضلاً عن أن يكونوا أقروه ، كيف وقد حذروا من الشرك وقاتلوا فاعله ، والحجة في الكتاب والسنة وهدي الصحابة.

خامساً : أن في هذه القصة رد عليهم من ناحية أن الرسول ﷺ لم يقره على طلبه بل بين له الطريق الصواب وهو طلب الدعاء من الحي وذلك بالذهاب لعمر وحثه على الاستسقاء .

الخامس والعشرون : ما روي عن علي أن أعرابيا قدم بعدما دفن الرسول ﷺ بثلاثة أيام فرمي نفسه على القبر وقرأ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ النساء: ٦٤ فنودي من القبر أن قد غفر لك .

والجواب : أن هذا الخبر مختلق موضوع ، وقد قال عنه ابن عبدالهادي سنده ظلمات بعضها فوق بعض، ولو صحت فمن فعلها ليس بحجة في شرع الله أصلاً.

ومثلها قصة الأعرابي ورؤيا العتبي ، وهي باطلة لا تصح ولا حجة فيها حتى لو صحت.

السادس والعشرون: ما روي عن أنس: أن رجلا أتى إلى قبر النبي ﷺ عام الرمادة فقال : يارسول الله ،هلكت الأمة فادع الله لنا ، فرأى النبي ﷺ في المنام وقال:

ائت عمر فقل عليك بالكيس ومره أن يستسقي بالناس واستسقى عمر فسقي الناس. رواه البيهقي.

والجواب أن هذه القصة باطلة ، وهي من رجل مجهول لا حجة فيه ولا يقر على عمله ، والرسول ﷺ أمره بدعاء الله وحده وطلب الاستسقاء من الله ، وفي هذا رد على هذا الرجل وعلى من احتج بعمله ، والمقرر أن دعاء الرسول وطلب الدعاء منه من الشرك .

السابع والعشرون: لما قحط أهل المدينة شكوا لعائشة فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء، لا يكون بينه وبين السماء سقف، ففعلوا فمطروا.

الجواب عن هذه القصة :

أولاً : أن هذا من الكذب المختلق ويدل لذلك أن القبر كان في حجرة عائشة ولم يحصل فيها هدم وبناء أو أفتح سقف وقت حياتها فعلم بذلك كذب القصة .

ثانياً: أن الفتحة التي وضعت في السقف كانت في خلافة الوليد بن عبدالملك.

ثالثاً : أن الحكمة منها لينزل النازل لكنس الحجرة ولينزل المطر الذي هو من أثار رحمة الله على القبر كما ذكره من ذكره من أهل العلم .

فانظر كيف جمع الله لهؤلاء القبورية الجهل بالتوحيد والبلادة في التاريخ والكذب على أهل العلم .

رابعاً : ثم مع هذا كله لو أن ما قالوه صحيحاً وثابتا عن عائشة فإنه لا دليل فيه على ما ذهب إليه القبوريون من جواز دعاء غير الله والاستغاثة بالرسول ﷺ .

الثامن والعشرون : قصة دانيال في تستر وكان نبياً والذي كان أهل تستر يستسقون به فلما فتح الصحابة ﷺ بلادهم أخذوا جسده وحفروا ثلاثة عشر قبراً ثم دفنوه ليعمونه على الناس .

فقالوا فعلوا ذلك لوجوب الدفن ولكي لا يمتهن حرمة جسده أهل تستر .

الجواب : أن هذه القصة من الأدلة التي تؤيد ما عليه أهل التوحيد فإن قدوتهم الصحابة ﷺ ، فانظر كيف أخفوا قبره لما كان الناس يعتقدون فيه ولكي لا يعود الناس للشرك به أخفوا قبره سداً للذريعة وإغلاق وسائل الشرك،

ولو أنهم فعلوا ذلك لأجل الدفن ولكي لا يمتهن جسده كما تقول القبورية لأما حفرا قبورا كبيرة وأخفوا قبره ، فهلا فعلت القبورية مثل سلف الأئمة المقتدى بهم مع القبور بدل القباب والبناء عليها والتضرع والانكسار عندها ؟

التاسع والعشرون : رؤية بلال للرسول ﷺ في المنام وهو يقول له: ألا تزورنا ، فقصد المدينة وأتى قبر الرسول ﷺ وبكى ومرغ وجهه على القبر .

الجواب :

أن هذا الأثر لا يصح عن بلال، كما قال ابن عبدالهادي في الصارم المنكي.

ولو صح فلا حجة فيه لمن يدعو غير ا لله ويستغيث بالأموات .

الثلاثون : أن مروان أقبل فوجد رجلاً واضعاً جبهته على القبر ، فقال أتدري ما تضع فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصاري فقال جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر سمعته النبي ﷺ يقول : لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن أبكوا على الدين إذا وليه غير أهله ، رواه أحمد والحاكم.

الجواب :

١ – أن هذا الخبر لا يصح سنده وحجة في متنه .

٢– ثم لو صح فهو مخالف لما عليه الصحابة ﷺ،ولهذا استنكر فعله من رآه ، مما يدل على أن الصحابة لم يكونوا يزوروا قبره ﷺ لامتثال أمره حين قال (لا تتخذوا قبري عيداً) ولم ينقل زيارته إلا من ابن عمر دون غيره كما هو معلوم ، ومما يؤيد ذلك استنكار الحسن بن الحسن وعلي بن الحسين ابني علي بن أبي طالب على الرجل الذي رأوه واقفا عند قبر الرسول ﷺ واستدلوا له بالحديث السابق.

٣– أن فعل أبي أيوب ﷺ لو صح فهو من باب زيارة قبره ﷺ والتوجع من حال المسلمين وذلك وقت ولاية مروان ابن الحكم وكان فيه ما فيه، وليس في فعله أي مستمسك لما تفعله القبورية فلا دعاء ولا التجاء ولا تضرع ولا نداء للرسول وإنما زيارة ومجيء لقبر الرسول وسلام عليه وتأثر وتذكر ما كانوا فيه من الدين مع الرسول ﷺ وحزن لفراقه ، وهذا أمر معلوم عند زيارة القبور وزيارة من يحبه الزائر .

الحادي والثلاثون : أن مسجد الخيف بمنى بُني على قبر سبعين نبيا :

الصحيح الذي روي عن ابن عمر وأبي هريرة أنه صلى فيه سبعون لا أنهم قبروا فيه، ولم يثبت أن أحدا من الأنبياء عاش ومات بمكة غير إسماعيل ، ثم كيف جاز أن تداس قبورهم لو صح ذلك.

الثاني والثلاثون : أثر ابن عباس عند الدارقطني في أن الملائكة دفنت آدم في مسجد الخيف .

وهو باطل سندا ومتنا ، ففي سنده عبدالرحمن بن مالك متروك كما قال الدارقطني، كما أن فيه ابن هرمز وهو ضعيف.

ومنهج الدارقطني كما هو معروف عند المحدثين أنه لا يورد كثيرا من الأحاديث للاحتجاج بها كما فهم الجهال وإنما لبيان علتها ومنها هذا الحديث .

وهذا الحديث مخالف للأحاديث الصحاح من لعنة الله باني المساجد على القبور، أيضا فلم يكن هناك مسجد في منى وإنما بني بعد ذلك بأزمان بعد ذهاب المعالم والتقادم .

الثالث والثلاثون : بناء المسجد النبوي على قبور المشركين بعد نبشها :

الجواب: أن هذا دليل على أصل المسألة فالنبي ﷺ لم يبن مسجده إلا بعد أن نبشت القبور فلم يبن المسجد عليها مع أنها قبور محتقرة وغير معظمة.

الرابع والثلاثون : أمر النبي ﷺ أن يبنى مسجد الطائف مكان طاغوت اللات .

الجواب: أن هناك فرق بين المقصدين ، فبناء المسجد مكان الشرك القصد منه إزالة أثره وصورته من الموضع ليزول تعلقه من النفوس ، أما الذي يبني مسجدا أو يتعبد في معابد الوثنيين مع بقاء معبوداتهم أو قبورهم أو آثار شركهم فهذا هو المحذور ولو لم يقصد العابد هذه الأوثان وكذا لو زالت آثارها مع بقاء ذكراها وأطلالها لم تغير فالنهي يبقى على أصله سدا لذريعة الشرك.

الخامس والثلاثون : المسجد النبوي فيه قبر الرسول ﷺ :

الجواب : أن مسجد النبي ﷺ بني قبل وجود القبر ، والقبر كان خارج المسجد في بيته ، ثم أدخله الوليد بن عبد الملك لا جزاه الله خيرا في توسعة المسجد دون إقرار

أهل العلم بل ثبت إنكار سعيد بن المسيب له وأبان وغيرهم والواجب إرجاع بناء المسجد من جهة القبر كما كان زمن الصحابة .

السادس والثلاثون : تحريف بعض القبورية نهي الرسول ﷺ عن أن يتخذ قبره عيداً إلى أن معناه الأمر بملازمة قبره وعدم الانقطاع عنه .

ويكفي في رد هذا التحريف فهم الصحابة والتابعين في عدم زيارتهم لقبر النبي ﷺ أصلاً ، بل وردهم على من أكثر من زيارة قبره ﷺ كما ثبت عن الحسن بن الحسن وعلي بن الحسين واستدلالهم بهذا الحديث : (لا تتخذوا قبري عيدا).

السابع والثلاثون: صلاة عائشة في الحجرة بعد أن دفن فيها النبي ﷺ .

أنه كان بين القبر وبينها حائط كما ذكر ذلك ابن سعد في الطبقات وغيره.

الثامن والثلاثون: استدلالهم برؤيا الأرواح بعد الموت عند النصر .

الجواب : أن هذه من الحكايات الصوفية والتخيلات الشيطانية ولو صحت وافترضنا حصولها كما ذكر ابن القيم في الروح من رؤية روح النبي عند القتال فإن رؤية مثل هذا لا يدل على جواز دعاءهم من دون الله ولا على أن النصر من غير الله.

التاسع والثلاثون: استدلالهم بحديث أسماء بنت أبي بكر في جبة الرسول ﷺ وغسلها للمرضى ليستشفون بها .

والجواب أن التبرك بجسد الرسول ﷺ وشعره وعرفه وريقه وما مسه عرقة من ثيابه يجوز التبرك به ، لإذن الشارع به وفعل الصحابة له وهذا خاص به وليس لأحد أن يتبرك بغيره ، ثم إن التبرك بذلك ليس فيه دعاء له من دون الله وتوكل على المخلوق وتعلق به كتعلق عباد القبور بالقبور وعبادتها واعتقاد النفع والضر فيها.

الأربعون : كانت بردة النبي ﷺ عند كعب بن زهير يتبرك بها .

الجواب : أن هذا كسابقه فهو من باب التبرك بآثار النبي ﷺ وهو جائز ولا علاقة له بباب الدعاء والاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته وطلب الدعاء منه .

الحادي والأربعون : مسح الركن والحجر والملزم .

الجواب : أن مسحها ليس للتبرك ولعبادتها والتوسل بها وإنما إقتداء ومتابعة للرسول ﷺ كما قال عمر .

ثالثاً : الحكايات والنقولات عن العلماء :

احتجاج الصوفية القبورية بحكايات ومنامات يريدون أن يجوزوا بها الـشرك كقولهم : إن فلانا استغاث بالميت الفلاني فأغاثه ، وقولهم: إن المشايخ رأوا أشخاص يتصوفون في قبورهم ، وقولهم : جاء شخص لقبر الرسول ﷺ يسأله فقضى حاجتـه ، وغيره هذا من الكلام الذي لم يعد يستغرب من غلاة الصوفية المشركة .

الإجابة عن حكاياتهم وقصصهم التي يرويها القبورية لتسويغ الشرك :

١ – أنها ليست من أدلة الإسلام ، فلا نتعب أنفسنا بتتبع ردها ما دامت ليست من الكتاب والسنة ، والعمدة في كتاب الله وصحيح الأحاديث ، وقد جاءت بالنهي عن دعاء غير الله وتضافرت الأدلـة بـذلك ، ولـو افترضـنا وجـود دليـل مـوهم أو مشكل فهو من باب المتشابه الذي يرد للمحكم .

٢ – أن الأدلة والنصوص مخالفة لهم . فلا يلتفـت الموحـد لمثـل هـذا الـدجل وليكن عمدته آية وحديث صـح عـن الـصادق المـصدوق، وكـل مـا جـاء عـن الله ورسوله فيه أعظم الدلالة على كفر من أشرك مع الله بدعاء الأموات، فالله تعالى أمرا بعبادة الله وحده وحذرا من الشرك ودعاء الأنبياء والملائكة والصالحين، وهـؤلاء لا يريدون إلا مخالفة أمر الله ورسوله والوقوع في الشرك فأي حجة في فعلهـم ، ثـم لـو استجاب الله دعاء من يشرك فهذا لعموم رحمته وفتنة للكافر وإملاء من الله له وليس هذا دليل على كونه على الحق، والذي يراه عباد القبور شياطين تزيدهم ضلالاً وفتنة.

ويحال أن يأمر الرسول أمته بعبادة غير الله وسؤال غيره والالتجاء لسواه أفلم يبعث لإقامة التوحيد وتعليق الناس برب العالمين: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٧٩ - ٨٠ ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ الزخرف: ٤٥.

أوليس هو القائل: (من مات وهو يدعو الله نداً دخل النار) متفق عليه ، وقال (إذا سألت فاسأل الله) رواه الترمذي ، فكيف بعد هذا يأمر أمته بدعاء غير الله .

والتوحيد الذي هو أعظم ما أمر الله به دلت الأصول عليه وتقرر بيانه بالنصوص بما لا يدع مجالاً للنظر في مثل هذه السخافات ومقارنة كلام الواحد الجبار بهذيان هؤلاء المشركين الحمق الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا .

٣- أن الحكايات أكثرها غير صحيحة بل مكذوبة على أصحابها .

٤- ما صح منها فهي أخبار لا حجة فيها ولا حجة في غير الوحي، فقائلها ليس بمعصوم أصلا ولا حجة بقوله وفعله مردود عليه ، وهي من تلبيس الشيطان على المشركين وتزيينه كما أخبر وتعالى،.

٥- أن العقل يكذب أكثر هذه الحكايات .

٦- أن فعلهم شابه فعل اليهود والنصارى .

٧- لو فتح باب الحكايات لادّعى كل بما يشاء وشرع في الدين العجاب .

ومما زورته القبورية على العلماء :

١ – قول مالك للمنصور عن النبي ﷺ : (إنه وسيلتك ووسيلة أبيك آدم) .

وهذا الخبر مكذوب على الإمام مالك ، وكل من يعرف مذهبه من إنكاره على من يكثر الذهاب للقبر والوقوف عنده يتيقن من بطلان هذا القول عنه .

٢ – قول الشافعي : الدعاء عند قبر الكاظم ترياق مجرب.

وهذا كذب على الشافعي ، ثم هو دعاء عند القبر وليس دعاء صاحب القبر .

٣– قول بشر بن الحارث الحافي في معروف : من كانت له إلى الله حاجة فليأت قبره وليدع فإنه يستجاب له، وقيل عنه : قبر معروف الترياق المجدب .

وهي من الأقوال المكذوبة على بشر .

٤ – أن بعض التابعين لما أسرهم الكفار نادوا يا محمد ،ذكره السيوطي في شرحه الصدور وابن الجوزي في عيون الحكايات .

وهذه من عرض الحكايات المكذوبة ولا أساس لها من الصحة.

٥ – ما ذكره ابن الجوزي في كتابه الوفاء أن المقري كان جائعاً فذهب لقبر الرسول ﷺ فقال الجوع الجوع . ولا حجة فيها كما قررنا.

٦ – زيارة الروم لقبر أبي أيوب واستسقائهم به .

وهذا لا حجة فيها ، بل هو مما يبين للناس انتشار الشرك .

٧– زعم داود بن جرجيس أن ابن تيمية لا يكفر من دعا غير الله . وقد كذب على الشيخ ، وقد تتبع نقولاته وردها عبدالرحمن بن حسن في منهاج التأسيس.

قال ابن تيمية في تكفير من دعا غير الله: (من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر إجماعاً).

الفصل الثاني : كشف الشبهات حول الحكم بغير ما أنزل الله

أمور يتشبث بها الذين يروجون الحكم بغير ما أنزل الله: من قبيل الشبهات :

القسم الأول : عامة بالحكم بغير ما أنزل الله .

القسم الثاني : خاصة بالقوانين :

شبهات متعلقة بالتكفير خارجة عن موضوعنا .

الشبهة الأولى : أصل دعوة الرسل هو التحذير من شرك الدعاء ، وهذا الكلام يهون من شأن شرك القبور :

قلت هذا قول من لا يعرف التوحيد وما بعثت به الرسل فكل الرسل دعوا إلى توحيد الله بالحكم وتوحيد الله بالدعاء وهكذا بقية العبادات والكفر بالطاغوت المتحاكم إليه وألا يشرك فيه مع الله أحد، ومن تدبر ما دعت إليه الرسل وجد دعوتهم شاملة لكل جوانب التوحيد والتحذير من كل أنواع الشرك ومنها شرك الحكم والطاعة والتشريع والدين ، ولم يقتصروا على شرك الدعاء فقط .

وتأمل في ذلك قوله تعالى عن بني إسرائيل : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا ﴾ التوبة: ٣١. وهؤلاء ما كانوا يصلون لهم ، ولا ذَكَر الله أنهم كانوا يصرفون لهم الدعاء من دونه ، فعن عدي بن حاتم أنه أتى النبي ﷺ وهو يقرأ هذه الآية ، فقال : ((أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه)) رواه الترمذي.

وسئل حذيفة ﷺ عن هذه الآية : أكانوا يصلون لهم ؟ قال : لا ، ولكنهم كانوا يحلون لهم ما حرم الله عليهم فيستحلونه ، ويحرمون عليهم ما أحل الله لهم فيحرمونه ؛ فصاروا بذلك أربابا .

وهذا يوسف ﷺ يبين للناس أن إفراد الله تعالى بالحكم كإفراده بالدعاء فقال جامعًا بين التوحيدين وأنهما يمثلان حقيقة الدين الذي جهله أكثر الناس: ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ يوسف: ٤٠.

وتأمل قول النبي ﷺ : (رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار ، وكان أول من سيب السوائب) متفق عليه.

وقال ﷺ عنه : (إنه أول من غَيّر دين إبراهيم) .

ففيه إشارة إلى شرك التشريع والطاعة بتحريم ما أحل الله من تسييب السوائب للمعبودات الباطلة، وقرن الرسول ﷺ بين تغييره دين إبراهيم وبين تبديله شرع الله تعالى ليبين أن حكمهما سواء ، وأن فعله هذا من جنس فعل اليهود والنصارى الذين حرموا ما أحل الله وبينه لعدي.

فبعد هذه الأدلة الصريحة في بيان أن شرك الطاعة كشرك الدعاء ، ليس لأحد أن يزعم أن دعوة الرسل قائمة على التحذير من شرك الدعاء فقط بل النهي عن الشرك بجميع صوره ومظاهره.

الثانية : قولهم : الحكم لا يدخل في العبادة والشرك .

الجواب أن هذا قول من لا يعرف الإسلام .والحكم مما اختص الله به ولا يشرك أحد فيه ، وهو من العبادة التي أمر الله بها والتي لاتصرف لغيره ، فيدخله التوحيد ويتعلق به الشرك، وكل هذا نص عليه القرآن.

الشبهة الثالثة : قولهم : إنـه لـيس للـشريعة علاقـة بالـسياسة ، ولا يوجـد في الشريعة حل في النوازل وفض لكل تنازع وهي قاصرة عن الحيـاة المعـاصرة والثـورة الصناعية والعولمة والحضارة والمصالح والعلاقات الدولية .

وهذا القول من أعظم الكفر والزندقة وتكذيب لله تعالى فيما أخبر في مثل قوله ﷻ: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الـشورى: ١٠ ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائـدة: ٥٠ ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾.

قال ابن القيم في تفسير آية ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ : (نكرة في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون مـن مـسائل الـدين دقـه وجلـه، جليّـه وخفيّه، ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله بيان حكم ما تنازعوا فيـه ولم يكـن كافيـا لم يأمر بالرد إليه، إذا من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى مـن لا يوجـد عنـده فصل النزاع. ومنها أن الناس أجمعوا أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه، والـرد إلى الرسول ﷺ ، هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاتـه. ومنهـا أنـه جعـل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الـرد انتفـى الإيـمان، ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه، ولا سيما أن التلازم بـين هـذين الطـرفين، وكـل مـنهما ينتفي بانتفاء الآخر. ثم أخبر سبحانه أن مـن تحـاكم أو حـاكم إلى غـير مـا جـاء بـه الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه). إعلام الموقعين (١/ ٤٩) .

الشبهة الرابعة : قولهم: الحكم بغير ما أنزل الله مسألة خلافية ولا إجماع فيها:

أن كفر المشرّع والحاكم بغير ما أنزل الله والمتحاكم للطاغوت مما أجمع عليه أهل السنة وممن نقل الإجماع الطبري وابن راهوية وابن حزم وابن تيمية وابن كثير وغيرهم .

قال إسحاق بن راهوية : (أجمع العلماء على أن من دفع شيئا أنزله الله وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر) التمهيد لابن عبدالبر ٤/ ٢٢٦ .

قال الطبري في تفسيره : (إن جحود حكم الله تعالى هو اعتراض على شرع الله تعالى ، وتكذيب لنصوص الوحيين ، وقد أجمع العلماء على تكفير من أنكر حكماً معلوماً من الدين بالضرورة) ٦ / ١٤٩.

قال ابن تيمية : (والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافرا مرتدا بالاتفاق) الفتاوى٣/ ٢٦٧.

قال ابن كثير في تاريخه: (فمن ترك الشرع المحكم المنزل وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه (أي على شرع الله) من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين) البداية والنهاية ١٣/ ١١٩.

قال ابن حزم في إحكام الأحكام : (من حكم بحكم الإنجيل مما لم يأت بالنص عليه وحي في شريعة الإسلام فإنه كافر مشرك خارج عن الإسلام) .

وقال في الفصل عن طاعة المشرعين :(وهذا هو الشرك بلا خلاف) .

ولم يخالف في ذلك سوى المرجئة الضلال ، والمرجئة وغيرهم من أهل البدع لا يعتد بقولهم في الإجماع ولا عبرة بخلافهم له .

الخامسة : أن الحكم بغير ما أنزل الله من الكفر العملي الأصغر كالمعاصي.

والقائلون بذلك يجعلون الحكم معصية كسائر المعاصي لا يكفر مرتكبها ما لم يستحلها ، بل إن بعضهم يبالغ ويرمي المخالفين له بأنهم خوارج .

١- أن هؤلاء قد غاب عنهم **الفرق بين الكفر والمعصية** :

فظنوا أن القوانين الوضعية والتشريع من قبيل المعاصي لا الكفر ، لمذهبهم الفاسد في الإيمان وقولهم بالإرجاء والحق أن القانون والتشريع من الكفر الأكبر وليس مجرد معصية، والفرق بين القانون والمعصية من وجهين :

الأول : ليس في المعصية مضاهاة ومشابهة لخصائص الله ﷻ وليس في المعصية شرك بخلاف التشريع، الذي فيه الشرك في الربوبية والألوهية .

وهناك تلازم بين ربوبية الله وبين حقه في السيادة والتشريع فمن يخلق يأمر ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ ﴾ ، بل هو أحد معاني ربوبيته الثلاث (التدبير والملك والأمر)، فلا يثبت توحيد الربوبية إلا بإثبات حق التشريع والسيادة والأمر والنهي ، كما أنه لا يثبت توحيد الألوهية إلا بالتحاكم إلى شرع الله وقبوله والرضا به ظاهرًا وباطنًا .

الثاني : أن العاصي عنده الالتزام بالشريعة بخلاف المشرّع فليس عنده الالتزام والانقياد للشريعة ولا قبولها فالعاصي عنده أصل الالتزام وخالف في كمال الالتزام بخلاف المشرع فليس عنده أصل الالتزام بالشرع فنقض الأصل ، لهذا كفر.

٢- أن الله تعالى كفّر من يحكم ويشرّع ، بل كفّر من دونهم ممن يتبعهم ويطيعهم في التحليل والتحريم ويتحاكم إليهم فقد اتخذهم ربًا وكفر بذلك ، إذ لا فرق بين شرك الطاعة وشرك الدعاء ، إلا في ذهن من لم يفهم التوحيد حق الفهم.

كما في قوله : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ التوبة: ٣١﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ النساء: ٦٠﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١.

وكيف يكون الشرك في الدعاء شركًا أكبر مخرجًا من الملة ، ولا يكون الشرك في التشريع كذلك ؟ وهل كان شرك إبليس إلا في رد أمر الله ؟ وهل كان كفر قوم لوط إلا في رد أمر الله وتكذيب رسله ؟ فما من موضع في القرآن ذكر فيه عن إبليس ولا قوم لوط أنهم صرفوا الدعاء لغير الله .

فهذان النوعان من الشرك متآلفان ، متجانسان حكمًا واحدًا في الكتاب والسنة، فكيف يُفصل بينهما دون أدنى أثارة من علم ؟

٣- أن السلف يقصدون بالكفر العملي إذا أطلقوه أمرين :

ما تعلق بالعمل فعلاً وكان يشترط معه الاستحلال كترك بعض الواجبات كالحج وفعل المعاصي كالزنا .

وما كان كفر بذاته لا يشترط معه الاستحلال كالتشريع وسب الله وحرب الدين ومظاهرة الكفار والسحر والسجود للقبور والاستهانة بالمصحف .

قال ابن القيم: (كفر العمل ينقسم إلى مايضاد الإيمان وما لايضاده، فالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان) الصلاة ٤٠٦.

أيضاً أن الإيمان قول وعمل واعتقاد ولا يصح الإيمان إلا بالعمل وتاركه يكفر عند أهل السنة خلافا للمرجئة .

وقد كفر السلف تارك الصلاة وتارك النطق بالشهادتين مع القدرة بالإجماع، وهذا من الكفر العملي الأكبر ولا يخالف ويعده من الأصغر غير المرجئة .

الشبهة السادسة : لا يكفر الحاكم بغير ما أنزل الله إلاّ بالجحود أو الاستحلال.

١ – أن هؤلاء جهلوا مناط الكفر في الحكم ووجه كونه كفرا ، وهذا بأحد سببين إما لأخذهم بمنهج الإرجاء في عدم التكفير بالأعمال ، أو لجهلهم بحقيقة كفر الحكم وعدم تدبرهم الآيات التي بينت شناعة هذا العمل وكفر فاعله .

وقد بينت مناط الكفر في الحكم وأنه متعلق بالإعراض والامتناع منه والتولي عن العمل وتركه من غير جحود لحكم الله أو استحلال لحكم غيره مفصلا بكلام طويل يبين المسألة بالأدلة وكلام أهل العلم، فراجعة في ثنايا ناقض شرك الحكم * .

---

* نذكر هنا اختصارا **بحثا حول تحقيق كون الحكم كفر عملي خلافاً للمرجئة :**

أولاً : أدلة تعلق الكفر في الحكم بالعمل المجرد عن الاعتقاد :

قال تعالى :﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ النور: ٥١ ، والطاعة متعلقة بالعمل والانقياد والسماع القبول.

قال ﷻ :﴿ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المائدة: ٤٣ . والتولي يكون بالعمل وترك الطاعة وليس الجحود .

قال تعالى :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ النساء: ٦١ . والصدود أمر عملي .

قال تعالى :﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ النور: ٤٧ – ٤٨ . والتولي والإعراض متعلق بالعمل .

قال تعالى :﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المائدة: ٤٣ . ومعنى الآية أن هؤلاء اليهود كانوا مقرين بالتوراة، ولم يجحدوها كما جحدوا القرآن ومع ذلك كفروا بها من حيث عدم العمل بحكمها وتركوا العمل بها وتولوا عن حكمها ولم يتبعوها، ويؤكد المعنى ما قاله الله ﷻ لرسوله ﷺ وكيف يا رسولي تريد اليهود أن يحكموك ويحكموا القرآن وهو كتابك الذي أنزل لك ، فإذا كانوا لم يحكموا بالتوراة التي أنزلت عليهم وأقروا بها واتبعوها ولم ينكروها أو يجحدوها، فهل سيحكمونك

ويتبعون حكمك مع تكذيبهم لك وجحودهم لنبوتك ولا يقرون بما أنزل عليك، وبهذا يتبين أن الكفر الحاصل من اليهود وغيرهم في شرك الحكم عملياً وليس اعتقادياً .

ومن الأدلة على كون الحكم متعلق بالعمل وتاركه والمشرك فيه كفرهم عمليا.

قوله تعالى :﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ النساء: ٦٥ .والآية نفت الإيمان عن تارك التحاكم، والتحاكم وتركه أمور عملية.

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ والآية حكمت على تارك الحكم بالكفر.

وقوله تعالى : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ . والآية بينت أن الحكم عملي وليس اعتقادي وداخل في العبادة وهي عملية .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾ المائدة: ٤٩ . والآية بينت أن الحكم والتحاكم متعلقة بالعمل وضدها التولي متعلق بالعمل وليس بالاعتقاد ومعناه ترك الفرائض والطاعة ومنها التحاكم، فهو كفر عملي.

فهذه الأدلة تبين أن من ترك حكم الله وتولى عن التحاكم إليه فهو كافر بهذا ولا يشترط حتى نكفره أن يجحد حكم الله أو يستحل الحكم بغيره.

ثانياً : ما يدلل على أن التولي والإعراض أمر متعلق بالعمل :

قوله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ القيامة: ٣١ .

فانظر كيف جمع الله بين التولي والتكذيب مما يدل على اختلافهما ، بل جعل الله التولي في مقابل ترك الصلاة والتكذيب في مقابل التصديق.

وإليك كلام السلف في أن كفر التولي متعلق بعمل الجوارح وليس بالاعتقاد .

قال المروزي :(**التولي** ترك الفرائض).

قال ابن كثير :(كذب بقلبه وتولى بفعله).

وقال في آية:﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾: (فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول) .

قال ابن تيمية: (فصار الانقياد من تصديقه في خبره، فمن لم ينقد لأمره فهو إما مكذبٌ له أو ممتنع عن الانقياد لربه، وكلاهما كفر صريح). الصارم ص ٩٦٩.

٢- أن أهل العلم صرحوا بكفر الحاكم متى ترك حكم الله وأعرض عنه وامتنع عن الانقياد له ولو كان مقرا غير جاحد ولا مستحل، ومن أقوالهم :

قال ابن كثير في تاريخه: (فمن ترك الشرع المحكم المنزل وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه) ١٣/ ١١٩.

قال إسحاق بن راهوية : (أجمع العلماء على أن من دفع شيئا أنزله الله وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر) التمهيد لابن عبدالبر ٤/ ٢٢٦ .

قال ابن القيم : (ومنهم من تأول آية ومن لم يحكم على ترك الحكم جاحدا له وهو قول عكرمة وهو تأويل مرجوح فأن جحوده كفر سواء حكم به أو لم يحكم) المدارج ٢/ ٣٣٦ .

قلت وهذا رد صريح على جهمية العصر ومرجئته القائلين لا يكفر الحاكم إلا إذا جحد واستحل مع أن كلام عكرمه لا يحمل على المشرعين .

وقال ابن تيمية في الإيمان الأوسط :(فعلم أن التولي ليس هو التكذيب بل هو **التولي عن الطاعة** فإن الناس عليهم أن يصدقوا الرسول فيما أخبر ويطيعوه فيما أمر وضد التصديق التكذيب وضد الطاعة التولي).

وقال في الصارم المسلول : (فبين سبحانه أن من **تولى** عن طاعة الرسول ﷺ وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن وأن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا، فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد **الإعراض** عن حكم الرسول ﷺ وإرادة التحاكم إلى غيره مع أنه ترك محض وقد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالنقض والسب).

وقال في الإيمان : (التولي في الطاعة والتكذيب في الإخبار) ٧/ ٥٩، ١٤٢ .

وقال فيه :(فنفى الإيمان عمن **تولى عن العمل** وإن كان قد أتى بالقبول).

قال الجصاص: (في هذه الآية دلالة على أن من رد شيئا من أوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ فهو خارج من الإسلام سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم) أحكام القرآن ٣ / ١٨١ .

قال محمد بن إبراهيم: (لو قال من حكّم القانون : أنا أعتقد أنه باطل ، فهذا لا أثر له ، بل عزل للشرع كما لو قال أحد : أنا أعبد الأوثان وأعتقد أنها باطلة). الفتاوى (٦/ ١٨٩).

قال الجصاص عند آية: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ : (وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئا من أوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ فهو خارج من الإسلام سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم) أحكام القرآن ٣ / ١٨١ .

٣- أن الجحد والاستحلال مناطات مكفرة مستقلة ، ولو لم يحصل معها الحكم بغير ما أنزل الله ، و ليست هى مناطات التكفير الواردة في الآيات الدالة على كفر الحاكم بغير ما أنزل الله والمتحاكم إليه ، فالحكم كفر عملي مستقل ، والجحود والاستحلال كفر اعتقادي، وكليهما كفر أكبر وليس بالضرورة اجتماعهما فقد يحكم بالطاغوت ولا يجحد وقد يجحد حكم الله ويستحل الحكم بغيره مع عدم فعله ذلك، والجميع كافر، والآيات كلها في القسم الأول المتعلق بالكفر العملي الظاهر القائم بالحكم والتحاكم والطاعة ، وقدمت قول ابن القيم و الجصاص .

٤- أن قصر الكفر على الجحود والاستحلال وإخراج الكفر العملي من حقيقة الكفر هو بعينه مذهب المرجئة ، ولم يفرقوا بين المعاصي يكفر بها الخوارج والنواقض والشرك الذي يكفر بها أهل السنة.

قال ابن تيمية: (قد تقرر من مذهب أهل السنة أنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب ، ولا يخرجونه من الإسلام بعمل إذا كان فعلاً منهياً عنه مثل الزنا والسرقة وشرب الخمر ، ما لم يتضمن ترك الإيمان) الفتاوى(٢٠/ ٩٠) .

قال محمد بن عبدالوهاب فيمن احتج بأن السلف لا يكفرون بالذنوب: (هذا حق ، ولكن ليس هذا ما نحن فيه ، وذلك أن الخوارج يكفرون من زنى أو من سرق ، بل كل كبيرة إذا فعلها المسلم كفر ، أما أهل السنة فمذهبهم أن المسلم لا يكفر إلا بالشرك ، ونحن ما كفرنا الطواغيت وأتباعهم إلا بالشرك ، وأنت رجل من أجهل الناس تظن أن من صلى وادعى أنه مسلم لا يكفر) المؤلفات (٧/ ٢٣٣).

٥- كيف يكون الشرك في الدعاء والذبح والسجود شركًا أكبر ولا يشترط معه الاستحلال ، ولا يكون الشرك في التشريع كذلك ؟

ثم ما نحن فيه الآن من هجر لأحكام الإسلام جملة هل ينتظر فيه تصريح بالاستحلال ؟ وهل يقول ذلك مسلم يعيش ذلك الواقع فضلاً عن كونه عالمًا ؟

فمن يفرض القوانين الوضعية الفرنسية أو الأمريكية على الشعوب الإسلامية، ويجعلها أصل الحكم في القضاء في الأموال والدماء وغيرها ، بل ويعاقب من يطالب بتطبيق الشريعة الربانية ، هل ننتظر منه بعد ذلك أن يعلن بلسانه أنه مستحل ؟ وهل بعد استحلاله هذا استحلال ؟

فإذا كان من الاستحلال اعتقاد حل الحكم بغير ما أنزل الله ، فكيف بمن يوجبه ويلزم به ، بل ويعاقب من تركه ؟ أوليس هذا قد تخطى مرحلة الاستحلال إلى ما هو أشد منه ؟

٦ – أن القرآن قد نصّ على تكذيب إيمان من لم يكفر بالطاغوت وأراد التحاكم إليه ، فنحن نحكم ببطلان إيمان أمثال هؤلاء تصديقاً بحكم الله فيهم ، ونُكذب هذا المتحاكم للطاغوت ولو زعم الصدق والإيمان والتوفيق والإحسان ، ولو صرّح بأن الشريعة أفضل من دين الطاغوت ، وأقر بوجوب تحكيم الشرع .

قال محمد بن إبراهيم:(لو قال من حكّم القانون : أنا أعتقد أنه باطل،فهذا لا أثر له ، بل عزل للشرع كما لو قال أحد : أنا أعبد الأوثان وأعتقد أنها باطلة) الفتاوى(٦/ ١٨٩) .

قال ابن عثيمين: (ومن هؤلاء من يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية، لتكون منهاجاً يسير الناس عليه ، فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات ، إلا وهم يعتقدون أنها لا أصلح وأنفع للمخلوق ، إذ من المعلوم بالضرورة العقلية ، والجبلّة الفطرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلاّ وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ، ونقص ما عدل عنه). الفتاوى١/ ٣٦.

تنبيه : يكفر من يقول لا يكفر إلا المشرع إلا إذا استحل فهذا يعتبر ردة ويكفر قائله بعد قيام الحجة لأنه يعد من باب الشك في كفر الكافر وتصحيح مذهبه ، ولا يقال فيه أنهم مرجئة فقط.

الشبهة السابعة :أن الكفر في قولـه تعـالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤ **هو كفر دون كفر ، كما ورد عن ابن عباس ﷺ .**

ويرد على هذه الشبهة من عدة أوجه :

١ – أن هذا الأثر ضعيف ولا يصح عن ابن عباس ﷺ .*

---

* روى هذا الأثر من طريق سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاووس عن ابن عباس أنـه قـال: " إنـه لـيس الكفر الذي تذهبون إليه، إنه ليس كفراً ينقل عن الملة ،كفر دون كفر" .

رواه سعيد بن منصور في السنن ،وابن بطة في الإبانة ، ومحمد بـن نـصر في تعظـيم قـدر الـصلاة ، وابـن عبـدالبر في التمهيد،والحاكم في المستدرك كلهم من طريق هشام بن حجير المكي عن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وهشام بن حجير ضعفه الأئمة الثقاة ولم يتابعه على هذه الرواية أحد .

قال الإمام أحمد بن حنبل في هشام : "ليس بالقوي"، وقال: مكي ضعيف الحديث . وضعفه يحيى بن سـعيد القطـان وضرب على حديثه . وضعفه علي بن المديني ، وذكره العقيلي وابن عدي في الضعفاء .وهـشام صـالحٌ في دينـه ، لـذا قـال ابـن شبرمة: ليس بمكة مثله. وقال ابن معين: صالح . فهذا في الدين أو العبادة، بدليل أن ابن معين نفسه قـد قـال فيـه: "ضـعيف جداً". وقال ابن حجر: "صدوق له أوهام". وقال ابن عيينة: " لم نأخذ منه إلا ما لم نجده عند غيره" اهـ. وهشام من أهل مكة وسفيان كان عالماً عارفاً بأهل مكة. ولهذا لم يـرو لـه البخـاري ومـسلم إلا متابعـة أو مقرونـاً مـع غـيره وكانـت أحاديثـه مـن الأحاديث المنتقدة على الصحيحين .

والخلاصة أنه عرف مما سبق أنه لا حجة لمن حاول تقوية هشام بالاحتجاج برواية البخاري ومسلم له. لأنهما لم يرويـا له استقلالاً ولكن متابعة.. وهذا من الأدلة على تضعيفه إذا انفرد . ولم يوثق هـشام بـن حجـير إلا بعـض العلـماء كـابن حبـان والعجلي وابن سعد وابن شاهين وهم مشهورون بالتساهل في التوثيق ، قـال المعلمـي: "توثيـق العجـلي وجدتـه بالاسـتقراء كتوثيق ابن حبان تماماً أو أوسع". الأنوار الكاشفة ص (٦٨) . فإذا كان هذا حال من وثقـوه فـإن رواياتـه لا تقـوم بهـا حجـة بتوثيقهم هذا ، فكيف وقد عارضهم وقال بتضعيفه الأئمة الجبال الرواسي كأحمد بن حنبل ويحيى بـن معـين ويحيـى بـن سـعيد القطان وعلي بن المديني وغيرهم . وعليه فهشام بن حجير ضعيف لا تقوم به حجة استقلالاً وحده، وإن صلح في المتابعات كما عرفت ، والمحتجون به لم يوردوا له على رواية ابن عباس هذه متابع ، فيترجح ضعفها وعدم صحّة نسبتها إلى ابن عباس.

وزيادة على تفرد هشام فقد خالف غيره من الثقات فذكره عبد الله بن طاووس عن أبيه قال سئل ابن عباس عن قولـه تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ قال (هي كفر) وفي لفظ (هو به كفـر) وآخـر(كفـى بـه كُفْـره) رواه عبد الرزاق في تفسيره والطبري وغيرهما بسند صحيح وهذا هو الثابت عن ابن عباس ، فقد أطلق اللفظ ولم يقيّده .

ولذلك كان طريق هشام بن حجير منكر من وجهين: تفرد هشام به ، ومخالفته من هو أوثق منه .

٢- أن قول ابن عباس رضي الله عنهما هذا إن صحّ ، فهو معارض بقول ابن مسعود ﷺ عندما سئل عن الرشوة ؟ فقال :(هي السحت) فقيل له : في الحكم ذلك؟ قال : (ذلك الكفر ، ثم تلا هذه الآية ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ . رواه سعيد بن منصور في السنن ، وعبدالرزاق في المصنف ، والطبراني في المعجم الكبير ، وابن بطة في الإبانة كلهم من طريق مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وهو صحيح الإسناد ، فكيف أخذتم بقول صحابي دون الآخر .

٣- أنه ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الكفر في الآية هو الأكبر . فعن طاووس أنه سئل ابن عباس عن قوله تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ قال: (هي كفر) وفي لفظ (هو به كفر) وآخر (كفى به كُفْره) .

رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٩١) وابن جرير (٦ / ٢٥٦) وغيرهما بسند صحيح وهذا هو الثابت عن ابن عباس ، فقد أطلق اللفظ ولم يقيّده .

٤- أن الكفر إذا جاء معرفاً بالألف واللام في الكتاب والسنة فالمراد به الكفر الأكبر . وهي تنطبق على آية المائدة هذه ، التي ذكر فيها لفظ الكفر معرفاً .

وهذه قاعدة نفيسة قررها ابن تيمية في الاقتضاء : ١/ ٢٠٨ .

أيضا ما جاء في وصف الحكام بالفاسقين والظالمين، فهو من زيادة شناعة كفره، فإن الكافر الفاسق الظالم أخبث ممن هو كافر فقط.

٥- أن كلام ابن عباس في من يحكم في واقعة عينية وليس ذلك عن تشريع أو ديدن للحاكم فلا يكون ملتزما بالشرع ، ويؤكد ذلك قول أبي مجلز فيهم:(هو دينهم

الذي يدينون به) ، وهناك فرق بين من يلزم الناس بتشريع عام مخالف لأحكـام الله ، وبين من خالف في قضايا معينة قليلة لشهوة أو حظ دنيوي ، مع التزامه بالشريعة .

فالصورة الأولى كفر أكبر مخرج من الملـة ، والـصورة الثانيـة كفـر دون كفـر ، وعليه يحمل كلام ابن عباس وأبي مجلز في حكام بني أمية إذ كانوا يحكمون بالإسـلام أصلاً وخالفوا في قضايا عينية ، ولا ينطبق قوله على شرك التشريع ووضع القوانين.

قال أحمد شاكر عن قول ابن عباس: (وهذه الآثار– عن ابن عباس وغـيره – مما يلعب به المضللون في عصرنا هذا ،من المنتسبين للعلم، ومن غـيرهم مـن الجـرّاء على الدين : يجعلونها عذراً أو إباحة للقوانين الوثنية الموضوعة ، التـي ضربـت عـلى بلاد الإسلام) . عمدة التفسير (٤/ ١٥٦).

وقال محمد بن إبراهيم: (الذي قيل فيه كفر دون كفر إذا حاكم إلى غير الله مع اعتقاد أنه عاص وأن حكم الله هو الحق فهذا الذي يصدر منه المرة ونحوها أما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع فهو كفر وإن قالوا أخطأنا وحكم الشرع أعدل) .

وقال: (فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة مفتوحـة الأبواب، والناس إليها أسراب إثر أسراب يحكم حكامهـا بيـنهم بـما يخـالف حكـم السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون وتلزمهم به وتقرهم به وتحتمهم عليـه فـأي كفر فوق هذا الكفر وأي مناقضة لشهادة أن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة ؟!).

وقد قدمنا الأدلة والنقول عن أهل العلم في كفر أصحاب القوانين الوضعية .

٦ – أن الله ﷻ حكم بأن التشريع زيادة في الكفر الكبر والمرجئة قالوا كفر دون كفر وهذا من المعاندة لأحكام الله ودينه .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ التوبة: ٣٧ .

قال ابن حزم : (وبحكم اللغة التي نزل بها القرآن إن الزيادة في الشيء لا تكون ألبته إلا منه لا من غيره فصح أن النسيء كفر وهو عمل من الأعمال وهو تحليل ما حرم الله) الفصل٣/ ٢٤٥.

والتشريع مثل التصوير، فكما أن المصور يعذب بكل صورة فكذا المشرع يكفر ويعذب بكل قانون وضعه وألزم به ، لأنهما يشتركان في مضاهاة ومماثلة الله ﷻ في أمره وخلقه ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ وقد وقع المشرع والمصور في شرك الربوبية والصد عن سبيل الله فاستحقوا زيادة العقوبة لزيادتهم في الكفر والطغيان ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴾ النحل: ٨٨ .

والعجيب أن مشركي زماننا من المشرعين القانونيين يفتخرون بكثرة القوانين والمواد التي وضعوها ليضاهوا بها شريعة الله ﷻ ، فتجد البعض منهم يقول : وضعت دستوراً وقانوناً يشمل ألفي مادة أو ألفي إلزاما أو ألفي قاعدة أو ألفي قانوناً أو نحو ذلك، ولم يعلم هؤلاء المساكين الحقراء أنهم معذبون بكل قانون وضعوه وأنه يزيدهم في الكفر ولا يدل على أن من وضع قانوناً واحداً لا يكفر فإن من وضع قانوناً واحداً كمن وضع ألف قانون فهم في الكفر سواء من ناحية الخروج من الملة أما من ناحية زيادة العذاب والتعذيب وشناعة الكفر فإنه كلما زاد التشريع والقوانين كلما زاد معهما الكفر .

٧- ثم إن كثيرًا من أصحاب هذه الشبهة يستندون إلى أثري ابن عباس وأبي مجلز في تأويل آية المائدة في الحكم بغير ما أنزل الله أنه كفر أصغر . مع أن كلامهم

ظاهر أنه رد على الخوارج الذين أرادوا تكفير الحكمين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري ، مع علي ومعاوية ﷺ وحكام بني أمية وأمرائهم ، ونقول :

إن أصل الحكم في ذلك العصر عصر بني أمية الذين قصدهم ابن عباس وأبو مجلز هو الحكم بالإسلام مع المخالفة في قضايا بعينها في تحقيق المناط ، فقد خالفوا فيها حكم الله مع اعترافهم أن حكم الله غير ذلك وأنهم آثمون مستحقون للإثم والعقاب . وأما في عصرنا فالكلام مختلف تماما فالكلام عن هؤلاء الطواغيت الذين تركوا حكم الإسلام وحكموا بقوانين الغرب الكافر ووضعوا لهم دساتير السيادة فيه لغير الله تعالى وحكمه .

وقد أجاب الشيخ محمود شاكر عن تلك الشبهة فقال: (فإن أهل الريب والفتن ممن تصدروا للكلام في زماننا هذا ، قد تلمس المعذرة لأهل السلطان في ترك الحكم بما أنزل الله ، وفي القضاء في الدماء والأعراض والأموال بغير شريعة الله التي أنزلها في كتابه ، وفي اتخاذهم قانون أهل الكفر شريعة في بلاد الإسلام . فلما وقف على هذين الخبرين ، اتخذهما رأيًا يرى به صواب الحكم بغير ما أنزل الله ، وأن مخالفة شريعة الله في القضاء العام لا تكفر الراضي بها ، والعامل عليها .

والناظر في هذين الخبرين لا محيص له عن معرفة السائل والمسئول ، فأبو مجلز لاحق السدوسي تابعي ثقة ، والذين سألوا أبا مجلز من الإباضية إنما كانوا يريدون أن يلزموه الحجة في تكفير بني أمية لأنهم ربما عصوا أو ارتكبوا بعض ما نهاهم الله عن ارتكابه ، ولهذا حين سأله الخوارج أيحكم هؤلاء بما أنزل الله؟ قال لهم في الخبر الأول : (هو دينهم الذي يدينون به، وبه يقولون وإليه يدعون فإن هم تركوا شيئًا منه عرفوا

أنهم قد أصابوا ذنبًا)، وقال في الخبر الثاني: (إنهم يعملون ما يعملون ويعلمون أنه ذنب).

وإذن فلم يكن سؤالهم عما احتج به مبتدعة زماننا ، من القضاء في الأموال والأعراض والدماء بقانون مخالف لشريعة أهل الإسلام ، ولا في إصدار قانون ملزم لأهل الإسلام ، بالاحتكام إلى حكم غير الله في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، فهذا الفعل إعراض عن حكم الله ، ورغبة عن دينه وإيثار لأحكام أهل الكفر على حكم الله سبحانه وتعالى ، وهذا كفر لا يشك أحد من أهل القبلة على اختلافهم في تكفير القائل به والداعي إليه .

والذي نحن فيه اليوم هو هجر لأحكام الله عامة بلا استثناء، وإيثار حكم غير حكمه، وتعطيل لكل ما في شريعة الله ، بل بلغ الأمر مبلغ الاحتجاج على تفضيل أحكام القانون الموضوع على أحكام الله المنزلة ، وادعاء المحتجين بذلك بأن أحكام الشريعة إنما نزلت لزمان غير زماننا ، ولِعِلَلٍ وأسباب انقضت فسقطت الأحكام كلها بانقضائها . فأين هذا مما بيناه من حديث أبي مجلز ، والنفر من الإباضية ؟

لو كان الأمر على ما ظنوا في خبر أبي مجلز أنه ما أرادوا مخالفة السلطان في حكم من أحكام الشريعة ، فإنه لم يحدث في تاريخ الإسلام أن سن حاكم حكماً وجعله شريعة ملزمة للقضاء بها ، هذه واحدة، وأخرى أن الحاكم الذي حكم في قضية بعينها بغير حكم الله فيها ، فإنه إما أن يكون حكم بها وهو جاهل ، فهذا أمره أمر الجاهل بالشريعة ، وإما أن يكون حكم بها هوى ومعصية فهذا ذنب تناله التوبة وتلحقه المغفرة، وإما أن يكون حكم به متأولاً حكماً يخالفه به سائر العلماء فهذا

حكمه حكم المتأول يستمد تأويله من الإقرار بنص الكتاب والسنة، وأما أن يكون في زمن أبي مجلز أو قبله أو بعده حاكم حكم بقضاء في أمر ، جاحداً لحكم من أحكام الشريعة ، أو مؤثراً لأحكام أهل الكفر على أحكام أهل الإسلام ، فذلك لم يكن قط، فلا يمكن صرف كلام أبي مجلز والإباضيين إليه .

فمن احتج بهذين الأثرين وغيرهما في غير بابهما ، وصرفهما إلى غير معناهما رغبة في نصرة سلطان أو احتيالاً على تسويغ الحكم بغير ما أنزل الله وفرض على عباده ، فحكمه في الشريعة حكم الجاحد بحكم من أحكام الله : أن يستتاب ، فإن أصر وكابر وجحد حكم الله ، ورضي بتبديل الأحكام فحكم الكافر المصر على كفره معروف لأهلهذا الدين). تفسير الطبري تحقيق أحمد شاكر : ١٠/ ٣٤٨.

٨- أن كلام ابن عباس ﷺ إن صح ، لا نصادم به كلام الله ورسوله ﷺ ، وفي مسألة من مسائل التوحيد الذي بعثت بها الرسل كافة وهي الكفر بالطاغوت، والكفر بأحكام الطواغيت المخالفة لحكم الله كما أمرنا الله ﷻ : ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ النساء: ٦٠.

أو ليس ابن عباس رضي الله عنهما هو القائل رداً على من احتج عليه بقول أبي بكر وعمر ﷺ: (توشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول لكم قال رسول الله ، وتقولون قال أبو بكر وقال عمر) .

الثامنة : أن النبي ﷺ حكم بغير الشريعة ـ بالتوراة ـ فيجوز ذلك لأمته.

ويرد على هذه الشبهة من طريقين :

أحدهما : أن هذا القول مخالف للنصوص الدالة على أن النبي ﷺ لم يحكم إلا بشريعة الإسلام، وأن القرآن ناسخ لما قبله من الشرائع كقوله تعالى في سورة المائدة آية ٤٨ والآية التي بعدها : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ المائدة: ٤٨ - ٤٩.

وقال ﷺ :(لو كان مو سى حياً ماوسعه إلا اتباعي) رواه أحمد.

فكيف يتبع النبي ﷺ كتاب موسى مع هذا ؟؟ .

قال ابن تيمية: (وهو ﷺ لم يحكم إلا بما أنزل الله عليه) الفتاوى ٤/ ١١١ .

وقال أيضاً: (وإذا كان من المعلوم بالكتاب والسنة والإجماع ، أن الحاكم بين اليهود والنصارى لايجوز أن يحكم بينهم إلا بما أنزل الله على محمد ﷺ ، سواء وافق ما بأيديهم من التوراة والإنجيل أو لم يوافقه) منهاج السنة النبوية (٥/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩).

بل إن من زعم أن الرسول ﷺ يحكم بالتوراة ويعمل بها وأن هذا جائز له ولأمته فهو كافر زنديق يستتاب فإن تاب من قوله وإلا قتل مرتدا.

قال ابن حزم: (إن من قال إن النبي ﷺ حكم بين اليهوديين اللذين زنيا بحكم التوراة المنسوخة فهو مرتد) الإحكام (٢/ ١٠٤).

الثاني : أن سبب هذه الشبهة ماورد في إحدى روايات حديث رجم اليهوديين اللذين زنيا، وفيها قال رسول الله ﷺ :(فإني أحكم بما في التوراة ،فأمر بهما فرُجِما) رواه أحمد وأبو داود .

والجواب عن هذا الحديث من وجهين:

الأول : أن هذه الرواية ليست مما يحتج بها ،فقد ذكر الحافظ ابن حجر أن في سندها رجل مبهم، كما في فتح الباري (١٢/ ١٧٠ ـ ١٧١) .

الثاني: أنها إذا صحت هذه الرواية فإنه ينبغي فهمها على أساس ما ذكرنا من أن النبي ﷺ لم يحكم إلا بالإسلام، وينبغي رد المتشابه إلى هذا المحكم ، فيكون معنى قوله (فإني أحكم بما في التوراة) أي بمثل ما ورد فيها في حكم هذه المسألة، ولا يكون هذا متابعة منه للتوراة بل تصويباً لما ورد فيها في ذلك وأن هذا مما أنزله الله فيها ليس مما بدّلوه .

وهذا ما قرره ابن كثير في تفسيره٢/ ٥٩ : (فهذه الأحاديث دالة على أن رسول الله ﷺ حكم بموافقة حكم التوراة ، وليس هذا من باب الإكرام لهم بما يعتقدون صحته ، لأنهم مأمورون بإتباع الشرع المحمدي لا محالة ، ولكن هذا بوحي خاص من الله ﷻ إليه بذلك وسؤاله إياهم عن ذلك ليقررهم على ما بأيديهم مما تواطؤا على كتمانه) .

وبنحو هذا قال ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ١٧٠).

الشبهة التاسعة: أن النبي ﷺ حَرّم بعض الحلال وهو العسل :

والجواب عن هذه الشبهة: أن معنى تحريم الحلال يأتي على أوجه :

الأول : التحريم على وجه التشريع ، وهو الواقع من الكفار ، كالبحيرة والحام والسائبة والوصيلة والنسيء في الأشهر الحرم . فهذا تحريم على وجه الإلزام للنفس وللغير، وهذا هو التشريع المكفِّر المخالف لشرع الله .

الثاني : مجرد ترك الشيء لأن النفس تكرهه ، أو لا حاجة لها فيه ، ومنه ما جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ ترك أكل الضب .

الثالث: تحريم الشيء على النفس بنذرٍ أو يمين ، بأن ينذر لله ألا يفعل بعض المباح أو يحلف ألا يفعل ، كأن يقول: العسل علي حرام، أو لله علي أن لا آكل اللحم أو والله ما أتزوج، أو علي الحرام ما أنام على الفراش. وهذا النوع كان مشروعاً في شرع من قبلنا ، ومن هذا الباب تحريم يعقوب عليه السلام بعض الطعام.

ذكرها الشاطبي في الاعتصام (٢/ ٢٥٠) .

وهذه الأنواع من التحريم منها ما هو كفر ومنها ما ليس كذلك . والتحريم في الآيات التي استدل بها المبطل كان من باب التحريم بنذر أو يمين وليس على وجه التشريع ، ويدل لذلك أن الآية التي استدلوا بها في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ التحريم: ١ .جاء بعدها ذكر كفارة اليمين .

فليس فيما استدلوا به حجة على إباحة التحريم والتحليل والتشريع، والذي لم يصف الله فاعله بغير الكفر ، كما في تحريم السائبة من الأنعام والنسيء في الأشهر.

الشبهة العاشرة : قولهم : لا يكفر الحاكم حتى ينسب تشريعه للدين :

١ – أن مناط الكفر في تبديل شرع الله والحكم بغير ما أنزل الله وقد تضافرت الأدلة على هذا وأجمع العلماء عليه .

٢ – أن الحكم بالكفر ليس قاصرًا على من نسب تشريعه للدين ، فمن الآيات الواضحة في هذا الموضع قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ الأنعام: ٩٣ ، وقد جمع الله هنا بين الكفرين كفر التكذيب وكفر الاستكبار وهو أشد ، والآية صريحة على أن من أوجب على الناس تشريعًا كتشريع الله تعالى فهو كافر وإن أقر أنه مخالف لشرع الله ، بل إن هذا أشد كفرًا ممن يلزم الناس بتشريع وينسبه لدين الله تعالى ؛ إذ كونه يستقل بتشريع نفسه ملزمًا للناس به مع إعلانه أنه مخالف لشرع الله دليل على كِبْرِه وَرَدِّهِ للأمر ومضاهاته شرع الله ، بخلاف ما لو ابتدع تشريعًا ونسبه للشرع ، فهو مستغل لحب الناس للشرع ، مع عدم مجاهرته بالمخالفة ؛ فإذا كان هذا كفرًا فما قبله أشد منه وأغلظ بلا شك .

٣– أن اليهود الذين نزلت فيهم آيات الحكم في المائدة وحكم الله بكفرهم ومسارعتهم للكفر كان كفرهم تبديل حكم الله في الرجم الذي أنزل عليهم في التوراة وحكمهم بغير ما أنزل الله لم ينسبوا الرجم لله يدل لذلك : أن النبي ﷺ قال لهم: (ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟) ، قالوا : نفضحهم ويُجلدون ، قال عبد

الله بن سلام : كذبتم، إن فيها الرجم . فأَتَوا بالتوراة فَنَشَروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال عبد الله بن سلام : ارفع يدك . فرفع، فإذا فيها آية الرجم ، فقالوا : صدق يا محمد فيها آية الرجم ، فأمر بهما النبي ﷺ فرجما. متفق عليه.

والحديث دليل على أن اليهود بدلوا حكم الله المنزل في التوراة، مع إقرارهم بأن حكم الله بخلاف ما استبدلوه ، ومع ذلك لم ينفعهم هذا الإقرار مع تبديل حكم الله تعالى ، وأنزل الله تعالى حكمًا بكفرهم بل وصفهم بالمسارعة في الكفر.

الحادية عشرة : أن القوانين الوضعية فيها بعض أحكام الشريعة الإسلامية.

١ – أن مناط الكفر في تبديل شرع الله والحكم بغير ما أنزل الله وقد تضافرت الأدلة على هذا وأجمع العلماء عليه، وهذه الأمر موجود في القوانين الوضعية .

فالأصل أن وضع القانون كفر مخرج من الملة فأصل مبدأ التحليل والتحريم والتشريع هو كفر وشرك أكبر، فلا ينظر بعد ذلك إلى وجود موافقة للشريعة في بعض فروعه وأحكامه ، فبمجرد ما يعطى صاحب القانون خصيصة التشريع والحكم ومضاهاة شرع الله ﷻ فإنه يخرج بذلك من الملة .

٢ – أنه لا يتم الإيمان بالله وبحكمه إلا بالكفر بحكم ما سوى الله تعالى ، وهو حكم الطاغوت الذي أمرنا بالكفر به .

٣- أن فتوى العلماء في تكفير التتار كان لأجل قانونهم الوضعي (الياسق) مع أنه كان مشتملاً على بعض أحكام الشريعة الإسلامية ، كما قال ابن كثير وحكى الإجماع على كفر التتار ومن عمل بعملهم البداية والنهاية (١١/ ١١٩) .

الشبهة الثانية عشرة : لا يكفر المشرع والحاكم إلا إذا بدل الشريعة كلها .

١ – أن المشركين الذين شرعوا وكفرهم الله بذلك وغيروا كان عندهم كثير من دين الرسل ولم يغيروا الشريعة كلها وإنما كفروا لوقوعهم في شرك التشريع والحكم . ومما يدل لذلك أن كفار العرب كان معهم كثير من دين إبراهيم ولم يغيروه كله ، ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ﴾ الشورى: ٢١ .

٢ – أن هذا لا يدرء عن الحاكم بغير ما أنزل الله مسمى الكفر ، وذلك لأن التكفير في قوله تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤ ترتب على تبديل حكم واحد من أحكام الله وهو رجم الزاني المحصن ،ولا يلزم تبديل جميع أحكام الدين حتى يلحقهم حكم التكفير.

مع أن القوانين الوضعية قد بدلت معظم أحكام الشريعة، وإذا كان الله تعالى قد حكم بالكفر على من بدّل حكماً واحداً من أحكامه ، فكيف بمن أسقط الحدود الشرعية جملة وأباح المحرمات القطعية ؟

٣– أن الله ﷻ كفر من أطاع المشرع في حكم واحد وهو أكل الميتة فكيف لو أطاعه في كل تشريعاته ثم كيف بالمشرع الذي شرع . ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١. كذلك الله ﷻ كفر المتحاكم والحاكم والمعرض في حكم واحد ويدل كما ورد في أسباب النزول .

وهذا في طاعة المشركين في رد أمر واحد من أوامر الله تعالى ، فكيف بمن أطاعهم في استبدال الشرع كله أو معظمه بكلام البشر ؟

قال إسحاق بن راهوية : (أجمع العلماء على أن من دفع شيئا أنزله الله وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر) التمهيد لابن عبدالبر ٤/ ٢٢٦ .

قال ابن تيمية : (والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافرا مرتدا بالاتفاق) الفتاوى٣/ ٢٦٧.

٤- أن مناط الكفر في صفة التبديل والحكم سواء بدل وشرع حكما واحداً أو أكثر، و الله جعل تشريع قانون واحد كفر أكبر وزيادة في الكفر ومن ذلك تكفيره بمن شرع النسيء، ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ التوبة: ٣٧ .

فمن استبدل الشريعة منحياً لها واضعاً قانوناً يضاد كل حكم من أحكامها لا يختلف حكمه عن من وضع قانونا واحداً استبدل به شريعة من شرائع الله ﷻ أو حكماً من أحكامها، ولو كان جزئياً ولو في أدنى مسألة مجمع عليها ما دام أنه أمر ووضع قانوناً يحرم حلالاً أو يحلل حراماً أو يسقط واجبا أو يلغي شعيرة، فإن هذا قد خرج من الملة، لتبديله شرع الله تعالى، وقد حكم سبحانه على قريش في النسيء بأنهم زادوا في الكفر والشرك بسبب هذا القانون، مع أن عندهم كثيراً من شريعة إبراهيم يعملون بها، عليه فلا يشترط في تكفير القانونيين والحكام المشرعين أن يستبدلوا الشريعة بكاملها، بل مجرد ما يشرع أو يضع قانوناً يتحاكم إليه فهذا يعتبر سبباً من أسباب الكفر والخروج من الملة ومن وضع تشريعاً وقانوناً وحكماً ألزم فيه، ولو كان حكماً واحداً فهو بذلك كافر خارج من الملة ولو أنه مع ذلك حكم في بقية أحكامه بالدين والشرع .

الشبهة الثالثة عشرة :الشريعة مطبقة بالفعل في القانون وهي مصدر الدستور .

والجواب : أن هذا كذب صريح ومخالف للحقيقة فالقوانين المخالفة للشريعة لا تخفى ولا تحصى.

ثم إن الدساتير وإن نصت على أن مصدر الدساتير الشريعة فقد جعلت التشريع الذي هو من أخص صفات الرب ﷻ للمخلوق .

الرابعة عشرة : الذي يكفر بالقوانين واضعها لا من حكم بها وتحاكم إليها.

والجواب : أن مناط الكفر في الباب ليس واحد ، فسان القانون يكفر وكذا من حكم به أو ألزم الناس به أو تحاكم إليه وأعرض عن الشريعة.

ثم إنه يقال أكثر الكفار مقلدة لمن قبلهم وتبع لهم وليس هم من أحدث الكفر، ومن ذلك تكفير اليهود الذين بدلوا حد الرجم وكان الذي بدله من قبلهم وهم مضوا عليه وأيضاً التتار الذين كفرهم العلماء لعملهم بالياسق وهو قانون وضعه لهم جدهم جنكيز خان .

الشبهة الخامسة عشرة : أن آية الحكم نزلت في أهل الكتاب لا المسلمين .

وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤ .

١ – أن هذا القول يلزم منه إبطال العمل بالقرآن ، فكل آية نزلت في الكفار يقال لا يعمم حكمها على المسلمين ممن فعل فعل الكفار ، ومن ذلك لا يستدل على من دعا القبور والأوثان من هذه الأمة لا يستدل عليه بالايات الناهية عن الشرك لأنها نزلت في مشركي الجاهلية ، وبالتالي فما الفائدة من نزول القرآن أليس للعمل به والتحذير من التشبه بالكفار والوقوع في مثل أفعالهم.

وعليه فيقال إن الآيات التي بينت حكم من يحكم بغير ما أنزل الله جاءت بلفظ العموم، وكما هو معلوم في علم الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . ولفظ (مَنْ) من أقوى صيغ العموم .

٢ – أن القائلين بأن الآية في أهل الكتاب لهم معارض من السلف قالوا أن هذه الآية نازلة في المسلمين، منهم حذيفة وابن مسعود وجابر ﷺ والنخعي والحسن والشعبي وابن أبي زائدة وابن شبرمة وهو ظاهر صنيع البخاري في صحيحه كما في الفتح ، فلماذا نأخذ بقول بعضهم دون غيرهم بلا حجة ؟

وقد اختار القول الثاني ابن القيم في مدارج السالكين والشنقيطي في أضواء البيان ، ومما يرجح أنها في المسلمين الآية قبلها خاطبت مسلمي هذه الأمة فالخطاب للمسلمين كما هو ظاهر متبادر من سياق الآية، أيضاً من تأمل أول هذه الآيات علم أنها نزلت في المنافقين الذين تابعوا أهل الكتاب على الحكم بغير ما أنزل الله ، فأنزل الله تعالى حكمًا بكفرهم بل وصفهم بالمسارعة في الكفر.

قال ابن كثير : (نزلت هذه الآيات في المسارعين في الكفر ، الخارجين عن طاعة الله ورسوله ، المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله . وهؤلاء هم المنافقون).

٣- بل إن حذيفة ﷺ قد أنكر على من ظن اختصاص الآية ببني إسرائيل ، فقال : نعم الإخوة لكم بنو إسرائيل إن كانت لكم كل حُلْوة ولهم كل مُرَّة ، ولتسلُكُنَّ طريقَهم قِدَى الشِّراك . (تفسير الطبري : ١٠ / ٣٤٨) .

وقال الحسن : نزلت في اليهود ، وهي علينا واجبةٌ .

وقال إبراهيم النخعي : نزلت في بني إسرائيل ، ورضي لكم بها .

٤ – أن هذا ليس هو النص الوحيد الدال على كفر الحاكم بغير ما أنزل الله مطلقاً ، بل أنه قد دَلّ على كفره عدة نصوص كثيرة ، فإذا احتال زائغ لإبطال الاحتجاج بهذه الآية فماذا يصنع بغيرها من النصوص العديدة الدالة على كفر الحاكم بغير ما أنزل الله ؟

الشبهة السادسة عشرة : أن اليهود ما كفروا في الآية إلا لأجل تكذيبهم النبي ﷺ وعدم إيمانهم به وليس لأجل تعطيلهم حكم الله تعالى:

وهذا ضلال بين وقول باطل فالله ﷻ رتب الحكم بالتكفير على مجرد حصول الحكم بغير ما أنزل الله وتعطيل حكم الله. وفي هذا القول العضيل تعطيل لكثير من أحكام الله تعالى وإبطال لمدلولات النصوص وإنكار أن يكون الكفر له شعب كثيرة قد يجتمع بعضها فيصير الكفر مغلظ .

جاءت في أسباب النزول روايات عدة، وفيها قول اليهود لعنهم الله : اصطلحنا واجتمعنا ، وبدلنا وتكاتمنا وغير ذلك .

ومناط تكفيرهم هو التبديل والتشريع الذي فعلوه واصطلحوا عليه واجتمعوا وتكاتموا على تغيير حكم الله ﷻ في الرجم إلى الجلد، وهذا علة كفرهم في التوراة، فمن بدل حكم الله وغيره فهو كافر بالاتفاق غير مسلم ، وذلك لأنه لم يستسلم لله ﷻ لكونه لن ينقد لأحكام الله وشرعه حتى ولو قال إن حكم الله أكمل وأفضل وإنني مخطئ فهذا لا ينفعه مقابل تبديل حكم الله ﷻ وتشريعه دينا يخالف دين الله تعالى .

قال ابن تيمية: (والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال أو بدّل الشرع المجمع عليه كان كافرا مرتدا بالاتفاق) الفتاوى٣/ ٢٦٧ .

ثم يقال تكفير الحاكم والمتحاكم دلت عليه آيات كثيرة وليست هذه فقط.

الشبهة السابعة عشرة : قولهم: أنتم تكفرون بإطلاق دون تفصيل:

الجواب : هذا من البهتان الذي أراد قائله جعل الخوارج وأهل التوحيد المجاهدين فيه في منزلة واحدة، والخلط والتلبيس من المرجئة مقصود لصد الناس عن التوحيد وعلمائه وأن يصرف توجه الناس عن العلماء الربانيين ووصفهم بالبدعة، فلقد أكثر العلماء في مصنفاتهم وبينوا أتم بيان وأحسنه في تقسيم الحكم بغير ما أنزل الله إلى كفر أكبر وكفر أصغر.

الشبهة الثامنة عشرة : أن الخوارج هم أول من دعا إلى توحيد الحاكمية :

١ – أن هذا قول من لا يعرف الإسلام وما بعثت به الرسل، فكل الرسل دعوا إلى توحيد الله بالحكم والدعاء وبقية العبادات والكفر بالطاغوت المتحاكم إليـه وألا يشرك فيه مع الله أحدا .

وأين هم من إنكار الرسول ﷺ على أبي شريح لما وفد إليه مـع قومـه سـمعهم يكنونه بأبي الحكم ، فقال له: (إن الله هو الحكم ، فلم تكنى أبا الحكم ؟) ، وقال لـه: (فأنت أبو شريح) رواه أبو داود والنسائي .

فإذا كان هذا في مجرد المشابهة في الاسم فقط ؟ فكيف بمن يـدعي هـذا الحـق لنفسه ؟ وكيف يقال أن هذا الكلام حادث بعد عهد النبي ﷺ.

٢– أن الخوارج عندما رفعوا شعار (إن الحكم إلا لله) هل أحد من أهل العلم على مختلف العصور أنكروا هذه الكلمة الدالة على إفراد الله بالحكم لئلا يُظن أنه من الخوارج ؟ وكيف ينكرونها وهي آية من كتاب الله تعالى ، لها معنى ومضمون ولوازم ؟ بل إن الذين أنكروا على الخوارج هذه الكلمة ، أنكـروا علـيهم سـوء فهمهـم لهـا وتطبيقهم لمضمونها ، وليس على مجرد رفعهم لها.

تنبيه: قول بعض الجهمية في زماننا أن الكـلام في شرك الحكـم مـن مخترعـات سيد قطب فيقال: سبق سيد كثير من العلماء فصلوا المسألة تفصيلاً دقيقًا وبينوها أتم بيان ، ومنهم ابن تيمية وابن كثير وغيرهم . ثم تتابع العلماء المعاصرون كأحمد شـاكر ومحمد بن إبراهيم على تأصيل ذلك وتوضيحه وكلامهم معروف ، فلـم يكـن سـيد سابقًا لأحد في كلامه ، بل ما هو إلا رجل دعته غيرته إلى إنكار منكر عم البلاء به.

الشبهة التاسعة عشرة : أن قوله تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ النساء: ٦٥ نفي لكمال الإيمان لا لأصله .

١ – أنه لا يسلم لهم ذلك فهذه الآية نفت الإيمان بالكلية عمن ترك الحكم وأعرض عنه ولو أقر به .

قال الجصاص في الآية: (في هذه الآية دلالة على أن من رد شيئا من أوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ فهو خارج من الإسلام سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم، وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع من أداء الزكاة وقتلهم) أحكام القرآن ٣ / ١٨١ .

يقول ابن حزم عن هذه الآية : (فهذا هو النص الذي لا يحتمل تأويلاً ولا جاء نص يخرجه عن ظاهره أصلاً ، ولا جاء برهان بتخصيصه في بعض وجوه الإيمان) الفصل (٣/ ٢٩٣).

وقال ابن تيمية عند هذه الآية : (فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن) منهاج السنة (٥/ ١٣١).

يقول ابن كثير: (فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ، ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر).

كما يدل على هذا أيضاً سياق الآيات في السورة نفسها وقبل هذه الآية بقليل ، فإنها نافية لأصل الإيمان ومشترطة لحصوله وجود التحاكم والرد في الحكم لله .

وذكر الإيمان باليوم الآخر في الآية يقطع شبهة القول بكمال الإيمان لأنه شعبة من شعب الإيمان الرئيسة التي يزول بزوالها أصل الإيمان .

٢- أن هذه الآية ليست الوحيدة في القرآن الدالة على كفر الحاكم بغير ما أنزل الله ، فإذا فرضنا أن هذه الآية تدل على نفي كمال الإيمان ، فهناك آيات أخرى صريحة دلت على كفر الحاكم بغير ما أنزل الله والمشرّع ومن يتحاكم إليهم ويطيعهم .

ومن الآيات المفصلة لأصل المسألة آية : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ﴾ النساء: ٦٠ وإذا كان التحاكم إلى الطاغوت ، مناقضة للكفر بالطاغوت الذي افترضه الله على العباد وأمرهم به والذي هو من أصل دين الإسلام ، فكيف بالحاكم نفسه !

فنصّ القرآن العظيم على تكذيب إيمان من لم يكفر بالطاغوت وأراد التحاكم إليه ، فنحن نحكم ببطلان إيمان أمثال هؤلاء ظاهراً وباطناً أيضاً تصديقاً لله وإيماناً بكلماته ، ونُكذب هذا المتحاكم للطاغوت ولو زعم الإيمان ولو صرّح بأن الشريعة أفضل من دين الطاغوت ، وأقر بوجوب تحكيم الشرع .

٣- أن نفي الإيمان ، أو الوعيد الأصل أنه لا يرد لأجل التقصير في كمال الإيمان، بل لا يكون إلا على انتقاض أصله، ولا يصرف عن هذا الأصل إلا بصارف شرعي، وأين الصارف لنفي كفر الحاكم والأدلة تضافرت على كفره.

إذا تقرر هذا فإن المعروف المقرر عند أهل العلم ، أن الأصل في الألفاظ حقيقتها وظاهرها ولا يصرف اللفظ عن معناه الحقيقي الظاهر إلى المجاز إلا بدليل واضح ، مع خلافهم أصلاً هل في القرآن مجازٌ أو لا !!

وإذا قلنا أن النفي ها هنا نفي لحقيقة الإيمان ، فهذا على الأصل ، والمخالف للأصل هو المطالب للصارف عنه !

الشبهة العشرون: عمل يوسف عليه السلام عند ملك مصر وحكمه بغير ما أنزل الله:

الجواب: أن يوسف عليه السلام أقام حكم الله وشرعه وهو القائل: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ يوسف: ٤٠، وقال: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ﴾.

أن يوسف قد كان ممكّن له في الأرض يحكم ويأمر فيطاع ولا آمر عليه ولا يطيع أحدا بل هو المطاع، بل قد قيل إن الملك أسلم على يديه واتبعه.

ثم يقال أوليس يوسف أخذ أخاه واسترقّه كما هو الحكم في شريعة يعقوب في السارق، ولو كان يعمل بدين الملك وشريعته لما أخذه، وهذا يدل على أنه لم يكن يحكم بشرع الملك بنص الآية ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾ يوسف: ٧٦.

ويوسف عليه السلام لا يمكن أن يتحاكم إلى الطاغوت، ومن زعم أنه تحاكم للطاغوت وشريعة لم ينزلها الله فقد نفى عنه العصمة واتهمه بالوقوع في الكفر، فيكون قائله قد كفر لوقوعه في سب الأنبياء وتنقصهم.

وهل يوسف عليه السلام وقع فيما وقع فيه هؤلاء الكفرة من القسم على الدستور وعلى تعظيمه واحترامه وعدم مخالفته حاشاه. وهل أقر يوسف حكماً مخالفاً لحكم الله تعالى كما هو حال هؤلاء الزنادقة الضلال.

الحادية والعشرون: النبي ﷺ والصحابة في العهد المكي لم يحكموا بما أنزل الله.

الجواب: أن هذا من الفرية في الدين، ومن قال به خرج من الإسلام فكيف يقال الرسول ﷺ لم يحكم بما أنزل الله، والحق أن الرسول ﷺ عمل بكل ما أنزل إليه وقبل أن تنزل الشرائع فليس الحكم بها بمتصور.

الثانية والعشرون: النجاشي ملك الحبشة كان يحكم بغير ما أنزل الله ولم يكفر:

أولاً أنه لا يوجد دليل صحيح على أن النجاشي حكم بغير ما أنزل الله ، فهـذا ما لا يمكن إثباته إلا بخبر صحيح في هذه المسألة بعينها، وهو ما لا سبيل إليه .

ثم أن المسلمين المهاجرين إلى الحبشة لم تبلغهم بعض الشرائع التـي أنزلـت في غيبتهم عن النبي ﷺ ، وهذا هو الحال بالنسبة للنجاشي أيـضاً ، والمـسلم مكلـف بـما بلغه من الشرع وما لم يبلغه فهو غير مؤاخذ به ، ومن بلغته دعوة النبي ﷺ من الكفّار في دار الكفر ، فآمن به وعمل بما علمه من الدين وترك ماجهلـه لعجـزه وعجـزه ولم يستطع التعلم ولا معرفته فهو مسلم .

وكون النجاشي مات مسلماً فهذا دليل على أنه فعل ما يجب عليه بقدر ما بلغـه من دين الإسلام سواء كان قد حكم أو لم يحكم بما أنزل الله . والتكليف منوط ببلوغ أحكام الشريعة مع القدرة ،فالنجاشي لم تبلغه وما بلغه عمل به .

ومما يؤيد ذلك أن النجاشي كان يخرج لهرقل خرجا فلما أسلم قال :لا والله لـو سألني درهما ما أعطيته فبلغ هرقل قوله فقال له النياق أخوه أتدع عبدك لا يخرج لك خرجا ويدين بدين غيرك دينا محدثا ، قال هرقل : رجل رغب في دين فاختاره لنفسه ما أصنع به والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع. انظر زاد المعاد: ٣/ ٦٢ .

الثالثة والعشرون : عمر ﷺ ترك حد السرقة عام الرمادة ولم يحكم بما أنزل الله .

والجواب أن عمر ﷺ حكم بما أنزل الله فلـم يقـم حـد الـسرقة لأنـه لم تتـوفر شروط السرقة ثم إن الحدود تدرأ بالشبهات ومنهـا الـسرقة وقـت المجاعـة لإنقـاذ النفس وحرمة النفس أعظم من حرمة المال.

الشبهة الرابعة والعشرون : استحلال الخمر من بعض الصحابة.

الجواب أن هذا خارج عن محل النزاع فاستحلال الصحابة كان عن جهل وتأويل وليس عمداً ولو تعمدوا أو أصروا لكفرهم الصحابة وقتلهم عمر ردة.

الشبهة الخامسة والعشرون : النبي ﷺ لم يقم بعض الحدود .

كحد القذف في ابن سلول وحد الردة في المنافقين وفي من سبه.

قيل أنه أقامه على أبي بن سلول كما عند الطبراني عن سعيد بن جبير ، وقيل أنه لم يثبت منه القذف الصريح كما ثبت من غيره ، كما أن المنافقين لم يظهروا نفاقهم، وقيل تركه لمصلحة تألفا لقومه ولكي لا يقال محمد يقتل أصحابه، ومن هذا عدم إقامة الحد في دار الحرب حتى لا يهرب المحدود ويلحق بالكفار فيرتد . وقيل تركه لأنه منافق وأجل الله عقوبته في الآخرة وقيل أنه ترك النبي ﷺ حقه والقذف يجوز إسقاط المطالبة به وكذا ترك قتل من سبه لأنه من حقه الذي أقره الله عليه .

السادسة والعشرون: أن الصحابي بدّل حكم الله ولم يحكم النبي ﷺ بكفره.

والمقصود به ما جاء في قصة العسيف الذي زنا ، والحديث متفق عليه.

والجواب : أن هذا خارج عن محل النزاع فالكلام عن تارك حكم الله عالما عامدا معرضا عنه، أما هذا الصحابي فليس كذلك فهو لما بلغه أن حكم الله بخلاف رأيه أتى النبي ﷺ ليتثبت ورد الأمر إليه فلما تيقّن أنه حكم الله سلّم به وخضع له وعمل به ولم يعرض عنه ويتركه. فالحديث حجة عليهم لا لهم .

السابعة والعشرون : أن الرسول ﷺ ما كفر أنس بن النضر لما اعترض عليه .

أن أنس بن النضر لما تكلم في القصاص ، حين قال : لا والله لا تكسر سنها يا رسول الله . فقال النبي ﷺ: (يا أنس، كتاب الله القصاص) ، فرضي القوم وقبلوا الأرش ، فقال ﷺ: (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره) متفق عليه.

والقصة لا حجة لهم فيها فأنس رضي الله عنه لم يعترض على حكم الله وشرعه وحاشاه وإنما أراد رفع القصاص ودرءه عن أخته ، وأراد عدولهم من القصاص إلى الدية ، وكلاهما من شرع الله وهم مخيرون فيه .

ثم إن النبي ﷺ بين لأنس أن هذا شرع الله الذي يجب قبوله تقريراً لهذا الأصل الذي يعلمه كل الصحابة فاستجاب ولم يعارض.

الثامنة والعشرون : ما كفرهم الرسول ﷺ الذي قال له اعدل والأنصاري الذي قال لأنه ابن عمتك حكمت له .

الجواب : أن هذه حوادث أعيان لا تعارض بها المحكمات من النصوص والعموميات القطعية.

وهؤلاء قيل أن الرسول ﷺ كفرهم كما قال ابن تيمية في الصارم المسلول ص: ١٨٥ . وقيل لم يكفرهم كما قال ابن الوزير في إيثار الحق ص: ٣٩٩ .

ويحتمل أن فعلهم كان قبل نزول الآيات التي في الحكم بردة من أعرض عن الرسول ﷺ ورد حكمه ، أو أنهم تابوا من فعلهم ، ثم ليس فيها رد صريح لحكم الله

ﷻ وإنما حصل لهم من الاستشكال والشبهة ما ظنوا به أن فعل الرسول ﷺ محض اجتهاد وليس بوحي ، والله تعالى أعلم.

الشبهة التاسعة والعشرون : الاحتجاج بحديث : (استفت قلبك) :

والجواب : أن معناه البعد عن المشتبهات وليس المراد مخالفة حكم الله .

الثلاثون: حديث:(فلا تنزلهم على حكم الله وأنزلهم على حكمهم).

الجواب : أن المراد من حديث بريدة عند مسلم هذا، إذا اجتهد الحاكم في الحكم مما ليس فيه نص وكان متعلقا بالصلح ، وهنا لا تقول هذا حكم الله لأنك لا تدري أصبت حكم الله أم لا ، كما نص الحديث، وهذا حجة في الباب فليس المقصود الحكم القطعي الذي جاء النص به فهذا لا يقال فيه: (لا تدري أصبت حكم الله) .

الشبهة الحادية والثلاثون : أن القانون والتشريع من قبيل البدعة:

والجواب: أن البدعة قسمان : بدعة كبرى مكفرة وبدعة صغرى غير مكفرة .

وأعظم بدعة على الإطلاق بدعة الشرك والذي منه شرك التشريع وسن القوانين الوضعية والحكم بغير ما أنزل الله . وهي من البدع الكبرى المكفرة.

والفرق بين مجرد البدعة التي لا تخرج من الملة وبين التشريع :

أن البدعة الصغرى هي ما وضع على مضاهاة الشرع ولكن على مقتضى الدليل مع الانتساب للشريعة . وما فعل المبتدع ذلك إلا لهواه وإتباع المتشابه فهو كالعاصي عنده أصل الالتزام والانقياد للشريعة وخالف بدعوى الدليل والتأويل والقياس والهوى وإتباع المتشابه ونحو ذلك .

وهذا بخلاف المشرع الذي يضاهي صراحة فعل الله ﷻ ويشرع ما يناقض دينه ويبتدع حكماً يحلل ما حرم الله ويحرم ما أحله .

الشبهة الثانية والثلاثون : قياس تشريع القوانين على المصالح المرسلة أو الاستحسان أو القياس وخلاف الفقهاء في المسائل الاجتهادية:

والجواب : أن المصالح المعتبرة هي ما جاءت الشريعة بها أو لا تعارض الشريعة بل توافق أصول الشريعة وما سوى ذلك فمصالح غير معتبرة لا يجوز العمل بها وأما القوانين فليست من باب المصالح بل هي من باب تحليل الحرام .

والمصلحة والاستحسان والقياس والتحسين العقلي عند المعتزلة هذه الأمور متى جعلت في مقابل الدليل وقدمت عليه وعورضت الشريعة به وحلل بها الحرام وحرم الحلال كانت بذلك داخلة في التشريع والتحليل والتحريم الكفري .

ثم إن الفقهاء يعتمدون أدلة الشريعة وهؤلاء يعارضونها وهم لو خالفوا حكم الله فعن خطأ لا تعمد ترك حكم الله. فهو خارج عن محل النزاع .

الشبهة الثالثة والثلاثون :الحكم والقوانين من قبيل العهود والصلح .

العهد والصلح جائز ما لم يحتوي على مخالفة للشرع من تحليل محرم أو تحريم حلال ، فإذا كان كذلك فهو تشريع كفري .

وقد قرر النبي ﷺ هذا الأصل في العهود والشروط والمواثيق والصلح ، بقوله: (الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرّم حلالا أو أحل حراما، والمسلمون على شروطهم إلا شرطاً حرّم حلالا أو أحل حراما) رواه الترمذي وصححه.

الشبهة الرابعة والثلاثون : حلف الفضول .

والجواب أن حلف الفضول قبل الإسلام ونزول حكم الله ، ثم إنه يقوم على نصرة المظلوم وليس على تشريع دين يحلل أمراً حرمه الله أو يحرم ما أحله الله .

الشبهة الخامسة والثلاثون : أن الحكم والتشريع من قبيل التنظيم الإداري

وهذه الشبهة سببها الجهل بالضابط المفرق بين الأمرين :

فالتشريع هو كل حكم فيه مخالفة لدين الله ومصادمة لحكمه بتحليل حرام أو تحريم حلال أو إسقاط واجب أما التنظيم الإداري فلا يحلل حراماً ولا يحرم حلالاً ولا يلغي أمرا، ولا يكون فيه أمراً مخالفاً للشريعة .

وهؤلاء جعلوا الربا والقوانين التجارية والمدنية وإسقاط الحدود وعدم إقامتها من قبيل التنظيم . وجوزوا كل كفر واستحلوا شرك التشريع وجوزوا للحاكم الحكم بغير ما أنزل الله في كل ما فيه مصلحة أو منفعة له وجعلوه من باب التنظيم الإداري ، فكفروا بقولهم هذا.

الشبهة السادسة والثلاثون : أن الدمقراطية مثل الشورى:

الجواب أن هناك فرقاً بين الشورى والدمقراطية منها:

أن الحكم في الشورى لله ﷻ فهو الحاكم سبحانه أما الحاكم والمشرع في الدمقراطية فهو المخلوق المشرك.

أن الدمقراطية فيها تحليل ما حرم الله ومصادمة شريعة الله أما الشورى فهي في المسائل الاجتهادية وليس فيها تحليل وتحريم وليس فيها مخالفة للشرع .

أن المرجع في الدمقراطية تكون من السوقية والرعاع وليست في أهل الحل والعقد والرأي.

السابعة والثلاثون : أن مناط الكفر في التحاكم متعلق بالإرادة والرضا .

الجواب أنه ليس شرطاً في تكفير المتحاكم أن يفضل حكم الطاغوت، فبمجرد ما يعرض يعتبر قد كفر وليس شرطاً وجود الإرادة والرضا والاعتقاد والاستحلال.

وأما تعسف بعض المرجئة وحملهم الإرادة هنا على التفضيل والاستحلال الاعتقادي فمردود بنص الآية:﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ النساء: ٦٠ .وغيرها من الآيات وتفسير السلف لها .

فالله ﷻ كفر كما في الآيات بمجرد الطاعة والإتباع والاتخاذ والتحاكم دون اقتران الاعتقاد وهذا من الكفر العملي ما نصت عليه الآيات : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ .﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ النساء: ٦٠ . ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١. ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ النساء: ٦٥.

قال ابن تيمية: (النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم لغيره) الصارم٣٣.

قال الشنقيطي: (كل من اتبع تشريعاً غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم فاتباعه لذلك التشريع المخالف كفر مخرج من الملة). أضواء البيان ٣/ ٤٣٩ .

قالت اللجنة في جوبها رقم ٨٠٠٨ وفيه ردها على من جعل مناط التكفر في التحاكم متعلق بالإرادة ومحلها في الباطن ولا يمكن الاطلاع على ذلك ومعرفة : (المراد بالإرادة في قوله ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ النساء: ٦٠ ما صاحبه فعل أو قرائن وأمارات تدل على القصد والإرادة بدليل ما جاء في الآية التي بعد هذه ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴾ النساء: ٦١ ، ويدل على ذلك سبب النزول الذي ذكره ابن كثير وغيره في تفسير هذه الآية، وكذلك المتابعة دليل الرضا، وبذلك يزول الإشكال القائل إن الإرادة أمر باطن فلا يحكم على المريد إلا بعلمها منه وهو غير حاصل) .

قال ابن القيم في تفسير آية ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ : (جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان، ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه، ولا سيما أن التلازم بين هذين الطرفين، وكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر. ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه). إعلام الموقعين (١/ ٤٩) .

بل إن بعض أهل العلم جعل تارك حكم الله إلى غيره مع وجوده مفضلا لحكم غير الله ﷻ تفضيلاً عملياً ولو لم يعترف بلسانه .

الخلاصة : أن التحاكم إلى غير شرع الله تعالى كفر عملي لا يشترط معه الجحود أو الاستحلال أو التفضيل لحكم الله ﷻ .

الثامنة والثلاثون :جعل مناط الكفر في شرك الطاعة الاستحلال لا الاتباع :

والجواب :

١ – أن مناط الكفر في هذا الشرك ما صرح به سبحانه في كتابه في قوله : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ محمد: ٣.

وهي مجرد الاتخاذ والطاعة والاتباع والقبول وكما فسرها الرسول ﷺ لعدي بن حاتم فرتب الشرك على مجرد طاعة أولياء الشيطان في تشريعهم وليس في ذلك الاستحلال والجحود، وفي قصرها على الجانب الاعتقادي عدول عن مناط التكفير .

قال ابن كثير:﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (أي حيث عدلتم عن أمر الله وشرعه إلى قول غيره فقدمتم عليه فهذا هو الشرك كقوله ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ ﴾).

وقال الشنقيطي : (كل من اتبع تشريعا غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم فاتباعه لذلك التشريع كفر بواح مخرج من الملة) الأضواء ٣/ ٤٣٩.

وقال : (الذين يتبعون القوانين مخالفة لما شرعه الله، إنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته مثلهم) أضواء البيان ٤ / ٨٣ ، ٧/ ١٦٢.

قال ابن تيمية: (معلومٌ بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق المسلمين أن من سوّغ إتباع غير دين الإسلام أو إتباع غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر) ٢٨ / ٥٢٤.

وقال : (بين سبحانه أن من دعي إلى التحاكم إلى كتاب الله ورسوله فصد كان منافقا وليس بمؤمن، فالنفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم لغيره) الصارم٣٣.

وقال : (ومتى ترك العالم ما علمه من كتاب الله وسنة رسوله واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله كان مرتدا كافرا) الفتاوى ٣٥/ ٣٧٢.

وقال ابن القيم: (من دعي إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى كان من المنافقين).

٢- أن الكفر والشرك كما يكون بالاعتقاد يكون بالعمل ولم يخالف في ذلك سوى المرجئة فجعلوا مناط شرك الطاعة والتحاكم والاتباع هو الاستحلال، وقصر شرك الطاعة والاتباع على الاستحلال دخول صريح في مذهب المرجئة .

٣- أن الاستحلال والجحود واعتقاد ذلك كفر بمجردها ولو لم يحصل شرك التشريع والحكم وشرك الطاعة والتحاكم، ولو لم يطع المشرع.

٤- أن الكفر نوعان: نوع جحود وتكذيب ونوع كفر عملي متعلق بالإباء والاستكبار والامتناع والتولي والصدود والترك والإعراض ، والآيات التي في هذا النوع من الكفر والتي مناط الكفر فيها عملي قائم على الصد والتولي والإعراض والامتناع والإباء كثيرة جدا ذكرتها في كفر الإعراض والامتناع .

تنبيه : المقصود من كلام ابن تيمية في شرك الطاعة وحقيقة معناه:

قال ابن تيمية: (هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله على وجهين :

الأول : أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعوهم على التبديل فيعتقد تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل هذا كفر سماه الله شركاً وقد جعله الله شركاً .

الثاني : أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحرام وتحريم الحلال ثابتاً لكـنهم أطـاعوهم في معـصية الله كـما يفعلـه المـسلم في المعـاصي وهـؤلاء يأخـذون حكـم العصاة). الإيمان ص:٧٠ .

قلت : كلام ابن تيمية هذا قد يظن بعض المرجئة أن في حجة لهم وليس كذلك لوجوه منها :

١ – أن كلامه رحمه الله معناه القبول والمتابعة في التبديل .

٢ – أنا نحمله على ذلك لوجود النقولات الكثير الـصريحة المدللـة عـلى ذلـك وقد سقنا بعضها في مسألة كلام أهل العلم في شرك الحكم .

٣– ولو فرضنا أنه قصد الاعتقاد والاستحلال فحسب وحاشاه رحمـه الله أن يقول بما يفهم منه مذهب المرجئة، لكان مردودا عليه ومخطأ فيما قاله وكل يؤخذ مـن قوله ويرد عليه والكمال لله وحده العصمة لرسوله ﷺ .

٤ – أن الاستحلال والجحود ليس خاصا بالقلب وتكذيب اللسان بل يتعـداه فيشمل الاستحلال العملي الفعلي، فليس شرطاً أن يصرح بلسانه ويقول : أنا قبلـت ورضيت فمجرد ما ينقاد ويذعن ويتبع ويطيع أو يوجد علامة على قبوله فإنـه يعتـبر قد كفر وخرج من الملة .

الشبهات المجوزة للدخول في المجالس التشريعية والانتخابات والتصويت:

الشبة التاسعة والثلاثون : أن من صوت غير مقر ولا راضٍ بالكفر :

فالجواب عنها أن نقول : هذه دعوى مخالفة للحقيقة وواقع المصوت، وهي دعوى لا عبرة بها ، لأن تغيير اسم الشرك ودعوى عدم فعله لا يرفع حكم الكفر عمن باشره . وهو مثل من يسجد للمخلوق ويقول هذا ليس بسجود .

قال ابن القيم : (ومن أنواع الشرك سجود المريد للشيخ فإنه شرك من الساجد والمسجود له، والعجيب أنهم يقولون ليس هذا بسجود وإنما هو وضع الرأس قدام الشيخ احتراما وتواضعا، فيقال لهؤلاء لو سميتموه فحقيقة السجود وضع الرأس لمن يسجد له قدامه) المدارج ١/ ٣٤٤ .

قال ابن تيمية : (ولهذا كان من اتباع المتكلمين من يسجد للشمس ويدعوها كما يدعوا الله تعالى ويصوم لها وينسك لها ويتقرب إليها، ثم يقول إن هذا ليس بشرك، وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي، أما إذا جعلتها سببا وواسطة لم أكن مشركا) درء التعارض ١/ ٢٢٧ .

وهنا قاعدة متعلقة بمشركي زماننا وهي أن تغيير الأسماء لا يغير الحقائق والمسمى والحكم ، فمثلا يسمون دعاء الأموات والاستغاثة بهم توسلاً، وطائفة تسمي شرك التشريع والتحليل والتحريم والحكم بغير ما أنزل الله نظاماً وتصويتاً ونحو ذلك .

وكل ذلك لا يغير الحقيقة التي وضع الحكم لأجلها فتسمى هذه المعبودات آلهة ويسمى الفعل شركاً ويكفر صاحبه .

الشبهة الأربعون : دعوى المصلحة .

تقوم هذه الشبهة على أركان فاسدة ، وهي:

أن التصويت للدستور طريق للحكم بالشريعة .

وأن التصويت له من باب دفع شر الشرين واحتمال أخف الضررين .

أنه ليس أمام المسلمين إلا هذا أو ما هو أسوء منه .

شبهة الإكراه وعدم الرضا ، وحصول الفتنة في تركه .

والجواب وبالله التوفيق :

١ – أن أعظم المصالح إقامة التوحيد وأعظم المفاسد الوقوع في الشرك.

٢ – أن حصول القتل أشد من وقوع الفتنة التي هي الشرك : ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ البقرة: ١٩١، والفتنة هنا هي الشرك كما فسرها السلف ، وهؤلاء جعلوا الفتنة هي القتل ولأجله جوزوا الشرك والسكوت عن دفعه، بل ما شرع الله الجهاد وإزهاق الأرواح إلا لتطهير العباد من الشرك وحتى يكون الدين خالصا لله لا يشرك معه أحد من الطواغيت في العبادة ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾الأنفال ٣٩.

٣– أن في التصويت للدستور والانتخابات شراً متيقناً وهو الوقوع في الشرك وتسويغه وترك الكفر بالطاغوت ، بينما الشر الذي يدّعونه ليس إلا متوهم وهو من وساوس الشيطان وتخويفه ومواعيده ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ البقرة: ٢٦٨﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٧٥.

٤- أن الشر الذي ادعوه وخافوا من وقوعه حتى لو كان صحيحاً فهو لا يصل إلى الشر الذي دعوا إليه من إدخال الناس في الشرك وعدم الكفر بطاغوت الحكم .

٥- أن التصويت ليس طريقاً للحكم بالشريعة بل هو طريقا للتحاكم للطاغوت، بل هو طاغوت بكونه مدعياً للتشريع .

٦- لماذا لا يكون الدعوة إلى تحكيم الشريعة إن كنتم صادقين ، والمسلمون لا يريدون غيرها ، ومتى قام الدين لأحد بطريقكم الأعوج.

٧- أن هؤلاء القوم الذين سنوا هذه الطرق لا يريدون حكم الشريعة وإنما يريدون الدمقراطية الكافرة كما نقلنا عنهم .

٨- أن الحل في إقامة الشريعة يكون بالطرق الشرعية التي أمرنا بها من الدفع بالجهاد والقتال ليكون الدين والحكم والعبادة خالصة لله.

٩- القول أن هؤلاء مكرهون غير صحيح فهم مختارون ولا يوجد من أكرههم ، ومن قال الكفر وأقره من غير إكراه معتبر فهو كافر .

قال ابن تيمية: (إذا تكلم بالكفر من غير إكراه صح كفره ولم يصح إيمانه).

وهؤلاء تكلموا بالكفر وصرحوا به في قولهم نعم للدستور.

وأما القول أنهم غير راضين فغير صحيح، ولو سلمنا بصحته فإقرارهم بالتشريع وتكلمهم بالكفر كفر ولو كانوا غير راضين .

١٠- القول أنه لا يوجد إلا هؤلاء أو من هم أسوء، سبق رده وبيانه ببيان حقيقة الإخوان.

١١- أن ترك شيء من الدين بدعوى المصلحة شبهة إبليسية وقد حذر الله رسوله من ذلك : ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴾ الإسراء: ٧٣ ، وإذا كان هذا في بعض الدين فكيف بأعظم الأصول وهو التوحيد وإخلاص الحكم والتشريع والدين لله ، وإذا كان هؤلاء جوزوا التشريع استقلالا من أول الأمر فكيف سيقيمون دولة إسلامية تطبق شرع الله كما يزعمون، وهل يظنون أن دين الله يقوم بالأماني والأوهام .

ثم إن المصلحة إذا لم تنضبط بالنصوص وأدلة الشرع فمردها للهوى وحينئذٍ ليس فهم زيد أولى من فهم عبيد .

الشبهة الحادية والأربعون: العلماء ما بينوا باب الحكم ولا كفروا المشرّعين .

الجواب بل تكلموا وذكرنا طرفا من كلامهم في تكفير الحاكم بغير ما انزل الله والتصريح بردته، أما شيوخ الإرجاء وفقهاء السلاطين فليسوا عند أهل السنة بشيء.

وسأسوق لك جملة من كلام أهل العلم الذين صرحوا بردة الحاكم وتكفيره بعينه متى حكم بغير ما أنزل الله وأنه لايعذر بجهله ولا تأويله :

قال الإمام ابن كثير في تاريخه: (فمن ترك الشرع المحكم المنزل وتحاكم إلى غيره ... من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين) البداية والنهاية ١٣/ ١١٩ .

قال أحمد شاكر في عمدة التفسير: (إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا عذر لأحد ممن ينسب إلى الإسلام كائنا من كان في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها) .

قال احمد شاكر : (وما كنت يوما بالاحمق فأظن أن الحكومات في البلاد الإسلامية ستستجيب لحكم الإسلام فتقطع العلاقات السياسية مع الانجليز ... ولكن أريد أن أعرفهم بعواقب هذه الردة ...) كلمة حق ٨٧ .

وقال الألوسي : (ولا شك في كفر من يستحسن القانون ويقول هو أرفق وأصلح للأمة فلا ينبغي التوقف في تكفيره) روح المعني ٢٨/ ٢٠ .

قال التويجري : (اطّراح الأحكام الشرعية والاعتياض عنها بحكم الطاغوت من القوانين وآل الأمر بكثير منهم إلى الردة والخروج من الإسلام) الإيضاح ٢٨ .

وقال البليهي : (الحكم بالقوانين المخالفة للشريعة إلحاد وكفر ومن فرق بين الأحوال الشخصية والعامة والخاصة فهو ملحد زنديق كافر) السلسبيل ٢/ ٣٨٤ .

وقال القاضي ابن غنيم في البرهان: (الذين يرضون بتحكيم القوانين بدلا عن الحكم بما أنزل الله ويريدون سواه فهؤلاء حكمهم الكفر مثل حكامهم) .

وقال محمد بن إبراهيم: (البلد الذي يحكم بالقانون ليس دار إسلام وتجب الهجرة منه عند القدرة) الفتاوى ٦/ ١٨٨ .

ويقول:(الحكم بغير شريعة الإسلام معناه الكفر والخروج عن الإسلام).

وقال : (الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع فهو كافر وإن قالوا أخطأنا وحكم الشرع أعدل) . وقال عن المحاكم القانونية :(فأي كفر فوق هذا الكفر) .

وقال محمد حامد الفقي في تعليقه على كتاب فتح المجيد: (من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال ويقدمها على ما علم من كتاب وسنة رسوله ﷺ فهو بلا شك كافر مرتد) .

وقال عبدالله بن حميد: (من أصدر تشريعاً عاماً ملزماً للناس يتعارض مع حكم الله فهذا يخرج من الملة كافر) في كتابه أهمية الجهاد .

وقال الشنقيطي: (الذين يتبعون القوانين الوضعية .. إنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه مثلهم) أضواءالبيان٤ / ٨٣ . ٧/ ١٦٢ .

وقال فيه: (والعجب ممن يحكم غير تشريع الله ثم يدعي الإسلام).

قال ابن باز: (وكل دولة لا تحكم بشرع الله ولا تنصاع لحكم الله فهي دولة جاهلية كافرة ظالمة فاسقة) . وقال : (فالذين يتحاكمون إلى شريعة غير شريعة الله لا شك أنهم يخرجون بذلك عن الإسلام ويكونون بذلك كفارا ظالمين فاسقين) .

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: (إذا كانت الحكومة تحكم بغير ما أنزل الله فالحكومة غير إسلامية لا يجوز للمسلم أن يتحاكم إلى حكومة غير إسلامية ..) .

شبهة :وجود علماء جوزوا للحكام فهم مقلدون جهال ولم تقم الحجة عليهم :

فنقول العبرة بالدليل وليس بقول فلان وفلان، والأدلة كلها نصت على كفر الحاكم بغير ما أنزل الله والمتحاكم إليه، وليس عند من أجاز التصويت للدستور وأباح الدخول في الانتخابات التشريعية آية واحدة من كتاب الله ، بل ولا حتى دليلاً واحداً من غيره من المعقول أو المنقول، فلا عبرة حينئذٍ بمن خالف كائناً من كان، فإن خلاف هؤلاء كخلاف علماء الكلام والصوفية في تجويز دعاء الأموات والاستغاثة بالقبور كما هو قول مفتي مكة زيني دحلان وقاضي الرياض زمن إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب ابن سحيم وقاضي فلسطين النبهاني وغيرهم، وهم علماء ومع ذلك لا عبرة بخلافهم بل وحكم العلماء بكفرهم لأنهم من دعاة الشرك.

الشبهة الثالثة والأربعون والأخيرة : وهي خمس شبهات متعلقة بالتكفير:

١ - الحكام بغير ما أنزل الله يقولون لا إله إلا الله . ولم ير منهم كفر بوح وهم يقيمون الصلاة ويتصدقون. والصحابة لا يرون عمل تركه كفر غير الصلاة .

أولاً : أن (لا إله إلا الله) لاتنفع قائلها حتى ويعمل بمقتضاها ، ولا ينقضها.

ثانياً: أن الكفر بالطاغوت فرض ولايكفي عنه قول (لا إله إلا الله) والصلاة .

ثالثاً : أن الإيمان وضده الكفر يكون بالقول والعمل والاعتقاد.

رابعاً: أنه كما أن للوضوء نواقض وللصلاة مبطلات ، فكذا للإسلام نواقض وللإيمان مبطلات . وكم كفّر أهل العلم من الأفراد والطوائف الذين يقولون (لا إله إلا الله) ويصلون ولم يعتبر ذلك مانعاً لهم من التكفير لعملهم ناقضاً للإسلام .

ولم يقل أحد من العلماء أن دماء المسلمين معصومة بالصلاة وحدها، مع فعلهم لنواقض الإسلام وتحاكمهم للطاغوت .

وأما ما جاء عن أم سلمة عند مسلم أن النبي ﷺ قال: (ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف بريء ومن أنكر سلم ، ولكن من رضي وتاب(قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال: (لا ما صلّوا) ، وفي رواية : (ما أقاموا فيكم الصلاة) .

فالحديث في الخروج على أئمة الجور والظلم، وليس المرتدين وذكر الصلاة هاهنا إشارة إلى إقامة الدين والتوحيد، بدليل ما تقدم من أن الصلاة لا تغني مع نقض أصل التوحيد شيئاً والوقوع في ناقض من نواقض "لا إله إلا الله".

قال النووي: (وأما قوله: " لا ما صلوا" ففيه معنى ما سبق أنه لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم والفسق ما لم يغيروا شيئاً من قواعد الإسلام) .

٢- قولهم : بإمامة الحكام بغير ما أنزل الله ووجوب والطاعة.

أننا نؤمن بأن هذا في الأئمة المسلمين ولو كانوا فساقاً أما المرتد منهم ومن تولى بمقتضى الدساتير والقوانين الوضعية فهم ليسوا أئمة ولا ولاة أمور شرعيين ، مسلمين بل هم كفار ، أقيمت عليهم الحجة أو لم تُقم ، بل هم أنفسهم لا يقولون عن أنفسهم أنهم ولاة أمور شرعيون، وهل من بويع على القسم على احترام الدستور وسيادة القانون ، فهل يقول عاقل فضلاَ عن عالم أن هذه بيعة ، بل وينسبها للشرع ؟

قال القاضي عياض : (فلو طرأ على الخليفة كفر وتغيير للشرع خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام وخلع الكافر) شرح النووي على مسلم ١٢/ ٢٢٩ .

٣ - السلف لم يكفروا المأمون ولا الحجاج ولم يخرجوا عليهم .

وهذا ليس بصحيح . فالمأمون الصحيح أنهم كفروه ومن ظن غير ذلك كابن تيمية فقد أخطأ ، كيف والسلف أجمعوا على كفر الجهمية وهو من رؤوسهم ، ولنا في تحقيق ذلك بحث يؤكد كلام السلف وإجماعهم على كفره مع اختلافهم في الخروج عليه وممن خرج عليه وقتل الإمام ابن نصر الخزاعي .

وأما الحجاج فحصل الخلاف على كفره والخروج عليه وممن كفره وخرج عليه إمام التابعين سعيد بن جبير . قال ابن حجر عنه في التهذيب:(وكفّره جماعة منهم سعيد بن جبير والنخعي ومجاهد وعاصم بن أبي النجود والشعبي وغيرهم) .

هذا فضلاً عن اختلاف حال المأمون والحجاج عن الحكام المشرّعين.

٤ – الكلام في تكفير الحاكم يدعو إلى الفتن والخروج ومنهج الخوارج.

فرق بين منهج أهل التوحيد من تكفير المرتدين وقتالهم والخروج عليهم ، وبين منهج الخوارج الذين يكفرون بالذنوب ويخرجون على أئمة المسلمين .

وهؤلاء المرجئة يريدون أن يلبسوا الحق بالباطل ويصدوا عن التوحيد والكفر بالطاغوت ويصفون الموحدين بالخوارج لتنفير الناس عنهم .

٥– التكفير للفعل لا يلزم منه تكفير للمعين فهناك شروط وموانع .

٦– ومن ذلك قولهم: قد تلبس بالحكام موانع تمنع تكفيرهم ، منها :

الإكراه والخطأ غير العمد والضرورة والخوف والمصلحة والتأويل والتقليد.

والجواب : أن هذا كله من باب الترقيع والجدال بالباطل عن الطواغيت وإعذارهم وليس قصدهم بغية الحق وإنما ترقيع الكفر والذب عنه والصد عن التوحيد . وعلى أن الشرك لا يعذر فيه غير المكره ، فما ذكروه من موانع كلها كاذبة والعقل والواقع يشهد بكذبها ، وليتهم يعذرون الموحدين إن كانوا يرونهم مخطئين كما عذروا المشركين وتلطفوا معهم كما تلطفوا مع أولئك .

لكن صدق في هؤلاء الذين كفروا أهل التوحيد لعملهم بالتوحيد ابن القيم:

من ليّ بمثل خوارج قد كفرّوا ... بالذنب تأويلاً بلا إحسان

وخصومنا قد كفرونا بالذي ... هو غاية التوحيد والإيمان

انتهى الكتاب والله أعلم صلى الله وسلم على نبينا محمد .

الفهرس

الباب الأول تعريف الشرك وحقيقته ومعناه

مباحث متعلقة بوسائل الشرك

الباب الثامن : شرك الدعاء

مبحث : حقيقة الشفاعة

مبحث: طلب الدعاء من الميت (عبارة: يا نبي الله أو يا ولي الله ادع الله لي)

الباب العاشر : كشف الشبهات في الشرك

الفصل الأول كشف شبهات الداعية لشرك القبور
القسم الأول : الشبهات العقلية : وهي سبع وثلاثون شبهة .
الشبهة الأولى : قولهم : نحن لا نشرك بالله ولا نعبد إلا الله. الجواب :
الثانية : زعمهم أن الدعاء ليس عبادة ، وأن العبادة إنما هي السجود والصلاة:
الثالثة: أن الدعاء الشركي ليس هو النداء والطلب ، وإنما حقيقة العبادة:
الرابعة: المشرك من يعبد الأصنام ، وكيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام ؟
الخامسة : قولهم : إن المشركين لم يكفروا بدعاء الملائكة والأنبياء ، وإنَّما كفروا لمّا قالوا : الملائكة بنات الله
الشبهة السادسة : أن عباد القبور لا يعتقدون أن الأولياء أرباب وآلهة .
السابعة: أن من أقر بالربوبية فقد أقر بالألوهية فالرب هو بمعنى الإله لافرق.
الشبهة الثامنة : تفسيرهم لتوحيد الألوهية بالربوبية والخلق واعتقاد وجود الله، والإله بالخالق القادر على الاختراع:
التاسعة : زعمهم أن آلهة المشركين سميت آلهة باعتبار زعم من عبدها .
العاشرة : زعم بعض المتكلمين ومنهم الرازي : أن الله إله من الأزل ولم يكن معبودا إلا بعد الخلق ، مما يدل على
الحادية عشرة : أن العبادة وجبت بأمره فلو لم يأمر بها لم يكن معبودا .
الثانية عشرة : زعم القبورية أن شركهم من باب الشرك الأصغر :
الثالثة عشرة : زعمهم أن شرك الدعاء مثل شرك الحلف وقول لولا فلان لكان كذا وما شاء الله وفلان ومثل الطيرة وتعليق التمائم وغيرها من الشرك الأصغر:
الشبهة الرابعة عشرة : زعموا أن الشرك في اعتقاد الربوبية والاستقلال.
الشبهة الخامسة عشرة : يقولون : إن هناك فرقاً بيننا وبين المشركين، فالمشركون يريدون من الأصنام فيقولون : يا أصنام أرزقينا أعطينا اكشفي كربتنا ، فالطلب مستمد من الأصنام مباشرة بدون واسطة ، أمَّا نحن فلا نطلب من الأولياء مباشرة إنَّما هم واسطة .
الشبهة السادسة عشرة : أن الأموات والأولياء يملكون التدبير في الخلق والتصرف في الكون فضلا من الله .
الشبهة السابعة عشرة: قولهم : إن الله تعالى قد ينزل المقربين منزلة نفسه .
الشبهة الثامنة عشرة : الكرامة ، وجعلهم الشرك من باب الكرامات.
الشبهة التاسعة عشرة : المجاز :
العشرون: الشرك هو طلب ما لا يقدر عليه إلا الله ولم يعطه أحداً من خلقه.
الحادية والعشرون: عدم التفريق بين التوسل والاستغاثة :
الثانية والعشرون : أن علم الغيب لا ينفى عن الخلق مطلقاً فيجوز أن يحصل لهم مستفاداً من الله .
الشبهة الثالثة والعشرون : زعمهم أن النبي ﷺ يتصرف يوم القيامة كتصرفه في الدنيا وأنه يخرج من النار وينقذ .
الشبهة الرابعة والعشرون: قولهم: النبي ﷺ يعلم الغيب ويقدر على كل شيء.
الخامسة والعشرون : استدلالهم بطلب الصحابة من الرسول ﷺ أن يدعو لهم في حياته .
الشبهة السادسة والعشرون : أن الأموات يسمعون دعاء الأحياء بأدلة منها .
الشبهة السابعة والعشرون : استدلالهم بعرض الأعمال على الرسول ﷺ
الشبهة الثامنة والعشرون : حياة الرسول ﷺ في قبره ، والأنبياء أحياء في
الشبهة التاسعة والعشرون : يقولون كيف ينكر نسبة الإنقاذ من النار بالفعل إلى الرسول ﷺ وتنسب إلى قريش.
الشبهة الثلاثون : الشفاعة :
الحادية والثلاثون : أن طلب الشفاعة من الرسول ﷺ طلب منه شيئا أعطيه ويقدر عليه.
الشبهة الثانية والثلاثون : أن الدعاء عند القبور مجرب لقضاء الحاجات .
الشبهة الرابعة والثلاثون : الآيات نزلت في الكفار .
الشبهة الخامسة والثلاثون : إن الذين نزل فيهم القرآن لا يقولون لا إله إلا الله.
الشبهة السادسة والثلاثون : عدم وقوع الشرك في أمة محمد ﷺ .
السابعة والثلاثون : زعمهم أن كثيرا من العلماء استغاثوا بالأموات وفعل بحضرتهم ولم ينكروه .
القسم الثاني : شبهات المشركين النقلية ومجموعها سبعون آية وحديث وحكاية .

الفصل الثاني كشف الشبهات في شرك الحكم:
الشبهة الأولى : أصل دعوة الرسل هو التحذير من شرك الدعاء .
الثانية : قولهم : الحكم لا يدخل في العبادة والشرك .
الشبهة الثالثة : قولهم : إنه ليس للشريعة علاقة بالسياسة وحل للنوازل.

الشبهة الرابعة : قولهم: الحكم بغير ما أنزل الله مسألة خلافية ولا إجماع فيها.
الخامسة : أن الحكم بغير ما أنزل الله من الكفر العملي الأصغر كالمعاصي.
الشبهة السادسة : لا يكفر الحاكم بغير ما أنزل الله إلاّ بالجحود أو الاستحلال.
السابعة :أن الكفر في آية الحكم هو كفر دون كفر ، كما قال ابن عباس ﷺ .
الثامنة : أن النبي ﷺ حكم بغير الشريعة - بالتوراة - فيجوز ذلك لأمته.
الشبهة التاسعة: أن النبي ﷺ حَرّم بعض الحلال وهو العسل :
الشبهة العاشرة : قولهم : لا يكفر الحاكم حتى ينسب تشريعه للدين :
الحادية عشرة : أن القوانين الوضعية فيها بعض أحكام الشريعة الإسلامية.
الشبهة الثانية عشرة : لا يكفر المشرع والحاكم إلا إذا بدل الشريعة كلها .
الشبهة الثالثة عشرة :الشريعة مطبقة بالفعل في القانون وهي مصدر الدستور .
الرابعة عشرة : الذي يكفر بالقوانين واضعها لا من حكم بها وتحاكم إليها.
الشبهة الخامسة عشرة : أن آية الحكم نزلت في أهل الكتاب لا المسلمين .
السادسة عشرة:أن اليهود ما كفروا في الآية إلاّ لأجل تكذيبهم وليس للحكم.
الشبهة السابعة عشرة : قولهم: أنتم تكفرون بإطلاق دون تفصيل:
الشبهة الثامنة عشرة : أن الخوارج هم أول من دعا إلى توحيد الحاكمية :
التاسعة عشرة : أن قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون) نفي لكمال الإيمان لا لأصله .
الشبهة العشرون: عمل يوسف ﷺ عند ملك مصر وحكمه بغير ما أنزل الله:
الحادية والعشرون: النبي ﷺ والصحابة في العهد المكي لم يحكموا بما أنزل الله .
الثانية والعشرون: النجاشي ملك الحبشة كان يحكم بغير ما أنزل الله ولم يكفر:
الثالثة والعشرون : عمر ﷺ ترك حد السرقة عام الرمادة ولم يحكم بما أنزل الله .
الشبهة الرابعة والعشرون : استحلال الخمر من بعض الصحابة.
الشبهة الخامسة والعشرون : النبي ﷺ لم يقم بعض الحدود .
السادسة والعشرون: أن الصحابي بدّل حكم الله ولم يحكم النبي ﷺ بكفره.
الثامنة والعشرون : ما كفرهم الرسول ﷺ الذي قال له اعدل والانصاري
الشبهة التاسعة والعشرون : الاحتجاج بحديث : (استفت قلبك) :
الثلاثون: حديث:(فلا تنزلهم على حكم الله وأنزلهم على حكمهم).
الشبهة الحادية والثلاثون : أن الحكم والتشريع من قبيل التنظيم الإداري
الثانية والثلاثون : قياس تشريع القوانين على المصالح والاستحسان والقياس.
الشبهة الثالثة والثلاثون :الحكم والقوانين من قبيل العهود والصلح .
الشبهة الرابعة والثلاثون : حلف الفضول .
الشبهة الخامسة والثلاثون : القانون والتشريع من قبيل البدعة:
الشبهة السادسة والثلاثون : الدمقراطية مثل الشورى:
السابعة والثلاثون : مناط الكفر في التحاكم متعلق بالإرادة والرضا .
الثامنة والثلاثون :جعل مناط الكفر في شرك الطاعة الاستحلال لا الاتباع :
الشبهات المجوزة للدخول في المجالس التشريعية والانتخابات والتصويت:
الشبة التاسعة والثلاثون : من صوت غير مقر ولا راضٍ بالكفر :
الشبهة الأربعون : دعوى المصلحة .
الشبهة الحادية والأربعون: العلماء ما بينوا باب الحكم ولا كفروا المشرّعين .
شبهة :وجود علماء جوزوا للحكام فهم مقلدون جهال ولم تقم الحجة عليهم .
الشبهة الثالثة والأربعون والأخيرة : وهي خمس شبهات متعلقة بالتكفير.
١- الحكام بغير ما أنزل الله يقولون لا إله إلا الله . وهم يقيمون الصلاة .
٢- قولهم : بإمامة الحكام بغير ما أنزل الله ووجوب والطاعة.
٣ - السلف لم يكفر المأمون ولا الحجاج ولم يخرجوا عليهم .
٤- الكلام في تكفير الحاكم يدعو إلى الفتن والخروج ومنهج الخوارج.
٥- التكفير للفعل لا يلزم تكفير للمعين فهناك شروط وموانع